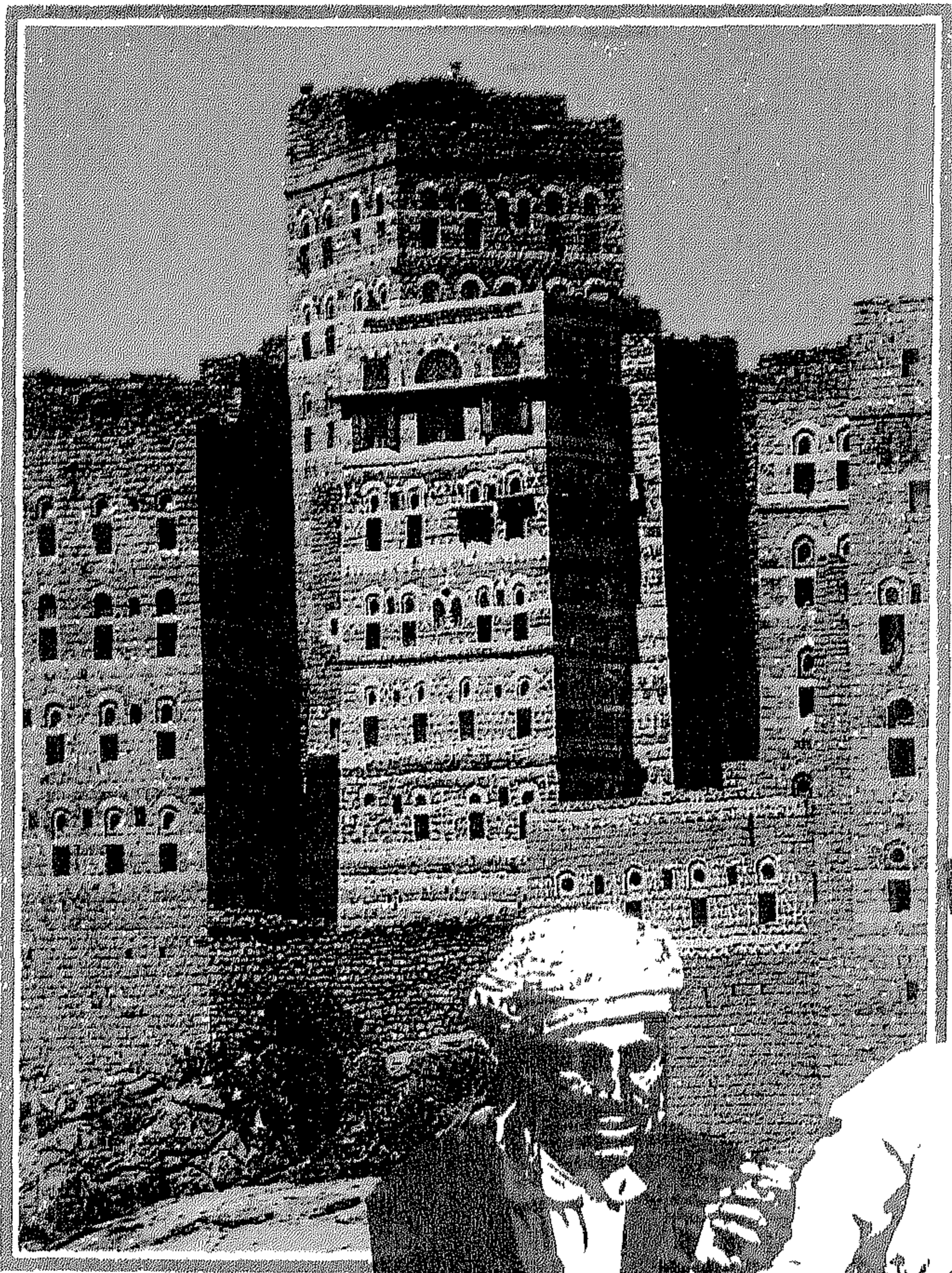


جوليت يمانية

البحرين في القرن التاسع عشر الميلادي



حَقَّقَهُ وَاسْتَخْرَجَهُ مِنْ مَسَوْدَةِ الْمُصَنَّفِ
عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ الْكَبْشِيُّ



دار الحكمة واليمنية
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان



حولیات مکتبہ

أو

الہجری فی القرن التاسع عشر المیلادی

حوليات طبقات بني

من سنة ١٢٢٤هـ إلى سنة ١٣١٦هـ

أو

الهمج في القرن التاسع عشر الميلادي

حقيقه واستخرجه من مسودة المصنف

عبد الله محمد الحبشي



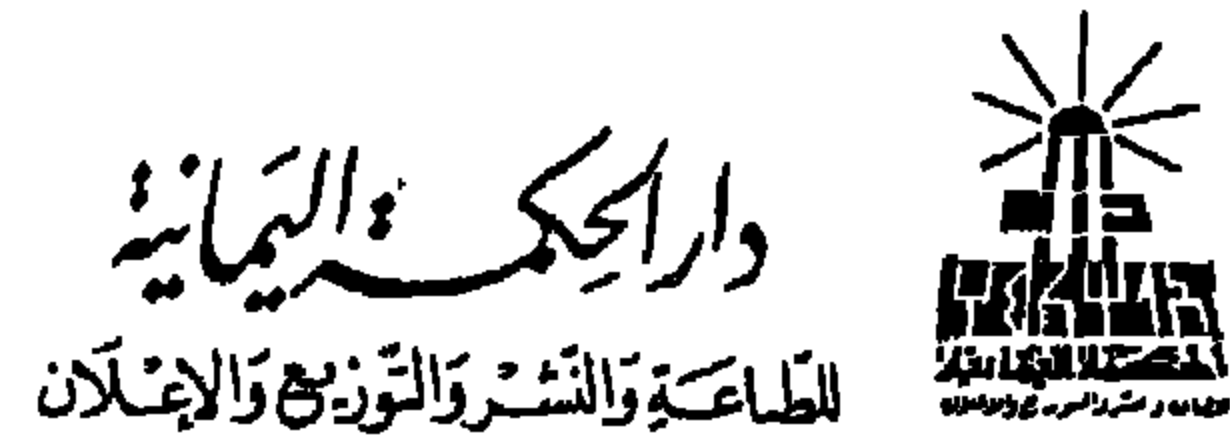
دار الحكمة اليمنية

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م



يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل
والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من دار الحكمة النهائية

ج . ي . - صنعاء - شارع القصر الجمهوري - ص.ب (١١٠٤١) - برقية: (حكمة)
س . ت . ٧٦٩٦ هاتف ٢٧٢٤٧٤ ، ٧٢٥٨٤ - تليكس HEKMA 2943 YE

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي الكتاب

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، يظل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) المنطلق الحقيقي لتكوين اليمن الحديث في صورته المعاصرة فقد دخل اليمن عالماً جديداً لم يكن له عهد به من قبل حيث فرض واقع العصر - عصر سيادات الدول القوية - منطقته على سائر البلاد العربية . وكان اليمن آخر البلاد العربية تأثراً، وأقلها تأثراً بذلك أيضاً ومع ذلك فقد ترك آثاره على المجتمع ونفسيته ولا أدل على ذلك من تلك الدهشة التي صورها لنا مؤلف هذا الكتاب.

ففي هذا العصر أصيب المجتمع اليمني بادواء الحضارة الأوربية المعاصرة ولعل أسوأ ما فيها هذا الاستعمار البغيض الذي حاول أن يكرس جهوده ليس في امتصاص خيرات البلاد واخضاعها له فقط بل وأيضاً على تغيير القيم والأخلاق والموروثات المميزة للشعوب المستعبدة.

ومع ذلك فإن اليمن أقل الأقطار المستعمرة تأثراً به كما قلنا بل لم يستطع أن يطوق قبضته على البلاد إلا على رقعة صغيرة مطلة على البحر الأحمر هي عدن وما عدا هذه البلدة فإن اليمن يموج بالبطولات الثائرة المتأججة التي لم يستطع الاستعمار اخضاعها حتى بالتفكير باحتلالها.

وفي التاريخ اليمني - في كل عصوره - صفحات نادرة من البطولات التي قد لا توجد إلا في الأساطير ولولا أن كتابة التاريخ هي في ذاتها أمانة علمية عند كل من كتبه لقلنا أنهم يصوغون قصصاً لا تمت إلى الحقيقة بشيء.

فأي بطولة تعادل تلك التي صورها مؤلف كتابنا هذا وهي أن يأتي الأتراك بأهبة

كاملة من الأسلحة الفتاكة فيتصدى لهم أهل اليمن العزل من أي سلاح سوى الجنابي -
الخناجر - والمفارس (الفؤوس) ويجلون الأتراك عن آخرهم من مدينة صنعاء بعد ثلاثة أيام
من وصولهم.

وحدث عن ذلك الأقدام والشجاعة ولا حرج وقد أثبت الشعب اليمني بأفراده
العاديين أنهم حماة الوطن الحقيقيين.

* * *

والمتتبع للتاريخ اليمني إنما هو متتبع لتلك البطولات المتكررة والمتلاحقة في
كل وقت وحين فما عسى أن تكون قدرة المؤرخ - ولو أوتي ما أوتي - في إحصاء ذلك
الحشد الهائل من المعارك الطاحنة التي خاضها أهل اليمن في الدفاع عن وطنهم بل بلغ
الأمر بامرأة واحدة أن تصد كتيبة من الأتراك وتقضي على إثني عشر شخصاً منهم (كما
روى هذه الحادثة المؤرخ حسين بن أحمد العرشي في كتابه بهجة السرور).

ومع ذلك فإن أقرب حلقات التاريخ اليمني صلة بعصرنا الحاضر هي فترة القرن
لثالث عشر الهجري وهو عصر الإنصهار والتكوين كما أسلفنا سابقاً. ومع أهميته فإن
الكتابات القديمة والحديثة لم توفه حقه من البحث والدراسة وهو يتسم بنضوب مراجعه
 فلم يقدّم بالكتابة عنه كتاب محترفون كما هو الحال عند مؤرخي القرنين الحادي عشر
والثاني عشر حيث قدر لهما كتاب من الدرجة الأولى من حيث المقدرة والثقافة العالية
كالمؤرخ الجرموزي ويحيى بن الحسين وأبو طالب ولطف الله جحاف وغيرهم.

أما في قرننا هذا - القرن الثالث عشر - فهي بضعة كتابات مختصرة لا تخدم سوى
السلطة أكثر من خدمتها للشعب ككتابات المؤرخ اليمني الحسن بن أحمد عاكش
الضمدي المتوفي سنة ١٢٨٩ الذي حصر كتاباته في أخبار القسم الشمالي المعروف
قديماً بالمخلاف السليماني وهي كتابات تعنى في الدرجة الأولى بالناحية الثقافية كتراجم
العلماء والأعيان وما عدا ذلك فهي نتف يسيرة لا تفي بالغرض ثم تلاه بعد ذلك المؤرخ
اليمني القدير العلامة محمد بن إسماعيل الكبسي المتوفي سنة ١٣٠٨ هـ الذي جاءت
كتبه ساردة للتاريخ اليمني منذ أول عصوره الإسلامية حتى لا نكاد نظفر فيها بتاريخ الفترة
التي نحن بصدددها إلا في صفحات قليلة لا تسمن ولا تغني من جوع. كما نرى ذلك في
كتابه اللطائف السنية بل أن كتابه الثاني المسمى (العناية التامة) الذي أرخ فيه لليمن من سنة
١١٢٧ - ١٢٩٥ عبارة عن تراجم مقتضبة للحكام الذين تولوا في هذه الفترة ومع ذلك ففيه
فائدة كبيرة لو أن المؤرخين لهذه الفترة في عصرنا الحاضر استفادوا منه ومن غيره ولكنهم

تجاهلوا تماماً حتى أنك تقف على دراسة علمية يزعم صاحبها أنها كذلك فلا تجده يرجع إلى شيء من تلك المراجع وتلك حسرة تحز في نفس المؤرخ المدقق بل أنه هو وغيره يتجاهلون مرجعاً مطبوعاً للمؤرخ زبارة عن فترة الثلث الأخير من القرن التاسع عشر سنة ١٨٩٠ - ١٩٠٤ .

وقد أرخ لنفس هذه الفترة المؤرخ اليمني الكبير علي بن عبد الله الأرياني المتوفي سنة ١٣٢٣ في كتابه (الدر المثلث) ثم تلاه المؤرخ الأديب الحسين بن أحمد العرشي المتوفي سنة ١٣٢٩ في كتابه (بهجة السرور) وبعده المؤرخ سعد بن محمد الشرقي المتوفي سنة ١٣٣٥ هـ وغيرهم .

وكان انتشار مراجع فترة القرن الثالث عشر ضرورة تاريخية هامة حيث ساهم في الكتابة فيها بجانب تلك الكتابات الرسمية مراجع شعبية معاصرة للأحداث وقد رأينا ذلك في تلك الصفحات التي حققها الأستاذ حسين بن أحمد السياغي وسرى ذلك أيضاً في هذه الصفحات التي عثرنا عليها . وربما أسفرت لنا الأيام المقبلة عن مراجع أخرى من هذا الجنس .

* * *

المخطوطة التي بين أيدينا جزء كبير منها مدرج بتاريخ العلامة محسن بن أحمد الحرازي المتوفي سنة ١٢٨٨ هـ المسمى روض الرياحين وهذا الكتاب كما رأيته في فهرس مخطوطات المتحف البريطاني أنه يوجد بين مخطوطات تلك المكتبة وقد أشرت إليه في كتابي مصادر الفكر الإسلامي . ومنه أخرى بمكتبة العلامة أحمد بن محمد زبارة مفتي الجمهورية العربية اليمنية ومنه حققنا القسم المدرج بتاريخ الحرازي إلى أواخر سنة ١٢٧٤ والبقية أوراق ليست في مجلدة الحرازي .

والمأمل لتاريخ العلامة الحرازي يجد القسم الأول منه اشتمل على سيرة الرسول ثم تاريخ الإسلام ثم تعرض فيه لتاريخ اليمن من أول الإسلام وهو في هذا التاريخ عبارة عن ملخص لبعض كتب التاريخ وربما أتى تاريخ قرن بأكمله في بضع صفحات .

ثم تتسلسل الأحداث حتى تلتحم مع الفترة التي جاءت في كتابنا هذا المحقق وهي سنة ١٢٢٤ وقد جعلناها بداية لتاريخنا هذا وهي السنة التي انتهى فيها تاريخ المؤرخ لطف الله جحاف درر نحور الحور العين وهو شامل كامل في تاريخ المدة التي أرخ لها فأغناها عن ما كتبه الحرازي حيث ورد تاريخ اليمن من القرن العاشر إلى سنة ١٢٢٤ في خمس ورقات فقط .

من هو مؤلف الكتاب الحقيقي

ويبدو والله أعلم أن عمل الحرازي في تاريخه هذا ليس كله له أو على الأقل أن المخطوطة التي عثرنا عليها قد عدلت عن مخطوطة الحرازي الأصلية حتى أصبحت مؤلفاً مستقلاً عن الأصل.

وهذا واضح بَيّن حيث أن المعدل لكتابه هذا - أو مؤرخنا المجهول -^(١) يشير صراحة إلى أن وفاة الحرازي سنة ١٢٨٨ فيقول: وفيها توفي المصنف وكان عالماً عاملاً إلخ، ثم يسلسل أحداث الكتاب بنفس الخط والأسلوب إذن فالمؤلف الحقيقي ليس الحرازي. وإن كان على صلة كبيرة به وربما كان تلميذاً له أو ناسخاً لما كان يمليه عليه. فهو يقول مثلاً: (وأنا بنيت هذا المنقول على الاختصار لمعالجة صاحب الأمر لي) ويتردد في الكتاب قول المؤلف الحقيقي (قال المصنف وأنا نقلت ما قاله برمته) فأشعر بهذه الجملة أن مؤلف الكتاب هو الحرازي وأنه كان يملّي عليه كتابه هذا ولكن هذا لا يمنع وجود الأثر البين لمؤرخنا المجهول في كتابه هذا - أو على الأقل في سنوات ما بعد وفاة الحرازي وهو جزء كبير يزيد على ما أملاه الحرازي بأضعاف مضاعفة..

بل أن الجمل العامية والأخطاء النحوية والإملائية وحتى اضطراب الجمل في كثير من الأحيان تنفي أن يكون الحرازي مؤلف الكتاب، هذا إذا قارنا بالحرازي مؤلف القسم الأول من الكتاب حيث يؤرخ فيه لسيرة الرسول ﷺ وأحداث الإسلام بأسلوب رصين وإطلاع واسع بل أن هذا القسم مكتوب بخط نسخي جميل جداً يختلف تماماً عن خط مؤلفنا المجهول الذي لا يكاد يقرىء إلا بالمعنى أو السياق (انظر مصورات الكتاب).

ومهما يكن من أمر فإن أثر المؤرخ الحرازي في كتابنا هذا مما لا يمكن إنكاره وقد جاءت حوادث كتابه بعد وفاته سنة ١٢٨٨ هـ مختلطة غير منسقة ولم تبدئ في الانتظام والترتيب إلا في سنة ١٣٠٦ حيث عاد مؤلفنا المجهول لمتابعة الحوادث بعناية واهتمام فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وقد ترك مؤلفنا المجهول لقلمه وعواطفه العنان فجاء كتابه تدوين شعبي كامل نادراً ما نجد ما يماثله في المكتبة اليمنية عامة وهو يتميز عن مؤرخ تاريخ اليمن المجهول الذي قام بتحقيقه العلامة السياغي... بأنه كان أكثر شمولية واستيعاباً لما يدور حوله وإغراقاً في العامية من سلفه.

(١) اتضح بعد ذلك أنه أحمد بن عبدالله الزبيري في ملاحظة ذكية من قبل الدكتور الفاضل الأستاذ حسين عبدالله العمري وكنا قد وقفنا على هذا الاسم في صفحة العنوان لكن لم نشأ أن نجزم به حيث لم تستقم لنا قراءة الاسم ومع ذلك يظل الزبيري المذكور ليس صاحب الكتاب وإنما شارك في إكماله وتلخيصه ونسخه.

وكتابنا هذا يشبه في كثير من نواحيه مؤلف المؤرخ الشعبي السوري أحمد البديري الحلاق المتوفي سنة ١١٧٥ تقريباً قبل تهذيبه وتنقيحه من قبل المؤرخ محمد سعيد القاسمي المتوفي ١٣١٧ (طبع ضمن منشورات الجمعية المصرية للتاريخ) سنة ١٩٥٩ بتحقيق أحمد عزت عبد الكريم.

ويشبه أيضاً كتاب حسن آغا العبد عن حوادث سورية من سنة ١١٨٦ إلى سنة ١٢٤١ (طبع ضمن مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد) سنة ١٩٧٩ بتحقيق الأستاذ يوسف جميل نعيمة.

ويشبه أيضاً كتاب تاريخ حوادث ليبيا للشيخ حسن الفقيه في القرن الثالث عشر الهجري (طبع في ليبيا).

ومع ذلك فإن كتابنا هذا يتميز عن سائر الكتب المذكورة بطول النفس والتوسع في الأحداث إذا علمنا أن تلك الكتب عبارة عن كراسات صغيرة. وربما قارب من حيث الضخامة والشعبية تاريخ الجبرتي المسمى عجائب الآثار لولا ثقافة المؤرخ الجبرتي العالية واهتمامه بالتراجم العلمية والتنسيق والتبويب وهذا ما لا نجده عند مؤرخنا المجهول.

وقد دلت هذه الكتب في عمومها على تفشي الأمية في أواخر العصر التركي في جميع البلاد العربية بما فيها اليمن والشام والعراق وهي عواصم الثقافة الإسلامية في عصورها الزاهرة. ولا أدل على ذلك من أن الأمية قد عمت سائر أفراد الشعب حتى أولئك المثقفين الذين يتصدون لأحوال الناس بالكتابة والتدوين. وستجد مثل هذا عند المؤرخ سالم بن حميد في تاريخ حضرموت الذي قمنا بتحقيقه.

* * *

الكتاب الذي بين أيدينا الآن كتاب فريد في التراث اليمني فعلى الرغم من أن كثير من كتب التاريخ اليمني ذات صبغة شعبية من زاوية وأخرى من حيث الاهتمام بذكر بعض الحوادث الاجتماعية كما هو الحال عند المؤرخ يحيى بن الحسين في (بهجة الزمن) الذي دون أخبار المجاعات والأوبئة وهبوط العملة وارتفاعها والاحتكاكات اليومية في القرن الحادي عشر إلا أن ثقافته الواسعة وقربه من رؤساء الدولة تجعله لا يرصد إلا الشيء القليل من أحوال الشعب الداخلية وكذلك الحال عند سائر مؤرخي ما بعد هذه الفترة وما قبلها كالمؤرخ عيسى بن لطف الله والمؤرخ محسن أبو طالب ولطف الله جحاف وغيرهم.

لكن الأمر يختلف تماماً عند مؤرخنا المجهول هذا فالرجل عاش بين أفراد

الشعب وكان واحداً منهم لا يتميز عنهم بشيء فكان كتابه أكثر شعبية من غيره حتى إنك تلمس هذا في صيغ عباراته ومعالجته للحوادث وأسلوبه في النقد والسياق. إلى غير ذلك.

ومن النظرة السريعة للكتاب يتضح لنا ما قلنا سابقاً، أنظر إليه مثلاً يؤرخ لثورات شعبية ربما أهملتها كتب التاريخ الأخرى فهو قد أشار إلى ثورة العامة في صنعاء على الإمام المنصور علي بن المهدي سنة ١٢٥٢ وعزله عن الحكم وتولية الناصر عبدالله بن حسن بن المهدي وقد أفاض المؤلف في شرح هذه الثورة ودخول الثوار على هذا الإمام وما ترتب عليها بعد ذلك من خلع هذا الإمام وكذلك أشار إلى ثورة أهل صنعاء على هذا الإمام سنة ١٢٦١ بسبب تعسف وزيره وإرهاق الناس بالمغلبات - كما يقول المؤلف - يقول: فأجمع أهل صنعاء على قلب رجل واحد ونزلوا إلى باب الإمام شاكين ولعفوه طالبين فلما سمع الرجة والصوايح وكان في بستان السلطان ففزع فزعاً عظيماً فسأل عن ذلك فقيل له بما هنالك إلخ.

وكذلك أشار إلى ثورة أهل صنعاء الكبرى على الأتراك عند دخولهم أول مرة في الدخول الثاني وطردهم شر طردة.

وثورات أخرى لا مجال لحصرها هنا حتى يخيل إلي أن الكتاب ما هو إلا عبارة عن حشد هائل من تلك الثورات المتلاحقة وكأن الناس قد أرادوا أن يفرضوا إرادتهم على السلطات الحاكمة أيّاً كان نوعها.

وما يعاب عليهم في ذلك الوقت سوى أنهم أصبحوا العوبة بأيدي أصحاب الأطماع الشخصية وإغراق الأمة في حروب طاحنة ومعارك كان ضحيتها الأبرياء من الناس. وسيتضح لنا في هذا الكتاب صمود صنعاء الأبية في وجه تلك الأطماع واستبسالها في الدفاع عن نفسها.

وربما أتى هجوم المؤلف منصباً على القبائل وإسناد كل نقيصة إليهم. وهو يعلم من خلال ما أورده هو نفسه في كتابه أن حماية البلاد والدفاع عنها في جميع المراحل ما قام إلا عليهم ويكفاحهم المستميت ونحن نعذر المؤلف في ذلك حيث عمق المجتمع في ذلك الوقت الفارق^(١) بين سكان المدن وسكان الأرياف (القبائل) فأتى هجوم المؤلف من هذا المنظار حيث أن المؤلف كان من أهل المدينة وقد عبّر عن وجهة نظر فئة منهم في ذلك

(١) انظر حول تلك الصراعات بين القبائل وأهل المدن ما كتبه الدكتور حسين العمري في كتابه مئة عام من تاريخ اليمن.

الوقت هي فئة الفقهاء الذين جبلوا غالباً على انتقاد أوضاع الناس من منظور منهاج الشريعة السمحاء فربما جاء نقد المؤلف من هذه الناحية وأنى له ذلك وهو يعلم أن طبيعة الإنسان في كل عصر ومكان تتحكم فيها نوازع الخير والشر ومع ذلك فلا يعاب على سكان الأرياف في شيء وربما أتى تحركهم تحت ظروف قاهرة كانهدام الأمطار واستبداد الولاة وقد أثبتوا قدرتهم على مجابهة الظلم في مواجهتهم السافرة للحكم التركي كما بينه المؤلف وما أرهقوا به الأمة من ضرائب وأنظمة قانونية مخالفة لما عرفه أهل اليمن فكانت ثورتهم نابعة من ذلك التذمر الشامل الذي عم الشعب.

ومع ذلك فربما كان للأتراك فضل تمدن اليمن الحضاري وإشعاره بالوسائل الحضارية التي كان يجهلها وقد صور لنا المؤلف دهشة أهل اليمن حينما استحدثوا نظام السلك (البرق) وهو نفسه وصف آلة التصوير كاختراع عجيب غريب.

كما أبان المؤلف استغراب أهل اليمن لما استحدثوه من أنظمة مدنية كنظام البريد ورصد البيوت التجارية وحصر ما يجلب إلى صنعاء إلى غير ذلك. وكل ذلك كان عبارة عن انتقالة كبرى لأهل اليمن في أن يعيشوا عصرهم المتغير تماماً عن ما ألفوه في العصور السابقة ومن هنا يأتي فضل الأتراك على اليمن في تحضيرها المعاصر على الرغم من تكبد الأتراك المشاق وإزهاق الأرواح البريئة من كلا الطرفين فتلك ضرورة التاريخ ومنطقه المعهود في كثير من الأحيان.

وربما أحس المؤلف بفضل الأتراك في هذه الناحية على الرغم من تحامله الشديد عليهم فنجدته يقول أن لهم محاسن ويقول أن القبائل (قالوا في نفوسهم أنهم يريدوا أن ينظموهم) أي ينظموا أهل اليمن على حسب تعبير المؤلف (ص ٥٧٥).

وعلى العموم فالكتاب ثروة تاريخية واجتماعية كبرى وقد أفردته ببحث مستقل بعنوان (اليمن في القرن التاسع عشر من مخطوط يماني)^(١) سألحقه بملاحق الكتاب الأخرى وهي ملحق البلدان والأعلام والمصطلحات مع فهرس الكتاب. فلا نطيل على القارئ هنا بهذا التمهيد.

والكتاب مخطوط بقلم مؤلفه وهي المسودة الوحيدة للمؤلف بدليل تلك الاستدراكات والفراغات التي بيض لها المؤلف نفسه ليتحقق منها فيما بعد ثم أدركته المنية دون أن يكمل تلك الفراغات، وقد حرصت كل الحرص على إبقائه على أصله.

(١) تركنا هذا البحث بعد ظهور كتاب مئة عام من تاريخ اليمن الحديث للدكتور حسين بن عبدالله العمري فأغنى وأشفي.

وعلى الرغم من حس المؤلف التاريخي واستيعابه لحوادث عصره دقيقة وجليها إلا أنه لا يجيد الكتابة المعروفة في الخط العربي فهو مثلاً يضيف ألفاً زائدة على كل كلمة فيها ألف مثلاً الإمام يكتبه هكذا (إلا إمام) أو لأنه يكتبها (لا أنه) إلى غير ذلك.

ثم أنه لا يفرق بين الألف الممدودة والألف المقصورة وهو في كل الحالات يكتبها ألفاً فمثلاً (إلى) يكتبها (الا) أو حتى يكتبها (حتا) وربما أوقعنا كلمة إلى في إشكالات كبيرة فانت لا تستطيع أن تعرف ما يقصده المؤلف إذا كتب (وجاء إلا الامام) ما لم تكن قد تمرست بخطه وأسلوبه في الكتابة وهو أيضاً لا يميز بين التاء المربوطة والتاء المبسوطة وفي الغالب يكتبها تاء مبسوطة فبقية عنده بقيت وجهة (جهت) وقبة (قبت) إلى غير ذلك.

كما أنه لا يتبع القواعد الكتابية المتعارف بها عند الكتاب فهو يكتب هؤلاء يكتبها (هاولا) ولكن (لاكن) وربما زاد في الكلمة أحرف ليست منها كأن يكتب مع (معا) أو ينقص أحرف من بعض الكلمات كأن يكتب سأل (سل) أو أن يكتب بالقرب (بلقرب) وهو أيضاً لا يفرق في أغلب الحالات بين الضاد والظا وربما كتب الأخيرة متداخلة ببعضها البعض كأن يكتبها شبيهة بالميم والألف هكذا (مل) وأشياء أخرى من هذا القبيل سنجدتها في بعض الحواشي ولم أتقيد بإثباتها كلها خشية التطويل والملل فقامت بإصلاحها دون الإشارة إليها في كثير من الأحيان.

ومع ذلك فإني تقيدت بنص المؤلف العامي واعتبرته ذخيرة لغوية قيمة حيث يفيدنا تعبيره صيغ الكلام المتبعة عند عامة صنعاء في القرن الثالث عشر الهجري فالتزمت بإيراد ما جاء في الكتاب بكل أخطائه اللغوية والتركيبية لهذا الغرض الذي أشرت إليه آنفاً.

كما قمت بشرح ما يبههم من المفردات العامية حيث أنها في ذاتها حصيلة لغوية هامة ربما أضافت إلى المعجم العربي كلمات هوف في أمس الحاجة إليها. وربما ساهم هذا الكتاب في حفظ لهجة أهل صنعاء الجميلة من الانقراض وهي تتعرض الآن لحرب هوجاء من قبل المسلسلات العربية وطغيان عامية بعض البلاد الأخرى على عامية أهل صنعاء من خلال ما يأتي في الإذاعة والتلفزيون.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أحيي صديقي الأستاذ أحمد عبد الرزاق الرقيحي الذي ساعدني في نسخة بعض كراسات الكتاب فخفف علي قليلاً من هم النسخة ومشقة النقل وهو عمل أشكره عليه وأحييه.

١٨ ربيع الآخر ١٤٠٠ هـ

دمشق ٥ آذار ١٩٨٠ م

عبدالله محمد الحبشي

في جميع النواحي والادنى من عباده ولم ومن شدة الشدة الشها فاما كان رجب نقب
بيضا فكلما تقبلت من الملقين في كل ارض واكثرهم من الجوع فاما قاهرها والاهل تشور الى ما
والاهل تشور الى ما تشور اليه وكان وتشاهب وعد ذالك خلق كثير وما ارضه كما
منهم الا انه الله في كلهم الرعب وفيه نصيبه ليغفر الله لهم اكان مفكروا ولا اكل
الا من شدة الجوع لا يقدر ان ياكل الا اكله في الشدة في الحال فاما خلق
الناس ان ما عباد الله الشهاب ولا منهم من جعلوا الا في نفوسهم وشبهوا في الدنيا رجب فاجاب
سؤالهم وكان في الجواب لا خلق كثير وهي في رجب ويغفرون وهو في الاخير
وكان يرقي كذا الا من رتب من كتاب الله ويشقوا لا اقبلت اليه النبذ من كل مكان ولا في رجب
من الناس الا لا يقدر ان اقام ويوضو لهم الله يرحمهم ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
بما اكله الا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
وهو غير ضابطا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
وبلغت رجب في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
المباركة وكان لها في القلوب موقوفة عليه لان الناس لا يقدر ان يمشي وجوب فربه فقه في رجب
البرهان من كل بلبل في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
واعقب الناس القوام في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
فرد من يعرف رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
الا وهو من رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
هذه من رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
الاهل ما يعرف رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
ما يعرف رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
الله سبحانه اخلق الله في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
بهما الرعب رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
والجوع في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
عاقلة منها الذي هو رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
والاهل الا منها بليل في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
الاهل الا منها بليل في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
جه من رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
جيش واسترجه في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
وقد كان له في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
لهم رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب
سوقا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب ولا في رجب

الصفحة الأولى من الأوراق الخارجية عن مجلدة تاريخ الحوازي

الرابع عشر من محفل لذي الاله والالهة في ثلثة ايام من انوار الاله
 في دليور نفوس الناس وقدر حبه الاله الى هاذ ائذنة حيايت الاول استخانة
 للعب الصلوة والا اغراب وهو سر محبان توفيق وتثبت درابيت
 الا اصر اخذها وكلهم في كثرهم مقرر في الاله والالهة في محفل في سماهي
 محفل المكارف في محفل الصلوة اما المكارف فلتنقيلهم الصلوة للعالم والعوان
 وفعلهم في حبه للعالم واحد محفل الا كره في سها في كبر في قران وفعلهم
 معاشاة في كل شهر خمسة عشر راي وهو سر من صلوات الاله في اما محفل الصلوة
 في علم كل حبه في شايه في فعلهم في صلوات الاله في الشار وعمره
 المحفل في باب الاله في شرارة وفعلهم في صلوات الاله في صلوات الاله في صلوات الاله
 في صلوات الاله في صلوات الاله في صلوات الاله في صلوات الاله في صلوات الاله
 في صلوات الاله في صلوات الاله في صلوات الاله في صلوات الاله في صلوات الاله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ودخلت سنة ١٢٢٤ :

ووقع الصلح بين محمد المنصور عامل ذمار وبين سيدي الصفدي^(١) وجمعت كلمتهم ووصل من ذمار ولقيه صنوه^(٢) أحمد ودخلا على أبيهما إلى داره^(٣) وأبدل الله الناس بعد العسر باليسر.

وفي شهر رمضان اشتدت علة^(٤) مرض المنصور وتوفي^(٥) في نصف شهر رمضان سنة ١٢٢٤ ومدة خلافته خمس وثلاثين سنة وعمره ثمانين سنة وقبره في بستان المسك جنب قبة المتوكل قاسم^(٦) بن حسين وكان ملكاً من أكرم الملوك كثرت الأموال في دولته وكثرت صدقته ونال الناس منه العطايا^(٧) الجليلة والهبات الجزيلة من مآثره دار البشائر في الروضة ودار الصافية في بير العزب ودار البونية ومسجد الزمر^(٨).

دعوة الإمام الأجل والسند المبجل المتوكل على الله أحمد بن المنصور علي بن

(١) يعني به المتوكل أحمد بن المنصور علي بن العباس الآتي ذكره.

(٢) خ منه والصنو هو الأخ الشقيق.

(٣) خ الادارة.

(٤) خ علت مكررة.

(٥) خ توفي في.

(٦) الكلمة في المخطوطة مطموسة.

(٧) خ العطايا.

(٨) انظر ترجمة المنصور في كتاب درر نحور الحور العين في أخبار دولة المنصور وأعلام دولته الميامين وهو من أكبر المراجع عن هذه الفترة.

مهدي عباس بن المنصور حسين بن قاسم بن أحمد بن حسن بن القاسم^(١).

دعا يوم توفي والده يوم الربوع^(٢) وقيل سابع عشر رمضان وكان عمره ستين سنة ودعوة خلافته فيها وكانت فيه هبة وسطوة في قلوب الخاص والعام وكان عالماً حكيماً في الطب له معرفة باهرة واجتمع معه من المال ما لا يجتمع مع غيره لحرصه وتدييره للأمور وأخذ من أموال العليفة^(٣) أموالاً واسعة وظهر الكامن في قلبه عليهم خصوصاً حسن^(٤) بن عثمان.

وأول عمل جهز ولده الفخري عبد الله بن أحمد^(٥) الآتي ذكره وتلقبه المهدي إلى ريمة فدوخها وحاصر حميد بن عبد الله العلفي وآل الأمر إلى مصالحته واقطاعه براع^(٦) وهو جبل كثير الخصب في وسط تهامة فوق باجل.

ودخلت سنة ١٢٢٥ خرج الإمام على سنحان واليمانية بسبب الطريق وعين عليهم عشرة آلاف أدب بسبب فتحهم للطريق لسالم شديق وبني ظبيان وانتهبوا وزيره قبل الدعوة لأنه^(٧) قائم مع المولى^(٨) المتوكل من السيادة وهو الفقيه عثمان فارغ وسلموا ما عين ونفذ الحدا^(٩) وأقام في زراجة^(١٠) وعرف الداء وعلاجه، وضبط القوسي والبختي وأمنت السبلات.

وتوجه الإمام ضوران^(١١) وكان الحصن حقهم لا يدخله أحد وهو في يد أهل الجبل عسكر متقدمه أصلهم مشاركة^(١٢) فوكت الحيلة عليهم لأنهم أشرار وطلع الوزير

(١) انظر ترجمته في أنحاق المهتدين ص ٩١. ومولده سنة ١١٧٠ وحكمه سنة ١٢٢٤ ووفاته سنة ١٢٣١.

(٢) الأربعا. وعند أهل اليمن باقي اسم هذا اليوم وكذا التلوث على صيغة فعول.

(٣) العليفة هم الوزراء آل العلفي وسيأتي ذكر بعضهم.

(٤) هو الوزير حسن بن عثمان ولي الوزارة للمنصور ووفاته سنة ١٢١٦ ويقول المؤرخ زبارة: كان وزيراً قديراً غير أنه

استدعى أقاربه وأهله الجفأة من البادية «انظر الوطرح ١ ص ٣٤٣» ولعل المعنى به هنا هو ابنه حسن بن حسن

عثمان تولى الوزارة بعد والده ثم نكب من قبل المتوكل توفي سنة ١٢٣١ «انظر نيل الوطرح ١ ص ٣٤٤».

(٥) تولى الحكم سنة ١٢٣١ وتوفي سنة ١٢٥٠ وسيأتي ذكره.

(٦) كذا والصواب برع.

(٧) خ لا أنه.

(٨) خ مع المولا. والمولى لقب تعظيم يطلق في الغالب على العلماء وكبار رجال الدولة من الفقهاء.

(٩) سيأتي ذكره في معجم البلدان الملحق بالكتاب.

(١٠) سيأتي ذكره في معجم البلدان الملحق بالكتاب.

(١١) انظرها في معجم البلدان في آخر الكتاب.

(١٢) أي من جهة المشرق جهة مأرب وما إليها.

وخدامه للحصن لمعرفته وتبع (١) خمسة وتبع عشرة في أثرهم حتى (٢) دخلوا وتبع المتوكل وبقية الجند فسقط ما في أيدي أهل الجبل وظنوا موافات الأجل (٣) وقبض على جميع الأشرار ووجد في المدفع الكبير الذي في الجبل من سابق آثار رصاص بنادق فطلبهم وخاطبهم في وصول الرماة للمدفع فجاءوا بهم أسرع من ساعة وعاقب كل واحد بما يستحقه (٤) فأما (٥) ناصر وازع فضرب عنقه وهو رأس الفساد وهو الذي تسبب لضرب العامل وعين على أهل الجبل أموالاً جزيلة.

وتوجه المولى إلى دمار وضبطها وبلادها، وتوجه رداً وأخرب أهل قيفة حتى أطاعوا، وعين عليهم أموالاً وقبض على أشرارهم وأخرب من ديارهم وعمل عليهم الشيخ سعيد ناصر الحاج، ورجع إلى صنعاء المحمية بعد إصلاح (٦) جميع البلاد وإصلاح الطرق [١] وتأمين العباد وبعد ما قد شاع الفساد.

وبعد ذلك أخذ مولانا رحمه الله في إعانة (٧) الشريف حمود (٨) على النجدية لقبض ما توسط الشريف الحازمي (٩) وكان أمير عسير أو نقطة (١٠) يهتم للغزو على تهامة كل وقت، وغزا جماعة من أصحابه على الحديدية وحرقوا ونهبوا وهربوا، وأرسل المتوكل بعساكر للبنادر، وأرسل بأموال جمعة للشريف معونة، ثم أن أبو نقطة قصد الشريف حمود بجمع عظيم، وكان الشريف مشغول بقتال الزرانيق (١١) ففتك بهم ولم تقم لهم قائمة في أيامه ومراده يأخذ (الزهرة) (١٢) محل الشريف وبعد استيلائه على الزهرة والشريف يأخذ جميع البلاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً فتهياً الشريف للقاء النجدي وسار من الزهرة

(١) تبع بمعنى لحق.

(٢) خ حتا.

(٣) هذه الجملة كتبناها اجتهاداً وإلا فهي لا تقرأ.

(٤) خ يستمه «متداخلة»

(٥) فا اما.

(٦) ه اصروح.

(٧) خ اعانت.

(٨) الشريف حمود هو حمود بن محمد بن أحمد التهامي مولده سنة ١١٧٠ وتولى حكم المخلاف السليماني وجرت له معارك مع جند سعود بن عبد العزيز توفي سنة ١٢٣٣ (انظر نيل الوطرح ج ١ ص ٤٠٨).

(٩) سيأتي ذكره.

(١٠) هو عبد الوهاب بن عامر المعروف بأبي نقطة تولى إمارة عسير من سنة ١٢١٧ حتى سنة ١٢٢٤ انظر تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٢٨ ثانية.

(١١) نسبة إلى زريق بن وليد بن زكريا بن محمد بن عابد بن مضرب بطن من المعاوية وهم الزرانيقة (انظر تاج العروس ج ٦ ص ٣٧٠).

(١٢) انظرها في معجم البلدان في آخر الكتاب.

بجموعه من يام وذو حسين وشرذمة من الأشراف، وقد بلغ النجدي وجنده وأمير الجند إسمه أبو نقطة، قد أخذ بعض تهامة الشام قاصدين الزهرة وأبي عريش وجند الشريف لا يعلمون أين مقصد الشريف حمود. وقد أعتدَّ الشريف لأكثر أصحابه مطايا^(١) وخيل، وكان يسافر بهم ليلاً ونهاراً لا يسكن^(٢) مدة ستة أيام يضربون شاما^(٣) والنجدي يضرب يمناً أي عدنياً وكانوا لا يقفون إلا ساعة في النهار لسبار^(٤) الأكل، وقد أضرب بهم السَّهر والسفر وانتهوا إلى وادي وأمرهم الشريف ينامون فناموا ليلتهم حتى يسكن ما بهم من السَّهر وتعب السفر، فلما أصبحوا أصلحوا ما يحتاجون إليه من الطعام والشرب ولا خبرهم^(٥) أن أصحاب النجدي قدَّامهم فنظروا أمامهم فرأوا مطرح النجدي وعسير كالجراد المنتشر، وقد نصبوا الخيام مدَّة^(٦) البصر ولم يكن عندهم من الشريف خبر كونهم القاصدين ولا رأوا خياماً مثل مطرحهم وخيامهم، ولا تلك البلاد الذي طرَحوا فيها من بلاد الشريف فأمر^(٧) الشريف أصحابه بالوقوف^(٨) متأهبين ولبس الشريف حمود ملبوساً يشابه ملبوس عسير ومضى^(٩) نحو مطرح النجدي يقود فرسه وسار راجلاً وتبعه من الفرسان وصناديد القوم إلى موضع قريب من مطرح عسير ليروا ما يكون وما يحدث وفعلوا كما يفعل الشريف وتشكلوا بشكل أصحاب النجدي ومع^(١٠) سعة المطرح وكثرة الجنود وما عندهم خبر من الشريف ظنوا أن أولئك^(١١) منهم وكان يمر من عند^(١٢) كل خيمة ويحييهم بتحيتهم فيقول: سلام يا إخواني حتى انتهى^(١٣) إلى خيمة أبي نقطة ودخل الخيمة وجرد سيقه وضربه ضربة واحدة علوية بنخوة هاشمية وخرج وركب متن جواده ثم ركب أصحابه وصاحوا فيهم صيحة واحدة وفرقوا المواكب يميناً وشمالاً حتى خرج من مطرحهم هو وأصحابه، وقد تكردست^(١٤) الخيل في

(١) خ معلايا. والمطايا جميع مطية الجمل ونحوه.

(٢) لا يستقر.

(٣) الشام الناحية الشمالية واليمن الناحية الجنوبية. والعدن الناحية الجنوبية. أيضاً.

(٤) إصلاح.

(٥) خبرهم بالتشديد، أخبرهم.

(٦) خ مب

(٧) خ فامر.

(٨) خ بلوقوف.

(٩) خ ومصللفحور.

(١٠) خ ومعا سعت.

(١١) خ أولائك.

(١٢) خ عنب.

(١٣) خ انتها.

(١٤) الخيل جمعها وجعلها كتيبة.

أثرهم ووصل الشريف مطرحه وأخبر أصحابه بما صنع فقامت الفريقين وتوجهوا للقتال وتلاقت الرجال بالرجال والأبطال بالأبطال، وكان بينهم يوماً عبوساً قمطيراً وامتلات الشعاب^(١) من القتلى من الفريقين حتى أظلم الليل مع^(٢) ظلمة النهار أولاً بالباروت^(٣) وسقيت الأرض^(٤) من الدماء وحال بينهم الظلام، ورجع الشريف حمود من فوره وترك أثقاله فانتهبها أصحاب النجدي وشغلوا بها حتى فرق^(٥) بأصحابه وقد كان بلغ حال الحرب [٢] نفر يسير من أصحاب الشريف إلى باب خيمة النجدي وانتهبوا منها ولم يعلم بهم الشريف وحال عزمه ما يعلم من عاد، فلما وصل محله ولم يجدهم فظن هو وأصحابه الذين معه أنهم راحوا في المعركة لأز^(٦) ما أحد زد^(٧) عرف أحد ولا أحد معه خبر من أحد^(٨)، فلما كان بعد ثمانية أيام إلا بضرب^(٩) المرافع والطبول من جهة^(١٠) الشام فلما قربوا وإذا هم أصحابه الذين وصلوا^(١١) حال الحرب إلى باب^(١٢) خيمة أبو نقطة وقد ذهبوا أكثرهم حال المعركة فلله^(١٣) درهم ما أشجعهم وما أصبرهم، وهذا فعل الأبطال، وأخذ قليل بعد من بلاد الشريف فغزاهم بعدها^(١٤) إلى حيث هم، ولم يصح^(١٥) من وصولهم إليه شيء فلقد أجاد، وهذا شأن الأمجاد.

ودخلت سنة ١٢٢٦:

قوي أمر النجدي في جميع الأقطار وبث الرسائل والكتب إلى كل محل، وما وسع الشريف حمود إلا مهادنته ومداهنته، وأرسل ولده أحمد إلى الدرعية يعقد الصلح بينهم، ويكون الشريف حمود على أمر النجدي.

(١) جمع شعب وهو الجبل.

(٢) خ معا ظلمته.

(٣) البارود معروف.

(٤) خ الا ارض.

(٥) فصل.

(٦) خ لا ان.

(٧) زد في لهجة أهل صنعاء تقوم أيضاً في الفصحى أو أضف.

(٨) هذه الكلمة تقرأ في المخطوطة «أحد» أو «رجلاً» فالكلمة غامضة جداً.

(٩) معنى العبارة فلما كان بعد ثمانية أيام لم نسمع إلا بضرب المرافع

(١٠) خ جهت.

(١١) خ وملوا.

(١٢) خ الاباب.

(١٣) خ فللله.

(١٤) معنى العبارة ثم بعد مدة من الوقت قصيرة أخذ جزء من بلاد الشريف فقام الشريف وطردهم.

(١٥) لم يتحقق.

وكان ابن علي سعد عاملاً على اليمن من عند المتوكل فأخذ حيس وقتل عامل الشريف حمود واسم العامل الشريف محسن الحازمي، وكانت حيس والمخايد المتوكل وبقية^(١) البلاد بيد الشريف حمود والنجدي.

وفي سنة ١٢٢٧ والسنة التي تليها أرسل المتوكل قبائل بكيل إلى تهامة على الشريف ووصلوا المختارة^(٢) التي اختطها الشريف وسورها، وآلوا على نفوسهم أنهم يردوا تهامة للإمام، وقبضوا أموالاً من الشريف ورجعوا بلادهم.

وفي سنة ١٢٢٩:

تهياً المتوكل على خروجه على النجدي إلى تهامة، وعلى الشريف، وعاهد الإمام القاضي عبدالله العكام، ووصل وقد رحل المتوكل من صنعاء إلى ذمار وبقي خارج ذمار وطلب المغلّبات^(٣) من الإمام، ولم يتم منه شيء ونهب محل اليهود في ذمار لا رحمه الله، وتعدى إلى الطريق المسبلة، ورحل إلى اليمن وتبعه المتوكل وجرت بينهم حروب.

وفيها وقعة السرايم^(٤) خارج جبلة، وخاب السعي من النفوذ إلى تهامة فكلما هياهم المتوكل للتجهيز على المخالفين طلبوا المغلّبات، وما مقصدهم إلا الفساد، ووقع لهم شيء من المال ورجعوا بلادهم، ورجع الإمام إلى صنعاء ورجح مكاتبة^(٥) النجدي ومداهنته، حتى وصل من الدرعية المطاوعة^(٦) الآخرون الأمير محمد، ويوسف القرماني وجماعة معهم، وخاطبوا المتوكل في خراب المشاهد والقباب المنصوبة على قبور الصالحين والأئمة الهادين، فجمع الإمام أعيان دولته وعلماء حضرته، وأجاب عليه العلماء بأنه إذا كان العمل بالشريعة حقيقة لا على أنها مداهنة للنجدي وقبول قوله فهذه^(٧) القباب ورفع القبور بدعة لا على الوجه المشروع، كما روي عن أمير المؤمنين^(٨) بهدمها وتسويتها بالأرض، فرجح المتوكل الأمر بهدمها^[٣] وهدمت الذي في صنعاء وما حولها قبة^(٩) صلاح الدين، وقبة

(١) خ بقيت.

(٢) اختطها سنة ١٢٢٨ في بلاد الشرق انظر تاريخ المخلاف السليماني ج ١ ص ٥١٧ ط أولى.

(٣) المطالب الشاقة وفي الأصل المغلّبات

(٤) شرحها المؤلف فأغنى وبياتي ذكرها في معجم البلدان الآتي.

(٥) خ مكاتت

(٦) لقب للوهابية أو العلماء منهم.

(٧) خ فهذه. قلت وفي هذه المناسبة الف العلامة محم دبن علي الشوكاني رسالة شرح الصدور في تحريم رفع القبور (مطبوعة).

(٨) يعني به الإمام علي كرم الله وجهه

(٩) خ قبت وهذا يتكرر في المخطوطة.

المنصور حسين في الأبهـر، وقبة الفليحي، وسدة قبة المهدي العباس التي فيها القبر، ولم يبق إلا قبة المتوكل للصلاة، وهدمت قبة أحمد بن أحسن^(١) في الغراس، وأرسل إلى بقية النواحي بهذا.

وبعد ذلك تحرك العكام بقبائل بكيل ومضى^(٢) من عدني صنعاء يبغى وينهب وقصد اليمن، فتبعه المتوكل بأجناد واسعة ويات البغاة تحت جبل (المحاقرة) والإمام في (حزيز)^(٣) ولم يكن بينهم إلا مسافة يسيرة وقد كان شرع بينهم الحرب فجبن الظلام، ثم دار الخوض بين الوزير علي فارع^(٤) وعقال القبائل وخادعهم بالمال، ولما علم العكام مال إلى الصلح ورجعوا إلى خارج صنعاء لما اندفعوا به ورجعوا بلادهم خائبين.

وتجهز المتوكل بالخروج إلى (ثلا) وفي ذهنه محاصرة^(٥) (كوكبان) وتقدم إلى (شباب) فنزلوا إليه سادات كوكبان طائعين مذعنين، وطلع المتوكل يزعم أن ابنه قتل هناك، وخرج إلى باب صنعاء، فجهز عليهم الإمام^(٦) التوابع وناوشوهم إلى آخر النهار، وسقط فترامى الفريقين، ورجعوا بلادهم في الليل [٤] وفيها جاءت البشارات إلى الوزير علي فارع وأبلغها الحضرة الإمامية بالسرية الذين^(٧) جهزهم الوزير من أرحب، استولوا على حصن شبام المعقل الشامخ في حراز بعد تمنع واستمرار من فيه من الباطنية ويام، ومن اليوم الثالث وصلت الرؤوس منهم يحملها الأسارى منهم، وكان محسن علي شبام محبوساً في قصر صنعاء فطلب إلى باب الإمام ليعرفهم بأسماء الأسارى ومعرفة الرؤوس؛ فوجد وأنكر أنه يعرف أحد فعاد إلى محبسه وما أطلعوه إلا في أيام المهدي، فلما رأى ذلك النقيب يحيى هادي الشايف أراد يتجمل مثل أرحب فعزم أخذ حصن العيان وكانوا الجميع مخالفين على الدولة وأكثرهم بقالين وأخذوا الحصن للإمام.

وفيها ولي على بلاد يريم الشيخ عبدالله أحمد صلاح جبار غشوم واليمن الأعلا الشيخ علي خشافة.

وفيها قبض الشيخ علي سعيد ناصر الحاج علي مشايخ قيفة وأودعهم سلاسل الحديد،

(١) هو الإمام أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد تولى سنة ١٠٨٧ وتوفي سنة ١٠٩٢ بالغراس قرب ذي مرمر.

(٢) خ مضافاً

(٣) حزيز قرية جنوب صنعاء بنصف مرحلة «صفة جريدة العرب ١٥٣».

(٤) هو الوزير علي بن إسماعيل فارع ولي الوزارة للمتوكل أحمد سنة ١٢٢٤ ومكث في الوزارة إلى وفاته سنة ١٢٣٠ «نيل الوتر ج ٢ ص ١٢٧».

(٥) خ محاصرت.

(٦) خ (المام) وهذا يتكرر.

(٧) خ الذي.

وذلك بغية المتوكل لأنهم فاتوه حين وصل ديارهم . ه وأرسل الأمير فيروز عسكره لإحضار مشايخ قيفه وراحوا في رداع استراحوا ولما عزموا إلى صنعاء بهم تلقاهم جميع أهل قيفه ليخلصوهم^(١) وصلوا إلى قاع فيد^(٢) وبالحرب^(٣) ناوشوهم فوقع قتلى من الفريقين ورجعوا إلى قيفة خائبين ووصل الأمير بهم إلى صنعاء إلى باب الإمام .

وفي هذه^(٤) السنة وصلت الكتب الجوابات للإمام من الأبواب السلطانية صحبة^(٥) من دخل بها الشيخ محمد عابد وكان السلطان عبد الحميد بن محمود والوزير بمصر محمد علي باشا، وقد أرسل إلى الإمام لهم بهدايا من العقيق سروج خيل وصياني^(٦) ونفائس عظيمة، واستنجد السلطان بتخليص تهامة للإمام وأرسل السلطان للإمام بهدايا عجيبة ومعها فيل من أصغر أفياله، وكان يطلب مع الخيل ويدور به السائيس في الأسواق .

وفي هذه السنة كملت عمارة دار الذهب وهي^(٧) من أحسن الأبنية وعقد^(٨) السائلة وبه انحصر السيل وسط السائلة، وكان يمر الداخل من بئر العزب والخارج من فوقه، وكان على العمارة أحسن عبد الواسع العلفي .

وفي هذه السنة جهز السلطان الجنود المتكاثرة إلى الدرعية، ونصبوا حولها الخيام ورموها بالمدافع والمنجنوقات والعرادات^(٩) ولم يؤثر فيها لحصانتها وعظم بنايتها، وحسن أساسها وهي في شعب عظيم، والجبال محيطة بالشعب واستمر الحصار والقتال سنين، ولما علم الأتراك أنه لا قوة لهم على أخذها عنوة بدا لهم أن يحفروا حفيرة على قوانين اخترعوها ثم جعلوا ديبا^(١٠) تحت الأرض من جهة بعيدة حتى انتهوا في الحفر إلى تحت بيت سعود النجدي وحفروا تحت الدور جميعها حفائر في الأرض، ونقلوا التراب إلى خارج ووضعوا الباروت الكثير تحت الأرض، وملؤا الحفائر باروت وجعلوا في الدبيب باروت متصل إلى خارج الدبيب حتى انتهى إلى خارج حتى انتهى إلى طرف الحفيرة ثم

(١) خ ليخلو موهم .

(٢) خ فيب .

(٣) خ بلحرب .

(٤) خ هاذه .

(٥) خ صحبت .

(٦) كؤوس وصحون من زجاج .

(٧) خ وهيه

(٨) هو القنطرة التي يمر عليها الناس .

(٩) جمع عرادة: آلة حربية .

(١٠) جمع ديب ممرات صغيرة تحفر تحت الأرض تستر المارة والمحاربين ويحومهم .

رفعوا الخيام ورحلوا، فظن أهل الدرعية أن قد كفوا عن حصارهم وقد نَجَّلُوا ثم مَلَّوْا، ورجعوا إلى أوطانهم حيث لم يقفوا منهم على شيء ولا يعلموا أين توجهوا، فلم يشعروا إلا وقد قرح^(١) الباروت من تحت الأرض بعد أن وضعت النار في طرف الديب ورفع ما فوقه من الدور والأرض، إلى عنان السماء والدور قائمة إلى عنان السماء [٥] ثم رفعت إلى الأرض منهزمة وقد هلك النجدي وأصحابه، وكان مسكن السلطان النجدي وأولاده ومن يلوذ به في وسط الدرعية منفرداً عن أهل المدينة، ثم رجعوا وكروا على الدرعية ودخلوها عنوة، ولم يجدوا لابن السعود النجدي وعبيده أثراً كأن لم يكن، وفي رواية كان بمحل منفرد في المدينة في جانبها وأخذوه، وأدخلوه إلى السلطان بما يملك وبمن يلوذ به^(٢) وهذا عاقبة بغيه وتعديه على جميع المسلمين في الشام واليمن والمشرق والمغرب، وأرعب العباد وملك أكثر النواحي فسبحان الذي لا يفنى ملكه.

وفي هذه السنة توفي الوزير علي فارغ، وزير المتوكل وقام بلوازم أمره ولده عثمان بن علي فارغ.

وفيها وجَّه الإمام ولده الفخري^(٣) عاملاً على عمران وبلادها وكانت ولايته فيها خللاً ولكن الغالب على أهلها التعجرف.

ودخلت سنة ١٢٣٠ بخيرات عظيمة وأمطار غزيرة والأرض آمنة والنفوس مطمئنة والإمام يتنقل في المخارف والنزه من الروضة إلى الوادي إلى سناع إلى حدة. وفي شهر رمضان ثارت علته وهي داء الجنب ثم إلى ثامن عشر شوال وتوفاه الله، ودفن في بستان المسك جنب قبر والده المنصور، وكلهم إلى جنب قبة المتوكل قاسم بن حسين.

وكان المتوكل يميل إلى ولده قاسم، وكانت مدة خلافته سبع سنين وأيام. (ذكر الإمام المهدي عبدالله بن أحمد المتوكل بن المنصور علي بن المهدي عباس)^(٤):

كانت دعوته ثامن عشر شهر شوال، يوم توفي والده دعا وعمره في ثلاث وعشرين سنة وقد كان المتوكل قد نص على قيام ولده قاسم بالخلافة، ولم تساعد الأيام للقيام فنهض

(١) انفجر.

(٢) والرواية الأخيرة هي الصحيحة انظر حول هذا الموضوع تاريخ الجبرتي.

(٣) يعني عبد الله بن المتوكل أحمد وسياي.

(٤) بقية النسب معروف انظر اتحاف المهتدين ص ٩١ وفيه ترجمته.

لها الفخري^(١) بهمة سامية، ودخل الدار خفية على يد أحد خواصه، وحفظ الأدراك^(٢) وضبط الأمور قبل أن يعلم أحد بموت أبيه، وأشار إلى الوزير عثمان فارغ، وإلى الشريف علي بن ناجي الحسيني وإلى شيخ الإسلام محمد علي الشوكاني^(٣) فأما الوزير فقد أسر الخلاف، وأما غيره فأقبلوا سامعين مطيعين وأرسل لجميع آل الإمام والعلماء والأعيان للحضور للبيعة، وبايعوا وبعد تمامها خرج لدفن والده، ورجع إلى القصر السعيد حسب القاعدة، وأرسل الكتب إلى جميع الأقطار، ووصلت البيعة من جميع النواحي والأمصار، ودخل على الناس السرور، وأخصبت الأرض وقابلت الناس السعادة واللحظات [٦] في المكاسب وأمنت السبلات^(٤) وصلحت النيات، وأخرجت الكنوز، ووصل خيره الأقارب والأبعد، ولم تزل أيام دولته تجدد بالراحات وقيلت الأشعار، وأجزل العطايا والهبات، وفرق بين الفقراء الصدقات، وأقام الشريعة المحمدية وجلل الحكام وأكرمهم، وأعلى منازلهم، ورفع قدرهم ولم يزل في السعادة حتى غيّر أحوال الحكام، فلم يتم له بعد ذلك مرام وسيأتي ذكر ذلك.

وفي شهر الحجة قسم الضحايا^(٥) والصلوات، حتى وصلت عند جميع الناس خصوصاً المهاجرين^(٦) في منازل^(٧) المساجد في جميع مساجد صنعاء، وفي عيد الأضحى كسا جميع أصحاب الدولة والحكام والفرسان والعسكر، وألبس الخيالة الدروع السابغات، وأركبهم الخيول الصافنات، ولم يزل في ذلك اليوم مشفق على وزيره عثمان فارغ وفي ذلك اليوم يلاطفه بالتحف ولين القول، حتى عجب الناس.

[إيقاع المهدي بعثمان فارغ]:

وفي ليلة ثاني الغدير^(٨) أوقع بالوزير^(٩) عثمان فارغ ومن يلوذ به من أقاربه وخدامه وجلسائه، وختم على أمواله حتى كمل الضبط، ثم فتحت الخزائن إلى بيت المال،

(١) يعني عبد به عبد الله بن أحمد المذكور.

(٢) أماكن الحراسة.

(٣) علامة اليمن توفي سنة ١٢٥٠ (انظر ترجمته في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي).

(٤) أي صلحت السبل. وفي الأصل امتدت السبلات.

(٥) جمع أضحية وهي ذبائح العيد.

(٦) هم طلبة العلم المنقطعون له أو الذين جاؤا من أماكن بعيدة للدراسة.

(٧) جمع منزلة وهي غرف تبنى على أسطح المساجد للطلبة المنقطعين.

(٨) هي عادة استحدثها الإمام المتوكل على الله إسماعيل سنة ١٠٧٢ تخرج فيه الدولة بجيوشها. لآحياء ذكرى غدير

خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة

(٩) في الأصل وقع بلوزير.

وأخرجوا أموالاً عظيمة لا تحصى من الذهب والفضة والملبوس والشمع والعسل، وغير ذلك مما لا يسع حصره من الفراش والنمارق والدواب وأبقاه في الترسيم وهذه بشاشت^(١) القول (شعر):

أن الوزارة لا تدوم لواحد إن كنت تنكر ذا فأين الأول
وعقد الوزارة للفقير أحسن عثمان العلفي الذي أوقع به والده، وكذلك أوقع بالفقير حسين^(٢) بن عبد الواسع وكان وزيراً^(٣) مع المتوكل على الحيمة، وعينت عايه أموالاً وسلمها وأقام مقامه محمد بن علي بن عبد الواسع، وجعل على العكفة^(٤) الفقير حسين بن محمد حنش وكان المدبر لشأنهم الفقير قاسم بن علي العفاري الكاتب على دواوين بيت المال، وقد وقف على أموال عندهم واسعة وقبض ما لديهم، فلو قيل أنها تحصر لعجز عن حصرها الحاصر، ثم أراد التجهز على عمران وقبض على الشريف ناجي الجوفي، وهو كبير العسكر، وعلى الأمير ريحان وهو أمير الخيالة، وعلى أمير القصر وأبلدهما بغيرهما، وبقي الشريف أياماً وأطلقه ووجهه عاملاً على بندر المخا، فتوهم أنه سيقبض عليه هناك فهرب إلى ذهبان، وأظهر الخلاف وتبعه عاقل الخدم أحمد علي الجوفي وأولاده، وتحصن في ذهبان، فقدم الأجناد، خرجت من صنعاء ليلاً، وأحاطوا بذهبان من جميع الجهات، واستمر الحصار حتى أخذوا الحصن وهرب الشريف وأدخلوا الباقي إلى باب الإمام إلى دار الصافية، وأمر بأحمد علي الجوفي أن يضرب فضرِب ضرباً مبرحاً حتى مات، وبقي الجند في ذهبان حتى يأذن لهم بالتوجه إلى جنات عمران، وهذا في أوائل سنة ١٢٣٢، وكان أمير الأجناد واسطة العكفة الفقير حسين حنش، فوجد الإمام عليه ما أغضبه، فقبض عليه ونفذت القواد والعسكر وفي قلبه على أهل عمران [٧] من أيام السيادة فنفذت وأحاطوا بالجنات، وكان الإمام في وادي ظهر، فوصلت الكتب فراح من حينه وبات في بيت الضلعي، وأخبره، ونفذ الجنات ونقل إلى حمده، وثارت الحروب، وقد كان عندهم عساكر من حاشد، فلم ينفعهم ذلك من السطوة من سيدي المالك وأخرب كثيراً من معاقلهم وحصن القفيلي، ورجع عمران وأذاقهم وبال العصيان وقبض [على] عقالهم ومشايخهم، وأخرب دورهم، وشدوا^(٥) أحجارها إلى صنعاء وعمر بها بستان المتوكل، وسميت دار الجنات، وأطاعوا وأوجفت الجهة القبلية إلى صعدة، وشرط

(١) كذا في الأصل ولعله «اشهد».

(٢) في الأصل ضرب المؤلف على هذا الاسم وكتب بدله على

(٣) في الأصل معا.

(٤) هم حرس الإمام. أو الجند المكلفون بالحراسة.

(٥) أي شدوها أحمالاً إلى صنعاء.

عليهم الوفاء بالواجبات^(١) وشِدَاد^(٢) التبن إلى صنعاء للخيـل، وهو الموجب لخروجه لأنهم^(٣) منعوا من شداد العلف أنفت نفوسهم، فأراهم ما في نفسه عوضاً لما رامت نفوسهم، ورجع مؤيداً منصوراً، ولما وصل صنعاء ضرب أعناق أهل قيفة الذين قبضوا في أيام المتوكل، فأذعنت الأرض ومن عليها لأنهم^(٤) جماعة كثير.

وفيها أخرج كنزاً من عصر، وكنزاً من المرمـر من رأس نـقيل^(٥) عصر، وشدوه إلى صنعاء والبقية أخذوها الناس، وباعوها بأغلاء القيم كونه مما أخرجه الإمام وفرق الطرف وأمر بالصدقات، وجعلها بنظر سيدي الفخري عبد الله بن أحمد المهدي، والصدقات بنظر الحاج عبد الله عصيد، أكثرها في طلبة العلم الشريف المساكين وأهل الحاجات.

وشرع^(٦) في عمارة القبة الخارجية، وقد كان أراد دخولها إلى بستان المتوكل، وحط فيها أموالاً جزيلة حتى كملت ظاهرها، وفراشها من أفخر المفارش الرومية وأجرى على المقيمين الجرايات الفاضلة وقد خربت الآن.

وفي هذه السنة وجه^(٧) بالفيل إلى الباشا محمد علي، وأصبحه هدية سنـية، واعتذر من الفيل لحقارة أرض اليمن، وأشار إلى الباشا من استيلاء الشريف حمود على تهامة هو وولده أحمد.

وفي هذه السنة قبض على الوزير قاسم العفاري، وقد استوزره بعد أحسن عثمان.

وفي سنة ١٢٣٢ :

وفيها غزا الشريف علي ناجي يقوم من أرحب إلى شعوب، وأرسل الإمام الغارة وتناوش الحرب ورجعوا بلادهم، وتجهز الإمام بالمخرج على أرحب، ووصلوا إلى بيت غانم ابن مهدي، وتخالط الجند المهدي وأرحب، ووقع من الفريقين نحو مئة

(١) الأصل: بلواجبات.

(٢) أي شده على ظهور الجمال ونحوها.

(٣) في الأصل: لانهم.

(٤) في الأصل لا انهم.

(٥) هي العقبة الكبيرة. وفي تاج العروس ١٤٥/٨ كل طريق في الجبل نـقيل يمانية.

(٦) شرع في عامية صنعاء وهي بمعنى شرع الفصحى أي ابتداء في الشيء.

(٧) في الأصل وجهه. وانظر رسالة الامام إلى المذكور في ذكريات الشوكاني ص ١٦٤.

قتيل واصطلحوا ورجع الإمام [إلى] صنعاء، وفي شوال وقعت الفتنة بين أشراف تهامة الشريف حسن بن خالد^(١) والشريف علي بن حيدر^(٢) واستغاث بأمراء الأتراك الذين في بلاد عسير، ولكنهم كانوا مشغولين ببقية أمراء عسير منهم الحرة غالية^(٣) امرأة من الدرعية، كانت كاملة شاجعة من أهل السياسة، أطاعها الناس، وملكت الطائف وما حوله وأراضٍ أخرى، فحاصرها الجنود السلطانية حتى غلبوها، وفرقوا عسكرها وملكوا حصونها، ورجعوا إلى مكة وقت الحج.

وفيها عزل عن الوزارة السيد إسماعيل الأمير، ووزيره قاسم بن علي العفاري، وكانت أفعال العفاري كأفعال المجنون، إلا أنه له صولة في الأمر كصولة^(٤) الحجاج مع^(٥) هشام بن عبد الملك.

وبعد تمام أمر غالية المرأة النجدية، خرجت الأتراك وأجابوا أشراف تهامة يريدوها لنفوسهم، وخرج الشريف حمود للقاء الأتراك، لأنهم خرجوا عليه مع إجابة علي بن حيدر^(٦) ووقع قتلات بين الشريف حمود والأتراك، وكانت اليد والغلبة للشريف على الأتراك، وانهزموا واستولى على ما في مطارحهم جميعه، ورجع إلى أبي عريش، وتوفي، قيل أصيب برصاصة وقيل مات من الله.

ودخلت سنة ١٢٣٣ :

[أخذ يام لزبيد]:

خرج البغاة المكارمة^(٧) ويام على تهامة بجيش كبير وانتهوا [إلى] مدينة زبيد

(١) هو الشريف حسن بن خالد بن عر الدين الحازمي التهامي ولد في ضمد سنة ١١٨٨ وتولى حكم منطقته وكان من المشتغلين بالعلم توفي سنة ١٢٣٤ (انظر نيل الوطر ج ١ ص ٣٢٣)

(٢) هو علي بن حيدر بن محمد بن خيرات ولد سنة ١١٨٢ وناجز عمه الشريف حمود توفي سنة ١٢٥٤ (انظر نيل الوطر ج ٢ ص ١٣٤).

(٣) غالية هي امرأة من عرب البقوم من بادية الحجاز اشتهرت بالشجاعة في حرب الأتراك (انظر ترجمتها في الأعلام ج ٥ ص ٢٠٥).

(٤) خ كصولت.

(٥) خ معا.

(٦) ضرب المؤلف على هذا الاسم فيهم.

(٧) هم طائفة من الاسماعيلية كذا عرفوا في اليمن بهذا الاسم لعله نسبة إلى المكرم الصليحي زوج الحرة الصليحية.

واستولوا^(١) عليها، وأخذوا جميع ما فيها، وفي دورها وأسواقها وجوامعها، وقتلوا النفوس وسبوا المحصنات من النساء وطغوا وبغوا وتعدوا لا رحمهم الله وأخزاهم وأقامهم.

وفيها أي السنة [المذكورة] خرج الإمام على كوكبان بإلقاء^(٢) الوزيران^(٣)، وأقام في شبام، وطلع القوم إلى الضلاع، ورموه بالمدافع نحو ثمانية عشر يوماً، فظهر له أنه لم يكن عندهم سبب يوجب ذلك فصالحهم.

[هدار بكيل]:

وفي أول تلك السنة المذكورة، خرج من بكيل جمع عظيم وجنود لا تحصر، ووصلوا خارج الروضة يريدون أخذ صنعاء عنوة، فراسلهم الوزير، ولّين لهم القول ووعدهم بما ترضى به نفوسهم، ودخلوا صنعاء، فأوفى لهم بما وعدهم وزيادة، وأجرى لهم الكفايات الفاضلات، ووعدهم بالمعاش، فلما شبعا وذبحوا الكباش داخلهم أشعب^(٤): أن الإمام والوزير خائف منهم، وأن ما فعلهم ذلك إلا تقية، وأن لولاهم «ما على الدنيا حي» وأن بيدهم الحل والعقد، وقد كان صحبتهم ذو حسين في نواحي باب شعوب ومعمّر، وذو محمد بنواحي السائلة وسمره^(٥) ونواحيها، وقد دخلوا بجمع كبير من الإبل والخيول الكثير، وقد شدّوا على أرسانهم تهامة لفتحها من يد الأشراف.

هذا وقد رَهَدَ^(٦) الإمام أنهم متغلبين وطالبين المحال فرتب عليهم في البراري من كل جهة. وادي ظهر والروضة ونُوب^(٧) المدينة وأدراكها حتى ضيق عليهم الوزير بقّاهم^(٨) في المدينة لا يخرجوا من باب وحبسهم في المدينة، وعقد الوزير أن الإمام سيخرج بهم إلى خولان والحداء، فكتبوا إلى الإمام يزلجهم^(٩) ويسلم حقوقهم،

(١) كذا لعل صوابه انتهبوا.

(٢) أي بإشارة.

(٣) كذا في الأصل صوابه بالإضافة.

(٤) أي الطمع نسبة إلى أشعب معروف.

(٥) حارة من صنعاء.

(٦) أدرك أو ظهر له.

(٧) جمع نوبة مبنى حربي على شكل مدور يتخذ من الطين على شكل أسطوانتي للحماية والدفاع (صفحات مجهولة ص ٤٢).

(٨) أي خلّاهم.

(٩) يرسلهم زلجة أرسله أو بعثه وهنا بمعنى يعطيهم نفقتهم.

فسلم لهم جانباً ووعدهم، فلم يسعدوا بل طمعت نفوسهم، فحبس الوزير كبارهم في قصر غمدان، فشارت حفائظهم وساعدتهم عقولهم، حتى زعموا أنهم سيخرجوا عقالهم قسراً ويستملكوا صنعا قهراً.

ويوم الثلوث ثامن عشر ربيع أول أمر الإمام بتأمينهم، وصاح الصايح بأمانهم، وقد كان همّ بالفتك بهم، فرأى مداراتهم وأمنهم، وطلب الإمام أحسن عثمان يتوسط، فاعتذر أحسن عثمان، وقد تجمّعوا إلى مطارحهم للشر، فأمر بهدرهم وصاح بهم صايح الهدار ونعق فيهم غراب البين بالدمار (فهبطت عليهم غوغا) المدينة فلزم بعضهم البيوت، وبعضهم استتروا عند من يعرفونه، ومن كان لا يجد ملجأ دخل الكنيف - يعني النقب جمع أكناف وجمع أنقاب - وقد رتب الإمام الصوامع^(١) والسماسر^(٢) والدور الكبار وأركسهم الله، وقذف في قلوبهم الرعب، حتى أخذت من أسلحتهم وأمتعتهم وخيلهم وجمالهم، وهدمت بعض بيوتهم، ورموهم بالمدافع إلى سمسة (والذهم)^(٣) الله، وإلا فهم الذين لا يقاومهم أحد من القبائل، وحمى الله صنعاء وبركتها تقلب الأسود أثعل^(٤)، وحق على الله ما رفع شيئاً إلا وضعه، وكان عليهم يوماً عبوساً، حل بهم من البؤس، ولم يزل فيهم النهب والقتل إلى أن غابت الشمس، وأبواب المدينة مغلقة، وأهل صنعاء في خوف ووجل يتضرعون إلى الله، وفرّج الله من البغاة وعلى أهل الصلاة وقد همّوا بالبغاة بفلس^(٥) الدائر^(٦) وخروجهم بخيلهم وجمالهم فلم يمكنهم من الذلة، وتساقطوا من أعلا الدوائر كالذباب، وقد كان انتبهوا من البيوت فراش ونحاس وأثاث وتركوا [الجميع من ذلك مع ما تركوه من أموالهم وما جمعه من الدولة والقراش^(٧) حقهم وهربوا من أعلا السور، والذي لم يمكنهم العبور من السور تشكّلوا بأشكال اليهود، وخرجوا في اليوم الثاني، وآخرين تشكّلوا بأشكال النساء، وخرجوا مستترين ومن وجدوه بغتة أودعوه الحبس، فصَحُّوا^(٨) المحبوسين ثلاثمائة رجل، وقبض الوزير من الناس الخيل والجمال وفرقها في الحواز^(٩) عند الرعايا، وما هي بأعز من الرجال، وكان اجتماع القبائل في بوسان عند

(١) الصوامع المآذن.

(٢) السماسر جمع سمسة وهي محل واسع يستوعب البضاعة ونحوها. انظر زيد الوزير جواهر الدر المكنون ٥٢٧

(٣) كلمة مبهمّة في المخطوطة ولعلها وأذلهم الله.

(٤) أي ثعلب. وثعالة أنثى الثعلب.

(٥) نقض

(٦) أي دائر صنعاء: سورها ويطلق الدائر أيضاً في عامية صنعاء على المفتاح لدوراته

(٧) يعني حيواناتهم الداجنة.

(٨) أي فصّح حقيقة عددهم «صَحَّ بمعنى تحقق أو تأكد».

(٩) حواز صنعاء القرى المحيطة بها.

القاضي عبد الله العكام، فعول عليهم وأغراهم، وعزموا البلاد يشاوروا إخوانهم، وكتب الإمام يستشفع في المحبوسين وقراشهم، فلم يقبل جاهه، ولما وصلوا إلى بلادهم أضرموا النيران بالنكف في المشارق وفي جميع الجبال والشواهد، فأجابهم كل باغٍ وناعق «...» وعقد شورهم إلى جماد^(١) والوزير قاسم الغفاري يرعد ويبرق، ويتبجح على من في السجن المحبوسين ويضيق عليهم بقدر عقله، على ما ذكرت لك أول أنه مجنون، ولما علم بنهوضهم جمع الإمام قبائل من نهم وخولان وغيرهم خوفاً من الكرة، وخرج إلى الغراس للطيفة^(٢) وزيارة جده الإمام المهدي أحمد^(٣) بن الحسن ورجع إلى أن وصل إلى اجراف قبلي صنعاء، وأرسل خيلاً بعد خيال أمرهم بإنزال النقيب علي بن عبد الله الشايف من الحبس إلى بستان المتوكل، ولما دخل الإمام الشقايف القبلي، وقد الشايف في الميدان أمر بضرب عنقه، فضرب في الحال ضربة واحدة فارق الحياة «...»، وصلب ثلاثة أيام ثم أمر بدفنه بين الخندق القبلي وباب شعوب، بالقرب من مضحى العذرة وبين البانيان، وخاف الناس العواقب، وقامت حفايظ الشؤف^(٤) فوق ما قد فيها، وفي جميع بكيل وازدادت حمية الجاهلية وآلوا على نفوسهم الأخذ بالثأر ليدفعوا عمّا بهم من العار، وأجابتهم وائلة وحاشد^(٥) والعمالسة^(٥) والمرانات^(٥) وسفيان^(٥) ووادعة^(٥) وأرحب^(٥) والبدو أهل التراب الأحمر، ولما علم الإمام بتجهيزهم واجتماعهم للخروج عليه أمر الوزير يطلب الأجناد لقتالهم، فلم يزل قاسم الغفاري يجمع من الفاف الناس الذي لا يرجي منهم منفعة ولا يجدون لأنفسهم شجاعة ولا نفعاً لاستعظام نفسه، وزعمه أنه سيدفع القوم بجبروته، والإمام يعرف إن ضرّ الوزير أكثر من نفعه، وكل من دخل عند الإمام لا يذكر الوزير إلا بعلو همته وسطوته وجبروته خوفاً من شره، وإلا فما هو إلا مجنون.

وفي شهر جماد خرجت القبائل كالجراد من كل فج عميق وقد أمّروا عليهم النقيب حسين بن عبد الله بن عايض الشايف، ولا زال ينشدهم الأشعار والهواتف، والقبائل يعتقدون أنه يتلوا عليهم قرآناً لجهلهم، وقد كان أجمعوا على دخولهم القصر

(١) أي إلى شهر جمادي.

(٢) للطواف المفاقة.

(٣) هو الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد ولد سنة ١٠٢٩ وفام بالإمامة سنة ١٠٨٧ وتوفي بالغراس بالقرب من حصن ذي مرمر سنة ١٠٩٢.

(٤) جمع شايف وهم جماعة علي بن عبد الله الشايف المذكور.

(٥) هم قبائل اليمن.

لأجل إخراج المحابيس، ولما علموا بترتيب القصر دخلوا بثر العزب، ولم يرتبها وزير السوء، وقد جاءته الأخبار أن عينهم عليها، وكانت في تلك الفترة جنة من الجنان، وقد اجتمع فيها خيار السكان من العلماء والظرفاء والحكماء [] والحكام ودارت في حافات الغيد الحسان، وخطر في رياضها الحور والولدان، وغردت في دوحاتها الحمام، وسجعت الأطياف في أوايكها والبشام، أنهارها جارية وثمارها دانية من سكنها ذهبت عنه الهموم وداخله الروح ونال ما يروم ما يعرف المصنف ولا رأى مثلها في الأمصار، مع اختبائي لكثير من الأقطار، حتى تناولها البلا وذهب السلا، وقلعت الأشجار، وحلت البوم في الأوكار، فانقلبت المحاسن بعكسها ودبر للقبائل العكام أن المرافع^(١) حقهم تمضي من جنب صنعاء إلى جهة العدن، يوهمون أنهم نازلون اليمن، فاطمأن الناس إلى الثلث الأخير^(٢) ودخلوا بثر العزب وبدؤوا بقاع اليهود، واليهود ليلة عيدهم ساكرون^(٣) فأخذوا جميع ما وجدوا، ورجعوا بثر العزب كأنهم الجراد المنتشر لا يعرفون بعضهم ف ضربوا أبواب البيوت بالفيضان^(٤) حتى كسرت، وصاح الكفار بالأرامل والأطفال ليلة النصف من جماد، ليلة يشيب فيها الوليد وينفزع من فزعها البطل الصنديد، نسأل الله^(٥) السلامة، فما أرحم صياح الهاربين إلى باب صنعاء، وهم من النوم صرعى، فمنهم الهارب بما يستر عورته، ومنهم من هو بعورته، ومنهم من ترك أمه وأبيه، ومنه من لم ينج إلا بنفسه، وكم من هيفاً وثب عليها البدوان وكم من عذراء افتضها أهل الطغيان وكم من غيدا حسان فقدت في ذلك الأوان، ولما أسفر النهار بضياؤه، وحسر الليل عن ظلماته، وقد توغل القوم في المحل، وقبضوا أدراكها، وبلغت الرصاص إلى باب السبحة، واستعجلوا الدولة الرتب الذي رتبها الوزير في المحلات التي لا تحتاج، فدخل الفشل في قلوب بكيل، وكاد كل قلب يميل فلو خرج الإمام إلى باب شرارة، لسبقته الجنود الكرارة، وكان ما يرو من البغاة إلا الفرار، ولكن لعله قضا كوكبان لاح عاجلاً وبان، وما أمكن القبائل تلك الليلة أن يدخلوا داراً من دور الدولة خشية من خروجه عليهم والصولة ولما في قلوبهم من سطوته، ولقد أخبرني غير واحد ممن دخل بثر العزب من البغاة أنهم خلوا^(٦) قراشهم

(١) هي طبول تضرب في الأغراض الحربية وغيرها.

(٢) أي من الليل.

(٣) أي سكارى.

(٤) جمع فاس معروف.

(٥) خ نسل.

(٦) تركوا.

الجميع خيل وبغال وحمير وجمال قائمة مشدودة في طين قاع اليهود^(١) من عند دخولهم إلى غروب الشمس يوم ثاني، خوفاً من خروج المهدي بالجنود، ولما سمعوا القحم^(٢) ينهم^(٣) في البستان، قالوا لبعضهم: اسمعوا نهيم القحم عند الإمام في البستان، فأجابوا عقالهم وقالوا: القحم في رأس الدار مسرج^(٤) في مكانه نحو أربعين شمعة، ويرميهم من مكانه ولا يتأس والرصاص إلى عنده كالبرد، ولكنه إذ انزل القدر عمى البصر وانتهبوا منها ما لا يحصره حاصر، من اللؤلؤ والمرجان والأحجار النفيسة والذهب والفضة والفراش الرومية والعطب^(٥) والحرير والحلي والملابس المختلفة والجوخان^(٦) الفائقة واستخدموا ممن قبض [١٠] عليه عندهم من العبيد والأحرار، والثبيان^(٧) والأبكار، فبها حياهم من الملك الجبار، ووزير السوء أنزل من في الحبوس إلى تحت طاقة المهدي، وصلبهم هناك وأمر بإحضار السَّيب^(٨) والقصابين، وكل منهم شاهر مديته في يده منتظرين وقوع الذبح كما تذبح المواشي، فاصفرت الألوان، وأعجمت الألسن، فدخل بعض العقلاء على الإمام وأشار برجوعهم الحبس، وقال: (حنانيك بعض الشر أهون من بعض)^(٩) لأن عند البغاة أسارى من سادة الناس وعلمائهم وحكامهم، كون القليل منهم لا يقاوم أضعاف من في الحبس، وقتل من البغاة خلق كثير، ولكن مع كثرتهم لم يؤثر القتل فيهم، وكان أهل البوادي القريبة يشترون من القبائل كل شيء بأبخس ثمن، حتى أن البدوباعوا لؤلؤة عجماً بمدفون ذرة، وأخبرني من أثق به من أهل الطريقة وأنا منه على يقين.

[^(١٠) وأنا أخبرني الثقة بما أخبر المصنف وذكر وصحت^(١١) خبرين متواترين من ثقتين^(١٢)] أن القبائل أخرجوا كنوزاً لا يعلمها أحداً من أهل بثر العزب ولا آبائهم،

(١) هي المعروفة الآن بقاع العلفي.

(٢) اسم رجل.

(٣) يصوت بصوت مفرع.

(٤) سرج السراج أشعله.

(٥) هو القطن. قال في القاموس ٣٨٧/١ العطب بالضم القطن.

(٦) جمع جوخ. (وهو من الملابس واسع الأكمام يلبسه العلماء.

(٧) جمع ثيب معروف.

(٨) أعواد يعلق عليها الجزار ذبيحته.

(٩) من شعر لطرفة أوله:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

(١٠) من هامش المخطوطة وهو من زيادات صاحب المذكرات علي الحرازي مؤلف الأصل.

(١١) وصح أي ثبت وتحقق.

(١٢) زاد في الهامش أيضاً «ممن يحفر الكنوز المدفونة من قديم الزمان وأما المخبرين فهم من أصحاب الدولة البوابين حسين بن محمد الزكري».

ولا جدودهم، لأنه بقي فيها لا دخل صنعاء ولا خرج البادية لأنه صوفي بأداة خلقه فكان من لقيه من البغاة يظن أنه جاء قاصداً لهم أو يعطوه شيئاً ولم أكل شيئاً مده بقاء البغاة إلا الثمر وكان يدور ليلاً ونهاراً فوجد ما ذكر ولولا أنه استحلفني ألا أخبر أحداً باسمه لذكرته.

وأما نهم وخولان فأخذ من الدور ما قدروا عليه، وأرسلوه إلى بلادهم مع قريبتها وأما بكيل والمتعدين فلم يأخذوا إلا ما خف حمله وغلى ثمنه لبعدهم وغيرهم أخذ كل شيء حتى الطاقات والأبواب، وما أظن وقعت مثل هذه في سالف الأزمان في هذه الديار.

[قتلى بثر العزب]:

وممن قتل شهيداً من أهل الحل والعقد وأصحاب الدولة مثل القاضي محمد بن يحيى السحولى والسيد يحيى بن محمد حطبة عامل الوقف وسيدي قاسم الصادق بن المنصور حسين وغيرهم. وكان فيها من العلماء خمسين عالماً، واثنان عشر قاضياً وأما الصالحين والضعفاء فمما لا يحصى ولا يعد.

وبعد هذه أوقع الإمام بالوزير العفاري لطول التجاري وعدم النظر في العواقب، وفعل^(١) مقامه علي مصطفى^(٢) والفقيه حسين بن محمد حنش يسعيان في خروج المحابيس، وخروج من في بثر العزب، وعضدهما القاضي محمد بن علي الشوكاني، وقد كان كتب القبائل قبل وصولهم إنهم يطلقوا محابيسهم، وما بقي من خيلهم وأمتعتهم، ويصالحوا الدولة، فأجاب العفاري بما يشفي غليله وصار في عمله وتَمَمُوا^(٣) ذلك الصلح، وفرج الله على المسلمين، وفرَّ البغاة وقد معهم بعض الجواري والحرائر إلى بلادهم، وقد كان الوزير يسلم لخولان وغيرهم بنادق وأسلحة ودراهم من بيت المال، حتى أثر النقص فيه تأثيراً ظاهراً، ولبثوا في بثر العزب ثمانية عشر يوماً عدد ظلم أهل كوكبان^(٤)، وأما ما أخذه البغاة فقدر مائة لك^(٥) وزيادة، وكان ما أخذه سبباً لهلاكهم وهلاك ما قد جمعه من قديم الزمان، وما دارت مدة يسيرة إلا وقد

(١) جعل.

(٢) الكلمة في المخطوطة مصفر معقر.

(٣) اكملوا. يقال تتم على الكلام: أي أكمله وأنهاه.

(٤) إشارة إلى خروج الإمام على كوكبان فيما سبق من حوادث هذه السنة.

(٥) اللك عند أهل الحساب يقدر بعشرة ملايين وعند الهنود مائة ألف والله أعلم.

ذهب الأول والآخر فإني وفدت في أيام سياحتي بعد الوقعة بمدة يسيرة [١١] إلى بلادهم وتطلعت للسؤال عما في أيديهم، فذكر كل منهم قصة عظيمة لذهاب ما في يده، وذكر لي كل منهم أشياء عظيمة كانت بيده فنفذت، ولم أجد من آثارها شيئاً في أسرع وقت، ولولا إني درت تلك البلدان جميعها بنفسي، وسمعت منهم ذلك بأذني ما صدقت، لأن المأخوذ من بثر العزب يكفي ولد الولد، فقامت لهم قتل^(١) فيما بينهم وشدة قحط وغلا وذهبت النفوس بعد الأثاث فكل شيء هالك إلا وجهه، وكان خروجهم ثالث شهر رجب سنة ١٢٣٣ وأصلح الله سبحانه للناس الثمار وتتابعت الأمطار واتصل الصيف بالخريف.

ودخلت سنة ١٢٣٤ :

ففي المحرم جاءت الأخبار مع الحجاج بتجهيز محمد علي باشا بأمر السلطان بعصائب من الأتراك على تهامة، وتفويض خليل^(٢) باشا على الأشراف حق تهامة، وهذا جواب على الكتب السابقة من المتوكل أحمد والمهدي، وما أرسلوا به من الهدايا والتحف، كما تقدم ذكره، وقد كان الشريف أحمد حمود استعد لقتالهم، وجمع عساكر عظيمة وخيل كثير، وقد هولوا بالمدافع والزرنبطانات^(٣) لكن الباشا كيس ليب كاتب الشريف وحسن له العبارة، حتى سلم البلاد والبنادر والمدن، ووصل إليهم فعظموه وأكرموه واستخدموا له، حتى ظن صدق ذلك ولا يعلم بغوائلهم، كما علم أبوه وغلطتهم حتى قبضوا البنادر جميع مدن ورتبوها ما عدا حيس والمخا فإنه في يد الدولة والأتراك الخارجون مأمورون بقبض البلاد من يد الشريف وتسليمها إلى أيدي الدولة القاسمية ويسلمون غراماتهم، وبعد ذلك قبضوا على الشريف أحمد حمود قبض دولة، وهو مجلل مكرم يخرج ويدخل ويركب ولكنه معهم لا يفارقهم ولا يقدر يفلت وأدخلوه إلى الأبواب السلطانية دُخلة لا يرجي لها رجعة، ولا يسكن لأهليه عليه دمة، فلا قوة إلا بالله، وكتب الباشا إلى الحضرة المهدوية بما أمره به السلطان وما صنع وأرسل جماعة من أصحابه إلى الإمام المهدي، فضربت البشائر في صنعاء أياماً، وأجمع رأي أصحاب الإمام على إرسال الوالد القاضي العلامة محمد بن أحمد الحرازي^(٤) وقاسم أبا صيد الحضرمي،

(١) جمع قتلى.

(٢) انظر خبر وصوله إلى اليمن في تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٤٤ ط أولى.

(٣) نوع من البنادق.

(٤) هو الفقيه محمد بن أحمد بن محمد الحرازي ولد سنة ١١٩٤ بصنعاء وأرسل إلى الباشا خليل كما هو مذكور توفي سنة ١٢٤٥ (انظر ترجمته في نيل اوطر ج ٢ ص ٢٣٣).

والفقيه محمد بن عبد الله الغشم وآخرون أصحابهم بثلاث نجائب من الخيل الجياد للبasha، وهدايا سنّية وتوجهوا قاصدين تهامة، ولما وصلوا تهامة تلقّاهم البasha خليل بما يحق لهم، وصرفهم لدى الحاج يوسف آغا وهو من البطارقة^(١) خابراً بأهل اليمن، وعقدوا الصلح بينهم وبين خليل باشا على أموال معينة وشيء معلوم من البن في كل سنة، ورجعوا^(٢) المرسلون وصحبهم الحاج يوسف آغا إلى صنعاء المحميّة، وتلقاه الإمام بما لا يؤمّله من الإكرام، وصرفه في دار في بئر العزب، وأرسل فيها جميع ما يحتاج مقيمها ويريح ساكنها، وألبسه الخلع السنّية وأضافه، والذين وصلوا معه وبقي أياماً واستطاب صنعاء، وشكر أهلها، ورجع إلى البasha خليل ولسانه رطبة بالثناء وسلموا إليه أموالاً، ورجع إلى صنعاء بالأمر بنزول العمال للمخلاف السليمانى والترّب للفريض^(٣) والبنادر وجّهزهم الإمام وكل عامل استولى على المحل الذي أهله به، واشترى الحاج يوسف من صنعاء من محاسنها ومن النفائس التي لا توجد إلّا فيها، وتبالغت الحمير في أثمانها حتى بلغ كل حمار مئة قرش حجر، لأنّه ما اشترى إلّا الكبار المجدة في السير، وسلم لهما الإمام ما طابت [١٢] به نفوسهم ورجعوا محمّلين إلى بيوتهم، وتوجهت خراجاتها وعشور فريضها إلى دولة صنعاء، وكانت الأجناد السلطانية مع طول المقام في تهامة قد طغوا وبغوا وفسقوا، وارتكبوا المحرمات، وسلّكوا غير طريق الجنّات، كما أخبرني من وصل إليهم من التجار، حتى أخبر بعضهم أنّهم لا يجدون ذا فرج إلّا وطئوها، وأنّه شاهد جماعة من الأرئوط طلبوا امرأة فلم يجدوها، فوثبوا على بهيمة وحفروا لها في الأرض، وأنزلوها وما بقي منها ظاهر إلّا رأسها وظهرها وفرجها، والباقي منها في الحفيرة ردوا عليه التراب، وكانوا يطأوا واحداً بعد واحد، فبهت الرجل وخاف على نفسه، وكنتم أهل تهامة منهم نسائهم وأولادهم، وحلّوا رحالهم من أوطانهم خوفاً على أهلهم وولدانهم.

[قتل حسن خالد]:

ومع رجوع خليل باشا كانت طريقة على ضمّد، ووقع بينه وبين الشريف حسن^(٤) خالد وقعات آل الأمر فيها إلى قتل حسن بن خالد، واستولى الأتراك على ضمّد ورحلوا إلى جدة ومكة.

(١) جمع بطريق وهو القائد من قواد الروم معرب من اللاتينية ويطلق البطريق على رئيس رؤساء الأساقفة عند النصارى.

(٢) كذا على لغة أكلوني البراغيث ويكثر مثل هذا عند المؤلف فلا حاجة إلى التنبيه إليه.

(٣) جمع فرضة وهي محط السفن

(٤) انظر في هذا كتاب محمد علي وشبه جزيرة العرب ٤٨

ودخلت سنة ١٢٣٥ :

وفيها: خرجت قبائل بكيل على صنعاء وطرحت خمسة مطارح عليها، وظهرت الجراد، وكثرت وأكلت الزرائع حق جميع البلاد في يوم واحد، ولما حصل الحصاد ارتفعت المطارح حق بكيل، وانتشرت الجراد يوم الثلوث في صفر، حتى ملأت الأرض وانتشر الجوع والقحط والغلاء، نعوذ بالله، وفي المغرب وريمة ووصاب واليمن أشد وأعظم، وارتحل أهل تلك الجهات من أوطانهم إلى جهة صنعاء، واستوطنوها تلك السنة، ولهذا ترى أكثر من في صنعاء الآن يتداعو الذماري اليمني الريمي الريمي وكان تاريخ تلك السنة (دَوْر^(١) غداك).

وقبائل خولان في الشرزة، ونهم وأرحب في صنعاء رتب، من باطل بكيل، وبعد أصلحوهم وسلموا لهم أموالاً جليلة.

وفيها: تُوِيَّرَ^(٢) السيد أحسن بن إبراهيم الكبسي.

وفيها: جاءت الأخبار بقيام السلطان سليمان بن محمد بن عبد الله بن قتادة^(٣) وهو شريف من آل قتادة، وانقضت دولة ملوك الغرب السادة آل الإدريسي بقيام هذا السلطان، وكان ابتداء دولتهم من سنة ١٠٣٠ ومدة ملكهم مئتين وخمس سنين.

وفي تلك السنة: كتب إلى المهدي عامل المخا بأن الفرنجي^(٤) لعنه الله خالف وهرب من البندر مغاضباً بسبب منع العامل له من نشر بيرقه^(٥) في البندر حسب عادته، وكان هو تاجراً في البندر ويسلم خراجاً من جملة التجار، وأقام في البحر أياماً حتى وصل إليه المدد من الولاية، وخرج منهم شرذمة ومدافع كبيرة ورموا بندر المخا وأخربوا دوراً كثيرة. وآل الأمر إلى المصالحة على رجوعه على عادته وينشر بيرقه ووضعوا عليه أموالاً جزيلة وأهدى لمهدية^(٦) هدايا سنية منها المدفع الأصفر الذي بقي في بيت المال.

(١) أي ابحت عن غداك وهو بحساب الجمل يطابق عام ١٢٣٥

(٢) أي جعل نفسه وزيراً أو جعل وزيراً.

(٣) هو سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل من سلاطين العلوية في مراكش ولي سنة ١٢٠٦ بفاس وتوفي سنة ١٢٣٨ (انظر ترجمته في الأعلام ج ٣ ص ١٩٧).

(٤) يعني به الإنجليزي وكانت لهم في المخا وكالة لجلب البن (انظر محمد علي ص ٥٦).

(٥) البيرق: العلم والراية واللفظة فارسية.

(٦) أي للدولة المهدية.

وكثر في الأقطار الغلا وبلغ القدح^(١) قرشين حجر^(٢) في جهات صنعاء وفي البلدان المذكورة أولاً ضِعْف ذلك.

وأصاب الناس في الأودية والتهائم الرباء العظيم والموت بسرعة.

وفي آخر السنة: تَرَوُجَتْ^(٣) الأسعار وشرعت^(٤) الأمطار وفرج الله على عباده.

وفيها أعرس المهدي بإحدى بنات الرُّصَاص السُّلاطين في بلاد يافع في بلد البيضاء ثم أعرس بالأخرى وطلّق الأولى وأرسلها إلى أهلها.

وفيها: خرجت يام والباطنية انتهبوا^(٥) بندر [١٣] اللُّحية، وهربوا أهلها بَرّاً وبحراً، وذهبت فيها أموالاً لا تعد، وافقروا أهلها وأضعفوه، وجعلها الإمام إلى الشيخ أحمد الكلفوت^(٦).

وفيها: عزل الإمام أحسن علي سعد وعمل عمّه أحمد علي سعد، وارتبشت^(٧) الطرق وقام الحرب، وانتهبت حمائل التجار الغادية والرائحة إلى المخا.

وخرجت بكييل وأحاطوا بصنعاء أياماً، وصالحهم الإمام بمال، وانفلت النقيب أحمد بن علي القداحي^(٨) إلى اليمن، وطغى هو وبعض ذو حسين وصولحوا، ورجعوا بلادهم.

وفيها: جاءت الأخبار بأن السلطان محمود بن عبد الحميد خان علّق^(٩) أيدي النصاري والمجوس^(١٠) والماسكوه^(١١) من تولي أمور المسلمين، وكانت منقبة عظيمة لأن دخول الكفار في أمور المسلمين مفسدة كبيرة.

(١) القدح بالتحريك: من المكايل لأهل صنعاء. يقدر بـ ٦٤ نقرأ يساوي ٨٩٥٠ زمن الكيلو.

(٢) أي فضة والقرش عملة تساوي أربعين بقشة.

(٣) من الرواج الرخص.

(٤) بدأت.

(٥) خ انتهبوا.

(٦) كذا في المخطوطة وفي تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٧٨ الكلفود بالبدال المهملة.

(٧) دخلتها القلاقل والفوضى والربشة كناية عن الهرج والفوضى.

(٨) نقرأ هذه اللمظة «الفلاح» «الصلاح».

(٩) أي منع وكفّ.

(١٠) كذا عند المؤلف وإنما هم نصاري.

(١١) سم المسكوف جنس من الروس.

[قصة عجيبة كائنة]:

والشيء بالشيء يذكر فإنه حدثني رجل من أهل الخبرة، عن رجل من الذين يسيحوا في الأرض في الشام وبلاد الروم، إنه وفد إلى مدينة من مدائن الشام، فوجد حاكمها رجل من أحسن الناس وجهاً، وأكثرهم صلاة^(١) وصلاً وأحسنهم خلقاً وخلقاً، وأكثر كلامه من القرآن العظيم، وأحاديث رسول الله ﷺ عارفاً باللغة العربية في جميع النحو، حسن المحادثة فأنس به ذلك السائح الغريب، وتاقت نفس كل منهما إلى الثاني وبقي^(٢) القاضي لديه لما استأنس به مما فيه من الصلاحية وغيرها من الفقه وحسن المنادمة، وبقي لديه أياماً، وعزم على السَّيَاحَة حسب عادته وانتهى به الحال إلى أن وصل إلى مدينة في الروم فدخلها، فوجد أهلها نصارى جميع، وما يعلم أنها من مدن الإفرنج، إلا وهو فيها فأدار بصره، فإذا هو برجل يشبه القاضي الذي جلس عنده في الشام في مدن الإسلام، فشبهه بالقاضي^(٣) لكنه أشكل عليه كونه لابس لبس النصارى، وهو من جملة أقستهم^(٤) ورهبانهم، فعرفه النصراني^(٥) وهو لم يعرفه حقيقة باشتباه الملبوس، وإلا فقد لاح له بعض معرفة، فكلم الغريب بلغته الذي عرفها منه سابقاً وأدخله داره وأضافه وأدخله مكانه، فوجد فيه كتب المسلمين جميع من نحو وصرف وفقه وتفسير وكتب الحديث وعلوم الآلة فأسرهما في نفسه، ولم يذكر ذلك للنصراني حتى أخبره النصراني باجتماعهما ولبثه عنده في الشام، ومدة بقاءه لديه وقصص عليه الخبر، أنه ولاء السلطان ذلك القضاء في الشام، ولبث عنده أياماً وجهازه إلى مأمته.

فانظر إلى هذا القس كيف رجع عن الإسلام، وعادة إلى عبادة الأوثان، وانظر بعقلك كيف يفعلون هؤلاء ويوهموا على الناس، ويغتر بهم من لا دين له. فرفع هذه المصيبة من سلطان الإسلام رحمه الله رحمة الأبرار.

ودخلت سنة ١٢٣٦:

ووقع الخلاف من خولان وخرجوا إلى بني بهلول ووقعت بينهما قتلى.

وخرج الإمام مغيراً إلى ريمة حميد، وصلاح الشأن.

(١) غ صلات.

(٢) أبقاه: أي تركه عنده.

(٣) غ بلقاضي.

(٤) جمع قسيس معروف.

(٥) لُح النصراني.

وفيها ارجعوا الدولة أحسن علي سعد، وعزل عمه أحمد علي سعد، وأمنت
الطرق بعد أن كانت لا تَمُضُ الحملة إلا برفقة من بكيل، وصارت تهامة تشتعل ناراً
من كثرة يام فيها وبغيهم، والعمال يداروهم بفلوس.

وفي شهر رمضان: عزل عن الوزارة السيد أحسن الكبسي، وصودر وسلم أموالاً
كبيرة.

وتوازر علي مظفر خمسة أشهر، وقبض الإمام عليه.

وتوازر الفقيه أحسن محسن الأنسي، والقاضي عبد الرحمن الأنسي، على
العكفة والحكومة وقابلهما أتم قيام.

ووصل بكيل عقيب ذلك يقتلون وينهبون حول صنعاء ويقطعون الثمار
ويباشرون من خرج من أبواب صنعاء [١٤] بالنهب والقتل فضاق الخلق وصولحوا
بأموال ورجعوا بلادهم البعض، والآخرين نزلوا اليمن وتهامة يفسدوا ويبغوا أقماءهم
الله.

وفي تاريخ رقم هذه وَقَدْ هُمُ جميع أرحم^(١) ما خلق الله ما يعرفون الشيع وكل
القبائل مثل «...»^(٢) عند الأتراك إلا أن عاد الرعايا معاهم شيع بطونهم، وأما «...»
فخصوصاً جوع وموت وقحط، وخرجوا دراويش في الأرض ما بقي إلا القليل نحو
العشر، وهم نصفين عشر «...» باقين في بيوتهم يحرقون ويزرعون، وربع عشرهم
متعلمين وخدامين عند الترك لا إله إلا الله الباقي المنصف للجما من أم القرون^(٣).

وفيها: عقد الإمام الوزارة لسيدي إسماعيل بن هاشم بن قاسم الأمير.

ودخلت سنة ١٢٣٧ :

وخرج الإمام بنفسه على بلاد اليمن ودوخها وألبس^(٤) الفرسان الدروع
السابغة، وأجرى العَدَّ والعديد، وطلب العساكر من كل أرض، وجرت المدافع الكبار،
وكل بلاد مضاهما أقام فيها وأصلحها، فأول ما بدأ به الحداء، وبعدها عنس ويريم،

(١) أي مصدر رحمة وشفقة.

(٢) كلمة نابية تركناها.

(٣) مأخوذ من حديث الرسول ﷺ وهو قوله: «إن الله ليدين الجَمَاء من دات القرون» والجَمَاء الشاة التي
لا قرون لها.

(٤) خ اللبس.

وسلك به الوزير الطريق الشرقية من بلاد قعطبة وحمير الشрман، حتى انتهى إلى القاعدة، وتوجه إلى ذي السفال وعين على الرعايا في بلاد العدين أموالاً جزيلة، ثم توجه إلى مدينة تعز، وذلك غرض الوزير الذي ركب المخرج لأجله، ظناً منه أنه سيقبض على الشيخ حسن بن علي سعيد، وحين علم الشيخ بوصول الإمام بتلك الأجناد إلى تعز خاف من الصولة السلطانية والنكاية^(١) من الوزير به فما وسعه غير الهرب إلى حصنه الشامخ الذي بناه المسمى مؤيمره، وأرسل إلى الإمام بالضيافات الواسعة والكفايات الفاضلة والأموال من النقد وأضاف الكبراء من أصحاب الإمام والرؤساء، وسَلَّم لهم ما يطيب نفوسهم ليدفعوا عنه قول الوزير، وصلحت الأمور، ووصلت المعشرات من المخا إلى تعز، وأرسلوها إلى صنعاء المحمية بالله، ولما يتيقن الوزير أنه لا مجال له على قبض الشيخ أحسن، توجه هو والخليفة إلى صنعاء إلا أنه اشتاق الإمام لزيارة الشيخ الصوفي أحمد بن علوان^(٢) حين سمع في اليمن أكثرهم يصفوه ويصفوا كراماته، وسمع منهم الأشعار وبراهين عظيمة، فلما علم منه أكابر دولته ذلك ردعوه عن ذلك، وقالوا له: إذا فعل اعتقده الذين لا يعتقدوه، كيف وقد وصل المهدي من صنعاء لزيارته، وزاد في التشيع له عشرات أمثاله فأضرب ورجع^(٣).

ولما أضرب الإمام عن المسير إلى يفرس سلك الطريق الوسط إلى إب وأقام بها أياماً، ونهض إلى المخادر ونظر إلى بلاد المخادر وقراها وأموالها قد ملكها بالشراء السيد إسماعيل الأمير من نقيل سمارة إلى وسط السحول، واستطاب الإمام الإقامة فيها، وهذه المخادر من أطيب البلاد هواء وفيها من التحف والظرف والروح والسرور خصوصاً ليلها، فكم من حزين بات فيها أنيساً ناسياً أحزانه، وكم من مكلوم يذهب عنه كلومه. وفيها القات البخاري والماء البلخي اثنتان لا يوجدان إلا فيها ومما قاله فيها العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله شعراً:

إن الليالي في المخادر قد غدت عقداً^(٤) على جيد الزمان لآلها
فبذا قضيت لها وكل مهذب إن بات فيها صار مثلي قاضياً^(٥)

(١) في الأصل الكناية.

(٢) هو الصوفي الكبير في اليمن له مكانة كبيرة عند أتباعه توفي سنة ٦٦٥ (انظر ترجمته في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٢٧٣).

(٣) هنا استطراد عن العقائد والتوحيد تركناه لخروجه عن الموضوع الذي هو التاريخ ويكثر مثل هذا الاستطراد وهو ليس من صلب البحث.

(٤) لديوان «عندي».

(٥) انظرها مع تخميسها في نيل الوطر ج ٢ ص ٣٩١. ديوان الشوكاني ٣٦١

وقال العلامة يحيى البصير^(١) وكان من الأدباء من أهل إب :

فبذا قضى علامة العصر الذي أحكامه مثل السيوف مواضيا
وأقول أورده البخاري^(٢) إذ غدا البلخي معينا والمبرد راويا

ولما رجع الإمام صنعاء شرع في عمارة بستان السلطان بعد أن اشترى بيت المهدي^(٣) العباس ذلك وعوضهم دوراً ودراهم، وأنفق أموالاً لا تحصى ولا تعد، ولا أحد قد سبق إلى ذلك الغرف والرياض والمفارج والأشجار والقبة المزخرفة وأجرى فيها الغيول وحفر جملة^(٤) بئر حولها، وما هي إلا من جنان الدنيا، وعمر الحمام العظيم قبلي دار الجامع، واجتمع في العمارة جميع الأساطية^(٥) وجميع الشفاة^(٦) حتى لم يبق من يعمل في المدينة وشرعت العمارة في أول سنة ١٢٣٦ وكملت في سنة ١٢٤٠ [١٥].

وفيها: خرج البغاة بجمع لا أكثر منه، وخطوا في عصر وقد بلغ الإمام خبرهم، فطلب خولان وبني جبر في ظبر الخولاني، وكان مقصد الإمام يمنعهم عن المرور إلى اليمن، فوقع بينهم حرب وراحت ثمان أنفس وثلاث خيل.

أخبرني من حضر الواقعة: أن الرصاص كان يقع على الجميع مثل البرد في الصرح، وكان خولان مناظرين الغارة من الأمام لكثرة التوابع^(٧) في صنعاء، والخيل والعبيد، ولكن الوزير أخر الغارة إلى يوم ثاني، فجلست البغاة إلى نصف الليل، ومضوا من فوق مناحر خولان، وما خرجت الغارة إلا وقد هم في أرض.

وفيها: تلك السنة وقع في طريق زراجة نهب، وخرج الإمام على حصن الضبيي وخط عليهم وعدين^(٨) وأخرب رؤوس البيوت، وأدخل جميع عقال خولان في سلاسل الحديد، ورجع مؤيداً منصور، والقبائل ملكوا اليمن، وقلبوا على

(١) انظر ترجمته في نيل الوطرح ٢، ص ٣٩٣ وهو يحيى بن عبد الله البصير، وفاته سنة ١٢٤٤

(٢) تورية بالإمام البخاري المحدث والبخاري البلد وكذا البلخي. والمبرد.

(٣) هو المهدي العباس بن الحسين ولي الإمامة سنة ١١٦١ وتوفي سنة ١١٨٨ (انظر أتحاف المهتدين ٨٩).

(٤) خ حملت.

(٥) جمع أسطى وهو رئيس النائين. وهي لفظة من الفارسية أستاذ.

(٦) جمع شافي وهو العامل في البناء وغيره.

(٧) جنود شعبية مخصوصون باسم أنهم أتباع للدولة أو بعبارة أخرى حرس قصر الدولة ولهم مقررات خاصة ومعفوون عن الزكاة والضرائب وقد اختص بهم باسمهم وادي الأجبار من ناحية سنحان وعليهم أيضاً حراسة باب اليمن (صفحات مجهولة ص ٢٥).

(٨) الوعد هنا هو الأسبوع فيقال الأسبوعين.

عقالهم، وكل فرد بذل رأسه، وبقيوا النقبا الكبار حائرين الأفكار، والروح عند الكبارات شحيح، وكلهم أبناء تسعة أشهر، فاحتاجوا للإمام بالضرورة وعرفوه^(١) ينزل وهم أعوانه على بني صغارة^(٢) أجاب لهم أن كل أحد يرفع أصحابه ويصالوا^(٣) إليه، ورجعوا فيما بينهم، وأيست الرعايا من الدولة فسلموا الحقوق للبغاة قهراً، وأخذوا أكثرها بني صغارة، ولم ينتظم للعقال أمر، فكتبوا للإمام يلقاهاهم إلى بعض الطريق، وهم يطلعوا إليه، فلما علم الإمام صدقهم وبغضهم لبعض، ودخول الشحنة فيما بينهم، كتب إلى العامل في تعز الشيخ أحسن بن علي بإصلاحهم، ورفع محاطهم ويسلم لهم صلحهم من الدفاع^(٤) التي لديه، ففعل وأعانه الشريف علي ناجي الحسيني على الصلح؛ وأخرجوا الشيخ أحسن والشريف علي، وسكنت الأمور سنة.

ودخلت سنة ١٢٣٨ :

وفيها: وقع القحط والغلاء في المشارق، وأجدبوا القبائل بكيل واشتد بهم الحال وجارهم النكال من الملك المتعال، فعزموا إلى سوق العنان وجمعوا شورهم^(٥) إنهم يخرجون إلى المهدي أن يسلم لهم كفايتهم سنة وإلا رحلوا اليمن لما عرفوه بالخير والخصب، وقد تألفوا به من السنة الماضية، ويستوطنوه ويرفقوا بالرعايا، فخرجوا خُرْجة رجل واحد صغارهم وكبارهم، ونسائهم متشكلات بأشكال الرجال، وحطوا على أبواب صنعاء ونهبوا وقتلوا، فلما علم الإمام خبث نياتهم وطلبوا من الغلبات التي لا يسعها المعقول، وما هم فيها وإنما يريدوا اليمن فتصاغى^(٦) عنهم، وكتب إلى جميع الجهات بالإحتراس منهم، فعزموا اليمن، وذلك بغيتهم يجعلوها وطناً فلما وصلوا سمارة، وكل واحد طرح عربونه في محل وتقسموه جميعاً، كأنه خلفه لهم أبوهام ميراثاً، ولما قد ضاق الخناق بالرعية في اليمن من العمال قد جاروا عليهم، مثلما المشايخ الآن وكود^(٧) الرعوي^(٨) يدفع

(١) عرفوه بالتشديد: كتبوا إليه أو أرسلوا من يعلمه بقصدهم.

(٢) صغار الناس عامة الناس.

(٣) يصلوا.

(٤) بمعنى الأموال التي لديه.

(٥) رأيهم.

(٦) أعرض عنهم.

(٧) بمعنى دائماً أو بمعنى بالكاد الفصحى.

(٨) المواطن. وهو الواحد من الرعية معروف.

حتى كأنه لم يملك شيء، والجيد والبطل من أكل لقمة فأذعنوا لبكيل، وملكوه من ذلك التاريخ سنة ١٢٣٨ إلى سنة ١٢٥٦ ملكوه غصباً وقهراً، واستوطنوه وتزوجوا فيه ونسيو المشرق، لحى أخرجهم الفقيه سعيد في سنة ست وخمسين وثلثين وألف [١٦].

وفي رجب: وصل [إلى] الإمام جماعة من الإفرنج ومعهم حكيم، وصرفهم في بئر العزب، والحكيم سعد ياقوت، ومعهم هدايا سنية منها ساعة مثل الصندوق، يسمع من داخلها بكل ساعة ألحان المغاني مختلفة، ومن الجهة الأخرى ساعة أخرى^(١) على صفة أخرى وإذا ركبت الساعة انفتح باب بمصراعين، وضربت المدافع من داخلها يسمعها من خارج، ثم ينظر فيها جند الإمام قد خرج على هيئته التي لا تنكر أولاً على الترتيب أول المرافع والطيسان^(٢) وبعدهم البيارق، وبعدهم العساكر، وبعدهم الخيالة الصغار وبعدهم الخيالة أهل العهد^(٣) وبعدهم آل الإمام سادتي وبعدهم الإمام، وكل واحد من هؤلاء بهيئته وصفته في لبسه وعهده. أخبرني شاهداً ومشاهداً وبقي الحكيم أياماً ورجعوا أصحابه بهدايا وأكثرها البن.

ودخلت سنة ١٢٣٩:

ولم تحدث حادثة يوجب ذكرها غير دخول يحيى بن علي الأنسي الوزارة جنب سيدي إسماعيل الأمير، وهو كان عاملاً في صنعاء لكنه ترقى بظلمه وجوره.

[شهادة محمد صالح حريوة]:

وغير قصة العلامة محمد بن صالح السَّماوي المقلب حريوة رحمه الله^(٤) وصرف الخيل للحكام يعلفوها، وهذه أول فاقرة في الدين، وسيأتي عاقبة الأمر ما انتهى إليه، وجرت بينه وبين الوزير السابق منافسة، حتى أغرى المهدي بالسيد إسماعيل الأمير، ووقع به الإمام وقبض على ما معه وحُبس هو وأولاده، وأخذوه وما يملك في بيته من الذهب والفضة واللؤلؤ والفراش والنحاس، حتى لم يتركوا شيئاً وبعد صدور بشيء من المال بعد ذلك وسلمه وبعد استولى على ما يملك في اليمن الأسفل الذي ذكرناه أول، من نقييل سمارة إلى وسط السحول. ورجع أغرى الإمام بالصيرفي قلال

(١) خ آخره.

(٢) جمع طاسة وهو طبل على هيئة طاسة. والمرافع جمع مرفع: طبل.

(٣) أهل العادات التي يعتادونها من معاشات وغيرها.

(٤) من العلماء له مؤلفات كثيرة أشهرها الغظمم الزخار توفي سنة ١٢٤١ كما هو مشار إليه ها (أنظر كتابنا

مصادر الفكر الإسلامي ص ٤٠).

البانيان، حتى وقعوا به، وأخذوا جميع ما يملك وأبقوه عند الحاج توفيق، ووقع فيه الضرب المفرط حتى هلك منه في السجن، لا حول ولا قوة إلا بالله وتعلقت بالوزير علة لا تبريء كما قيل شعراً:

سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد وللأمد انقضاء (١)

فتارة يمرض حتى يدنو من الموت، وتارة يفيق ويفعل الأفعال الشنيعة من العسف والجور.

وفيها: كمل بناء بستان السلطان، وشرعوا في إخراج غيل البرمكي والبحث عنه، وكان دائراً مدفوناً والذي دلهم عليه النقيب عبد الرحمن خليفة الهندي وصاروا في عمله حتى أدخلوه البستان من الجهة العدنية.

وفي هذه الأيام: جاءت الأخبار بخروج عصابة من الأتراك على بلاد عسير ووقعت بينهم حروب كبيرة حتى امتلأت الأرض من القتلى وبقيت الحروب خمسة أشهر وكتب الأمير علي بن مجثل (٢) إلى سلطان الإسلام يخبره بتجهيز محمد علي باشا على بلاده، وعادت جوابات السلطان برفع المحاط عليه والكف عن الحجاز، وحقن الدماء وتسكين الدهماء، وبسبب حسن نية هذا السلطان نصره الله في هذا العام على الإفرنج الذين قطعوا طرق الحجاز وبحر النيل في بلاد رومية الكبرى، وأخذ بلادهم وشيئاً من نسايتهم وأبنائهم وغنم من أموالهم.

وفي شهر جماد من هذا العام: خطر في بال الوزير يحيى الأنسي صرف الفرسان للحكام وأمرهم بالركوب مع الإمام مع كثرة الخيل، وسلمها إليهم عارية، ومع كل فرس سايسها.

وأحوال قضاة الشريعة في ظاهريهم الغنى بالملبوس، وفي الباطن [١٧] الفقر، منهم من لا يجد قوت يومه وليلته، ومن أراد إرجاعها لما به من عدم قوت نفسه، عاقبوه فمنهم من بذل مجهوده في ما تحتاج الفرس من آلة ركوب سرج ونحوه آلة الركوب، ومنهم من لم يقدر، وكان في نفس الوزير أن يجعل عليهم شيئاً من المال،

(١) من شعر للإمام الشافعي. ديوانه ١٧

كان استخراج سنة ١٨٣ وينسب إلى محمد بن خالد البرمكي وكأنه اندثر (أنظره في معجم البلدان الآتي).

(٢) من أمراء عسير تولى الحكم سنة ١٢٤٣ شاغل الأتراك بالحرب وكان يميل إلى عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب توفي سنة ١٢٤٩ (انظر تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٧٧).

ولكن خَيَّب الله أمله، وفي ذلك قال السيد العلامة عبد الله بن علي بن عبد الله الجلال^(١): القصيدة الهزلية وأبلغها إلى الإمام، وفيها خرج في عرض الحكام بأشياء هزلية ووصفهم بصفة لا تليق من عالم الخروج في أبناء جنسه، وما أحب أن أذكر منها شيئاً لأن عروض^(٢) العلماء مسمومة وكان أبيات هذه القصيدة مما يبكي منها ساعة ويضحك أخرى، فرجع الجواب من الامام برفع الفرسان من عند من لا يقدر من الضعفاء، ورفعت من جملتهن الذي عند منشيء القصيدة.

وفي شهر جماد سنة ١٢٣٩: وفد رجل غريب صورت^(٣) لوتن من سكان بندر المخا إلى صنعاء المحروسة، ومعه سؤال، وأجاب فيه من أجاب وانتهى إلى الفقيه العلامة محمد بن صالح حريوه، فلما نظر في الأصل، مع حدة طبعه، وضيق صدره، ولا يخاف في الله لومة لائم، ثم كتب في صدر السؤال ما يشفي غليله، ورده إلى الرجل الذي أبلغه إليه، فلما صار في يد الرجل طاف به على الناس مرة أخرى، ووقع الإجماع من جماعة من المتفقيهي^(٤) على إبلاغ ذلك الإمام، فمنهم من كفره، ومنهم من فسقه، ومنهم من قرر فيه الزندقة، نعوذ بالله من إتباع الهوى، ومخالفة عالم السر والنجوى وإتباع الشهوات الدنيوية، وكان هذا العلامة الشهيد من علماء الشيعة لا يطلع على كتاب إلا وحفظه على ظهر الغيب، وكان إماماً في كل فن، وله في علم اللطيف^(٥) كمال البلاغة، وقد وقع منه الاعتراض على بعض المؤلفات (ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)^(٦) ولكن الحذر لا ينفع المقدور وقد كتب له الشهادة وذلك من علامات السعادة، وبعد إبلاغ ما ذكر من الذي لا خير فيه، فما عقب ذلك إلا الإرسال له إلى بيته وإخراجه إلى باب الإمام، ووقع في عرضه ما وقع، وأمر الإمام بضربه بالسياط، وتعزيره وطاقوا به في شوارع المدينة، واطلعوه إلى الحبس، وبعد ذلك أصحابوه بتوابع عسكر وخدّامين، وأرسلوا به إلى حبس كمران من جزائر البحر، وكان الإرسال به إلى عامل الحديدية فتح محمد، العبد الخبيث من موالي الإمام، وأخيه سيف الإسلام محمد المتوكل، وتعقب ذلك بعد وصوله بثلاثة أيام الأمر للعامل بقتله وصلبه على شاطئ البحر، ولما وصل الرأي إلى العبد الخنفور^(٧) بذلك

(١) من أدباء صنعاء تولى القضاء في صنعاء توفي سنة ١٢٤٢ (انظر نيل الوطر ج ٢ ص ٨٦).

(٢) أي أعراض.

(٣) كذا في المخطوطة.

(٤) من الفقهاء المتزمتين أو مدعي الفقه عن غير أحقية.

(٥) هو علم التصوف.

(٦) حديث شريف رواه أحمد وأبو يعلى والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٧) العبد الواسع الأنف الشديد السواد.

وقعت بينه وبين الرتبة الموكلون به محاورة، فمنهم من قال له: يطلقه وسيعزمون به يعتاشون في مداين الروم، ومنهم من قال: سيعزم به الحبشة أو سيعزم به الهند، وقد كان ثارت الفتنة، ولم يسعد العبد اللعين العامل الشؤم إلى ما قالوه، وخاف من سيده على نفسه، وإلاً ففي النفس ما فيها، فأمر بإخراجه وأمر ثلاثة أخدام ممن يحسن ضرب السيوف بضرب عنقه، فضرب الأول والمضروب يقول الله الله، ولم يقطع سيفه في عنقه، ثم الثاني كذلك، ثم الثالث فسقط إلى الأرض من شدة الضرب لا من الموت وما وقع إلا تمامة بالسكين لا رحمهم الله لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولم يروا بعده [١٨] خيراً ولم يتغير لونه، ولم يفتر من ذكر الله حتى قطع عنقه بشفرة، ثم صلب ثلاثة أشهر، ولم يتغير بدنه ولا أثنى، ولا انفصلت أعضاؤه، مع أن من مات في تهامة لم يلبث غير ساعة ويتن، وبقي مصلوباً هذه المدة ثم دفن رحمه الله فهكذا وقعت الخاتمة لهذا العلامة الشيعي رحمه الله وله أسوة بأهل البيت الطاهرين، ويحشر المرء مع من أحب نسأل الله حسن الخاتمة، وهذه فاقرة عظيمة، ولكن قد دفع الله المصيبة على الخلق جميع في صنعاء وسعد هو وحده بالشهادة وإلاً فهي كانت فتنة لا تنقضي إلا على إزهاق نفوس وذهاب أموال كبيرة.

[خروج يام على هامة]:

وفي هذا العام: خرج يام ومعهم أحسن بن محمد المكرمي، وإسماعيل بن محمد المكرمي إلى تهامة على العبد المذكور الخنفور عقيب ذلك، وجرت بينهما وقائع وأحرقوا العشش الخارجية في الحديدية، وذهبت نفوس لا تحصى قتلاً وإحراقاً.

وفي سنة ١٢٤٠: مرض الإمام مرضاً عظيماً مخوف وانقطع مدة أربع أشهر.

ودخلت سنة ١٢٤١:

نعوذ بالله منها ومما يليها ومما جاء على مثلها فإنها شحّت الأمطار، وغارت البحار، وارتفعت الأسعار، وكلما دخلت السنة غلا السعر، وفيها ولّى الإمام السيد أحمد بن حسن الشامي على ضوران ولعله عدل في الناس وسار فيهم أحسن سيرة، فلم يوافق أهل الحرام العسكر الرتب حق ضوران، فإنهم جبلوا على أكل أموال الناس بالباطل، ولم يساعدهم ذلك العامل، فدخل عليه نفران شقيان، وهما يحيى داحش ذبيان، وناصر زميلان الكامل، من عقال الرتبة حق جبل ضوران، فقتلاه رحمه الله شهيداً سعيداً، فلما علم الإمام قام وقعد وأرعد وأبرق، وأمر الوزير

قاسم بن محمد العمري، وأمره بالتجهيز على المخرج، فخرج الإمام بالجنود^(١) المتكاثرة، وجرت المدافع الكبار، ووقعت طريقه على حصن ضاف الذي بناه النقيب علي بن سهل الهيال صاحب بني جبر خولان، فإنه بناه وتحصن فيه وتعدى وقطع الطريق المسبلة، وكان ذلك الحصن متوسطاً بين الطرقات بجميع أنس وجهران وعنس وبلاد الروس، وكل طريق غير ما ذكر ممرها من عنده، وحتى إنه كان يُجور^(٢) من ورد إليه مستجيراً ممن كان سواء محققاً أو مبطلاً وأحاط به الرحمن وأحاطت به الأجناد من كل جهة، وضربت المدافع إلى الحصن حتى هلك من هلك، وخرج على أم رأسه يسحب ذيله إلى يد الإمام أسيراً ذليلاً حقيراً، ودخل هو وأولاده في سلاسل الحديد، وعقرت العقابر في سلامة رؤوسهم، وفي خلال الحصار ضاقت الأرض على أهل ضوران بما رحبت، وما وسعهم إلا ضبط نفرين القاتلين للعامل، ووصلوا بهم عند الإمام، ورجع الإمام مظفراً منصوراً، وأمر بإحضار أولياء المقتول بالحضور لمشاهدة غرمائهم، وأمر بضرب أعناقهما فضربت في الحال، وأمر بصلبهما في باب اليمن لينظرهما الداخل والخارج، وسلم لأولاد الشهيد من المال ما جبر كسرهما وإصابتهما.

وفيها: خرج النقيب محسن بن علي الشايف بعصابة من الخارجين من ذو حسين، وبقي في أرحب وقد اعتد الإمام للقائهما ويريد الفتك به وإلحاقه [١٩] بأبيه، ولم يزل يشعر بالغزو على الإمام، فوقع غزوه إلى قرية المحجل وبني الحارث ابن كعب بالقرب من ذي مرمر، فعان^(٣) الله أهل تلك القرية، وقويت قلوبهم وشد الله أزرهم، وعضدهم الله حتى بالنساء: الرجال رموا بالبنادق والنساء بالحجارة، حتى كسروهم، وقتلوا فيهم، فلم يسعهم غير الفرار، ورجعوا خائبين إلى ديارهم، وراح من رؤسائهم خمسة الذين اجتز الرعية رؤوسهم، غير من لم يقبض وقد ذكرنا سنة ١٢٤٣ بقولنا والتي تليها.

ودخلت سنة ١٢٤٣:

وفيها: فرج الله العسر باليسر مما ذكر من شدة القحط والغلا في السنين.

وفيها: خرج الإمام للتمشية إلى حصن الغراس، وطلع الحصن للزيارة ولمشاهدة

(١) خ بلجنود.

(٢) أي يجير.

(٣) فاعان الله.

المآثر المهدوية^(١) الحسنية فأمر بالعمارة فيه، وحسن الأساس، حتى وقعت القباب في صدوح^(٢) الدار، وأسسوه على أحسن أساس، ورجع إلى وادي ظهر للشمسية فأضافه الشريف علي بن ناجي في ذهبان، ومضى إلى الوادي، ووقع من ابن مسعد صاحب رجام منع من حضوره للشرعية المطهرة لدى شيخ الإسلام الشوكاني، فرفع إلى المهدي ووصله الرفع وهو في الوادي متنزه، فقام من حينه وأمر بالخروج على الذي كسر الشريعة، ولم يزد دخل صنعاء بل عزم إلى الروضة، وهي طريق رجام، ولقيه القوم والمدافع وأحاطوا برجام، وأكلوا عنبه، ورعي زرع، ورموه بالمدافع وتوسط عليه الشريف علي، وغانم بن مهدي، وخرج إلى سلاسل الحديد، وعين عليه أكثر مما يستحق عقوبة لكسر الشريعة، ورجع محله إلى صنعاء.

ودخلت سنة ١٢٤٤ :

فأول حادثة خطر في بال وزير السوء أن حكام الشريعة قطعوا الأدبات^(٣) والسياسات والمظالم على العمال، وخرج في أعراض الحكام وآل الأمر إلى قبض رايات^(٤) الحكام وعزلوا عن الشريعة المحمدية ولم ازداد فيما ذكروا شيئاً، وبعد رجعت لهم الرايات وهذا أول الإدبار على الدولة.

وفيها خرجت خوارج من يام، وقبضوا قرى في حراز، وجَهَّز الوزير قاسم العمري على السرية صنوة علي بن محمد العمري، ووقع القتلى من الجهتين، وآل الأمر إلى خروج الإمام بنفسه إلى حراز، وبات في بيت ردم، لَحَتِي تلاحقوا^(٥) القوم وعزم بات اليوم الثاني في بيت العلي وأغروا بالعلي عند الإمام حتى هدد بيته، وأخذ ما معه، وأدخلوه هو وأولاده في سلاسل الحديد عَوْضاً عما فتح لهم بيته وعزموا حراز، ما بات إلا في مناخه، وتلاحقت الأجناد، ووقع في خلال ذلك إرسال محمد بن أحمد الجوفي عاقل الركاب إلى المخا ليطلع المدفع الكبير المسمّى بالجزار، لأن قد كان أيسوا من طلوعه، فصار بصولة محمد الجوفي يرعد ويبرق، وما كان أحد يُولق^(٦) ولقته حتى أنه ما خلس^(٧) له نعال إلا وقد المدفع في الخبت

(١) نسبة إلى المهدي أحمد بن الحسن (سبق).

(٢) صدوح: سطوح جمع سطح (معروف). قلت: الدال والطاء يتناوبان في عامية صنعاء..

(٣) جمع أدب وهو ما يأخذه العمال على الفلاح من غرامات مالية وغيرها كأدب عليه.

(٤) كأنها تصريحات مصرحة لهم بمزاولة العمل. والراي هو الوثيقة والإيصال.

(٥) أي جاؤوا دفعات.

(٦) فوضى الكلام بصوت مرفوع.

(٧) خلع.

يجر، فلما وصل إلى أسفل حراز، وعلم البغاة ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وقد اشتد الحصار عليهم فخرجوا إلى عفوا الإمام وفر الباقون إلى (صعفان)^(١) محلهم من سابق [٢٠] والدور الذي كانوا فيها حق أهل حراز، الذي فتحوا لهم، عوقبوا بخراب دورهم لأنهم شيعتهم، واستدعواهم، ووصلته الهدايا والضيافات، وقد وصل إليه الشيخ علي بن أحمد صلاح، وجماعة معه شاكيين بالشيخ عبد الله بن أحمد صلاح، فردهم وزير السوء إلى الشيخ الهاربيين منه، فلما وصلوا إليه عذبهم بأنواع العذاب وتهدهم وجر^(٢) منهم أموالاً فما كان بأسرع مما عزل بسبب ذلك.

ودخلت سنة ١٢٤٥ :

[ظهور المشعبذ في اليمن عبد الله الصوفي]:

وفيها نزع الشيطان في آذان الغوغا والعوام والمجاذيب والمخدرات ظهر صوفي يسمى عبد الله الصوفي، وتبعه ممن ذكرنا وعرف الإمام أنه سيخرج البغاة من الحصون، ويملكها، وطلب ثلاثة بيارق من الإمام وأرسلها له، وكان هو وأصحابه يوقدون النيران ويأكلوا منها ويطفوها، ولعله عرف وفق^(٣) الجلالة الشريفة، وكان يتلقاه أهل المحلات بالعقاير، وينحرون البقر لهم، ويبيتون في الخلا رجالهم والنساء من دون تستر ولا احتشام، ولم يملك إلا حصناً واحداً وقد ذكرنا^(٤) أنفاً أن أهل اليمن والتهائم^(٥) أتباع كل ناعق، وكان معه امرأة تسمى (زوبعة) من أكبر أمراء أجناده، تحل

(١) بفتح الصاد وسكون العين ونون عزله من ناحية اشتهرت بالخصيب والبن (صفة جزيرة العرب ص ٢٢٨) وسيأتي ذكرها في آخر الكتاب.

(٢) أخذ.

(٣) حرز ورقية.

(٤) طلسم.

(٥) إشارة إلى الاستطراد السابق ذكره يقول فيه: «فهذه أفعال قبيحة من أفعال المشركين ومن النزعات الشيطانية المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه ومن اعتقد فقد فعل أفعال المشركين في عبادة الأصنام وصاروا يطوفون بقبورهم ويتلطخون ويمسحوا أوجاههم ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية يقولون على الله وعليك وقد يستزلون بهم المطر ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد وكل قوم لهم رجل من المقبورون «كذا» ويعتقدون به لما نابهم فأهل العراق والهند لهم عبد القادر الجيلاني وأهل التهائم كل جهة لما عندهم فأهل اللحية وما يليها الزيّلعي وأهل الحديدة بالشيخ صديق عندهم وأهل زبيد وبيت الفقيه بابن العجيل وأهل المخا بالشاذلي وناس بالزلاج وناس بعبد الرحيم وأهل مكة والطائف بابن عباس وأهل مصر بالرفاعي وأهل الجبال بأبي طير وأهل اليمن بابن علوان وأهل جهات كثيرة أموات يهتفون بها لجلب الخير ودفع الشر ويدعون مع الله إلهاً آخر، إلخ. قلت في مثل هذا القول بعض التجني على معتقدات الناس ولا يخلو الأمر من تسرع وانفعال يتميز به كاتب الأصل المؤرخ الحرازي والله أعلم.

وتعقد، وآل الأمر إلى قتله وناس من أمرائه وأرسلت رؤوسهم إلى الحضرة، وعلقت في صنعاء، وكان العامل في يريم عبد الله بن أحمد صلاح من الجبابرة، إذا سمع قائلاً يقول: لا إله إلا الله على قاعدة الصوفية جعل عليه ربع قرش حجر، وإذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله جرّ منه ربع وثمان أدب، وتعامل الظلمة في اليمن بمثله، وعاقبة ذلك أحاط الله به في ذلك العام، بسبب أخيه علي بن أحمد صلاح الذي شكاه سابقاً إلى حراز وردوه إليه، وآل الأمر إلى طلوعه إلى صنعاء، وكان فيها هلاكه وذهاب ما يملك من كل شيء.

ودخلت سنة ١٢٤٦:

وفي هذا العام شرع الإمام في عمارة قبة طلحة المذكورة في سيرة الأتراك^(١)، ولكن قد خربت ودثرت، فأصلحها قبة عظيمة، وأحكم بنائها وعمر فيها منازل للطلبة، وأجريت فيها المياه^(٢) وفرشت بأحسن الفراش الرومية، والقناديل البلورية، ووقف عليها وقفاً واسعاً وأجرى لمن كان يقوم بسدانتها والإمام فيها، شيئاً واسعاً، وجعل أوقافها وإمامتها في محرابها على السيد العلامة أحمد بن زيد بن ناصر الكبسي^(٣).

ودخلت سنة ١٢٤٧:

والخيرات متتابعة والأمطار متكاثرة، ولكن كثيرة المحن، كما أن الخير مقرون بالفتن. خرج السيد الفخيم محمد بن عبد الكريم بن إسحق مغاضباً في ذهنه لعدم تعظيم قدره، ووصل إلى حصن صغير في حجة ودعا إلى المحجة، وبث الرسائل إلى الأقطار، وأجابته الأهنوم ووادعه والسودة، وساعده يحيى الشايف ووقع الهرج والمرج، وأجابه أهل عمران لما في قلوبهم من الغوائل، وأوجفت الغوغا بصنعاء، فأجمع^(٤) رأي أهل الحل والعقد أنه يعزم الشريف علي ناجي، والفقيه حسين بن محمد

(١) إشارة إلى زيادة الوزير محمد باشا سنة ١٠٢٩ في مسجد طلحة.

(٢) خ الميات.

(٣) هو العلامة أحمد بن زيد بن عبد الله بن ناصر الكبسي ولد سنة ١٢٠٩ وتلقى علومه على أكثر شيوخ صنعاء حتى برع في جميع العلوم، وصار من أحفظ أهل زمانه، وكانت له وجاهة عند الناس وسيأتي ذكره مراراً في هذا الكتاب له مؤلفات منها شرح سنن النسائي توفي سنة ١٢٧١ (أنظر ترجمته في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٧٣).

(٤) خ فجمع.

حنش، لتحقيق الأخبار من مواضعها وشرب المياه من حياضها فعزما، فلما وصلا عمران لم يجدا إلا الاطمئنان وعدم الفساد، وسَلما الضيافة، وعزم الشريف والفقير، وناس عسكر من عمران بمن قد كان معهما من الجنود، فلما وصلوا شرس فلم يجدوا إلا الطاعة، وواجهوهم أهل تلك البلاد، وتابوا عَمَّا فعلوا حيث تيقنوا أنه لا طاقة لهم بالفساد، وطلعوا حجة وصلحت الأمور وعزم سيدي العزي قطعته^(١) وصاب [٢١] وتاب وتبعه سيدي العماد يحيى بن المنصور خرج مغاضباً من صنعاء لعدم إجلاله وإكرامه، وعدم معرفة حقه وإعظامه، مع أنه ممن حاز الصفات الحميدة وأعظمها الشجاعة والكرم، وكان خروجه إلى بلاد أرحب، وكتبوا عقاب أرحب وسيدي العماد إلى الإمام بتلك القضية، ويطلبون له ما يستحقه ويعرفونه بما سيؤول إليه عاقبة الأمر، فأصغى عن الجواد، وطوى عنه كشحاً، فثارت حمية الجاهلية وتجهزوا للخروج على المهدي، فتلقاهم بأجناد إلى الروضة وهم في طرف بلادهم يتلاحقون، وأمر الإمام على السرية الأمير غنبر، وتبعهم بجنود أخرى^(٢) الشريف علي ناجي، فنهضوا البغاة إلى قاع الأحقري وتأهب أصحاب الدولة للقائهم، فانحاز أرحب إلى جهة الشرق، وتبعهم أصحاب الدولة وحمى الوطيس، وتيقن أصحاب الدولة أنه لا قدرة لهم، حيث قد اجتمعت القبائل وما هم بجانبهم إلا كالشامة، فعرفوا الإمام فزادهم بالأمير فرحان صالح وأصحابه، وهو من القساورة الذي لا يماثله في شجاعته أحد في دهره والأمير عبد الله جوهر، فوصلوا حال المعركة وصالوا على البغاة صولة الأسود الضواري على الفرائس، والتقى الجمعان، وتصادم الفريقان، ودارت رحى الحرب، ووقع الطعن والضرب، وفرَّ الجبان، وثبت الشجعان، وكان يوماً عسيراً له دخان يطير، وأخبروا الإمام أن الحرب قد ثار دخانها، وحمى سعيها والتهبت نيرانها، فلما سمع ذلك نهض من وقته، ولبس لامة حربه، وخرج وعليه الدرع العظيم، والبيضة الذي تهيل الأبصار، وتوكل على الملك القهار، وضربت المدافع لخروجه، والله در، بيت القاسم ما أحلا هذه القاعدة وما أشرها^(٣) للمحبين وما أوحشها عند المبغضين، وتبعته الحاشية وبقية جنوده، وقد كان آخر النهار، وفي نفسه الغارة على أصحابه، فلما وصل الروضة جاءته الأخبار أن البغاة لما سمعوا المدافع وجلت قلوبهم وعلموا أنه لا طاقة لهم، فطلبوا من أصحاب الإمام الصلح إلى الصبح، فأعطوهم وياتوا ليلتهم وقد زاد شوق أصحاب

(١) أي الأرض التي كان يستغلها.

(٢) غ آخره.

(٣) كذا في الأصل.

الإمام حين وصل إليهم، وبالحال أن الحاشية التي خرجت معه هل تصل مئة نفرًا أو أقل ولكن خَرَجَتْ الإمام وضرب المدافع لها هيبة عظيمة، فله در من سنّها، وكان في تلك الوقعة القتلى من القبائل شيء كثير، والجرحى أكثر ومن أصحاب الإمام نحو الربع والخمس، وممن قتل من أصحاب الإمام ابن الحسيني وممن أصّتاب^(١) فرحان صالح وصار أعرج منها وقد فعل فعل من لا يرجى السلامة حَطَّ بصارمه وأورى بسنانه وأصبحوا^(٢) فارين إلى محلهم خائبين مكسورين، وسيدي العماد، وولده رحلا تهامة، إلى أن توفي سيدي العماد، وتولى سيدي العزي^(٣) رقاب العباد وملك البلاد في سنة ١٢٦١ وسيأتي إن شاء الله ذكره في موضعه. ورجع المهدي صنعاء بعد ثلاثة أيام وقد انجلت المعركة.

وفي جماد خرج ابن داود صاحب السر ومعه أصحابه في نحو عشرين، وكمنا في نغم لحتي خرجت الغنم للرعي وأخذوها، وصاح الصايح، وتبعهم أهل شُعوب وسَعُون وصَرِفَ وقتلوا منهم وهم قتلوا رجالاً من شعوب وضبطوهم وأدخلوهم عند الإمام وحبسوا إلى صبح يوم ثاني، وطلبهم الإمام وضرب عنق الشقي أحمد بن صالح داود ورجل معه لبغيهم وقصاصاً ولم [٢٢] يكن لصالح داود ولد غير هذا وكان لذلك موقع عظيم لأنه قد أخاف العباد وبغا الفساد والله بالمرصاد.

وفيهما تحرك ابن ترابة إلى الأمير علي بن مجّثل على تهامة بجنود متكاثرة، قيل خمسة عشر ألفاً وأربعمائة خيالة، وأرجفت أرض اليمن لسماعهم بقوته، فلما وصل فجّ حرض، ووصل بعد إلى المختارة وهي بين الزهرة ومور، وكتب إلى الشيخ إبراهيم الكلفوت أن يلقاه، ومقصده يفتك به لعلمه أنه مالك لمعدن الملح حق اللقمة في^(٤) تهامة، ولَمّا قد جمعه من الأموال والحلي، ولما أغرى به على حميدة^(٥) عنده لاهويات^(٦) كانت بينهما فلم يسعد وحصن نفسه في الهيجة ورتب حصنه (دوغان) فوصلوا إليه لطمع أهل الحجاز في البوادي^(٧) خلق إذا شيء مثل هذا الشيخ فهو الحاجة في نفس يعقوب، فأحاطوا بحصنه، وأخذوا جميع ما جمعه

(١) أي أصيب.

(٢) في الأصل وأصبحوا لنسي.

(٣) يعني به الإمام المتوكل محمد بن يحيى بن علي بن المهدي عباس سيأتي ذكره بتوسع.

(٤) انظر الحديث عن معدن الملح في تهامة في بلوغ المرام تعليقات الأب أنستاس الكرمللي ١٦٥

(٥) من الأمراء في ذلك الوقت انظر السراج المنير ص ٤٠

(٦) في الأصل هكذا «لاهاواكايت».

(٧) صورة هذه اللفظة كذا «في البوار وخلف».

آبائه وأجداده، قيل أنهم أخرجوا الفلوس النُّقد عشرة لكوك، وبمثلها خزائن من كل ما تعدّه الدول غير المخلص^(١) والحلي والخيل والسلاح، ووقعت مقتلة كبيرة لا تحصر، واستولوا على (دوغان)^(٢) وما إليه من البلاد، وأما علي حميدة فسلم لعلي مجثل أموالاً واسعة، وعلي بن مجثل تعهّد له ونكث، ولعل حميدة صار فيما بين ذلك، وقد كان بلغت الأرجافات إلى صنعاء، وهي قاعدة أهل هذه الديار، خصوصاً صنعاء الأرجاف على أنفسهم وإعانة العدو على دولتهم بالسنتهم، وقد علموا ما قال الله: وتوعد المرجفين في سورة الأحزاب^(٣) لكنهم خالفوا الصواب نسأل الله التوفيق، فلما بلغ الإمام المهدي ذلك قام وقعد لما هنالك، طلب القبائل الواسعة، وأهب الأموال المتكاثرة، وأخرج الدروع السالغة، والسيوف القاطعة، والرماح الفاضعة، وفتح دار الضرب، ولما حشد الجنود وعقد الألوية والبنود، جاءته الأخبار: أن أهل الحجاز ولّوا الفرار، ففرق الأموال بين من حضر من القبائل.

ودخلت سنة ١٢٤٨ :

وفيهما جيّش الإمام الجنود من كل قبيلة للمخرج إلى الحدا، حتى ضاقت صنعاء بأهلها، وما وقع إلا محاط باقي القوم في الشوارع والأزقة، وفرّق لهم الأموال وفي اليوم التاسع ضربت المدافع وتوجه بجيش جرار ملأ الفجاج، وأثار العجاج، وأمر الفرسان بلبس الدروع والبيض^(٤) وخرج من بستان السلطان بأهبة عظيمة، بعد تحشيد الجنود، وعقد الرايات والبنود، وأخرج الخيام، وجُرت المدافع الكبار، وحط ذلك اليوم في (سيان) ووصلوا بعد ذلك اليوم من ريمة بخمسة أنفار من أكبر الأشرار، فضربت أعناقهم، فكان بها النصر على الأعداء، والظفر بمن بغى وتعدي وتوجّه (زراجة) وهي المقصود والحاجة، لأن قد كثر البغي من البخيني والقوسي مشايخ الحدا، حتى تشاوروا هم والمقهوي في زراجة أنه يخرج يحرك النواقيس [٢٣] من نصف الليل ويعزم المسافرين إن قد مضت القوافل، فيظن المسافرين^(٥) صدقه وهو هو الذي خرج يحرك النواقيس فيخرجوا المسافرين ويلتقيهم القوسي

(١) الفضة.

(٢) هي قلعة الكلفوت (انظر تاريخ المخلاف السليماني، ص ٥٧٨)

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿لكن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم﴾ سورة الأحزاب الآية ٦٠

(٤) جمع بيضة: الخوذة وأيضاً السيوف.

(٥) كذا يرد الفاعل دائماً عند المؤلف على صيغة المفعول به فيعلم.

والبخيتي، ومن انتهب سلم ومن هاوش^(١) قتل ففعل بهم الإمام من التعزيز ما لا يفعله ذي^(٢) سلطان ولا سطوة وأركبهما على جمل بلا آلة معه في كل مرحلة مدة ثلاثة أشهر حتى رجع صنعاء، وحبسوا وسلموا أضعاف ما أخذوا وأمثال ما يستحقوا، ونجز بلادهم بالدمار، وأخذت مواشيهم، وخربت ديارهم، وقليل ذلك فيما صنعوا بعباد الله الضعفاء والمساكين والسافرين، وعَمَلُهَا^(٣) الحاج علي العكام، وكان الوزراء في ذلك المخرج أربعة، وصلحت بلاد رداع وخرج على عنس والمقادشة وتمنع المصري في حصنه البراق، حصن هايل جنب أكناف السحاب، وصالحوه بما يريد فلم يسعد، فطلب الإمام المدافع الكبار والطباشية^(٤) الشمهورين وضربوه بالمدافع، حتى شق نصفين، وخرج الماء والطعام والغنم حين اشتق، فصاحوا بالأمان، وخرجوا في الأوان، وخرب الحصن وأخذوا جميع ما فيه، حتى الرجال إلى سلاسل الحديد وأذاقهم البأس الشديد.

وتوجه إلى بلاد يريم وخبان وأصلحها.

وتجهز إلى اليمن الأسفل إلى البغاة من ذي غيلان فلما وصلت الجنود المهدوية إلى رأس سمارة إلا وقد أولهم في عنق الغزال، وقد وضعوا محاطهم على تلك الحصون التي في عنق الغزال، والمحفد والشعوب، وفي اليوم الثاني ضربت المدافع الحصون التي ابتدعها البغاة، حتى خرج من فيها قسراً، وخرجوا إلى الطاعة، وخربت وهم ينظرون، وتوجه إلى المخادر، وقد وقعت الوحشة بين الوزير السيد صلاح وبعض الجند، وهم الذين كانت فيهم النجدة^(٥) والشجاعة، ورجعوا بلادهم وفترو الأمر قليل. وعزل الوزير ورده إلى صنعاء، وحصلوا على من هنالك، وخرجوا إلى الطاعة مثل الأولين، حيث شققت المدافع دورهم، وإلا فما كانوا خارجين، وتوجه إلى بلاد جبلة وخطبها، وتوجهت الجنود إلى بعدان وصهبان، ومع كل جندي مقدمي وأمير فمنهم من صولح بالمال وفرغ حصنه حيث رأى من قبله في الحتاجي والمخادر وغيرها ومنهم من هو أطفئ وصل إلى الحضرة وإظهار الطاعة ودخل في سلك الجماعة وبقي في المطرح فظن الإمام صدقه وأنه قد طرح واعتذر من ترتيب الحصون لما فيها من النساء والأطفال وقد وصل بنفسه وبقي وإذا هو غرّ

(١) ضارب (دافع).

(٢) كذا كسابقة وحقه الرفع.

(٣) أي ولأه عملتها.

(٤) جمع طبشي: وهو صاحب المدفع الضارب به.

(٥) في الأصل المجدة.

مترقب الفرصة لحتى 'تفها' (١) الشوكة ومع الإقبال أظهر ذلك الطاعة وفي آخره أنكر ما هنالك.

وأقام الإمام نحو شهرين وعزم على الرجوع صنعاء فلما خرج من مدينة إب لحقه أهلها يعنفونه بالكلام ويشتكون [٢٤] ويبكون ويستغيثون من البغاة لما قد صدر منهم إليهم وبعد عزمه سيعاقبهم فلم يلتفت إليهم فما أشأم الإياب بعد الذهاب، والأمور لم تنتظم، وكانت عادة هذا الإمام في كل مخرج القلق في آخر الأمر، ولم قد انتظم واستتاب الشيخ علي مظفر خليل، فوقع بينه وبين بقية القبائل حرب، وآخره تعاقد هو والعقال والمشايخ على الظلم والجور فظلموا وبغوا سيما الأغنياء فخلسواهم ما يملكون، وآخره قلق على نفسه فطرح الأمر الدولي، وعاقده العسكر على حكم القبيلة أنه يواخيهم (٢) وأظهر لكل قبيلة أنه منها وتبرىء من قبيلته همدان، وما هي منهم إلا شطارة، حتى تمم وعده، وأدخل الشحنة بين القبيلتين خولان وذو حسين، حتى اقتتلوا وذهبت رجال، وهذه مكيدة منه لما صنعوا معه.

ووقعت به المشاكي (٣) من الرعايا وعزل، ووقع بدله القاضي حسين بن يحيى البرطي، وأظهر للرعية العدل والتعفف، حتى تمكن من الأمر، وفعل فعل أضر من علي مظفر.

ودخلت سنة ١٢٤٩ :

وجاءت الأخبار أن سلطان الإسلام ومحمد علي باشة مصر أجمع رأيهما على توجيه الأتراك إلى أرض اليمن، وأمروا عليهم الباشا تركي بن الماز (٤) ومن تحته أمراء آخرين.

وفي ربيع وصلوا مرسى بندر الحديد، وكان العامل عليها سعيد يسر، وكان قد استتاب في تلك المدة على البندر وغيره من ينوب عنه، ووقع بينهما حروب كبيرة فاصطنعوا الحيلة على من في البندر وذكروا أن معاهم أمواتاً في البحر في المراكب، وأنهم يريدون من أهل البندر الصلح والأمان يخرجوا يقبروا موتاهم في البر،

(١) تضعف (تبرد). وهي من الفصحى توهمى.

(٢) هو أن تواخي قبيلة ضعيفة قبيلة أخرى لمعاونتها وقت الشدة. والمواخاة المحالفة.

(٣) جمع شكية (معروف).

(٤) ورد ذكره في تاريخ المخلاف السليماني بسم تركجة الماز (المخلاف السليماني ص ٥٧٨) وفي كتاب محمد علي وشبه الجزيرة العربية لعبد الرحيم عبد الرحمن، ص ١٥٦ تركجة بيلمز.

فأسعدوهم إلى ذلك القائمين بأمر الحديدية، وهم موالى والموالى أبنا عبيد لا عقول لهم ولو كان لهم عقول ما وقع السبى فيهم طوال الزمان، وهم معرضون ولا تنبّهوا، وحفظوا نفوسهم مع سعة بلادهم، وكثرة رجالهم وقوتهم فخرجوا الترك، وحملوا مدافعهم كهيئة النعوش^(١) أي فعلوها في الجنائز، وأخرجوها على جنوبهم كما يحملوا الموتى وحملوا أكياساً من البز الخشن، وخاطوها حتى وصلوا مرادهم وملأوا الأكياس رمل، وفعلوا جذر أي متارس تحميهم من رصاص البندر، ورموا، ولم يشعروا أهل الحديدية إلا برمي المدافع الذي لا يسكن ساعة، وخرج من في البحر إلى البر وأحاطوا بمن في الحديدية من كل جانب، حتى أخذوها عنوة ويعلم الله كيف القضية أفهم.

فلما علم الإمام قام وقعد، وأرعد وأبرق، وكان وزير تهامة القاضي عبد الله عبد الواسع فجمع الإمام أهل مشورته، وكل أخذ شوره وشيخ الإسلام الشوكاني، أشار أنهم يجهزون في ذلك الوقت على الفور ألف رجل متخيين ممن حنكتهم التجارب وصادروا الأهوال والمضارب، وأميرهم مثلهم وزيادة في تدابير الأمور وبعد ثلاثة أيام يرسلوا ألفين على تلك الشروط [٢٥] وبعد ثمان أيام يرسلون بألفين على تلك الشروط، فإذا فعلوا ذلك فلن يغلب جيش على هذا الترتيب، فلما ذكر لهم ذلك تغيرت الألوان، وذلك لسقوط الهمم والبعد عن المجد فقالوا: لا بأس يكون ذلك، وساعة أجمع الرأي على الثاني، وإن هذه الواقعة مثل حق ابن ترابة مضت سحابة أو غبرة^(٢) وانجلت، ولا يعلم ضعفاء العقول أن الأتراك لا ينازعوا باستيلاء على الملك كما قال إمرؤ القيس:

نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا^(٣)

وكان سينظروا إلى^(٤) سيرة القاسم بن محمد^(٥)

وأما الجنود السلطانية فإنهم لما دخلوا ملكوا الحديدية ضربوا لهم بالأمان، وتوجهوا نحو بيت الفقيه ابن عجيل، فأخذوها وتوجهوا زييد، وفيها العامل الأكبر السيد

(١) جمع نعش معروف.

(٢) زوبعة رمال.

(٣) عجز بيت من قصيدة لامرئ القيس صدره:

فقلت له لا تبك عينك إنما «أنظر ديوان امرئ القيس ص ٦٦».

(٤) ولا سيرت.

(٥) هو المنصور بالله القاسم بن محمد حارب الأتراك في دخولهم الأول إلى اليمن توفي سنة ١٠٢٩.

عبد الله دريب، وأحمد لطف الباري طامش فما كان من طامش فنصبوا له الخازوق^(١) عند وصولهم، والسيد عبد الله بقي بعده أياماً وقتلوه بالذبح^(٢) مثل الكبش، واستولوا على ما في زبيد وغيرها من الخزائن والأموال، حق بيت المال، وصلاح شأن الأتراك والتجار، وأهل المدينة بتوسط السيد العلامة الصوفي عبد الرحمن بن سليمان الإدريسي^(٣)، وتوجهت تهامة إلى السلطان، وارتفع فيها من الجنود المهدوية، وانتظم أمرهم وجلبت إليهم المحتاجات من صنعاء وغيرها من الملابس والحلي، وتوجهوا بعد حين لأخذ المخا، ووقع بينهم حروب وانتظروا الغارة من صنعاء فلم يصح، فظنوا إنقضاء الأعمار وموافات الأجال، وخرجوا توجهوا الأتراك إلى حيس، وكان الرتب في حيس من عند الشيخ أحسن بن علي سعد، وعاتب الإمام التوابع الذي كانوا في المخا على ما صنعوا ولا سيما كونه زذ وقع لهم جُعل من المال وعزلهم عن الخدمة^(٤).

وفي هذا العام: وصل إلى صنعاء يهودي ذكر أنه من يهود القدس، ولعله من يهود الهند، له صنعة باهرة في السحر والتأمويه وقلب الأعيان، وأظهر للإمام أنه حكيم، فلما توغل في الدُخول والخروج، بسط شباك الحيل للإمام، حتى مال لاستخدام اليهود، وجعل بنظرهم أشياء من الخواص، وكان يدخل ناس منهم عند الإمام للمحتاج إليه، ولما خلا المجال للذمين عبثوا بالمسلمين في الضربة والمعاملات، وكان يخاف شرهم خلق كثير، حيث هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وقيل أنه كان قاعداً عند الإمام في مفرج من مفارج البستان، فتخيّل له بقلب الأشياء ويظهر سحره وفخره، فسلط عليه الإمام الأسد فضربه، وقيل أنه مات في الحال، وقيل بعد قليل. وقد كان أثر سحره في الإمام لأنه تغير في أحواله وأموره.

ودخلت سنة ١٢٤٩ :

وفيها وقع إخراج ذوات الخدور من الدور، بأمر الإمام وضبط جماعة من الأعيان والسادات، ووقع الجمع بين المخدرات والرجال في محل واحد، ولم يزل الضبط والإفزاز يوماً كاملاً، وفي ذلك اليوم هتكت المناصب، وأبيحت الأعراض، وسكبت

(١) آلة من آلات التعذيب.

(٢) خ بالطيح بالطاء المهملة.

(٣) هنا حلط المؤلف بين العلامة الصوفي الكبير أحمد بن محمد الإدريسي المتوفي سنة ١٢٥٣ وبين العلامة المحدث عبد الرحمن بن سليمان الأهدل المتوفي سنة ١٢٥٠ وهو المعنى به هنا.

(٤) الخدمة العسكرية.

المدامع من الأماق، وفي آخر ذلك النهار يوم الثلوث في ربيع من العام المذكور، سلكوا الرجال في سلاسل الحديد والنساء من ورائهم، ووكلوا بهم الخدم والعسكر وأخرجوهم إلى [٢٦] داع الخير، قاصدين بهم التغريب في جزائر البحر ولا علموا سخفاء العقول أن تهامة قد أخذت، وصار الأمر فيها للإتراك، وقد أنقضت دولة الإمام فيها، ولعلها قد تغيرت النيات، لما أرى مما ذكر على هؤلاء وعلى الحكام والعلماء، ولا سيما محمد بن صالح حريوة، وباتوا تلك الليلة بداع الخير، حتى أضاء الصبح أمر الإمام بردهم ورجعوا وقد أهينت أعراضهم، وأبيحت حرمهم، وكان عدد الرجال قريب المائة، والنساء زيادة على ذلك أكثرهم من أكابر الناس وفي ظاهر الأمر أن الإمام نهى المنكر، وزعم أن المخرجين من المدينة هم الفسقة المستحلون لمحارم الله، وهذا خلاف الشريعة فمن تقرر زناه، وهو محصن وجب عليه حد الزنا وهو الرجم، ومن كان بكراً جلد مئة جلدة، ولا تغريب فنعوذ بالله من الجهل، ورمي الناس بما لم يكن فيهم ورسول الله ﷺ يقول: (لخرابك على حجر حجر ولا هدم^(١) مسلم^(٢)) وأشار إلى الكعبة وسميت هذه المتفقة حق (العناقرة) وهي من الهفوات لا قوة إلا بالله.

وبعد هذه المتفقة أرسل لكل من عنده سلاح نفيس من الجنابي والبنادق والسبايك، وأجبرهم على ذلك، وبعد تسليمها إليه أرجعها لهم، ولم يظهر ما سبب ذلك. وفي شهر ربيع من السنة أجمع رأي الفقهاء والطلبة مع هذه التبرّشات^(٣) على مبايعة سيدي العلامة الفخري عبد الله بن أحسن بن الإمام المهدي^(٤) سراً، وكان من جملة الطلبة وجعلوه إماماً لهم ولم يفشوا سرهم.

ولما علم سيدي العلامة الصفي أحمد بن علي السراجي^(٥) رحمه الله أن الأمر لا يتم في تلك الحال، وإذا ظهر فخطره أكثر، فأجمع رأيه ورأي الفقهاء على الهجرة من صنعاء، وباتوا في الروضة، وتوجهوا إلى السّر وحدود بلادهم، وأنفذ الرسائل إلى جميع الأقطار، وأرسل الدّعاة إلى جميع النواحي في بلاد همدان بن زيد، وحمير وأهل المشرق يدعواهم إلى كتاب الله وسنة رسوله. وبقي في السّر مناظراً^(٦) لوصول القبائل،

(١) هدم: إخافة.

(٢) أورد مثل هذا الحديث العجلوني في كشف الخفاء وقال: لينظر هل هو حديث وما رتبته. وفي تمييز الطيب ١٣٢ وفي معناه ما أورده الطبراني عن أنس.

(٣) الفوضى.

(٤) أنظر ترجمته في نيل الوطرج ٢ ص ٧١.

(٥) من الأئمة وسيأتي ذكره توفي سنة ١٢٥٠ (أنظر نيل الوطرج ٢ ص ١٥٠).

(٦) منتظراً.

والإمام المهدي معرض عن ذلك. وفي خلال ذلك أفسد أهل عمران، وخرج الإمام ودوخ البلاد وأخرب دوراً، وأخرب دابر المدينة وأدخل المشايخ معه وصلحت الأمور ورجع صنعاء.

وفي شهر رجب اجتمع القبائل وخرج من صنعاء خلق كثير إلى سيدي الصفي السراجي، وعقد الرأي من عقال القبائل والفقهاء على الدعوة من سيدي الصفي، وتوجه الجيوش معه يوم الخميس إلى الروضة وصلى بهم الجمعة في الروضة، والدعوة لموكلة عملاً بالبيعة لسيدي عبد الله، وإلاً فسيدي الصفي رجل عظيم القدر، جليل الخطر، لا يبالي بالدنيا ولا الترفع^(١) قاصداً إقامة الحق وأهله، وتوجه بعد صلاة الجمعة إلى كولة العرج غربي الروضة، وقد عقدت له الرايات، ونصبت المظلة على رأسه، وأحاطت به الخدم، وجذب من في صنعاء من العلماء إلى حضرته، منهم القاضي العلامة الوجيه عبد الرحمن بن عبد الله المجاهد^(٢)، والسيد العلامة محمد بن يحيى الأنخفش^(٣) وغيرهم، وأهل صنعاء مناظرون قدومه راضون بإمامته، وتقدم إلى السواد فنظر الناس إلى جيش عظيم، وعامة الفقهاء في حضرته، ووضع المحاط في السواد وشهر القوم أسلحتهم، وأكثروا التهليل وأظهروا القوة، وتفرقت المطارح، ونفذت الأوامر يميناً وشمالاً إلى القرى المحيطة، يأمرهم بالطاعة وتسليم الواجبات وسياق العلف والمخضرات^(٤) إلى المطرح ووقعت المحاولة بين سيدي الصفي أحمد بن علي السراجي وبين من عنده فمنهم من يقول تكون دخلتهم من الخندق القبلي، ومنهم من يقول: من بئر العزب، وسيدي العلامة الصفي، يقول: يكون الدخول إلى البستان وما هو إلا خاشي^(٥) من معرة^(٦) الجيش على أهل صنعاء، لأنه ما يريد يدخل في ذمته شيء، وعنده أن الغريم المهدي، وباقي الخلق بريئون، وهذا من الديانة الذي فيه رحمة الله، ولعلمه أن القوم نيئاتهم غير نيته لأنه ما يريد إلا الله والدار الآخرة والقبائل ما قصدتهم إلا الطمع والنهب فلهذا ترى ما سيأتي، هذا ما كان من خير الهادي السراجي.

وأما خبر الإمام المهدي، فقام وتعب وجمع قبائل خولان والتوابع، وأمر بحفظ

(١) كذا في المخطوطة.

(٢) من العلماء الأجلاء سعى في التوسط بين القبائل وناصر الإمام المذكور توفي سنة ١٢٥٢ (أنظر نيل الوطرج ٢ ص ٣٣).

(٣) عالم جليل ولد بصنعاء سنة ١٢١٠ له ترجمة في نيل الوطرج ٢ ص ٣٣٩.

(٤) الخضروات والفواكه.

(٥) صفة من الخشية (معروف).

(٦) وطأة. وفي الحديث اللهم أني أبرأ إليك من معرة الجيش المعرة الأذى والميم زائدة.

أدراك المدينة والبساتين، وأمر الشريف علي السراجي^(١) والوزير وأرباب دولته بمخادعة أصحاب السراجي بالمال، فنصبوا شباك الحيل على عقال بكيل ونهم وحاشد وأرحب، والناس أبناء الدّراهم والدنانير لا دين لهم ولا ذمة ولا ينقادون للحق إلا مع الأطماع، والمحق عندهم من كان كثير المال ويداه مبسوطتان، والمبطل عندهم المفلس أو الذي لا يعطيهم أقماهم الله، فلما وصلت الدّراهم إليهم ظهرت مخادعتهم، ونكثوا إيمانهم بعد عهدهم، وأظهروا الفتنّة بين بعضهم البعض، ولما كان الليل ولّوا الأدبار وانهزموا وخذلوا القائم حتى لم بقي في المطرح إلا الفقهاء، وقليل من أفراد الناس، وأصبح الجميع «ليس فهذا ما أخبرتك»:

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر^(٢)

فمن الناس من لم يفش خبره في صعاء، ومنهم من فشا خبره وعزم معه، وبقي في قرية في بلدانهم إسمها الغيظة قريباً من سنه، واغتاله بعض الأشقياء وقتله غيلة في مرقده، كما قتل جدّه صلى الله عليه وآله^(٣)، فلعن الله قاتله^(٤) يوم الربوع ٢٥ صفر سنة ١٢٥٠. قيل: أن بعض خواص الدّولة جعل لقاتله جُعل ويقتله، فقتل، وقيل أنه كان معه وهو مستصحب منه السّلامة، ولما طعن السيد الشهيد صاح فأقبل الناس ولزموا القاتل، فأمرهم سيّدي الصّفي كما قال جده علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: لا يقتلوه إلا بعد وفاته لأنه بقي فيه رمق، فلما توفي سعيداً شهيداً رحمه الله وضعوا السلاح في القاتل الشقي لعنه الله. كما لعن ابن ملجم ولا قوة إلا بالله.

وفي شهر رجب هتكوا منصب الشريعة بسبب الوزراء والعمال، وقبضوا الرايات كما فعلوا أولاً وبقوا نحو خمسة أشهر يأمرؤا الخدم يطوفون على الحكام إذا لقيوا عندهم أحداً يريد حكم الله أو مستفتي أو طالبين الغريمين صلح، حتى دخل شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني، وأوضح للإمام الخوض، وبعد ردوا لهم الرايات، وهذه أمور مستنكرة وهي^(٥) مما تدل على زوال الأمر وعلى نحاسة الدّولة ودبورها، وإلا فهي عمود الدين وشعار الإسلام نسأل الله السلامة، من حمل الناس على غير السّلامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [٢٧] وفي خلال ذلك دعا السيد حسين

(١) لعله وهم من المؤلف وإنما صوابه الشريف علي ناجي سبق ذكره عدة مرات.

(٢) من أبيات مشهورة للحارث بن مضااض بن عبد المسيح الجرهمي من ملوك الجاهلية من قحطان.

(٣) يعني به الإمام على كرم الله وجهه .

(٤) كذا.

(٥) خ وهيه.

المؤيدي^(١) في بلاد صعلة، وهو من تلامذة سيدي أحمد السراجي، وممن قاد الجيوش معه، وآل أمره إلى التلاشي، ولكن قد أفاد أهل تلك البلاد بتعليم الشرائع والصلاة وغيرها من معالم الدين، لأن أكثر البلاد الشامية بدعوة.

هذا خبر الإمام: وأما خبر العجم فإنه لما طابت لهم تهامة كاتبوا الشيخ أحسن بن يحيى، وأنزلوا أولاده إليهم حدّ الرهائن لحتى يأمنوا، وطلب كبير الأتراك التزويج من الشيخ أحسن، فزوجه بابنته وزفها إليه إلى المخا، وكملت الصداقة والمودة، وأجمع أمرهم على طلوهم تعز، وملكوها بالنسبة^(٢) والخدع والمكر، فلما صار اليمن في أيديهم مضافاً إلى تهامة نجم نجم الدبور، وزالت أيام الأنس والسرور، وخرج ابن مجثل^(٣) من الحجاز يقوم لا قد خرجت مع أحد كالجراد النائر، فرجعوا الترك إلى المخادر وأعدوا واستعدوا، فلما قرب منهم النجدي، جمع أصحابه يوم الجمعة خارج المخا، وخطبهم خطبة عظيمة وحرّضهم على الجهاد، وكانت المتصدقة^(٤) فيهم أربعة آلاف، وقبضوا منهم أكفانهم على حسب عاداتهم أن قد باعوا أنفسهم من الله ومن أميرهم، حتى أنهم يقعون لأهل السلاح كالدرق وكالمتارس، ولا يستلحون المتصدقة، واقتسموا فريقين كل فريق بمتصدّقتيه، ففريق جاء على باب الشاذلي^(٥) وفريق على الشيخ جوهر^(٦) وباب صندل^(٧) وكبروا وهللوا، ودخلوا فرموهم الترك بجميع المدافع، فكان كل مدفع يشل شارع، فلم يبالوا بل يسرعوا إليها، فامتلاً الخبت^(٨) قتلى منهم، وجعلوا بعضهم فوق بعض حتى حاذوا سور البندر، ودخلوا عنوة والقتلى منهم لا تعد ولا تحصر، ولما رأوا ذلك الترك فشلوا واندھشوا، فتركي ابن الماز كبيرهم والبعض منهم، عبروا البحر، والبعض في البندر قتلوا جميعاً، وملك عسير وتهامة وارتفع ابن مجثل، وجعل عليها أمراء من تحته، ولقد أجادوا أهل عسير جودة ما قد أحدا أجاد مثلها فيما تقدم، ولا تقع فيما تأخر، وصاحوا للناس بالأمان، وتصالحوهم والتجار على قبض أموالهم بغير حق، وهو المقصود الذي في البال، وما فرّ من

(١) هو الحسين بن علي المؤيدي من العلماء له شعر وأدب توفي سنة ١٢٥٢ (نيل الوطرح ١ ص ٢٩٢).

(٢) الصهارة.

(٣) أي لم يسبق خروج مثلها.

(٤) كأنهم المتصدقة بأرواحهم.

(٥) هو الشيخ علي بن عمر الشاذلي صاحب المخا من المتصوفة في اليمن توفي سنة ٨٢١ (طبقات الخواص ص ١٠٠).

(٦) هو الشيخ جوهر بن عبد الله صوفي من أهل عدن (طبقات الخواص ص ٤٦).

(٧) صوفي ذكره الأهدل في تحفة الزمن (مخطوط).

(٨) الفلاة.

العجم إلا القليل مع كبيرهم تركي بن الماز، وخرجوا إلى الحديد، والسفن قائمة للفرار، ولكنه قد هم مخفين من الأثقال ما بقي للهرب إلا الرجال وأما المال والأسلح والخزينة والذخائر والقماش والحلي والخيل والعديد والذخيرة من الباروت والرصاص والخيام والمدافع، وجميع آلة الدولة وآلة العمال من المال، فقد أودعوا ذلك كله عند نسبهم الشيخ أحسن بن يحيى، وقد كاد يذهب عقله من الفرح، وقال في نفسه: هذا رزقاً ساقه الله إليه، وما في ذهنه إلا أن الترك إذا قَفَّوا^(٥) ما يرجعوا وصارت له غنيمة، ولو علم المسكين أنه السبب في قرب أجله وانقطاع أمله وعمله ما فرح.

ودخلت سنة ١٢٥٠:

أرسل الإمام المهدي بهدايا عظيمة وسيوف [٢٨] وخيل وملبوس للأمير علي بن ترابة، وأجمع رأي الإمام وأرباب دولته على إرسال الشريف علي بن أحسن الحسيني ابن عم الشريف علي ناجي، وعزم إلى ابن ترابة، ورجع بالجوابات وهدايا للمهدي أحسن من الذي صارت له، وكان ظن الإمام أنه سيرجع له تهامة أو يجعل له جعلاً من أعشارها في كل عام، ولما استقر الشريف علي أحسن في صنعاء، وصلت كتب من عند الأمير علي بن ترابة أن الهدايا الذي وصلت لم يكن إلا البعض، والذي صدرت من لديه كانت أكثر من الذي أوصل، ولعل الكتب غيرت وبدلت، وأخذ من الهدايا شطرها حيث قد بدلت الكتب أمن الضرر، وتقررت خيانة الرسول وخدعه للأمانة والسودية، وفي ضمن ذلك كوامن وضغائن متقدمة، وقد حالت آجال وانقضت أعمار، فوقع المهدي بالشريف علي بن ناجي، والشريف علي ابن أحسن وقرابتهما وأنسابهما، ووقع الاستيلاء على ما في بيوتهم والثبوت^(٢) على أموالهم وأعدابهم، ووقع القبض على الجميع، وتنقلهم في السجون، لم ينفلت منهم إلى السيد عبد الله السراجي نسب الشريف علي ناجي، ولم يزل يجمع القبائل إلى محلة ويطلب منهم^(٣) يريد التطويل على المهدي، عسى أو يخرج الأشراف من السجون، وآل أمره إلى وصوله بجماعة الليل إلى كيشات: خارج بستان السلطان، ورموا بينادقهم إلى دار الإمام وأفرعوا الناس بذلك، فما لبثوا غير ثلاثة أيام حتى وصل السراجي تحت الحفظ إلى حضرة المهدي،

(١) أي أدبروا.

(٢) كذا لعل صوابه الوثوب.

(٣) طامنهم طمانينة: سكن وآمن له.

وكان الوزير اللثيم قاسم بن علي العفاري، رجل لا يخاف الله طرفة عين، فيه من النخوة وعدم المراقبة ما لا يوصف، وحق على الله ما رفع شيئاً إلا وضعه، وكادت الدنيا أن تكون دار جزاء، ولما وصل السراجي إلى الميدان أمر المهدي بإنزال الشريف علي ناجي، والشريف علي بن أحسن إلى الميدان، وأمر بضرب أعناقهما مع الثلاثة، فضربت في الحال، وانقطعت الأجال، وكان ذلك يوم خامس وعشرين شهر صفر سنة ١٢٥٠ ولم يصلبوا بل دفنوا في الحال.

ونعود^(١) إلى ذكر الأمير علي بن ترابة، فإنه لما استولي على زبيد وبيت الفقيه، وقسم الغنائم بين أصحابه ووافاه الحمام، ولم يشعروا إلا وهو يصيح صياح الثكلا، ويلتهب بدنه، ومات من حينه، وتلاشي أمر عسير، وولّوا الفرار إلى أوطانهم، وانتهاز الفرصة العجم، وقد أمدهم السلطان بجيوش وأعوان من أهل مصر، وأمر محمد علي باشا يمدّهم ويكون ظهيراً لهم، وتأمر على الخارجين أمير الحرم الشريف إبراهيم^(٢) باشا وخرج إلى تهامة وسلك مسلك من قبله، وأمن الناس وأمنت الطرقات، وأثنا عليه الحاضر والباد، وكان فيه من الكرم والمعرفة في الفقه ما لا يكون في غيره، أخبرني من أثق به، وملكوا الحوازات مثل حفاش وملحان وريمة إلا اليمن الأسفل ودولة صنعاء معرضون عنهم، والوزير قاسم العفاري مشغول بأموال الناس وظلمهم، وإظهار جبروته، والمهدي نائم وعين الله لا تنام ﴿ولا يعذب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾^(٣).

وفي ربيع آخر من هذا العام توفي [٢٩] القاضي علي بن محمد^(٤) الشوكاني. وفي الشهر الثاني آخر جماد الأول توفي والده العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني^(٥) رحمه الله، وبموته ضعفت قوائم الشريعة، وكان مهاباً في صدور الظلمة، وأحكامه لا ترد ولا تنقض في جميع الأرض، ولما وقعت أسحار اليهودي في المهدي، وقع الخلاف في بعض الأمور وقام للقضاء صنوه العماد يحيى بن علي الشوكاني^(٦) وأين هذا من ذاك، فلعمري لقد لعب العفاري بهذا الحاكم لعب الكرة

(١) خ نعد.

(٢) هو إبراهيم باشا يكن أنظر حبر دخوله اليمن في كتاب محمد باشا وشبه جزيرة العرب ص ٢٠٦.

(٣) سورة سبأ الآية ٣.

(٤) من العلماء ولد سنة ١٢١٧ وأخذ علومه على عمه ووالده أنظر ترجمته في نيل الوطرح ٢ ص ١٦٢.

(٥) أنظر ترجمته ومصادره ومؤلفاته في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٢٤٢ وأفردنا كتبه برسالة مختصرة نشرناها في مجلة دراسات يمنية.

(٦) عالم وفقه كبير ولد سنة ١١٩٠ وأخذ علومه عن أخيه وتولى القضاء ثم سجن مع ابن أخيه أحمد بن محمد في وقت الناصر عبد الله بن الحسب توفي سنة ١٢٦٧ (نيل الوطرح ٢ ص ٣٩٥).

بالصّولجان، مع ضعف عزيّمته، حتى أنه أرسل إلى ذمار لعلّي عطية الفقيه، وأراد بجعله قرين لأجل إدخال الشُّحنا وانتهاز الفرصة، وخلال المجال في حكام صنعاء وقبض الرّايات ومنعهم عن الحكومات، وفكك ببعضهم بأخذ أموالهم وبنا^(١) نفسه أنه الإمام، وكان يبيت بعض الحالات عند المهدي، وتسلب عليه وعلى الناس، وبقيت أحوال الناس تضطرب، ولما تيقن الفقيه على عطية أنه من حقّ النّار، رجع إلى ذمار، وخلا بينه وبين النار، وعاقبة الظلم وخيمة، ولما تيقن المهدي أموره ونخوته وعجبه، ولم ينهه كبر سنه وشيئته، قيل أنه دخل في بعض اللّياالي ومعه خادم خصي، ولم يزل يتبجح بالكلام، حتى جاوز الحد، وبنا نفسه لولا وجوده إن قد هلك المهدي، وأخذت^(٢) البلاد، فعظم ذلك عليه، ومع التسليط من الله بانتقامه، أمر المهدي بتعزيزه وضربه بالسّياط ضرباً مبرحاً وقيل أنه وصل ثاملاً من الخمرة ويتبجح بالكلام، وقتل خادمه، ووضعوه للأسد، ولم يأكله وأخرجوا قاسم العفاري إلى بيته، وبه رمق ولم يشعر النّاس إلا بالنعش والجنّازة وأشعروا أنه وقع به عارض وهلك في شهر شوال سنة ١٢٥٠ (من أعان ظالماً أغري به)^(٣) صلى الله وسلم على من قال هذا فما ينطق عن الهوى.

وفي شهر رجب خرجت القبائل من أرحب وتقدمهم سعيد ناصر الهجام وقبضوا نوبة الشّريف علي بن ناجي في ذهبان واستولوا على جميع (ذهبان) وخرج الإمام، وجرت المدافع ورموا النّوبة ولكنها من الطين اللازب^(٤)، وخرجوا إلى الطاعة وأمر بخراب النّوبة وخربت، ورجع إلى صنعاء، وقد تعلق به السّقم بيدنه نسأل الله العافية، وبقيت الأمور مضطربة والتّربشات حاصلة إلى آخر العام ولوائح الشّدّة قد لاحت .

ودخلت سنة ١٢٥١ :

والناس متوقّعون حادثاً، والشّدّة إلى زيادة، وظهر الخلاف من أهل عمران وخرج الإمام إلى الوادي يريد التّجهز عليهم، وحضر من توسّط بينهم، وصلحت الأمور، وبقي في الوادي أياماً، وخطر في بال الإمام يأمر الطباشية يرمون^(٥) بالمدافع في سائلة^(٦)

(١) اعتقد في نفسه.

(٢) خ أخذة.

(٣) حديث من أعان ظالماً قال ابن الدّبيع : رواه ابن عساكر في تاريخه من حديث ابن مسعود به مرفوعاً وفي سنده متهم بالوضع وهو أبو زكريا العدوي فهو آفته أنظر تمييز الطيب من الخبيث ص ١٦٠.

(٤) الطين : لزق وصلب.

(٥) خ يرمون.

(٦) مجرى السيل.

الوادي لغير سبب فسئل^(١) لما ذلك، فأجاب: أنه يبحر سعيدهم الهجاء إلى بلاد أرحب.

وفي جماد خرج ذو حسين يقدمهم النقيب محسن بن علي الشايف وطرح في السواد وصاروا يغزون وينهبون والإمام مشغول^(٢) بعلته، والقبائل قد أصابهم الجوع، والشدة قد زادت وعمت الجميع، وتوجهوا حذور، وأخذوا المساجد، وصاروا يفترسون البلاد، ويغزون إلى أطراف البلاد، والمهدي في مرضه، ومرضه إلى زيادة إلى يوم السبت السادس من شعبان [٣٠] وتوفي وأجمع رأي أصحابه على ولده الجمالي^(٣) وحفظت الأدراك ودفن في بستان المسك جنب قبر والده المتوكل أحمد رحمه الله، ومدة خلافته عشرين سنة إلا شهرين منها عشر منتظمة، وعشرًا لعب وتربشات، وكان من القساورة كم رؤوس قطعها وكم مهماع^(٤) خاضها، ووازر معه خلق كثير، كلهم وقع بهم وأخذ أموالهم، وكل ما جمعه معه، إلا نفر يسير الذين سلموا منه، وكل أحد سيلقى عمله ويقف بين يد ربه.

[دعوة المنصور علي بن المهدي]

ذكر خلافة^(٥) ولده هو المنصور علي بن المهدي عبد الله، دعا يوم موت والده، وبأيعه الأقصى والأدنى، وبعد البيعة خرج لدفن والده، ورجع القصر حسب العادة، وضربت المدافع وفرح به الناس فرحاً شديداً، وما يعلموا ما في طي قدرة الله مما سيكون ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾^(٦) وكان هذا الإمام أكرم من الغمام، ولكنه يضع الحقوق في غير مواضعها لعدم اختباره بأحوال الناس، وبقي الذهب فوق كل رئيس، وكل شيخ، وكل من عرفه، وكان يتخلق بأخلاق جدّه المنصور علي^(٧) في الكرم، والرجل غير الرجل والزمان غير الزمان، وبعد ذلك أرسل إلى النقيب محسن الشايف ومن عنده، فطلبهم الإمام وأمنهم، ودخلوا سامعين مطيعين، وتفرقت جميع الخارجين في الأقطار من شدة الجوع، وأحاط الله بأكثر البغاة.

(١) خ فسول.

(٢) خ مشعلول.

(٣) هو علي بن المهدي.

(٤) جمع مهمعة وهي شدة المعركة.

(٥) خ خلافت.

(٦) سورة القصص الآية ٧٦.

(٧) هو المنصور علي بن العباس من الأئمة تولى الحكم سنة ١١٨٨ وتوفي سنة ١٢٢٤ وقد عرف بسيرة الملوك من الولع بالمباني ونحوها كما سبق ذكره في أول الكتاب.

ومن مناقب سيدي الجمالي : أن الذميين الذين دخلوا في الأعمال مع والده وأضرُّوا بالمساكين، وقع بهم ونهب بيوتهم وغرَّبهم من صنعاء لسوء بغيهم مع أبيه بالمسلمين، وتَمَّ أعمال قبة طلحة إلا أن الأساس على غير أساس، وكان جليل القدر سليم الطَّوية إلا أنه قام بين أشْر البرية في زمن قحط والمرء يفر من أخيه ووالده وبنيه، ومنهم من يضيّع دينه ويقوِّم بدنه في تلك المحال.

وفيها: نجم نجم الهلاك علي من في صنعاء وحوازاها، ورفعت البركة من المأكولات وكل أكل لا ينفعه أكله إلاَّ ساعتَه تلك وشاهت الوجوه ونحلت الأجسام، وسقط القوى في الأقصى والأدنى، وهلك خلق كثير من الفقراء والأغنياء، وكانت الجنائز لا تنفك ساعة من كل باب، حتى كانت النساء تخرج الجنائز إلى مغتسل باب اليمن، مع ضعف قُوَّة الرِّجال، وكان الصياح لا ينفك ساعة، لا في ليل ولا في نهار، وهذا بلوى من الله لعباده وامتحان لأوليائه كما قال تعالى: ﴿ولنبلونكم﴾^(١) بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴿.

ومن جملة من مات في هذه من العلماء القاضي عبد الرحمن بن عبد الله المجاهد^(٢). وسيدي أحمد بن يوسف^(٣) زبارة وسيدي محمد بن أحمد زبارة والقاضي عبد الله بن علي بن سهيل^(٤) وغيرهم.

ولم تحدث حادثة لما الناس فيه من هذه الشدَّة ﴿لكل امرئ منهم يومئذ﴾^(٥) شأن يغنيه ﴿. وأهل المشارق رحلوا المغارب، وكانت النُّسوان تمر منهم نحو المئة، وما يجد معهن إلاَّ رجل واحد، وكأن هذا القحط نعوذ بالله من أيام المحشر، لشدَّة الهول وقد تقدمه^(٦) سنة ١٢٤١ وسنة ١٢٤٢ من هذا نعوذ بالله من هذا وذاك والعوام يتشاءمون بهذا القائم.

وفي شهر ذي الحجة من هذا العام أُنْتهب الأرياني^(٦) الوزير أموال الناس

(١) سورة البقرة الآية ١٥٥.

(٢) سبق ذكره وهو من العلماء الأجلاء ناصر الإمام أحمد السراجي وهاجر معه كما ذكر وفاته سنة ١٢٥٢ وقبره بحربة الروض جنوبي صنعاء (أنظر نيل الوطر ٣٣/٢).

(٣) من العلماء الكبار وله الكتب الشهيرة في الحديث وغيره ولد بصنعاء سنة ١١٦٦ وتوفي سنة ١٢٥٢ (أنظر مصادر الفكر الإسلامي ص ٧١).

(٤) من أفاضل العلماء ولد سنة ١١٨٠ وتلقى على علومه علي الشوكاني وغيره نصب للقضاء في الحكومات (أنظر نيل الوطر ج ٢ ص ٨٤).

(٥) سورة عبس الآية ٣٤.

(٦) يبدو أن المؤلف كان صاحب نظرة تشايمية موحدة لكل من يتولى أمر الوزارة إذ لا يكاد يسلم منه وزير واحد

وغنمهم، ووعدهم بتسليم ثمنها إلى بعد العيد، وهرب وحقّ الضحايا وأموال الناس بدمته، وصاروا الناس يشتكون على الإمام، وكان الوزير ضعيف وسيأتي خبر عاقبته في أيام دولة الناصر، وكان يتردد في الوزارة مراراً، وليس له فيها حاجة مع غناه.

ودخلت سنة ١٢٥٢ :

والأمر مستمر والفناء كائن، وفيها: وزارة الفقيه عبد الله الأكوع، والسيد أحسن بن إبراهيم الكبسي، وكان الكبسي [٣١] يتخلّق بأخلاق قاسم العفاري، ونسي ما صار إليه ومن خصائص هذا الوزير هدم الشريعة المطهرة، وغرر على الإمام بما لا يتصور، فأسعده مع جهله، وقد ذكرنا آنفاً من علامات الدّبور التعرض للعلماء والحكام لأنهم في أمور دينية خارجة عن أمور الدولة، وهم على شيخ الإسلام والله في خلقه أحكام، فما لبث السيد أحسن بعد ذلك غير عشرين يوماً، وأحاط الله به على يد من سلّطه الإمام وقع به، وقامت الشريعة وتوازروا عوضه القاضي يحيى بن محمد السّحولي^(١) كان حاكماً ووجيهاً فياً موره، فلما أكل الحرام، وتوغّل فيه وقع أخس ممن مضى وأبدل العدل بالظلم، وطمس الله على سمعه وبصره وسلب علمه، وظهر عيبه وجهله، حتى أنه فعل ما لا يفعله غيره قبله ولا بعده، إذا مات ميت وله وارث عصبه أو ذوي رحم، نقل ما خلفه إليه، وكان يظن الإمام مع جهله بالشرعيات أن ذلك شريعة، ومع حسن ظنّ الإمام، وسلامة صدره ما ظن أن أحد يتلون تلون الحربا، فمن كان حاضراً من الورثة وافتدى ميراثه بشرط سلّم إليه البقية، ومن كان غائباً أو ضعيفاً وهب ميراثه ومع اشتغال الناس بما هم فيه من الشدة والجوع ما بقي من ينهي المنكر، وإنما كل أحد في ذلك الوقت نفسي نفسي.

وفي شهر رمضان أمر الوزير بإخراج التجار من الساجد، وصادرهم، ومعه يحيى عقيل أظلم منه، وطلب منهم في ظاهر الأمر قرضة وفي الباطن نهب، وأخذ أموالهم ومنع الشكايا من دخولهن عند الإمام، وأذاق التجار ومن كان ذا حرفة، أذاقه سوء العذاب، وهذا في شهر رمضان في تلك الشدة والجوع والموت، وهذه الأفعال الشنيعة وحاكم الحكام معرض، والحكام الذي تحته ونحن منهم لا قدرة لهم ولنا على شيء مع هذا الظالم الغشوم المشؤوم، ومن نهى المنكر عاقبوه، ولعل الدين قد

= وقد ذكر لي بعض أحفاد هذا الوزير أنه كان من الصلاح بمكان، ولا عبرة بما بهته به المؤلف، وهذا التنبيه لهذا الوزير ولغيره فيعلم.

(١) انظر ترجمته في نيل الوطرح ٢، ص ٤٠٧ ولم يحدد المؤرخ زبارة وفاته.

ضعف، وما هي إلا أعمالنا^(١) كما ورد عن سيد البشر^(٢) وفي الحديث القدسي يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه^(٣).

وفيها خرج سيدي العلم قاسم بن المنصور مغاضباً وبث الرسائل إلى جميع النواحي، وأقام في اليمن الأسفل، وتعز وبلادها ودعا الناس إليه وتلقب بالهادي، وخرج إليه من صنعاء خلق كثير، ومن موالي الإمام بأسلحتهم وخيولهم، وأجابته أكثر الناس، ولكنهم أبناء الدنيا والدنيا كما قيل شعراً:

كل من في الوجود طالب صيد غير أن الشباك فيها اختلاف

ولما علموا قلة ما في يد هذا تركوه ووهن أمره، واستدعى الترك إلى تعز، ودخلوا المدينة وملكوا البلاد، وصالحوا من في الإدراك من ذي غيلان والتوابع بالمال، فلما فتحوا باب الدراهم تهافتوا عليهم العرب تهافت الذباب، وهم منهم أحذر من الغراب، ولا زالوا يدبوا في البلاد ديب العقارب، وأصلحوا في المدينة الخارب، واطمأنوا إليهم الرعايا وأظهروا كل العدل لجميع البرايا ووصلت إليهم مشايخ بلاد الحجرية وشرعب.

وفيها زال النجم أبو ذؤابة، وظهر آية أخرى في عاشر شوال اختلفت الشهب سن العَدَن^(٣) إلى القبلة ومن القبلة إلى العدن، مدة ساعة فلكية في نصف الليل، وقد وقع مثلها في سنة ١٢٤٨ من وقت السحر ووقت الفجر، والنجوم تختلف لكنهما من الشرق إلى الغرب والعكس، والمفلكون^(٤) يقولون ذلك لحدوث حادث.

وفيها خرج الخارج حسين بن يحيى بن عبد الله البرطي، وخوارج أرحب وقبضوا حصن عُطَّان وقطعوا الطريق، وأخافوا الخلق وصنوا أن الإمام سيصالحهم [٣٢] بالمال فأعرض عنهم ورَّتب حدة، وطلب خولان والنقيب حسين بن سعيد أبو حليقة، فوصلوا إلى ظبر الخولاني، وقطعوا الطريق لليمن، وفي ظاهر الأمر أنهم مطيعون والعصيان شنشنة في قلوبهم، والوزير يواعدهم بما لا يتم، والتوابع في صنعاء

(١) إشارة إلى حديث أعمالكم عما لكم قال في كشف الخفاء ١/١٦٤ لم أره حديثاً ولكن من كلام الحسن في حديث كما تكونوا يولى عليكم، وأقول رواه الطبراني عن الحسن المصري سمع رجلاً يدعو على الحجاج فقال له: لا تفعل... فقد روى أعمالكم عما لكم وكما تكونوا يولى عليكم.

(٢) من حديث قدسي طويل روى عن أبي ذر مرفوعاً (متفق عليه).

(٣) أي من الجهة العدنية «الجنوبية».

(٤) علماء الفلك.

يضطربون ويموجون موج البحار، وقد ألقى في صدورهم بعض الأشرار: أن الإمام سيدخل خولان، ويجعلهم في أدراك المدينة، ويستخلصهم لنفسه بدلاً عنهم، بسبب ما أحدثوه من الهيعة^(١) والفتنة، وقطع الطريق على الإمام بعد رجوعه من صلاة الجمعة بسبب تأخر الجامكية^(٢) ولم يكن ذلك في بال الإمام، ولا زالوا في تجمع ومبارز^(٣) في الكبيرة يوماً بعد يوم، والمحشد لهم النقيب محمد بن سعيد الشاوش الجدرى وأخوه علي وناجي أبو عيلة الشاوش، وسعد هديان من الرحبة، واجتمعوا على خلع الإمام والهجوم عليه، وكتموا أمرهم ولم يتقيض لا أمير ولا وزير لهذه الحادثة، وقد علم بها أكثر الناس قبل وقوعها ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وكان الأمير الأكبر فرحان صالح العلفي من موالي العليفة.

فلما كان ليلة الأربعاء ثالث شهر القعدة سنة ١٢٥٢ هـ جمعوا على الإمام إلى بستان المتوكل، وهو آمن بأمان الله مستصحب السلامة وأجمع رأي التوابع جميع على هذا، ودخل عليه شزيمة منهم من المسيحي فوق باب شرارة، وقد أجمع رأيهم على سيدي الفخري عبد الله بن أحسن بن أحمد بن^(٤) المهدي، وأخرجوه معهم إلى منازل مسجد حَجَر، وانتظر هنالك، والبغاة دخلوا على سيدي الإمام المنصور إلى بين أهله في بعض المنازل حق الدار. فقبضوا عليه وكشفوا حريمه كشفهم الله، وانتهبوا ما في الدور من بيوت الأموال، حتى لم يبق إلا اليسير، وصاروا ينقلون ما في الدار سراً وعلانية إلى بيوتهم ومنازلهم، وأخذوا من الثفائس والحلي والحلل والمفارش والعطب والسلاح ما لا يمكن حصره، وأدخلوا سيدي عبد الله بن أحسن الدار بعد أخذ ما فيها، وحفظوا الأدراك وهم فيها، وأرسل سيدي عبد الله لخواصه وأصدقائه من الفقهاء والسادات ممن تقدمت لهم العناية في مبايعته، في أيام المهدي عبد الله قبل خروج سيدي العلامة أحمد السراجي، وكان سيف خلافة المنصور سيدي محمد المتوكل في بئر العزب، وعنده خبر هذه الواقعة إنما إجمالاً، وهو معرض ولكن إذا نزل القدر عمي البصر، وعاقبة ظلم عباد الله وعدم نهى المنكر ولما أضاء الصباح يوم الربوع أرسل سيدي عبد الله للبيعة من الناس، وأرسل للعلماء والأعيان والحكام إليه، وتلقب بالناصر، ولبس لبس الملوك واعتلا فوق السرير، وأدخل سيدي علي بن المهدي، ورآه ليراه الناس، والحريم في بيت الإمام علي تصرخ صراخ الثكلا من هذه المصيبة واجتماع رأي الموالي والأحرار من

(١) الأصوات المفزعة.

(٢) هي رواتب العسكر واللفظة من الفارسية.

(٣) مشاورات خاصة بينهم.

(٤) سبق ذكره.

العسكر على هدمهم^(١) فنعوذ بالله من مصائب الدنيا والآخرة ونسأله السلامة.

(ذكر الإمام الناصر لدين الله عبد الله بن أحسن بن المهدي بن العباس بن المنصور بن حسين بن القاسم بن حسين بن الإمام الأعظم المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد):

دعا يوم الأربعاء ثالث شهر القعدة سنة ١٢٥٢ وعمره ثمانية وعشرين سنة [٣٣] وكان من العلماء المدرسين، قد تفنن في العلم، وكُتِبَ آبائه الكرام زيدي المذهب نشأ على الصُّلاح والتَّقوى، وصبر على الكد في الطلب صبراً^(٢) جميلاً مع شدة فاقتة وحاجته هو وأهله، وهو لا ينفك عن الدُّرس^(٣) والتدريس، حتى أنه فاق السَّادات من قرابته، وسلك مسلك سلفه، وقد تقدَّم من خبره وتقدم بيعته.

(صفته): معتدل القامة أسود اللون في بدنه ووجهه آثار الجدري أثر جلي.

(خادمه): سعد علي البواب في المنزل.

(بوابه): محمد السُّقا.

(سيفه): صنوه الجمالي علي بن أحسن، ثم سيدي عبد الله بن عبد الرحمن بن المهدي.

(خدامه): محمد بن أحمد الجوفي.

قام بهمة عليه وصلابة قوية، أرسل إلى سيدي محمد بن المتوكل للبيعة، فوصل وهو يتقدم تارة ويتأخر أخرى، ولما بايعه أقعده إلى جنب ابن أخيه سيدي الجمالي، وقد أظهر في نفسه القبض عليهما وحفظهما، ولما استكمل البيعة، وقد حضرها كل فقيه من الطلبة وغيرهم وأشرقت لهم الأرض ببلوغ الأمل، وظنوا أن قد ملكوا الأرض إلى أقصى جبل قاف.

ونهار ذلك اليوم، طلع القصر حسب العادة وأركب قرابته فوق الخيل، ونقل أهله من بيت الوقف الذي في صُوح قبة المهدي عباس إلى دار بستان المتوكل،

(١) أخافتهم.

(٢) تكرر في المخطوطة.

(٣) خ الدس.

وحفظ مفاتيح بستان السلطان، وكان فيما قبل هذا إمام محراب قبة المهدي العباس، ولما وصل القصر ضربت المدافع وبثَّ الكتب، ووصلت الجوابات بقبول الأمر وبالسَّمع والطاعة، وعند وصل كل بيعة تضرب المدافع، وبقي أياماً في القصر، ورجع البستان والنَّاس متعجبون من أمر الله وقضاؤه، وأمر بالإمام الأول سيدي الجمالي وعمه محمد المتوكل الحبس، وحفظهم الحباسون وقيدوهم بالقيود الكبار حسب الأمر الشريف، وأرسل للعصاة الذين في حصن عُطَّان فدخلوا وخربَّ الحصن، ولما بلغ الخبر إلى اليمن بقيام هذا الإمام تلاشى أمر سيدي العَلَم الذي دعا في اليمن وتلقب بالهادي، وبطلت دعوته ودخل المخا، وفرح الناس بقيام هذا الإمام فرحاً شديداً، مع ما قد مضى من الشدة والجوع، وظنوا أنه المجدد، وكان جلساؤه جماعة من الطلبة الفقهاء الذين كانوا في المنازل وغيرهم، الذين لا عقول لهم وإنما همهم أهويات نفسانية، وأظهروا الكامن في صدورهم على النَّاس، وحملوا النَّاس على غير السلامة والإمام طبعه كطباعهم (وشبه الشيء منجذب إليه) فمن أشوارهم، ربط اليهود فوق قبر المهدي عبد الله وكان يدرسون التوراة فوق قبور السادة والخلفاء ومن ذلك أنهم أشاروا بنشق قبر شيخ الإسلام الشوكاني رحمه الله وإخراجه من القبر ثم تحريقه نعوذ بالله من أن يكون، وأشار عليهم بعض أهل الرأي بعدم هذا الشور، ومن ذلك حَدَّ الفقيه محمد العصامي^(١) وجلده على رؤوس الأشهاد حَدًّا ما له^(٢) رأس^(٣) ولا أقر بالزنا ولا بالشرب، واستخلص الإمام الحاج سعد علي ومحمد بن أحمد السقا، وكان مدار الأمور الخاصة عليهم والفقيه محسن الجبري الأعمى^(٤) صاحب المشورة وغيره [٣٤] ومع من مضى من المجاعة والقحط فقلوب هؤلاء بالجوع مغداة، وفي أنفسهم على من كان ذا مهنة أو حرفة لا يسأل النَّاس، فلم يزالوا ينقلون بالناس إلى الإمام، وهو مؤمن بصدقهم في أقوالهم وأفعالهم، تجاوز الله عنهم، وما صلحت أحوالهم وحسن ظنهم بالناس إلا بعد مُدَّة طويلة، وقد صاروا هم الأغنياء دون غيرهم، وشبعت بطونهم، وتنعمت أجسامهم باللباس، فتيقنوا أن النَّاس لا ذنب لهم يوجب أذيتهم لهم.

وفي يوم الجمعة الأولي من الدعوة: وقع الإمام بكل ذي ولاية ممن تقدّم من

(١) هو الفقيه العلامة محمد بن صالح بن العصامي من العلماء الأفاضل يحفظ النوادر والأخبار وقد طبع له أخيراً كتاب مسالك الأبصار جزء منه توفي سنة ١٢٦٣ أنظر نيل الوطر ٢/٢٦٦.

(٢) خ مالهو.

(٣) أي ليس له موجب.

(٤) خ الأعمى.

الحكام والنظار^(١) وغيرهم، وما بقي إلا الوزير يحيى السحولى حتى ينظر غيره ممن يقوم بوظيفته، وأمر بحبس الجميع، ولم ينفلت أحد وحبس أمناء الشريعة والوكلاء، وحاكم الحضرة القاضي يحيى بن علي الشوكاني وابن أخيه العلامة القاضي أحمد بن محمد، حتى صار في الحبس جميع الأعيان وقبض الرايات، وأراد إبدال خلق جديد، والأمر لله، وهذه عقوبة للعبد على عُدْم التَّهْي عن المنكر فيما مضى، وسكوت الناس عن الظلم لا سيّما وقع في رمضان من الوزير، فوقع لكل أحد بذنبه، ونصب حاكماً للحضرة سيّدي العلامة المجتهد محمد بن عبد الرب بن محمد بن زيد بن المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد^(٢).

وفي آخر شهر الدعوة عزل الوزير السحولى وفعل أحسن بن محمد الأنسى.

هذا: والأمر مضطربة والأجناد يحسبون أنفسهم أن لهم الحلّ والعقد بعد أن قد أخذوا ما في بيوت الأموال لنفوسهم، ولم يزل الإمام مواجهاً للناس في كل وقت والناس كثيرين البطر، ولما عرف شرارتهم وتيقن أمرهم عاملهم بنقيض قصدهم، وصاغ الحلّي والحلل، وجمع إليها كثير من النّحاس، وأطلعها دار الضرب، وأمر الذميين بالمبادرة^(٣) بالسّكة وكان قد به^(٤) ضربه كثير في الدار لا طابع لها، قد كان أراد سيّدي علي المنصور بطبعها وإخراجها، ولم تخرج له ضربة، وبلغ وصول ذي محمد من اليمن. وقد جمعوا ما قدروا يحملوه من الدّراهم والعسل والسّمين والملابس شيئاً وسعاً، فأمر الإمام النّقيب الماس بلسه، ونقيب الدّرجة معه، والأمير محمد طشخان أمير بئر العزب، والأمير خير أمير البساتين، فخرج كل أمير بعصابة من التّوابع، فحفظوا الطّرق والقبايل ذي محمد قد حطوا في الجهة العدنية وصّافية (بازان) بالقرب من (حمرا العلب) ولما علموا بخروج الأجناد الإمامية، ولا طاقة لهم بالهرب مالوا إلى جهة نقم، وظنوا أنهم يجتازون فسايرتهم الأجناد، ورعفوا المحاط من (داع الخير) وحفظوا آكام جبل نقم، من أسفل الجبل، والقبايل دخلوا بطن الجبل، وما بات ذلك اليوم إلا وقد أقبلت الغارات من جميع الجهات، ولما علم البغاة أنهم هالكون [٣٦] مالوا إلى الصلح، ودخلوا في طاعة الإمامة وقبض على كبارهم أئمة بغيتهم وقد أرادوا العيب في بلادهم، ولما أحاط الله بهم وقع عليهم شطراً من المال

(١) جمع ناظر معروف وهو مسؤول الوقف.

(٢) من العلماء ترجمه المؤرخ زبارة وضبط وفاته سنة ١٢٦٢ (انظر نيل الوطرح ٢ ص ٢٨٢).

(٣) خ بلمبادرة.

(٤) تقوم مقام به الظرفية إلا أنها هنا تنطق بكسر الباء وتسكين الهاء.

يسلموه في سلامة أثقالهم، وتوجهوا بلادهم، والعقال في الحبس، وكان لهذه الواقعة موقع عظيم في قلوب الناس، مع أنهم يخرجون يستدفعون^(١) الخلفاء، وينهبون ويقتلون، وهذا وقع العكس ما أظنها إلا ذنوبهم مع حسن نية الإمام.

وفيهما وصل السيد أحسن التشريعي بجماعة من حاشد واصلين من ريمة، ومعهم الفقيه أحمد بن علي حنش، وبقوا في حبس الإمام أياماً، وأمر بضرب أعناق ثمانية أنفار في ميدان البكيرية، ورجع أحمد بن علي حنش الحبس، وأخذوا المال الذي معهم، وذكروا أنهم من المربيين^(٢) وأنهم بغاة، ف وقعت هيبة عظيمة في قلوب الناس، وفي عيد الأضحى^(٣) قسم الضحايا بين شيعته وأرباب دولته، ونسي المؤلف قلوبهم.

ومن مناقبه الظاهرة منع المزامير والدُّفوف والمعازف، ومنع النوبة، ومنع النساء من الحمام وخروجهن من وقت المغرب ودخولهن السوق، وهذه من أعظم المناقب، وبعد ذلك رخص لهم في الحمام، بشرط السُّتر داخله وخارجه، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وتولَّى الصلاة بالناس يوم الجمعة بنفسه، والخطابة في بعض الأوقات، وأمر بتعليم الصلاة وإقامة الجماعات، ووصل الأرحام، وكفل الأيتام من قرابته، أصلح سريره ونيته.

دخلت سنة ١٢٥٣ :

والأمطار كثيرة والنعم متواترة جزيلة، وقد بسط الله نعمته ورفع منهم نقمته، وأسبل ستره عليهم ورحمته، ووضع لعباده البركات، وأعشبت الأرض بالنبات، وأزال القحط والجذب، وعمَّت سحائب الخيرات، ورجع الناس إلى أوطانهم بعد مفارقة أوطانهم وأولادهم، وحمد الله من بقي على سلامته^(٤).

وفي هذا الشهر تهيأ الإمام لإصلاح البلاد، وعزم على إزالة البغي والعناد، وأصر الوزير والأمير بتوزيع العساكر، وتوزيع البادي والحاضر، وإخراج الضربة وفرقها في البلاد، وتأهب للكفاح والجلاد، وأمر بحفظ من في السجون ممن كثر ذنبه وعظم خطبه، ووكل على حفظ صنعاء صنوه الجمالي سيف الخلافة، وقلده على حفظ الدور وما داخل السور.

(١) يضطروهم إلى الدفع.

(٢) المرايين.

(٣) خ الأضحا.

(٤) خ سلامتهم.

وخرج سابع محرم بهمة عليّة سامية،! وطيور الأسعاد على رأسه قائمة،
وتقدمت أمامه الجنود، وعقدت على رأسه الألوية والبنود، وجرت^(١) المدافع الكبار أمام
الجيش الجرّار وخرج الأعيان من صنعاء لتجهيز الإمام والدّعاء له، وبات في
(وعلان) واجتمع إليه مشايخ (سنحان) وقد أمر بخروج سيدي الجمالي علي بن
المهدي، وعمه محمد بن المتوكل صحبته، وأركبهما في شقدوف^(٢) فوق جمل
كهودج العروس، ووكل كل من يثق به من التّوابع بحفظهم، ويوم ثاني في جهران
بقرية (العليب) وأقام هنالك وانتظر وصول مشايخ أنس وأرسل لمن تأخر عن
الخروج معه من صنعاء لتجهيزه، مثل سيدي العلامة أحمد بن زيد الكبسي، وسيدي
العلامة يحيى بن مطهر^(٣)، فوصلوا إليه وأقاموا لديه ثلاثة أيام، وأذن لهم بالرجوع،
حتى وصل مشايخ أنس ومشايخ الحدا وعزم ذمار [٣٥] وتفقد أحوالها، وفتش عن
معايبتهم وصرف العسكر في دورهم، وأمر بحبس سيدي الجمالي، وسيدي العزي،
في حبس ذمار، وظفر بنفرين من الخارجين المقادشة فأمر بضربهم حتى هلكوا،
وكان النائب عن الحاكم سيدي يحيى بن محمد الأخفش، ووصل رجل من بلاد
الحدا وأقيمت عليه البينة أنه باغي فقطعت يده ورجله، وعقد الوزارة للقاضي
محمد بن علي الأرياني، وبقي البعض في يد الأنسي، ومحمد بن حسين الأكوع،
وأيقن أهل ذمار بالذّمار لعدم مراعاة الجار، وفرّق الوزير عليهم المعونات، ورادف
عليهم الغرامات، وبقي في ذمار نحو شهر ونصف، وكان يعاقب على المحقرات،
ويخاطب كل جاني بالتافات^(٤) وتوجه يريم وأقام شهر وثلاثة أيام، وكتب إلى
البغاة الذين في اليمن بالوصول والكف عن المحصول، فبعضهم وصل، وبعضهم
تمنّع وتجبّر وأصر واستكبر، وظنوا أن حصونهم مانعتهم، ولم يعلموا أن الذنوب قد
تراكمت، وقد أذاق الوزير أهل بلدة أريان النّقص، وجرّعهم الغصص، لما في قلبه
من الإحن القديمة والسوالف اللثيمة، وأمر الإمام بالخروج من يريم قتلًا أهلها
﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾^(٥) وحمدوا الله على الفرج، وحسن المخرج، وتوجهت
الأجناد كالسيل المنحدر، حتى وصلوا (المخادر) وأقام هناك، وقد أيقن البغاة
بالمهالك، وولّوا الأدبار، وأيقنوا بالإجلاء والدمار، واقفار الدّيار التي استوطنوها

(١) خ جرة.

(٢) مركب صغير كالهودج يوضع على الجمل وهو أكبر من الهودج.

(٣) هو علامة اليمن الكبير صاحب المؤلفات الكثيرة وفاته سنة ١٢٦٨.

(٤) كذا في المخطوطة ولعله التافات.

(٥) من سورة يس.

والمعاقل الذي أسسوها، ولم يزل يزلزل أهل العناد، ويصلح أحوال العباد، ويعمر بالدين البلاد، وتوجه إلى أب وهي مدينة الثجة^(١) المعروفة باب، واسمها هذا حميري أسماها به^(٢) بعض الملوك باسم جارية، وكان يهواها، واستمر إلى الآن، وهي من أحسن مدن اليمن، فيها الغرف والدّمن، جمعت كل رّوح وفن، لون الذهب أصيلها، وعرف المسك نسيمها، أنهارها في أرجائها جارية، وأسواقها وحماماتها ومساجدها للمحاسن حاوية، سكانها أهل الأدب والوفاء وإخلاص المودة والصفاء، وإن وقع الجمع بين الغث والسمين، فللحديث شجون فمن المكارم التّعميم وعدم التّخصيص والتّبيين ومعلوم أن أعيان البلد هم الناس والسفلة والغوغا مما يرد على خلاف القياس، ولما طاب فيها المقام، وزال وعك السفر عن الإمام، ونظر إلى حسن بنائها ومنظر جبالها ووديانها، فوجد ها بالمحاسن محفوفة، وبالغيول وأثواب السندس ملفوفة وهي موضوعة في أرض خضراء، فلذا سمي مخلاف جعفر المخلاف الأخضر، وهي أعلا وادي السّحول من جهة الجنوب وبركة^(٣) هذا الوادي على ممر الأزمان^(٤) لا تزول قيل فيه على لسن العوام:

إن أنت هارب من الموت فما من الموت مهرب
وإن أنت هارب من الجوع فأنزل سحول ابن ناجي^(٥)

وفي هذا الوادي مشهد السّيد عرفات قاتل علي بن الفضل القرمطي، كما تقدم ذكره، وذرية عرفات معروفين ببني عرفات في بلاد رداغ، وجبل هذه المدينة اسمه بعدان، مخرج النّهر العظيم المسمى الزبيدي، وهو من الأنهار الواصلة إلى بحر القلزم [٣٦] ومن العجائب أن سياق جامعها ينقسم نصفين نصف ينصب إلى الجنوب وينحدر إلى نهرها المنصب إلى بحر فارس البحر الشرقي، وناصفته^(٦) ينصب إلى الشمال، وينحدر إلى نهر الزبيدي المنصب إلى بحر القلزم البحر الغربي، ثم لا زالت الملوك تسكنها حتى سكنها عامر عبد الوهاب^(٧) ووزيره الفقيه علي بن علي

(١) هي بلدة خربة في السفح الشرقي الجنوبي لجبل التعكر وسيأتي ذكرها في موضعها آخر الكتاب.

(٢) خ سمها.

(٣) خ بركت.

(٤) خ إلا أرمان.

(٥) في معجم البلدان للحجري ٤١٨:

يا هارب من الموت ما حد من الموت ناجي ويا هارب من الجوع أهرب سحول ابن ناجي

(٦) نصفه.

(٧) من ملوك الدولة الطاهرية وفاته سنة ٩٢٣

النظاري^(١) المتقدم ذكره في سيرة عامر، ووطنه بعدان، وكان هذا الوزير رجلاً صالحاً فأجرى النهر العظيم النازل من بعدان إلى أزقتها ومساجدها، وعمر حمامها وأصلح جامعها وصل^(٢) بالأحجار حافاتها وشوارعها^(٣) وجعل درب من تحت السور إلى السايطة العظمى لدخول الماء [إلى] المدينة لئلا يقطع النهر قاطع من الجبل، ويتحيل عليها عدو بنوع من الحيل، وقد وضعها الواضع في أرض خضراء شعر^(٤):

تأمل أباً حينما لاح نورها^(٥) كبتت ملك في غلائلها الخضر
فشبهت مخضر الرياض ونشرها واشراق نور الدور للناس بالبشر
زبر جلة خضراً جرى فوق وجهها قضيب من البلور والدور كالدر
إذا لبست شمس الأصيل حسبتها عروساً كساها الحسن ثوباً من التبر

ولما استقر الإمام الناصر بسط الشباك لمن في بلاد إرب من البغاة، ووعدهم بالعطاء وجزيل الهبات، فوصلوا إلى حضرته ووكّلوا بعضهم البعض في حفظ الحصون، فأمر الوزير بإجّري نفقاتهم وإحسان نزلهم، وفي بعض الأيام طلبهم الإمام إلى حضرته، وأمرهم بتفريغ الحصون والمقاسم، ونهاهم عن التعدي والبغي، فطلبوا منه المغلّبات فتغاضى^(٦) عن جوابهم، فردهم إلى الوزير وأمره بتنجزهم وتجهيزهم، وقد أضمر في نفسه على حبسهم، فإن يتوبوا وإلا ضربت أعناقهم، فطلبهم الوزير الليلة الثانية وأمر بإحضار شردمة من أجناد الإمام والخدم، حتى ملأوا دار الوزير وأشهبوا السلاح، ودخلوا الخدم وأمرهم بلبس الحديد، ولما رأوا ذي محمد إلى الجند في الحُجَر والمقاصير^(٧) علموا أن ليس لهم مفر، فلبسوا الأغلال، وسلموا أسلحتهم قهراً، وأودعهم عند نقيب من نقباء التوابع أحسن طامش وأصحابه، فلما وصلوا إليه عضوا أناملهم لديه، وتيقنوا بوقوعهم في ذنوبهم فمنهم من افتدى^(٨) نفسه وسلم ما في يده

(١) كذا في المخطوطة ولعله محمد بن علي النظاري (انظر أخباره في غابة الأمان ص ٦٢٤) أو علي بن عبد الرحمن النظاري (انظر مطالع النيرين ص ٧٠).

(٢) رصف.

(٣) خ شوارعها.

(٤) هذه الأبيات أوردها المؤرخ زبارة في نشر العرف ٢٠٦/١ مع بعض اختلاف ونسبها إلى الأديب قاسم بن صالح بن أبي الرجال.

(٥) النشر:

تأمل أباً حين آب متيم سناها بديع في غلائلها الخضر
(٦) خ فتعاضلا.

(٧) جمع مقصورة (معروف).

(٨) خ أفدى.

من المقاسم، حتى بقي في قرية (مدر)^(١) محل السادة، فلم يسعدوا للوصول، فخرج عليهم الإمام بالعساكر والخيول والشجعان والفحول، وأحاطوا بالدور إحاطة النطق^(٢) بالخصور وقد وقع بينهم حرب عسير، وبعد وجهت المدافع إلى الدور، وأيقن البغاة بالموت، وصاحوا بالويل والثبور، وخرجوا إلى يد الإمام^(٣) ولهم عفوه والأنعام، ورجع السادة دورهم، وقد أزال الإمام عدوهم، وبعد ترميم الأحوال عزم الإمام على التجهيز على من في الحجرية وتعز من الأتراك، ووجه القاضي حسين [٣٧] بن يحيى البرطي وعين معه عصابة من أجناد الحق، وعقد له راية وتقدم كالليث الهادر والأسد الزائر وعقد الراية الثانية للرئيس علي بن سهل الهَيَّال، وتقدم بخولان وأتبعهم بعصابة من الفرسان، فليس كل أحد منهم جلد النمر، واندفعوا كالسيل المنهمر، وقد صاحبهم قاسم بن أحسن بن يحيى علي سعد، فهو الذي وصل من عند أبيه، وكشف للإمام من في البلاد من الأتراك، وهو في باطن الأمر طليعة من طلائعهم، ومبطن المكر والخداع، وتقدمت الأجناد حتى وصلوا (القصبية) خارج مدينة تعز وحطوا هنالك، وقد علم بهم الأتراك وصاروا يدبروا الحيلة في دخول المدينة، وأيقنوا بالجمالة والغنيمة، وقد جمع الأتراك جموعهم، وطلبوا من قبائل العرب من يعينهم، وأفاضوا عليهم من أموالهم، فلما علموا من أنفسهم بالثبات، وخرجوا من المدينة وتكرست خيلهم، وهمهموا بأصواتهم وضوّلوا^(٤) وهولوا، فلما علمت بهم الأجناد المنصورة، ثبتوا لكرتهم أتم ثبات، وقاتلوهم برمي البنادق وطعن المرفقات، وثبت القبائل الذي مع العجم وكان يوماً عسيراً، وقتل في ذلك اليوم عدّة رجال، وتجنّدت أبطال، وكانت الدائرة والظفرة لجنود الإمام، وهزموا الأتراك ومن معهم، حتى دخلوا مدينة تعز، وأحاطوا بهم إحاطة الأطواق بالأعناق، وغنموا أسلحتهم وأمتعتهم، وقطعوا من رؤوسهم ما يشفي الغليل، وأذاقوهم الوبال والتنكيل، ورجع القوم محاطهم، وظهر مكر آل علي سعيد، فإنهم نصروا العجم، ودخلوا المدينة وأظهروا الخديعة، وحملت الرؤوس إلى حضرة مولانا الإمام، فعجب الناس من كثرتها وشناعة^(٥) خلقها، حيث لم قدّ^(٦) عرفوها، وعلقت في باب (إب) ووقع بها موقع في النفوس، وانتظر من في مطرح القصبية وصول العطايا والنوال، جزاء لما صادروا من الأهوال،

(١) قرية من ذي جبلة.

(٢) النطق بضم النون جمع نطاق معروف.

(٣) خ إلا أما بدون ميم أخرى.

(٤) صاحوا.

(٥) خ شناعت.

(٦) هكذا تأتي لم الجازمة والنافية قبل الفعل الماضي على حسب قاعدة أهل صنعاء في كلامهم العامي.

فقلب لهم الوزير ظهر المجن وجَرَّعهم أفاويق المحن، هذا وقد قتل الرئيس الأكبر القاضي حسين بن يحيى البرطي، وقتل ابن الرئيس الثاني علي بن سهل الهيال، وغيرهما من سائر الناس، وقتل من الأتراك خلق كثير، ولوا وقعوا بهم وقعة ثانية كانت القاضية، ولكنه وقع المكر من عدم الإرسال لمن في المطرح بالعطاء والميرة الذي ما عبد الله إلا بها وهو الزاد^(١)، ولا يعلم الوزير السخيف أن البلاد في يد العجم، وأنه متعذر المجلوبات إلى جند الإمام، وبقي يواعدهم مواعيد عرقوب أخاه^(٢) ولم يفي، فلما علم الأتراك ضعف قوتهم، وعدم مددهم وقل ميرتهم، طمعوا في البلاد، وظنوا أن أهلها سريعين الانقياد، وقد استدعاهم الشيخ سعيد بن أحمد علي سعد إلى بلاد (العديين) وخان أمانته، وهو عامل من جهة الإمام، فنهض من العجم قدر ألفين حتى وصلوا مدينة العديين، وفتحت لهم المدينة وأظهروا [٣٨] القوة والزينة واستولوا على البلاد، فعجب الناس من أمرهم ومن الطيافة والصلب لرؤوسهم، فإن هذا واقع عقيب وصول الروس صنعاء، والسبب وقوع الخيانة من الوزير بقطع الزاد على الأجناد وهم في (القصيبة) ناثين عن القريب والبعيد، والعدو محاذي لهم، وهم منقطعين مقاتلين ومقتولين في حصار الترك خائفين، فكيف زِد يصيروا جاوعين^(٣) يا وزير السوء، ومن المحال أن تجد من يكرم برأسه من قطع رزقه ومعاشه، فرفعت الأجناد من من حول تعز إلى (القصيبة) الذي وصلوا إليها أولاً يبغون وينهبون ويقتلون ويأكلون ويشربون، وينتظرون ما ينتج من نتيجة أو يصل لهم نبأ هذا، والوزير مشغول بما يُعْمِي ويصم من الظلم للرعية واستحلال أموالهم بخبث النية ويجمع إلى حصنه المسمى (أريان) الأموال والسلاح، ويسلم إلى الإمام ما يسكن به عنه القيل والقال، والألسن لا تكف من الدعا عليه ولهم رب لا يتخلى.

(سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد)^(٤).

(١) من أمثال العوام يقولون... لولا الراد ما عبد الله وليس حديثاً.

(٢) من أمثال العرب وعرقوب رجل جاهلي يضرب به المثل في إخلاف الوعد قيل هو ابن سعد بن زيد مناة بن تميم وقيل هو من الأوس أو الخزرج قال كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأساطيل

(٣) أي جائعون.

(٤) يكثر المؤلف من الإستهزاء بهذا البيت أو صدره وهو من بيتين شهيرين للإمام محمد بن إدريس الشافعي المتوفي سنة ٢٠٤ هـ:

أنهزاً بالدعاء وتزديره وما تدري ما صنع القضاء =

ولقد ضاقت الحبوس بمن فيها، وبلغت النفوس أقاصيها، هذا والقليل يدل على الكثير، والبرق يخبر عن النوء المطير.

فلما علم الإمام بوصول الأتراك العدين، نهض إلى ذي جبلة وأمر بالمقام فيها وحملت الأثقال إليها وبينها وبين العدين أقل من يوم ولا زال يطوف في نواحيها ويرغب في الوصول إليها قاصيها ودانيها، وقد اعتري الأتراك الفشل وداخلهم الخوف والوجل، قد كان همُّوا بالهرب من العدين بعد علمهم بوصول الإمام إلى جبلة، فطلب الشيخ سعيد بن أحمد قبيلة بني عَوَاض وأمرهم بحفظ المدينة، وأصلح أمورهم مع الأتراك، وهذه القبيلة من أحسن القبائل في العدين، فإنهم يحسنون رمي البنادق، فجَهَّز الإمام^(١) بطله الضرغام والليث الهمام الماس بَلَسَه، وعقد له راية، فجهز معه من التوابع وسائر القبل قدر خمس مائة رامي، وقد اشتاق الناس للقاء الأتراك طمعاً في الغنيمة من أسلحتهم والسلامة من شرهم، لعلمهم أنهم لا يحسنون الرمي بالبنادق، إنما يوجهوا بنادقهم إلى جهة عدوهم ولا يقصدوا محل ومكان، فشرط الأمير الماس شروطه على الوزير، حذراً مما وقع منه في التسهيل والتقصير، وعدم الالتفات إليهم بمحتاجاتهم، وتقديمهم على الأتراك ومعاهم^(٢) كفايات فاضلات، فامثل الوزير وعزم الأمير وتوجَّه إلى العدين، وإبراهيم باشا يمدُّهم بخيل في إثر خيل، ورعيل بعد رعيل، وتقدَّموا نقيلاً الحزحزي غربي حصن التعكر، وبعد قدومهم وصلت خمسة رؤوس من الترك إلى حضرة الإمام من لدى الشيخ قائد سنان فأيقن الإمام بالنصر وضربت البشائر وما بقي في اليمن مكان إلا ضربت فيه البشائر وابتهلوا بالدعا إلى عالم النجوى والسرائر، وكانت تلك الليلة في جبلة يوم عيد، ومع طيب الهواء وسكون الخواطر والإستواء طاب المقام وصَدَّقَتْ/الأمانى الأحلام وهذه جبلة من أحسن مدائن اليمن، قيل أن هواها بلُوري وهوا غيرها زجاجي والأمر كما ذكر المشبه.

وإذا ذكرنا جبلة فلنذكر نبذة من خبرها فالشيء بالشيء يذكر وقد تقدم نبذة من أخبارها في سيرة بني الصليحي^(٣) أقول: جبلة مدينة حديثة البناء إسلامية بناها الصليحيون وسكنوها وإسمها باسم مالكةا وهو جبلة اليهودي وقد تقدم ذكره وقد مدح

= سهام الليل لا تخطى ولكن لها أمد ولأمد انقضاء
أنظر ديوان الشافعي ص ١٧ ط المكتبة الشعبية.

(١) خ الأم.

(٢) معهم.

(٣) في الفصول السابقة وهو منقول من غاية الوماني انظره ص ٢٦١

هذه المدينة سيدي علي بن المتوكل^(١) فقال^(٢):

ما مصر ما بغداد ما طبرية كمدينة قد حفها نهران^(٣)
خَدِدُ لها شام وحبّ مشرق والتّعكر العالي المنيف يماني
غيره:

لما ذكرت ليالياً مرت لنا في جيلة الغنا ومن أهوى معي
وطيورها نشد على أغصانها والماء جار في الجهات الأربع
وبها من الولدان كل مخلد وخرابة تزرى بشمس المطلع

وإذا ذكرنا المخلايف فلنذكر السبعة^(٤) وجزيرة العرب المحتوية على السبعة
المخالييف مما لك أقيال حمير وتبع الأكبر والأصغر وسيف بن ذي يزن وأسعد الكامل
الذي إن غضب قام لغضبه سبعون ألف مقاتل. وقد تقدم خبره، أقول: الذي قرره
أهل التواريخ أن جزيرة العرب في العرض من عدن إلى المدينة المشرفة^(٥) وهي في الطول
من البحر الغربي بحر القلزم إلى البحر الشرقي بحرفارس فصَحَّ الطُّول مسيرة خمسة
وعشرين يوماً والعرض إثنان وأربعون يوماً. ثم أن هذه الجزيرة قَسَموها الأقيال حمير إلى
سبعة مخالييف سنذكرها. الأول: مخلاف المعافر: وهو من عدن إلى العدين فمن
بلاده فرضة عدن والمخا وحيس وفرضته، داخلاً فيه موشح وشرعب ومطرحه القحيم،
ومدينة تعز ومطرحها ذبحان والجند والعدين، الثاني: مخلاف جعفر: المسمى
المخلاف الأخضر وبلاد قعطبة وصُهبان، ومطرحه نجد الجماعي وذو السفال وحيلة
واب. وحبيش ومطرحه ظَلَمَة والمخادر، الثالث: مخلاف تهامة: المسمى السليماني
ومن بلاد زبيد وبيت الفقيه وفرضته الحديدية واللّحية بفرضتها، وفرضة جيزان وأبي
عريش وصيبا، الرابع: مخلاف عبس: ومن بلاده وصاب الأسفل ومطرحه سوق
الأحد، ووصاب الأعلا، ومطرحه الدَّن، وعتمة ومطرحها الرّبوع، وريمة ومطرحها
كسمه، وحراز، ومطرحها مناخة، وحفّاش ومطرحه الصّفقيين، الخامس: مخلاف

(١) هو الأديب علي بن المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم وفاته سنة ١٠٩٦ انظر كتابنا الأدب اليمني عصر
خروج العثمانيين ص ٢٦٩

(٢) كذا عند المؤلف وقد وجدت هذين البيتين منسوبين إلى عبد الله بن يعلى انظر نشر العرف ٢٠٤/١ ومجموع
بلدان اليمن للحجري ص ٣٥

(٣) الأصل: نهراني.

(٤) في الأصل: السبعة.

(٥) لا يخلو كلام المؤلف في الحديث عن هذه البلدان من خلط وخطأ يراجع في هذا الشأن كتاب صفة جزيرة
العرب للهمداني.

يحصب: وهو محل الأقيال من حمير ولا يكون الملك إلا فيه لتوسطه المخاليف، ولكثرة رجاله وفتكهم. ومن بلاده يريم وخبان، ومطرحها الرضمة ورداع وذمار ومغرب عنس ومطرحه بيت نصر وأنس ومطرحها ضوران، وخولان، وصنعاء والخيمة ومطرحها العر، وكوكبان وثلا وعمران وحجة والسودة وشهارة وصعدة وما بينهما. والقبائل بين هذه البلاد من الحسين حاشد وبكيل، والجامع لهم همدان بن زيد، السادس: مخلاف قحطان: ومن بلاده طب^(١) والطائف وفرضته جدة ومكة المشرفة وبدر والمدينة المشرفة، وفرضته أيضاً ينبع. السابع: مخلاف التبايع: وهو الشرقي من حضرموت والجنوب إلى مسكت^(٢) دجلة والفرات في بحر فارس من السماك، ومن بلاده فرضة الشحر ومكلا وعمان وقصبتها مسكات وظفار والبحرين ورأس الخيمة والحسا والقطيف ونجد وقصبة الذرعية^(٣).

فلهذه السبعة المخاليف بحدودها.

ونرجع إلى ما كنا بصدده وقد خرج الكلام بنا عن المقصود ولكن لا يخلو من فائدة.

ولنعد إلى ذكر الإمام الناصر ولما وصلت البشارة من العدين وصلت تعزية صنوه الجمالي من صنعاء المحمية علي بن أحسن فحمد الله على ما قضى وشكره عفى ما به ارتضى واستشهد:

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان^(٤)

وجهاز من لديه إلى صنعاء صنوه العزي محمد بن أحسن سيف خلافه وأقام الإمام في جبلة ما شاء الله والوزير باق على ما تقدم وقد وكل صنوه يحيى بن علي الأرياني للظلم واستخلاص الأموال بغير حق كأنها مغانم مع قوة عزمه وعدم رأفته ولا علم أن العاقبة غير محمودة ومظالمه في صحيفته مكتوبة وموجودة.

وفي آخر جماد جاءت الأخبار بما أقلق الخاطر ونغص القرار بأن الخشرد قبض حصن عزان واجتمع إليه أهل بعدان وقد ابتدأ بعمارة الحصن الذي أخربه الإمام، وهذا الخشرد هو من البغاة الذي أطلقهم الإمام من السجن فوقع التفاؤل

(١) كذا في الأصل لعله «طيه».

(٢) هي المعرفة الآن بمسقط من عمان.

(٣) في كلام المؤلف حول تحديد هذه البلدان خلط وتعميم يراجع فيه الكتب المعروفة في هذا الشأن.

(٤) من شواهد مغنى اللبيب ٧٢/١ وهو بيت مشهور لحضرمي بن عامر.

باسمه^(١)، فتغيرت أحوال البلاد، ورجع الإمام إلى مدينة اب وقدم عليه عصابة من العساكر، وقد اجتمع عند الخشر من قبائله فوقعت الحروب، وخان بعض الأجناد لرضائهم بالبغي والعناد.

وقد اجتمع من قبائل همدان ما ملأ الصحاري والبلدان عند الإمام، وقد أبدلوا الطاعة بالطغيان، من حين علموا بخبر عزان والرعايا قد رضوا بالبغاة، وظنوا منهم السلامة والنجاة لما قد صودروا ولاقوا من ظلم الوزير وأخيه الشرير، لأنهم أفقروا الناس، وفي خلال هذا تقدم الأمير الماس بلسه بمن معه من أجناد الإمام على من في بلاد العدين، بعدما شرط الكفاية على الوزيرين ووضع محاطه في مناهات^(٢) وأصدقوا للوضع وأخلصوا النيات ووقعت بينهم وبين الأجناد المصرية معارك شديدة، وقتل وأسروا من الأتراك خلق كثير لله در الأمير، وكانوا يترامون وقليل ما تصيب، ولعلمهم تخادعوا العرب^(٣) فسأل الأمير أحد الأساري الذين لديه، وهو من الأتراك: ما هو الذي يخافون الترك منه في القتال وينهزمون ويتفرق جمعهم به، فأجاب عليه التركي: إن/أخبرتكَ ستطلقني وتفك أسري، قال: نعم، قال: أعلم أيها الأمير إن الأتراك لا يهولهم شيء لا كثر جنود ولا رماية كالرعود، ولا يهزمهم ويفرق جمعهم غير الشباري يعني الجنابي^(٤) وسأريك ذلك، وطلب ملبوس من حق العرب لأجل لا يعرفوه، ووقع الحرب ساعة وجرد^(٥) من الأمير شبرية يعني جنبية^(٦) وجردها وصاح فوق الأتراك، وتبعه الأسود أهل الضرب والطعن والكفاح، فهزموا الأتراك هزيمة منكرة، وغنموا مخطاتهم وخيلهم وسلاحهم وخيامهم، وقطعت الرؤوس، ولا زدت التفات أولهم على آخرهم، والضرب والطعن في ظهورهم، وأسروا منهم خلق كثير، ووصلت الرؤوس والأساري إلى حضرة المولى، وما وسع الأتراك إلا الدخول في العدين والأمير طنب مطرحه محاصراً لهم، وطلب من الوزير الزيادة وما يحتاجوه من الميرة والإفادة فأصغى الوزير وأذعن وقلب لهم ظهر المجن كفعله أولاً، وجرعهم فائق المحن وأمره بالإرتفاع من العدين، وحثه على الوصول فارتفع بمن معه، وقد

(١) خشر الحزمة: نقضها وهو من العامي.

(٢) مناهات: عزلة من ناحية شلف من بلاد العدين سيأتي ذكرها في آخر الكتاب.

(٣) في الأصل: فسَل.

(٤) الخناجر اليمنية، والشباري، جمع شبرية: المدينة كأنها بقدر الشبر قاله الأب أنستاس الكرمللي في بلوغ

المرام ٤٢٨

(٥) أخذ أو سحب.

(٦) قال الكرمللي في بلوغ المرام ٤٢٢ تجمع على جنابي سميت كذلك لأنها توضع على الجنب.

كان أيقن الأتراك بالهلاك، فعجب الناس من أمره وظنوا عجزه وقل صبره ولا يعلمون إن الوزير مشغل بجمع الأموال، وفي ظاهره إلا أنه يريد ترميم الأحوال، وهو مشغل بما هو أهم، وقد أعماهم الظلم وأصم، ومع^(١) كثرة الجموع من القبائل ما وسع الإمام إلا السكوت.

وفي خلال ذلك وصل النقيب علي بن سهل، الذي كان محاصراً لتعز، وقد قتل من هو عليه يعز وهو^(٢) ولده وكان مناظراً للميرة من الوزير، وبعدم الزاد وقع الكساد، وبعد ذلك عجز الوزير عن كفاية^(٣) ذلك الجم الغفير أطلقوا من كان لديهم، وقد كان أشرفوا على الهلاك من الجوع، هذا والبغاة الذين في بعدان إلى زيادة، وقد رفعوا البناء وتحصنوا، وقتلوا من أصحاب الإمام خلق كثير، منهم النقيب هادي الشايف، وانهزم جند الإمام، وكان ينزلون البغاة إلى أسفل الجبل ويرمون إلى المدينة، وانحصر الإمام بمن معه في مدينة أب، وصار البغاة يطلبون فك محابيسهم وأصحاب الناصر مع انقطاع العطا والطعام انقلبوا بغاة وما وقع إلا إطلاق محابيسهم، وخرج الإمام من أب، راجعاً إلى صنعاء، وكان يوم خروجه يوماً عبوساً، فكل فرد من أصحابه أيقن بالهلاك بسبب انقطاع جميع المسالك، وكل واحد يريد ينهب الآخر، وما وصل الإمام إلى المخادر إلا بشق النفس وكثرة الأثقال بقيت في مدينة أب، وفرج الله على أهل المدينة من الحوزة^(٤) ورجعت البغاة مقاسمهم، وعمروا معاقلمهم، وأخذ الإمام على من حضرته من القبائل، حفظ الأثقال ووعدهم بشيء من المال بعد وصول المدافع والخيام يريم. / ورجع بخفي حنين ونعق بينه وبين اليمن^(٥) غراب البين، ولم يزل الخوف والفساد وراءه حتى وصل صنعاء المحمية، فلا قوة إلا بالله، وهذه عاقبة الظلم الخسران، والبعد عن الراحة والأمان، وإن كان الإمام رحمه الله لم يباشر الأمور، فسكوته عن الظلمة مما يخرج الصدور وبالنظر إلى من قبله وبعده، فهو عظيم القدر جليل الخطر، ودأب أهل هذا البيت العفو والتجاوز منهم الذين بهم يهتدون وبأفعالهم يقتدون ولكنهم يقلدون الظلمة الأعمال، ويحملوهم الأثقال فيأتون من جهتهم ولا يسلكون مسلك من قبلهم من آبائهم الأكرمين، ولا ينظرون في سيره^(٦) الخلفاء الراشدين اللهم اغفر للأولين والآخرين.

(١) خ معا.

(٢) خ وهو.

(٣) خ كفايت.

(٤) الضيق والحصار.

(٥) يعني اليمن الأسفل وأب ونواحيها وكذا تعز.

(٦) خ سيرت.

ولما أقام بصنعاء صلحت أمور جميع البلاد ما خلا اليمن وتهامة.

وفي آخر هذا العام خرجت القبائل من أرحب على البروية وعضدهم أهل بيت ردم وكانوا يأوهم وينصرونهم، وانتهبوا رأس البروية بسبب التقصير في ضبطهم كما قيل شعراً:

هم العشيرة لا ترثي لحالهم غير الوجوه إذا لم يظلموا ظلموا
وأمر الإمام بالتجهيز عليهم ووقع حرب عظيم وقتلى من الفريقين، وما وقع مصالحتهم إلا بفلوس، ورجعوا بلادهم، وقد انتهبوا ما في تلك القرى من الطعام والمنقول.

ودخلت سنة ١٢٥٤:

وفيها خرج آل أبي حليقة نعد^(١) وطرف سيان واستولوا على ريمة حميد وانتهبوا ما فيها، وقد كان خرج عليهم الإمام فهربوا إلى الشُرزة، ونهبوا الطرق فهم بقصدتهم إلى أوطانهم فنهضوا إلى الزيلة ونهض الإمام إلى سيان، فلما علموا أن الإمام لا ينفك عنهم، رجعوا إلى أوطانهم وشغلوا الإمام بإيهامات وغزوا (دار عمرو) وأخذوا ما فيها وتوجه عليهم الإمام وما وقع إلا الصلح، وخرجوا طائعين ورجعوا بلادهم أقماهم الله.

وخرج رجال أرحب على كوكبان يريدوا قبض حصن بكر، ففطنوا بهم ووقع القتل والكسر فيهم وخيب الله أملهم ورجعوا مكسورين.

وفيها دخل في^(٢) نفس الإمام على همدان بسبب أن أهل القرى من بلاد البستان إعتزوا إليهم في ذنهم^(٣) أنهم أهل منعة، وقبيلة متسعة، وما ذلك من البستان إلا كالتجوز، فدخل في قلب الناصر لما سبق أن همدان من الباطنية فصبر وفي العين قذا وفي الحلق شجا وفي قلب همدان من القلق من الإمام وتشاءوا به حين تلقب بالناصر خوفاً من أن يفعل بهم كما فعل بهم الناصر صلاح الدين^(٤)

(١) كذا في المخطوطة وأظنها نُعْظ بالظاء وهي ناعظ أنظرهما آخر الكتاب.

(٢) كلمة مطموسة.

(٣) خ ذنهم.

(٤) لعله يعني الإمام الناصر صلاح الدين بن علي بن محمد من أئمة اليمن حكم سنة ٧٧٣ وتوفي سنة ٧٩٣ وقد عرف تاريخه بحرية للباطنية.

رحمه الله، والقصة مشهورة، وكانت همدان وصنعاء مواطن بنوا الأنف، سكنها بنو الأنف وغيرهم والآن لم يبق غير المكارمة ومن تابعهم وأخواتهم وسيأتي ما آل إليه الأمر بين همدان والإمام.

وفيها في أول السنة المذكورة عزم الإمام على إخراج/سيدي الجمالي علي بن المهدي، وسيدي محمد بن المتوكل، وهم بضرب أعناقهم حتى يستريح منهما، ويزيل ما في خواطر الناس، وهذا من أشوار أرباب دولته الذي عقولهم ضالة، لا ينظرون العواقب الدنيوية والأخروية، وأفاض الرأي على بعض أهل الرأي مثل الأمير عنبريسر، وغيره من السادات، فلما نظروا إلى تضييمه وعدم قبول التعليم في تلك الحال حيثما يريد إلا قوله ومقاله ولا قبول للنصحية فأمر الإمام في اليوم الثاني يوم الثلث بحضور العلماء والأعيان وأرباب الدولة وأكابر أهل صنعاء وجميع الحكام إلى ديوان الحرض في القصر، وأمر خواصه وأهل الأسلحة بلبس أسلحتهم، وقد كان في ذهنه رخصة في قتلهم ويريد إلزام الناس بالموجب والمساعدة وعدم الخلاف والمعاندة كما قيل شعراً:

حكو باطلاً وانتضوا صارماً وقالوا صدقنا فقلنا نعم

والأجال محتومة والأعمار معلومة، فلما استوى على كرسيه والناس مجتمعون في (المرادية)^(١) وأعوانه يطلبون الناس إليه للدخول^(٢).

وقد ألقيت الوسوس الذي في قلبه إلى قلوب الناس، كما قال تعالى: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾^(٣).

فسمع بعض خواصه الناس يتحاكون^(٤) لأن فعل هذا لتكون فتنة كبيرة لا تنفك، ويثور فيها العامة ويهلك خلق كثير، فدخل عليه وأخبره بما سمع من الناس فيما دخلوا الأكابر عليه وأصدقوه بما في الضمائر، فرجع عن ذلك، وقال: لم ندعوكم إلا لأمر حدثت، وتعلل الحكام بأنهم صاروا كثيراً وأنه يقوم بهذه الوظيفة أقل منهم، وتعلل بسؤال في الصلاة في المساجد التي من مباني الظلمة، ولا يعلم أن بيت الله الحرام باقي على بناء الحجاج بن يوسف الثقفي إلى الآن، وهو

(١) يعني المدرسة المرادية ستاني.

(٢) خ لدخول.

(٣) سورة الأنعام الآية ١١٢.

(٤) يتحادثون ويتهامون.

من أشرّ الخلق والسلف والخلف وأهل البيت والصّالحين يحجون بيت الله في كل عام، ولم يتكلم علماء أهل البيت وغيرهم في ذلك بشيء، ولا هدموا مسجداً ولا امتنعوا من الحج، والبعض في جامع صنعاء باقى على بناء الظّلمة بني الصليحي، ولولا أن يسر الله لسيدي العلامة البدر الصفي أحمد بن زيد الكبسي عافاه الله أحسن العبارة للإمام، وتولّى الجواب بحسن الخطاب، وبما يوافق مراده وإلاّ فهو أحقّ الطبع وازداد الحمق حين ما تمّ له مراده، وخرج النّاس من عنده بعد العصر، وصلّوا العصر ذلك اليوم مرتين مع الشك من الإمام في القبلة في الإستقبال.

وفي اليوم الثاني أرسل إلى الأعوان يتجسسون على الحكام، فوكل في الأذية القاضي إسماعيل جفمان^(١) والسيد يحيى بن محمد الأخفش، وأمرهم بالاختبار والانتقاد وهم أخصر بالاختبار والانتقاد، بل أضر من بعض العباد، فتارة يعيوا الحكام بأن هذا يعرف سنة رسول الله حيث ما عندهم غير المذهب، وتارة بأن هذا يحبّ الصّحابة لرسول الله، ويعددوا مثالبه في الحقيقة فهم محامد وإنما كما قيل^(٢):

عجبتُ لمن يخفى له عيب نفسه ويعموا عن العيب الذي هو فيه
وما خير من تخفى عليه عيوبه ويبدو له العيب الذي لأخيه

فتيقنت قطعاً بأدبار/دولة هذا الإمام، فبعد موقف ديوان الحرض أول مصيبة أصيب بها الإمام موت أخيه سيف الخلافة سيدي محمد بن أحسن، وهو آخر إخوة الإمام وبقي الإمام فرداً، وأقام مقام أخيه سيدي الفخري عبد الله بن عبد الرحمن بن المهدي حماء الله، وهو أجل قدراً وأعظم ذكراً ما كان أحقه بالإمامة لكمال شروطه، وسلك في الناس والأجناد مسلك أهل الصلاح والرشاد.

وفي صفر تلاشى الأمر وخالفت أطراف البلاد، واضطرب أمر ريمة ووصاب، وانقطع الرجاء والأمل من بلاد رادع.

وفي صفر تلاشى الأمر وخالفت أطراف البلاد، واضطرب أمر ريمة ووصاب، وانقطع الرجاء والأمل من بلاد رادع.

وفي الشهر وثب أهل رادع على الحاج عبد الله الخولاني، الذي وازر مع الإمام

(١) هو الفقيه العلامة إسماعيل بن حسين جفمان من العلماء له مؤلفات وكان ملازماً للناصر وقتل معه سنة ١٢٥٦ كما سيأتي ذكره (انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ١٤١).

(٢) وجدت هذين البيتين منسوبين لشاعر يعرف بالكريزي.

المهدي وقتلوه غيلة، وأخذوا ما قد كان جمع من المال وغيره، ووصلوا بالرأس إلى الإمام، وصلب قدر نصف شهر، وفي آخر صفر خرج الإمام وادي ظهر على جاري عاداته، فلما وصل قريب الضربة حيل بينه وبين الوصول واجتمعت همدان إلى الطرق ومنعوه المرور، وترتبوا في رؤوس الجبال حيث قد امتلأت^(١) قلوبهم عليه، فأمر بالخطاط وطلب المدافع والخيام، واجتمعت إليه القبائل، ووقع بينه وبين همدان ما غرس الشحنا في القلوب، وسقاها بماء الأحزان والكروب ووقع بينهما صلح على رجوع الإمام صنعاء، وأدخل في سلسلة الحديد أربعة أنفار من صغار همدان، وقد سقط قتلاً من الفريقين الكثير من قبيلة بني الحارث ابن كعب، قتلوه همدان واحتزوا رؤوسهم، فوقع في قلوب بني الحارث من الأحن، ورجع الإمام صنعاء وبقي نحو شهرين .

وتضامنت قبيلة بني الحارث وأرحب أنهم يقعون يداً واحدة على همدان، وألقوا في بال الإمام أن أهل وادعة والجاهلية الرّبع الأسفل في همدان قد حصل منهم العناد، وأنه في الباطن فساد، وألزموا نفوسهم الحرب لهم وعلى الإمام إعانتهم، فخرج إلى الروضة وطلب التّوابع، وأمر بجّر المدافع وسنحان معه إلى أن وصل وادعة، وخرج أرحب وبني الحارث بقضّهم وقضيضهم، والتقتهم همدان، ووقع الحرب والطعان، وقطعت رؤوس من همدان، وأرسل بها الإمام إلى صنعاء، وعلقت في باب شعوب، وأخربوا سوق جربان، وبعض معمر الذيب، وآل الأمر إلى الصلح وعقايير للإمام أنحرت بين يديه، وسلموا شيئاً من المال إليه، وأدخلوا قبائل في الزّناجير^(٢) من وادعة، حتى يسلموا المعيّن عليهم، ورجع الإمام إلى صنعاء مؤيداً منصوراً.

[و] في ذلك العام حدث أن الترك نظموا أمور اليمن الأسفل، وعمروا المدن والأسواق وأمنت البلاد وكثر المال في أيدي الأراذل.

وفي رجب نجم نجم الهلاك لابن علي سعد، وحن أجله وانقطع عمله والسبب ما به فرح: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾^(٣) وهي^(٤) الودائع التي أودعها عنده تركي ابن الماز، حين خرج ابن ترابة على تهامة، ولا زال إبراهيم باشا يبسط له شباك القنص بدهائه، وذلك أنه ولى ولده قاسم بن أحسن على تعز والحجرية، وفوّضه في جميع البلاد، وأناط إليه وإلى إخوته جميع الأعمال، ولا زال يكتب إلى والدهم

(١) غ امتلت.

(٢) نوع من القيود يضم اليد والرقبة.

(٣) سورة القصص الآية ٧٦

(٤) غ وهي.

وَيُسْتَشِيرُهُ فِي الْأُمُورِ الصَّعَابِ، سَيِّمًا أَعْمَالِ الْيَمَنِ، فَمَا يَقَعُ دُونَهُ شَيْءٌ بَلْ فِيمَا دَقَّ وَجَلَ، وَأَرْخَى لَهُمُ الْعَنَانَ حَتَّى رَكَنُوا إِلَى/الدَّعَةِ وَالْأَطْمَثَانِ، فَكَتَبَ أَحْسَنُ بْنُ عَلِيٍّ سَعْدَ إِلَى الْبُوشِ^(١) الَّذِي مَدَّارُ الْأُمُورِ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَلْقَوُهُ لِلْمُوَافَقَةِ إِلَى (الرَّمَادَةِ)^(٢) وَيُرِيدُ يَأْخُذُ لِأَوْلَادِهِ الْمَوَاطِيقَ الْأَكِيدَةَ، وَمَا صَنَعَ إِبْرَاهِيمُ بَاشَا تِلْكَ الْخُدَائِعَ إِلَّا يُرِيدُ ذَلِكَ الْإِسْتِفْرَادَ بِهِ، فَاسْتَعْجَلَهُ لِنَفْسِهِ، وَخَرَجَ مِنْ حَصْنِهِ الْمَانِعِ إِلَى سَوِّقِ الرَّمَادَةِ الشَّاسِعِ، فَلَمَّا التَّقَوُ قَامُوا لَهُ وَعَظَّمُوهُ وَجَلَّلُوهُ، كَأَنَّهُمْ بِأَمْرِهِ يَأْتَمِرُونَ، وَبِنَهْيِهِ مَنْتَهُونَ، فَأَتَمُّوا لِيَلْتَهُمْ وَأَسْعَدُوهُ إِلَى مَا طَلَبَ، وَقَدْ حَفَظُوا جَمِيعَ الطَّرِيقَاتِ، وَقَدْ أَمَرَهُمْ إِبْرَاهِيمُ بَاشَا بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ، وَإِرْسَالِهِ إِلَيْهِ، وَكَانَ الشَّيْخُ أَحْسَنُ بْنُ يَحْيَى يَعْتَقِدُ بِضَرْبِ الرَّمْلِ^(٣) فَضَرْبِ الْأَشْكَالِ فَنَظَرَ عَلَى نَفْسِهِ حَمْرَةً، فَاسْتَدْعَى الْمَزِينِ^(٤) وَفَصَدَّ، وَضَرْبِ الْأَشْكَالِ فَوَجَدَ عَلَى نَفْسِهِ حَمْرَةً، فَاسْتَدْعَى الْحِجَامَ وَاحْتَجَمَ، وَضَرْبِ فِي الرَّمْلِ فَوَجَدَ الْحَمْرَةَ بَاقِيَةً، فَقَامَ مَتَغَرًّا وَخَرَجَ مِنْ حِينِهِ يُرِيدُ الْفِرَارَ، وَصَحْبَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِهِ وَأَيْنَ الْفِرَارِ مِنَ الْأَقْدَارِ، وَرَمَقَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ بِأَبْصَارِهِمْ، عَرَفُوهُ فَوَثَبُوا وَثَبَةَ اللَّيُوثِ الْعَابِسَةِ وَعَشَرُوا فِيهِ بِالْبِنَادِقِ حَتَّى أَثْخَتَتْهُ، وَمِنْ مَعَهُ الْجَرَاحَاتِ، وَقَتْلَ عَبْدِهِ النُّجَيْبِ الْمَسْمُومِ فَضَلَ اللَّهُ وَوَثَبَ عَلَيْهِ الْأَعْلَاجُ^(٥) وَقَطَعُوا رَأْسَهُ وَدَحَسُوهُ^(٦) وَحَشَوْهُ بِالْعَطَبِ^(٧) وَطَلَوْهُ بِالزَّبْطِ لِأَجْلِ لَا يَتَغَيَّرُ، وَأَرْسَلُوهُ إِلَى مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ بَاشَا، لِأَنَّهُ قَدْ اشتهرَ بِاسْمِهِ، وَمِنْ اشتهرَ بِاسْمِهِ طَمَسُوا رَسْمَهُ، هَذِهِ عَادَةُ الْعَجَمِ^(٨)، وَقَبَضُوا عَلَى أَوْلَادِهِ فَلَمَّا أَحَسَّ جَمَاعَتُهُ الَّذِي فِي (مُؤَيِّمِهِ) رَتَبُوا الْحَصْنَ فَهَدَدُوا أَوْلَادَهُ الَّذِينَ فِي الْبَنْدَرِ بِالْقَتْلِ^(٩) فَعَرَّفُوا إِلَى مَنْ فِي حَصْنِهِمْ لَا تَذْهَبُونَا^(١٠) فَنَحْنُ مَشْرِفُونَ عَلَى الْقَتْلِ فَفَتَحُوا الْحَصْنَ، وَأَخَذُوهُ الْأَتْرَاكَ، وَأَخَذُوا جَمِيعَ مَا أَوْدَعَهُ تَرْكِي بْنُ الْمَاسِ^(١١) بِالْوَفَا وَالتَّمَامِ، وَأَخَذُوا مَعَ الْوَدَائِعِ مَا جَمَعَهُ بَيْتُ عَلِيٍّ سَعْدَ جَمِيعَ، مِنْ أَوَّلٍ وَآخِرٍ، أَضْعَافَ الْوَدَائِعِ، وَخَرَبُوا الْحَصْنَ،

(١) جمع باشا معروف.

(٢) مربةً بالقرب من تعز على قارعة الطريق إلى المخا.

(٣) نوع من التنجيم.

(٤) الحلاق.

(٥) جمع عالج وهو في اللغة الرجل من الكفار.

(٦) سلخوا جلده.

(٧) القطن.

(٨) المؤلف هنا يخلط بين الترك والمصريين.

(٩) خ ب ل ق ت ل.

(١٠) لا تتركونا نذهب موتاً.

(١١) هو تركي بلماز السابق ذكره.

وكان لم يكن تملكوا البلاد، وداسوا العباد، ووصلت حجار الحصن إلى الخبت،
فأف لها من دار شعراً^(١) :

قد طال ما أكلوا قد طال ما شربوا وأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

ودخلت سنة ١٢٥٥ :

وفي أولها خرج القاضي أحسن بن محمد المكرمي، وجميع المكارمة أهل
بدر بقبائل يام جميع لما أصابهم الله به في بلادهم من القحط والشدة، وخرج معه
من العقال الذين يقودون القوم مانع بن جابر وآل نصيب، ومن أصحابهم من رؤساء
دولهم، وخرجت معهم قبائل جشم والعجمان، وآل فاطمة، حتى ملأوا تهامة خيلاً
ورجالاً، ولم يقم في وجوههم أحد، ووقع بينهم وبين الأتراك وقائع، وأخذوا جميع
تهامة ما خلا البنادر، وسلم لهم إبراهيم باشا من المال، وتوجهوا حراز وطرحوا في
(المراحت) و«زمهر» و«لعسان» و«صعفان» ونزل لقيهم أهل حراز بعد أن كتبوا
إليهم وطلعو حراز، وحطوا على مناخة وأحاطوا بها كإحاطة الأطواق بالأعناق،
وما طلع حراز إلا شردمة قليلة نحو ألفين، وهرب العامل حق الإمام الناصر، وهو
الفقيه محمد بن أحمد الحي بعد أن أسرج الدار جميع لأجل لا يفتنوا بهربه / فلما
علموا يام بهربه تبعوه إلى وسط الحيمة وانتهبوا أثقاله، ومع أثقاله انتهبوا مواشي أهل
الحيمة ولما علم الإمام جَهَز الأمير خير بعصاة من التوابع، وبقوا في الحيمة، ورجع
بخفي حنين وأهل حراز ما لقيوهم إلا من شدة ما نابهم من جور العمال والوزراء،
حتى هانوهم وأغلضوا عليهم، فهان عليهم الفرقة الباطنية وأقبلوا لطاعتهم بالسُّر
والعلانية، ولما استقروا عمروا الحصون ارتفعوا الذي في الحزة إلى بلادهم، وبقوا
الذي في حراز، ومنعوا الجمعة والجماعة والشرعية المطهرة، وتولى الخوض
داعيهم، وكان من يحبهم ويهوهم راضياً بأحكام شرائعهم، ومن لا له رضا رافعهم
إلى العرفا ومالوا إلى الصلح فيما بينهم، وأذاقوا الرعايا حلاوة العدل بعد الجور،
وكان يحصل للبيعة عشور بفرز لا بجور نحو ثمانين ألف ريال، وتغلق باب حراز إلى
أن أخذته العجم قهراً، وأذاقوا الباطنية أول الأمر غب^(٢) فعالهم، وكانت رتبة حراز
للإمام من همدان، فلعلهم كانوا منافسين للإحن.

(١) في روض الرياحين للنافعي ٤٧١ منسوبة إلى بعضهم وهي قصيدة طويلة أولها:
باتوا على قلل الأجيال يحرقهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
(٢) حقيقة أو نتيجة فعالهم (أفعالهم). وفي اللغة الغب (مصدر) عاقبة الشيء.

ودخلت سنة ١٢٥٦ :

وفيها في أول الشهر أرسل الإمام الوزاعات^(١) إلى كل جهة وأمرهم بالتأهب، وطلب عسكر وأمرهم يتبعونه إلى دمار، وأهّب ما يحتاج الناس والأجناد، وجُرت المدافع، وسبقه التوابع وبعض الأجناد إلى مطرح سيّان وفي ذهنهم أنه ورائهم.

وفي اليوم العاشر خرج وفي اعتقاد الناس أنه يريد مقصده الجهاد، وإذا قد وجّه بالناس طريق وادي ظهر بديهة منه، فوصل إلى دار الحجر، وأمر بإصلاح الغدا له ولخواصه، واستقر إلى وقت العصر، وأراد الرجوع إلى صنعاء، وهمدان قد اجتمعوا وكمّنوا له في دروب الوادي والدور، مع ظنهم أن الإمام خدعهم بوصلته بغتة، وخافوا إستيصاله لهم لما في قلوبهم من الغرايز الكامنة أقماهم الله، وقد أشار إليه من فطن بما قد دبّروا همدان ويجمعهم وترتيبهم، وأنه يرجع من طريق قرية القابل، وكان من دأبه رحمه الله المعاكسة في جميع الأمور، سيما في مشورة المشيرين إذا كانوا من غير أحزابه، وقصد الطريق العليا، وقد كمن فيها الحاج كريشة من يام، ومعه عشرة أنفار، وكمّن من أهل الوادي جماعة في الطريق الذي سيمر منها، فلما توسط الإمام في طريق الضربة، لم يشعروا إلا بالتعشيرة^(٢) في ظهورهم، فأصيب الإمام بثلاث رصاصات كلها قاتلات وكان في يده فص عظيم مما يحبس الدم عن الخروج، فلم تؤثر الرصاص في الإمام، وقتل الغلام الذي وراءه، ونزل في قلوب أصحاب الإمام الدلّة والمسكنة ليقض الله أمراً كان مفعولاً، فرجع الإمام (دار الحجر) وتفرق أصحابه يميناً وشمالاً، ونهبت الخيل والحلي والمضلات والرماح من أيدي أصحابه وكأنهم / سكارى لم يقع منهم غير تسليم الأمر، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، ولو استقام منهم عشرين نفراً والخيالة لفعلوا فعل اللئوث ولا أخذ شيء مما انتبهوا ويمنعوا على نفوسهم، ولكنهم ولّوا الأدبار (.....).

وبعد تلاحقت همدان ولما ظنوا أن الإمام سلم، ورجع الدار، خشوا التّشكيل بهم والدمار، فلحقوه إلى دار الحجر ودخلوا عليه إلى المطارج وعنده قاضيه إسماعيل بن حسين جغمان والأمير عنبر يسر، والأمير محمد طاشخان، وسيدي صلاح الدين محمد بن عبد الله بن المنصور وغيرهم من الخدم، فأراد الأمير أن يلتقيا أهل الوادي بالقتال، فرأوا من الأمير أن الفشل والوجل فوثبوا عليهم وقتلوهم، الأمير عنبر بالسلاح والمفارس، والأمير محمد ببندق، ووثبوا على الإمام وثوب القردة على الطعام

(١) الرسائل الزاجرة.

(٢) إطلاق النار دفعة واحدة. وأصله من عشر الحمار إذا نهق عشرة أصوات في طلق واحد.

وذبحوه، ولم يكن عنده سلاح لأن قد أخذوا سلاحه الأميران حين أثخنته الجراحات لزعمتهم أنهم سيقاتلون بسلاحه وأسلحتهم، وحَزُّ البغاة رأس الإمام، وقتلوا القاضي إسماعيل جفمان وتردَّى سيدي صلاح من الطُّاقة حتى مات وأخذوا ما في المطارح من الفراش والسُّلاح والخيل، ولم يسلم منها إلّا من قَرَّبها فارسها، وتفرق أصحاب الإمام شذراً مذبذباً وإلا فلو ثبتوا ساعة أنهم نصاب البضاعة الخضرية «...» وأما الماس بلسه، وسيف الخلافة سيدي عبد الله بن عبد الرحمن والنقيب محمد الجَدري فتحصنوا في أعلاء الدار، ومعهم خلق كثير إلى يوم ثاني، حتى أمنهم همدان، وخرجوا بما معهم، وطاف همدان برأس الإمام إلى عند مشايخهم، وأظهروا البشارة وأوقدت النيران.

وفي اليوم الثالث رَدُّوا الرأس إلى الجثة، ودفن في مقبرة الوادي، وختم له بالسعادة والشهادة، ولحق هو ومن معه بالسلف الصالح مسرح آبائه وأجداده.

ووصلت الأخبار إلى صنعاء وقت العشا قدر ما يمشي الماشي في الطريق واضطربت الأعلام^(١) حتى وصل محمد بن أحمد الجوفي عاقل الركاب فأطلق الأسيرين السَّيدين سيدي محمد بن المتوكل، وسيدي الجمالي علي بن المهدي من السجن، وفرج الله عنهما ورَدَّهما إلى أوطانهما، ودخلا دار الخلافة وأمنت صنعاء بعد اضطرابها، وأمر سيدي الإمام محمد بن المتوكل بصباح بالأمان في أزقة^(٢) صنعاء وشوارعها، فحصل السرور من الخوف والأشجان:

ربما تكره النفوس من الأمر ما له فرجة كحل العقال.

وكان مدة خلافة الناصر ثلاث سنين، وثلاثة أشهر^(٣) وسبعة أيام ونحوها كذا في الأم.

[دعوة الهادي محمد بن المتوكل]

ذكر الإمام الهادي سيدي محمد بن المتوكل (بَوَّابة) إسماعيل هادي (عاقل خدمة) محمد خميس (حكيمه) أحسن التاج (وزرائه) القاضي يحيى بن علي الأرياني،

(١) الأخبار.

(٢) خ أزقت. وأزقة مفردة زقاق السكة والطريق الضيقة.

(٣) ساقطة من الأصل.

والفقيه محمد بن أحمد العفاري، والقاضي يحيى بن علي الردي (١) والسيد حسين بن محمد الشامي (حاكمه) القاضي يحيى بن علي الشوكاني، وتبعه القاضي العلامة أحمد بن محمد الشوكاني.

قام داعياً ليلة التلوث حادي عشر ربيع أول سنة ١٢٥٦ عقيب قتل الناصر رحمه الله في الوادي، وكان في قصر غمّدان محبوساً مكبلاً في الحديد، فدخل العاقل محمد بن أحمد بن علي بن يحيى الجوفي، وفك أسره وقيوده هو وسيدي الجمالي علي بن المهدي، وأطلقهما من السّجن، عقيب صلاة العشاء، ودخلا دار الذهب في القصر المنيف، ووصل إليه أكابر أصحاب الدولة والأعيان والعقلاء من أهل الحل والعقد، وعولوا عليه فأسعد وتكنّى بالمتوكل تبرّكاً بأبيه، وكتب لجميع الناس بالأمان، ورجع كل من كان هارباً إلى بيته، والذي فرّ حال الواقعة في الوادي رجعوا، ووصل إلى حضرته قبائل همدان، وردّوا ما انتهبوه، وذهبت الحلي وبعض السلاح وكتب إلى الوزراء العفاري والإرياني، وقد كانا هرباً إلى بلاد أرحب حال وقعت الوادي.

وفي أول جمعة صلاها في الجامع، وخرج من الصلاة، وقد ثارت فتنة في القصر من السيد محمد الكوكباني، وإثنين عبيد وقتل زيدان في باب القصر، وقد تعدّى إلى الخيانة، وهو في محل الأمانة، وكان في ذنهم الإعانة [وكان في ذنهم أنهم سيعضدوهم عسكري، ولعل قد كان أحد أركانهم (٢) وبعد توسطوا في خروجهم ووقع بهم ذلك وهي أعمالهم قد كان عبثوا بالخلق (٣) ممن حضر [إلى] الإمام بضبطهم إلى دار الأدب.

وفي يوم ثاني أمر بضرب عنق السيد محمد الكوكباني، وعلق على خشبة في محل الفتنة، وأما العبدان فأولاً غزرها في أزقة المدينة وتحملاً المرافع على ظهورهما وضرباً بالسياط على رؤوس الأشهاد، وبعد ضربت أعناقهما، وما علموا أن الملوك لا يعفون عن ثلاث: الجرم، وإفشاء السر، والتعرض للملك وقد استحق الكوكباني ذلك القتل لأنه حال وقعت الوادي كان في ذهابان، فما مر من عنده من الهاربين أحد إلا انتهبه طمعاً، وغنم الفلّة (٤) ولم يبق لأحد ما يستره حتى أنهم بقيوا

(١) من علماء صنعاء ولد سنة ١٢٠٣ وقام بإخماد حادثة الفقيه سعيد يس وكان من العقلاء توفي سنة ١٢٧٩ (نيل الوطر ج ٢، ص ٣٩٤).

(٢) أوعدهم. أو جعلهم يركنون إلى وعده «يستأمنون ويثقوا به».

(٣) من هامش المخطوطة.

(٤) الفلّة: الهياج وثوران الناس حال قيام الفتن.

في بيوتهم عراة عجزاً عن شراء ما يستر عوراتهم فهالك بذلك^(١).

وفي الشهر الثاني من المتفقة ربيع آخر، خرجت قبيلة أرحب ونهم وخولان وحاشد على همدان نكفة على قتلهم للإمام رحمه الله، هذا في ظاهر الأمر وأما الباطن، فهي إحن وضغائن في القلوب لما سبق فيما ذكرنا من ما وقع بين همدان، والذي أغروا بالإمام أرحب وبني الحارث بن كعب، وأخرجوا الإمام إلى الجاهلية (...).

وقد كان بنا^(٢) أرحب يشرعوا في البلاد الهمدانية من أطرافها، حتى يتصلوا بالوادي، وقد شرعت الحرب في وادعة والجاهلية، وقتل من همدان الشيخ قنّاف الجايفي وصنوه دحّان، وحزت رؤوسهم، وبعد اجتمعت من كل قبيلة خلق كثير، وهجموا [على] المنقب وقتلوا أهله جميع ما بقي منهم إلا اليسير، وانتهبوا ما في القرى جميع، والمواشي، وجاءت القرى النائية، وعقروا عقائر عند القوم، ووصلت الرؤوس إلى صنعاء مئة وعشرين وعلقت في البستان، ووقع بين القبائل صلح أمنت به السبلات وزالت الشحناء والإحن من قلوبهم/.

وفي جمادي الأولى عزل الوزير الأرياني، وحبس ولم يؤخذ عليه مِمّا جمعه شيء.

وفي ذلك الشهر نزع الشيطان، ونشأت فتنة الفقيه سعيد في اليمن الأسفل وقد ذكرنا في كتابنا الكهنة والسحرة والمشعبدين، فما هي جميع بمثل هذا الشيطان، وما هو إلا أكبر أهل الطغيان، وذلك للمشاهدة والسماع كونها ليست كالمسموعات والمنقولات، بل مشاهدات فليس الخبر كالعيان، وشاع ذكرها في جميع البلدان، وخفق لها قلب كل إنسان، ولم يزل ينموا ذكره وينتشر في الأقطار، حتى لم يبق في أفواه الناس غير ذكره، وكلما بعدت الأخبار فهي إلى زيادة، وهكذا جرت العادة بأن شياطين الإنس والجن يزدون في أخبار الشر.

وفي شهر رجب أمر الهادي بالتجهيز أقرب من لمح البصر، وتيقن أنه لا حذر من قدر، ولا يطفئ هذه الفتنة إلا ضرب السيوف، ولا يسكن ثورة العامة غير خز الأنوف، ثم أنه مال عن الإقامة والدعة، وأعرض عن لذات الملوك والسعة وأن ما لمهمات الأمور إلا نفسه، وترك سعد الطالع ونحسه، ونهض من صنعاء متمثلاً شعراً:

وما جَلَّتْ رقاب الأسد حتى بأنفسها تولّت ما عناها

(١) كأنه يريد أن يقول: وتلك بتلك فخانه التعلير.

(٢) بنا هنا بمعنى قصد أو عقد النية.

وذلك يوم الإثنين ثامن شهر شعبان في السنة المذكورة عقيب الدعوة بثلاثة أشهر، وتلقب حال خروجه بالهادي تبركاً بمن قهر الأعادي وأباد فرق الباطنية^(١) بكل وادي والدعوة السابقة المتوكل، ولما خرج سكن ما بالناس من الرهج، وبات في سيان، وأفاض على أجناده وأصحابه كل الإحسان.

ويوم ثاني بات في زواجه وعرف الداء وعلاجه وطلب حولان والحداء جعلهم من أجناده، وأجرى لهم من أرزاقه وأرفاده، وتوقع^(٢) بقطاع الطريق وفتك بهم، ووصل دمار، وبقي فيها أياماً يرتجى أو عسى يرجع عقل الفقيه سعيد، وأقام إلى شهر رمضان، وكتب إلى القاضي العماد يحيى بن علي الردي يستدعيه إلى حضرته.

وثاني عشر رمضان عقد له الوزارة، وهو نعم الكفو الكريم، وكان هذا الوزير جهير الصوت، سريع البادرة من الشجعان القساورة، فأمر الإمام في نصف رمضان بالخروج إلى يريم، ولو بقي الإمام في دمار ثلاثة أيام لفتحوا أهل المدينة للطاغي سعيد لأن قد صارت جميع البلاد من جند الباغي، لما سمعوا من التهويل والوعيد، وتمثل الوزير للإمام بقول القائل.

منال المعالي بالعوالي اللهازم وكشف الطلا بالبيض لا بالطلاسم
وتحت ظلال المشرفية جنة أرايكها منضودة بالجماجم

ولما وصلوا يريم طمع الباغي اللثيم فيهم حين علم بقلة عددهم وتفرقهم من دمار، ولما هالهم من الأرجاف والأعلام، ولمشاهدتهم القبائل يفرون بكيل من اليمن كالأنعام وسلبهم الفقيه لباسهم وأسلحتهم وأمتعتهم وأخرجهم من المقاسم، وضرب عليهم الأوفاق والطلاسم، وأخافهم في معاقلهم، وقهر كل أسد باسل، وكان هذا الفقيه في بدء أمره ظاهر الصلاح، ودعا الناس إلى الخير والفلاح، وبعد استحوذ عليه الشيطان، وأوقعه في الطغيان، واسمه سعيد بن صالح يس العنسي من بلد شار من أعمال جبلة، كان على قدم راسخ من التدين والتصوف والتعفف والتقشف، أعتزل قومه، وسكن في محلة إسمها الدنوة بين حبيش ونعمان، كانت آثار قرية خالية، واختطها هو وبنائها ودعا/الناس إلى الهجرة إليها فأجابه أرذاذ الناس، والتجأ إليه كل غريب ولاد، فما زال مشغلاً بتقواه موافقاً في سره ونجواه، وكان له في الزهد الحظ الوافر، لو عرضت عليه الدنيا بأسرها فما تأملها، وتزينت بين يديه ما تمثلها، حتى صارت حضرته محلاً لأهل الدين، ومحط رحى المهاجرين، وكان فيهم للصغير

(١) يعني به الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين المتوفي سنة ٢٩٨

(٢) أي أوقع.

أباً وللكبير أخاً بسَجِيَّة تنجلي عنها الظلما، وخلق مزاجه غسل وماء، فأقام على هذا أربعين عاماً معتكفاً على الدُّراسة معتزلاً لأهل النفاسة والرياسة، مقبلاً عليهم بموعظة وخشوع، وكثرة سجود وركوع، فسمع به القاصي والداني، وزاره كل ملهوف وعاني، حتى اعتقدوا أنه لو عصته الطير ما أوتها وكورها^(١) ولو أومى إلى الليالي المظلمة لأسفر ذيجورها، وكان اليمن قد اشتعل بنار بكيل، وتغلبوا عليها جيلاً بعد جيل، وترفعوا في الحصون والمعازل، وضربوا الخراج على الجاهل والعاقل^(٢)، وكان هذا الفقيه يواعد الرعية إلى جمعة^(٣) رجب بالفرج، ونفى بكيل من اليمن بلا مشقة ولا حرج، فلما كانت أول جمعة في رجب ترك ما يعنيه، واشتغل بما يتعبه ويعنيه واختطب^(٤) خطبة رَغِب فيها ورَهَب، وزعم أنه مدعي للمهدي المنتظر، وأنه بين أيديهم سيظهر، ثم كتب إلى كافة اليمن، وبعث رسائله إلى شرقه وغربه فأجابه الداني والشاسع مناديه، وانحشر إلى نادية، وأطاعه اليمن بأنجاده وأبطاله وأمجاده وقضاته ووزرائه وحجابه، وليس لهم باعث على ارتكاب هذا الخطر إلا إخراج بكيل، وهو أجل أرب لهم ووطر، وكان تحريك هذه الأسباب من رب الأرباب، فإن القصة لها أعجب بكثرة العدة والعدد والمدة والمدد، ودعا في اليمن إلى طاعته والمسارة إلى إجابة دعوته، فما اتقوا سلطانه ولكن خشيوا برهانه، فنزلوا على حكمه، وهو الذل والإهانة، وفرغوا المعازل، فأخربت، وبذلوا ما أخذوه ظلماً على الرعايا فانتهبت، وفي قريب شهر هَدَم نحو ثلاث مئة حصن من حصونهم، وغنم ما فيها من نفيس أموالهم، وأمرهم بالإرتحال على الفور، فارتحلوا بالرغم من الكور إلى الحور، وحينئذ ملأها خيلاً ورجلاً، ونفر بهم خفافاً وثقلاً، ومن بلغ غاية ما يجب فليتوقع غاية ما يكره خلاله الجوفتمادي ونشر دعوته ونادى:

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك الجوفبيض واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري قد رفع الفخ فماذا تحذري^(٥)

ولما استنسر البغاث، وصدق أحلامه والأضغاث، غيّر رسماً وبَدَّل حكماً، وضرب السُّكة لنفسه، وكتب عليها إمام البر والبحر المهدي المنتظر، ولا أصل له ثابت ولا فرع نابت، بل صدق عليه قول القائل:

(١) أوكارها.

(٢) هنا: الحامل والعاقل: الصغير والكبير.

(٣) هي جمعة يحتفل بها أهل اليمن يقال أن فيها كان دخول معاذ بن جبل إلى اليمن.

(٤) خطب في الناس.

(٥) من زجر لطرفة بن العبد.

صلى وصاماً لأمر كان يطلبه لما انقضى الأمر لا صلى ولا صام
وشق للمسلمين العصا وتبع هواه وعصى/ وصار أكذب من فاخته^(٢)، وكان
أصدق من قطا^(٣) فقبحت فعلاته وحنظلت^(٤) نخلاته كما قيل شعراً:

وغرستها نخلاً فأصبح حنظلاً ما حيلتي إن حنظلت نخلاتي
وكان يأتي بالخرافات، منها كان يقول لزوجاته أخرجن على الناس فأنكن أمهات
المؤمنين، ومنها ما روى السيد عبد الله الزبيدي الأعمى أنه زاره مع^(٥) جماعة فاستأذنوا
عليه بالدخول، فقبل لهم: الآن يتمشى في رياض الجنة ثم استأذنوا مرة أخرى، فقبل
لهم: الآن عرج إلى السماء، وكان يقول لمن عدله على فعله: أنه من الرسول مأمور،
ويعتقد أنه على ما أهرقه من الدماء لما جور^(٥) وما أحسن ما قيل شعراً:

تزوج يرجو أن تحط ذنوبه فعاد وقد زادت عليه ذنوب
وما أخبر القاضي العلامة أحمد بن علي الطُّشِّي، وكان نزل من لدى الهادي
لأخذ حقيقته، فقال له: أطاعني أهل الروم وصدّقوني، ما خلا أهل صنعاء،
وإمامهم، أما علمت يا قاضي إني عرجت إلى السماء، فوجدت إسمي في اللوح
المحفوظ سعيد بن صالح المهدي المنتظر، وكان يعتقد أن اسم محله (دعوة) يوافق
عدد إسم مكة بالهندي، وهذا لا يخفي على ذي اللب والنهي هذا إلا فك والتقول
والاختلاف، فالعقل والنقل يكذّبه ويرده، وأوجب علينا الإيمان بما جاء عنه صلى الله وآله
في المنتظر، فما ينطق عن الهوا «ولكن الشيطان زين لهم أعمالهم»:

فالدعاوي إن لم تقيموا عليها بينات أبنائها أدياء

ألم تعلموا أن وراء كل حجة ما يدحضها، وبأن كل دعوى ما ينقضها، وأن
علامات المهدي المنتظر الخاصة والعامة في أشراط الساعة كثيرة، وقد أفردوا
العلماء بالتصنيف من جملتها (عقود الدرر في أخبار المنتظر) ومنها (العرف الندي في

(١) من الأمثلة الفصحى لأن حكاية صوتها هذا أو أن الرطب ولما يطلع قال الزاجر:
أكذب من فاختة تقول وسط الكرب
والطلع لم يبد لها هذا أو أن الرطب
(انظر مستقصى الأمثال للزمخشري ج ١، ص ٢٩٣).

(٢) من الأمثلة أيضاً تقول العرب أصدقها من قطعة وتسميها الصدوق لأن صوتها حكاية لأسمها تقول قطا
(مستقصى الأمثال ج ١، ص ٢٠٦).

(٣) أي تحولت إلى حنظل وهو ثمر في غاية المرارة.

(٤) خ معاً.

(٥) خ لماجور.

أخبار المهدي^(١) للسيوطي، ومنها (القول المختصر في علامة المنتظر) لابن حجر^(٢) اشتمل على مقدمة وخاتمة وثلاث وستين علامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتسع وثلاثين علامة عن الصحابة وثلاث وخمسين علامة عن التابعين، ولا يسع المقام بسطها، ولنعد إلى ذكر الفقيه سعيد، وعند نشر دعوته رفع عن الرعايا حجابهم، وفتح للشاكي بابه، وألبس على العامة ودُّس، وأقام البعض ممن صبا إليه وأجلس، وأطفاه حب الرئاسة والتَّهاتر (شعراً):

حب الرئاسة أطفى الناس فافترقوا حرصاً عليها وهم منها على حذر
وكان يقول إن الخلافة في حوزته سبعون عاماً، ووكل أعماله عُمَّالاً كلهم
أغماراً وبشهم في الأقطار، ووعدهم ببقية الأقاليم والأمصار شعراً:

إذا وليت أمرك كل غمير ضعيف كان أمر كما سواء^(٣)

ثم أباح لهم السر المكتوم أنها ستطيعه فارس والروم، وكان يقول: هذا مقعد أهل مصر وهذا مقعد أهل خراسان، وهذا مقعد الروم وبني ساسان، ولما استوى فيما ادعاه عقل عالم وجاهل، بدا له إهراق الدماء وأنشأ فتنة صمَّاء، ونظر إلى اجتماع الرُعاع حين ملؤوا الأودية والبقاع، جَهَّز مقاومته على الإمام، وظنَّ الاستئصال والانتقام، ولا يعلم الشقي أن قد أفل نجمه وبلي رسمه، فأرسل جيوشه كسَّيل العرم، واعتقد أن مثل هذا الجيش لا يهزم، وكان الإمام قد زحف من دمار إلى يريم، كان ذلك بشور الوزير الكريم/فأحاطت جيوش المدعي بالمدينة إحاطت الأطواق بالأعناق، وقام الحربُ على ساق، وثارت العامة من بلاد يريم إلى هذه الهيئة، ونكثوا على الإمام البيعة، والإمام مع ذلك ذا ركن منيع وصُدْر رحيب وسيع، يقول لسان حاله شعراً:

قلت لما تجمعوا ومن أجلي تحدثوا لا أبالي بجمعهم فهو جمع مؤنث

(تورية)

ولما اشتد الحصار، وكاد يقول من في قلبه مرض: كان الإمام وصار، وكان وزير الإمام القاضي يحيى الرِّدْمي ذا جنان جري وقلب كمي، فدخل على الإمام وشاوره في الخروج على هؤلاء الطغام، فأمر الإمام من كان في المدينة كل من كان

(١) رسالة من تأليف السيوطي مطبوعة.

(٢) هو ابن حجر الهيتمي المتوفي سنة ٩٧٤ وقد طبع كتابه هذا أخيراً.

(٣) لأبي تمام.

من جنود الحق، وخطب فيهم الوزير الماجد، وقال لهم: إن الجنة تحت ظلال السيوف فلا تفشلوا من كثرة العدد وإن كثير الحطب يكفيه قليل النار، وأنتم بحمد الله المحققون وهم المبطلون المنهزمون، فخرجت التوابع وأصحاب الإمام من الأبواب كالليوث العابسة، وتوجّه كل فريق إلى مطرح من مطارح أصحاب الفقيه، وهم آمنون غير مظنون الخروج عليهم لاعتقادهم وهن أصحاب الإمام، وكان خروجهم وقت الصّباح يوم الربوع (وبشّ صباح المنذرين) فما لبثوا هويّنا حتى قلعوا المطارح بأسرها وقتلوا الطيب الكثير من كلاب أصحاب...^(١) وتنحوا من الأبواب إلى قاع (المريمة) وما والاها، وقد غنموا من أسلحتهم وأمتعتهم واحتزوا من رؤوسهم، وطمع جند الإمام في البغاة وعلموا السلامة والنجاة قتلوا وغنموا وأسروا، ولم يهراق فيهم دم، وقد كان في خلال ذلك كتب الوزير بالبشائر إلى البلدان واستدعى من تشاغل من قبائل همدان، ولما علموا بهزيمة أصحاب الفقيه أقبلوا إلى حضرة الإمام كالنّسور المفترسة، والليوث العابسة، يريدوا الغنيمة، ويكشفون هذه المفسدة العظيمة، وقد زال ما في قلوبهم من الريب، والفخر لمن سبقهم وبأشّر الأمر العَصيب؛ ولما علم من في مطرح سعيد بوصول القبائل، وظنوا أنه ليس لكثرتهم طائل، وكان منهم النقيب حسين بن سعيد أبو حليقة، فكتب إلى الإمام سرّاً، ودخل هجيع من الليل وأبرم الرأي على القدوم على أصحاب الفقيه في اليوم الثاني، وألزم نفسه وأصحابه القبض على المقادسة والفتك بمن حولهم من الخواص حين يسمعون الوقعة، فلما علم الإمام^(٢) صدقه، وتيقن عدم مكره وخدعه، عبّا الإمام جنوده، وحشد حشوده، وأفاض إلى رؤساء القوم ما وقع عليه الإبرام بينه وبين أبو حليقة، فخرجت الجنود المنصورة من باب اليمن مما يلي المريمة وقاح الحقل فلما نظروا أصحاب الفقيه سعيد إلى أصحاب الإمام قد خرجوا، تحزّبوا للقتال، ولم يشعروا إلا بالهيعة من وسَط المطرح، وقدمكر حسين أبو حليقة ومن تابعه، وقبضوا على الرؤساء مثل: سعيد بن أحمد علي سعد المقدمي الأكبر وعبادي صاحب الحجرية وقائد الحارثي وغيره، فوقعت الهزيمة في أصحاب سعيد، وأتاهم بأس الله الشديد وهم نائمون، وقاتل أصحاب الإمام قتالاً أبان عن شهامة، وانتهبوا من الأموال والأثقال والسلاح ما لا تحصيه الأقلام وأسروا الأسارى الكثير، وقتلوا الجم الغفير واحتزوا رؤوسهم، وتلا عليهم لِسَان حال الإمام: (أن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح)^(٣)

(١) كلمة مبهمة.

(٢) في الأصل المام.

ودائماً ترد هذه اللفظة على هذا الشكل.

وكان هذا في شهر شوال من السنة المذكورة وعند/وصولهم إلى الفقيه سعيد أصحابه منهزمين وعليه معولّين وقادمين، قال لهم تسليّة لهم: أنتم الكرارون لا الفرارون، ثم صوّب رأي فكره ودبّر ما يعتمد منه من أمره، وكان أول أمره عناء وأوسطه بلاء وآخره خزاء، ورأى من نفسه القوّة وأمرهم بالنّهوض ثانياً بلا حياء ولا مروّة فحزّب روس الجحافل، وأهّب عشرين ألف مقاتل أتباع كل ناعق، وكل فرد يود أن يكون السابق، وما زال يحرضهم على استئصال الإمام الهادي «...».

وأما الهادي فإنه لما علم بتجهيزهم وتقدّمهم بخيلهم ورجلهم، وقد كان عقد الوزارة للقاضي يحيى بن علي الأرياني لأنه بجمع المال أخبر، وللأقدام الأول أخبر، وعند وصول جند السّاحر (سمارة) راجعين ثانية طالبين للمنايا، أمر الإيمان بشن الغارة، وشمّر للحرب بأيدي شداد وسيوف حداد (شعراً):

أُتعب النفس فاستراح ومن لم يتعب النفس لم يزل في عناء

فإنه انتخب من رجال الحرب الكماة الأبطال من شهد اللقاء وتمارس الأعداء، ولا تروعه بوارق السيوف ونوازل الحتوف، فلبس كل فرد منهم جلد النمر، واندفعوا كالسيل المنهمر، حتى التقى الجمعان وتميّز الجبان من الشجعان، وحمى الوطيس، وثبت كل شهم رئيس، فكبت جياده، وفرت أجناده، وأتاهم العذاب وهم لا يشعرون، وساقوهم بين أيديهم كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، وغنموا وقنعوا من الغنمة بالإياب، وكان آخرهم في قاع الحقل (ورياب) حتى أتوا على (السحول) وهم بين طريد وشريد ومجروح ومقتول، وكانت هذه الهزيمة الفاضحة لأولئك القوم مسير يوم أو دون يوم، وهنالك طاشت أحلامهم، وباتوا بليلة نابغية^(١) وأحزان يعقوبية^(٢) يروعهم خيالهم، ويفزعهم مثالهم (شعر):

إذا صوت العصفور صار فؤاده وليث حديد الناب عند الثري يد

ولما ألقوا عصا الهرب في البلد، وذهب قواهم والجلد، آن لجمرته أن

(١) من عبارات الحريري في مقاماته في المقامة الوسرية يقول: «فت بليلة نابغية وأحزان يعقوبية أساور الوجوم وأساهر النجوم» قال الشارح: ليلة نابغية منسوبة إلى النابغة الذبياني شاعر مشهور روى عن الأصمعي قال. انصرفت ذات ليلة من دار الرشيد وأنا أشكو علة ثم غدوت إليه فقال: كيف بت قلت: بت بليلة نابغية فقال: إنا لله هو والله قوله:

فبت كأنني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابهم السم ناقع
«انظر مقامات الحريري ٢٧٧».

(٢) نسبة إلى يعقوب أبي يوسف عليهما السلام وقصتهما معروفة.

تطفئ، ولدعوته أن تفهى^(١) وفارقه هدوء وسلوه، وأما أصحاب الإمام لما أصابوا الغنيمة، ووقع في أعدائهم الهزيمة، طمعوا بما وراء ذلك.

ولما بلغ سعيد هذه الفضيحة، علم أن قد أوقعهم بأعماله القبيحة، ووقعت ملحمة يشيب منها الوليد والأطفال وردوهم من شواهد الجبال/ وانتصر جند الإمام وانكسر أعوان الباطل وذلك ثامن عشر شوال، وتبعهم الأجناد الإمامية وقد اجتمعوا كالجراد المنتشر، وخفهم وحافهم كالغيث المنهمر: (شعراً):

قوم إذا اقتحموا العجاج رأيتهم شمساً وخت وجوههم أقماراً
وأحاطوا بالدنوة من جميع الجهات، وأرسلوا سهام البنادق وأخلصوا النيات،
وأخذوا الدنوة عنوة.

في يوم الإثنين سابع وعشرين شوال من السنة المذكورة، وهي مملوءة من المال والرجال ف وقعت مقتلة عظيمة، وجاد قبائل المشرق جوده ما قد سبق إليها ولا مثلها، ولا قد عهد منهم قبلها وانجلت على هزيمة أهل البغي، وأسروا هذا الساحر، واستبدوا بالغنيمة، وبلغ القتلى من أصحاب الساحر في الثلاث الوقائع نحو ألف قتيل وأحاطوا بالدنوة كإحاطت السور بالدور والنطق بالحضور، فضاق بالمدينة فضاؤها، ووهت أعضاؤها، وتضعضت أرجائها، ثم أرسل أصحاب الإمام على أولئك من الرصاص، كأمزان الغمام، فثار القتام، واستعر الجلال والصدام، وتزلزلت بهم الأقدام، وصاح بهم رسول الحمام، ووقع يوم يشيب منه الغلام، ويذهل الأحلام، وكانت رصاص أصحاب الإمام فيهم قاتلة، ورصاصهم متربة مائلة، وعند ذلك تيقن من بقي أنها إحدى الكبر، وأم العبر، فطار الكل وفر، وتركوا المنتظر في ملاحس البقر^(٢) وهنالك ثل عرشه، ووطؤوا فرشته، وهوى نجمه، وطمس رسمه، فنزل بالقصر إلى قبضة الأسر، وتملك بعد الملك، وسقط ما بيده، وبكى الدم وندم حيث لا ينفع الندم، وبات وكبده تتفتت بالحشرات، وعينه تُذرف العبرات، وهكذا من سبج في البر أعجزه البحر أن يسبح، ومن طلب ما ليس أهلاً له افتضح. (شعر):

من تحلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان
ولما أشخصوه بين يدي الهادي على رؤوس الحاضر والباد، جمع العلماء
والحكماء فحبكموا بَعْدَهِ وإِهْرَاقَ دَمِهِ فَأَهْرَقَتْ نَفْسَهُ، وَأَغْرَبَ بَدْرَهُ وَشَمْسَهُ وَأَصْبَحَ

(١) تبرد وتخف.

(٢) زرائب البقر.

مصلوباً تذروه الرياح، فكأنما لا غدا^(١) ولا راح ولا كان كالكبش الأجم في البطاع نطاح.

وقد كان رحل الإمام إلى مدينة إب، وقتل الفقيه هنالك، وصلب حتى أكلته السباع والهوام، وقيل في ذلك الأشعار وطاب المقام والقرار. وبعد إطفاء هذه الفتنة، وإجلاء البغاة من اليمن، وسكون الخواطر واستقرار الجأش.

وفي خلال ذلك نجّم نجم الخلاف من مارش المحمدي في (باب ميثم) فجّهز عليه الإمام مقدمي بجيش عرمرم جرّار فأحاط بحصنه الجيش الجرار إحاطة الأكمام^(٢) بالأزهار، وحاصره شهر حتى أخذ بيد الغلبة والقهر، وهو آخر حصن في اليمن من حصون المفسدين وطهرت البلاد وبعد إصلاح البلاد، وإزالة أهل البغي والعناد، توجه الإمام راجعاً، وأمر الوزير والأمير فتح محمد يبقوا في اليمن للمتخفين من ذي محمد الذي قد تأهلوا وأولدوا لأجل لا يثنوا ويستدعوا قبائلهم ويفتحوا لهم، وبقياً حتى طهر جميع اليمن.

وفي ضمن ذلك وقع من النقيب حسين بن سعيد أبو حليقة الخلاف، وطلب المستحيل، ولم يقنع من الإمام بالعطاء الجزيل ومع ضعف عقله طمع في مشاركة أمير المؤمنين في رقاب المسلمين، وأشعر أن لولا حسين لأصحاب سعيد أن الإمام وأصحابه مكبلين في الحديد، ولا يعلم سخييف العقل أن جند الله هم الغالبون، وأنه لا يفلح الساحرون، وعمّا قليل هم المنهزمون، فصنع إليه الإمام ما يصنع أهل الوفاء، وصَفَحَ عما صدر عنه وعفا، فلم يرعوي عن بذأية لسانه، ولا أغمد صارمه وسنانه ومع هذا فهو يهذرم بالوعد والوعيد فأظمر الإمام قتله وكف بغيه وشره حتى وصل الإمام (ضوران) وطلع الحصن لزيارة جدّه الحسن، واستخار الله في هذا الرجل الذي يريد شقّ العصا وقد عصا فقضت الخيرة بضرب عنقه فأمر بإحضاره وطلبه تحت داره، ثم أمر السيف بضرب عنقه، فضربه وقرابته يشاهدون ولقتلهم متوقعون. فكفى شره.

ووافى العيد حق الأضحى هنالك، وبعد يوم الغدير توجه راجعاً وأمره في الأفاق ساطعاً، وسيفه للرقاب قاطعاً، فدخل صنعاء المحمية بموكب عظيم، وهنّاه الخلق

(١) ساقط من الأصل.

(٢) كذا عند المؤلف صوابه «الأكمام».

بالفتح المبين، وبعد حين أطلقوا الأسارى من آل أبي حليقة ومن أصحاب الشقي الساحر.

ودخلت سنة ١٢٥٧

وفي ذلك التاريخ نشأت الفتنة والحرب بين السلطان عبد المجيد بن عبد الحميد بن محمود خان، وبين محمد علي باشا دولة مصر، بسبب ما استبد به محمد علي من بلاد السلطان وجَدّد بناء الإسكندرية، فكتب السلطان إلى جميع الأتراك الذي في قطر اليمن برفعهم جميع، فارتفعوا حال وصول الفرمان السلطاني، وحملوا أثقالهم، واستبد بتهامة والبنادر الشريف الحسين بن علي حيدر، والهادي محمد بن المتوكل استولى على ما كان تحت يد الترك من اليمن الأسفل، وعزم له من صنعاء عامل الأمير الماس، وما والاها من جميع البلاد، وأفاض عليه إذا أمكنه الفرصة للقبض على بندر (عدن) والإستيلاء على من فيها من الإفرنج، فذلك من مناقب الدنيا والأخرى، وكان المهدي العباس^(١) رحمه الله ولي مدينة (عدن) السلطان محسن العبدلي، وأصله من عيال^(٢) عبد الله من بلاد أرحب وولي عبد الرحمن الفضلي [وأصله^(٣) من بلاد (آنس) من مخلاف (بني فضل)]^(٤) بندر (شقرة) وذلك توليتهم سابقاً في أيام المهدي العباس، وهؤلاء المذكورين^(٥) بني الفضلي وبني العبدلي في هذا التاريخ سنة ١٢٥٧ هم ذرياتهم، ولكن قد أذنبوا وتجاروا ووقعت بينهما [هؤلاء] العاملين على بندر شقره وهو الفضلي، وعلى مدينة (عدن) وهو العبدلي، وقع بينهما عداوة ودخلت الشحنة بينهم فباع العبدلي مدينة/عدن في سنة ١٢٥٥ من الفرنجي، وكان تاجراً وكان هو ذمي مستأمن في بندر المخاء، فضعفت شوكة العبدلي بسبب خيائته لأن قد كان استبد بالبلاد^(٦) لنفسه، فباعها وأغواه الشيطان بالذنوب، وفي ظاهر الأمر أن الفرنجي أخذها عنوة والله أعلم^(٧).

-
- (١) كانت ولاية العباد له على الحج من سنة ١١٤٤ حين ولاها المذكور الإمام المنصور القاسم بن الحسين ثم استقل بها العبدلي وطرده عمال الإمام عنها في خبر طويل «انظر هدية الزمن ١١٦».
- (٢) يرى صاحب هدية الزمن ٣٩: أنهم من آل سلام بتشديد اللام فخذ من كلد قريتهم في يافع ١ هـ ونجد هذا المؤرخ ينكر هذه النسبة التي يذكرها المؤلف والله أعلم بالصواب.
- (٣) هم أيضاً من آل سلام كما ذكر المؤرخ العبدلي في هدية الزمن ص ٤١ وهم فرع واحد مع العبادل فيحقق.
- (٤) جملة كتبها بخط صغير فوق السطر، وهي اعتراضية.
- (٥) كذا ترد الأسماء والأفعال بصيغة المفعولية، وقد نبهنا على مثله فيما سبق فيفهم.
- (٦) خ بلبلا.
- (٧) في هدية الزمن ١٤٣ وفي سنة ١٢٥١ جاء القبطن هينس إلى عدن وكان إذ ذاك يشتغل في مساحة ساحل =

وعمروها الفرنج وخصّنها غاية التحصين المحكم، وأجروا البحر عليها من جميع الجهات، وكان رئيسهم [كبيرهم] ^(١) أولاً لا يبيت في ها إلا في البحر، والنهار فيها حتى كمل بناها فلا قوة إلا بالله .

ونرجع إلى ذكر الهادي وتسليط العبد اللعين فيروز عليه والسحرة الكفار، واتفقوا العمل والسحر في ذلك، وبسطوا شباك الحيل للخلق والمهالك، وكان سبب ذلك من طريق العبد اللثيم (فيروز) عبد الأمير سعد يسر ^(٢) كان هذا العبد من عبيد النصاري وقد توغل الكفر في قلبه فاشترى سعيد يسر وبقي في خدمته في مدة ولايته في الحديدية، وحضي عند سيّده، وكان نائباً في الحديدية حين دخلها الأتراك، وارتفع إلى صنعاء ولعله الخائن خان في بيعة البندر، وبقي في صنعاء عند سيّده مدة وغضب عليه واعتقه وأطلق سبيله، ولم يزل يجني على الناس الذين لم يعلموا بعتقه، يستدين منهم ويوهمهم أنه لسيّده ويمطلبهم ولا زال هذا دأبه إلا من فطن بعتقه لم يدينه، وبعد أنهم رافعوه، وتبين فقره وعتقه بقي في الحبس أيام، ولم يزل يتقرب إلى الإمام بالنم ^(٣) بسيّده والأغرى به عنده، وكان سيّده سعد يسر ذا ثروة عظيمة قد جمعها هو ومن قبله، فأطلقه الإمام وجعله خصيماً لسيّده، وآل الأمر إلى الوقوع بالأمير سعد يسر وأخرج من بيته أموالاً عظيمة، ونفائس هائلة من اللؤلؤ والزربفت ^(٤) والحلي والحلل والفراش الروم ^(٥). والنحاس وبقي في حبس الإمام من قبل خروجه في العام الماضي على الفقيه سعيد، ولم يزل ينقله عند العبيد للتخلص، وأخذ ما عاد مكتوم، وأما الظاهر فقد أخذه، وآخره بقاه ^(٦) الإمام عند عدّوه وخصيمه وعبد فيروز اللعين، فعامله معاملة من لا يخشى العقوبة حتى أجبره على بيع أحسن العقار والأراضي الذي كان في أحسن المواطن، كرهاً وأجبر

= بلاد العرب الجنوبي وقابل السلطان محسن فضل فأحسن السلطان معاملته وفي صباح ١٤ رمضان سنة ١٢٥١ غرق المركب دريا دولت في غبه سيلان بالقرب من عدن. وكان فيه بضائع وحجاج إلى جدة فتهافت الأعراب على بضاعته الثمينة وما دخلت سنة ١٢٥٣ حتى جاء القبط هينس من طرف حكومة بمبي وفاوض السلطان بخصوص محطة للمراكب الإنجليزية فرضى السلطان أن يدخل في معاهدة مع البريطانيين، إلخ.

(١) من هامش المخطوطة..

(٢) ورد ذكره في نيل الوطر ١٩٢/٢ وفي مجموع الحجري ٥٤١ «بيت سعد يسر أصلهم من الهند».

(٣) النم: النميّة.

(٤) نوع من القماش واللفظة فارسية معناها القماش المزركش بالذهب (انظر المعجم الذهبي ص ٣١١) وهو كذا عندهم.

(٥) أي المصنوعة في الروم «تركيا».

(٦) أي أبقاء.

المجاورين له في الأراضي أن يشتروا كرهاً، ومن لم يشتري عَذبه غاية العذاب، ولم ينزل يتحَبَّب إلى الإمام بأفعاله الخبيثة، وجلب المكاسب، والمظالم حتى رسخت مودته في قلبه، ولم ينزل هذا دأبه يعذب جميع العباد، ويأخذ أموالهم بغير حق حتى خافوه، ولم يلتفت الإمام إلى كلام أحد ولو كان ولي/ أو شريفاً لما رَقَّ له ولا عذره من أخذ ماله، ومع هذا فهو من أعداء الدِّين لم يريد غير هلاك الإسلام والمسلمين، لكنه متظاهر بالإسلام لأجل لا يفتن به الخاص والعام، وقد عمل الأسحار للإمام، حتى صار التصرف لهذا الكلب الكافر، وسيأتي تحقيق انتهائه في الظلم والبغي وعاقبة أمره.

وفي شهر رجب هذا العام خرج بكيل وأكثرهم من ذو محمد، وطرحوا في كولة العرج غربي الروضة، وأفضعوا في الثمار وصالحهم الوزير، ودخلوا صنعاء، ووصل قبائل حاشد، ولا زال الوزير والعبد يعذبوا عباد الله بأنواع العذاب من التخليص في أخذ أموالهم، فمنهم من ربط ومنهم من ضرب، ومنهم من هرب، ومنهم من اقتجع^(١) وغير ذلك، وما لهم عليهم من ذنب إلا أنهم أغنياء وَزِدَّ وقع فرقة على جميع من في البلد، حتى أنها وصلت الفرقة عند الغزالات والطحانات والذين يبيعين^(٢) البيض والمشافر^(٣) وأما من يبيعين الكبا^(٤) فبالأولى^(٥) وبقوا يتخلصوا^(٦) الناس لهم إلى شهر رمضان، ومن يقدر يخالف أو يمتنع من التسليم أذهبوه^(٧) وبيته ونفر^(٨) أحمد صالح ثوابه، وخرج مغاضباً، ونفر طريق اليمن وبقية^(٩) العقل وضع فوقهم العبد فيروز الخلع العظيمة من الذهب، حتى كادت عقول العقلاء تذهب لأنه أخرجها من بيت المال لا حاجة وإنما مقصده^(١٠) أن يعطل بيوت الأموال، ويكثر الظلم ليدمر بيت الملك وسنين لك ذلك، حين أخذ أكثر ما في بيت المال، ويريد به الانتقال، ونيته أرتته وأرتنا المآل فيه.

(١) فزع وخاف.

(٢) أي يبعن.

(٣) جمع مشقر وهو العصبة من الورد وغيره. وفي اللغة المشافر منابت العرفج.

(٤) هو السروجين يخلط بالماء ويصنع منه أقراص كبيرة تستعمل في إشعال الحطب والكبا في اللغة البحر والمزيلة، انظر تاج العروس ٣٤٠/١٠

(٥) خ فبالولا.

(٦) يأخذوا منه قدر معين من المال.

(٧) أي أفنوه بالضرب والتعذيب.

(٨) خرج مغاضباً.

(٩) خ بقيت.

(١٠) مقصده.

وفي شهر القعدة ألقى الوشاة في بال الإمام إن النقيب الماس الذي هو عامل تعز والحجرية، قد جمع أموالاً عظيمة وإن الوقوع به غنيمة وأي غنيمة، وهذا الواشي من أعداء المسلمين والإسلام، فظمم الإمام على الكلام^(١) ونهض إلى اليمن والوزير يحيى الأرياني، وقد ظهر له مما أبطن الإمام وله في ذلك بغية^(٢) المرام، فشحذ الوزير شفرته^(٣) وأظهر الكامن من جبروته وسطوته، وشرع في الظلم من يريم وأذاقهم العذاب الأليم، واستأصل بيت النجم، وكانوا من أغنياء الخلق، فحولهم إلى أفقر الخلق، فسبحان الصبور، وعزموا تعز، وقد النقيب الماس استفتح جميع بلاد اليمن إلى حدود تهامة وعدن، وقد خاف منه الأشراف على تهامة، وخاف منه الفرنج على عدن، من شدة بأسه وسطوته، ولما أفاض إليه الإمام وأوصل إليه الإمام عند خرجته، وكان من أهل النجدة والكرم، فلما وصل هو إلى حضرة الإمام، وقع به وكبله في القيود، وأخذ جميع ما قد جمعه، ولم يجد من المال النقد شيء كما وشى به الواشي لا رحم ووقع الإمام بجميع من كان مع النقيب الماس وكبلهم مثله في سلاسل الحديد وذلك بغية الواشي المريد، وولى مكانه الفقيه قاسم بن محمد العمري، وأين هذا من ذاك، ورجع بخفي حنين أراد الإمام أن يصلح فاسد وأن يختصا بالمال/فأكسد، ولما رجع الإمام إلى صنعاء، وأفسدت البلاد، ورجع تملكها أهل البغي والفساد، وضعفت الشوكة وركت^(٤) العزيمة ولما وصل جهران اجتمعت قبائل خولان وبني ظبيان، وأرادوا الأخذ بثأر النقيب حسين بن سعيد أبو حليقة، الذي ضرب عنقه في العام الماضي في ضوران وكمنوا في بيوت جهران، وكادت تلتقي حلق البطان، وصاروا أصحاب الإمام كالشامة السوداء في الجلد الأبيض، ولم يعلموا بقدر كثرة خولان، وما أظمروه من العُصيان، وبات الجميع في جهران وكل أحد مستعذب للضرب والطعان، فلما أصبح الصباح، وصل الشيخ إسماعيل السفيناني بعصابة من الجند، وأخبر الإمام بما أظمره خولان، وأنهم منتظرين لبقية القبائل، ويشوروا، ولحقهم العاقل ولكن أشار على الإمام أن يترك المرور من جهران، ويعرض ضوران فإنه أحسن، فشكره على صنعه، وصوب قوله، وعزم من حينه وطلع حصن (الدامغ) وكان ذلك من الفرج بعد الشدة، وما شعر خولان إلا بوصول الإمام ضوران، فتلاشى أمرهم ويطل عملهم الذي قد كان أوقدوا النيران لجمع إخوانهم

(١) الأمر.

(٢) غاية.

(٣) سكينه.

(٤) من الركة وهو الضعف.

من جميع البلدان، وضرب النُكف في أسواقهم، وقعد نحو شهر ورجع صنعاء والعقول صرعى.

ودخلت سنة ١٢٥٨ :

والنعم من الله مبسوطه.

وفي شهر صفر وصل جماعة من الأتراك بكتب من سلطان الإسلام عبد المجيد بن عبد الحميد بن محمود، مخبره بموت والده ومبشره بقيامه ولعل هذا من قبل التاريخ بنحو ثلاث سنين، ولكنه تراخى الرّسل وأمر الإمام فيروز عبد النصراني، بتلقى الأتراك إلى نقيل عصر، وخرج بأهبة كبيرة وأخرج المجانب من حسان الخيل، وأصحاب الإمام على أهبتهم، وبقوا قليل ورجعوا بالجوابات والهدايا والبن.

وجاءت أخبار الخلاف من الشيخ حسين بن يحيى عباد صاحب بلاد يريم، والسبب أهويات من الوزير يحيى بن علي الأرياني، وتجهز الإمام للخروج تبعاً لهوى الوزير، وطلب عساكر من كل جهة، وتوجه خارجاً، فلما وصل جهران أتته كتب ابن عباد بالسمع والطاعة وأن ماله بالفساد^(١) ولكن الوزير أغرى به، ولم يلتفت الإمام إلى مقاله بل خرض عليه بوصوله، فعاد ولم يقبل، وخرجت عليه العساكر والمدافع ورّموه بالمدافع الكبار، واشتد الحصار، فلم تؤثر المدافع في الحصن، فعلم الوزير أن ليس لذلك تأثير، فصالحوه ووصل وسلم ما أراد الإمام وما ذاك إلا من الوزير.

وصوب أهل الرأي للإمام أن يجهز الوزير والأمير فتح محمد لنزول اليمن لإصلاح ما قد فعله البغاة من الفساد، وتملك البلاد، وقد كان [بعثوا] درهم الصّلاحي لقبض حصن المعبري بين المدينتين وتبعه أحمد صالح ثوابه، قبض الجهة الشرقية من بعدان إلى قيطان، فاستصوب الرأي وجهز المذكورين، فلما وصلوا مدينة إب عزم الإمام صنعاء، وحين خرج الإمام جعل صُنوه سيف الخلافة حسين ابن المتوكل، وفي ظاهر الأمر وباطنه أن الفعل لعبد النصراني فيروز، فعبت اللّعين بعباد الله أشدّ العبت، وأخذ أموالهم، وصادرهم في نفوسهم، وكان عنده صاحب الذنب الكبير من أغناه الله حتّى أهلك الخلق وهرب من صنعاء خلق كثير

(١) خ بفساد.

وفعل في الناس من الأفعال الشنيعة ما لا يسعه الحصر، وإنما ما ذكرته قطرة من مطرة، فاعرف المثال وافهم الفعال/ هذا والإمام مصغ إلى عمله ومُستحسن لفعله، وقد شَرَّدَ الحكام من صنعاء والعلماء، وضابطه أنه لا يبقى لأحد من المسلمين قول.

وذلك أنه اتقن فعل الأسحار في الليل والنهار، وفعلها للراعي والرعية وللأمة المحمدية فلم أحد زد نهى عن منكر، ولا ذُكر وإنما بقيوا سكارى، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد.

وفي خلال ذلك وصلت كتب من أهل حراز بأنهم للإمام طائعون، ولأمره سامعون، وبه مستغيثون، ويطلبون خلاصهم من المكرمي وِيام، فأراد أن يختبرهم هل هم صادقين، فطلب منهم شيء من المال، فأرسلوه، فلما علم صدقهم طلب العساكر من أرحب وهمدان، وعقالهم الهجام، وابن سنان والحباري، والنقيب علي الهمداني وجهزهم، ووصلوا إلى الحيمة، وطلبوا وصول أهل حراز، فوصلوا وأطلعوهم إلى حراز وفتحوا البيوت وسلموا الضيف^(١) والكفاية للأجناد، ووقع الحرب وقتلت نفوس قليل من الفريقين.

وفي خلال التاريخ وصل الوزير من اليمن وقد صالح البغاة بشيء من المال، ورفعهم منه حتى أن المزوجين في اليمن أخرجهم بنسائهم، وصلاح اليمن، ولم يبق فيه شر. فلما وصل صنعاء بقي بها فرحاً من الأيام بضعاً ووقع به الإمام وأبقاه عند صاحبه في فعل الظلم فيروز، فعذبه عذاب الهدهد^(٢) حتى أخذ جميع ما قد جمعه من سابق ولاحق، وفعل بأولاده وأقاربه وخدمه مثله، وعذب الجميع العذاب الأليم فالعقوبة من جنس الفعل كما قيل شعراً^(٣):

وما ظالم إلا سبيلي بظالم

وأقام للوزارة السيد حسين بن محمد الشامي.

ولم أحد يمكن أن يتكلم في العبد بشيء لأنه حاز الأعمال كلها، حتى القبائل حيث وصلت لطلاب^(٤) حراز ما تفريقها وأمورها [إلا] على العبد، ولم يكن الوزير

(١) أي نفقات الضيف.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النمل: ﴿وَتَفْقِدُ الطَّيْرُ فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهَدَّهْدِي أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ لِأَعْدَبْتَهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لِأَذْبَحْنَهُ﴾ قال المفسرون: العذاب الشديد هو نتف رأسه وذنبه ورميه في الشمس فلا يمتنع من الهوام.

(٣) أول البيت: وما من يد إلا الله فوقها (من الهامش).

(٤) أي طلب.

ولا الأمير بل ولا الإمام أن يحلُّوا ويعقِّسوا. وما هو إلا التَّسليط بجانب الطلاسمة والأسحار.

ولما استقر أصحاب الإمام في حراز، وصاحوا للنَّاس بالأمان، وما عليهم إلا الواجبات اشتاقت إليهم الزيدية ونفرت قلوب الباطنية، وتوقفت الشافعية، والزيدية هم أهل الثلث.

[فرق حراز الزيدية]^(١) هم أهل الثلث وهُوَزَن وبني إسماعيل، ومسار وخصبان مشوب يعني مخلوط. والباطنية هم أهل اليعابر ومن تبعهم، والشافعية أهل لهان وبعض أهل مسار، فإن أهل الثلث كان يسلموا زكَّاتين تقوهُ^(٢) ليَّام وأخرى للمستحق، وكان ابتداء البغي من أصحاب الإمام بنهب القرى الصَّغار، فدخل في نفوس الباقيين، وصاروا متوقِّفين حتى ينظر عاقبة الأمر، والباقي في حراز من المكارمة قد تحصنوا في المعازل، وشدُّوا بناها مثل شبام وحصن (سعدان) المحاذي لشبام، وحصن (كاهل) وجمعوا إليها الأموال والخزائن العظيمة، وكانوا في حربهم القليل منهم يساوي عشرة أمثالهم، ولو قتلوا جميع ما اكتثروا لقناعتهم بعدم الفشل، ولضمانة سيدهم لهم بالجنة، وأرسلوا يام إلى تهامة استدعوا قبائلهم ووصلوا ودخلوا في حصن (أكمة الخير) وحطوا أصحاب الإمام عليهم نحو عشرين ويماً فلم يرتفعوا^(٣) يام وبعد/ صنعوا لهم حيلة الباروت وأحرقوا دار في ذلك الحصن فيها من رؤساء يام نحو عشرين، فلما قرَّحت الدار بالباروت أظهر يام الشُّجاعة وقرحوا بالبنادق^(٤) وفي الباطن وهبوا^(٥) لكن ما يظهر فيهم، وآخر الأمر أن أصحاب الإمام أرسلوا لسوق^(٦) وسياق ومحتاجات من الوزير، والأمير عبد النصراني، فلم يلتفتوا إليهم وبقوا في حراز مطيعين ولما تيقَّن أهل حراز عدم الخارج من عند الإمام، وأفعال العبد اللعين بالنَّاس ندموا على ما صنعوا وقطعوا ما كان يسلموا لأصحاب الإمام، فارتفعوا من حراز وعاملهم القيري، ورجعوا العسكر يخاطبوه في عسكرتهم^(٧) وآخره، لَزَموه معهم وتلاشى الأمر وأمر المكرمي بخراب دور الذي فتَّحوا بيوتهم،

(١) من هامش المخطوطة.

(٢) كأنها تقوية ليَّام أو تقيه.

(٣) أي لم يضعفوا ولا خافوا.

(٤) خ بلبنادق.

(٥) من الوهي وهو الضعف.

(٦) كذا في المخطوطة.

(٧) أي أجرتهم على العسكرة.

وناصروا الإمام وقطع أبنائهم وشردهم من أوطانهم، ووصلوا بنو الحيمي صنعاء يستغيثون بالإمام فلم يلتفت إليهم، وهم بنو الحيمي الذين ناصروا وفتحوا مشردين فلا قوة إلا بالله . ووقع بين الشيخ المساوي صاحب لهاب، وبين المكرمي حرب عظيم بسبب أن مساوي فتح لقبائل خولان، واستدعاهم وأخذ قرية (يهقر) وأخرج الطعام حق المكرمي، وكفاية خولان وكان الحرب بينهما في حصن (رخام) نحو شهر وأخرب المكرمي هذا الحصن، وهو من المآثر القديمة، وقد عمر مراراً انتهى .

وفي هذا العام وقع الفساد من النقيب يحيى بن يحيى هادي الشايف واستيلائه على حجة الظفير و(الظهيرين) و(نعمان) و(القلعة) و(كوكبان) وكان عاملاً فيها عند الإمام، وصارت تحت وطأته كونها مجاورة لقطعته . وفي خلال ذلك خرج البغاة من المشرق حسب العادة وما وقع إلا صالحهم الوزير بمال، وسلم إليهم ودخلوا صنعاء ولم بقي إلا العبد الظالم .

ودخلت سنة ١٢٥٩ :

وكلما خرج عام وجاء عام آخر ازداد العبد في كبره وظلمه وتجبره، وفيه طلب الإمام القاضي إسماعيل بن يوسف الصديق، وكان حاكماً في (حبيش) وعقد له الوزارة، وعزل سيدي حسين بن محمد الشامي، ولم يأخذ من ما جمعه شيء؛ ووقع خلاف أهل إحلال في مخلاف (بني حاتم) وأمر الإمام بالتجهيز، وخرج بنفسه، ومعه العبد السّاحر ومدار الحل والعقد عليه، ولا يقطع أمراً بدونه، ولما وصل إليهم أوقع الحرب بهم وسقط قتلى من الفريقين، وآل الأمر إلى الإصلاح وقبض الإمام على كل من وصل مطرحة من الرعايا، ومن منع على نفسه سلم من الظلم والبلايا، وكان هذا العبد يباشر عملهم، ويحبس ويغفل، ويتخلص حتى أنه كان يدخل الرعايا في مدافن الطعام الذي بقيه الطعام فيها، حتى يشرفوا على الموت عند شدة حرّها، فيبذلوا ما طلب العبد ومنهم من ذهب روحه ومات فيها .

وأوقع بعلي محسن راجح في حال ذلك، وهو الذي تلقى الإمام بالضيافات وكفى المطرح بجميع المحتاجات، فكافأه على عمله بحبسه وتخليصه، حتى بخروه بالفلفل وأخذ ماله وتعذيبه كما قيل :

جزا بنو أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار^(١)

(١) سنمار: رجل رومي بني الحوزنق للنعمان فلما فرغ منه اللقاء من أعلاه فخر ميتاً، يذكر في الأمثال انظر (مجمع الأمثال ١/١٥٩) وسيشرح المؤلف خبره .

وهذا سنمار كان عماراً لبعض الملوك وعمر داراً له فوعده بالجائزة عند تمامها فلما تمها أمر بآته يتردى من أعلا الدار.

ورجع الإمام إلى صنعاء، وقد شاع ظلم العبد وذاع، وامتنع من صنعاء كل نائي، ووقع إخراج القاضي يحيى الأرياني من الحبس على بقية ما عاد يملك من المال، وبقي في صنعاء أيام قلائل وخرج الروضة، ولم يزل يضمن^(١) القبائل كلها ويحالفهم ويعاقدهم، والأشرار تصل إليه من الأقطار والأمصار ومن هرب من صنعاء من ظلم العبد وصل إليه واضطربت الأخبار، واشتعلت صنعاء بالنار من الظلم، ووقع الإمام بالحاج فتح محمد، عبد الهادي وبقياء عند العبد، وكان يباشره بأنواع العذاب حتى أخذ ما يملك من الذهب واللؤلؤ والسلاح وأنواع الذخر والفراش والنحاس، وما قد كان جمعه الأمير عنبر الذي قبله لأنه صار له، وهو مملوك، وأخذ المملوكين فيروز، وعقدت إمارة التوابع للأمير خير، وقد كان أخبروا بموته لأنه أشرف على الهلاك من شدة التعذيب له من فيروز، ولم يزل العبد الخبيث يأخذ أموال العباد، ويفتح بيوت الأموال والمخازين والأقفال، ويأخذ من كل شيء أحسنه والتصرف له في الإمام لا بقي للإمام مع أحد مرام بل ولا لنفسه، حتى أن الكلب فيروز كاتب الفرنجي إلى عدن، وكان يهاديه بما جمعه من النفائس بأموال المسلمين ظلماً، بل ويهاديه بما أخرجه من خزائن بيت المال مما لا قيمة له من الأحجار، والآلات النفيسة، واللؤلؤ والذهب والسلع الذي لا يملكها أحد. وكان السفير^(٢) الساعي بين العبد والفرنجي الحاج إسماعيل الوعلاني، حتى أنه عقد بينهما على الاتفاق وشبه الشيء منجذب إليه، ولعله كما أشرنا سابقاً منهم قطعة وبضعة، ومبطن الكفر العبد، ومظهر الإسلام، وما كان مراده إلا القبض على الإمام، وتسليم البلاد للكفار لعنه الله، وما أراد بعزمه للقاء الفرنجي إلا للتدبير بينهم، ولما تم له مراده في الإمام، دبّر للإمام أنه يخليه يعزم لليمن الأسفل لإصلاحه، ويأخذ للإمام بندر (عدن) ببيعة لأجل إذا أتفق بالفرنجي، فلا يحصل استنكار من الإمام حين يرجع، والباطن عنده عكس ذلك، ومع قطع^(٣) السحر والطلاسم في الإمام، صوب ذلك مع أنه استوحش لفراقه أعظم وحشة، وأكبر دهشة، فجمع ما قدر عليه من الجمع من العباد، ومن مخازين الدولة، وأحسن ما في بيوت الأموال لسيرته، وأخرج معه النقيب الماس لأشياء في قلبه أنه يسلم النقيب

(١) يتألف معهم (أو يتضمن معهم).

(٢) في الأصل الصغير.

(٣) فعل.

الماس للفرنجي، حيث قد كان أخاف الفرنج في عمالته للإمام في اليمن، فأراد يتجمل للفرنج كونه منهم، وأمر الإمام يفعل له طوابع وعلايم ملء البياض والقوائم لأجل أنه يسود تحتها ما أراد، وعلى من أراد، وقد كان ظن الناس أن الإمام سيقع به لشدة ما/ قد أخذه فلم يسخى ينكيه^(١) بشيء، لو أخذ بروحه وخرج من صنعاء في شهر رجب سنة ١٢٥٩، وخرج الإمام لتجهيز العبد ودمعته جارية على خدّه حزناً على فرقته^(٢) وجهاز معه من أراد لنفسه من التوابع والعبيد والخيل، وقد أخذ لنفسه من خزائن بيوت الأموال ما أراد، وجعلها في صناديق وأقر الجمال مما لا يباع إلا بالمثقال، وخرج بذلك على رؤوس الأشهاد، وكادت تزهق لفراقه نفس الإمام والأكباد، وهو في أهبة الأبراق والإرعاد، وودّعه وقبل بين عينيه، ورجع لعله من الحزن ما هجع، فعزم العبد وقد أحاطت به ذنوبه وأعماله وساء يومه، حتى وصل وعلان وتبعه النقيب أحمد الرويشان، ونفر معه من بني ظبيان، وكان النقيب أحمد من المعينين معه في سفره، فلما باتوا تلك الليلة إلى أثناء الليل وصل من بني ظبيان وخولان بحق نحو ثلاثين نفر، ولم يزالوا يكرّروا الرماية بالبنادق، ويجلسوا ساعة ويعشّروا وهلم جرّاً؛ كأنهم قوم بيصالوا في محبة العبد الخبيث فلاحظ^(٣) الرويشان الطمع بما رأى من الحلّي والحلل والصناديق المقفلة والخيل المسومة، فكان الرويشان يدخل يوافق العبد ويبارزه^(٤) بأشياء بوارد^(٥) وفي خلال ذلك كان يرسل للصناديق، وفي آخر موافقه للعبد بعد العشاء أرسله إلى البيت، وقبض عليه وحده وأرسل بتلك الأشياء إلى بلاده في بطن الليل مع أقاربه وأهل بلاده وعشيرته وأصحابه، والعبد ما يعلم بشيء، وإنما كأنه سامر عند النقيب للأشوار والمدابرة بينهم، ومراسلة الرويشان لذلك، والعبد عنده وكأنه العبد يرسل لهم^(٦) فلما تيقن الرويشان أن قد استكمل ما يريد وما بقي إلا الأشياء المظولة^(٧) مثل الخيل، وآلة المكان حق الأكل والشرب والمتاع، أمر النقيب أحمد أصحابه بالصياح والعوايق، والرّمي بالبنادق، وقد كتب الكتب إلى من حوله من خولان يخبرهم بالغنيمة ويحثهم على الوصول في بطن الليل فأقبلوا كالنّسور الغائرة^(٨) فلما وصلوا قبض على العبد

(١) يؤلمه.

(٢) فراقه.

(٣) أدركه.

(٤) يخلو به للمشاورة.

(٥) باردة تافهة.

(٦) كذا في المخطوطة.

(٧) الأمور الجسيمة.

(٨) الغائرة: من شدة الجوع.

الملثيم، وحمله على بعير إلى محله، ووقع بين أصحاب العبد التوابع وبين خولان حرب عظيمة، وانحازوا إلى السماسر فصعدت خولان إلى الصّدوح^(١) وهَمَّوْا بهجمها^(٢) عليهم، ومن هرب أو هَمَّ بالهرب أحاطته خولان، وأخذوا سَلْبَهُ وآل الأمر إلى المصالحة في اليوم الثاني، على أن التوابع يخرجون سالمين بأسلحتهم، ويتركوا ما في المطرح من بيت المال، وقد سار العال العال^(٣) وكان هذا هلاك العبد، وانقضى عمره بسبب ظلمه بسرعة، وسيأتي خبر قتله لعنه الله في دولة المهدي ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾^(٤) وكما قيل (شعراً):

أتهزأ بالدعاء وتزدرية وما يدريك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطي ولكن لها أمد ولأمد انقضاء

ومما وجد مع العبد في الرايات^(٥) المسودّات أنهم وجدوا رأياً فيه تملك الماس للفرنجي، وذلك مما قد كان أخاف الفرنج في ولايته في اليمن، وهذا عمل فيروز قد حَرَّرَ تحت العلامة الذي دق عليه والعقوبة من جنس الفعل، فوقع سبب إطلاق الماس/كان يريد يسلمه للفرنج، وهذا من أشنع الأشياء والأخبار تملك المسلم للكفار ولولا عجل الله بهلاك الخبيث، أنه كان سيرجع بأسحار أقطع^(٦) وهلاك الإسلام والمسلمين والله تدبير، وبقي العبد في حَرَّ^(٧) البهائم في بيت الرويشان تسعة أشهر والذي أسروا معه مثل الماس وغيره أطلقه الرويشان ولما اطلع الرويشان على خزائن فيروز وجد فيها البياض المعلوم والمطبوع بطابع الهادي وعلاماته، فسوّد في إحداهن تحت العلامة إن مخلاف (المنار) في بلاد آنس قطعة لآل الرويشان لإيصالها^(٨) أخذ ولا ينفذ فيها أمر غير هذا ولا مراجعة وأنقذ أخاه وجماعة معه من خولان وبني ظبيان فملكوها من ذلك الوقت، وثبتوا عليها ولا زِدَ أحد قدر يخرجهم منها [وهي] ومن أحسن مخاليف آنس، واغتصبها وثبت عليها، وما كان يصير منها للخلفا^(٩) ولما علم الإمام بتلك الوقعة حق (وعلان) بالعبد ندم حيث لا ينفع

(١) السطوح: جمع سطح معروف.

(٢) تهديمها فوق رؤوسهم اهتجم البيت سقط.

(٣) الجيد: الجيد.

(٤) سورة إبراهيم الآية ٤٢

(٥) الأوامر. الوثائق.

(٦) ذات مفعول شديد.

(٧) مكان مظلم في أسفل البيت يخصص غالباً للحيوانات والحطب.

(٨) لا يصلها

(٩) الخلفا.

الندم، كيف وقد زلَّ القدم وحرَّ القلم، وآل الأمر إلى المرض والسقم، ولما دخل الإمام إلى خزائن بيوت الأموال، فوجدها صفراً معطلة وإن العبد أخذ أحسنها وأكثرها ووضعها في غير محلِّها وأهلك الرعايا وأخافهم وأفقرهم بقبض أموالهم، وأفقر أوطانهم بهربهم، فزادت^(١) علة، وقرت مدته، ولم يزل السقم يسري فيه وينمو والبلاد قد اكفهر لونها وأخذت الأرض زخرفها، وأفسدت الرعايا في جميع أقطارها فعلم ذهاب دورته وأفولها، وقصر الأيام بعد طولها، واضمحلت^(٢) أسفار العبد بسقوطه وإجابة دعاء العباد وسرعة^(٣) الجواب وهبوطه، لأن السحر لا تطول مدته فإن السحرة لا يقدرّون على بقاء سحر فوق أربعين يوماً وإذا أرادوا استمرار السحر فلا بد من تجديده، وقد ذكر هذا^(٤) جماعة من الذين عرفوا السحر وتعلّموا لأجل حلِّه ودفع ما يصنعه الفجار مع المسلمين كما قيل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه^(٥)

وفي شهر شعبان خرج الخارجون من بكيل، وطرحوا في السواد وانتقلوا إلى الضبر [ضبر الخولاني] وبقوا إلى آخر رمضان، وصالحهم الوزير، وسلم لهم أموالاً بعد أن انقطعت الطرق، وخافت الرعايا وأجمع رأي القاضي يحيى الأرياني، ومن كان عنده في الروضة، ومن كان عنده من المظلومين والأعيان الذين لا عقول لهم، على جمع أرحب وبني الحارث وبني حشيش ونهم وحاشد، على تجديد الضمان الذي بينهم والقُدوم بآسرههم على صنعاء المحمية، وأخذها عنوة وينصبوا معهم إماماً من يريدوا، وكل من كان من الذين^(٦) قد ظلموا يريدوا^(٧) إشفاء غليلهم، ونسوا إن ظلم العبد قد عمَّ الحاضر والباد وضمنوا لأهلهم بالكساء والحلي والحلل ويدخلوا صنعاء في ليلة الجمعة في العشر الأواخر من رمضان، وكتبوا إلى بكيل الذين في الظبر طارحين^(٨) على صنعاء، وقد كان أجابهم إلى ذلك جماعة من التوابع في صنعاء في الإدراك، واجتمعت جميع القبائل إلى الروضة، وكان المجمع للقبائل النقيب

(١) خ فزادة.

(٢) اضمحل الشيء بطل.

(٣) خ سرعت.

(٤) خ هاذا وهذا يتكرر فلا نعيده هنا.

(٥) من شعر لأبي فراس الحمداني.

(٦) خ الذي وهذا يتكرر فأصلحناها من عندنا.

(٧) خ يريد فأصلحناها ليتسق المعنى.

(٨) محيطين. أو مخيمين.

علوان لعذري، صاحب أرحب، وتوجهوا إلى المدينة المحمية قاصدين، وللغنائم طالبين، وقد اقتسموا فريقين فريق من أسفل صنعاء وبئر العزب/ والبساتين، وفريق من القصر، وقد ملأوا الفضا من كثرتهم، وبلغت أخبار شاذة إلى صنعاء فوقع الاحتراس وترتيب الدور والقصر، ونَجَلُوا^(١) البعض من بئر العزب وقاع اليهود، هاربين وظنوا الوقوع بهم تلك الليلة، ودخل الناس الوجل، وأنزل الله على الأعداء الخوف والفشل، وامتلات الفجاج من العسكر^(٢) ولم يعلم أكثر أهل صنعاء بذلك.

وفي نصف تلك الليلة وافقوا ذو غيلان ولم يجيئوهم إلى مقصدهم، وعلموا ضعف عقولهم وانتظروا عاقبة^(٣) أمرهم، فلما أحس بهم من في الدوائر والأدراك، وضعوا فيهم البنادق وأحاطوا بصنعاء إحاطة الهالة بالقمر، والعصابة بالرأس فلما قربوا من الدوائر نظروا فيها ارتفاعاً عظيماً، وأنزل الله عليهم برداً عظيماً، حتى أطفئ قتلهم من شدة البرد والزُمهرير، وداخلهم الجبن والفرع، وخفقت قلوبهم من الخوف، وعلموا أنهم قد أخطأوا، وإن أخذ صنعاء مستحيل، ولم تزل البنادق من الدوائر كالرعود القاصفة، ومن كان داخل السور، لم ينالوا بهم ولكنهم استعدوا لقتالهم، وكان ذلك وقت السحر، وقد كان قَصَدُوا نحو الخنادق العَدَنِيَّة والقبلية وبئر العزب، فلم يتم لهم المقصد والأرب، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، واستمر الرمي إلى وقت الفجر، فلما سمعوا الأذان انهزموا وولّوا الأديار وباؤوا^(٤) بالخزي والبور، وقد كان القاضي يحيى الأرياني، ومن أرادوا نصبه إمام في المشهد منتظرين ما يؤول^(٥) فخيَّب الله آمالهم وحجب على مدينته وعباده بقدرته، وكانت ليلتهم هذه من التواريخ عندهم، لما شاهدوا من البرد والخوف والفشل والوجل، ومن ارتفاع السور إلى عنان السماء ووقع البنادق في آذانهم كالمدافع، ومنهم من خفى لم يعد إلى أهله إلا بعد أيام حتى ظنوا هلاكه، فمن شدة البرد دخلوا تحت الأحجار، ولم يكن في المدينة برد، فالذي في الدوائر أرفع منهم، لم أدركوا شيء وإنما بركة المدينة وحماها، وأصابهم الجوع والهزال، فإنه أخبرني جماعة ممن^(٦) كان معهم أنهم قد شاهدوا معارك ووقائع وقتلات، فما رأوا أشد ولا أفجع عليهم

(١) نجلو بتشديد الجيم نقلوا أو رحلوا.

(٢) خ العركر.

(٣) خ عاقبت.

(٤) خ وبارو.

(٥) خ يا أول.

(٦) خ من من.

من هذه الليلة، ولم يكونوا تواجهوا بحرب، ولم سال دم وإنما آية من الله، وإنهم رأوا السور قريباً من السماء، ولما سمعوا التسبيح في الصوامع وقت السحر يشهدوا الله كأنه في السماء وعجمت ألسنتهم تلك الليلة، وقد ذكرنا ذلك مما جرى على صنعاء، ومما أنزل الله في أعلا^(١) الكتاب بما يؤيد^(٢) هذا، وهو مذكور من خرج على صنعاء وما قال الله فيها، وما قاله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وما قاله أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أعلا الكتاب جنب خلق السماوات والأرض فأقلب تجد وما ذكرنا هذا وما قبله إلا لإظهار حمى هذه المدينة، وإن الظالم فيها لا يفلح، وخيب الله آمالهم ورجعوا خائبين إلى أوطانهم وكذا بكيل.

ودخل شوال والعدة في بدن الإمام إلى زيادة، وقد حان أفول نجم السعادة والبلاد مضطربة، وبلغ الفساد أقاصي البلاد، وانتهت الدولة إلى عمية كما قيل شعراً:

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى رامها كل مفلس

واستمر ذلك إلى شهر ذي الحجة وقد كان انقطع الإمام عن الخروج والدخول/ إلى يوم الغدير، وتوفي وكنتم من كان عنده موته، وأفاضوا الخبر إلى الأمير خير وهو أمير العسكر، فحفظ الأدراك وتوجه إلى سيدي الجمالي علي بن المهدي ابن أخي المتوفي، وهو في دار المخا، وكان قد انغلق عن الخاص والعام، وأجرى له عمه فاضل الكفاية والإنعام من حين خرجوا من الحبس، وخرج للشنور^(٣) سيدي حسين بن المتوكل حسب عادته نائباً عن الإمام في الجمعة، والنشور، وكانت مدة خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر، وسبعة أيام، وكان خروج سيدي الجمالي بعد المغرب من دار المخا إلى بستان المتوكل:

كلما قالوا عساها قالت الأيام هذا مبتداها

دعا ليلة السبت تاسع عشر ذي الحجة الحرام سلخ سنة ١٢٥٩، ودعا الناس إليه وبايعه البعض في تلك الليلة، وفي اليوم الثاني استكملت البيعة وتلقب بالمهدي، وخرج لدفن عمه الهادي، وقبر جنب أبيه وأخيه في بستان المسك،

(١)

(٢) خ بما يابه

(٣) هو عاشر عيد الأضحى.

وضربت البشائر، وطلع القصر، وكتب إلى الأقطار وإجابته الأمصار، وسكن أهل البغي والعناد، وعفا عن الخاطئين، وتجاوز عن المسيئين، وهي عادته السَّلامة على جميع الناس ونصب الحكام، وأطلق قياد من مُستهم الضراء والمحبوسين الذي تعدُّوا عليه في خلافته السابقة، وذلك من سلامة صدره وواسع بره.

ودخلت سنة ١٢٦٠:

وأنفذ العُمال والحكام إلى جميع البلدان، وعقد الوزارة للقاضي يحيى الأرياني حيث ذكروا له أن ليس عاد في الوقت له ثاني، واعتقد الناس توبته وحسن طويته بسبب ما ناله ولاقاه من الشدائد والمصائب، وضرب السياط، وأخبر من لسانه إن ذلك الواقع فيه بسبب ظلمه، وقد تاب حيث تيقن قبح الظلم وشؤمه والله سبحانه قد حكى عن أهل النار بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا إِلَى مَا نَهَوْا عَنْهُ﴾^(١) فرجع للوزارة كما كان، وزاد في الظلم والطغيان، وأصبح يومه كأمسه وأمن مكر الله: ﴿وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢).

ونشأت فتنة بين أهل قرية (السواد)^(٣) و (دار سَلَم) وطالت وكلفت إلى خروج النقيب الماس، وحط على دار (سَلَم) وخرّب حصنهم لأنهم بغوا واستعانوا ببني بهلول، ودخلوا في الطّاعة وسلاسل الحديد وسلّموا الأدب.

ووصل إلى الحضرة الشيخ محسن صلاح صاحب (ذجة) يريد دراهم في صلح أصحابه وهو أكبر الخارجين وحبس أياماً وضرب عنقه وانكفت قبيلة (خولان) وخرجت، وطلب الإمام همدان وسنحان وبني الحارث، ووقع حرب عظيم، وغزت قبائل خولان على أصحاب الإمام لقلّتهم، وكثرت خولان طامعين في أخذ المطرح، فثبت النقيب والتابع أشد ثباتاً، ووقع يوماً عبوساً قمطيراً، ونصر الله أصحاب الإمام لقلّتهم، وخرجت بقية خولان مع بني بهلول، وطلب الإمام أرحب، ووقع القتل في الفريقين، واصطلحوا بعد يوم حنين، وخاضوا بيت الرّویشان وأصحاب الإمام في العبد اللعين الخبيث على دخوله صنعاء فيروز الذي شغل عباد الله في دولة^(٤) الهادي محمد بن المتوكل، وأسرّه خولان في وعلان، ولما وصل خارج صنعاء خرجت صنعاء بأسرها ينظرون إلى عذاب عدو الله وعدوهم، لما قد أخافهم

(١) سورة الأنعام الآية ٢٨

(٢) سورة الأعراف الآية ٩٨

(٣) هو سواد حزيز.

(٤) خ دولت.

وأخذ أموالهم وتخليصهم وضربهم، فوصل وعليه أثواب خلقه دنسه، بعد الذهب والحلي، فأرسل الإمام إليه من يوعده بالسلامة، ويخرج ما كان قد أخذه من بيوت الأموال وما شرحه في صنعاء مكتوماً ولئن له الرسول المقال، فأصر واستكبر، وجحد وأنكر، فلما علم إصراره وتيقن إنكاره أمر الوزير أن يركبه على جمل مقطرن^(١) ويوضع فوق رأسه الحرانة^(٢) الكبيرة، ويضرب ويطاف به في أزقة^(٣) صنعاء وشوارعها لينظر إلى الدنيا وعواقبها، وأمر بإخراج كاتبه من الحبس، وأمروه يقود الجمل المقطرن، ووضع عليه مرفع، والعبد حرانة كبيرة، وأحدقت به السفلة والغوغا وجعلوه نشالاً^(٤) للبصاق، ومن لم يكن به بصاق تنخم حتى جعلوه مثل المرأة، وناس يرحمه بالأحجار، وناس يلعنه، حتى لم يبق أحد إلا ما شفا فيه غليله بزيادة على ما يريد كل مريد، وتشفى لتعزيه كل حاضر وباد، حتى الأرامل والأولاد، خصوصاً الذين قد أخذ أموالهم وعذبهم وخصوصاً الخصوص سيده وولي نعمته الذي اعتقه وأخرجه من رَقِّ العبودية إلى الحرية الأمير سعد يسر فإنه^(٥) صادرة مصادرة عظيمة، وأغرى به لاختباره بما معه كما سبق وبقي طول يومه في العذاب المنكر إلى آخر النهار، وطلب في بستان السلطان موضع إمارته الذي فيها أمر ونهى، وحل وأبرم، وقد ألبسه الله ثوب الذلّة وخالطته العلة والقلة، وصارت أعينه تذرف بالعبرات، وكبده تتفتت بالحسرات، وقد جفاه الخليل وباينه الجليس والدليل، إلا أنه استشفى جميع الخلف منه، وأمر الإمام بقطع رأسه وخمود أنفاسه، فضرب عنقه في الميدان، وأمر الإمام بصلبه على العيدان المسماة بالسيية^(٦) وذلك الصلب في سوق الصير في محلّ التجار الذين أذاقهم الضرار، وكان لذلك موقع عظيم في جميع الأقطار، وعند فك القيود من رجله وجد بعض الخدم في الخرق الموطف^(٧) بها القيود فصّاً عظيماً من أكبر وأفخر الفصوص الماس، فأخذه الإمام على الخادم وسلّم له بعض الدراهم.

ويوم ثاني أخرجوه إلى باب اليمن، وأحدقت به الكلاب، ونادته الذئاب، ولم تأكل منه الكلاب إلا اليسير إلى أن جن الليل وأكلته السباع، وبقي رأسه لعبة

(١) أي مصبوغ بالقطران صباغ أسود.

(٢) طبل كبير مرفع يضرب به على رأسه كالتنبيه للناس.

(٣) خ أزقت.

(٤) غرضاً أو هدفاً كأنه محرف (نشان).

(٥) خ فا إنه.

(٦) سبق شرحه.

(٧) هي الخرق التي تمنع أذى القيد.

للمصبيان يلعبوا به الصولجان قاحش^(١). وهذا خزي الدنيا كيف بعذاب الآخرة، ونعوذ بالله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وطلب الإمام قبائل همدان، وأرحب ونهم، وتجهز لمخرج يريم أغرى الوزير بالشيخ عبد الله غالب، وصدقه الإمام لما قد كان نقلت إليه وإلى الناس توبته عن المظالم والمآثم، فإن الوزير في أيام عزله وقع بينه وبين الشيخ عبد الله كلاماً وآلى الوزير على نفسه لأن/ عادت الوزارة إليه ليستأصلن دياره، فتجهز الإمام وخرجوا خرجة مالها نظير، ووصلوا ذمار وأراهم الوزير فعل الدمار، وبقوا يومين، واستخلص فيها منهم ألفين، وعزموا يريم وشرع لهم بالعذاب الأليم، وكتب الشيخ عبد الله إلى الإمام أنه ما يقدر يواجه الوزير، ولا كنه باذل ما يريد، ولو لم يبقوا له شيء من ماله، فأبى الوزير، وخرجوا له وجرت المدافع، وما تم إلا الوصول إلى الحضرة وخراب حصنه وأخذوا جميع ما يملك وأطلعوه في سلاسل الحديد وبقي في حبس صنعاء حتى توفي، ولكنه قد ظلم الرعايا هذا الشيخ فصابت عقوبته من جنس فعله، وكادت الدنيا أن تكون دار جزاء، وتوجهوا بالجنود إلى بيت (الفرج) و (الأجلوب) وكانوا ممن خدم الدولة فسلكهم في الحديد، وعينوا عليهم من المال ما شاؤوا، وتوجهوا إلى بلاد (الأعروش) وأخذوا حصن (العراس) وهو شامخ البناء، وكانوا من أهل الفساد والعناد، فغنموا من أموالهم وسلاحهم والأمتعة والطعام مالا يحصر، وتوجهوا إلى بلاد (قعطبة) وأصلحوا فاسدها، وفتكوا بأشرارها، ودانت لهم تلك الجهات وولّى عليها القاضي إسماعيل بن يحيى البرطي ولما بلغ الفرنجي في عدن خبر الإمام وصلاح البلاد ولم قد أحكموا تحصين عدن فخشوا على نفوسهم^(٢) من أخذ عدن والوصول إليهم وأرادوا المكاتبه للإمام والمراسلة والمهاداة ولكن^(٣) الإمام هذا^(٤) وغيره من قبله إذا دانت لهم البلاد اشتاقوا للإياب فلو استقر ما كان له عذر ما يأخذ ما ذكرنا ولكن^(٥) أراد رجوعه صنعاء وتعذر ذلك البقا قطعاً وإلا فقد كان خرجت من عدن من تلك الرجفة كتبوا الكتب والهدايا والتحف وأرسلوها إلى الشيخ عبد الرحمن محافظ، فهي التي خرجت من البندر، فوصلوا الجواسيس إليهم وأخبروهم بعزم الإمام صنعاء، فلحقوا لذلك لأنه

(١) لعبة من لعبة الأطفال.

(٢) ساقط من المخطوطة.

(٣) خ لاكن.

(٤) ساقط من المخطوطة قدر كلمة.

(٥) ساقط من المخطوطة قدر كلمة.

شيء كبير إلى الطريق، واسترجعوا ما هنالك، جميع ورجع صنعاء مؤيداً منصوراً، ما قد وقع معه منصوراً في مخرج مثله ولولا وزيره ظلم العباد ولكنه رجع متوجاً منصوراً في نصف شعبان من السنة.

وفي شهر ذي القعدة آخر سنة ١٢٦٠ تحرّك الشريف الحسين بن علي حيدره على (ريمة) وأخذها وحشد الجيوش الشّامية، وأرسل مقادمتة من الأشراف، وعقد الإمارة الكبرى على الجيوش لمولانا العزي سيدي محمد بن يحيى المنصور، لما اشتهر بثبوت الجنان، وقوة الأركان، وفصاحة اللسان والصبر على البلاء والنصر عند اللقاء وأجزال العطايا، ولم يزل يستفتح البلاد، وقد تغلب على أكثرها قبائل حاشد، فأمر الإمام الوزير بالتجهيز عليها فجهّز عليهم الشيخ علي مثنى^(١) الجرادي صاحب عنس، ومعه خمسمائة عسكر، ورجع بخفي حنين ولما استولى سيدي العزي على البلاد وأجرى الأرزاق للأجناد الذين معه. [وظهرت آية انقضاء كوكب في السماء له نور أخضر وتبعه نور أبيض، وقرح كالمدفع]^(٢).

ودخلت سنة ١٢٦١:

ظهرت آيات سماوية وأرضية مفزعة، في محرم طلع كوكب صغير من برج الهنعة^(٣) له نور مثل قوس قزح بين العشائين، واستمر نصف شهر، ثم ظهر قبل الفجر، وظهرت آية انقضاء كوكب في السماء له نور أخضر وتبعه نور أبيض وقرح في السماء كالمدفع.

وفي هذا الشهر من سنة ١٢٦١ تجهز الشريف الحسين من المخلاف السليماني بجيش عرمرم، قاصداً استفتاح اليمن الأسفل، ولم تنزل جيوشه تدب ديب العقارب، وأمير الجيوش الشريف هزاع، وأبو طالب، فلما وصلوا تعز، وفيها العامل عبد الله بن علي الأرياني، فتخادعت الرتب وقبضوا دراهم، وابتاعوا ودخل الشريف المدينة، وأظهر الزينة وعقد الوزير لابن أخيه ولاية^(٤) مدينة إب، بعد أن قُلت^(٥) مدينة تعز وخرج منها طوعاً وببيعة، وعقد الوزير ولاية بلاد أنس للقاضي

(١) هو الحسين بن علي بن حيدرة الخيراتي (انظر نفح العود ٨٨).

(٢) من هامش المخطوطة.

(٣) من أسماء النجوم (انظر تاج العروس ج ٥، ص ٥٦١) ويأتي بين ١٨ يونيو و ٣٠ من يونيو انظر ملح الملاحه

ص ٢٢).

(٤) ح ولايت.

(٥) ترك.

إسماعيل بن يحيى العنسي، وقد ارتبشت البلاد جميع، وظهرت الفساد الفضيع ولا زال الوزير يتلافى^(١) الرعايا بأخذ ما معاهم مثل فيروز ويجري أهل الطاغوت^(٢) على المصلين لأجل يدخل الشحنة وأخذ الأموال بمدخل، وعادى الحكام وماج الناس موج البحار، واضطربت الأحوال في جميع الأقطار، ونجم نجم الأدبار وارتفعت الأسعار وشحت الأمطار، وغارت البحار، ولولا دفع الله بالطافة^(٣) لكانت القاضية.

وفي آخر محرم وغرة^(٤) صفر رفع أهل البستان شكائهم إلى الإمام من ظلم الوزير وأخذ أموالهم، وأخلا ديارهم، فدخل الوزير يخبر الإمام بما له فيه المرام، فسمع الإمام الكلام، وأمره بالتجهيز على بلاد البستان، وذلك بغية المريد^(٥) للوزير، وخرج الإمام بنفسه نصف النهار، ولبس الدروع الداودية^(٦) والبيضة العادية وأرسل أهل حضور رسائهم^(٧) إلى رؤوس الجبال ينظروا أين يريد الإمام، فلما نظر الوزير المشؤوم والجبان المعلوم الطلائع في رأس الجبل، خفق قلبه وظن أن قدمهم قوم وصّالين^(٨) عليهم، فصوب المبيت في عصر، وإنما هو من الجبن حصر، فلو طلع إلى رأس الجبل، كان الظفر، وكتب إلى بني الحارث وهمدان وسنحان، فعدل الإمام إلى عصر ورجعت أصحابه، ومنهم من رجع إلى صنعاء لقرب المطرح، وكان هذا الرأي مشوم، فما يجي من الشؤم إلا المشؤم، فصار شوم على شوم (شعر):

إذا ما أول الخطي أخطا فلا يرجى لآخره انتصار

ولو صعدوا إلى أعلاه لكان به النصر والنجاة فتخلل القضايا شياطينهم، وإذا الوزير ظن إجتماعهم، ولما تيقن أهل حضور ذلك أقبلوا كالليوث^(٩) بما هنالك بعين أرحب قد كانوا عندهم دعوهم من باطل الوزير حيث لم سمع لهم الإمام

(١) يغنم الفرصة.

(٢) هو ما يعرف عند الناس بالحكم العرفي ويسمى أحياناً المنع .

(٣) خ باللطافة.

(٤) خ غرت.

(٥) كذا في المخطوطة.

(٦) نسبة إلى داود.

(٧) عيونهم.

(٨) واصلين.

(٩) خ كليوت.

مشكاهم، وأقبلوا إلى رأس عصر بعد أن قد كان أدبروا في اليوم الأول لما سمعوا بمخرج الإمام أصرموا على الهرب، وصمموا على الفرار، وأقبلوا من بلادهم أعلا حضور، وطلعوا أصحاب الإمام لمناجزتهم، وتوجَّهت المقاداة من جهتين، الحاج فتح محمد من نقيل بيت عذران، وبني الحارث وسنحان من الجهة العدنية، وردوهم واكتسروا أصحاب الإمام، وثبت الحاج فتح إلى الليل وأقبل بخفي حنين لكنه أسلم نفسه وسَلَّم الكسيرة، وأقبلوا المفسدين إلى رأس الجبل وردوهم بالحجار جعدال^(١) كونهم من أعلا وردوهم الجعلا بالكسيرة حتى ردوهم مطرح الإمام، وآل الأمر إلى المصالحة على يد ناجي شريان وعرامان^(٢) وعلوان العذري على شيء من المال يسلم الإمام للبيعة ولا عليهم/إلا الواجبات، ويرفع الإمام المظالم التي يفعلها الوزير، وفي خلال ذلك في إقامتهم في عصر، وصل الشيخ علي حميدة صاحب باجل، يستغيث بالإمام من الشريف الحسين بن علي وهذه كما قيل (شعراً):

والمستجير بعمر عند كربته كالمستجير من الرمضاء إلى النار

ورفعت المطارح من عصر ورجع الإمام [إلى] صنعاء.

وفي ذلك الشهر ظهر الجراد ف جميع البلاد، وأكلت وأثرت في جميع الأرض، وتبعثها الدباء^(٣) واختلطت كبارها بصغارها، وظهر في برج الزبانا^(٤) النجم أبو ذنب له ذؤابة صغيرة إلى جهة المشرق، وكان يظهر وقت العشاء إلى آخر صفر وأفل. وقبض أهل الطعام طعامهم.

وفي غرة ربيع أول ظهر كوكب عظيم من العَدَن، سريع السَّير له شعاع عظيم للناظر، يتلون تارة أخضر وتارة كاللَّهب، وتارة نِير، وقد وقع مثله ذكر أهل الفلك أنه في غير دائرة الفلك يحدثه الله حتى يمتزج بعنصر النار، وهو يدل على حوادث نسأل^(٥) الله اللطيف.

وفي ذلك الشهر وصلت الأخبار بوقوع فتنة في مكة بين حرب وهذيل والشريف وعسير، بسبب قتيل ضرب عنقه في الحرم، ووقع فيها قتلى كثير وصلح الأمر.

(١) جعدال الحجارة أرسلها من رأس الجبل أو قلبها.

(٢) لعله عرامان.

(٣) صغار الجراد.

(٤) من نجوم الزراعة ووقته من ١٤ إلى ٢٦ تشرين أول انظر ملح الملاحه ٢٥

(٥) خ نسل.

وفي شهر ربيع آخر استولى الشريف حسين على القاهرة وجبل صبر، وقتل من أصحاب الشريف ستين رجلاً، ومن أهل جبل صبر أربعين قتيلاً وقبض على الشيخ أحمد بن محمد النجادة، ولم يزل الشريف يدوخ التعزية والحجيرة، ويزعج من فيها من القبائل المشرقية، وارتفع إلي ذي السفال، وأذاق من فيها من بكيل النكال والوبال، وأخرجهم من المعازل، وحشد عليهم القبائل وعدل في الرعايا، وألان القول وأحسن السجايا، حتى استولى على أجل^(١) بلاد اليمن، وصالح البقية بشيء من المال، وأخرجهم إلى طريق تهامة لأجل لا يعودوا، ومن وصل تهامة قبض رهيئته من زبيد، وإلا قد كان قبض الرهائن من قبل بدهاية^(٢) وخلاهم مكبلين في زبيد في سلاسل الحديد/.

وفي شهر ربيع سنة ١٢٦١ طلب الوزير الغوي يحيى علي الأرياني من أهل صنعاء المغلّبات بتسليم أضعاف الواجبات^(٣) وعزّر برجل من أهل سوق الحب^(٤) وكل ما استغاث أهل صنعاء بشكّيه إلى الإمام زاد الوزير^(٥) عليهم تجبّر وإيلام، فصار التصرف له في جميع الأمور، والإمام آله له، واشتد ذلك حتى خافه الكبير والصغير والجليل والحقير، ولم يزجره الإمام بل أنه مستصوب فعاله وأقواله، ولعلّه قد سلك مسلك العبد السّاحر، وما رأى كيف صار عاقبته، ولا رعى معرفة العلم وحقّه، ومع سلامة صدر الإمام وحمله لجميع الناس السلامة، ما سمع في الوزير قول قائل، فأجمع أهل صنعاء على قلب رجل واحد، ونزلوا إلى باب الإمام شاكين ولعفوه طالبين، فلما سمع الرّجّة والصوائح وعجّ أهل الغاغات^(٦)، وكان في بستان السلطان ففرع فزعاً عظيماً فسأل^(٧) عن ذلك فقليل له: بما هنالك أن أهل صنعاء يشكون ظلم الوزير، فجعل لهم مكتوباً في أيديهم أن الوزير لا يخاطبهم ولا بشيء يطالبهم، وقد كان شرّعت^(٨) الفتنة وقع الرجم، وأغلقوا باب البستان، فدفع الله وحجب، وهُمّوا أهل صنعاء بسيرهم إلى الوزير، وقدم

(١) كأنها على جل بلاد اليمن أي أكثرها.

(٢) بدهاء.

(٣) خ وجبات.

(٤) القمح.

(٥) خ الوزير.

(٦) جمع غاغه وهو الصباح والهرج.

(٧) خ لسل.

(٨) بدات.

متأبطين^(١) للشر، وأخبروهم أن الوزير في بئر العزب متضيّف، فرجعوا إلى أسواقهم، وتعاهدوا على أن جعلوا لكل سوق شيخ، وأربع مشايخ يلمّون شعث أهل صنعاء الجميع، بشرط يذّبون عن أنفسهم ويفتكون بعدوهم، فلما علم الوزير بذلك المشكّي ازداد غيظاً، وطلب القبائل الذين قد عاقدتهم وحالفهم فيما مضى، يريد يضربهم على أهل صنعاء، ويقع بهم، فلم يسعده أحد من القبائل كون^(٢) قد تعاهدوا وأهل صنعاء أنهم يد واحدة على عدوهم يفتكوا بعدوهم، وهم ألوف مؤلفة، فعلموا القبائل أنهم لا يقفون على طائل، ولم يتم لظالم مأموله، ولا زال الوزير يجمع الأموال والذخائر، ويرسلها سراً إلى الروضة إلى بيته الذي عمره سابقاً، وكذلك أهله وفراشه ولم يترك شيئاً، والناس والإمام ساهين، ولكن الأمور مضطربة كالأمواج والناس يهدرون هدير الفحول عند الهياج، وانقطعت المناسقات^(٣) من البلدان وخافت^(٤) السبلات، وأظهر البغاة الفساد والطغيان، وسقط ما في يد الوزير، وكان الإمام يجري نفقات الأجناد كل يوم بيوم.

وفي شهر جماد من السنة هرب الوزير إلى الروضة وتحصّن بها وضاق بالإمام الحال، وأرسل بعض العقال إلى الوزير، وجعله في أمان وإيمان، فلم يسعد ولم يقبل، فبعث الإمام إلى القاضي العلامة يحيى بن علي الردمي، وعقد له الوزارة بعد تلاشي الأمور وفوت واسع الجمهور، فقام بها أتم قيام وقد فات المرام، وجنحت الدولة المهدوية إلى الأفول، وطلعت الشمس المتوكلية بالسعادة والقبول، وذلك بعد إرتفاع مولانا بدر الإسلام بالجيوش الجرارة والعساكر المختارة من بلاد ريمة إلى حصن الدامغ، ونشر الدّعوة المتوكلية وأنفذ الرسائل إلى الجهات اليمنية، وأجابت دعوته في جميع الأقطار وخضعت له الأمصار/.

ودخلت تحت وطأته جميع البلاد (عتمة) و(وصاب) و(ريمة) و(ذمار) و(يريم) وجميع الجهات، وهو في ضوران وأطلق المحابيس الذين لهم أيام في ذمار وآنس وغيرها، الذين كانوا في حبس المهدي، وهما الأمير توفيق الدنوة والفقيه أحسن بن صالح القانص، والقاضي يحيى بن عبد الله الأرياني، هؤلاء العمال للمهدي ووصلوا حضرة المتوكل، والمحابيس مثل الأمير خير وسنبل.

(١) خ متأبطين.

(٢) بمعنى حيث.

(٣) المجلويات

(٤) أخيفت.

وفيهما قام سيدي محمد بن شرف الدين، وقبض على سيدي محمد بن عبد الكريم.

وفي جماد الآخر استنهض الشريف الحسين بن علي علي جميع اليمن الأسفل، وأخرج جميع البغاة، وقبض منهم رهائن، وأرسلهم زبيد، وكل أحد كان في اليمن من البغاة قبض عليهم الطرق وأخرجهم طريق تهامة، ومن طرح مات تحت يده فك رهينته، وأرسله إلى زبيد، وفتح لهم طريق تهامة ومنع الطريق العدنية لأجل يُعَد عليهم الرجوع.

وفي اليوم العاشر من جماد آخر تحرك المهدي من صنعاء بجيش جرار من التوابع وخولان وبني جبر.

وكان في خروجه الحلة^(١) والخير، وبات في حزيز وأقام يومين، ولم يقدرُوا أصحابه يجرُوا من أهل حزيز شيء، وأخبرني من أصحابه أنهم كانوا يحتاجون من أهل حزيز محتاجات يسيرة ما تقوم ببقشة^(٢) ولا بنصف بقشة، وكانوا يخرجوا أهل حزيز وبأيديهم الصُّمل^(٣) يدوروا على أصحاب الإمام يَدوروا^(٤) الفتنة وعزموا إلى وُعْلان، وعقد سيدي الوزارة للفقير أحمد محسن الحبي من تحت وزارة الرِّدمي، وخرج معه أعيان دولته، مثل القاضي يحيى بن علي الشوكاني، والفقير إسماعيل بن محمد العُمري والكتاب بني الحيمي، والأمراء وأخرج من الخزائن للمجاهدين الذين عزموا صحبته، وفي وُعْلان عقدوا وزارة العكفة^(٥) لسيدي يحيى بن علي الشامي، ووصل إلى حضرته الشيخ يوسف بن قاسم شيخ المخلاف من بلاد أنس، فخلع الإمام عليه الذهب، وهب له من المال لأجل يخادع من في أنس، فقبض ذلك، وصار إلى عند المتوكل محمد بن يحيى، وأقام سيدي المهدي في بيت الزيايدي وتقدم الجند على قرية النقييل وهي قبلي نقييل يسلم، وكان الرتبة فيها من أصحاب محمد بن يحيى من ذو محمد، ولكنهم مقلّة^(٦) فجرى بينهم الحرب،

(١) بمعنى فتح الخير، وإغلاق الشر.

(٢) من العملات ويقول الأب أنستاس الكرمللي أنها أساس النقد عند اليمنيين وتقسّم إلى نصف بقشة وربع بقشة، وكل عشر بقشات تساوي ربع ريال نمساوي أو أمامي أو عمادي، وكل أربعين بقشة تساوي ريالاً واحداً وأصل تسميتها مأخوذة من التركية (انظر بلوغ المرام ص ٤٢١).

(٣) جمع صميل العصاء الغليضة وهي لفظة فصيحة، انظر تاج العروس ج ٧ ص ٤٠٧.

(٤) أي يبحثوا دور عن الشيء بحث عنه.

(٥) هم حرس الإمام.

(٦) أي قليل.

وأزعجهم وأخرجهم منها، وفرح المهدي بذلك، وعزم إليها وحطّ فيها، وهي في أوهاط^(١) الأرض والماء فيها قليل، ويصعب فيها على المارة يَحُوز^(٢) من في النقييل، وما وقع المحاط فيها إلا لعميه الأبصار والإحاطة لمن فيها بالأقدار، ونزول البلاء على ساكنها والأقدار ولا نقضا الآجال والأعمار، ولما علم سيدي البدر العُزي بخروج الإمام من صنعاء، خرج من صوران، ووصل طرح في قرية ضاف، ووقع حرب بين الفريقين، وسقط قتلى من الجهتين، وقد تقارب الجمعان، وتراءى الفريقان وأكثر القتلى من أصحاب سيدي العزي، حتى قرّعها الله سبحانه بالمطر أطفئ نار حربهما، وكان من طلبه المهدي من الرعايا يصال إلى قريب مطرحه، ويُعدل عند السيد العُزي، ووقع المخادعة لأصحاب المهدي، وتسَلل البعض منهم وبايعوه، ولما تيقن السيد المهدي انقضاء دولته وانحراف قلوب رعيته، وقد شَقَّت على الخلق خلافته، وخرجت الأجناد عن طاعته، ونظر إلى المتوكل وكثر الخلق لديه، وإقبالهم عليه وهم أهل بيت واحد، وإن كان الملك/عقيم فقد اقتضى الحال بالتسليم، فوقع الصلح بين المهدي والمتوكل على إتفاق رأيهما ولمّ شعتهما، وجمع شمل المسلمين، وسلم سيدي الجمالي الخلافة لسيدي العزي، واجتمعا في خيمة واحدة، واختلط العسكران وكان المتوكل يعظّم سيدي الجمالي، أتم التعظيم ومفوض له في التأخير والتقديم، وحمل المتوكل للجمالي جميع ما لزمه من الأثقال، وقابله السعد والنصر والإقبال، وكفى الله المؤمنين شر القتال.

ذكر المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي :

وقد سبق ما يتصل به النسب من عند المنصور علي إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه .

(بوابه) إسماعيل هادي .

(عاقل خدمه) قاسم بن أحمد اليمني .

(كاتبه) الفقيه عبد الولي بن محمد المعلمي .

(وزراؤه) الفقيه محمد بن أحمد العفاري، والشيخ عبد الرحمن محافظ، كان تركي لكنه ناسبه^(٣) اليمن فسكّنه [وقد كان وازر معه الشيخ علي مثنى الجراي،

(١) منخفضات.

(٢) أي يحاصر.

(٣) هنا بمعنى أعجبه أو وافق مزاجه.

والسيد محمد بن حسين الشامي، والفقيه أحمد محسن الحبي وعزلهما بهذين المذكورين^(١).

(كاتب العكفة) الفقيه أحمد بن إسماعيل حميد.

(سيف خلافته) ولده غالب.

(حاكمه) السيد العلامة علي بن العباس بن المؤيد من هجرة وادعة.

دعا في سابع عشر جماد أول سنة ١٢٦١ وتمت البيعة في ثامن عشر جماد آخر، بعد تسليم سيدي علي بن المهدي سنة ١٢٦١، وتلقب بالمتوكل على الله، وكتب المتوكل، وسيدي الجمالي علي بن المهدي إلى من في صنعاء المحروسة، بما صار إليه الأمر، ويأمر الناس بالسمع والطاعة والسلوك مع الجماعة، ويأخذ البيعة، وكان سيفه سيدي حسن ابن قاسم بن المتوكل، وحاكمه القاضي العلامة الصفدي أحمد بن محمد الشوكاني فلما كان يوم عشرين من جماد، توجه سيدي المولى المتوكل بالجيش العرمرم قادماً [من] صنعاء المحمية بالله، ولقيه أهل المدينة والأعيان إلى بلاد سنحان، وانتظروه لصلاة الجمعة، ولم يدخل إلا عقيب العصر لكثرة الجيوش، وتزاحم الناس، وأول ما اقتصّ لسيدي علي من شيخ وعلان وأهل جزيز.

فإن أهل جزيز حين خرج سيدي علي بات عندهم في البرية، وكانوا يخرجوا الليل بالصُّمْل ويتحدثوا لو أحد ينكي ثمرتهم من أصحاب سيدي علي يقتلوه، وصاحب وعلان القيطاش وأمر سيدي علي أن يمسي في القرية حق الماورة فمنعوه وردّوه إلى المطرح [فأجاب^(٢) الشيخ حسين أن معه رايات لا أحد يدخل القرية فأمر المتوكل بنهبها فنهبت في أسرع وقت، حتى نجارتها وأخشابها، وحبس الشيخ وقد كان هم بضرب عنقه، وأما أهل جزيز فلما بلغه ما فعلوه مع سيدي علي، فأمر بالغداء عندهم، وأقسم لشيخهم يحيى الشاوش، لو يبقي أحد من أصحاب الإمام بغير غدا لأهلك القرية بمن فيها فغدوا أصحاب المتوكل حتى المتفرجين ومدة الانتظار للغدا والاستراحة هدر^(٣) لأصحابه وأدي القيسي^(٤) حق أهل جزيز فأطعموا الخيل والجمال والبغار والحمير، وشدّوا بقية السمر^(٥) والشعير إلى صنعاء فهذا

(١) من هامش الصفحة.

(٢) من هامش المخطوطة وضعه بعد قوله في الماورة.

(٣) مباح.

(٤) نسبة إلى القياض وهو موعد زراعة المحاصيل بعد الصّراب انظر ملح الملاحه ص ١٦٩

(٥) من الحبوب.

بذاك، ولا عتبان على الزمان ما وفّت ثمان أيام حتى أوقع قصاص الغيب وكل ما وقع معنا من العقوبة فما هو إلا بسبب إهمال السادة الأفاضل حتى أرانا الله هذه الطامة الكبرى].

وبات في السمسرة وبعد خَرَجَ خَيْمٍ في (المرمادة) من شدة الكتن^(١) ولما وصل المتوكل أمر بالميت في الماورة، ودخل من باب السَّبْح وعليه السكينة والوقار بمركب يسر الودود، ويغيض المبغض الحسود، ووصل بستان السلطان واجتمع لرايته من كل من كان حاضراً وباد، والدعاء له من كل لسان وصرف السيد الجمالي [إلى] دار الصافية في بئر العزب وحمد الله على السلامة والعافية، ورجع الناس إلى منازلهم آمنين بعد خوفهم، وجلبت الطعامات بعد عدمها، وعمت سحائب البركات، واطمأنت الناس في جميع الجهات.

ولما وصل صنعاء المحروسة مال عن الإقامة والدعة وأعرض عن لذات المأكول والسعة ورأى أن ما للمهمات إلا نفسه، وترك السؤال عن سعد الطالع ونحسه، ولم يزل يتفقّد أحوال الرعايا، ولم يفتر عن جوابات الشكايا، ومنع الحجاب عن تغليق الأبواب، ولم يزل يلحظ في أحوال الناس النظر، ولم يؤثب فيه وعك الطريق والسفر.

وفي ليلة السبت أرسل الإمام للقاضي يحيى الأرياني إلى الروضة يطلبه للوصول إلى الحضرة الشريفة، وعقال الروضة صحبته، ووعدهم بالخروج بنفسه إليهم في يوم ثاني إن لم يدخلوا، وعند وصول الرسل إلى الأرياني سقط ما في يده/ وجفاه كل من حالقه وخالفه وعاقده، وأنزل الله عليهم الذلة بعد العزة، وقد كان تشجّع أهل الروضة، وظنوا أنهم من عناترة أيامهم حتى أن السفلة وأهل الأسواق يزعمون أن قد فاقوا قبيلة همدان، وقد صاروا أهل المنعة والسلطان.

وأشهروا السلاح والبنادق في كل دكان كما قيل شعراً:

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطعن وحده والنزالا^(٢)
واحتكموا للطاغوت، وأضاعوا الشريعة ومنعوا أهل صنعاء من إستقلالهم

(١) هو ما يعرف بالثق دويبه تمتص دم الإنسان.

(٢) من قصيدة للمتنبي أولها:

ذي المعالي فليعلون من تعالى هكذا هكذا وإلا فلا لا

بأعنا بهم ونسوا اعتياشهم^(١) في مرانهم^(٢) وأبوابهم.

وصبح السُّبُت ثاني دخول المتوكل صنعاء دخل القاضي يحيى بن علي الأرياني، وعليه أهبة الوزارة وقد مَنَّتْه نفسه بالإمارة بأنه مطلوب للوزارة، ودخل معه قليل من أهل الروضة، ولما وصل حضرة الإمام أغلظ له الكلام، وانتقمه أشد الإنتقام، وأمر له بالأدهم^(٣) وكان قدومه شراً مقدماً، وأودعه قرار السجون وأذاقته حتوفه ريب المنون.

وفي ذلك اليوم أمر الإمام بحبس الشيخ عبد الله بن علي حميدة وإيداعه دار الأدب لَمَّا بلغ من أفعاله والتخلق بغير خُلُق أشكاله، وأرسل المولى إلى بيت الأرياني لتسمير منازل وإخراج أولاده وحلائله.

وفي ذلك اليوم قد كان هَمُّ المولى بضرب عنق الشيخ حسين القطاش، والقاضي يحيى الأرياني، لما بلغه من أفعالهما القبيحة وأُخِرَ صلبهما حتى يستخير الله في أمرهما، وكان قيام هذا الإمام نقمة للأشرار ورحمة للأبرار، واستقرت بقيامه الأمور، وزال حرج الصدور، وأحياء الله بقدومه ما كاد أن يموت، وتدارك لحسن نيته ما كاد أن يفوت، ولم يزل أيده الله في إصلاح الأحوال، واستدراك ما كان وقع التفريط به من بيوت الأموال.

ولما كانت أول جمعة اجتمع لرؤيته الحاضر والباد لأن أكثر الناس لم يعرفوا هذا الإمام لأنه استوطن تهامة من سنة ست وأربعين، ومع طول مقامه في تهامة فاق أشرافها وأمجادها في الرئاسة والزعامة، وبلغ في المجد الغاية، وفي معالي الأمور النهاية وحج بيت الله، وزار جده صلى الله عليه وآله وسلم، ودخل إلى حضرة سلطان الإسلام وأكرمه غاية الإكرام، وقابله بالإعزاز والإعظام، وقيل عقد له ولاية اليمن لما انتهى إليه أخبار الظلم وترادف الفتن فكان من أمره ما كان.

وفي سلخ شهر جماد وصل القاضي محمد بن يحيى الأرياني، تحت الحفظ من يريم، ضبطه أهل المدينة، والعامل المرسل من حضرة الإمام المتوكل، وأودعه الحبس، وكان عاملاً في يريم وخبان، وقد عامل أهل تلك الجهات معاملة^(٤)

(١) تكسبهم.

(٢) جمع مرنع وهو الخندق ينزل فيه الساني بمواشيه لنزع الماء من البئر.

(٣) من أسماء القيد سمى بذلك لسواده.

(٤) خ معاملت.

وردسان^(١) وطلب منهم المغلّبات وحملهم فوق الطاقات فأوقعته أعماله في شباك المهالك.

وفي شهر رجب وصل عامل ريمة الشيخ علي يحيى المنتصر إلى حضرة الإمام وأحسن نزوله والمقام، ولم قد^(٢) وصل صنعاء قبل هذه وجَدَّ له^(٣) المولى الولاية وعاد إلى أوطانه.

وبعد ثاني وعشرين من رجب على شهر/ من قدومه توجه المولى بالجيش المتكاثرة والعصائب الوافرة من قبائل همدان بن زيد والتوابع إلى بلاد عيال سريح وعمران لاشتهار الخروج واشتغالهم بالفتن فيما بينهم والتفاخر بقتل الأبناء وآبائهم، وبلغت القتلى من الفشتين نحو المئتين، ومنعوا حقوق الله الواجبة، فلما وصل الإمام بلاد عمران، أبدل الله الخوف بالأمان، وأصلح شأن القبيلتين، وخطط العساكر عند الفشتين، وضبط الأشرار منهما، وأودعهما في سلاسل الحديد، وعين عليهما من المال ما عَيْن، وأمرهما بالواجبات، وأصلح أهل الحائط وذيفان، وأوجفت من خرجته إلى عمران، المشارق وذو غيلان، إلى صعدة، ورجع في شعبان مؤيداً منصوراً مظفراً، وقد أصلح الله البلاد والعباد، وكفى بقيامه أمان السبلات ووجد الطعامات، وكثرت الأمطار في جميع الجهات، وذلك بمَن الله وإقامة الشريعة، وإمضاء الحدود وإزالة البدع والطاغوت.

وفي ذلك الشهر أمر بتعزيز جماعة من السفلة الذين يبيعوا المغيَّرات^(٤)، وطافوا بهم في شوارع صنعاء، وأمر بتكسير الملهيات من الدفوف والمعازف والمطربات، وحشد الناس إلى المحافظة على الجمع والجماعات، في أوقاتها، ووكل بهم من يرشدونهم ومن نومة الفجر يوقظونهم، وهذه من سنن آبائه الكرام، ومن خصائصه الشريفة حضور ديوان الشريعة، وعند الرقومات ومنع المناقضة والمخالفات، وقد هَمَّ بالتجهيز إلى جهات اليمن وخُبان ويريم، ولكن أقبل الشهر الكريم فأخَّر، ووصل إلى عمران الشريف هَزَّاع من أبي عريش، ودخل صنعاء وصرفه في دار نفيسة، وكان قدومه من اليمن بعد رجوع الشريف حسين إلى برط وبعد تسليم البلاد من ذو محمد.

(١) هو أحد ولادة الأبريين (انظر أخباره في السمط الغالي الثمن) وغاية الأمانى ٣٥٥.

(٢) أي ما كاد.

(٣) خ وله.

(٤) كأنها المسكرات المغيرة للعقل.

وفي شهر رمضان وصل إلى الحضرة ابن مغلس صاحب الحجريّة والشرجي ،
وولاية التعزية وأوصاه الرفق في الرعية، وتفرقت العمال في اليمن .

وفي شهر رمضان فتح الإمام قراءة في الجامع المقدس بعد صلاة الجمعة في
سنن الترمذي^(١) ولما سمع بعض المبغضين القراءة في سنة سيّد المرسلين لم يزل
يدبّ دبيب الحيات ويسعى سعي العاهات وهو من ذوي العاهات، وألقى في أذهان
الرعا والعامة ما يدخل فيها، وذكر لهم أن المولى حفظه الله قد أجمع رأيه، ورأى
بعض العلماء على تقديم ذكر الصحابة في لخطبة، ولم تزل الأخبار تشتعل شعيل
النار، وشاع ذكر ذلك في الأقطار، ولم يكن في ذهن الإمام من ذلك شيء، وكادت
الفتنة نائرة ونيرانها في الأقطار ساجرة، وكان البعض يدخلون الجامع لصلاة الجمعة
والأحجار الطاهرة في جيوبهم معهم، وهم على أهبة الفتنة، ودفع الله ذلك، وظهرت
الدسيسة وآثارها^(٢) ممن في قلبه مرض، ولما عاقبه الإمام عاقبه عقاباً يسيراً وغرّبه
قريباً من نحو ستة أشهر.

وفي شهر شوال أنفذ الإمام المصدقين^(٣) لقبض الواجبات، ورفع عنهم
المظالم والدفع التي قد كان صارت عادات، ولما بلغت الأخبار إلى بندر عدن أن
الإمام قد طلب جميع القبائل للمخرج لإصلاح البلاد، كتب كبير الفرنج الذي في
عدن إلى الكفار من الصابئين^(٤) الذين في بلاد الهند/ وطلب منهم ألفين لحفظ
البندر، فأجابوا داعيه إلى المنكر، واجتمع حزب الشيطان إلى عدن ولحج وأبين،
وهذه الفرقة الذي استعان بهم الفرنج هم من الذين يعبدون النيران، ويفسلون
وجوههم بأبوال الثيران، ولو قصدتهم المسلمون إلى تلك البلاد كان فيها الرشاد،
ولكنهم تقسموا فرقاً فالبعض منهم بغاة، والبعض مبغى عليه، والبعض مجاهدون
وحزب الله هم الغالبون.

وفي شهر شوال الثالث منه خرجت الضربة المتوكلية، ووضعت على قانون
لا تحيل فيه، ومضت إلى الأقطار، وزافت الضربة المهدوية، وأمر المولى بكناسة
الشوارع.

وفي شهر ذي القعدة خرجت بكيل بأجمعها يريدون ما كان يأخذون وإلا فهم

(١) إحدى أمهات الحديث.

(٢) كأنه وأثارها.

(٣) الذين يأخذوا الواجبات.

(٤) في الأصل الصابين.

سيأخذون البلاد ويبلغون في الأرض الفساد، وطرحوا في خارج الروضة فعرفهم الإمام بأنهم يدخلون في الطاعة ويسلكون مسلك الجماعة، وصاروا حائرين الفكر ليلتهم، فما أشرق الصبح إلا والإمام عندهم بجندهم، والخييل محدقة بهم، وهم على غير أهبة بل في حالة سبار^(١) الغدا وسلاحهم مطفىء؛ ففزعوا غاية الفزع وتيقنوا أنه بطل أروع، وأنه منهم أشجع، فدخل بينهم وأمرهم بالشَّداد ودخول المدينة، وفيها حزمت^(٢) أمره وتحصينه، وأجرى لهم الكفائيات، ونالهم من كرمه العطيَّات، ووعدهم بالخروج لإصلاح البلاد، وأمرهم بالنصرة والجهاد، وعاهدوه على الطاعة والإنقياد، وقبَّدهم سيف عزمه، وصفدهم بجزير نواله ورفده.

وفي يوم الجمعة سابع وعشرين شهر القعدة، خرج بعد صلاة الجمعة، وقد تقدَّمت الجيوش الجرارة، والعساكر المختارة إلى مطرح سيَّان، وأمر بجُرَّ المدافع الكبار المسماة بالأشرم، والقاضي، والجَّرار، وتوجَّهت الكتائب قاصدة، وللأعداء طالبة، كتيبة بعد كتيبة، وقبيلة في أثر قبيلة، حتى وصل الإمام مدينة ذمار، وأقام ثلاث وتوجَّه يريم، ووافى عيد الأضحى^(٣) فقسم للمجاهدين الضحايا، وأجزل لهم الهبات والعطايا.

وثاني يوم الغدير، أمر الإمام بالتَّقدم على حصون بيت الأرياني، وتقدم الشيخ عبد الله العمري بجماعة من أهل تلك البلاد، وتبعه الشيخ حسين بن يحيى عُبَّاد، بقبائل الأعماس ورعين، وتبعهم الشَّايف وشريان بذو حسين، وأحاطوا بالحصون من كل جهة، وجرت المدافع حتى حازت حصن إريان، وأخربت المدافع، ودخلت القوم، وأخذوها عنوة، وكانت مدَّة الحصار قريب من شهر، وضربت البشائر في جميع النوايف^(٤) والجبال، وأيقن أهل إريان بالنكال، وتقدَّم الإمام وقد قابله النصر والإقبال، حتى وصل بنفسه الحصن، وضربت الخيام وطاب الاستقرار والمقام، ووضعت جنود الحق على المفسدين الرِّصاص كالسهام، وأظلم الجو من القتام، ونزل بهم رسول الحمام، وتزلزلت الأقدام، ولما أيقن من في الحصن بالزوال وهلاك الأنفس والأموال، كتبوا إلى الإمام يستمدُّون منه الأمان ويطلبون كريم عفوه والإحسان/ فطلب الإمام خروجهم إلى الحضرة والدخول فيما دخلوا فيه

(١) إصلاح.

(٢) أي قوة دولته.

(٣) خ الأضحا.

(٤) الجبال المنيفة.

رعيته، وتخريب الحصن حَقَّهم وهدم كل مانع، وتسليم ما عَيَّنه عليهم، ولهم منه سلامة رؤوسهم وأهليهم، وحفظ أمتعتهم وخروجهم إلى القرية، فأسعدوا لذلك حيث لحقهم الضرر لما هنالك، لما علموه من عدم السَّلامة، وصاحت في دورهم البوم والهامة، ونعق غراب البين في وجوههم، وتخلل الغراب الأبقع في بيوتهم، فخرجوا من الحصن صاغرين، وسلکوا مسلك المساكين، بعد التجبر والتكبر، وخاب ظنهم الباطل أن حصونهم مانعتهم من الله فأأتاهم من حيث لم يحتسبوا وسلط عليهم سلطانه وشد بقوة عضده وأركانہ، وخرب الحصن، وقد كان وضعوه على أعظم أساس، وغرموا في الأموال الجزيلة، وافتخروا ببنائه على حصن الغراس، حتى صار أهل تلك الديار يشيرون إليه بالأصابع ويرونه كالكوكب الطالع، فزعزعت دوائره المدافع وذهب اسمه ومعظم المنافع.

ودخلت سنة ١٢٦٢:

ولما فرغ الإمام من حصن الأرياني وهدم الدور والمباني، ألقى إلى مسامعه الكريمة ما تيقن صدقه وتحقيقه، أن الشيخ حسين يحيى عباد، ظهرت منه الخيانة، وهو موضوع في محل الأمانة، فأمر بحبسه، وتحقق ذلك، فلما وصل الإمام قاع الحقل نظر إلى حصن شامخ البنيان مرتفع المكان، وأخبر أن ما وضعه ابن عباد إلا واستعد للمنع والفساد فأمر بهدم ذلك المعقل، وأخرج أهله منه، فخرجوا بسرعة، واجتمع لتخريبه الرُّعاع، فما كان فواق ناقة إلا وقد نزلت الأحجار، وأظلم الجوم من الغبار، ووصل الخراب إلى القرار، وتوجه الإمام ومعه العقال ذو محمد في السَّلاسِل، والأمر لهم بتفريغ المعقل، فمن تاب عن البغي والفساد سَلَّم المعقل الذي اغتصبه سلم، وتوجه من خَبان وعَمَّار وقعطبة، وطاف ما اغتصبه الشايف من بلاد الأملاك وأسرها في نفسه وهو مخلاف عظيم، كثير الغصب والنبات، وقد صار في يد الشايف، وتوجَّه الإمام من شرقي جبل بعدان، حتى حاذى ببلاد الحُمَر والشُرمان، وقصد بلاد صهبان، والدعاء له بكل لسان، والرعايا في أمان واطمئنان، وأقام في بيت الشُعبي نحو أسبوع، حتى صلحت البلاد، وتوجَّه من باب ميتم، ودخل مدينة إِب، ولم يزل يتقضى أحوال البلاد، ويزجر أهل البغي العناد، وعفى عمن أخطأ وسَمَح عما سلف ومضى، وقرر الواجبات ومنع المشايخ والعمال من طلب المغلَّبات، ولما شاع الخبر أن بني إبراهيم الساكنين في بلاد حبيش قد تمادوا على الطغيان، وقطع الطرقات في الشعاب والوديان، أرسل الإمام عليهم عصابة من العسكر وأهل البلاد، ليضبطهم وقبض على عصاتهم، وخراب

منعتهم وحصنهم، فغدروا بهم وهم نائمون، ولما قبضوا على الأحرار والعبيد سلكوا بهم في سلاسل الحديد/ ووصلوا بهم إلى حضرة المولى ووقع تأديبهم وخراب حصونهم، وتابوا عَمَّا فعلوا وندموا على ما أسلفوا، وهم من موالي المشائخ آل علي سعد تناسلوا حتى كثروا في جيش.

وتوجه الإمام إلى بلاد حبش، وأقام في مدينة ظُلْمة، وبعد نهض المخادر لإخراج بقية الخارجين من البخاري وكانوا في قرية عمقى وأكثرهم من آل ثروبة، وكانوا منتظرين وصول أصحابهم من برط لنصرتهم وتعاونهم على الباطل، فخبى الله آمالهم وأذاقهم سوء أعمالهم، ولما وصلوا بكيل حين أرادوا ينصروا أصحابهم الذي في البخاري، فلما وصلوا ريذة البون كتب الإمام إلى صنعاء إلى ولده سيف الإسلام غالب بن محمد، يأمره بالتجهيز على الأعداء إلى البون، فأمر سيف الإسلام الوزير الشيخ أبو زيد بجمع قبائل أرحب وبني الحارث وهمدان والتوابع وسنحان، ووكل كل قبيلة تحفظ جهة، وحشد عمران وعيال سريح، بحفظ بلادهم، فلما تيقنوا إنحصارهم ومنع السبل من اجتازهم، طلبوا الأمان وتوسط عقال همدان، وقد كان مضوا إلى باب شبام كوكبان، بخيانة من عيال سريح، ورجعوا بلادهم خائبين وسلموا لهم قليل من المال، وأما ما كان من خبر البخاري، فلما علم الإمام تراخي المقاداة على الخارجين قدم بنفسه، وجرت المدافع الكبار، ونالهم بسوطته أشد الحصار فزلزلت مقاعدهم وأوهنت مجالدهم، وصاح بهم رسول الحمام، وزلزلت الأقدام، وصارت آمالهم أضغاث أحلام، فطلبوا الأمان وكريم الصفح والإحسان وخرجوا إلى بابه السعيد وسلكهم في سلاسل الحديد.

ورجع الإمام إلى صنعاء منصوراً مؤيداً ظافراً مشكوراً، وفرّق القبائل جميع وذو غيلان، وأمرهم بالرجوع إلى الأوطان، وكان وصوله في آخر صفر من السنة المذكورة، وقد كمل^(١) ما أمر به من إصلاح عمل في دار الطواشي، وتجسيصها حتى صارت زينة للناظرين.

وفي شهر ربيع أمر الناظر للوقوف بتجسيص جميع المساجد، وفرشها لما تقادم عهدها، وهذه من المناقب التي لا يحصر حمدُها.

وعند وصول الإمام صنعاء قبض على النقيب محسن الشايف لحتى يطلق ما تحت يده من الأملاك.

(١) أكمل.

ونعد^(١) إلى ذكر الشريف الحسين بن علي بن حيدر لما رجع من اليمن، وقد دَوَّخه وأزال البغاة منه، ودانت له البلاد، وذلت له الرقاب، وصل الحديدية، وطلب الشيخ علي حميدة صاحب باجل الوصول إليه، فبذل له كل ما يطلب ويعذره عن الوصول، فلم يعذره الشريف، وأمر التجهيز على علي حميدة، وخرج بالأجناد والمدافع، والعدّ والعديد، وعلي حميدة تجهّز للقاء وجمع قبائله القحرا والجرايح، وقليل من همدان، ومن يام وحاشد، والتقى الجمعان في خبت أبي درعان، ووقع بينهم يوم عسير، قتل من الفشتين خلق كثير، وباتت الهزيمة في أصحاب الشريف حتى بلغ أول المهزومين الصّليف، وأخذ أصحاب علي حميدة المحطة، وانتهبوا ما فيها من الميرة وآلت الحرب والخيام، ورجع أصحاب علي حميدة إلى باجل، وقد داخلهم العجب، وأرادوا قسمة ما انتهبوه فعند محاورتهم ومجادلتهم، وصل رجل معه نار فسقط منها على البارود فارتفع شواظها ولهبها حتى قتل منهم قريبا من ثلاث مئة ما بين رجل وامرأة وصبيان وبعد هذه/الوقعة قلبت البلاد للشريف ظهر المجن، وأخذت الأرض زخرفها، وعصاه أهلها، وتفرقت الجموع وتوجّه الحسين إلى بندر الحديدية وانغلق على الناس، والبلاد في يده على وهن، وقد عصاه الناس في السرّ والعلن.

وفي خلال ذلك أطلق الإمام النقيب محسن الشايف من الحبس، وهو أطلق ما اغتصب من الأملاك.

وفي هذا العام وقع وباء في تهامة وفنا، ومات منه خلق كثير، حتى تعطلت قرى، وبعد أيام من الله بالمطر حتى سكنت الأبخرة المتصاعدة من الأرض.

وفي شهر جماد آخر من السنة، جمع الإمام جميع الحكام إلى ديوان الشريعة في بستان السلطان، ورجح رأيه الصائب، ونظره الثاقب تولية القاضي العلامة الألمعي الصفي أحمد بن محمد الشوكاني للحكومة الكبرى، وكان الحاكم الكبير سيدي العلامة الجمالي علي بن عباس، وكان فاضلاً عالماً إلا أنه يعامل الناس معاملة واحدة لا يميز بين أحد فخلا المجال للأشرار مع عظم سيدي، حتى أن كل محكوماً عليه يجعل الحاكم خضماً له ويريد مرافقته إلى الإمام، ويرفع إليه شكواه ويظهر تظلمه وفتواه.

وفي شهر رجب جاءت الأخبار بخروج الشريف الأجل، والسيد المبجل

(١) أي ونعود.

إسماعيل بن إبراهيم المغربي إلى تهامة قاصداً إخراج الإفرنج الذين أخذوا قطراً من اليمن، وهي فرضة^(١) عدن وبلادها، ولم يجاهدوهم أحد من المسلمين وهو من أشرف مغرب الجوان وقد استأذن سلطان الإسلام في ذلك وأذن له بما هنالك وتوجه إلى مكة ثم إلى الحجاز ثم إلى أبي عريش، وأقام في أبي عريش أياماً، وقد صحبه خلق كثير من أهل السُيوف والعصا^(٢)، وكان من عاداته تفريق أصحابه للغزا في القرى والبوادي، وأهل كل بلاد يضيفونهم يومهم وليلتهم، وأخذ على أصحابه المواثيق أن لا يضرّوا أحداً، ولا يأخذوا من أحد شيء من الأموال، قيل أنه ظهر من كراماته أشياء كثيرة، وكرامات ظاهرة منها أن الشريف الحسين اختبره ووضع له باروت^(٣) في الأرض، ولم يخبره حتى قعد عليه، وظهر فتلاً عليه، فصار ماء وليس ذلك من السحر والتمويه، ومنها أنه كان يخبر أصحابه ما يصنع الإفرنج، وصار صحيحاً، ويخبرهم بما في (عدن: ويصفها، ولم يعرفها أبداً، وفيه من القناعة والورع والزهد ما لا يوصف، وبذل له السلطان أموالاً عظيمة للجهاد، فأبأها وردّها وبذل له الأمير عايض بن مرعي^(٤) كذلك أموالاً فردّها، وبذل له الشريف الحسين مالاً فردّه، فلم يقبل من ذلك شيئاً، وتوجّه من باجل قاصداً إلى عدن، ونجم نجم الهلاك على الكفار وأرسل الله عليهم العقوبات، ومنها الطوفان سبعة أيام، حتى هلك منهم خلق كثير، ثم سلّط الله عليهم البعوض، خرجت من البحر، ودخلت آناهم، ثم أصابهم الطاعون، وجاءت الأخبار المتواترة بأنه وقع هلاك في العالم، ونقص في الأنفس بسبب الطاعون، وقع ابتداءه من اسطنبول إلى مصر إلى الإسكندرية^(٥) حتى وصل الحرّمين والحجاز الداخلي قيل أنها غلقت في مكة مئة وثمانين بيت وفي اليمن مرض يسير، وأكثر الموت في تهامة.

وفي شعبان بلغ المولى خروج البغاة من بلادهم/فخرج أقام في الروضة، وكتب إلى كل قبيلة تحفظ طرقها ودركها ببلادها، ومن اجتازوا من عنده صار العقاب له والأدب عليه، فحفظ كل أحد محله، وتخادع آخرين، ولم يشعروا إلا بالبغاة في الكولة جنب الروضة، فلما تيقن الخديعة خرج بنفسه إليهم وخالطهم ووبّخهم وأذلهم الله، فما قد أحد سبق إلى مثل إقدام هذا الإمام، فكلما خرجوا من بلاد

(١) انظر خبر قدوم الشريف المذكور إلى عدن في هدية الزمن ص ١٤٩

(٢) كذا في الأصل.

(٣) هو البارود وقد تكرر ذكره.

(٤) من أمراء المخلاف السليماني وسيأتي ذكره.

(٥) هي الاسكندرية.

خالفهم كل من في اليمن من المشرق إلى المغرب، وما غريمهم إلا الإمام الذي يريدون ويريدونه، وهو يقدم عليهم منفرداً ويخالطهم متوحداً فله دره ما أشجعه، وأدخلهم قدامه صنعاء في آخر شعبان.

وفيها توفي القاضي العماد يحيى بن علي الشوكاني، وقبر جنب أخيه محمد ابن علي الشوكاني في خزيمة^(١).

وبقيت بكيل في صنعاء مدة شهر رمضان.

وفي ذلك الشهر وصل إلى الإمام شريف مغربي من أصحاب الشريف إسماعيل الذي قدم على الفرنج إلى عدن يستنظر بالإمام على الفرنج، ولعله قد تغيرت نية الشريف إسماعيل وداخله العجب بعد استئصاله لمن أرسل إليه الفرنج وهم الصبيحة فإنهم قدموا عليه، وهم خلق كثير فأسرهم جميعاً وصاروا في قبضته وبعد صلحوا، وكانوا من أصحاب نصرته، ولكن مع ما قد صارت فيه عدن من التحصين صعب الأمر فعزل الشريف لدى عبد الرحمن الفضلي صاحب (شقرة) وهويطلب النصر.

وفي شهر شوال، خرج المتوكل بمن عنده من ذو محمد والتابع على عيال سريح وغمران بسبب منعهم عن تسليم الواجبات من جملة البلاد وعدم إنعمالهم للحق، وتجبرهم وقد سبقت المدافع والخيام.

وخرج يوم الثلوث تاسع شوال، وبات في وادي ظهر والعساكر في جربان، وتجهز همدان مع الإمام والسبب ما بينهم، وبين عيال سريح من الإحن والطغيان، فلما نظر الإمام إلى أهل البلاد، وقد تحزبوا للقاء وطلبوا فنزل عن راحلته وصلى الظهر، ثم استوى على متن جواده، وأمر العساكر المنصورة بالحملة وحمل اللواء وتقدم أمام الجيوش بنفسه، وحمل الراية بيده وقد علت الشجاعة العلوية، فلما رآه الناس لم يتمالكوا أن حملوا بأجمعهم وهولوا^(٢) بأصواتهم ورموا ببنادقهم وأشهروا أسلحتهم فما كان جولة الجائل إلا وقد انهزم المفسدين وولوا الأدبار فاستأصلوا ديارهم وقتلوا أبطالهم وغنموا أموالهم وما بات القوم المنصورة إلا في بني (ميمون) محل الخارجين وقد داخل بقية البلاد الفزع والجزع وقل ناصرهم وعلموا أن لا قدرة لهم على مكافحة الإمام فأعلنوا بالطاعة والسلوك في مسلك الجماعة وقطعت رؤوسهم وأرسلت إلى صنعاء إلى عند/سيف الإسلام، وصلت في قصر صنعاء عبرة

(١) هي مقبرة صنعاء جنوبي صنعاء (انظرها في موضعها من المعجم).

(٢) صاحوا.

لِلنَّاطِرِينَ، وَحَمَلَتْ هَمْدَانُ الطَّعَامَ وَالْأَمْتَعَةَ وَالْمَوَاشِيَ إِلَى بِلَادِهِمْ مَا أَغْنَى الْفَلَيْسَ^(١). وَغَنِمَ بَقِيَّةُ الْجَنْدِ مِثْلَهُمْ، وَهَذَا لَيْسَ بِغَنِيمَةٍ حَقِيقِيَّةٍ، وَإِنَّمَا اسْتِعَارَةٌ لِلْإِسْمِ، وَإِلَّا فَفِيهِ مَا فِيهِ، وَبَعْدَ أَنْ ذَهَبَتْ بَنِي مَيْمُونٍ أَمَرَ الْإِمَامُ بِخَرَابِهَا وَتَحْرِيقِهَا، وَتَوَجَّهَ بَيْتُ الضُّلَعِيِّ، وَأَوْدَعَهُمْ سِلَاسِلُ الْحَدِيدِ، وَأَذَاقَهُمُ الْبَأْسَ الشَّدِيدَ، بِسَبَبِ إِصْبَالِهِمُ وَالْفُسَادَ، وَبَقِيَّةَ أَهْلِ بِلَادٍ أَجْلَوْا عَنْ أَوْطَانِهِمْ، وَرَحَّلُوا مَوَاشِيَهُمْ وَصَبِيَّانَهُمْ، وَغَاصَّتِ الْقَوْمُ فِي الْبِلَادِ، وَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ، وَأَفْسَدُوا الزَّرْعَةَ وَأَحْرَقُوا الْقُرَى، وَأَحَاطَتْ بِدِيَارِهِمُ الْأَجْنَادُ الْمَنْصُورَةُ وَأَشْعَلُوا فِي أَجْوَاغِهِ النَّيْرَانُ الْمَسْجُورَةُ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدِّيَارِ مُحَلُولَةٌ غَيْرَ سَمِينٍ وَذَيْفَانَ وَبَنِي مَيْمُونٍ، بَعْدَ أَنْ ذَاقَ أَهْلُهَا رَيْبَ الْمُنُونِ، وَحَلُّوا الشُّعَابَ وَرُؤُوسَ الْجِبَالِ، وَاسْتَقَرَّ بَقَاءُ الْإِمَامِ فِي بَيْتِ الضُّلَعِيِّ إِلَى سَابِعِ وَعَشْرِينَ الْقَعْدَةِ.

وَفِي خِلَالِ ذَلِكَ وَصَلَ سَيِّدِي مُحَسِّنُ بْنُ عَبَّاسٍ مِنْ صَعْدَةَ، وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ سَحَارٍ، وَأَرْسَلَهُ الْمَوْلَى يَصْلُحُ بَيْنَ أَهْلِ كُوكِبَانَ لِشِدَّةِ مَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ، وَهُمْ سَيِّدِي مُحَمَّدُ شَرْفُ الدِّينِ، وَسَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ، وَصَلَحَ شَأْنَهُمَا، وَوَصَلَ سَادَةُ أَهْلِ شَهَارَةٍ وَمِنْ أَهْلِ السُّودَةِ بِضِيَّافَاتٍ لِلْإِمَامِ، وَيَدْرُؤُوا عَنْ أَهْلِ مُحَلَّتِهِمْ، وَيَعْتَزُّونَ وَيَعْلَنُونَ بِالطَّاعَةِ لِلْمَوْلَى وَالْإِمَامِ، وَصَلَحَتِ الْأُمُورُ، وَزَالَ حَرَجُ الصُّدُورِ وَرَجَعَ الْمَوْلَى صَنْعَاءَ الْمُحْمِيَّةِ.

وَفِيهَا تُوْفِيَ سَيِّدِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّبِّ، وَكَانَ حَاكِمًا لِلْإِمَامِ النَّاصِرِ الْحَكُومَةِ الْكُبْرَى، وَعُزِّلَ بِقِيَامِ الْهَادِي.

وَفِيهَا تُوْفِيَ سَيِّدِي يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَخْفَشِ فِي تَعَزُّ، وَفِيهَا [فِي] تَعَزُّ مِنَ الْوَبَا وَقَلَّ مِنْ تَوَافُقِ طَبِيعَتِهِ وَقِلَّ فِيهَا شِعْرًا:

تَعَزُّ تَعَزُّ بِهَا بِلْدَةٌ وَلَكِنْ تَعَزُّ بِهَا الْعَافِيَّةُ

وَهِيَ مِنْ مَبَانِي آلِ غَسَّانِ^(٢).

وَلَمَّا وَصَلَ الْمُتَوَكِّلُ صَنْعَاءَ بَعْدَ رَجُوعِهِ مِنْ عَمْرَانَ وَعِيَالٍ سَرِيحٍ، نَظَرَ إِلَى ذُو مُحَمَّدٍ الَّذِي كَانُوا مَعَهُ وَإِذَا مَا هَمَّهُمْ غَيْرُ الْفِرَارِ لِلْفُسَادِ وَالْبَغْيِ وَأَخَذَ الْمَقَاسِمَ الَّذِي كَانَتْ بِأَيْدِيهِمْ فِي الْيَمَنِ، فَأَمَرَ بِالتَّخْرِيجِ عَلَيْهِمْ فِي الْمَدِينَةِ وَمَنْعِهِمْ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَرَاجَعَهُمْ فِي نَزْوِلِهِمْ صَحْبَتَهُ لِلْجِهَادِ فِي بِلَادِ وَصَابٍ، فَلَمْ يَسْعُدُوا بَلْ مَكْمَنِينَ

(١) أَيِ الْمَمْلَسِ.

(٢) قُلْتُ تَأْسِيسَهَا يَعُودُ إِلَى زَمَنِ الْأَيُّوبِيِّينَ.

العيب، فلما تيقن ذلك خرج في سابع وعشرين. القعدة وأمر الوزير ببقاء^(١) البغاة في صنعاء إلا من رهن أخوة أو ولده، خرج من المدينة، وسلموا له زلاجة^(٢) وما يحتاج إليه من أمر الجهاد حسب العادة، وتبعه وعزم بنفسه، وليس معه غير الخدم حقه والخيالة وأمسى في جزيز، فلما أحسوا أنهم غير مفلتين ولا منفكين، فخضعوا للأمر الكريم، ورهنوا كل صمّام زعيم، واستلموا ما يلزم للمجاهدين، وتبعوه يوم ثاني، وقد كان بقاء التّوابع والأمير لشيء في نفسه، ولعله حين رأى بكيل غير صالحين، ووصل ذمار وأدركه العيد الأضحى فعُيد بها لإظهار الشعار، وفي ذلك التاريخ / طلب الشريف بن الحسين على قبيلة يام، وبذل لهم الأموال يريد يستأصل الشيخ علي حميدة، ولم قنع^(٣) بما وقع، بل صار همه ذلك، فلما علموا يام والمكارمة احتياجهم طلبوا منه المغلّبات فأجابهم ولباهم، وعقد شورهم بأخذ بلاد علي حميدة، ويقطعوا ما ورد عليه، وقطع ما خرج من لديه، وهجموا على بعض بلدانه بغتة، وقبضوا مشايخها، وتجهّز الشريف للخروج للحرب، وتجهّز علي حميدة، ووقعت بينهم حروب، وأصحاب الشريف حول قلعة باجل مُحيطين بها وقد تهظّهظت^(٤) القلعة من المدافع من خارج، وأكثر الضّر من مدافع علي حميدة كونها في القلعة لأنه ضرها عليهم، أكثر، كونها لديهم، فاحتاجوا خرجوا يجروها، وصاحوا في أصحاب الشريف، وتبعوهم، وكانت الكسيرة في أصحاب الشريف، وتبعتهم خيل حميدة وفروا أصحاب الشريف، ووقع بينهم صلح ثمان، حتى يدفن كل قتلاه، وتعقبت قتلة أخرى، وقعت الكسيرة في يام والمكارمة، وبعد دخلوا عقال يام بينهما بالصلح التّام أن علي حميدة، يرد ما أخذ على الشريف من المطارح في القتلة السابقة من المدافع والأثقال، ويخرب الدّار الذي بناها في أكمة مُجمّش خارج باجل، ويسلم للشّريف عشر خيل، وأخمدت نارهما، وأغمدت سيف فتنتهما، وما لان الشريف إلا بعد أن يثس من قبض علي حميدة، وإلا فكان مضراً على أخذه وبلاده، ولكن ما للقحري^(٥) والجرايح وطريق البندر إلا بيت حميدة ومن دام غير ذلك فقد أخطأ وبعد أرسل الشريف ولده إلى عند علي حميدة وهو وبعد ذلك ركن^(٦) على نفسه، ووصل إلى الشريف بنفسه وكسا كل منهما صاحبه.

(١) خ ابقا.

(٢) محتاجاتهم التي يحتاجها في الخروج.

(٣) يثس.

(٤) أوشكت على السقوط أو تشققت.

(٥) قبائل في تهامة.

(٦) اطمأن أو وثق.

وفي تاريخ ذلك فإن سادتي أهل كوكبان لما أصلح بينهم^(١) الإمام وخرجوا من عنده، فلما وصلوا قرب كوكبان، وشاهدوا أرضهم ووطنهم، واستشقوا نسيمها، وشاهدوا جبالها، عادت عليهم خواصاتها وهو الركزة^(٢) والشتم والربط لبعضهم البعض، وآلت^(٣) إلى الحرب والقتلى الكثير، فيما بينهم، وآخره أصطلحوا على ما فعله بينهم الإمام، وإنما سبب ذلك ما أصاب أسلافهم من دعوة الإمام القاسم ابن محمد وعمه الشهيد عامر بن علي عليهم السلام فلم يزل أمرهم بينهم شتى، ولا يستقرون على حال مع أنهم من أجل السادات قدراً وزينة القادات في المعالي ذكراً ألا أنه غلب عليهم حب الدنيا والرياسة فأزال ما بهم من المعروف والنفاسة.

ونرجع إلى ذكر مخرج مولانا المتوكل على وصاب، فإنه خرج من دمار وسلك طريق (الدن)^(٤) و(بني مُسَلِّم) وهم أشد أهل تلك الجهات وديارهم في شواهد الجبال العاليات، وقد منعوا الواجبات، وقطعوا الطُّرقات، فمكّنه الله منهم، وأخرب ديارهم، وقد أنزل الله عليهم الرُّعب والذلة فهربوا وتركوا كلما يملكون، وغنموها المجاهدين وصاروا بها راشدين، وأخرب المولى جميع الحصون حتى (المَدَوْرَة) وهي من أعظم الحصون لا يغلب في ظن أحد أنها تملك^(٥) أن تخرب، ورجعوا بالأمان وعين عليهم الأموال وقبض أشرارهم/ في الحديد وتوجه قاصداً (ريمة) ووجه الوزير عبد الرحمن محافظ على اليمن، لتفقد أحوالها وقمع أشرارها بقبائل ذو حسين [وتوجه الإمام إلى ريمة] وانتهت طريقه إلى وادي (النار) وحط فيه، وقد أرسل إلى عند العامل علي يحيى المنتصر أنه يلقاه بالمحتاج من الدقيق والغنم والعلف وغيره، فتراخي تلك الليلة، وأمر أصحابه بإضرام النار، وما عندهم من الزاد ما يقيم ثلاثة أنفار وجاء الدوشان^(٦) يمدح الإمام وذكر في مدحه الإمام علي يحيى المنتصر، بقوله أبو غالب يابو غالب في الوطا وأبو غالب في الجبل، يعني المنتصر، فأسرّها الإمام في نفسه ولا سِيما كون قد المنتصر خلاهم^(٧) بغير عشا ولا ضيفة^(٨).

(١) خ بينهما.

(٢) التعالي والترفع.

(٣) انتهت.

(٤) هي مركز وصاب

(٥) فضلاً.

(٦) الدواشين هم جماعة تكون مهمتهم في الغالب حضور الحفلات والغناء إلى غير ذلك.

(٧) تركهم.

(٨) ضيافة.

ونزل في يوم ثاني بأهبة كبيرة، ورجع يوم ثالث نزل بجند واسعة أكثر من جند المولى وأولاده وأقاربه، فأغلظ له الإمام الكلام، وتوَعَّده بالعقاب بعد أن تلقاه بالعتاب، وقد كان فَرَّق الإمام المشايخ أصحاب المنتصر عند وصولهم عند ذو محمد للقهوة والإستراحة، وهو وأولاده عنده في الخيمة، فلما أغلظ له الكلام قام الإمام من الخيمة وأومى إلى خدمه بالفتك بأصحاب المنتصر نهباً وأسراً لا قتلاً، وأمر من عنده بالقبض عليه وأقاربه وأولاده، فأخذوهم أخذة واحدة في ساعة واحدة، وأمر بالشُّداد في تلك الساعة^(١) لأجل لا يصير الخبر إلى محل المنتصر، وهربوا الأموال والمنقول ورتبوا الحصون، وذَرَك ذو محمد بالمنتصر وأصحابه، وقدهم أسرى في الحديد، وسيقت الخيل، فما وصل أحد قبل الخيالة والإمام واستولى على بيت المنتصر، وقبض على جميع ما يملك بما لا يحصر، من اللُّك^(٢) وكان حول بيت المنتصر في الضِّلَع قرى المزينة وهم نحو خمسمائة، وكانوا يحملون السلاح، وإذا أراد المنتصر الغزو غزا بهم، وكانوا بطانة المنتصر بما أراد، وقد أخافوا العباد وقطعوا الطرق وبغو في الأرض الفساد، فأمر بإهدارهم وبيوتهم، حتى صارت بلاقع، وأخذ ما معهم، وبقي مع المنتصر حصن الطويلة، وهو حصن شامخ، وبينه وبين الظِّلَع مسير يوم، وقد نقل المنتصر النفائس والفاخر وكل ما غلى ثمنه، وأهله وأقاربه ونسائه وأطفاله إليه، لعلمه أنه ما ينجيه إلا هو^(٣) فلما علم بذلك الإمام أمر بالمحاط علي حصن الطويلة، وجرت المدافع، وضربت الحصون، ودخلوه عنوة، وقد كان تيقنوا بيت المنتصر أنهم ما نعتهم حصونهم، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، فسبحان من لا يبقي إلا ملكه، وأمر الإمام بهدمها حتى صارت البوم في عرصاتها، وأرسل إلى الإمام بخمس مئة جمل من إبل علي يحيى، وفرقها في

وفي شهر جمادى جاءت الأخبار للإمام أن وصاب وريمة في تَرَبُّش، ولم يقبلوا العامل، فأمر الإمام بالخروج من ساعته، وما عنده من الجند غير أربع مئة عسكري وخمسون فارساً، ولم يعلم حاشيته أين يريد فلما وصل ضيق (قعوان) وقد خرج معه علي مثنى الجرادي بعد إطلاقه، ويريد يرجع إلى ما كان بنظره من الولاية في ذمار وعنس، وقد نقلت إلى مسامع الإمام أن الجرادي قد أضمر الخدع والمكر،

(١) الساعة.

(٢) كأنها اللكوك.

(٣) هو

وقد كتب إلى أهل جهته وأولاده أنهم يلقون الإمام إلى قريب دمار، ويكمنوا هناك، ويصل إلى لقيا الإمام أولاده، وبعض أقاربه، وقد لاحظ الطمع حين شاهد أصحاب الإمام في قلة فلما وصل أولاده ومعاهم^(١) عشرين رجلاً فأركبهم الإمام على الخيل والبغال، ونصبت الخيام للغدا فتقوى^(٢) في بال الإمام الوقوع بهم وأوثاق الجرادي وأولاده في السلاسل، فوقع بهم وأسرهم جميعاً، وأرسل إلى بيته بعشرين نفرًا عسكر يحفظوا البيت وحفظ ما فيه، وجعل في دمار، وفي يوم ثاني أرسل الكتاب وحصر ما في البيت ونقل إلى خزائن بيت المال، وهذا بدلاً عن ظلم العباد شعراً^(٣):

إن الملوك بلاء أينما حلوا فلا يكن لك في أكنافهم ظلٌ
ماذا تؤمل في قوم إذا غضبوا جاروا عليك وإن أرضيتهم ملوا
فاستغن بالله عن أبوابهم كرمًا إن الوقوف على أبوابهم ذل

وفي هذا الشهر توفي سيدنا محمد بن صالح العصامي.

وفي ذلك التاريخ وصل سيدي إسماعيل المغربي المتقدم على بندر (عدن) بأهله وصرفهم الإمام في دار.

ووصل إلى دمار عامل مغرب عنس بثلاثة أنفار بغاة فضربت أعناقهم في دمار.

وفي ذلك التاريخ أرسل إلى صنعاء إلى ولده سيف الإسلام ينبشوا حفائر في مقبرة البكيرية لأن فيها كنوز، فنبشوا وقيل وجدوا كنزاً وقيل لم يجدوا، وما هي إلا أرزاق مقسومة وآجال محتومة.

ونعد إلى ذكر الإمام المتوكل، فتوجه إلى يريم قاصداً إصلاح البلاد الخاربة، فلما علموا بقربه وأنه أخف من أحدهم، رجعوا إلى الطاعة، وأسرعوا إلى العامل بحسن الصنّاعة وخير البضاعة، وكتب العامل بذلك، فرجع الإمام صنعاء مؤيداً منصوراً في عشرين جماد آخر.

وتنبه بعض المفلسين^(٤) بكنز في تحت صوح مسجد النهرين^(٥) وأشعروا قبله

(١) معهم.

(٢) تحقق.

(٣) من شعر للإمام الشافعي انظر «ديوانه ١٠٦ ط الخفاجي».

(٤) كذا لعل صوابه المسفلين سيأتي.

(٥) من المساجد العامة غربي أسفل صنعاء (انظر مساجد صنعاء ص ١٢٥).

خلق كثير بذلك فحفروا حتى انتهوا إلى مآثر قديمة، ولقيوا في تخوم الأرض مسجد ومطاهير، وسواقي ولعله المسجد الذي أمر بعمارتة عمر بن الخطاب حين رفع إليه عامل صنعاء أبان بن سعيد بن العاص^(١) أن السيل حفر حفيرة حتى ظهرت قبة وفيها قبر، وفوقه لوح مكتوب عليه أن صاحب هذا القبر^(٢) ابن سام بن نوح فجوب^(٣) عليه أنه يبني مسجد إلى جنب القبر ذكر ذلك الديبع^(٤) في قرة العيون والمسجد المعروف إلى الآن والمطاهر لعل ذلك حديثات البناء والله أعلم^(٥).

وفي سلخ رجب وصلت كتب مفزعة مقلقة من عامل ريمة الحاج عبد الله الجبائي، بأن جميع أهل ريمة محاصرين له في الظلع، فعزم الإمام من حينه، وجاءت طريقة الفرق السلطاني، ولها منقطعة مدّة من صيحان وحزّة تهامة، ودخل من حدود السلفية وما باتوا إلا في الظلع ببعض الجند من حين دخلوا حد ريمة، وقد كان أرسل حولان من طريق رمع، ووصلوا الظلع في وقت واحد ناس من حدود أنس وعتمة، والإمام وبعض الجند من حيث ما ذكر، فششلوا فشلاً عظيماً حين رأوا الإمام وسيره أقطع من سير السيل، ورجعوا عما فعلوا، وتابوا مما جنوا وسلّموا ما طلب.

ورجع صنعاء سادس رمضان، وكان ذهابه وإيابه مدة شهر وستة أيام، وعَمَل فيها القاضي أحمد بن حسين العنسي البرطي.

وفي شعبان خرج عايض بن مرعي أمير الحجاز على بلاد سحار ووادة ووقع بينهما وقعتين الأولى في بيت الشيخ بن مقيت في طرف الحجاز، والثانية في بلاد سحار، وسقط قتلى من الفريقين أكثرهم من جماعة عسير، قيل خمس مائة ومن سحار ونهم وولوا منهزمين.

وفي شوال وصلوا بالسيد عبد الله بن محمد الأهدل، وكاتبه الفقيه أحمد وقد شقّ العصا ولعله دعا وكلف خروج الإمام، وما ضبط إلا في شوال ضبطه العامل،

(١) هو أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي صحابي أسلم سنة ٦ ودخل إلى اليمن توفي سنة ١٥ هـ (انظر تاريخ صنعاء ص ٤٦٣).

(٢) فراغ في الأصل.

(٣) فأجاب.

(٤) لم أجده في المطبوعة.

(٥) ذكر هذا الخبر الواسعي في فرجة الهموم ص ٢٣٦ ط ثانية عن بعض المشائخ الثقات، وذكر أنه وجد في تلك الحفرة صنماً من ذهب... إلخ.

وأرسله تحت الحفظ، وقد أيقن بقطع رأسه هو وكاتبه، فعفى المولى عنهما والعفو دأبهما، وعزل وصبغت أوجاههما بالحمرة وحبسا أياماً.

وفي شوال رجع الشريف إسماعيل المغربي لجهاد الفرنج إلى عدن.

وفيها خرج ذو محمد وذو حسين والحسيني أطاع وأقام في صنعاء على رأي المولى والمحمدي تعصّى وطلب المغلّبات، وأرسل إليهم الإمام بخيل عقاير على قانونهم فقبلوها، ولم تعقر وصاروا مفاوتين، فألحقهم الإمام بكتب أنهم يتعسكروا في اليمن، وذلك مرادهم، فأسعدوا وطلبوا معهم سيدي غالب بن الإمام وتبعهم وعهدهم حتى وصلوا تعز، وفيه القاضي يحيى الأرياني محاصراً لتعز ومن فيه من أصحاب الشريف الحسين، ولم قد وقفوا على شيء، فأراد ذو محمد يتجملوا فقدموا وسقط منهم قتلى ولا يحق المكر السيء إلا بأهله، وألقى إلى الإمام بعقايد يام والمكارمة، فطلب الفقيه أحسن بن علي القيري، ووقع به وأخذ ما معه وبعد ثمان قتله بحكم جميع الحكام وقيل أنه زنديق، وأنه يقول: أن الله ثانياً وقيل أنه من المطرفية^(٢).

ودخل شهر الحجة أمر الإمام بشراء الأضاحي وتقسيمها حسب عاداتها، وبعد العيد خرج لزيارة قبور أجداده حتى انتهى إلى قبة جدّه المتوكل على الله قاسم بن حسين فرآها قد شرع في عمل فيها في المسجد الذي يليها بناء المتوكل أحمد المنصور وكان مرادهم يدخل الغيل الأسود^(٣) فيها فسبّقه الأجل رحمة الله، فاحتاج مولانا أمر بتمام العمل والعمارة والقضاض^(٤) والحش^(٥) وأدخل الغيل إليها وتمت محسنة^(٦) عظيمة وصارت القبة نبخة^(٧).

وأمر بالتجهيز للخروج على الشريف الحسين بن علي حيدر لما طال اغتصابه

(١) مختلفين.

(٢) مذهب نشأ في اليمن يقول أصحابه بأن العالم يحيل ويستحيل من ذاته (انظر بحثنا حول هذا المذهب المنشور في مجلة اليمن الجديد العدد ٣ نوفمبر سنة ١٩٧٧ وما يليه).

(٣) يمر بمسجد المتوكل ومسجد حجر السابق ذكره ثم يسقي بستان المتوكل ويخرج منه إلى شعوب شما في صنعاء ويروي تلك الأراضي إلى الجراف وقد دثر الآن وليس له وجود الآن (انظر بلوغ المرام ص ١٣٣).

(٤) هو نوع من التخصيص يعمل لمنع الماء من التسرب أو للزينة.

(٥) حجارة سوداء.

(٦) أثر خيري.

(٧) نبخة بالنون والبهاء والخاء أي ذات جمال وجلال.

على تهامة- واحتكر ما تحصل من البنادر لبيت المال حيث الولاية إلى الأئمة^(١) في أموال الله والشريف صار يصرفها في البغاة، ويحتكرها لمن بعده كأنها من مخلف آبائه وقد عرّفه^(٢) الإمام ولم يرجع منه ما يوافق الصواب، فعزم على الخروج عليه وطلب القبائل للنشور والمخرج فوصلت القبائل من كل جهة: همدان وسنحان وبني الحارث وبلاد الروس وبلاد البستان، ومن في الحضرة من ذو غيلان والتوابع، فخرج للنشور في موكب ما قد رأى مثله يسر الودود ويغيض الحسود، وعرضت بين يديه تلك الأجناد والفرسان في ميدان^(٣) دار الطواشي، وأمرهم بالخروج وقسم الزلاج^(٤) وآلة الحرب يوم ثاني، وضربت المدافع، وخرج بجنوده مختارة وجيوش جرارة وفرسان كرامة حتى ملأ الأفق وخرج أهل صنعاء لزلّاجة إلى عصر، وقلوبهم معلقة به وألسنتهم لا تفتر عن الدعاء له. (شعراً):

مثال المعالي بالعوالي اللهازم^(٥) وكشف الطلا بالبيض لا بالطلاسم
وتحت ظلال المشرفية جنة أرائكها منضودة بالجماجم

هذا وقد اشتعلت تهامة بالنيران، ونجم نجم الهلاك على أهل الطفغيان، وقارن المشتري السرطان^(٦) والبلاد تضطرب من سطوة الإمام وتوقع الفتك بهم. وانتظر في الحيمة بقية القوم فتتابعت جيلاً بعد جيل ولم يتخلف غير التوابع، وطلبوا المستحيل، ولعلهم داخلهم الفشل والخوف والوجل، وأغناه الله عنهم وأبدله خيراً منهم، وتولاه بالنصر والإسعاد، وسلك الفرق^(٧) السلطاني حتى وصلوا ربوع الخبت، وانتظروا وصول مشائخ تهامة و(برع) وداخل أهل (برع) الفشل، احتاجوا وصلوا وتبعهم الشريف حسن عامل برع، من جمعت^(٨) الشريف الحسين، وشكوا على الإمام ما نالهم من ظلم الشريف الحسين، وأرسل الرّتب من عنده إلى برع، وهو النقيب علي الهمداني بقبائله، وعمّل الجبل وهو أول الفتح، وعرف العامل بالعدل فيهم ورفع الظلم عنهم.

(١) خ إلا ايمه.

(٢) كتب إليه.

(٣) انظره في معجم البلدان الملحق بالكتاب.

(٤) محتاجات الخروج وقد سبق شرحه مراراً.

(٥) السيوف.

(٦) إذا كان المشتري في السرطان دل على عموم الفتن والجور وقلة المطر والغلا والهموم وكثرة الأمراض والموت وشدة الحر انظر تذكرة داود ٢٨/٢

(٧) كأنه الطريق.

(٨) كأنه من جماعة (أصحاب).

ودخلت سنة ١٢٦٤ :

وتوجّه من الربوع إلى تهامة، وقد قابله النصر والسّلامة ومَرَّ من القصر
(لعسان) والظامر وخبت أبي درعان ووصل باجل، وطلب مشايخ العبسية إلى
حضرتة العلية، فتشاكلوا من الخوف لا من العصيان، ووصلت إليه قبيلة الجرابح
وقبيلة القحرا أصحاب حميدة بقضهم وقضيضهم وأسلحتهم وأزوادهم، وخرج
الشيخ علي حميدة/وأولاده إلى مخيم الإمام سامعاً مطعياً باذلاً نفسه وماله وولده
وبلاده وقبيلته، وأقاموا ثلاثة أيام، ويوم الخميس ضربت المدافع الرحيل، وقد
أرسل المولى عيوناً يأتوا بخبر الشريف الحسين، فرجع الخبر أن الشريف خرج من
الحديدة بجنود متكاثرة وخزائن وافرة، وقد استعجل شره الأجل فنهض الإمام من
باجل، وبات في دير المدور، وحط هناك وبات الشريف في (الهيجة)، واليوم الثاني
توجّه الشريف إلى (القطيع) ويوم السبت عاشر محرم أمر الإمام بالرحيل إلى
(المراوعة) وليس عنده خبر أن الشريف قد دخل (القطيع) وحال بين الإمام
والمراوعة وتوسط بمطرحه بينهما بين (دير المدور) وبين المراوعة، فلما ارتفع القوم
من دير المدور وشدّوا أثقالهم بلغ المولى خير الشريف فأمر القوم يبقوا على أهبة
السفر، ولا ينقضوا الشّداد حتى تعود الرّسايس الذين عزموا يَدُّوا^(١) الخبر وقد دخل
الوجل والخوف في قوم الإمام لما يبلغهم من قوة الشريف وخروجهم إليهم.
وقاصداً لهم بنفسه وجنوده وحاشيته وعبيده ومدافعه وشدة بأسه وإقدامه على عظيم
المعارك ومواقع المهالك، فلما أشرقت الشمس رأوا رايات الشريف في الخبت^(٢)
ورأوا سواداً عظيماً وعجاجاً قد سدّ الأفق ومقبلاً إليهم، وسمعوا صياح القوم وضرب
الطبول فضاقت بهم الأرض بما رحبت وأين المهرب في ذلك الخبت، وفي بطن
تهامة وزئيرها وتهير^(٣) الحما وهم ليسوا معاودين^(٤) لها فأنزل الله السكينة على الإمام
واستوى على ظهر جواده وعباً أجناده تعبئة الحرب، ورُتب الصفوف وخرّضهم على
القتال، ونظر إلى جند الشريف وكيف تعبثه فغاير^(٥) بين الصفوف، وجعل مقابل
كل صف من جند الشريف قبيلة غير قبيلتها حتى لا تحصل المخادعة، وفعل في
جنده في الميمنة ذو حسين، وفي المسيرة قبائل خولان وبني جبر، وفي القلب

(١) يحضروا.

(٢) سبق شرحه وهو الفلاة.

(٣) شدة الحر.

(٤) معتادين.

(٥) خالف.

قبائل حاشد ويام والتواب وغيرهم، وجعل أصحاب علي حميدة وراءه في المطرح لأجل لا يغدرهم العدو من ورائهم وبَقَا^(١) العكفة حقه عندهم على الاستعداد للضرب والجلاد ورفع شكواه إلى عالم سره ونجواه وأنشد لسان حاله :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع

فاستجاب دعاءه ربه ولَبَّاه فأمر الخيل بالحملة على إسم الله والصَّوَالَة على العدو، وقد كان هم بالحملة مع الفرسان مع تجويزه بالسَّلامَة وشهامته وشجاعته فوقَّفه نقبا القوم وجلاً على أنفسهم لو يقع به شيء ذهبوا فبذلوا أنفسهم دونه وأسعدهم وتأخر وهو على جواده لا بساً/لأمة حربته فغار الفرسان وهم أربع مئة فارس، وصاحوا بالتكبير على العدو، ولما نظر الشريف الحسين إلى جند الإمام استصغروهم، وداخله العجب والكبر إستعظماً لنفسه قيل إنه قال لقومه عليكم ثلث القوم وعلي الثلثان، ولقد لبس درعين وتقلد سيفين، وقدم مدفعه الذي أهده له سعيد بن سلطان^(٢) صاحب (مسكات)^(٣) فوق القاري^(٤) قيل تقوده البغال ويسير على سيرة الخيول وإسمه فليفل وقسم الشريف أصحابه فريقين، فريق في الميسرة مع المدفع، وفريق بإزاء جنود الإمام وأمر تسعة طباشية يرمون بالمدفع بسرعة والإمام وجنوده وجلون من مدفع الشريف فدفع الله قيل إنه لما رمى بالمدفع إلى أصحاب الإمام ثلاث مرات في لحظة واحدة كأنه الرصاص، نظر في جهة بعيدة منهم، ولما غارت خيل الإمام خالطت أصحاب الشريف ورمى جنود الشريف بينادقهم إلى أصحاب الإمام حتى أظلم الخبت من ظلام الباروت لكثرة جمعهم، وجند الإمام متأنين حتى كملت تعشيرات جند الشريف، وفرغت بطون بنادقهم، وأسرعت جنود الإمام على أصحاب الشريف الذي فوق المدفع كأنهم الليوث العوابس، وأخذوا المدفع من أيديهم قهراً وقتلوا ثمانية طباشية فوقه صبراً وأسروا واحداً فما كان إلا جولة الجائل إلا والمدافع والرؤوس والأساري بين يدي الإمام وغار الشريف بصولة تهيل العقول، وهو من الكماة الفحول فدفع الله شره وكفاهم أمره، ووضعوا عليه سهام الرصاص فأصابته ثلاث رصاصات فوقف في مكانه في المعركة ولا يعلم بما فيه أحد من أصحاب الإمام، ودارت عليه خيل الإمام وهو يدافعهم، ولا أمكن يقاربه

(١) ابقا.

(٢) هو سعيد بن سلطان بن أحمد البوسعيدي سلطان عمان وليها بعد مقتل والده سنة ١٢٢٠ توفي سنة ١٢٧٣

(٣) هي ما تعرف الآن بمسقط.

(٤) العربة. محرف من الجاري.

أحد منهم لعلمهم بشجاعته وفروسيته، ولو علموا أنه قد أصيب لأسروه في تلك الحالة، ولكن ظنوا أنه يدافعهم حتى يتمكن من فرصة يريدها، وأصيب فرسه وأركبه الشريف الحسن بن محمد على فرسه، وانهزم الحسين لما فيه من الشين فانهزم لهزيمته كل من ثبت من قومه حين نظروا إليه منهزماً ودمه يسيل، هذا وقد غارت جنود المتوكل كالليوث العابسة والأسود المفترسة وأحاطوا بجند الشريف وأخذوا أسلابهم وأسلحتهم، وأزوادهم، وخيامهم وزال ما كان بهم من الرّيب والخوف والوجل لما هبّت عليهم رياح النصر والسعادة والإقبال، ولما نظروا أصحاب الشريف إلى هزيمته داخلهم الخوف والوجل/والفزع والجزع والفشل، ولم يسعهم غير الفرار وولّوا الأدبار، وتبعهم جند المتوكل، فقتلوا وأسروا وغنموا ما عليهم، ولم يفلت منهم إلا من هرب وتفرّقوا شذراً مذبذباً ولا يعلم الأول ما عند الآخر، وثبت مع الشريف الحسين بعض من الأشراف ومواليه وعبيده، وقليل من قبائل ذو غيلان حتى حملوه إلى القطيع، وقد أثخنه الجراحات قيل أن بعضها في فخذه وواحدة في عجزه، وكمنت ولم تخرج وقيل أنه ركب على الفرس الأولى^(١) فأصيب، وركب على الثانية فأصيب، حتى سقط على الأرض، ثم ركب الثالثة وقيل على حمار، وقيل على فرس، ولولا اشتغال جند المتوكل بجمع الأسلاب، وثار^(٢) عليهم شهوة الانتهاب، وجمع الأسلاب ما أنفلت الشريف ولما علم الإمام أن الشريف ما أسر ولا قتل تبعه إلى القطيع لعلمه أنه بطل، وأحاطت جنود الإمام بالقطيع كإحاطة^(٣) السور بالدور والنطق بالخصور، وتبعوا أصحاب الإمام من هرب في الجهات الأربع شرق وغرب وشام وعدن، ومن لفي^(٤) بأحد منهم أخذ ما عليه وهو كالشاة في يد الجزار، ووقع على المهزومين الذلة والمسكنة والرعب والريب على الهاربين إلى (القطيع) حتى أن البعض من أصحاب الإمام كانوا يصلون إليهم وينتظرون وصول الإمام ويظنون أن الذي قبلهم في القطيع هم منهم لكونهم فشلوا ما زِدَ صدر منهم شيء إليهم، ولو تبعوا الشريف من أصحاب الإمام، ولو نفر يسير من القوم المجاهدين الكماة لاستولوا عليهم وعلى القطيع، وبعد غروب شمس ذلك اليوم، يوم السبت ما شعر أصحاب الإمام إلا بالرّمي

(١) خ الأولى.

(٢) خ ثارة.

(٣) خ كاحطت.

(٤) لفي قابله في الطريق.

بالبنادق من قلعة^(١) القطيع، وقد زال ما بهم من الرّيب فعجب الناس لأنهم أخبروا بموت الشريف والناس اشتغلوا بالنهب ورؤوس القتلى والأساري، وكان كل من وصل برأس قتيل، قال: هذا رأس الشريف، وبعد سماع البنادق أمر الإمام بزيادة الاحتراس على القطيع ليلاً ونهاراً، ويوم ثاني أرسل ببعض الرؤوس والمدفع فليفل إلى صنعاء، والبعض فرّقها في الأقطار، وكان لذلك موقع عظيم وضربت البشائر ثلاثة أيام، وأوقدت النيران في رؤوس الجبال، وكانت هذه الواقعة من أعظم العبر لمن اعتبر. وإذا نزل القدر عمى البصر وهكذا الكبر عاقبته الذل والصغر فقد أكبر إلى غاية وسيأتي عاقبته والنهاية.

ولما استقر جأش أدسحاب الشريف ونظروا إلى ما في القلعة من الأموال المجموعة للتجار وإلى ما حلّ بهم من البوار وإلى خزائن الشريف، حفظوا أنفسهم في القلعة، ورموا كل من وصل إليهم وأحرقوا العشاش^(٢) الخارجة في (القطيع)، ودخل بعض أهل القطيع السادة القلعة وهرب بعض إلى (المراوعة) والشريف متخن بالجراحات الواقعة لكنه يمتنى من عنده بالأمانى الفاسدة ويعتدّهم بالهبات^(٣) الجزيلة، ويوهمهم أنه قد طلب قبيلة من يام، وقبائل الحجاز والشام ولم يزل يتلدد^(٤) نحو الشام ينتظر الغارة ولسان الحال ينشد:

فما لك والتلدد نحو نجد وقد غصّت تهامة بالرجال

وكيف يمكن الغارة عليه بعد هذه الواقعة التي كوقعة بدر الكبرى والإستيلاء على/ القوم غنيمة وقد شاع ذكرها عند العباد، وسمعها من في أقطار البلاد (شعراً):

وسارت مسير الشمس في كل بلدة وهبت هبوب الريح في البر والبحر

ومن المحال جبر الزّجاج بعد كسره وعوده كما كان في مباديء^(٥) أمره واستمر الحصار من عاشر محرم إلى آخر صفر، وصبر من في القلعة صبر الجياد، وكله ولا مقاسات المدافع إليهم والجيف من الميئات المواشي والأوادم^(٦) وبعد كتب بعض

(١) خ قفعت.

(٢) جمع عشه وهي منازل تصنع من سعف النخيل.

(٣) خ بلهبات.

(٤) يعاود النظر الكرة بعد الكرة.

(٥) بادى أو بدايات.

(٦) جمع آدمي معروف.

من في القلعة إلى حضرة المتوكل وخرجوا إلى عظيم عفوة إرسالاً، خرج أولاً من عند الشريف ذو حسين، ثم البعض من ذو محمد، ثم السادة أهل القطيع وذرايرهم، وبقي عند الشريف ووقع الاحتزاز والتحري لا ينفلت الشريف مع الذي خرجوا، وكان في ذهنه الهرب متعذر، وأين المهرب، وبذل في ذلك أموالاً جمّة لمن يحمله، فلما لم يتم له حيلة ضاق بمن في القلعة الخناق، وأيقنوا بالموت والفراق، فطلبوا من المولى الأمان، وخرجوا إلى كريم عفوه وصفحه والإحسان، وبقي الشريف عند قبائل خولان هذا، وقد طلب الإمام التوابع وأميرهم من صنعاء المحروسة، فأجابوا داعية وبادروا إلى مناديه، واجتمع منهم ألف مقاتل، وقد تقدم الخروج في أعراضهم حيث تأخروا عن الغزو مع الإمام حتى خرج، وطلبوا المغلّبات وسارعوا في المسير، فلما وصلوا لقيهم إلى الطريق، ووصلوا بأهبة عظيمة، وبالغوا في الأرجاف والتّهويل لما بلغهم أن القبائل قد أضمرّوا الخداع، وبيع الشريف بالمال وإبلاغه ما منه، وهذا غير مستنكر من القبائل، ولقد أجاد الشيخ علي حميدة وأصحابه، ولولا قيامهم وعنايتهم في الاحتفاظ بالشريف والصولة على القبائل لمأرب في نفوسهم، والنظر في عاقبة الأمور لوقعت من القبائل الخديعة والمكر والخيانة كما هو دأبهم، ولما نظر القبائل ومن في المطرح إلى التوابع، وعرفوا نصيحتهم وقيامهم بطلت عليهم الضمائر، وسلموا الشريف إلى الإمام فضرب له قبة إلى جنب قبته، ولم يغيّر عليه شيء بل أنه وصل بخدمه ومواليه وسلاحه وخيله، إلا أنه محفوظ أشد الحفظ، لا ينفلت، وقد كان وقع صلحه في حال الحصار على أنه يسلم إلى الإمام المخا وزبيد وبيت الفقيه وللشريف الحديدية وبقية البلاد، وقد كان أسعد الإمام إلى ذلك ووقع المكر من الشريف، ولا يحق المكر السيء إلا بأهله، وذلك بأنها كتبت القاعدة في الصلح، ورفع الشريف عماله، وتبعتهم كتب أنهم يحفظوا البنادر، ولكن فعل ذلك ليتخلص من الحصار، وتوجّه الرتب إلى المدائن، فلم يفتح لهم منها غير بيت الفقيه، وأما زبيد والمخا فتغلب عليها العمال لما ذكر، وظهرت خيائته بسبب القبض على رسوله، والإطلاع على كتبه، فنقض الصلح ورجع الحصار، كما كان وبعد تسليم الشريف ووصول التوابع، استولى الإمام على ما في القطيع، وقسم المستحقة لبيت المال بين المجاهدين، وضمن للتجار بما ذهب من أموالهم مما حصل لبيت المال من تهامة، والشريف الحسين مضمّر الشر ولا يعلم بأنها أحاطت به ذنوبه وظلمه الرعايا والكبر والعجب، كما قيل شعراً:

نومّل أمالاً ونرجو سلامة فتدركنا آجالنا فنموت
وما هو مكتوب عليك فكائن وما هو مكتوب فليس يفوت

ولما عزم الإمام على الرّحيل من القطيع لفتح زبيد والمخا/لما بلغه أن رتب الشّريف لم رضوا^(١) يفتحوا للجند وجّه التّوابع إلى زبيد وتوجه في أثرهم ودخل بيت الفقيه والشّريف معه تحت الحفظ، وأقام فيه لإصلاح الأمور، وعَمَل عليه الأمير توفيق الدّعوة وألزمه الإشفاق، والرّفق بالرّعايا وتوجّه زبيد وفتحت له، ودخلها وجنده وعَمَل عليها سيدي الشّرفي الحسين بن المتوكل أحمد، وهو نَعَم الكفو وبعد فتح زبيد حصل التساهل في حفظ الشّريف الحسين بن علي حتى صار في يد قبائل ذو حسين، وتبعوا بعد الإمام من بيت الفقيه إلى زبيد، وطرحوا خارج زبيد في البيشة وأقام الإمام فيها إلى آخر شهر ربيع أول، وتوجّه نحو المخا ببعض الجيش وذو حسين باقين في زبيد والشّريف لديهم والإمام مصطحب السلامة منهم ولا يعلم أنهم العصاة ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولما أشرفت راياته على بندر المخا وخفقت بلاده تلقاه أهلها بالسمع والطّاعة، وخرج إلى لقائه التجار والمشائخ، وصالحوا الرّتب القابضين لأدراكها من عند الشّريف على شيء من المال، وسلمموا الأدراك، ودخل المولى المتوكل دخله ما قد دخلها أحد قبله، ولا يزد يدخلها أحد بعده من باب الشاذلي، وغزلت^(٢) المظلة وقبض أدراكها وقرر أمورها ورتبها وكتابها، ووصل إليه الفرنجي الذي كان يتجر في البندر، وقرره على عادته وأمنه، وأمر بترتيب مدينة حيس، وأقام في المخا إلى سلخ ربيع آخر، والأمور منتظمة والبلاد صالحة، وجعل عمّالة الزّيدية بنظر الشيخ علي حميدة، ولم يبق في يد الشّريف الحسن بن محمد غير بندر الحديدية، وبندر اللّحية، وفي حال بقاء الإمام في المخا جاءت الأخبار أن الشمالحة منعوا، وعقدوا الخلاف، فغزاهم الإمام ببعض الجند من التّوابع والفرسان إلى موضع اسمه (الحكم) وهم آمنون، فصالحهم الإمام واستولى على بلادهم وبيوتهم ومساكنهم، وانتهب الجند مواشيهم وأسلحتهم وحليهم وأمتعتهم، وقبض على مشائخهم، وقتل خلق كثير، ورجع إلى المخا مؤيداً منصوراً وكان لذلك موقع عظيم.

وفي نصف ربيع وقع خسوف قمري واستمر خمس ساعات، وقال أهل الفلك: أن لذلك حادث يحدث، ونحن نقول بخلاف ذلك كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ: أن ذلك الخسوف والكسوف الشمس والقمر لا يكسفان لموت أحد ولا لحياة أحد ولا للماته وإنما يخوف الله به عباده فإذا رأيتم ذلك فصلوا وادعوا

(١) أي لم يَرْضُوا من الرضاء (معروف).

(٢) دارت كالمغزل.

فما أضعف عقول من يقول أن النجوم لها تأثير، ولما كانت الدنيا دار كدر وامتحان لا يصفو عيشها لإنسان وقد جرت عاداتها أن إقبالها يتبعه إدبار وصفوها أقدار وحلاوتها أمرار وأنها سريعة الانقلاب والاغتيال.

وبعد صلاح الأحوال وبلوغ النهاية والكمال للمولى المتوكل ظهر عليه النقص والانحراف من جميع الأطراف (شعراً):

إذا كنت تبغي العيش فاقنع بواسط فعند التناهي يقصر المتطاوّل
توق البدور النقص وهي أهلة ويدركها النقصان وهي كوامل

فأول خلاف ظهر/ بسبب إخراج ابن حامد وكيل الشريف الحسين على خزائنه وأمواله من حبس الإمام ومصالحته بنزر من المال، ولو بقي في الحبس حتى تتمهد أمور تهامة لكان الصواب والذي توسط بخروجه عند الإمام هو من الذي لا خير فيه، وثانياً: خروج الشريف في أيدي ذو حسين حتى يسلم ما هو لهم عند الإمام يسلمه المتوكل وإنما هو على جهة الرهن وهو الوهن [ورأس الخل بقاء الشريف في تهامة حتى قبضوه القبائل فيما هو لهم من عسكره، وقد أشار علي حميدة وغيره على الإمام بإرسال الشريف صنعاء، وكان فيها النصر قطعاً، ولكن الحذر لا ينفع المقدور، والكبر والعجب هذا عقباه لأن قصد الإمام يبقى معه في كل محل لرؤية الخلق، فكان فيها النجاح ولولا بقاء الله أن الإمام وأصحابه ذهبوا بسبب غدر البغاة لا رحمهم الله] (١) ثالثاً: معاملة عامل بيت الفقيه الشيخ أبكر شرف بما لا يرضي به الإمام، فبعد خروج بن حامد من السجن وهو من الأسارى في وقعة القطيع عقب الفساد والفساد وإخراج الأموال من خزائن الشريف، وأمر مصلح صالح الشايف يث الفساد في تهامة، ويسعى إلى عقاب القبائل ومشائخ البلاد بالأموال والناس أبناء الدرهم والدينار، لا ينظرون في العواقب فأحاطت به أعماله حتى أوقعته في الهلاك قبل بلوغ الأمل، ونقل خبره إلى سيدي الشرفي الحسين بن المتوكل أحمد عامل زبيد بأنه بات في الجراحية بالقرب من زبيد، فأرسل إليه عصابة من التوابع لضبطه فوافقه في المحل الذي بات فيه، فلم ينضبط فقتلوه أشر قتلة ورجعوا إلى زبيد بعد قتله، وبعد ذلك والبغي من أصحاب الشيخ أبكر شرف الذي كان عاملاً في بيت الفقيه، وقع منه المعاملة لمن تحته بما لا يرضي فكفوا منه، وقطعوا الطريق في المطاحن، وانهبوا جماعة من أصحاب الإمام وحمولة لبعض الجند، وقتلوا جماعة وأخافوا السبيل،

(١) من هامش المخطوطة.

ومع بعد الإمام في المخا، وضعف عامل بيت الفقيه، وقع السكوت عنهم فسرى الفساد والبغي في البلاد، وكان الشيخ علي حميدة محاصراً للحديدة حين خروج ابن حامد من السجن، فبذل الأموال وطلب قبيلة يام والمكارمة، فخرجوا بأجمعهم والشريف الحسن بن محمد في بندر الحديدة، وقد أمر أصحابه بانتهاب المدينة لظنه بالإجلاء عنها وعدم المراقبة لله، ولما وصل يام إلى قرب الحديدة رجع الشيخ علي حميدة باجل، وقد وقع بينه وبين من تقدم من يام حروب ورجع وطنه، وخرج الشريف الحسن بن محمد بمن عنده إلى المراوعة ينتظرون وصول يام، حتى وصلوا وأفاض عليهم من الأموال الذي جمع الشريف الحسين، وعقدوا الرأي على تخليص الشريف من يد ذو حسين الذي في البيشية خارج زبيد فصالحوهم على ألف مؤلفة^(١) وخانوا أمانتهم ونكثوا عهدهم وذمتهم، وفرحوا بالعاجل، ونهض الشريف أحسن بن محمد من المراوعة بيام، حتى وضعوا محاطهم هنالك في الحما، وأقبلت إليهم القبائل العسبية والزرائق، وأقاموا سبعة أيام في الحما خارج زبيد، والتساهل والتراخي وعدم الاحتراز كائن من عامل زبيد لزعمه أن البلاد في يد الإمام، ولا يعلم إن قد قلبت لهم البلاد ظهر المجن، وقد انحرفت قلوب الرعية، ومع قرب مطرحهم، من مطرح ذو حسين كلهم حول زبيد، استخلصوا الشريف وسلم لهم الشريف الحسن ما ضمن لهم من المال، وسلموا الرتب الذين في زبيد بالمال، وهم الذين كانوا في رتبة في المخا وبعض رتبة الشريف الذين كانوا في زبيد من قبل سحار وحاشد، فخادعوا البعض من أصحاب الإمام، وأضمرُوا المعونة للشريف وعقدوا الرأي على دخول يام من باب سهام، ودخلوا المدينة في شهر جمادي أول عنوة، واستولوا على جميع المدينة وخروج الرتبة من باب النخل، واصطلم الشر البعض حاشد في باب الشبارق وأفظعوا في النهب والقتل في أهل المدينة وفسقوا وقتلوا ونهبوا، وسبوا المحصنات عليهم غضب الله بما فعلوا/وانحصر العامل وأصحاب الإمام ومن هرب من المدينة في القلعة، وقتلوا من الأعيان والعلماء سيّدنا العلامة الحافظ محمد بن علي العمراني^(٢) الصنعاني، كان مقيماً في زبيد من أيام المهدي عبدالله، فلما دخل البغاة المدينة قاتل دون أهله وماله وقد قتل منهم كثير، واستشهد رحمه الله وختم الله له الخاتمة الكبرى، وقتل معه من أخلاط

(١) خ ما ألفه.

(٢) هو محمد بن علي بن حسين بن صالح بن شائع العمراني من العلماء الأجلاء ولد سنة ١١٩٤ وتلقى علومه على يد العلامة محمد بن علي الشوكاني وغيره وله مؤلفات كثيرة منها: شرح سنن ابن ماجه وغيره توفي سنة ١٢٦٤ قتلًا كما هو مشار إليه هنا (انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٧٢).

الناس خلق كثير رحمهم الله، ولم تزل الرماية بالمدافع والبنادق من القلعة إلى المدينة، ومن المدينة إلى القلعة مدة شهر وأصحاب الإمام ما زالوا ينتظرون الغارة من الإمام، ولما بلغت الأخبار إلى المخا، توجه الإمام بمن عنده من خولان وأرحب إلى حيس، وقد تقدّم من أهل حيس البغي بقطع الطريق، ونهب الحمولة، وقتل بعض المسافرين بسبب ما وقع من خولان إليهم، وضابطه على الحملة أن رأس الفساد وخلاف تهامة وما صادر^(١) الإمام وأصحابه بقاء الشريف في تهامة نلوا وقع إرساله إلى صنعاء المحروسة انقطع اليأس، وما تغير من الأحوال شيء، وقد أشاروا على الإمام بذلك، ولم يسمع ما هنالك، وكل ذلك الكبر والعجب من الجميع، فالشريف أكبر وصار فيما صار، والإمام أكبر بعد قبض الشريف وينا من نفسه يلوي^(٢) به على تهامة في النعش ليصير عبرة للناظر^(٣) فوق ما رقم، وكل ذلك قد سبق، وما ينفع حذر من قدر، ولما وصل الإمام حيس لم يقف فيها أحد من أهلها إنما ألقوا عصاة الهرب وحملوا أثقالهم وأولادهم إلى بطون الأودية ورؤوس الجبال، واجتمع المقاتلون إلى الجراحية والمشالحة، وحالوا بين الإمام وزبيد، وقطعوا السّارح والرايح، وفقد خلق كثير ومكاتبة أيضاً وكان بين حيس وزبيد الموت الأحمر، وأرسل الإمام لولده سيف الإسلام سيدي غالب وذو محمد من تعز والقاضي يحيى الأرياني في ذهنه يغير هو وهم على المحتازين^(٤) في زبيد، وما عاد عنده إلا شردمة يسيرة والبلاد قد قلبت، فلولا دفاع الله لو ثبت على الإمام أي قبيلة كانت من البغاة وكانت القاضية، وصار في حيس بمن معه محتازين، وانقطع عليهم كل شيء، حتى وصل الشيء اليسير من المأكول بعشرت^(٥) أثمانه، والدجاجة بريال وصادروا مصادرة شديدة وأيسوا من الحياة، وأيسوا من في زبيد، فمن له في نفسه ومن عنده. فلما وصل سيدي غالب وذو محمد عاذلهم الإمام بكل ما فيه الخير والصلاح، وكل ما يريدوا من حطام الدنيا وإذا قد في ذهنهم ضبط الإمام وابنه ويسلموهم للشريف بمال كبير، ودارت بينهما هم والشريف المكاتبة، وبذل لهم الشريف أضعافاً مضاعفة مما سلمه في نفسه لذو حسين حتى أجابوا على الشريف أن

(١) كذا في المخطوطة.

(٢) يدور. من اللّوي وهو اللّي (معرف).

(٣) خ لناضر.

(٤) المحاصرين. من الحوزة.

(٥) كذا في المخطوطة وكأنه يريد أن يقول بعشر أضعاف أثمانه.

ذو حسين باعوا أمريكني^(١) يعنون الشريف أنه أمريكني واحنا شانبيع بز أبو حلقة^(٢) وصمّموا على [أن] يبيعوا المتوكل على ذلك، فلما فطن الإمام دعا أحمد بن صالح ثوابه كبير ذو محمد، وجعل له قطعة يريم وبلادها وجميع ما سلّموه المحابيس الذين في ناحية بلاد يريم، وكانوا مشايخ كثير فنظر أحمد بن صالح ثوابه إلى ما شاء يسلم الشريف من المال العاجل، وإذا هو سيفني في أسرع وقت، ونظر إلى ما أقطعه الإمام، وإذا هو شاء يبقى في ذهنه الشقي إلى آخر الدهر، وما يعلم ما يأتي به اليوم الثاني، ولأن الدنيا كادت أن تكون دار جزاء والعقوبة من جنس الفعل، فأمر الإمام بالشداد ولا يعلم أحد ما قد فعل هو وثوابه، وظنوا أنه سيغير على من في زبيد فقصده طريق (ربوع المقطع) أو المقصع/ودبيه والفالج، حتى ارتفع إلى يريم بعد هول أهول من ذو محمد في الطرق، حتى كانوا ينهبون أصحاب الإمام في الطريق، وهم في حال السفر خبره^(٣) في المساء والصباح، وأخذوا الشداد والسفر، ومن تأخر من أصحاب الإمام أو تقدم نهبوه ذو محمد جند الإمام، فما وصلوا مدينة يريم إلا بشق النفس، وقد كان أيسوا من الحياة الإمام وأصحابه، فلما وصل الإمام يريم أرسل لجميع القبائل المجاورين لها (الرياشية) و(صباح) و(الأعماس) و(عمار) و(عنس) و(خبان) يصلوا^(٤) إلى حضرته بأسلحتهم فوصلوا، فأول أمر طرد من في المدينة من ذو محمد إلى البر وطلب محبوس من وصاب الشيخ حزام شغاف يسلم شيء من المال يستفدي نفسه، ويخرج لأنه من المحابيس فجوّب^(٥) على الرسول: الله يعافي النقيب أحمد صالح ثوابه في ذهنه الشقي إن قد هو قطعه وقد تبج لهم وفي أمانة ما عاده للإمام فأرسل له الإمام إلى تحت طاقته وضرب عنقه، وأمر أحمد صالح يصل إلى الحضرة فوصل يتشدد بالكلام فأمر به وقبض عليه وألبسه الحديد من ساعته وما خرج من عنده إلا ونظر إلى حزام شغاف مقتول، فضاقت به الأرض وندم على ما كان منه حيث لا ينفع الندم، وأراد أصحابه يُخربوا المدينة يريدوا إخراج صنمهم أحمد بن صالح فأمر تلك الأجناد بالخروج عليهم، فخرجوا لهم آلاف مؤلفة طايروهم في كل نجد فمنهم من نزل اليمن، ومنهم من طلب الأمان من الإمام ويرجع بلاد المشرق، وتوجه الإمام ذمار وأحمد صالح ما سور في يده وأمرهم

(١) نوع من البز يلبسه الفقراء.

(٢) كأنه نوع من البزور الفاخرة في ذلك الوقت.

(٣) زملاء. وهذه اللفظة أصلها من اللغة العبرية.

(٤) يصلوا.

(٥) فأجاب.

بحفظه، ورجع صنعاء ودخلها يوم الأحد ثامن عشر جمادي آخر.

وفي رابع وعشرين جمادي توفي القاضي يحيى بن علي الأرياني وقدم على ما قدم.

هذا خبر الإمام المتوكل.

وأما خبر تهامة والشريف فإنه لما دخلها يام فعلوا ما ذكرنا من الفجور بالمحصنات والنهب والقتل، وكان القتلى منهم ومن سحار قيل أربع مئة وقيل سبع مئة لأن الذي في القلعة قاتلوا قتالاً عظيماً حيث لم عادهم مظنين السلامة، ولما أيسوا من الغارة من الامام حيث لم وجد ناصراً اصطلحوا وخرجوا بأسلحتهم لا غير، في سلامة رؤوسهم ومن كان عندهم من أهل المدينة، حتى وصلوا حدود ريمة، ولما علم عامل بيت الفقيه الأمير توفيق بذلك، فعل كما فعل من كان في زبيد، وزد سلموا شيء من المال الجميع، وتركوا جميع الأثقال وخرجوا كل واحد كيوم ولدته أمه من الفقر والاياس من الحياة فلا قوة إلا بالله، وهذه كلها مخادعة البغاة وبغيهم على الإمام فلو أقاموا الشجرة لأكلوا الثمرة، لكنهم قطعوها فقطعهم الله لا رحمهم الله.

ولما استقر أمر الأشراف في تهامة صاحوا بالأمان لأهل زبيد، فرجعوا جميع، وقد كان ذهب ما يملكون وبقي معهم ما نقلوه معهم وما دفنوه في بيوتهم وآبارهم، فلما استقروا بأهلهم وشرعوا يتسببوا^(١) وأخرجوا دفائنهم أهدهم الأشراف والبغاة مرة ثانية، وقتلوه ونهبوهم، وفجروا بنسائهم أصابهم الله كيف فعلوا وما ذنب هؤلاء الضعفاء، وكيف هذه المدينة العظيمة محط رجال العلماء والتجار، ومربع الوعاظ والقضاة، ومحط الواصلين الذين للعلم طالبين، ومحل الصناعات ومعدن المجلوبات النفيسة والنخيل ثمارها والزهور رياضها والأنهار في جوانبها ريح المسك في أزقتها/ ذارية والغيد الحسان وبدورها كل مخلص من الولدان «وهذه المدينة اختطها عامل المأمون بن هارون الرشيد وأمر بينائها وهي من أحسن المدائن في المخلاف السليماني (كذا) فوا أسفاه علي، مثلها حين ينتهي حالها إلى هذا ويا كرباه على من هتك من العلماء والزهاد والأدباء والحكماء والوعاظ إلى الرشاد وهذا امتحان من الله لأوليائه وهلاك لأعدائه وحسن خاتمة للشهداء»^(٢).

(١) يدخلوا في الأسباب المعيشية.

(٢) هنا استطراد للمؤلف حول الوعاظ والحكماء والرشاد.

رجعنا إلى ذكر وقعة تهامة :

وبقي المخا في يد مولانا الإمام وفيه الخلاصة من التّوابع وقبائل يام إلى شهر رجب، وخرج البعض، وبقي الأمير فتح محمد، وخمس مئة توابع ووصل الشريف الحسن وحاصرهم، وابتاعوا له بشيء من المال، وخرجوا في رمضان وركب الأمير والكتّاب وخرجوا إلى لحج ويام، رجعوا زبيد عند يام قبيلتهم والكلام بينهم .

وفي جماد آخر قبل تفريغ المخا بل وصول الإمام صنعاء، جاءت أخبار من صعدة بأن السيد أحمد بن هاشم الويسي^(١) الكوكباني دعا إلى نفسه وتلقب بالمنصور، وأجابه من رذاذ الناس جماعة وقد بلغت قبل التاريخ ولكنها شاذة .

قال المصنف: وأنا نقلت ما قال برمته^(٢) ولا وجه لهذه الدّعوة وشقّ عصا المسلمين وإنما خيالات وأطماع وعقول ضالة لا ينظرون في العواقب ولا يميزوا بين الخطأ والصائب، وإنما وقع التّمالي بين جماعة من الطلبة، وبعض الفقهاء على الهجرة من صنعاء محل الشريعة القائمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى بلد قد ظهر فيها وفي جهاتها الطّاغوت وما نقلت إلّا ما وجدت من غير زيادة ولا نقصان، ولكن للتبيان أفهم ولا تظن بي سوء/ وظهر الفساد حتى انتهى إلى روضة حاتم والسبب وصول التوابع من المخاء فعائبهم الإمام على البيعة وترك الأثقال والخيام

«وعلى ذكر الوعاظ: قيل أنه جلس نحوى إلى جنب واعظ يعظ فلحن الواعظ فقال النحوي: أخطأت ولحنت فقال الواعظ: بديهة أيها المعرب في أقواله اللّاحن في أفعاله لأجل ضمة رفعت وفتحة نصبت وجرة خففت ووقفة جزمت هلا رفعت إلى الله يديك في جميع الحاجات ونصبت بين عينيك ذكر الممات وحفظت نفسك من أتباع الشهوات وحزمتها عن ترك المحرمات أما علمت أنه لا يقال لك يوم القيامة لم لا كنت فصيحاً معرباً بل يقال لك لم كنت عاصياً مذنباً ولو كان الأمر كما ذكرت لكان هارون أحق بالرسالة من موسى حيث قال الله: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً﴾ فجعل الرسالة في موسى لثبات جنانة لا لفصاحة لسانه انتهى . والحق مع الواعظ لله درّه وما روي عن العلامة الزمخشري محمود بن عمر المعروف بجار الله أنه وقف على خباز في أيام جدد وقحط وظن أنه سيرى له حق لجلالة قدره فلم يقبل منه حتى سلم له الدراهم فقال شعراً:

عرضت على الخباز نحو المبرد	وكتباً حسان للخليل ابن أحمد
ورؤيا ابن سيرين وخط مهلهل	وتوحيد عمرو بعد فقه محمد
وأنشدته شعر الكميت وجرول	وغنيته لحن الغريض ومعبد
وما نفعتني دون أن قلت هاكها	مدورة بيضا تطن على اليد

(١) أحد الأئمة وسيأتي ذكره.

(٢) يعني المؤرخ أحمد بن عبد الله الحرّازي وناقل هذا التاريخ هو أحمد بن عبد الله الزبيري.

وفسح^(١) لهم من العسكرة وأخرجهم من البيان^(٢) فصاروا يعاقدوا البغاة من كل قبيلة من الحواز وتحكموا على المخترفين^(٣) في الروضة من أهل صنعاء، ونهبوا وفعلوا كل قبيحة وعضدهم أرحب وبني الحارث، وكل من في قلبه مرض، وطلب الإمام القبائل وقدم عليهم إلى الروضة ولم يتم شيء بل ازدادوا عتواً ونفوراً وهذا مما ذكرت لك أنهم قلعوا الشجرة ولو أبقوها وساقوها لأكلوا من حلوثمارها.

وفيها خرج سيدي حسين بن المتوكل داعياً إلى نفسه في بلاد ذمار في (رَحْمَة) وارتفعت المطارح من الروضة وأميرهم أبو زيد بسبب دعوة سيدي حسين، وكان سيدي حسين والياً على بلاد يريم، وعضدة البغاة الذين في اليمن بسبب أحمد بن صالح ثوابة الذي في حبس ذمار، وما مقصدهم إلا ذلك وأكل أموال الناس بالباطل ما يريدوا الحق، وبعد الدعوة نهض لمحاصرة مدينة ذمار وعضدة الجرادي علي مثنى الذي وقع به الإمام سابقاً وقبائله وطرح سيدي حسين في منزل ذمار فوق الغيل، وقطعوا الطريق ووقع بينه وبين أهل ذمار حروب، وسقط قتلى من الفريقين، واستمر الحصار إلى عشر ذي الحجة ونقل سيدي حسين إلى المواهب، وفارقه من كان عنده من كل بلاد لرجوعهم بلادهم للعيد.

وفي ثاني الغدير تقدّم سيدي المولى المتوكل على سيدي حسين إلى بلاد ذمار وسلك طريق جهران وأقام قليل من رصابة وسلك ضيق (قعوان) وطريق درب ذمار، وكان في الدرب علي مثنى الجرادي وقومه، فلما نظر المتوكل متوجّه نحوهم، ما وسعهم إلا الفرار ورتبه المولى، ودخل ذمار يوم الأحد ٢٣ الحجة وعند وصوله طلب رأس الفساد أحمد بن صالح ثوابة إلى خارج الحبس، وعاتبه فيما جرى منه من قبيح أفعاله، وأمر بقتله فوضعوا فيه السلاح أصحاب الإمام، وقتل شر قتلة لا ضربت عنقه ولا رمية بندق وهذا حال من خان إمامه وكان لقتله في قلوب الناس رهبة لتجبره ومكره وخدعه وسطوة سيدي فيه.

ولعل عامل ذمار أحمد بن حسين العنسي، قد كان إلى سيدي حسين وكاتبه، فما وسعه غير الهرب، هذا ما كان من خبر الإمام وسيأتي التمام بما تحب.

وفي صنعاء أخرج الوزير أبو زيد من خزائن بيت المال الكبريت والرصاص

(١) فسح له: أعفاه عن الخدمة، أو أذن له.

(٢) كشف المرتبات.

(٣) المصطفين من الخريف (معروف).

وباعه في السوق بأبخس الأثمان، وضمّ إلى القيمتين ما حصل من خراج الحواز، وأرسلها للمولى للجهاد، وقد بلغ الضعف في بيت المال غاية ولا زالت العمائر في صنعاء في الدوائر من اثنا قيامة إلا أن^(١) لا قد كان هدمت جداً فجدد هادمها من المواثر^(٢) إلى الشرفات فجزاه الله خيراً، ونفقات العهد والمقررات مستمرة لم يقصّر على أحد مما يعتاده من الخلفاء السابقين شيئاً ولم يكلف أهل صنعاء بشيء من المشاق ولا على التجار وعلى أهل الأسواق ولا أهل الحرف كمن مضى.

ودخلت سنة ١٢٦٥ :

وخرج على أهل الحدا وطرح في نوبة ووقع قتلى وفعل الإمام عليهم شيء من المال ورجع ذمار وأما سيدي حسين بن المتوكل فإنه لما وصل المتوكل ذمار وقربه القرار فإنه سقط من يده وبطل عمله وخاب أمله وطففت جمركه وفارقه جليسه وفر منه أنسه وصار يماني بليث ويترجى بعسى وفر إلى رخمه قطعة آل المتوكل وتحصن فيها وبقي من رذائل/الناس شيء يسير، ووصل ذو حسين، إلى حضرة المتوكل طالبين معاش فنظرا إليهما فيما وصلوا فيه، ولو فارقهم ونفاهم عدلوا عند الضرار، ففرقهم عند العمال في الأمصار، وجهّز المقادمة إلى رخمه وأمر عليهم الفقيه محمد بن أحمد العفاري، وطنّبت الخيام حول رخمه، ووقع حرب بالنبادق والمدافع لأن سيدي حسين عنده مدفع أخرجه من يريم، وسقط القتلى من الجهتين، وكان يخرجوا من رخمه خرّجة بعد خرّجة ويرجعوا منهزمين، فجاءوا ذو محمد إلى حضرة الإمام وتوسّطوا على دخول سيدي الشرفي إلى حضرة المتوكل للموافقة في ذمار، فدخل ووقع في عرض^(٣) سيدي الشرفي من السفلة والسوقه من التفوه والكلام البذي كما هي عادة الغوغيا في المدن، فبات سيدي الشرفي في ذمار بذل وصغار مما تألم من أهل ذمار، وتسلّل الصبح قبل الشروق على غفلة، وترك أصحابه، وصار كما كان لما سمع من ذلك الإيلام، وبقي عنده من الأشرار، وأخذ الإمام عليه المظلة وبدخوله إلى ذمار إلى عند الإمام انقطع عند الناس منه الكلام، وحصل اليأس عند جميع الناس، واقطع سيدي المولى أولاد أحمد بن صالح ثوابه قرية بضعة في البخاري وهي أحسن قرى البخاري في المخادر لخصبها وكثر مائها وثمرتها القات فيها التي تباع بأعز الأثمان، وتوجّه سيدي المولى [إلى] رداع لإصلاح أمرها،

(١) كذا في المخطوطة.

(٢) جمع مؤثر هو الأساس.

(٣) أي نالوا منه بالكلام السيء.

ورجع ذمار وصلح شأن سيدي الشرفي ، وشرط لنفسه بقاءه في وادي ظهر، فلما وصل الإمام صنعاء تبعه سيدي الشرفي وتوجه إلى وادي ظهر وقعد في دار الحجر، وعند وصول سيدي المولى صنعاء أمر بتسمير بيوت الذين وافقوا الداعي بصعدة السيد أحمد بن هاشم المتقدم ذكره .

واستفتح الداعي في تلك الديار بلاد كثيرة واشتغل بها وأهل تلك البلاد الصاعدة وما والاها يتبعون كل ناعق ويهرولون بين يدي كل سابق لما يعلمون ممن قبلهم إن صعدة محط رحال الأئمة العظماء المتقدم ذكرهم من عند الإمام الهادي رضي الله عنه ومن بعده، وهيهات أن يوجد في زماننا مثل أولئك وإذا وجد وما أظن فما وجدوا أعوان مثل أعوان أولئك فإنما أعوان أئمة زماننا يأتوا قافرين^(١) عاريين جاعين فما قصدهم إلا شبع فاقتهم وسدّ خلعتهم، ويخبطوا خبط عشواء، ويوقعوا أمامهم في عمية ظلما، ويضاروا عباد الله ويأكلوا مال الله ويتبعوا هوى أنفسهم، فإن وافقهم أمامهم فذاك مقصودهم وإن أنكر عليهم قرؤوا ونكثوا عهودهم، وبقي حائراً، ويتبعم كل فاجر أو خاسر، فأين ذا من ذاك بل أنهم إذا لم يساعدهم شوشوا على الخاص، والعام وأدوا^(٢) فيه ما ليس فيه، وقالوا اخترنا فلم وجدناه لذلك أهلاً وصاروا يذوّروا^(٣) على الذي سيوافقهم على فعلهم الشنيع، وركزوا^(٤) غيره وشقوا عصي المسلمين، وسفكت بسببهم الدماء، وهذه أفعال المتفقيّهين^(٥) الأشرار وعلماء السوء أهل الضرار^(٦) والإضرار، هذا وقد فرضنا وجود القائم في زماننا المحقق سواء كان هذا المذكور أو غيره، والناس أنعمه^(٧) وعبدت الدراهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وفي ربيع آخر: وقع خلاف من بعض قرى بلاد البستان وخرج أبو زيد بالمدافع، وحط في بيت حنبص وقربوا المدفع إلى بيت رجال، وأما تهامة فتغيّروا وفسدوا، وقطعوا الطريق ومنعوا الواجبات وتلاشى أمر الشريف الحسين^(٨) .

(١) جائعين. وفي اللغة يقال فلان قفر: ذهب طعامه وجاع.

(٢) أي أتوا بكلام ليس فيه.

(٣) يبحثوا.

(٤) نصبوا.

(٥) مدعو الفقه.

(٦) الضر.

(٧) أنعمه.

(٨) هو الحسين بن علي بن حيدر الخيراتي .

وأما زبيد فتفرقوا في البلدان بسبب ما نالهم والمدينة كثيرة المصائب فقد انتهبت من حين بناها محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن زياد^(١) في سنة ٨٣ إلى التاريخ مرار عديدة وهدم سورها مراراً واحتترقت مراراً/وقد ذكر صاحب بغية المستفيد في إخبار مدينة زبيد عدة وقائع وهكذا كل مدينة اختطها العباسية، فكم قد وقع في مدينة بغداد من وقائع الحريق والغرق بارتفاع دجلة نسأل الله اللطف.

وفي هذا الشهر وقع وباء وفناء وتقاربت آجال وهذا يسير بالنظر إلى السنين المتقدمة وما أحسن ما قيل:

تنفك تسمع ما بقيت بهالك حتى تكون هو
والمرء قد يرجوا الحياة مؤملاً والموت دون هو

وفي هذا الشهر وصل عامل حفاش الشيخ محمد الضلعي تحت الحفظ بسبب ألقى ما ألقاه أهل البلاد إلى الإمام أنه استهلك متحصّل البلاد فأرسل الإمام همدان لضبطه فسلخوا به طريق الفرق بسبب تجمع عيال سريح وأرحب في طريق سارع ليتخلصوه ولم يتم لهم مرام بل وصل وحبس.

وفي هذا الشهر خرج الإمام يتنفس في الوادي وبسط شباك القنص لسيدي حسين بن المتوكل وقبض عليه حتى أدخله تحت الحفظ [إلى] صنعاء وحبسه وغلظ عليه بسبب دعوته في (رّخمه).

وفيها جاءت الأخبار المتواترة أن سلطان الإسلام جَهّز الشريف محمد عون^(٢) وتوفيق باشا^(٣) على أرض اليمن بسبب الشكاة من أهل تهامة الذين ذهبت أموالهم من أيام حصار القطيع ومما عاملهم به الأشراف سابقاً ولاحقاً وقد امتلأت السفن من الأتراك وليس الخبر كالعيان، هذا خبر ما سمعناه والله أعلم ما يؤول إليه الأمر.

ومن العبر: أنها تكاثرت الصّواعق في هذا الشهر ولم تصب أحد من الناس إلا أنها وقعت منها ثلاث في دور الإمام (وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً).

وفي غرة جماد آخر خرج الشريف محمد بن عون ومن معه من الأتراك والعرب

(١) هو محمد بن عبد الله بن زياد اختط زبيد سنة ٢٠٤ (انظر تاريخ مدينة زبيد ص ٣٩) بتحقيقنا.
(٢) انظر خبر دخول هذا الوالي إلى اليمن في تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٢٩ ط أولى و ٤٨٣ ط ثانية وانظر اللطائف السنية ٣١٠
(٣) أي أعلنوا.

من أهل الشام^(١) وفتحوا لهم بندر الحديد، وضربوا^(٢) للناس الأمان ولم يصب الناس ضرر من معرة الجيش وخيموا في البرية وهولوا على الناس بكثرة الخيام والمدافع وطلبوا الأشراف فوصلوا إليهم مدعين وحفظوهم من حيث لا يشعرون، وطلبوا الشيخ علي حميدة فوصل إليهم هو وأولاده ولينوا له المقال وولوه على بعض المخلاف السليماني وكتبوا إلى سيدي المولى المتوكل يستدعونه إليهم مثل من لديهم فأرسل إليهم القاضي عبد الله بن أحمد بن سعيد العماري^(٣) لأخذ الحقيقة وأرسل إليهم بنجائب من الخيل وأهدى إليهم هدايا لا يسع حصرها ونفائس وعزم وتلقاه الشريف محمد بن عون شريف مكة بأحسن التلقي وأقام عندهم خمسة أيام، ورجع بالجوابات وأتى بعده الشيخ علي حميدة وولده وإثنان من بطارقة الروم إسم أحدهما خرشد والثاني رجب وأمر الإمام وزير الشيخ أبا زيد بن أحسن آغا والأجناد من أهل الحواز ببلقائهم فنظر الأتراك إلى ما يهولهم وعلموا عدم قدرتهم على الإمام وقد كان لاحظهم الطمع، ولما وصلوا صرفهم الإمام إلى بعض منازل دار بستان السلطان وأفاض عليهم واسع الإكرام فأقاموا أربعة أيام في أهناعيش وإنعام وعزما على المسير فجوب الإمام معهم بما جوب وأهدا للشريف المظلة المسماة بالجرموزية (من المشاهير الذي لا توجد بين

مثلها وهدايا أخرة وعزم معهما عبد الله بن علي حميدة وأما أبوه فطاب له المقام جوار الإمام، وبقي الناس في هرج ومرج، وقال وقيل والبغاة متوقعون لزوال البلاد من أيديهم وزوالهم من البلاد مع ما قد أكثروا فيها الفساد والله في كل بلوى تصريف (شعر):

رب أمر يضيق ذرعك منه لك فيه إلى النجاة سبيل

وتجهز الوزير أبا زيد بعصاة يسيرة لإصلاح بعض مشايخ الحيمة فلما وصل (بوعان) وافاه سبعة أكبرهم وأشهرهم الحاكم السيد إسحاق بن عقيل^(٤) والسلطان عبده من عقال عسير، وثلاثة أشراف من أهل مكة فأكرمهم ورجع معهم إلى (يازل)

(١) هنا هم أهل الحجاز ونواحيها.

(٢) هنا يخلط المؤلف بين المخلاف السليماني جازان ونواحيها وبلاد الحديد ونواحيها.

(٣) من علماء عصره الأفاضل وهو الذي جمع ديوان الأديب محسن بن عبد الكريم وله كتاب في الرقائق ولم أقف على وفاته.

(٤) هو العلامة إسحق بن عقيل بن عمر السقاف عاش بمكة وشارك في سياسة عصره من مؤلفاته تعطير الكون في التعريف بلذي عون توفي سنة ١٢٧٢ (الأعلام ٢٩٥/١).

وباتوا ويوم ثاني صار الحيمة وهم وصلوا حضرة الإمام، وأصلح الوزير عمله بعد مناوشة حرب بينه وبين أحد المشايخ، وصلحت الأمور، ورجع صنعاء، وأمر الإمام من يلقيهم إلى نقيط عَصْر وأرسل بمراكيب من خيل بيت الال، فوصلوا بأهبة كبيرة، وشاهدوا قوة عظيمة في دولة صنعاء، ومواكب تهيل العقول وتسرع أهل المعقول، فلما وصلوا حجرة الخلافة استأذنوا بالدخول فأذن لهم، وتلقاهم وصرفهم في بعض مفارج^(١) بستان المتوكل وأفاض عليهم فاضل الكفايات وعرف مقصدهم وما تضمنته كتبهم، وبعد أربعة أيام رجع البعض، وبقي السيد إسحاق، وقيل وبعد عزم البعض بالجوابات على الشريف أرسل الإمام كتب الرسائل إلى عقاب قبائل حاشد وبكيل وطلب قدومهم إلى حضرته وعادت جواباتهم بالامتنان^(٢).

وفي غرة شعبان بعد إنقضاء صلاة الجمعة ضربت مدافع الرّحيل وتوجّه الإمام بجنوده من التّوابع وهمدان والبعض من ذو غيلان نحو تهامة للقاء الأتراك، وأميرهم الشريف محمد بن عون، وتقدم السيد محمد بن إسحاق، والشيخ علي حميدة قبل الإمام يخبرون الأتراك باللقاء للإمام إلى باجل حتى يظهر مكنون سرهم فإن كان مقصدهم^(٣) القبض على الإمام ولن يسلطهم الله عليه، وإن كان مقصدهم الإعانة له كما زعموا في كتبهم فسيظهر أمرهم، والله غالب على أمره ولا راد لما قضى ولا مبدل لما حكم ولا يحق المكر السيء إلا بأهله، فلما وصل الإمام إلى حدود تهامة وصلته كتب الشريف والباشا توفيق، ويطلبون قدومه إلى بندر الحديد وأرسلوا إليه بدراهم للجند الذين معه. وبقي في باجل يومين وتوجه إلى الحديد بمن معه ولقيه العجم، وهولوا على من صحبه من الأجناد بكثير من الخيل، وظهور القوة وأمروا جند الإمام يحطوا في محل خارج الحديد، ودخل الإمام وخواصه البندر واجتمع بالشريف ودّونا الأمور بينهم، ولم يظهر لغيرهم ما انطوت عليه ضمائرهم ولا يحق المكر السيء إلا بأهله» هذا ما قدمنا من سيرة المتوكل عملاً متولي السرائر.

وكان إماماً لا يخدع رعيته، ولا يخون أمانته ولا ينقض العهد من عنقه ويسلك مسلك الظالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولما فشي أمره وظهر مكره، وقاد الأتراك من تهامة، وظن العافية والسلامة والرياسة والزعامة معه الإقامة

(١) المفرج قال الكرمل في بلوغ المرام ٤٣٨ «وهو المنظر لكن النافذة فيه كبيرة العرض وتكون بعرض جهات المكان وهو غرفة جميلة تكون في أعلا طبقات المنزل.

(٢) خ: امتثال.

(٣) قصدهم. أو غرضهم.

في الحديدية/ ست ليال تجهز توفيق باشا ومعه من العجم نحو ألفين على اختلاف أنواعهم، وقيل منهم نصارى ومنهم مجوس، وإن منهم من يظهر الإسلام ولا يعمل فيه إلا بالإسم، وأعماله أعمال الكفار من قطع الصلاة وتحليل ما حَرَّمَ الله كما أجمع على ذلك من أصحابهم وألفهم. وتوترت بذلك الأخبار والله أعلم، وأشعر عند ذلك أصحابه إن هذا الباشا وحده خبرهم سلطان الإسلام لنصرته وإعانتة علي حاشد وبكيل وشَدَّ الباشا الجمع والأثقال والأموال نحو سبع مئة جمل وجَرَّوا إثنين مدافع، وجهاز خمس مئة فرس، وأصحاب الإمام يظنون ذلك ولما وصلوا إلى باجل تقدم المتوكل وأصحابه وتأخر العجم وولده غالب وصنوه عبد الله بن يحيى، وسيدي الحمالي علي بن المهدي، وقد أضمر المتوكل أنهم رهائن بالوفاء للأتراك من وقع بينه وبينهم، ولا يعلم سادتي أنهم رهائن إنما ظنهم أنهم يصحبونه في الطريق والأتراك حافظون لهم من حيث لا يشعرون.

ووصل صنعاء يوم عشرين في شهر شعبان من السنة المذكورة فرمان^(١) عن تشاور بين الشريف والباشا والمتوكل وذلك توطئة منهم وتمهيد وتغريز وتلبيس، وأمروا الشيخ أبازيد يأمر الخطيب بقراءته يوم الجمعة على الناس تضمن أن السلطان أمر الشريف محمد عون والباشا بنصر المتوكل، وأن محكم البلاد إلى الإمام والولاية للسلطان بواسطة الشريف محمد عون^(٢) ففطن بذلك أولي الألباب، وبعد ذلك وصلت كتب من المتوكل إلى الوزير والأمراء بأمرهم بتفريغ القصر قصر صنعاء المحمية بالله للأتراك، وأوهمهم أنه يريد حفظهم عن مخالطة الناس لنفور الأنفس منهم فترددوا في ذلك وأرسل لعقال الجند، ومن يرجع القول إليهم بنزول الدراهم المقبوضة من العجم، وأمر بحفظ نقيض عصر من القبائل خوفاً من هجومهم على العجم، وحفظ ذلك همدان وجماعة من حاشد.

وفي يوم تاسع وعشرين شعبان وصل سيدي الإمام صنعاء، وبسط للناس شباك الحيل، وأوهم كل أحد بإيهام على قدر عقله، ويقرب في ذهنه، وكل ذلك ترغيب للناس وتحسين لفعله القبيح بوصول الأتراك، وكثرة أموالهم وأنهم من أعوانه على البغاة بالأموال^(٣) والأنفس، والناس في وجل عظيم، ولكنهم يظنون صدق

(١) من الفارسية وهو كتاب السلطان يعطي للولاة ووكلاء الدول.

(٢) هو محمد بن عبد المعين بن عون أمير مكة سنة ١٢٤٣ توفي سنة ١٢٧٤

(٣) خ بل أموال.

المتوكل بوفائه لهم فيما مضى في مدة خلافته، وفيما يزعم لهم فأول^(١) مصيبة إخراج من سكن القصر من بيوتهم والتزم^(٢) بتعويضه لهم في بيوت صنعاء، وتسليم الأثمان لهم وهو مضمر المطل، وخرجوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً.

وفي شهر رمضان: والناس في هرج ومرج متوقعون ما ينزل بهم، ولكنهم ظانين أن الإمام لا يخدعهم ويخون أمانته.

وفي خامس شهر رمضان تواترت الأخبار بوصول الأتراك في اليوم الثاني، وأمر المتوكل الناس بلقائهم إلى عصر.

وفي يوم الخميس سادس رمضان أشرفت رايات الأتراك على صنعاء من نقيط وعصر، وكثر المتوكل سوادهم/بقبيلة همدان والبستان وأهل الحيمة، ولقيهم من صنعاء بالأجناد إلى وسط القاع الغربي، وعجب الناس من كثرة الأثقال وكثرة الجمال والخيول، واستشنعوا خلقهم ولبسهم، حيث لم يعرفونهم، وبعد اختلاط العرب والعجم، نظر المتوكل في الأصلح لكمال الخديعة، وأمر العرب جميع بدخولهم من باب قاع اليهود، وأمر بتغليق أبواب بئر العزب وصنعاء، ولما دخلت المدينة بأجمعهم يظنون أن الإمام وراءهم، وغلقت الأبواب وأمر العجم بدخولهم من عدني^(٣) صنعاء حتى يدخلون القصر، وتقدمهم الإمام بمن معه يقودهم إلى القصر، وهم يتبعون بعده ويهولون على الناس بكثرة الأسلحة ورمي البنادق وإظهار الزينة والقوة، وتوفيق باشا متوسط بين الحمولة والرجال قد نصبت له مظلة مذهبة وغزلوا^(٤) بها على رأسه كما يصنع أهل اليمن للخلفاء^(٥) وقد لبس من الثياب الفاخرة ما لا يسع بسطه، ونصب العمامة على رأسه، والخدم محيطون به، والخيول الكثيرة تقاد بين يديه وقادهم المتوكل، وأمر الوزير بتأهيب الأطعمة والعلف وجميع ما يحتاجوه، وعقيب وصولهم أمر المتوكل بجر المدافع الذي في صنعاء تقاد إلى القصر الكبير والصغار، وقبض ذلك الأتراك حتى لا يبقى لأهل صنعاء عليهم سلطان، والله غالب على أمره، وضربت الخيام من باب البكيرية إلى قرب باب اليمن، لأجل التطويل والتهويل، وفيهن قليل ترك الكثير تفرقوا في القصر، وقد داخلهم العجب والفرح لأنهم ظانين أن ما يملكوا القصر، والناس لا يعلمون أن

(١) خ فا أول.

(٢) خ والتزم.

(٣) الجهة الجنوبية.

(٤) سبق شرح هذه اللفظة.

(٥) خ للخلفاء.

الإمام قد سلم لهم المملكة وباع الدور وأضمر لرعيته الخدع وباع دينه بدنياه، وظن
السَّلامة وأمن مكر الله .

وفي ذلك اليوم نزل الأتراك إلى السوق^(١) يشترون ما يحتاجون والعشي^(٢) كتب
توفيق باشا إلى المتوكل يأمره بتفريغ بستان السلطان وإخراج الأجناد الأصلية منها،
فأخرج من في القصر، وأوهمهم بإيهامات يظنون صدقها، ودفع لهم شيء من المال،
ووعدهم الأتراك إلى يوم الجمعة بقبض الأدراك، وإخراج من فيها من التوابع، وأرسل
الباشا للخطيب، وأمره يخطب للسلطان على منبر جامع صنعاء، وسلم إلى الخطيب
خطبة قد ألفها من ألف.

وفي هذه الليلة نزل توفيق باشا بحاشية من الأتراك إلى بستان السلطان لتدوين
أمور الدولة وتقرير المحتاج إليها في كل شهر، وأجمع رأيه ورأي سيدي المتوكل
على أربعة آلاف مصاريق^(٣) وجوامك، واعلم الناس المتوكل بأن أخواضهم^(٤) إلى الباشا،
ومن ها هنا تيقن كل من سمع من المتوكل صدق الأقاويل، وعلموا بخديعته لهم وخيائته
لأمانته، واعلم الناس بعضهم بعضاً وعلموا أن الأمر صعب^(٥) عسير، كيف وقد أدخلهم
القصر، وهو المعقل الأكبر فوق صنعاء كالمنبر الشامخ المنيع الأشهر^(٦). ولكن إذا نزل القدر
عمي البصر والله في خلقه تدبير وإليه المرجع وإليه المصير :

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال
ولما رجع توفيق باشا/ إلى القصر بعد تدوين أموره وتقريرها أمر الأتراك
المخيمين خارج القصر في البر برفع الخيام العدنية ووضعها جميع في ميدان
البكيرية، فرفعوها ودخلوا من باب ستران ودخلهم العجب، وأضمروا دخولهم
الدور الشامخة وإخراج أهلها منها، وأظهروا الكامن في صدورهم من حين وصولهم
ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وأهل صنعاء ما حاثرون الأفكار في الليل والنهار،
لا يدرون ما يصنعون، وقد وقع الرعب في قلوب التوابع حتى أنهم لا يراجعون في

(١) خ إلى السوق.

(٢) المساء وهو العشي.

(٣) مصروفات.

(٤) شؤونهم. وفي اللغة خاض القوم في الحديث أفاضوا فيه.

(٥) صعب.

(٦) خ الا أشهر.

(٧) خ ولا كن.

تفريغ الإدراك إنما يتلقون الأمر بالسمع والطاعة، وبات الناس في ليلة نابغية وأحزان يعقوبية، متوقعون نزول البلاء بهم، فلما أصبح الصُّباح يوم الجمعة خرج الأتراك يطوفون^(١) في شوارع صنعاء، حتى انتهوا إلى قاع اليهود، فقبل منهم من يشتري الخمر من الذميين ومنهم من يشتري ذبائح الذميين، منهم من يريد البغي والفساد، وكأنهم مستضعفون العرب واثقون بقوتهم وأموالهم وقوة سلطانهم، فلما أشرق النهار ثارت حمية العرب وعلَّتْهُمْ الغيرة الإسلامية فصاحوا على الأتراك صيحة يشيب منها الوليد في لحظة واحدة من باب القصر إلى بئر العزب، كأن ذلك عن تشاور منهم وإلا فكل واحد لا يعلم ما عند الثاني، فأخذهم بأس الله وهم يلعبون، فما كان غير ساعة واحدة حتى أتوا على آخر من في صنعاء من العجم، ونحروهم كنحر الجزور، فلعمري لقد قتلوهم شرَّ قتلة وضربوهم بالفؤوس والمعاول والخشب، وطعنوهم بالجناي ورموهم بالبنادق، وغنموا أموالهم، ووثبوا^(٢) على خيامهم وخيلهم، وقطعوا الخيام التي نصبت في الكيرية قطعاً، ولم ينفلت منهم إلا من فرَّ إلى القصر، وامتلات الشوارع من قتلاهم، وأنزل الله عليهم الذلة والمسكنة، ولم يقتل من العرب غير القليل حال قتلهم، هذا وأكثر أهل صنعاء في دورهم لم يخرج منهم إلا القليل من السفلة بل أن أكثرهم راقدون على حكم الصيام ما يقوم إلا للظهر كما هيه^(٣) عادة أهل صنعاء النوم إلى الظهر، وبيعت الخيل والجمال بأبخس الأثمان حتى بلغ ثمن الفرس خمسة قروش، وداخل من في القصر الفزع والجزع، ولو أغار من العرب حال الصيحة شرذمة يسيرة لأخذوا القصر ومن فيه لأنهم في تلك الحال مفشولين^(٤) مبلوسين^(٥) مسلوين الحواس، ولم تستمسك أيديهم لأخذ السلاح والرمي بالبنادق، ولقد أخبرني^(٦) من كان عندهم في القصر حال الصيحة: إنهم سمعوا صيحة كادت تقلع الأرض من تحتهم، وظنوا أنها قامت القيامة وأنا أخبرني خلق كثير يشهدون^(٧) لله أنهم سمعوا صيحة من السماء لا كأنها من الأرض، وكلا منهم في ناحية من الذين أخبروني^(٨) ناس في قاع اليهود، وناس

(١) يتجولون.

(٢) الأصل ثبتوا.

(٣) هي.

(٤) فاشلين.

(٥) يائسين.

(٦) أي المؤلف الأول، المؤرخ محسن بن أحمد الحرازي.

(٧) أي شهادتهم لله خالصة.

(٨) يعني المؤرخ الثاني أحمد بن عبد الله الزبيري (نفسه).

في شرارة، وآخر معروف باسمه كان في النهرين، وناس في البيوت، وناس في باب شعوب، وناس في الميدان، كل واحد يخبر بالصيحة ولا يدري من أين من السماء/ أم من الأرض ولا علم أحد من أين بدعت^(١) ولا كأنها^(٢) إلا في دقيقة صوت واحد ولا عن توالي^(٣) ولا عن أمارة، ولا أحد يعلم ما عند الثاني فالحكم لله، وهو على كل شيء قدير، وبعد حين أغلقوا باب القصر وعندهم من العرب خلق كثير يبيعون إليهم المأكولات وغيرها، وحفظهم الله سبحانه من الأتراك حتى أخرجوهم اليوم الثاني، وبعد قتل من في صنعاء، وبعد ذلك ثارت العامة ثورة أشد ثورة وصاح الناس، وأهل صنعاء لا يدرون ما يصنعون، وأغلقت أبواب صنعاء وتحصن المتوكل في بستان السلطان، وثار بعض أشرار الخلق على بيوت القاضيين الفاضلين القاضي محمد بن محمد العمراني والقاضي عبد الرحمن العمراني^(٤) وأفزعوهم وانهبوا^(٥) وأخربوها لأهويات نفسانية ونزعات شيطانية، وأخرجوهم من البيوت، بعد أن أخذوا جميع ما يملكون، وهتكوا أعراضهم، وكذلك الفقيه عبد الله وسيل الهندي صنع به الغوغا ما صنع بيت العمراني، ونسبوا إليهم النصب وبغض أمير المؤمنين، ومعاذ الله أن يبغضه مسلم، وهذه مصيبة وفاقرة في الدين وقد كان هم الناس بعضهم ببعض، وكادوا أن يتآكلوا فنعوذ بالله من الفتن وشرها وكل واحد حفظ نفسه في بيته والصعاليك يموجون في الأزقة، ولما سكن جأش الأتراك وقع الحرب بينهم وبين التوابع وأهل صنعاء، وكان أهل صنعاء يرمونهم من الصوامع والدور الشامخة إلى القصر، والأتراك يرمون بالمدافع من القصر، وخرج أهل السجون من سجونهم، ودخل الترك يُحربون من الحبس لقربه من صنعاء، وكان يوم عسير دخانه في الهوى يطير، وغار أهل الحواز إلى خارج صنعاء، وقد أغلقت الأبواب وانكفت^(٦) القبائل في الأقطار حولان ونهم وأرحب وسريح وهمدان، وسكن الرمي من قبيل غروب الشمس.

وفي ليلة السبت ثمان رمضان حفظ الأمير سعد يسر الإدراك، وأجمع رأي

(١) ابتدأت.

(٢) بمعنى وليس ما انها.

(٣) أي بغير موالاة ولا أمر.

(٤) من العلماء الأجلاء له مؤلفات منها شرح ورقات الجويني وغيره توفي بعد سنة ١٢٧٣ تقريباً انظر كتابنا

مصادر الفكر الإسلامي ص ١٦٧

(٥) يقول الواسعي في فرجه الهموم ص ٢٣٩ «ذهب عليه في هذه النهبة خزانة عظيمة من الكتب والذي كان

معه من أفخر الكتب ألف كتاب».

(٦) تداعت للحرب.

العُقَّال وأهل الحل والعقد على مبايعة سيدي الجمالي علي بن المهدي، وتقليده أمر المسلمين، ونزلوا عليه إلى دار الذهب وعولوا عليه في القيام لدفع المصيبة النازلة وحفظ دمائهم وأموالهم وهو أبي من ذلك لأنه قد عرف ذلك مرتين ويخذه أصحابه، فتحمل المشاق وأسعد، وصاح صايح الأمان من الإمام، وأعلن بدعوته، فسكن ما بالناس من الفزع، وصرفوا همهم إلى نزول الأتراك وإخراجهم من القصر.

وفي يوم السبت ثارت العامة على محمد بن يحيى^(١) مرة بعد مرة إلى بستان السلطان والرتب يدفعونهم، وآل الأمر إلى حبسه في دار الجنات، ثم لم يقنع^(٢) أهل صنعاء حتى أخرجوه إلى بيت السيد إسماعيل الأمير، وأوثقوه في الحديد، وحفظه السَّجانون وبعض من التَّوابع، وندم حيث لا ينفعه الندم، كيف وقد زلت القدم، وجدع أنفه بكفه، وبحث عن جيفته بظلفه، وخدع رعيته، وخان أمانته، وقتل خلق كثير بسبب فتنته، وأخاف نفسه وأهله، وعزل عن ولايته وخاب أمله، فنعوذ بالله من الشقاوة وسوء الخاتمة/ وكانت مدة خلافته أربع سنين وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً وأربع ساعات.

(ذكر خلافة سيدي علم الهدى الثالثة):

قام هذا الإمام داعياً ليلة السبت ثامن شهر رمضان سنة ١٢٦٥ لما وقعت فتنة العرب والعجم وثارت العامة وكاد الناس يأكل بعضهم بعضاً، أجمع رأي العقلاء من الناس، وأمير الجند علي النزول على هذا الإمام والتَّعويل عليه بتحمل الأعباء، وتسكين الروعة، وتأمين الناس بعد الأياس وفكر الحواس، وشدة الإبلاس، وقد كان اعزل في دار الذهب، وأضرب عن الخلافة صفحاً، وطوى عنها كشحاً، واشتغل بدينه ودنياه، وردَّ أمره إلى عالم سره ونجواه، فدخل في هذا الأمر وهو لا يشأ، وأراد كف الفتنة وتسكينها، وقد دافع كل من وصل إليه لذلك القيام لعلمه بأبناء الوقت حيث لا بقي لهم دين ولا مروءة ولا علموا أن قد وفَّى^(٣) على الخلافة في قيام أود الجند بما يملكه خالصاً له بعد أن كملت بيوت الأموال، ولا أثر في القبائل والتوابع حتى كافوه^(٤) بكسر مغلقة^(٥) بيته وهدمه وهتكه، وهتك حريمه،

(١) هو الإمام المتوكل السابق ذكره.

(٢) أي لم يقنع.

(٣) دَفَعَ من عنده.

(٤) جازوه.

(٥) قفل.

وهدم أطفاله، وأخذوا من بيوت الأموال ما لا يحصى، وما قصدهم إمام الحق إنما النهب والسلب، فأسعد بالقيام^(١) للفرجة^(٢) على المسلمين والإسلام، وصاح للناس بالأمان من ساعته.

وفي يوم ثاني يوم السبت بايعه الأعيان وخرج من دار الذهب إلى البستان^(٣) والدُّعاء له بالنصر والإعانة على كل لسان، وقدم على أمر مريج والناس يموجون موج البحار، والمتوكل حافظ نفسه في البستان، والناس في خوف عظيم وخطباً جسيم خائفين من المتوكل وفراره، وفي كل وقت تشن الغارات عليه إلى باب البستان، ولم يسكن الناس إلا بعد حفظه أولاً في بستان المتوكل، وبعد في بيت السيد إسماعيل الأمير، وقيده بالحديد وأما القبائل^(٤) خولان ونهم وأرحب وجميع الحوازات لما بلغهم الواقعة أقبلوا حتى أحاطوا بصنعاء من كل جهة، وكانوا ظانين أن أهل صنعاء محتاجين لإعانتهم على من في القصر من الترك وهم في غنية عنهم لأنهم لا يريدون إلا سرق البيوت والأموال والأبواب^(٥) مغلقة ولم يزالوا يدفعونهم بالرصاص من الدوائر وقد هموا يعبروا يدخلوا من فوق الدوائر، فلما رأوا ما صار بالترك من السحب في الشوارع وترديتهم من أعلا الدوائر للكلاب، فهاهم ذلك وعلموا أن لا قدرة لهم، ورجعوا على أعقابهم، ودخلوا عقابهم إلى رعاي الناس، وولوا الأدبار وقد وقع فيهم قتل من الذي رموهم من فوق الدوائر، ولا عقول لهم ولا علموا أن صنعاء محمية بالله ومحروسة منه بعين العناية.

وأما الترك الذين في القصر فإنهم تحصنوا وعمرؤا المتاريس، ووجهوا المدافع على صنعاء والدُّور الشامخة، ورموا صنعاء بالكبار والصغار والبنادق، وركنوا^(٦) بقوتهم يفعلوا بصنعاء وأهلها أعظم مما وقع، فخيب الله آمالهم وعلى صنعاء حجاب ودافع، وأركسهم بعد أن كانت الرماية كالرعود، وخاف الناس من ذلك من أول يوم، ويوم ثاني دون، فلما تيقنوا الجَمَى والدِّفاع من ربِّ الأرض والسماء، أمنوا وفتحوا الحوانيت، وأهل المِهْر^(٧) في مهرهم، وأهل المساجد في مساجدهم،

(١) خ بلقيام.

(٢) للتفريج.

(٣) خ البستا بدون نون.

(٤) تكرر في المخطوطة.

(٥) أي أبواب صنعاء.

(٦) وثقوا.

(٧) جمع مهرة وهي العمل أو الحرفة.

وكل إنسان فيما هو^(١) مدة ما المحصورين في القصر وألفوا ولم يبالوا كما قيل شعراً:

انكرت طارقة الحوادث مرة لما اعترفت بها صارت ديدنا

/ولكن هذا وقد خلصوا النيات وتضرعوا إلى باري البريات في جميع الحالات ودرسوا^(٢) كتاب ربهم في البُكر والعشيات، ومدّوا أكفهم بالدعاء في جميع الأوقات فاستجاب دعائهم، وله الحمد ولم يؤاخذهم بذنوبهم، ويسلط عليهم عدوهم، وكفاهم بأس المدافع، ولطف بأهل صنعاء ألطاف ظاهرة، وقذف في قلوب الأتراك الرعب وكفاهم الشرف له الحمد.

واستمر تغليق أبواب صنعاء إحدى عشر يوماً ولم يعهد قبل هذا إن قد أغلقت هذا القدر، ومع هذا والأسعار مبسوطة والطعام موجود، وجميع المصروفات موجودة، ولا علمنا بشيء من الأشياء مفقودة، وبعض الأيام تقع هدنة وصلاح ويسكن الحرب، ثم يعودون إلى ما كانوا عليه، وسبب ذلك عدم صلاح النية في الوسطة، وكل منهم يقصد هوى نفسه ولو كانت الأعمال من الوسائط خالصة لصلحت الأمور، وخرج الأتراك بسرعة عقيب الواقعة. وبعد تغليق صنعاء ماذكر، وصل الفقيه الماجد محمد بن أحمد بن إسماعيل العفاري، وكان عاملاً في ذمار، وقلده المهدي الوزارة بعد وصوله، وسعى في الصلح والصلاح بنية خالصة لله ورشاد وفلاح، فأول فتحت أبواب صنعاء ودخل من بقي في البر من القبائل ورهنوا من عقالهم في كل ما صدر منهم إلى بيوت صنعاء وألزموا أنفسهم النصر والإعانة على قتال الأتراك ومحاصرتهم، وترتبوا في الدور الشامخة حول القصر مع التوابع والرماة من أهل صنعاء، وقد كانوا هموا بفلس^(٣) دائر^(٤) القصر وعجزوا عن ذلك ووقع من القبائل التعدي إلى نهب فراش المساجد المجاورة للقصر وتلصصوا لأخذ الطاقات والأبواب حق بعض الدور من غير شعور من أهلها، ووقع من الأتراك في بعض الأيام الرمي بالمدافع من بعد إنبساط الشمس إلى وقت العصر، وخيار أهل المدينة في المساجد فأحربوهم بكتاب الله والدعاء عليهم بالخذلان، فاستجاب الله دعاهم وكفى الناس شرهم، وبلغت رصاص المدافع في ذلك اليوم إلى بئر العزب وإلى شعوب، ولم تصب أحد، وفي آخر نهار ذلك اليوم صاح الصايح بأن الترك قد خرجوا من باب

(١) هو.

(٢) أي تدارسوه بالقراءة.

(٣) خرق وهدم.

(٤) السور المحيط به.

ستران يعتلفون وينهبون، فغار أهل صنعاء كالجراد^(١) المنتشر وخرج الناس بأسلحتهم من كل مكان يريدون الخروج إلى الصحرى لمقابلة الترك، فسمع من في القصر صيحة مثل صيحة أول يوم، فحارت عقولهم وأيقنوا بالغارة عليهم إلى القصر، ووقع رعب العرب في قلوبهم، وخرج القبائل من أرحب وخولان بأسلحتهم فنظروا إلى أهل صنعاء وقد خرجوا كأنهم الرمل، فخافوا على أنفسهم من استئصالهم، وأخذ أسلحتهم فتسللوا راجعين^(٢) : إلى مراتبهم، وقد هم جماعة من أهل صنعاء بنهب القبائل فليئوا القول حتى خلصوا^(٣) فوصل أهل صنعاء إلى باب اليمن ولم يجدوا أحداً ولما علم القبائل في صنعاء أن لا قدرة لهم في صنعاء على شيء طلبوا الفسح وكتبوا عقالهم لأهل صنعاء أن لا قدرة لهم على شيء، وأخرجوهم من صنعاء، واجتمعوا أهل صنعاء يستعرضوا خروج القبائل لأجل ينظروا ما سيحملون مما/سرقوا من الأبواب والطاقت فلم يمكنهم يشدوا^(٤) شيء مما سرقوه هذا خبر البغاة.

وأما الأتراك: فكتبوا إلى الوزير محمد بن أحمد العفاري يريدوا موافقته، فأجاب عليهم أنهم ينزلوا منهم من يفهم الأمور، فأرسل الباشا بطريقه^(٥) الأكبر بيرم آغا وثلاثة أنفار معه، فعقدوا الصلح على أن أهل صنعاء يجلبون إليهم ما يقتاتون به هم ودوابهم، ويخرجوا من القصر، ووقع الصايح بذلك، وجلبوا إليهم يوماً واحداً، وبعد الجلب إليهم قلبوا ونقضوا الصلح وطمعوا أنهم سيتملكون، ووصلت لهم كتب من تهامة أن الشريف محمد عون سيمدّهم بغارة وهي خيالات فاسدة، وصاروا يطلبون ما انتهبه الناس عليهم، وما قصدهم إلا المماطلة في المياعيد^(٦) وأطمعهم بعض أعداء الدين أنه سيخادع لهم الناس بالمال فصدقوا قوله الكاذب وأنشد لسان حالهم :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دوننا فظن بأن لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعدرا

ولما علم العرب أن العجم قد خدعوه بجلب محتاجاتهم إليهم فأجمع رأيهم على

(١) خ كل الجراد.

(٢) خ رجعين.

(٣) سلموا. ونجوا.

(٤) يتحملون.

(٥) هو لقب رئيس في الديانة المسيحية وقد شبه المؤلف مندوب الأتراك بهذا الطريق سخريه منه وإلا فهم مسلمون موحدون.

(٦) المواعيد جمع موعد.

تشديد الحصار على من في القصر، والإحاطة بهم ورميهم من الصوامع والاحتراز من القبائل أرحب ونهم، الذين يجلبون إليهم جميع المحتاجات الليل، فلم يشعر من في القصر صبح اليوم الثاني إلا بالرمي حتى قتل خلق كثير منهم في القصر، وحفظوا الطرق لأجل منع الجلب إليهم، ووقعوا بناس من القبائل ومن صنعاء يجلبون إليهم فنهبوهم وحبسوهم، ورجع الترك على ما كانوا من الحرب إلى صنعاء بالبنادق والمدافع، والله سبحانه يدافع ولم تؤثر شيئاً فطلبوا الأمان والذمة وكفّ الرماية إلى القصر، وطلبوا من العلماء لتمام الصلح وتوسط المتوسط، ولم يتم شيء، وقد أصابهم الخوف والرعب والقل والذل والشدة والجوع والمرض، وأتاهم بأس الله حتى هلك منهم خلق كثير من جيفة القتلى والميتات، وهلكت إبلهم وخيلهم، ولما اشتد بهم الحال ولم تؤثر مدافعهم ولا رصاصهم في صنعاء وأهلها شيء: كتب الباشا إلى الإمام سيدي المولى المهدي فصوّب الإمام ذلك وأمر الوزير بما هنالك، فنزل بيرم باشا وأربعة آخرون، وعقدوا الصلح، ورهنوا وطلبوا الطعام والعلف، وأباحوا رهائنهم للقتل إن لم يخرجوا، وطلبوا ثلاث مئة وخمسين جمل لأثقالهم وإخراجهم إلى مأمّنهم، فأجابهم الوزير وعقال صنعاء، وعقال الجند والإمام إلى ذلك، ولما جلبوا لهم الطعام والعلف رجعوا للمماطلة والمياعيد بخروجهم، فأطلق الوزير رهاينهم وردّهم إليهم، وأمر الإمام والوزير بحصارهم من خارج وداخل حتى ضربت خيام عليهم في مسجد نقم فلما تيقنوا أنه لا مفر لهم من الخروج كتب الباشا إلى الوزير وأرسل الرهاين / وطلب الجمال وبذل أكرياتهم وأهبّ لهم الوزير ما يحتاجون للطريق، وما تم الخروج إلا يوم عيد الإفطار يوم الإثنين، ولم يصدق الناس بخروجهم لكثرة مماتلتهم وردّهم للجمال مرة بعد مرة والله غالب على أمره، واعتذروا عند خروجهم بمن في البر من القبائل، وخرج الفرسان أصحاب المهدي لضبط من في السير من القبائل، وأوثقوهم في الحديد، وهم نفر يسير، ولكن الطمع تحت كل ظفر^(١) وتارة يعتذرون أن الباشا أصابته رصاصة فلم يقدر على الركوب، ولا بأس أنه أصيب لكن ما تمنّع وقعت في يده وأوكرت^(٢) في فخذه، وما ذلك منهم إلا كانوا مناظرين لغارة من تهامة وزاد وزناد وخشية من العار عند أهل تلك الأمصار، واشترط الباشا رهن عشرة من التوابع يكونوا بين محملهم فحتى يصالوا مأمّنهم خوفاً من استئصالهم، فأسعد الإمام إلى ذلك لكف أذاهم وشغلت الناس بهم وخرجوا من القصر وقت العصر، والحمد لله رب العالمين .

(١) من أقوال العامة .

(٢) استقرت .

ولله در القائل:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
ضاقَت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج
وعند خروجهم من القصر ضجَّ الناس بالتحميد والتقديس والمنة لله الذي أخرجهم
صاغرين بعد دخولهم متكبرين .

ولقد شاهدت باشتهم عند دخولهم بما ذكرت لك ممّا عليه الملبوس والخدم بين يديه
والمجانِب تجر قدامه والمظلة الهمايلة^(١) تغزل على رأسه والعمامة ولباسه الفاخرة، ونظرته
عند خروجه هو وحفدته وعليهم الدّلة والقلّة وقد أخذ الخوف بمجامع قلوبهم وبده معلقة
إلى عنقه من الرصاصة وقد وضع على رأسه قلنسوة خلقه ما تساوي درهم ولبس أداة^(٢) رثات
ثيابه، وخرج خائفاً يترقب، وصار يرمق أهل صنعاء شِزراً وهم فوق السور سور على سور،
لأن قد أمر الإمام بتغليق أبواب المدينة لأجل لا أحد يخرج منهم، خشية من الرعاع وثورة
العامة لأنهم خرجوا في أمان الله وأمان الإمام، وقد أدى لهم^(٣) وجهة وذمته وذمة العلماء
والأعيان، فما يزد يمكن العيب والطغيان، والمؤمنون عند شروطهم، وخرج معهم الوزير
ومعه مثنان من التوابع وعشرون من الفرسان، وقد كتب الإمام إلى همدان والبستان والحيمة
أنهم يجتمعون إلى حضور لتأمين الترك حتى يبلغوا حدود البلاد، وذمة المسلمين واحدة وقد
أمنهم الإمام وهونائب عن المسلمين أجمعين ولما وصل كتاب الإمام إلى أهل الحواز عقدوا
الرأي أنهم يحاصروا الترك حتى يسلموا لهم مالا في أمان رؤوسهم فإن يسلموا سلموا وإلا
هجموا عليهم وأخذوا أثقالهم، وبات الباشا والوزير ومن معه في قرية المساجد ليلتهم،
وتجهزوا اليوم الثاني للرحيل حتى وصل أولهم قريباً من قرية مَند ونظروا/ الأسد من رجال
وقد اجتمع همدان والبستان والحيمة ونزل من عقالهم ثلاثة رجال طالبين المال في تأمين
الترك فراجعهم الوزير ومن معه فلم يرفعوا^(٤) حتى ثارت الحرب، ورجع الأتراك وحمولتهم
ووضعوا محاطهم في أكمة وأحاطوا بها ودفعوا عن أنفسهم بالمدافع والبنادق، وكتبوا إلى
الإمام يستنجدونه بالغارة، فوصل الكتاب إلى الإمام وقت العشا ليلة ثالث شوال، وقد كان
هم بالغارة تلك الساعة وآل الأمر إلى التوقف إلى الصّبح، وفي تلك الليلة أمر المهدي بطلوع
محمد بن يحيى إلى الحبس لأجل يأمن عليه من القتل، وكان طلوعه على حين غفلة .

(١) لم أقف على معناها ولعله تحريف همايون وهو لقب للخلافة العثمانية وسيأتي شرحه .

(٢) ملايس .

(٣) أعطاهم .

(٤) ينتهوا .

وفي يوم الأربعاء: خرج الإمام بمن معه من التوابع ومن دخل من قبائل سنحان وبني الحارث للنشور ولم يشعر من في المساجد إلا وقد أشرفت عليهم الرايات الأمامية، والخييل، وهم في مقاساة شديدة ولما تابعت الجيوش أشرف عليهم الإمام وعليه المظلة وحوله الأمراء والكتاب فتيقن الترك والوزير السلامة وغار الفرسان من الترك على قرية المساجد السفلى ودخلوها عنوة، وغار التوابع على الحصن الأعلى ودخلوه عنوة، وقد كان رماة طباشية الترك بالمدافع وما أراد الأتراك بذلك إلا إظهار فعلهم، وقد أخبرني من شاهدتهم بعد خروجهم من صنعاء قاتلوا قتال من لا يرجى السلامة، وذهب ما بهم من الخوف والخوف والذل، وما ذاك إلا عبرة لمن اعتبر فإنهم كانوا في قصر صنعاء في وجل عظيم وذل مستديم، وهم في منعة لا يماثلها في اليمن مماثل ولا يدخلها عنوة داخل. ولقد أخبرني من أثق به ممن سمع من كثير منهم أنهم كانوا لا ينامون ليلاً ولا نهاراً، ولا يقدرّون على أكل شيء، ولو كان موجوداً حتى هزلوا ومرضوا وماتوا حتف أنفهم، وأنهم كانوا يشاهدون الموت الأحمر وإذا رماهم رام من صنعاء إصابته وتقتل ولو بفعل يسير، حتى كانت تقتلهم في المنازل، وأصابهم الجوع، وقد الطعام عندهم، وشرار الخلق كانوا يجلبون إليهم من وراء الدوائر، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وكتب عليهم الجلاء، ولطف بأهل صنعاء من حيث لا يشعرون، واستجاب دعاهم ولبي نداءهم حتى خرج العجم على أم رؤوسهم.

ولما نظر الإمام إلى القبائل من همدان والبستان وأهل الحيمة وقد تحزّبوا للقتال، توجه بجيشه نحوهم، وهم في قاع سهمان^(١) فسبق القاضي يحيى بن علي الردي بإذن^(٢) الإمام يريد الصلح والرفق بقبيلته وعشيرته، فوصل إلى عندهم وأمرهم يعشرون ببنادقهم طاعة للإمام ويعقرون من بقرهم حتى يكف عنهم، ففعل من لا ذنب له من الرعية والآخرين انشؤوا الفتنة هم وبعض من أصحاب الإمام، فلم يشعروا إلا بالحرب والقتال، فعجب الإمام ومن أطاع من أهل البلاد من ذلك وظنوا الخديعة/ فانحاز أهل بلاد البستان إلى قومهم، وثبتوا على أصحاب الإمام حتى انهزم الأولون من أصحاب الإمام، ولما شاهدوا الإمام هزيمة قومه تعمم بردائه وغار كأنه الأسد الزائر، والليث الهادر، حتى خالط أهل بلاد البستان، وقتل فيهم قتلاً ظاهراً، وتراجع القوم، وانهزم قبائل همدان إلى بلادهم، وكان موضعهم حال الغارة مما يلي بلادهم، فسلموا من القتل، وكانت الدائرة على أهل الحيمة، وبلاد البستان، وقتل خمسة عشر قتيلاً، وأسروا منهم نفراً كبيراً وتفرقوا يميناً وشمالاً ونفروا خفافاً وثقالاً ووضع الإمام خيامه ومطرحه في طرف قاع (سهمان بالقرب)^(٣) من حصن مند،

(١) انظره في معجم المدن (في ملحق الكتاب).

(٢) كذا ولعله بان.

(٣) خ بالقرب.

وأرسل بأربعة رؤوس من القبائل إلى الباشا توفيق، فعلم وتيقن أن الإمام وفي له في مقاله وصادق في أقواله وأفعاله، فمن حين رأوا الأتراك الفعل ذاك أمنوا على أنفسهم، وظنوا سلامة رؤوسهم .

وفي اليوم الثاني وصل مشائخ البستان إلى عند الإمام، وصلاح شأنهم على شيء من المال يسلمونه أدباً عما أخطأوا وأمر الإمام الباشا بالعزم، وتوجه بمن معه إلى (مِتنه) وبات فيها بعد فك المحنة والجيش في حصن (القَذْف) وقد كان وهب الباشا للإمام ست خيام واسترجعها عند خروجه فردّها له وهو أكرم من في الوجود وبعد ذلك وصل الشريف هزاع أبو طالب بكتاب من الشريف عون إلى الباشا توفيق، ومضمون الكتاب يحرضه البقاء في القصر، وأنه سيمدّه بالمال والرجال والزناد والعدد والمدد، فندم توفيق باشا حيث لا ينفعه الندم، وذكر له إن إذا هلك في القصر بمن معه، فإنه أهون عليه من العار عند جميع أهل الأقطار، وكيف يبلغ خبره عند السلطان أنه خرج من قصر غمدان الذي هو بغيتهم طول الأزمان، فجذّ له الأحزان وتشعبت الأشجان، وحزن لحزنه كل إنسان من أعوان الشيطان، وما علموا السفهاء أن ذلك فعل الرحمان جل جلاله سبحانه اما يستجيب دعاء الأرامل والولدان بما سمع تلاوة القرآن من أهل الإيمان اما تضرع إليه كل إنسان فمدّ كفّه نحوه وتحرك شفّتيه واللسان فما ذاك إلا لجهلهم وبغيهم والطغيان، فأسرّ السخيف الندامة في نفسه، ونسي ما كان في القصر، وقيل أنه كتب بالخروج بشرط إستخلاص ما ذهب عليهم من الخيل وغيرها يوم الواقعة، والرأي الذي زعموا أنه من عند السلطان وأمروا بقراءته في المنبر في جامع صنعاء.

وإذا ذكرنا فرمان فلندكر لفظه حتى تتم الفائدة:
أوله تحت العلامة بلفظها:

عبد المجيد بن محمود خان^(١) هذا فرماننا العالي السلطاني وخطابنا السامي الخاقاني، المنفذ حكمه بتأييد القوي الصمداني^(٢) في الأقطار إلى القاصي والداني، صادر إلى افتخار الأعالي والأعظم، مستجمع جميع المعالي والمفاخر، المختص بمزيد عناية^(٣) الملك الدائم المنسوب من طرف دولتنا العليا حاكماً على صنعاء الشريف المتوكل محمد بن يحيى دام علوه عند وصول هذا التوقيع الرفيع السلطاني يحفظ^(٤) علماً إلى حسن سياسة

(١) حكمه من سنة ١٨٣٩ ميلادية إلى سنة ١٨٦١ (أنظر الحكم العثماني الثاني ص ٤٩٣).

(٢) خ السطاني .

(٣) خ عنايت .

(٤) كذا في المخطوطة ولعله «يحيط» .

إقليم صنعاء هو من جملة ممالكنا الموروثة ، وإراحة أهلية وقبائل العرب الذين فيه ، ووقايتهم مستظللين في ظل عدل سلطاننا برفاهيته مشمولين بالحماية والصيانة^(١) والأمنية^(٢) أجل مركوب عند مكارم إرادتنا الملوكانية^(٣) وأعظم مطلوب له مراحيم^(٤) أسرتنا السلطانية ، ولكونك أيها الحاكم المؤمى إليه من أرباب الدّراية والمعرفة ، ولك القول على أحوال تلك الجهات بأكمل صفة وفي كل حال تؤمّل فيك حسن الخدمة واتصافك باللّطافة / في كل أمر ومهمة فقد صدر من ديواننا الخاقاني ، وموجب أمرنا السلطاني ، هذا الفرمان الجليل القدر والشّان ، وبعثنا به إليه معلماً بنصبك حاكماً على الإقليم المذكور ، وموضحاً أموريّتك^(٥) على وجه المسطور ، فيجب عليك حين وقوفك على أمرنا أن تجري على مأموريّتك وما فيها بمقتضى الدّراية التي فطرت عليها ، وتظهر مزيد اعتنا بحسن إدارة^(٦) الأمور في الإقليم المذكور برفاهة أحوال الساكنين والمستوطنين به مع رفاهاة عشائر عربانه وقبائل عربيه ، معتمداً ما يفيدك هو ، ويبلغك إياك أمير مكة المكرمة حالاً جناب الأمير الأمجد الأجل الأوحد المقتني آثار أسلافه الأشراف من آبائه الغرّ الصناديد آل مناف وأجداد الحميدي السّير الجميلي الأوصاف فرع الشجرة الزكية النبوية طراز العصابة العلوية المصطفوية المنتمي إلى أشرف جرثومة على عنصرها المنتسب إلى أنفـس أرومة أعلى جوهرها زبدة سلالة الزهراء البتول عمدة آل الرسول المحفوف بصنوف عواطف الكون الشريف محمد بن عون دام سره ، ويسعى ويصرف كمال الطّاعة المندوبة لتحصيل الرّسائل المرغوبة المؤمّية في حقك زيادة توجهات أنظار مكارم سلطنتنا السّنية ، مشتملاً من الجميع الدّعوات الخيرية لدولتنا العلّية وكن دائماً ممثلاً أو أمرنا المنيفة واعتمد العلامة الشريفة .

حرر في اليوم السابع عشر شهر رجب الفرد سنة ١٢٦٤

انتهى بلفظه : وكان وصوله صنعاء المحمية وقرائته على الناس في جامع المحروسة يوم لعله ٢١ خلت من شهر شعبان سنة ١٢٦٥ وقدم ذلك توطئة وتمهيد عن توال وتشاور ، وما أظن هذه الألفاظ من الحضرة السلطانية إنما هيه من النزعات الشيطانية والله في كل بلوى تصريف .

وفي اليوم الثاني رجع توفيق باشا لقيه وهي الخيام الست الذي وهبهن للإمام

(١) كذا في المخطوطة وأظنها « الصيانة » .

(٢) كذا وفعله « الأمن » .

(٣) كذا ولعله « الملكية » .

(٤) خ أمراً حيم .

(٥) كذا في المخطوطة ولعل المكتوب في الفرمان مأموريّتك فلم يستطع نطقها رحمه الله .

(٦) خ إرادة وأصلحناها من عندنا .

بالأمس^(١) وردّه من الإمام له وهو علي المشهور بالكرم . فلا يفوقه في قرية بشر .
وأما الفرمان فقد طلب ردّه قبل خروجه من القصر وكذلك النشانات^(٢) وهبها للمتوكل
وولده تقلدونها وذلك من علامات رؤساء دولة الأروام^(٣) .

وتوجه الترك نحو تهامة وصحبهم مشايخ الحيمة والوزير أحمد محسن الأنسي إلى
صيحان واكتفل^(٤) بتأمينهم المكرمي وأهل حراز، وصحبوهم إلى تهامة وذلك مأمّنهم ومظنة
سلامتهم من العرب .

ولم يزل النهب والاختلاس والتلصص من العرب لأموالهم وأمتعتهم وخيلهم، حتى
دخلوا تهامة . ودخل الشريف محمد عون مكة المشرفة وبقي توفيق في الحديدية يعالج
جراحته .

ولقد أخبرني كثير من المتعلقين بعلم الأسماء: أن الجن سكّنة جبال صنعاء في تلك
المدة لمناصرة العرب بالإرجافات، حتى خافوا الترك وعدموا النوم من شدة ما شاهدوا،
ولعلمهم رأوا أموراً ما نعلم بها لما بقوا فيه من الحيرة والإبلاس، فلما خرجوا من صنعاء وإذا
آراءهم^(٥) وقتالهم كسائر الناس فصَحَّ أنه حصل لهم مالاً عين رأته العرب ولا أذن سمعته
فلما رحلوا عن أوطاننا وإذا الجميع إخواننا، فما ذاك إلا بركات كتاب الله في الشهر الكريم
قل أن الموتى الذين ماتوا في القصر من المرض الذي وقع في فراشهم^(٦) والقتلى الذين في
المدينة والقصر ست مئة من عند خروجهم من الحديدية إلى أن رجعوا إليها لأن الوباء الذي
أصابهم في القصر كان يموت الميت ويدخلوهم إلى أماكن فيبيتوا فيها ويجيفوا^(٧) .
وكذلك المواشي فلم يستطيعوا يخرجوا إلى الصحراء شيء .

وأما خبر الإمام: فإنه لما رجع من (حَضُور) مؤيداً منصوراً والمشائخ بين يديه في
الحديد، ودخل صنعاء سابع شوال، أودع المشائخ الحبس حتى يسلموا ما عيّن عليهم .
وفي يوم ثاني وصوله نقل إليه أن عمه حسين بن المتوكل أراد الخداع والمكر للإمام،

(١) خ بل أمن .

(٢) جمع نشان وهو النيشان من اللفظة الفارسية بمعنى وسام أو علامة

(٣) هم الأتراك والعرب يسمون الأتراك الأروام، نسبة إلى بلاد الروم التي استولوا عليها .

(٤) تكفل .

(٥) كذا ولعل هناك سقط في التعبير من عند المؤلف لأن هذه المخطوطة بقلم مؤلفها .

(٦) حيواناتهم سبق شرحه .

(٧) تتن جيفهم .

ولقيوا عليه كتب إلى القبائل من ذو غيلان ويوعدهم إلى (رَحْمَة) ويشني^(١) الدَّعوة لنفسه كما بدا بها في أيام محمد بن يحيى، وطلبه الإمام وعرفه يدخل إلى السَّجن يقل لمحمد يحيى يسلم ثلاثين ألف قرش في إصلاح ما تَسَبَّب به المتوكل من تخريب القصر، وتحريق أبوابه ففرح بذلك مقصده يسخر بمحمد بن يحيى لَمَّا صادرة بأنواع العذاب، فلما وصل إلى الحبس، سيدخل على ما عزم له زكنوا^(٢) به في حبس الإمام المهدي لأنه تبعه عاقل الركاب وأمر السجانون بما أمره به الإمام، فأحاطوا به واحتوشوه^(٣) وأخذوا سلاحه وألبسوه الأجهم^(٤) - يعني القيد - ورجع إلى ما كان فيه، وما خرج من الحبسة الأولى^(٥) إلا في الوقفة حق الترك، وما بقي فالت^(٦) إلا شهر وعاد مكانه، وكل ذلك سوء المعاملة وخبث النية، وكل من الخليفين الذين حبسوه أحسنوا إليه غاية الإحسان من النِّفقات الفاضلات والخيل المسومات والدور الشامخات شعراً:

حَبَّ الرياسة أطغى الناس فافترقوا جِرْصاً عليها وهم منها على حذر
وبعد ذلك أصلح المولى ما هدم الأتراك وتعويض^(٧) النجارات^(٨) وأمر جميع أهل المهن .

وفي شوال تحرك السيد أحمد بن هاشم الويسي ومن تبعه من الفقهاء والسادات، وبقي من بقي وبَثَّ الرسائل إلى جميع الجهات والقبائل، وأوهمهم بإيهامات أنه داع لموكله، وأنه سيظهر صاحب السِّيف والقلم، ويملأ البلاد عدلاً كما ملئت جوراً. وعند أكثر الناس في حساب الملاحم أن المهدي المنتظر يظهر في هذا العام الذي تاريخه (غرسة)^(٩) سنة ١٢٦٥ فاجابوا داعية، وسمعوا مناديه، ولم يزل كذلك حتى وصل (حوث) وأطاعه أهل حاشد باليون وكذلك سائر قبائل بكيل، وهم لا ينظرون محقاً إلا بما يعطون من الأموال^(١٠) وقد أصابهم المسلمون بالدعاء حتى حامت عليهم طيور الخذلان .

وفي شهر ذي القعدة رحل من حاشد وتوجه نحو (عمران) وقد استقبله الشيخ مقبل

(١) يعيدها مرة ثانية .

(٢) عهد به إليه .

(٣) حاصروه .

(٤) كذا وصوابه الأدهم كما مر للمؤلف فيما سبق .

(٥) الأولى

(٦) مطلق سراحه .

(٧) إبدالها .

(٨) النجارة (الخشب) .

(٩) أي ما يقابلها بأرقام أبجد .

(١٠) في المخطوطة تكرر لفظ « إلا بما يعطون من الأموال » .

الصُّعْر وهو مطاع في قومه، حتى دخل عمران ومكنه^(١) الزكاة المحفوظة عنده لبيت المال، وفرق لمن صحبه من القبائل ووعدهم إلى بعد عيد الأضحى وبقي عنده قليل فقهاء .

(ونرجع إلى تمام الأول) عزل الأمير سعد يسر، وفعل فتح محمد، ووقع بالوزيرين حق المتوكل أبو زيد ومحافظ، فأما أبو زيد فأخذ وجميع ما يملك من الظلم إلى بيت المال، وحبس في مدينة ذمار، وأما عبد الرحمن محافظ فصولر على جُعِلَ وسلم وأطلق

وفي شوال خرجت الضربة، وكان صرفها أربعة وعشرين مئة حرف^(٢) وصاح الصَّايح أن الأوله^(٣) حق المتوكل تكون ثلاثين مئة حرف فارتبشت الأمور، وعدمت المصروفات، ورجع صايح آخر أنهم على سواء وصلحت الأمور .

وفي شهر ذي الحجة وقع الإمام بسيدي الضياء غالب بن محمد، وعمه عبدالله ابن يحيى، وجميع أهل المتوكل، وولده وعمه في دار واحدة، وأخذوا من بيوتهم شيء كثير إلى بيت المال وكذلك وقع بالفتى^(٤) فيروز / وكذلك وقع بالفتى فيروز جمنه، وضرب بالسياط وعَزَّر، وحبس جماعة من أصحاب المتوكل، وسبب ذلك كما قيل تواطئوا^(٥) على التَّسبب لقتل الإمام سيدي علي وإخراج المتوكل من السَّجْن والله أعلم .

ودخل عيد الأضحى ودخلوا^(٦) في العيد وشري الأضاحي، وسَلَّم الإمام ثمن الأضاحي، ولم يمطل أحداً مثل من سبق وكل أحد قبض ما عنده من الحقوق، ولم يصل إلى بيت المال شيء بسبب فتنة السيد أحمد بن هاشم، وتغلَّبت البغاة على أكثر البلدان مثل اليمن^(٧) وآنس وحراز .

وفي يوم عيد الأضحى آخر سنة ١٢٦٥ قلب الإمام الدَّعوة من تلقب المهدي، وتلقب بالهادي وشاع ذكر ذلك في منابر الحاضر والبادي .

وبعد أيام الأضحى نفذت الطلبات^(٨) لقبائل خولان ونهم وأرحب إلى الحضرة، وأمرهم بالتَّجهيز للجهاد، وتتابع القبائل، وأمر بإبتداء النهوض إلى عمران بسبب منعهم

(١) سلَّمه . أو صرفه إليه .

(٢) عملة نقدية صغيرة وفي قانون صنعاء ١٩ صرف القرش الفراضي حرفان وهي تختلف حسب الزمان .

(٣) الأولى .

(٤) خ بلغتا .

(٥) تأمروا .

(٦) أي دخل الناس .

(٧) هو اليمن الأسفل الجهة الجنوبية بين تعز وصنعاء .

(٨) الطلبات . بالإستدعاء .

عن تسليم الواجبات واستدعائهم السيد أحمد بن هاشم ومن صحبه من الفقهاء، وضربت مدافع الرحيل في يوم سابع وعشرين شهر ذي الحجة سنة ١٢٦٥ وبات أول ليلة في كولة العرج والثانية في جَرْبان ولقيه مشايخ عيال سريح طائعين في أنفسهم بالمكافآت لأهل عمران لما أسلفوه مع خروج المتوكل إلى عيال سريح .

ودخلت سنة ١٢٦٦ :

كثيرة الخصب والخير والإمام في سفره .

وفي يوم السبت ثاني شهر محرم أحاطت الأجناد بمدينة عمران، وخرج جند الدّاعي من المدينة وأشهروا السّلاح والزينة، وقصدوا مطرح الإمام وتلقاهم شرذمة من أصحاب الهادي وتلقّوهم بالرّصاص وهزموهم حتى أدخلوهم المدينة، وسقط منهم ومن عمران نحو عشرة قتلى من أصحاب الإمام ستة من أخلاط النّاس، وغار الإمام إلى وسط المعركة بهمة سامية .

وفي يوم الربوع نقل الإمام بجنوده إلى مطرح آخر بالقرب^(١) من قرية (دغوان) ففطن البغاة أن الإمام قد قصد الرجوع صنعاء ولاحظهم الطمع، وخرجوا من المدينة أكثر من المرة الأولى، ولحقوا بآخر القوم، فعطف عليهم بجنوده وانضمت كل قبيلة إلى أختها وغاروا كأنهم إلبوث العابسة والنسور المفترسة، فانهزم جند الدّاعي وتبعهم الإمام وجنوده حتى أدخلوهم مدينة عمران، وقتل خلق كثير، وغنم القوم أسلحتهم ونعق غراب البين في وجوههم، وندموا حيث صدّقوا قول الفقهاء^(٢). أفلا يسمعون بمن قد سلف من الذين يتوصلوا إلى الدنيا بالدين ويزعمون أنهم المحقون اللهم غفرأ .

وفي ليلة الأحد وصل الهادي نصف الليل إلى صنعاء المحمية، وتبعه خمسة أنفار راكبين على خيلهم، وفزع من علم بوصوله وظنوا هزيمته أو أخذ محطته، فلما أصبحوا سألو^(٣) قيل أنه رأى في رجوعه صلاحاً، وعزم القصر، وبات الجند والوزير والأثقال في (جَرْبان) وسبب ذلك أن القبائل قيل اضمروا الخدع والمكر، وتسلبوا راجعين أرسالاً ومن بقي أظهر عدم الجهاد وقيل نفذ المال على الإمام لأنه من بقيت ما عاد^(٤) وأما داخلاً فلا شيء، وأكثر القبائل المطالب، وقد كان انحصروا من في عمران في المدينة / وما صدقوا برجوع الإمام صنعاء . ولما وصلت الأثقال والوزير جاءت الأخبار أن قبائل حاشد وأهل

(١) خ بلقرب .

(٢) يعني أتباع الداعي أحمد بن هاشم وكان من العلماء وسيأتي خبر توليه .

(٣) خ. سلو .

(٤) كذا

عمران اشتجروا هم والسيد أحمد بن هاشم على ديات قتلاهم الذين قتلهم جند الإمام في القتلات المذكورة، وتفرق من عنده، وبقي الفقهاء يرأسلهم بالكتب والرسائل شرقاً وغرباً^(١) ووقع الظفر بفقيهين معهم كتب إلى عند ناس من صنعاء، فعزروا وطافوا بهم في شوارع صنعاء، وصلبوا في سوق الصيرفي فأسرّها شيعة الداعي، وفي نفوسهم من التوجع وخاف رسل الداعي، وكف قلمه، وحال بينه وبين صنعاء عيال سريح وهمدان، ودخل عقالهم إلى صنعاء وعاهداهم على حفظ بلادهم وحفظ الطرقات وحفظ عيال سريح المدفع الكبير عندهم في (الورك) حتى يرسله الإمام أو يعودوا إلى عمران، وبعد رجوعهم من عمران خاف الناس وحفظوا نفوسهم في بيوتهم وظنوا عدم السلامة فكفاهم ما يتوقعون .

وفي ليلة وعشرين خلت من محرم سنة ١٢٦٦ بدا للإمام الهادي ضرب عنق المتوكل محمد بن يحيى فطلب عاقل الركاب قاسم بن أحمد اليميني وأمره بالزام السياف بضرب عنق المتوكل في محبسه، وكتب فيه مكتوباً بهذا فراجعته مراراً فلم يقبل .

وفي صبيحة الأحد رابع وعشرين بعد صلاة الفجر دخل على المتوكل الخدم، وكان في مطبق من مطابق الحبس غير أماكن المحبوسين في السلايم، وهذه المطابق لأهل العطايم والجرائم الكبار، منهم من يبقى فيها دائماً، ومنهم من يبيت فيها الليل لأنها عميقة مقفلة محكمة البناء ما يتصور منها المفر، وأما الآن فقد تقلبت عادة الحبس إلى^(٣) قواعد أخرى، وما ذكر أول كان مشتهراً إلى آخر دولة^(٤) آل القاسم بل إلى عند وصول الأتراك صنعاء، فلما دخلا عليه الخدم وأخرجوه وأطلعوه على المكتوب القاضي بقتله فطلب الطهور، فتطهر وصلى الفجر وأسرع في صلاته، وقيل أنه قال للعاقل هل من سبيل للمراجعة فذكر له العاقل قد راجعت مراراً فلم يقبل الإمام غير القتل، فقال المتوكل: لو وقع ذلك القتل في ميدان البكيرية، فقالوا له: الأمر بالقتل ها هنا، فقال الشهادتين وتوجّه إلى القبلة، وأمر الخدّام، بربط عضدية بالعمامة^(٥) ففعلوا ولم يخاف القتل، ولا ظهر منه الفشل والجزع، وأمر السياف محمد البحري أن يضربه ضربة واحدة، فضربه أربع ضربات وما سقط إلا في الرابعة، وكان قلته في موضع خارج مكانه الذي كان محبوساً فيه، وانقطعت حياته ولقي ربه بعمله فلهمي على آل رسول الله ﷺ حين يضرب بعضهم رقاب بعض ولهفي على هذا الخليفة لولا ما تقدم من أمر الأتراك، ولعمري لولا ما تقدم من خبر الأتراك وهلاك

(١) أضاف المؤلف في أعلى الصفحة « فكن من استعجل زل ليتك قليل استنيت » .

(٢) أنتن .

(٣) خ لا .

(٤) خ دولت .

(٥) خ بعمامة .

الأنفس والأموال بسببه لرثيته بأبلغ مرثية في زماننا .

ولما علم الناس بضرب عنقه داخل الناس الفرع والجزع، وحزن عليه أعداؤه وأحبابه، وبكى عليه أهل الأقطار، مع علمهم بمصيبته لهم بالأترك وظلمه لبعضهم ولكنه^(١) سبق منه من المجد، وخصال الخير ما لا يحصر ذكره .

وهذا الإمام المتوكل أول قتيل ضرب عنقه في قصر غمدان، وأول خليفة ضرب عنقه صَبْرًا من أولاد الإمام القاسم عن نظر من الإمام الذي بعده علي بن المهدي، وبعد قتله نقل إلى (خزيمة)^(٢) ودفن هناك في مقبرة آل المنصور عدني (خزيمة) .

هذا وولده سيدي غالب وصنوه عبدالله باقيان في المحبس، لكنهما لم يشعرا بقتله إلا بعد دفنه لتفرقهم / في المنازل ونسأل^(٣) الله اللطف بحوله وطوله .

ومن هنا قد بنيت على الاختصار مما وجدت لأنها أمور طويلة من تغلب أهل الفساد على الدولة في كل بلاد وتربشت الأمور، وقطعت الطرق، ولم زد بقي للإمام شيء، إنما تارة يدور ما عاد في الخزائن، وتارة يخرج من ملكه دفعاً على عرضه من كل باغي من القبائل الخارجين والتوابع الداخلين لا رحم الله كل من بغى وتعدى، فما أظن ما نحن فيه خمسة وأربعين سنة إلا بسبب البغاة ثمانية وعشرين سنة في كل سنة إمام، وكل أحد يذهب ماعاد بقي من بيت المال، والآخرين خربوا الدور والقبائل تغلبوا على ما خلف السور، وآخرها عقال ومشايخ وطاغوت، وسبعة وعشرين سنة ترك وطاغوت أحمر وقانون على خلاف الشريعة ومنكرات ظاهرات، وكل حركات الرجل بفلوس للدولة إن قام سَلَم^(٤) وإن قعد سَلَم وإن رقد سَلَم وإن أكل سَلَم، وإن شرب سَلَم، وإن سافر سَلَم، وإن عمر بيت أو رفعه سَلَم، وإن دخل له شيء من ماله، وضابطه ما بقي من غير تسليم سوى النوم، وما أظن إلا أن قد بیسلم حق النور وهي الفرقة المسماة (بلوركين)^(٥) وأما (الكيري)^(٦) فعرفناه و (الميري)^(٧) سَلَمناه، وما كان إلا مثلاً قال كيري ميري وصلناه نستغفر الله من الذنوب والخطايا والأوزار آناء الليل وأطراف النهار .

(١) خ لاكنه .

(٢) مقبرة صنعاء من الجهة الجنوبية .

(٣) خ نسل .

(٤) دفع .

(٥) كلمة غير منقوطة وفي الفارسية بلورين: بلوري. أو كأنها من اللفظة وركى: ضريبة الأغنام .

(٦) ألفاظ تركية وفي الفارسية كيرو بمعنى حفظ .

(٧) الميري: ضريبة الأرض بالفارسية .

فبقي سيدي على المهدي في حيرة ما قد وقعت تَمَّ ما معه، وما في خزائن الخلافا^(١) بنحو نحوه يذكر وما أحد له شكر، فهذا بذاك، نعم نرجع إلى ذكره .

وفي شهر صفر فسد أهل حضور واستدعوا جماعة من أصحاب السيد أحمد بن هاشم، وكان قد أهم الإمام بتجهيز جماعة من التوابع فامتنعوا، ومنعوا الإمام من خروجه لصلاة الجمعة، ومنعوا الأمير في القصر، وقد في بطونهم ما ذكرت لك من اللكوك هم البغاة وآخره أبصرناهم^(٢) وقد هم مع الترك مثل الخدّامين والغلمان وبيزوا^(٣) لهم الأطفال، ويزقموا^(٤) لهم الحمير، ويمشوا خلفهم، وسموهم (زبطية)^(٥) بعد ما كان كل واحد لو قال^(٦) له الإمام يزقم^(٧) له الحمار أو الحصان لَهَمَّ بقتله فهذا بذاك .

هذا والإمام قد شرط على العسكر أن بيوت الأموال معطّلة ما تصبروا على ما حصل ؟ فأجابوا التوابع أنهم سيصبرون سنة لحتى يفتح الله ولا عذر له من القيام فلما قام وسكنت فتنة الترك رجعوا لشغلته^(٨) حتى أنه أهم بالخروج على (حضور) فتراخوا، وأفسدت البلاد ورجع^(٩) الإمام باع من خالص ملكه في جوامك^(١٠) وسلم لهم .

وفي خلال ذلك وصل النقيب محمد بن صالح الرويشان، يذكر للإمام تقطع الطرقات، وكثرة الفساد وألزمه الحجّة بالخروج، وسيطلب له خولان أصحابه وعهده على ذلك، وخرج يدخل أصحابه، ودخلوا وسلم لهم الإمام الزلاج حق المخرج، وخرجوا وتخلّفت التوابع الذين قبضوا جوامكهم مما باعه من خالص ملكه، ونكص الرويشان، ورجع، وأخذ حصان من حق الإمام، وما وسع أصحابه إلّا أن تبعوه، ورجعوا بلادهم، وأعلنوا أهل حضور بالفساد، واستدعوا أرحب ونهم فلما ثيقنوا نهم خلاف البلاد، نقضوا الصلح فيما بينهم وبين الحيمة من الضغائن القديمة، وغاروا من متنه إلى رأس الحيمة يريدوا إستئصال الحيمة، ونسوا الإمام وتركوه، ووقعت بينهم وبين أهل الحيمة نحو إثنا عشر

(١) الخلفاء :

(٢) أبصرناهم .

(٣) يربوا الأطفال . وفي اللغة بزت الصبي أرضعته والبزي الرضيع .

(٤) يمسكوا .

(٥) ضباط .

(٦) خ أوقفه .

(٧) يمسك .

(٨) إشغاله وأذيقه بالطلب .

(٩) عاد .

(١٠) مرتبات .

قتيلاً وأغار الإمام على أهل الحيمة وطرح في بيت المفضل، وصادر مصادرة شديدة من فساد جميع حضور، وقطعت الطريق إلى صنعاء والمطر استمر ليلاً ونهاراً، وقطعت المجلوبات إلى عند الإمام ولم بقي للجهد مجال .

وفي آخر جماد رجع الإمام صنعاء وتأخر الوزير والأثقال .

ويوم ثاني خرجوا أهل قرية (مِنْد) ومن عندهم من القبائل ونهبوا بعض حمولة^(١) الإمام الراجعة صنعاء .

وفي جماد مات توفيق باشا في الحديدة وكان مضمراً الشر/ فأخذه الله .

وفيها دخلوا ذو محمد أخذوا يريم وانتهبوها، وقتلوا من أهلها واحتازوا الباقين في القلعة .

وفيها جاءت سيول سيل شراع والخارد، وما قد عهد أحد مثلها في قادم الزمان حتى سحب واجتحف ما على وجه الأرض في طريقه من صخور وأشجار وبيوت ومواشي، ومن جميع السباع، حتى وجدوا حنشاً ميت بين ما اجتحفته السيول يمكنه أكل الطواهي^(٢) والسباع لكبره نسأل الله الحماية، قيل أن هذا السيل من البصرة واجتحف^(٣) البدو بمواشيهم، وكل ما مرّ عليه يسحبه .

وانتهى الفساد حق حضور إلى حدة لاتصالهم بصنعاء .

وفيها وقع الإمام بالوزير محمد العفاري، بسبب ذلك التربّش في جميع البلاد، ووقع^(٤) أيضاً بعامل صنعاء الشيخ صالح بن محسن خليل، وعقد الوزارة للشيخ أحسن بن علي راجح الكينعي .

وأما السيد أحمد بن هاشم الويسي، فكان في عمران وهذه الفتن والفساد في حضور سببها هو، وطلب أهل البستان وصوله إليهم، فجمع من رعايا عمران نحو خمسمائة نفس، ومن الفقهاء نحو مئة، وخرج في ٢١ جمادي آخر، وبات في شبام كوكبان، ويوم ثاني وطرح في متنه وبثّ الرسائل والكتب إلى كل أرض، فجاءت إليهم البغاة هدية لأجل يأكلوا حاصلات البلاد، كل أحد يمتنع على ما عنده، وسميت بين الدولتين وهم من إجابة دعاة الحق بمعزل، ولا يغتر بهم ذو عقل، ثم توجه من متنه إلى بيت ردم، واجتمع إليه بني مطر،

(١) غ حمولت .

(٢) الوحوش .

(٣) جحف .

(٤) أوقع .

وحضور، ورجعوا أهل عمران إلى بلادهم، وما قصدهم إلا إخراجهم من عندهم لما نالهم، ولأجل يأكلوا حاصلات بلادهم، وقد همَّ الإمام وأرسل بالكتب إلى شيعته بصنعاء ويحرضهم بالخروج إليه^(١) والمرسلات إلى عنده في صنعاء علقهن في أبواب المساجد، فما أصبحوا الناس إلا وشاهدوهن .

ووصل القاضي أحمد بن حسين البرطي، وكان عاملاً لسَيدي الجمالي في دمار وأنس، ونكث البيعة، ووصل إلى حَذَّة وقطع طريق صنعاء وبقي على ذلك مدة، وطلع إلى حضور إلى عند الداعي، ولم يتوافق الكلام علي ما كان يظنه وإذا ماله صنعة عند الداعي، ورجع حَذَّة وقد أسرَّ الندامة على نكثه البيعة والنهب والقتل والبغي على بيت القاسم الذين فعلوا لهم القطع وأركبهم الخيل وعمّلوهم البلاد .

فلما علم الهادي خبث نية البرطي أرسل إلى عامل قعطبة وعَمَّار، وعامل حبيش، يأخذوا عليه القطع، ففرحوا بذلك، ووقع فندم حيث لا ينفع الندم، كيف وقد زل القدم، وما ذاك إلا بسبب قطع الطريق وقتل الأنفس، وخرج البغاة لقطع الطريق في رجب، وعندهم أحمد بن حسين البرطي، ووقع الحرب في الحفا وهم نحو ألف والتّوابع نحو مئتين، ولا زال أحمد بن حسين هذا دأبه من قديم الزّمان ودأب آبائه من قبله يتديّنون ويتشيعون وما هم هنا قصدهم أنفسهم، إنما هو (صليت لك تقرب)^(٢) فيأحياءهم من الله ورسوله . فلما اشتد الحال بالضعفاء والمساكين واحتازت صنعاء، وقل مواد البلاد، وكثر فيها الفساد، توالوا^(٣) أهل الحل والعقد، ومرجع الأحكام أن ينظروا للمسلمين إمام كامل الشّروط، وسَيدي الجمالي يتنحّى وإنما كلفوه لإطفاء فتنة الترك، فجزاه الله خيراً بتصدّره في الوقت العسر. وتوالوا على السيد الكريم العلامة الفخيم عباس بن عبد الرحمن^(٤) من سادة شهارة، وقد طال مقامه في صنعاء المحمية وبلغ في العلم الغاية .

وفي آخر نهار الإثنين خلع نفسه سَيدي علي لسَيدي الضيّاء ورجع بيته (دار الذهب) كما قبل^(٥) وهي الثالثة خَلَعَة، وفرح الناس بخروجه على جميل منهما فقد فعل مجهوده ببذل. ما يملكه من خالص ما خَلَفَه آبَاؤه وأجداده في صلاح المسلمين، ولكن لم تقابله الأيام، ولم يرض به أكثر الأنام، وكانت مدة خلافته تسعة أشهر ونصف ويومين .

(١) كلمة مطموسة .

(٢) من الأمثلة الشعبية يضرب للرجل يقوم بعمل لغرض آخر .

(٣) تشاوروا أو راجعوا أنفسهم .

(٤) من الأئمة تلقب بالمؤيد تولى سنة ١٢٦٦ ثم تنحى في نفس السنة للمنصور أحمد بن هاشم انظر اتحاد المهتدين

ص ٩٤ .

(٥) مثل قبل .

(ذكر الإمام المؤيد بالله العباس بن عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن القاسم بن أحمد بن المتوكل على الله إسماعيل بن المنصور بالله القاسم وقد تقدم اتصال هذا النسب الشريف) .

قام هذا الإمام الكريم ليلة الثلوث لأربع وعشرين خلت من رجب الفرد سنة ١٢٦٦ بعد أن التقت حلق البطان^(١) وعول عليه العلماء والأعيان ، مع سلامة صدره من قبله حيث ما يريد إلا ما يصلح المسلمين والإسلام ، فتحمل أعباءها ، وذلك مع تعيين الوجوب عليه وهو يبا^(٢) من الدّخول في هذا الأمر ، والتقمص له مع ما فيه من الخطر والضرر وذلك بعد خلوبيت المال وفساد الرعايا في جميع الجهات ، وخلو المجال للبغاة وتحويلهم لصنعاء باتصال مستمر وطول عمرهم على ذلك ، وزعمهم أنهم مناصرين للدّاعي القائم في حضور^(٣) وما ذاك إلا ذريعة إلى التوصل للبغي والفساد ، وأخذ أموال الناس ، وقتل النفوس التي حرم الله ، وقد عرفنا أحوالهم وتحققنا أفعالهم أنهم لا ينصرون داعي ، ولا يقوم بهم دين فلا مقصدهم إلا ما يعطون من المال وقد جرت عادة البغاة من قادم الزمان أنهم بمعزل عن الدّين خصوصاً في هذا الأوان .

وفي اليوم الثاني خرج^(٤) من بستان السلطان بموكب يسرّ الودود ويغض الحسود ، وعليه تاج الخلافة أمامه الألوية والبندود ، وجرت نجائب الخيل ، وصفت الجنود قُدّامه ، وتوجه إلى القصر السّعيد كما جرت العادة أن كل إمام يطلع القصر ، وتقع البيعة هناك ، ورجع آخر النهار إلى البستان والله يصلح كل شأن .

ويوم الأربعاء اجتمع سادتي آل القاسم وقامت حفائظهم على خروج الملك من هذا البيت إلى البيت الذي فوقه من أولاد الإمام القاسم بن محمد ، وقد كانوا أثاروا فتنة صمّاً وخرجوا إلى باب شيخ الإسلام الشوكاني ، فتلقاهم بصدر رحيب وأدخلوه معهم قسراً إلى دار الإمام في بستان المتوكل ، فتلقاهم المؤيد بأحسن تلقي ، ولين لهم القول فلم يقبلوا وإنما قصدوا الفتنة ، فأغلظ لهم القول واجتمع إليه عصابة من الجند ، فبطل أمرهم ، وتفرق شملهم وكفّوا ألسنتهم فهو كان من القساورة لا يبالي بأحد من شجاعته ، وعجبت من نكث بعضهم للبيعة ولسان حاله ينشد :

(١) يقال التقتا حلق البطان : اشتد الأمر وعظم الخطب .

(٢) يابى .

(٣) يعني الإمام أحمد بن هاشم .

(٤) أي خرج الإمام .

قلت لما تحزبوا ومن أجلي تجمعوا لا أبالي بجمعهم فهو جمع مؤنث^(١)

ويوم ثاني نفر منهم جماعة وهربوا إلى سيدي أحمد بن هاشم، ورضوا بدعوته، وخروج الملك من بيت القاسم بالكلية، فما وجدت لهؤلاء عقولاً كيف يفرّوا من قائم من آل الإمام القاسم بن محمد، وقالوا هو أعلى درجة ويريدوا خروجه بالكلية إلى رجل أجنبي^(٢) بسبب غففتهم وعدم الإقتداء بسلفهم، والباقي توقفوا في صنعاء وأسروا الندامة.

وفي يوم جمعة خرج البرطي من حدة بمن عنده يقطع الطريق ويمنعون عامل بلاد / الروس من المرور، فخرج العامل بعد صلاة الجمعة، وجَهَّز معه الإمام الأمير الأكبر فتح محمد، وعصابة من التوابع يحفظونه من البغاة، ولا يعلم الأمير وأصحابه بقدر أصحاب البرطي يظنون أنهم إلا قدر مئة رجل، وإذا هم قد كمنوا في الأرض، وهم قدر ثمانمائة فلما وصل الحاج فتح ومن معه إلى قرب الجردا باشرهم الخارجون بالقتال، فثار الحرب واختلطت الخيل وانحاز التوابع وأميرهم في جبل مما يلي نقم، وانهزموا إليه واستمر الحرب، فلما علم الإمام خرج من فوره بهمة عالية بعد العصر، وخرج معه قليل من الجند نحو ثلاثين رجل، وقليل من الفرسان، فكان لخروج الإمام موقع عظيم في القلوب^(٣) وتتابع الجنود ورائه حتى وصل داع الخير وتبعه عصابة وافرة فغارت جنود الحق على الخارجين، فانهزموا وغار من سناحان جماعة من القرى القريبة مع الإمام، ورجع المنهزمين من أصحاب الأمير فتح محمد حين جاءهم البشير بوصول الإمام لنصرتهم، وأصدقوا الوضع وانهزم البغاة، حتى وصلوا قريب حده، وهم ذلك القدر الكثير والجسم الغفير من الفريقين والذي من أصحاب البرطي أكثر، وهولاً أخذوا رأس من أصحاب الإمام، وأصحاب الإمام أخذوا منهم رأس يقال له ابن عبدالله وهبان من رؤساء القوم. وراقم هذا شهد على رابة الإمام في الأبهر عند خروجه راكب على حصان أبيض كبير، وبيده رمح كبير من المزاريق^(٤) الذي ما يحملهن إلا أهل المجدة^(٥) والنخوة والشجاعة والقوة، وهو يهتري بصوته فلولا

(١) أصله قول الشاعر:

إن	قومي	تجمعوا	وبقتلي	تحدثوا
لا	أبالي	بجمعهم	كل	مؤنث

ينسب هذا البيت إلى الزمخشري. وقيل لأبي المختار العلوي انظر قول علي قول ١٠ / ٢٥٥ .
(٢) لأن أحمد بن هاشم من فرع آخر ينتسب إلى حمزة بن أبي القاسم من أولاد الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين .

(٣) خ فلقلوب .

(٤) نوع من الرماح .

(٥) النجدة .

خرجته لما رجع ممن سبق أحد فله دره ما أمجده، ورجع بعد العشا مؤيداً منصوراً والمشاعل منصوبة أمامه .

ويوم السبت لم يشعروا الناس إلا بصيحة عظيمة من وسط صنعاء المحمية سمعها أهل صنعاء جميع بل ومن خارج السور، وفزع الناس فزعاً عظيماً، وسبب ذلك أن ثم ناس كثير يريدون قيام المنصور سيدي أحمد بن هاشم، ودخوله صنعاء، وقد أعانه منهم خلق كثير بأموال جزيلة وكساء جميلة، ولا زالوا يتسببوا لإثارة الفتنة، وألقوا إلى أذهان الغوغا ما تقبله عقولهم، من أنه لا يتم شيء إلا بدخول المنصور، وهم أكثر أهل صنعاء حتى أن الغوغا يدعوا التشيع وما هو داري ما هو، ولا ما شروط الصلاة، ولا ما يحلها ولا ما يحرمها، حتى أن الناس من أهل السوق آلوا على نفوسهم لا يدخلون تحت طاعة الإمام وأن بعض منهم مد يده إلى خدام الوالي بالجبنية ف وقعت في رجل آخر، وسلم الرسول حق الوالي .

وفي ذلك اليوم وأهل صنعاء في تحشيد لبعضهم بعض، وفي ترتيب الصوامع^(١) والسماسر^(٢) والبيوت الكبار، والإمام في تحشيد للجند والأدراك والحفظ للبيوت من النهب وما قصد الغوغا إلا نهب البيوت والسماسر، ولولا دفاع الله لكانت فتنة صماً .

وفي اليوم الثاني أرسل الإمام لعقال صنعاء والمتهمين بالإغراء، وأوثقهم عنده في الحديد عند الجند، ووقع الضبط لمن أعلن باسم المنصور سيدي أحمد بن هاشم ولمن تعدى وأثار الفتنة، فسكنت الأمور وألزمهم تسليم ما عين عليهم من المال وسكنت الأمور . وفي شعبان وصلت إلى الإمام قبائل أرحب وعيال سريح، ورهنوا في العسكرية، وجّهزهم المولى إلى حضور، فأمال عيال سريح فرجعوا بلادهم، وأرحب عزموا حضور، وأطاعت القرى القريبة وأمر الإمام عليهم الفقيه أحمد بن محسن الحبي، وانتهوا إلى جبل النبي شعيب، وأخذوا قرية السراة عنوة وأخذوا ما فيها من الطعام والمواشي والأمتعة والسلاح، وقد كان وقع بينهم وبين جند الداعي سيدي أحمد، وباتت الهزيمة في جند الداعي سيدي أحمد، وباتت الهزيمة في جند الداعي حتى أدخلوهم (بيت ردم) ولكن لما قد كانوا نهبوا قرية السراة اشتغلوا بذلك عن الجهاد، وما وقع إلا يرجعوا بلادهم لأجل الفود^(٣) الذي قد وقع لهم، ورجعوا يشتوا^(٤) رهاينهم وهي عادة أرحب إذا وقع له النهب فما يسعه غير الهرب ولو

(١) مآذن المساجد .

(٢) محل نزول الغرباء والأماكن الكبيرة .

(٣) النهب .

(٤) يطلبوا .

المرهون أبوه أو ولده أو أخوه، وأما همدان فقد كانوا عاهدوا الإمام على الغارة، وأمر عليهم توفيق الدنوة، ولم يصح منهم شيء، ورجع القاضي أحمد بن حسين البرطي يخادع بني الحارث.

وفي رمضان وقع حرب بين أصحاب الإمام الداعي، وخرج الإمام إلى الصافية^(١) وباتت الهزيمة في جند البرطي، ورجعوا إلى حدة، وفيه وقع حرب بين أهل بلاد الروس، وبني مطر وعُضد أهل بني مطر أهل حضور، وعُضد أهل بلاد الروس سنحان، ووقعت حرب واحتزت رؤوس من كثر القتلى وأرسلت إلى عامل بلاد الروس سيدي أحمد بن إسحق، وهو أرسل بها إلى صنعاء، وصلت في بستان السلطان.

وفي آخر شهر رمضان أعلن أهل بني الحارث بالفساد، وشيخهم صالح بن صالح دغيش العنجري^(٢)، وألزموا أهل الروضة الفساد، وبالبيعة لسيدي أحمد بن هاشم، وقد كان أحمد بن حسين خادع ناس من أصحاب الإمام على بيع بستان المتوكل، وأسفل صنعاء للسيد أحمد بن هاشم، وخببهم الله، وأغلقت الأبواب دونهم، وأثاروا الحرب في البيوت الكبار المجاورة للدائر من نحو شعوب، واجتمع أشرار الخلق من جدير والروضة وبني الحارث إلى شعوب، وبقي الحرب بينهم وبين أصحاب الإمام مستمر ليلاً ونهاراً بالبنادق والمدافع في الدوائر والبيوت.

وفي يوم سابع وعشرين خرج أصحاب الإمام من باب الشقاديف على البيوت في شعوب المجاورة للدائر، وأخربوها وأخربهم الإمام بنفسه بالمدفع الكبير وغيره، وقتل منهم خلق كثير بسبب إهدام^(٣) الضعفاء والمساكين، وقطع السبلات وبعد ذلك اليوم، زادت الحوزة واشتد الحال، وغلي الطعام وارتفع سعره، ونزل جند الداعي كلهم إلى حدة وانحصرت صنعاء ومن فيها، كما انحصر رسول الله ﷺ في يوم الأحزاب ومنعوا الإمام من صلاة العيد في الجبابة.

وفي أول شهر شوال نزل أي لسيد أحمد بن هاشم إلى الصافية العدنية ومعه قدر أربع مئة رجل وست خيل حتى قربوا من دائر قاع اليهود، وبقي الكلام والحرب في ذاك المكان يومين ثلاث، وأصحاب الإمام يحربون داخل السور وخارجه، وما كان يفرع إلا الليل.

(١) تقع في الجهة الجنوبية من صنعاء وأصلها كانت أرضاً لبازان فأصفها عمر بن الخطاب لأنه بلغه إنه أسلم طوعاً انظر تاريخ صنعاء ص ٥٦٦.

(٢) أحد المشايخ في عصره له ذكر في الحوادث.

(٣) إهدام وهدم: إخافة.

وفي سلخ شوال أمر أحمد بن هاشم جنده يكمنوا في ضبر الخولاني للخارجين الضعفاء والمساكين، وللداخلين الجالين للمساكين، فكمنوا وأغارت قبيلة قيل من سنحان وهزموا وأغار المبعدين وطال الحرب/ولما سمع الإمام المؤيد بالحرب، قد انتشر وقطع الطريق المسبلة، أمر أخاه قاسم بن عبد الرحمن فخرج على الفور، ومعه عصابة من باب خزيمة، وتَعَقَّبَه الإمام، وخرج من باب اليمن بعصابة نحو مئة، وضربت مدافع الرحيل، وتتابع الناس، فلما سمعوا الخارجين بالمدافع فكان منهم الضاحك والباكي، فأما أصحاب الإمام وسنحان ففرحوا بالغارة عليهم، وأما البغاة فضاقت عليهم الأرض وداخلهم الفشل والوجل، وقصد الإمام إلى المعركة بنفسه، وفَرَّقَ جموعهم وخرب متارسهم بنفسه، وأمر الأمير يرجع على غارة أهل شعوب فرجع عليهم بنحو عشرين نفر، وقع بينهم حرب كبير، ودخل الأمير من باب ستران لأن القبائل قد كثروا وقطع رأس رجل من كبارهم، ورجعوا شعوب مكسورين، وأما الإمام فاستمر الحرب من ضحوة النهار إلى أن أظلم الليل ورجع البرطي الباغي وهم نحو ست مئة وأصحاب الإمام نحو مئتين.

وفي شهر ذي القعدة رجع أكثر أهل الروضة إلى بيعة المؤيد بالله، ونكثوا بيعة أحمد بن هاشم، وثار فتنة في سوق الروضة، وقتل الجمل قتله السيد العياني وثار بينهم الشغل^(١) وكفى الله الناس شرهم.

ويوم الجمعة دخلت همدان صنعاء بجَلَبٍ لأهل المدينة غَنَمٍ وسمن وحب^(٢)، فلما خرجوا تلقاهم أصحاب الدّاعي إلى باب المنجل وأحمد بن هاشم أقام في باب فج عَطَانٌ وذلك أنه لما اشتدت^(٣) الحوزة ما كان أحد من أفراد القبائل يصدأ^(٤) وحده، وعدم في صنعاء كل شيء فما بقي إلا أنهم الجالين يتجمعوا ويدخلوا دفعة واحدة، فلما رأوا المفسدين السّفَر^(٥) قد دخل قوتاً للضعفاء تلقّوهم عند خروجهم وقد معهم نحو ثلاث مئة من صنعاء من الهاريين من الضيق والشدة ضعفاء ومساكين فارّين وأرامل وأطفال، ووقع حرب كبير وهمدان البنادقية^(٦) نحو

(١) جمع شغلة: الأذية والمشاغبات.

(٢) قمح.

(٣) خ أشده.

(٤) يصدأ: يصطى أي يستطيع.

(٥) أي المسافرون المتسبيون في البيع ونحوه.

(٦) أصحاب البنادق.

عشرين والمفسدين نحو ست مئة، فلما رأى الإمام ذلك خرج بنفسه ينقّس عن الجالين همدان، وعن الفارين المساكين، وخاض بين القوم بنفسه، وفرّق بينهما حتى أنفذ السفر إلى مذبّح واستمر الحرب إلى عشاء، وقتل من المفسدين، وجرحوا ورجع الإمام ظافراً منصوراً.

(ذكر دخول الإمام أحمد بن هاشم الملقب المنصور صنعاء وذكر نسبه)

هو أحمد بن هاشم بن محسن بن قاسم بن إسماعيل بن الحسين بن عز الدين بن مهدي بن ناصر بن مزارش^(١) بن ناصر بن عبد الله بن أحمد بن حمزة بن أبي القاسم بن محمد بن جعفر بن الحسين بن محمد بن حسين بن جعفر^(٢) بن أحمد بن يحيى بن عبد الله بن يحيى بن الناصر بن الإمام الهادي بن الحسين.

في ثاني وعشرين شهر القعدة دخل أصحابه على بستان المتوكل وهم أهل جدر وشعوب وبعض أهل بلاد البستان وبني الحارث، ودخلوا دار الإمارة في بستان المتوكل على حين غفلة من الموكلين يحفظها، ولم يشعر المؤيد بالله وأهل صنعاء إلا برمي البنادق وأصوات المتسلّلين وداخل الناس الفشل والوجل بسبب الإرجافات، ومبايعة أهل صنعاء لأحمد بن هاشم، وأهل حضور وبني الحارث يتتابعون إلى البستان وما باتوا تلك الليلة إلا والقوم زهاء ألفين، وأخافوا الناس في غربي صنعاء وفي صبيحة^(٣) يوم دخولهم، نزل المؤيد من القصر وأصحابه والباقيين على بيعته، ووقع بينه وبين أصحاب ابن هاشم حرب عظيمة، وقتل النقيب قاسم الصوفي من أصحاب المنصور والنقيب عبد القادر من أصحاب المؤيد وجرح خلق من الطرفين، ورجع المؤيد القصر.

وفي يوم الأحد/دخل أهل (جدر) من الطاقة الذي فتحها أمير البستان، إلى بستان الطبري في صنعاء المحمية، وما وسع الناس غير التسليم وأعلنوا باسم المنصور ورضوا بإمامته قسراً، ودخل أصحابه صنعاء، وأعلنوا بالأمان، والله في كل ساعة شأن، واستولى البغاة على ما في الإمارة من النفائس والأمتعة والبلور والصّيني والملابس والحلي والفراش الرّومية والنحاس والعطب^(٤) كل ذلك نقلوه إلى بيوتهم، وذلك مقصدهم والمرام، والتّشيع في أئمة آل الكرام، وهتكوا أعراض الإمام^(٥)

(١) في نيل الوتر ٢٣٤/١ واتحاف المهتدين ٩٣ «محارس» بالحاء والسين المهملتين.

(٢) ساقط من الأصل.

(٣) خ صبيحت بالتاء المبسوطة كما هي عادته في كتابه الهاء فلا نطيل على القارىء بمثل هذه التعاليق الباردة.

(٤) القطن سبق شرحه.

(٥) خ إلا أما والأما جمعه أمه (مرووف).

وحاموا حول الحمى، وقَلَعُوا الأبواب وغيروا القباب والمفارج، وبالغوا في الأفعال الشنيعة التي تذهل منها العقول، وقلعوا أبواب المساجد، وأخذوا فرشها وأمر لا يسع حصرها.

وأما المؤيد فإنه لما كان ذلك انحصر هو وأهله في القصر، وأميره ووزيره، واستدعوا من قبائل أرحب وغيرهم إلى القصر، وأثاروا الحرب، وخاف أهل أعالي صنعاء كما خاف أهل أسافلها.

وفي يوم الإثنين خامس وعشرين شهر القعدة دخل الإمام المنصور من سَنَاع، ولقيه الجند وأهل صنعاء وآل الإمام وقت المغرب، وقد داخله العجب وأظهر شيعته الكامن في قلوبهم، حتى خاف الناس منهم، ودخل بستان السلطان.

وصبح الثلوث بايعه الناس حذاراً من شره، ودخل معه رعاة الشياة، ومن معه من الحفافة العراة جياح الأكباد دار الإمارة، وعقد الوزارة لسَيِّدِي يحيى بن علي الشامي، وأحمد بن حسين البرطي، والسيد علي بن محمد عثمان، والسيد محمد بن أحمد المطاع^(١) وعلق قاضيه أحمد بن إسماعيل العلفي^(٢) بالحكومة الكبرى، واقتسم شيعته الولايات، وأحدثوا المستنكرات مع عدم أهلية واتخذوا العباد رعية، واستمر بقاء المؤيد وأصحابه في القصر إلى سادس شهر الحجة وردّه دينه وأمانته وعقله، ورأى المصلحة التَّخْلِي بالتَّحْي عن دِسْت الخلافة، وطلب السلام لأهل صنعاء، وتسكين روعاتهم، وحفظ الأنفس، وهو كان في معقل عظيم ولكنه رأى المصلحة وشرط لنفسه مشاريط يسيرة اثنتين فرسان^(٣) له ولصنوه، وأخذ لنفسه العهد والميثاق ولأصحابه الأمير فتح محمد، والوزير الفقيه أحمد بن علي حنش، وكل واحد أخذ عهداً وموثقاً لنفسه ما أخذه المؤيد عهداً صحيحاً لا يداخله عنوة في شيء، وخرج من القصر سادس شهر الحجة الحرام سنة ١٢٦٦ وكانت مدة خلافته خمسة أشهر.

وفي أيام التشريق ابتداء الإمام أحمد ينقض عهده، وأرسل الحجاب يحفظوا المؤيد وأهله في دارهم، وكان يخرج لصلاة الجمعة وتمشية الإثنين في موكب

(١) من العلماء لازم المنصور أحمد بن هاشم وعمل حاكماً في بلاد سنحان إلى سنة ١٢٨٩ وحبس مع العلماء في زمن الأتراك وتوفي بالحديدة سنة ١٢٩٦ (انظر ترجمته في نيل الوطر ج ٢، ص ٢٢٩).

(٢) هو القاضي شيخ الإسلام أحمد بن إسماعيل العلفي لازم المنصور وألف سيرته وله مؤلفات انظرها في كتابنا مصادر الفكر الإسلامي توفي سنة ١٢٨٢ بقرية جدر (نيل الوطر ج ١ ص ٦٧).

(٣) مثنى الفرس.

المنصور أحمد بن هاشم، ومالت قلوب أكثر الناس إلى المؤيد لسطوته وأهبتة، ودخل في قلب الإمام المنصور وخواصه من هيبة المؤيد، ولم يزل يدبر الحيلة للقبض على المؤيد والوقوع به، والمؤيد مستصحب السلامة واثقاً بعهده الواقع له من المنصور.

ودخلت سنة ١٢٦٧

وفي أول يوم جمع أحمد بن هاشم أصحابه وخواصه، وأرسل للمؤيد على حسب عادته، وقد أهبله البانيان^(١) الصيرفي ورجل من بني الزهيري يرافعه فيما ألزمهما تسليمه لبيت المال وأحضره/ أحمد إسماعيل العلفي، وقد كان دبّروا الحيلة وأبرموها، وأمر المدعين يشرحوا الدعوى وأمر المؤيد بإجابتهم فأجاب أن ما أخذه منهما لبيت المال، فقد دخل في ضمن الصلح والإكتفال^(٢) به من أحمد بن هاشم، فلم يقبل منه ذلك إلا الأمر^(٣) بحسبه وأخذ سلاحه، فوقع بينه وبين أصحاب أحمد بن هاشم ما وقع، وهو يظن الوفا بالعهد والذمام عملاً بظاهر الإمامة ولا يعلم بالخيانة ونكث العهد فلا قوة إلا بالله. وآل الأمر إلى الوقوع بالمؤيد وإخوته ومن يلوذ به والقبض عليهم، وإخراج أهله والدة الشريفة الفضلى العالمة النقية شمس الحور من دارهم، والاستيلاء على أمتعتهم وقماشهم وإفزاع أطفالهم، وتسليط السفهاء عليهم، وما هذه^(٤) بأول واقعة مع أولاد رسول الله ﷺ، وحبس المؤيد وإخوته في قصر صنعاء، ولما علم سيدي الجمالي علي بن المهدي خبث نية ضمائر المنصور سيدي أحمد بن هاشم وشيعته، وعدم المراقبة وتسلفهم إلى ما في أيدي الناس، واختلاس أموالهم، خاف على نفسه وأولاده، فخرج في اليوم الثالث من شهر محرم هو وأهله إلى (ضلع) همدان وأرسل إلى عاقل همدان النقيب علي الهمداني فوصل من فوره إلى ضلع إلى عند سيدي الجمالي، وتلقاه بأحسن تلقي وأكرمه وأضافه في بيته في طيبة وجمع قبائله، وأفاض عليهم ذلك فأجابوه أنه كبيرهم يفعل ما يريد وهم له أعوان على مراده بأموالهم وأنفسهم، وأجاب على سيدي علي بما قرأت به نفسه وسكن به جأشه وقد كان تقدم إلى الوادي خلق كثير منهم القاضي أحمد بن محمد الشوكاني، وسيدي محمد بن زيد، وتتابعوا بعد سيدي علي أكثر الناس الموهومين والخائفين من المنصور أحمد بن هاشم، ولما علم المنصور

(١) كذا ولعله البانياني بيا النسبة وهم جماعة من طائفة الهند الوثنيين.

(٢) الضمان والكفالة.

(٣) خ الأمر.

(٤) خ وما هذه.

بهربهم، ولم ينل منهم ما أضمر أظهر مكتوم سرّه وأمر أعوانه بتسمير بيوتهم فسُمرت، وكان جماعة من الفقهاء الخلاصة^(١) يتسللون إلى البيوت المستمرة بالليل، ويأخذوا ما فيها من الأمتعة والقماش والفراش، ويستصحبون معاهم^(٢) النجارين والحمالين، ويوصلون نزر يسير إلى بيت المال وإلى بيوتهم شيء كثير، ولم ينكر عليهم أحد لشدة سطوتهم وتسلطهم على الناس، بسبب إشتراكهم في الأمر والمهاجرة^(٣) مع^(٤) الإمام المنصور في الأقطار، وجلب الناس إليه، وبعد ذلك أمر المنصور بحبس سيدي الصفي أحمد بن عبدالرحمن بن إسحاق عامل بلاد الروس، وقد كان آمنه لأنه لم يجيب داعي المنصور إلا بعد أن خلع العباس نفسه، فإنه بقي على بيعته حتى خلع نفسه، وكان يعين سيدي العباس بقبيلة بلاد الروس على المنصور، ويغزيهم، وبعد حبسه خرج صنوه سيدي العزي محمد بن عبد الرحمن إلى بلاد الروس وأظهر الخلاف وتعاقدت القبائل أهل بلاد الروس وسنحان وهمدان وعيال سريح على أنهم يد واحدة، ولما شاع خبر خلافهم في الأقطار تخرب النظام على الإمام وشيعته وقلب الناس لهم/ظهر المعجن ولم يبق على البيعة إلا من تابعه وجاهد معه مثل حضور والبستان وبني الحارث وعمران، وصار الناس في ضيق عيش، ورجعوا إلى ما كانوا عليه من الحصار لصنعاء المحمية بالله.

وفي شهر محرم سنة ١٢٦٧ جاءت أخبار بوقوع الطاعون في مكة المشرفة، وهلك خلق كثير ابتداء فيهم من الجبل^(٥) ومنى وأكثر الموتى من أهل الشام والعراق. وفيها استولى يام المكارمة على جبل غانز في طرف الحيمة.

وفي يوم الأحد يوم عشرين خلت من محرم سنة ١٢٦٧ ظهرت دعوة سيدي الجمالي علي المهدي، وهي الرابعة بوادي ظهر، وتلقب بالمتوكل، وقد كان أضرب عنها صفحاً وألجأته^(٦) الضرورة لِمَا رأى من الفقهاء، وما وقع لسيدي العباس بن عبد الرحمن، وفرح بقيامه ناس، وضجر آخرون.

وفي آخر شهر محرم أمر المنصور بهدم بيوت من في وادي ظهر من الأعيان

(١) أي خلاصة أصحابه.

(٢) معهم

(٣) الهجرة في طلب العلم.

(٤) خ معاً.

(٥) جبل عرفات.

(٦) خ الجئة.

والسادات، وبيع أبوابها وطاقاتها وأخشابها وأحجارها وقرارها، فعمد إليها شرار الخلق وغيروا رسومها، وقطعوا أشجارها ومحو نقوشها، وأموال المسلمين معصومة بعصمة الإسلام.

وفي أول جمعة من صفر طلب التوابع جامكياتهم المعتادة وتعرضوا للإمام المنصور إلى الطريق يريدون منعه من الصلاة، فوعدهم فلم يقبلوا، وأغلظوا له القول حتى أنزلوه من فوق الحصان إلى الأرض، وكادوا يقتلونه فكفاه الله شرهم، وقد كان تفرق أصحابه يمينا وشمالا وبعد ذلك ضمن لهم أمير الجند، وركب الإمام فرسه وسار إلى الصلاة، وبعد ذلك صادر الوزير التجار وأهل صنعاء بتسليم الجامكية للجند، وسلموها وأعينهم تفيض من الدمع حزنا.

وفي خلال ذلك خرج المنصور الروضة لمعرفة ما ترك الخلفاء^(١) في دار البشائر.

وفيها خرجت بكيل وكبيرهم النقيب محسن علي الشايف ووضعوا محاطهم في كولة^(٢) العرج، وخرج إليهم الإمام المنصور ووزيره أحمد بن حسين العنسي البرطي، ووعدهم بتسليم ما هو لهم وسلموا لهم نزرا يسيرا واحتالوا لهم حتى أدخلوهم صنعاء.

وبعد خروج الإمام من الروضة انتشرت قبائل سنحان إلى باب اليمن، ولم يفضعوا في أهل صنعاء لظنهم أنهم مائلون إلى الإمام المتوكل، وبعد دخول القبائل صنعاء بقيوا يماطلوهم حتى باعوا أداتهم^(٣) وجاعوا، حتى أكلوا القضب^(٤) في صنعاء والأبواب محفوظة محرّج^(٥) عليهم، وبعضهم في الحبس، وخرجت همدان وسنحان وعيال سريح على الإمام من باب المنجل^(٦) ومن عذني صنعاء حتى ملؤوا الفجاج، ودخل الرعب في قلوب الناس وخرج الإمام المنصور ببقية ذو حسين والتوابع، وكانت معهم نحو سبعين عنان خيل، فكانت الدائرة على همدان وسنحان

(١) غ الخلافا.

(٢) غ كوفت.

(٣) ملابسهم.

(٤) هو البرسيم للمواشي.

(٥) حرج عليه شدّ عليه في الشيء أي شدّدو على الحراس بعدم فتحها.

(٦) سياطي ذكره في معجم البلدان الملحق.

بسبب الخيل التي مع أصحاب المنصور واحتزوا^(١) منها القبائل نحو أحد عشر رأس، وقيل أنهم احتازوا^(٢) في بيت، وخرجوا أسارى بعهود، وضربت أعناقهم صبراً، واحتاز جماعة في باب اليمن في وهب^(٣) وبقي الحرب إلى بعد العشاء، ومنع دفن جثث القتلى، وأكلتها السباع، وصلبت الرؤوس في بستان السلطان، وداخلهم العجب وكتبوا بذلك إلى جميع الأقطار.

وفي خامس وعشرين ربيع أول تسلل رجال من سنحان من جبل نقم إلى غيل الباشة^(٤) وانتهبوا الغنم ثمان مئة رأس، وهربوا بها ومنعوا على أنفسهم/ ولا زال الإمام يحرض الناس على الخروج للجهاد، ومن تخلف من السفلة والسوقة عوقب، وقد هابه الناس بعد قطع الرؤوس المذكورة والعقلا متوقعون ما يحدث الزمان به (شعراً):

إلا إنما الأيام أبناء واحد وهذي الليالي كلها إخوان
فلا تطلبن من عند يوم وليلة خلاف الذي مرّت به السنوات

وفي يوم سادس وعشرين ربيع أول مضى سيدي محمد بن عبد الرحمن إسحاق من همدان عازماً على المسير إلى سنحان، ومضى من باب المنجل وغربي صنعاء، فلما رآه المنصور طمع في القبض عليه والفتك به لقلة من معه فخرج الإمام وأهل صنعاء جميع والخيالة والتوابع إلى صافية باذان، ودافعوا عن أنفسهم المارين بالرمي في حال السير حتى التجأوا إلى جبل الضبر، وغارت سنحان مع ابن إسحاق، ورجعت همدان وقتل منهم واحد من ريعان، وقتل من أصحاب الإمام الأمير خير من العبيد حق آل القاسم، واستمر الحرب إلى أن حجبت الشمس عن العيون، ورجعوا أهل صنعاء القهقري^(٥) لما رأوا^(٦) غارت سنحان وما فرق بينهما إلا ظلام الليل.

وفي شهر ربيع آخر جنحت شمس الدولة الويسية^(٧) للأفوال، وطلع بدر الدولة القاسمية رةارب الوصول، ولاحت لوائح الفرج، وذهب الحزن والخرج، لشواهد ظهرت ومعالم نشرت.

(١) أخذوا واستولوا.

(٢) حوصروا.

(٣) من مساجد صنعاء سيأتي.

(٤) لم أجد ذكراً لهذا الغيل ولعله المعروف ببئر الباشا انظر أئمة اليمن ٥٠/٢

(٥) غ القهقر.

(٦) غ لمارو.

(٧) دولة أحمد بن هاشم الويسي نسبة إلى ويس من قرى كوكبان.

وليلة الجمعة تاسع عشر ربيع آخر دخلت همدان بئر العزب وقاع اليهود قبل الفجر، وكان سبق التشاور بين همدان وسنحان على أن سنحان يتوجهون إلى باب اليمن يوهموا دخلتهم منه الليل حتى أن أصحاب الإمام المنصور يشتغلوا بذلك، ففعلوا وحمدان دخلوا بئر العزب، بغتة، وذلك المقصد والأرب وقدرهم ثلاث مئة ومئة من عيال سريح، ووقع قتل كثير من همدان، ودونه من أصحاب الإمام والشريف خيران من الجوف، كان مع الإمام واستمر الحرب، إلى عقيب الظهر، وتتابع القبائل من همدان وسنحان وسريح وبلاد الروس إلى بئر العزب وقاع اليهود.

قال المصنف أن أصحاب الإمام بدعوا^(١) بالنهب لبئر العزب والقاع، وبعد فعلوا القبائل كفعلهم، وما أظن إلا العكس لشواهد ولم قد رأيت مثل هذه النهبة في سنين، وشاهدت أهل وادي ظهر ألبسوا نسوانهم^(٢) لباس الذميات^(٣) من المقارم^(٤) واللوازم^(٥) واللوالى^(٥) شهادة.

وما بات يوم ثاني النقيب علي الهمداني إلا في بئر العزب وتتابع القبائل كل يوم يزيدون أضعاف اليوم الأول طمع في النهب، ولم تزل الأجناد المتوكلية إلى قوة وزيادة وجند الإمام إلى وهن، وقد كان هموا لدخول صنعاء بالسلاط، وحصل القلق في صنعاء من جميع القبائل الداخلين والخارجين لأن ما قصد الجميع إلا النهب والسلب، فدفع الله سبحانه وسلم.

ويوم ثالث أعلنوا بالطاعة والتنصيرة^(٦) من القصر وصنعاء.

ودخل يوم الإثنين ٢٢ ربيع آخر سيدي المتوكل من عدني صنعاء وطلع القصر، ورجعوا يحاصروا أصحاب المنصور الذين^(٧) في البساتين، وصومعة قبة المهدي العباس قد رتبوها وجعلوها معقل لهم، وفتحوا لها باب من بستان السلطان، وباع الناس المتوكل، وكأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون، وعفا عن ما مضى، ولم يعاقب أحد بما جنى وهذا كان دأبه السلامة وسعة^(٨) الصدر.

(١) بدؤوا.

(٢) نسائهم.

(٣) نساء اليهوديات.

(٤) قناع يوضع على الرأس.

(٥) ملابس خاصة بالنساء وشهادة بمعنى مشاهدة أو أشهد لله.

(٦) صياح علامة على النصر.

(٧) خ الذي.

(٨) خ سمعت.

ويوم الربوع رابع وعشرين ربيع آخر، خرج سيدي الإمام المنصور أحمد بن هاشم الويسي، وحاكمه العلامة القاضي أحمد بن إسماعيل العلفي، والنقيب علي سعيد الشاوش، وخواص الإمام من بستان السلطان وغيروا لباسهم، وخرجوا في الليل وشمروا للهرب الذيل، وتولوا خلاص أنفسهم وفارقهم أحبابهم وأنيسهم، وفر المرء من أبيه/ وفاق من غمرته كل فقيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، ولما علم الإمام بتفرق أصحابه شذراً مذراً نظر لنفسه الخلاص ولات حين مناص وخرج على غفلة من العرب والجنود المحيطة بهم، حتى انتهوا إلى بستان العَلَمي، وربطوا بعضهم بعضاً بالعمائم والحبال، وخرجوا على أسوأ حال، وخلصهم الله، وانتهى بهم السير إلى بلاد أرحب، واستجاروا بالنقيب علوان العذري وكان ما كان لم يكن شعراً:

فإذا النعيم وكلما يلهى به يوماً يصير إلى بلا ونفاد

وهذا من حقارة الدنيا تزين الأمر وتحسنه للداخل وتقلب ظهر الميكن للخارج، وندم أعداء المنصور على إنفلاته وبقي منحصرأ أحمد بن حسين البرطي، وبعض أهل جدير فما وسع المتوكل إلا الصّفح عنهم كما هو دأبه. وخرجوا بأسلحتهم يوم الخميس خامس وعشرين ربيع، وكانت مدة خلافة المنصور خمس أشهر في ضمنها أخرج بستان المتوكل، وكان من الجنان الدنيوية فيه من الأشجار والعمائر، والدور الشامخة الذي ترى إلى مسيرة نصف يوم والأكشاك^(١) الذي الكشك مثل المكان الذي مخرج من الدار، والمنظر^(٢) الصّيني في أعلاها، وما أظن يدّي لهم ثمن خرابة مثل ما خرج على بيت القاسم من قيمه دهن القضاص في المفارج^(٣) والمدابخ^(٤) وكان فيه شجر السلوة^(٥) مثل الصومعة^(٦) ترى، ولكن كون ما هو من [غير] مخلف آبائه لم عول به، وبعد خروجهم نزل المتوكل يطوف الدور، وما فيها ممّا كان فيها من بواقي بيوت الأموال، فما وجد غير ما قال الشاعر:

كأن لم يكن بين الجحون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فعجب من أمرهم ومن اختلاسهم للجميع، حتى أخذوا من الطاقات

(١) الطاقة خارجة من البناء وهو من اللفظ الفارسي (انظر محيط المحيط ٧٨٢).

(٢) المنظر هو المكان المرتفع من المنزل والصيني الزجاج (نوع منه).

(٣) جمع مفرج المكان النزه وهو كالمنظر وقد يكون أسفل البيت إذا كان أمامه حديقة وشاذروان ويكون محاطاً بالزجاج من جوانبه.

(٤) جمع مديح وهو المطبخ (معروف).

(٥) شجرة كبيرة وهي شجرة السرو.

(٦) المنارة المثانة.

والأبواب، وأفسدوا بعض العماير لغير حاجة، ورجع القصر، وأمر برفع القبائل من بئر العزب، وارتفعوا وقد أفسدوا وغيروا ونهبوا وخرّبوا وقتلوا، وأخذوا فرش المساجد والأبواب والطّاقات، وأخذوا الخِتم^(١) وأخذوا كنائس اليهود وكتبهم وتوراتهم ولم يخرجوا^(٢) وعاد فيها ما يساوي ريال فقُبِحَ الله القبائل الذين ما قَصْدُهم إلا ذلك، وإنما لا يبيع لهم إلا قصد نفوسهم، وإنما القيام مع الأئمة^(٣) بسبب ذلك وما هم هنالك، وما لهم علم أن كل شيء هالك، وسيجزى كل فرد بما هو كاسبه.

وفي يوم ثاني شهر جماد أول خرج الإمام صنعاء وقد كثرت الطلّابات^(٤) قبائل من همدان وسنحان وخولان وأمسى^(٥) في جزير واستعجلوا القوم وتوجه معه النقيب علي بن أحسن الهمداني بقبائله قاصي وداني.

وقد بنيت في هذا المنقول على الاختصار جداً لمعالجة صاحب الأم لي وما كان مقصودي من أول إلا ذكر السّادة وما وقع في ضمنها فهي الافادة وأما في الأم فإنه ذكرها مراحل وأيام وقتلى وأفرادها ساعات ولكن عاجلني فاقترصت على ما ذكرت.

وأمسى في (سامك) ووصلوا إليه أهل أنس وغيرها يشكون أن المنصور السّابق قَسَمَ الأرض إقطاعات لمن لا يستحقها ووعدهم بإزالتها، وعَمِلَ الشيخ حاتم بن يوسف على أنس وطابت النفوس، وأمنت السّبل بعد الخوف، ووصلت إلى الحضرة كتب من عامل قُعطبة الشيخ عبد الله مثني فاضل، وعَرَفَه أن بكيل قد تركت اليمن أصلاً وطلعت، وأنه فارغ ومعاقله واستعجله إلى يريم وبلاد حَبّان وللمشاورة في أمر بلاد اليمن، واستخلاص الباقي فيه من القطع والمقاسم، ودخل الإمام ذمار، وصادف وصول ذو غيلان، وطلبوا الجهاد معه، وبذلوا أنفسهم فأمرهم بالرجوع بلادهم حتى يحتاجهم، وطلب مشايخ ريمة وعتمة ووصاب، ووصلوا وخلع عليهم، وعفى عنهم وصلحت جميع بلادهم ووقع خلاف من أهل منقذة ووقع التقدم عليهم وأخذوهم، وصلحت بلادهم، وذهبت مواشيهم وأثاثهم بسبب البغي والفساد، وأطاعوا وأرسل الهمداني على بلاد الحيمة، وقد كانوا أنصار المنصور

(١) جمع ختمة وهي مصاحف القرآن الكريم..

(٢) أي لم يخرجوا.

(٣) خ الأرمة.

(٤) الطلبات - الإستدعات.

(٥) بات.

فخافوا من السطوة، وأمنهم وصلحت البلاد، وأطاعت العباد وسلّموا ما عُين عليهم.

وفي نصف شهر جماد آخر خالفوا أهل قرية (القعدة) فتجهّز وخرج بجميع الجند فلما رأوه/استدعوا^(١) القيري صاحب اليمانية، وكان أحد أجناد الإمام، ولكنه فعلها له المنصور أحمد بن هاشم قطعة، فدخلها وأخرب ديارها، وحكم عليهم بتسليم شيء من المال، وجعل رؤسائهم في سلاسل الحديد، ورجع ذماراً مؤيداً منصوراً وصلحت غنس.

وفي عاشر رجب توجّه بلاد خبان ويريم، وجاء طريق الشلالة، وضرب عنق رجل، وبات في التالي، ووصل إليه عامل قعطبة الشيخ عبد الله مثنى فاضل، وعَلَّقَه^(٢) الإمام بولاية خبان ويريم، ووعدّه بإصلاح اليمن الأسفل مفوضاً على عمال اليمن، وأنهم من تحته، وخلع عليه كسوة نفيسة حرير مذهبة، ووهب له خيمة وهو على حذر، فلم أمكنه يبيت في مطرح الإمام، وأذن له الإمام يبيت في مطرحه بين أصحابه، وتوجّه مدينة ويريم، ودخلها بقلب سليم، وقد جرت عادته بالسماحة، وصلحت الأحوال، ولكن مع ما ظهر واشتهر من عفوه وسماحته طمع فيه الجند، ورجعوا إلى ما كانوا عليه من طلب المغلّبات مع علمهم أن الدّاخل^(٣) حقير، ولكنه صار التصرف لثلاثة أنفار من عقّال خولان محمد بن صالح الرويشان، وناصر بن علي شهيل الهيمالي، وقاسم الصوفي، ولو أن الإمام فَعَلَ بهم شيء لزاد الفساد، ومع قلة ما في اليد وقد علموا بذلك طمعوا في الإمام، والله في كل ساعة شأن، والفساد المستمر في عَمْران وحُفّاش ومَلْحان وخصوصاً حفّاش استولى عليه أرحب وحاصروا العامل من جهة الإمام، واستغاث بقبائله ولم يجيبوه.

وفي شعبان جاءت الأخبار أن الأتراك الذين في مكّة وجدّة قَبَضُوا على الشريف محمد بن عون، والشّريف الحسين بن علي بن حيدر، وأدخلوهم الأبواب السلطانية وانتقلت ولاية الحرم إلى بني المطلب^(٤).

وفيها توفي محمد علي باشا صاحب مصر وعمره مئة وعشرين سنة.

(١) فراغ في الأصل.

(٢) أعطاه أو كلفه.

(٣) الدخل.

(٤) يعني به عبد المطلب بن غالب ولي إمارة مكّة سنة ١٢٤٣ ثم عزل ثم أعيد سنة ١٢٦٧ فاستمر بها إلى سنة ١٢٧٢ توفي سنة ١٣٠٣

وفي شهر رمضان وقع انتقال سيدي غالب بن محمد يحيى من الروضة إلى سناع، وكاتب عقّال بلاد البستان، والسيد محمد علي الشامي، وبیت المطاع وأوهموه أنهم سيولونه الخلافة ويقتضون له من أبوه^(١) وما مقصدهم إلا يجعلوه وصلة الفساد ويردّوا إمامهم المنصور أحمد بن هاشم الويسي المتقدم ذكره وذكر شيعته، وكاتب القبائل فمن كان يريد الفساد وصل إليه، ومن ظهر له الخوض^(٢) توقف. ولما علم أبو زيد التركي الوزير أرسل بالعقاير إلى القبائل، وأرسل معها بعض من آل الإمام ووعدهم إلى بعد رمضان. وفي هذا الشهر أمر الإمام بتخريب بقية بستان المتوكل والثلثين يستلمه أبو زيد، ويسلمه للتوابع الذين في أدراك صنعاء المحمية فقد كثرت شغلّتهم.

وفي أول شوال قدم القاضي أحمد بن حسين البرطي، وأظهر الطاعة وهو مضمّر للخدع والمكر والتقى بعقال التوابع وعقال القبائل، وخادعهم وأدخلهم في سلك الفساد والبغي لأن قد كان أجمعوا على المخرج على حضور، وما دخل إلا يماطل/ويخادع، وأظهر مكنون سره، وأجمع على دخول بعض العقّال إلى بئر العزب. ويصلح أمور حضور، هذا ما ظهّره للوزير، وقد وعد جميع القبائل لدخول بئر العزب، ويأخذوها لسيدي غالب، ويخلعوا سيدي علي المتوكل، وأدخل العقّال وواقفهم والليل دخلوا جميع القبائل بني الحراث وبلاد البستان، والناس آمنين ما عندهم خبر إلا أنه يصلح الأمور، ولم يشعر الناس صبح الخميس سادس عشر شوال سنة ١٢٦٧ إلا بالصياح واللياح وانتهبوا بئر العزب، وقاع اليهود في ذمة أحمد بن حسين البرطي، وقتلت نفوس، وخاف الناس على صنعاء من كثرة القوم، وحفظوا الأبواب، ولم يزل الحرب ثلاثة أيام، ودخل البرطي صنعاء وخادع بقية الناس، وسلّموا الأمر، وأعلنوا بالطاعة، ورضوا بخلافة سيدي غالب وتلغى بالهاذي وخلعوا المتوكل وهو سيدي علي غالب في ترميم بلاد يريم، وأمر المسلمين وصلاح الدنيا والدين، ولم يبق على أمر المتوكل إلا أمير القصر كون أهل الإمام وحشمه وأولاده عنده، حتى يشترط لهم ولنفسه شرائط^(٣) وتعود له الجوابات من يريم بالطاعة والتسليم أم لا^(٤).

(١) أي من قاتل والده وهو المتوكل هذا المهدي سابقاً.

(٢) السر.

(٣) شروط.

(٤) أي أو عدم التسليم.

(ذكر مولانا الإمام الهادي غالب بن محمد بن يحيى بن المنصور علي بن المهدي عباس بن المنصور حسين بن المتوكل قاسم بن حسين بن المهدي أحمد بن حسن بن المنصور بالله القاسم بن محمد).

كانت دعوته يوم الخميس سادس عشر شوال سنة ١٢٦٧ وبعد [أن] خرج من في القصر أهل المتوكل إلى وادي ظهر، وأبوزيد إلى المحاقرة، وطامش إلى الروضة وتقوى في بال الهادي الخروج على الحمية لإخراج من فيها من المفسدين.

وفي ثامن القعدة ضربت مدافع الرحيل، ويات في بيت ردم وقام خمسة أيام، وقد سبقه السيد محمد بن علي الشامي الوزير، وتعقب الإمام، ولحق الوزير وصلحت البلاد، وكتب لشيخ الإسلام القاضي أحمد بن محمد الشوكاني، وفعل له رأي^(١) أمان.

هذا ما كان وأما خبر تهامة فإن الشريف الحسن^(٢) جمع جموعاً لا تحصى، وتقدم على الأتراك إلى خبت اللحية، وخرج إلى الأتراك وكانت الدائرة على الأتراك، وغنم الشريف الحسن محطتهم، وقتل منهم خلق كثير، وهربوا إلى الزيدية، وقد غنم خيلهم وسلاحهم وخيامهم، فلما علم الباشا الكبير في الحديدة كتب إلى الشريف الحسن بأن فعله غير حسن، وقد هو على دخول الباب العالي وسيفرغ له تهامة ويملكه البنادر، ولكنه استعجل، فلما وصله الكتاب طمع، وألحق الباشا إليه مكتوب آخر إنه يوافقه إلى محل كذا ويرد ما أخذ عليهم، ويرد ما ذكره إليهم والميعاد يوم كذا، فلما دنا الوعد خرج الباشا بجنوده وأرسل من الليل من يكمن خلف مطرح الشريف من الجهة الأخرى^(٣) قوم وخيل، فلما أصبح الصبح لميعاد اللقاء، باشر الأتراك الشريف قبل الفجر وهم نائمون بالرمي بجميع المدافع، حتى فشلوهم من كثر القتل، وأحاطت لهم الخيل وهم على أثر الليل وغنموا/أكثر مما غنموا وتفرقوا شذراً مذبذباً وكانت القتلى من أصحاب الشريف نحو ألف، وأدخلوا إلى الحديدة آذانهم وعلقت.

وأما الإمام فإنه عزم من بيت ردم إلى عر الحيمة، ووصلوا جميع المشايخ وقابلته البلاد بالطاعة، ولكن الوزير ظالم عيّن عليهم خمسة وعشرين ألف، وهي مثنية لأن المشايخ أظلم من الوزير، ومن سلم سلم، ومن راجع حبس وأدب، ومن هرب

(١) خط أمان.

(٢) يعني الحسن بن محمد بن حيدرة.

(٣) خ الأخرة.

تبعوه وأخذوا قريته، ومن منع ورثب قريته أظهر الفساد تركوه لعسرتة^(١) وشجاعته، وما وقع إلا على الضعفاء والمساكين، نهبت قراهم وآلة زراعتهم وذهبت مواشيهم، وكلما اشتكوا على الإمام تغافل، ووكلمهم إلى الوزير، ووافى عيد الأضحى، وعزموا القبائل بلادهم يوصلوا ما قد نهبوا ووعدوا بالرجوع، وخرجت خولان ونههم بأجمعهم، وتوجهوا إلى جهران فظن الناس أنهم قاصدون يريم لنصرة المتوكل الذي هناك، وإذا قد رجعوا وتوجهوا أنس، وأوهموا أنهم سيتبعون الهادي، فلما توسطوا في الخبت بين الحيمة وحراز وأنس وريمه وسهام، فانتهبوا على أهل تلك الوديان جميع ما لقيوا من مواشي وغيرها، وأرادوا الرجوع إلى أوطانهم فلقاهم يحيى بن علي الشامي بطلاب من الهادي، يريد يغزوا بهم حراز، وحلّل لهم الشامي ما أخذوه من الظلم، وضمن لهم على أخيه الوزير بأموال كثير، فرجعوا وقد الإمام في حصن بن مهدي عبد الله بن حزام بمن معه من التوابع وبلاد البستان، وقد هو في الحد بين حراز والحيمة.

ودخلت سنة ١٢٦٨ :

ففي غرة محرم توجه الإمام إلى حراز وأخذ الراية وقدم إلى شرقي حراز، وصالح أهل لكمة^(٢) الكرف وهي من المصانع^(٣) المانعة، وفتح حصن بن زايد وبقي هناك قدر ستة أيام، وغزوا إلى مناخة، وأخذوا السوق والمسجد والمعقل والدروب مع يام، والإمام قريباً منهم في قرية المقبل، ولم يشعر الإمام إلا بالنذر قد جاءت إليه تنذره بأن الوزير محمد الشامي ونههم وخولان قد ابتاعوا وولوا الأدبار، وتركوا الإمام فريداً، وقد جرت عاداتهم بهذا فلا يستنكر منهم، فتحقق الإمام بذلك فوجده صحيحاً فأمر بالشّداد^(٤) للأثقال والمدافع، ورحل من حينه إلى بيت ابن مهدي في الحجرة، والجند فارقه ورجعوا بلادهم بما انتهبوا من حراز ومن الوديان السابقة وبقي هنالك.

وأما الوزير الشامي، وأحمد بن حسين البرطي، فتوجهوا إلى أنس وعُتمة للفساد المعتاد ووصلت عند الإمام ذو حسين وأرحب، وحلفوا له وتعهدوا عهد أكيدة أنهم سيفزون حراز ويأخذوه عنوة، وفرح الإمام بذلك، ووصلت إليه كتب

(١) لعسرتة (باسه).

(٢) أكمة

(٣) الحصون فوق الجبال.

(٤) الشد.

من الشيخ عبد الله بن حسين المدعي المبين للمكارمة^(١) أنه سيفتح البلاد، ويعين الإمام بما أراد من طعام ودراهم وغير ذلك، ففرح بما هنالك، ورجع من فوره، وطرح في شرف بني عطا قريب بيت المدعي، وأخذوا تلك القرى المجاورة ومن أطاع أسلموه ومن تابع المكرمي أهدموه.

وفي خلال ذلك في محرم خرج الشيخ عبد الله مثني فاضل، يريد اليمن الأسفل لنفسه، وقد خاذل المتوكل وقطع تسليم الواجبات بعد أن تعهد ولكنه أراد تسويد^(٢) الرايات لنفسه، ولما توسط في البلاد سلط الله عليه ذو محمد قتلوه غيلة وقتلوا من أصحابه، ولا يحق المكر السيء إلا بأهله.

وفي ذلك الشهر وقع مسير سيدي الضياء عباس بن الإمام المتوكل أحمد من ضلاع/همدان إلى جبل ضوران، وذلك باستدعائهم له أهل الجبل، والفقيه أحمد بن علي حنش، وشاع ذكره في الأقطار وزعم الناس أنه دعا لنفسه.

وفي صفر وصل الباشا بيرم ومعه من الأتراك إلى عند حضرة الهادي غالب ابن محمد إلى حراز، ووقعت بعد وصوله حراز قتلين بين يام وجند الإمام وراح^(٣) فيها قتلى من الطرفين، وفشل أصحابه وهربوا من حراز، ولما رأوهم بطانة^(٤) الهادي قد تفاشلوا كفعلهم، وبقي وحده فرجع إلى حجرة بن مهدي والباشا بيرم معه، وتبعه يام إلى هنالك، وبقي مترد في أمره يرجع صنعاء أو يعزم [إلى] حفاش وملحان أو ينزل تهامة ويستعين بالأتراك.

وفي أول شهر ربيع ظهرت دعوة سيدي عباس في الدامغ في ضوران، وتلقب بالمهدي وبث رسائله إلى كل جهة، وبسبب الأمامين أرتبشت الطرق في كل جهة، ووقع النهب والقتل سيما طريق ذمار، وارتفع سيدي غالب إلى خميس بني يوسف قبلى الحمية، وتقوى في باله العزم [إلى] حفاش هو ومن بقي في حضرته، والباشا بيرم بجماعته، وقطعوها من سائلة سُردد إلى أن انتهوا طرف بلاد حفاش وطلع إلى بيت السلاط في شرقي حفاش، ووقعت الدائرة على ابن مهدي صاحب الحيمة، وأخذوه يام أسيراً، إلى عند سيدهم، وأحترق سيدي الجمالي المتوكل من يريم يريد الرجوع إلى حواز صنعاء عند أهله في الوادي، فعارضه في طريقه على عامر

(١) كلمة مطموسة.

(٢) أي كتابة الرايات وهي مستندات التولية.

(٣) ذهب.

(٤) جماعته خاصته.

البخيتي صاحب الحدا الذي قد تربى على إحسان سيدي الجمالي ولم قطع^(١) عنده معروف، وطلب من سيدي علي المتوكل الحصان الذي ما عاد معه سواه، وهو راكب عليه، وطلب منه العمامة الذي على رأسه والمظلة الذي فوقه والظهرة^(٢) الذي متقلد بها والمرافع الذي بين يديه تضرب، والجارية الذي كانت مع سيدي في يريم، وهي من نسائه، وذلك لما استفرد به في الطريق وقصده^(٣) ينهبه في حد بلاده، ومع قلة ما في يده وعدم الجيش عنده قبّحه الله وأخزاه وبعد وقع الصلح على أن يرهن عنده ابن الوزير عبد الرحمن محافظ لحتى يصل^(٤) المتوكل وينظر له دراهم ويرسلوها إليه ويطلق الرهينة، وبعد ذلك فك لهم الطريق، وتوجه سيدي المجالي عند أهله وادي ظهر، واحترق سيدي عباس من الدامغ حتى وصل قرية اللجام في سنحان، وقد كان سبقه وزيره أحمد بن علي حنش.

وصنعاء كانت تلك المدة في يد سيف خلافة سيدي غالب وهو السيد أحمد شوع الليل من بيت أبو طالب حق^(٥) الروضة استنابه^(٦) الهادي سيف^(٧) في القصر وكان التوابع يشاغلوهم يشتوا^(٨) جامكيتهم منه، ولم بقي مواد فما بقي يعانيهم^(٩) إلا من قيمة الخراب^(١٠) حق دور آل القاسم، خرابة دار الصافية في بئر العزب دار مكلفة وعرفناها قائمة محلولة جنة من جنان الدنيا حتى أن فيها حمام، وكان يتحمموا فيه الناس لحسنه، ونحواصه وتمم^(١١) بقية بستان المتوكل وأخرب دار الحمام في الروضة/.

وأما الهادي غالب بن محمد فدخل مدينة الصفيين في حفاش وصلحت أموره وأخرج البغاة وأخرب مآثرهم، وفرّقوا له ضيفة أهل حفاش ستة وثلاثين ألف قرش

(١) قطع أثر فيه المعروف.

(٢) سيف صغير.

(٣) غرضه.

(٤) يصل.

(٥) أي أصحاب الروضة.

(٦) أي أنابه.

(٧) السيف هنا أشبه شيء بالقائد العام الآن وهو الذي يلي الإمام مباشرة.

(٨) يريدوا.

(٩) يواصلهم أو يواصلهم.

(١٠) جمع خرابة البيوت المهدامة.

(١١) أي أكمل. أو أتى عليه.

حجر، وكتب إلى عسير وسحار يجوا^(١) إليه يتعسكروا معه في حراز ومقصده إخراج يام من حراز، وسيدي عباس الملقب بالمهدي^(٢) رجع يحاصر صنعاء بقبيلة خولان، وقلق أهل صنعاء وأمروا بعضهم بعضاً بشراء البنادق لأجل يحفظوا نفوسهم من البغاة وهي أول عسكرتهم وستأتي آخرها وعضد خولان السيد محمد بن علي الشامي، وزير الهادي الذي خان أمانته في حراز. ومكر بخليفته سيدي غالب، ودخلوا نوبة السحولي في الصافية حق صنعاء بالقرب من باب اليمن.

وفي يوم الأحد ثامن جماد سنة ١٢٦٨ وقع الحرب بين أهل صنعاء والسيد عباس في المحاريق ووهب^(٣) وانهزم أهل صنعاء وأغلقوا باب اليمن، ويوم ثاني ما شعر الناس إلا بالمنارات^(٤) والصوائح والتنصيرة من بستان السلطان، وقعت من عند الرتبة فيه ابتاعوا لأن كان فيه السيد محسن الشويح صاحب ضلاع والتوابع الذي عنده من جنسه وعباس كان في ضلاع ساكن عنده، وإذا هم على توال بينهم وسنحان معهم، ورّتبوا صومعة قبة المهدي عباس.

ومع كبرها حكمت على أكثر صنعاء، ونال أهل صنعاء المشاق، وداخلوا البيوت ودخلوا في المدينة حتى انتهوا إلى نصف صنعاء وبقيت صنعاء نصفين، الجانب الغربي لعباس والجانب الشرقي لشوع الليل، وأهل المدينة في وجل لا أعظم منه، وأهل القصر شوع الليل ومعه بني الحارث وبني حشيش وأهل جبل صنعاء والتوابع وسَيدي عباس بخولان وهَمْدان وسنحان، ووقع في صنعاء كلام زويب^(٥). وحَرْب وضَرْب وطعن وقتل ونهب وسَرَق ما قَدْ وَقَعَ مثله.

وفي الجامع الكبير شوع الليل يخطب للهادي غالب بن محمد الذي في حفاش، وفي قبة المهدي يخطبوا لعباس وسيفين في جهاز^(٦) لولا دفاع الله لذهبت صنعاء، وطلب الأمان أهل صنعاء من المهدي عباس، فطلع صنوه أحس بالصايح له بذلك، ولم يظهر في شوع الليل ما يدل على رضاه بعباس ولكن سكنت حركاته

(١) يأتوا إليه.

(٢) عند زيارة في إتحاف المهتدين ٩٤ المؤيد بالله عباس بن عبد الرحمن. دعوته سنة ١٢٦٦ ثم بايع لأحمد بن هاشم.

(٣) سيأتي ذكره في معجم البلدان لهذا الكتاب.

(٤) إشعال النار فوق المنازل.

(٥) كبير مقلق مفجع.

(٦) من أمثلة العامة.

سوق الحَلَقَة^(١) ورموهم أصحاب عباس من السماسر، ومن دار المحدادة، وقتل منهم رجلين ومصابين، ورجعوا وفشا القتل، وأصيب من لا ذنب له من الضعفاء والمساكين مثل العتمي المزين رمي من دار المحدادة إلى باب الجامع قرب حانوته وقتل، ودامت على ذلك أيام الحرب من بيت إلى بيت والفلس^(٢) من بيت إلى بيت، وفي بعض الليالي لم يشعر أهل السفال إلا بالتنصيرة وإشعال المناير من أعلا صنعاء والأشعار والصياح بالمنصور، فتعجب السامعون، وظنوا أن سيدي أحمد بن عبد الله شوع الليل قد دعا لنفسه وتلقب بالمنصور، فلما تحقق الخبر يوم ثاني، وإذا هو عَقْدُ البيعة هو وأهل العلا من صنعاء لسيدي شمس الدين محمد بن عبد الله بن المنصور^(٣) علي في شهر جماد تلك الليلة وقعت البيعة للمذكور، وضحك الناس من ذلك، وبقي ثلاثة أيام وانحصر في القصر للعجز عن القيام بذلك الأعباء الصعبة، ولم يزل الحرب والأهوال العظيمة والخوف والنهب والقتل أياماً، حتى دخل القاضي العلامة الصفي أحمد بن محمد الشوكاني مغيراً على الضعفاء والمساكين، والنقيب علي بن أحسن الهمداني معه، وكلهم يريدوا الخير والصّلاح وفكّ المحنة، وبقي سيدي أحمد شوع الليل يتخلف عليهم بالمواعدة حتى رجع القاضي أحمد الوادي وآثار^(٤) سيدي أحمد يماطل المياعيد، وهو بيكاتب سيدي غالب إلى حفّاش ويستنجد، ولما ضاق على أهل صنعاء الخناق رهنوا رهاين منهم عند النقيب علي، واستمرت المواعدة والمماطلة من عند سيدي أحمد، وتحرك سيدي غالب من حفّاش، فأشعر سيدي أحمد بالبشائر ووصول الهادي، وخلع المنصور سيدي شمس الدين تاسع جماد آخر، ومدة خلافته دون أسبوع، وهي كذبة وضحكة، ووصل الهادي ودخل صنعاء المحمية بالله من باب شعوب ومعه قليل من بلاد البستان أهل حضور، وطلع القصر ولقيه الناس، وفرحوا به رجاء للحلة^(٥).

ويوم ثاني انتشرت الرتب حق الهادي حتى وصلت السائلة، وأخرجوهم من كل بيت بحرب وقتل، وقد كانوا حول الجامع وباب اليمن، في بيت الشاوش، ونزل سيدي الهادي على باب اليمن وبيت بولاد الذي قد هوليبي الشاوش، وكانوا

(١) هو سوق تباع فيه الأشياء الكمالية كالأواني الزجاج والسبح والسلاسل ونحوها.

(٢) خلع. سبق شرحه.

(٣) من هامش المخطوطة بقلم المؤلف «دعوة سيدي شمس الدين وتلقبه بالمنصور وكانوا في تلك المدة أربعة خلافاً شمس الدين وعباس وغالب وسيدي علي الذي رجع من يريم هؤلاء في وقت واحد».

(٤) آثار هنا في عامة صنعاء بمعنى وإذا به عمل كذا لأي صنع شيئاً في خفية من الناس.

(٥) أي حل الأزمة وانفراج الشره.

عندهم رتبة، وخرج من البيت صاحب البيت النقيب لحاجة إسماعيل الشاوش، فلما سمع البيعة رجع بيته فظنه الرتبة أنه من أهل الهيعة^(١) فرموه وقتل باب بيته، وانتهبوا بيت الشوكاني، وثارت الحروب من كل جهة، وأصحاب عباس الذي في بستان السلطان أفضعوا في هدم الدور وخراب القصور، وهدموا المفارج [في بستان السلطان]^(٢) الذي غرم فيها المهدي عبد الله ومن قبله لكوك كثيرة، وكان يضرب بها المثل ويتحدثون عنها في الشام واليمن وكل^(٣) من وصل إليها من الذين كانوا يجو عند الخلفاء السابقين من الأقطار النائية ما يروهم^(٤) إلا مبهوتين، وما كأنها عمرت يَد بُنَّا إلا أنها خلقت هكذا فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وباعوا الأخشاب والأبواب والطاقت والأحجار والزجاج والبلور بأبخس الأثمان، وفعلوا الأفعال القبيحة مما لا يسع حصره من تكسير الأكشاش والسرر والناموسيات الذي يقعدوا عليها الملوك، وهدموا الحُمَام العظيم، وفي آخر الكلام أخبرني من سمع أن سيدي عباس بن المتوكل وأصناه^(٥) أحسن وحسين كانوا يكسروا المرايا حق الطاقت والقَمَرِيَّات، ويقولون^(٦) يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وما هو منهم إلا حسد لمن بعدهم، وحيث لم سبر^(١) لهم الأمر وآل الأمر إلى المصالحة عَقَد الصلح النقيب علي بن حسن الهمداني على خروج سيدي عباس بشيء من المال لما فيه من الإفلاس، وعدم محبته في قلوب الناس، وحوزته في صنعاء لأنه تَخَرَّب عليه النظام عند وصول الهادي، وخرج بقبايله همدان وسنحان وخولان من باب خزيمة، وتفرقوا كُلا بلاده، وقد وقع سلب ونهب وقتل، ولقد أجاد أهل صنعاء مع الهادي بقدمهم معه مرتين، المرة الأولى إلى الأَبْهَرِ لحتى خرجوا أهل الأَبْهَرِ تلقوهم بالعقاير، ووقع الفلس والكسر والنهب في أهل الأَبْهَرِ وحق بيت الشاوش وبيت الشوكاني نهبو ما فيها، لحتى قربوا لطاعة الهادي غالب وعقروا والثانية إلى دار الجامع وفلسوا وكسروا وخربوا ونهبوا لحتى قرب للطاعة أهل تلك الجهة، وراح فيها نحو عشرة قتلى، وأما السيد محمد الشامي، فلم يدخل في الصلح لحسن ظن المام^(٦) به لما

(١) الهيعة: سق وكأنه هنا معنى أنه من أصحاب الحرب المشاركين.

(٢) زيادة من الهامش.

(٣) خ كلمس.

(٤) أي ما يروهم الناس إلا مبهوتين.

(٥) أصناه إخوته.

(٦) كذا يأتي لفظ الإمام عند المؤلف وقد أصلحناه في كل المواضع.

بينهما من الوزارة، وبقي في نوبة السحولي وهو قليل أشرار عنده، فأخاف السبيل وقطع الطريق من باب اليمن، وقتل النفس المحرمة كما هي عادته، وأفسدوا جند الخليفتين وفعلوا أخس من فعل كل باغي والسبب عدم ضبطهم، وبَلَّ قد هي عدم قدره عليهم، وسَيَّدي الهادي بعد خروج سَيَّدي عباس أظهر النخوة وسَيَّدي أحمد السيف حقه تغيَّرت نياتهم، وخبثت ضمائرهم إنها قدرتهم ولا يعلمون أن الله فَرَج على عباده بسبب رجوعهم وابتغالهم وتضرعهم إلى الله، وخلوص نياتهم، وصلاح طوياتهم، وجمعوا المام وسيفه أكثر أهل صنعاء إلى الحبس، والقضاة والحكام، وصادروهم مصادرة من لا يخشى العقوبة، وعَيَّنوا عليهم أموالاً، ومن سَلَّم ما عَيَّنوا عليه بقي في الحبس سالم، والذي لم يسلم وكُلوا به أبو زيد التركي، وبَقَّوهم^(١) لديه للربط والضرب بالسَّياط، وباقي النَّاس هربوا البوادي خَوْفاً من ذلك، وأمر الهادي بأخواب دور كثيرات شامخات من ذلك بستان السلطان، وقد كان شرع فيه من قبله، وزاد هو ما حواه البستان، وبيت الفقيه حسن التَّاج الطبيب حق سَيَّدي على الخليفة من قبله، وبيت الأرياني وزير والده، ودار المحدادة، ودار الحاج فتح، ودار القاضي حسين بن أحمد الحرازي في بئر العزب، وآل الأمر إلى نوبة السَّحولي خارج صنعاء، ونوبة الغريب، وأمر الهادي في شهر شعبان بخراب دار الذهب حق سَيَّدي الجمالي علي بن المهدي، ولما شرعوا في خرابها وأخذ بعض نجارتها^(٢) وصَلَّت كتب من هَمْدان فيها إرعاد وإبراق كون سَيَّدي علي عندهم، وهم يحبُّوه فتوقَّف وأمر برد ما قد كان أخذ من النجارة، وحول بيت سَيَّدي عباس المؤيد لأحسن ناصر الجوفي/ وأمره بهدمه، ولم صدر من سَيَّدي عباس في خلافته ما يوجب إلَّا كل خير، ولكن لتعيُّهم وطَّعم الحرام، وفيها عدمت المصروفات، وغلت الأسعار، والسبب صَرَف القرش لأن القرش كان صرفه ناقص يصحَّ ثلاثين مئة حرف ست مئة كبيرة^(٣)، ولما ضرب سَيَّدي الإمام قبلها من الدَّمي الذي هي صنعة بقَبال^(٤) كثير يسلمه الهادي ففعل القَبال وعشرة أمثاله عشاً فيها حتَّى انتهى الصُّرف للقرش خمسة وستين مئة حرف، ولا زال الدَّميون يغشوا المسلمين، حتَّى بلغ الصُّرف في آخر الشهر مئة مئة وعشرين مئة بزيادة ثلاثة أرباعه، وعدم كل شيء، وهذه المئة المئة عن الكبائر أربعة وعشرين مئة كبيرة

(١) أبقرهم.

(٢) أخشابها.

(٣) من العملات في ذلك الوقت وهي أقل من الحرف.

(٤) أي بما يقابله من الذهب والفضة.

لأنها كانت الكبيرة تسمى الخمسة الحروف كبيرة، والقبائل ما يعرفوا إلا حساب القرش والنصف والرّبع بالكبيرة، وأهل صنعاء بالحروف، وسَيّدي قصده من دراهم من الذميين بلا شيء، ولم يتموا المسلمين أو يذهب الإسلام ولم أحد سطي^(١) ولا قدر ينهي المنكر لتسلطهم على الجميع عالم وجاهل^(٢).

وفي شهر شوال نقل سيدي غالب بقية ما في القصر من بقايا ما خلفوه الخلفا السابقين إلى الروضة وكذلك أهله إلى الروضة وزعم أنه يريد يدخل بربط ينكف، على القبائل وفي شهر رمضان توفي السيد عباس مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد وكان عالماً فاضلاً يحكم في أيام المهدي عبد الله وعمره نيف وسبعون سنة.

وفي شهر شوال: تحرّك المتوكل سيّدي علي بن المهدي بوادي ظُهر بعد سكوته ورجوعه من يريم كما تقدّم، وأشعر أنه باق على دعوته الأولى، وقد كان أضرب فما أظنها إلا دعوة خامسة والخامسة: والآتية هي السادسة، وشاع ذكره ذلك في الأقطار وحضر همدان جمعته وجماعته، وخالفهم أهل قرية القابل، ولما تيقن الهادي صحّة ذلك تجرّد لما قد كان أهم به من النكفة عند قبائل ذو غيلان وسائر قبائل حمير وبكيل وخولان، وأرسل النكف إلى القبائل وخرج بعصابة يسيرة من الخدم والفرسان جهة برط، وسلك طريق أرحب ووعدوه بالنصرة، وكاتب حاشد ولقيه جماعة ووعدوه بالنصرة إلى خروجه من برط، وسلك طريق الجوف حتى وصل برط ورّحبوا به وأضافوه وعجبوا من وصوله إلى عندهم لأنهم لم يعرفوا وصول أحد إلى جهاتهم من صنعاء المحمية بالله، من بعد الإمام المهدي أحمد بن حسن بن القاسم ولم يزل ينتقل في بلاد المحمدي والحسيني^(٣) وهم يضيّفوه ومن معه وتزوج بامرأة من بني البحر، ووافى عيد الأضحى وهو هنالك، واجتمع أهل تلك البلاد من أقاصيها ودانيها للمفاوضة والمدابرة في شأنه، فأجمع رأيهم على أنهم يكتبوا إلى من بقرب صنعاء مثل خولان وحاشد وأرحب وإنهم وسفيان: أنهم قد أجابوا الهادي إلى مقصده وإنهم يريدوا إصلاح أحوال الرعايا وإرجاعهم كما كانوا عليه لأنهم قد تغلبوا وتمنعوا ولبسوا السلاح وأظهروا البغي والفساد، ومنعوا

(١) أي نجاسر.

(٢) وفي حالة الضريبة وغشها في ذلك الوقت يقول القارة:

كلهم قاموا بنغير ركب من ملك رطلين نحاس ضرب
والوقيد قالوا كبا وقصب وقشاش، لا إله إلا الله

(٣) أي ذو محمد وذو حسين.

الحقوق التي كانوا يعتادوا تسليمها، وقد كان سبقت نكف الهادي إليهم قصدهم بذلك سيدي أحمد بن عبد الله شوع الليل سيف خلافة الهادي، ونحر البقر في أسواقهم، وكانوا قد وعدوه بإجابته للنكفة في ظاهر الأمر، وفي باطن الأمر منتظرون بكيل ما يصح منهم، وكل القبائل متابعون لهم.

وفي آخر شهر الحجة خرج الهادي من برط راجعاً يقود القبائل من ذو محمد وذو حسين والمشارق، وتوجّه طريق المرايش وبلاد سفيان، وخرجت قبائل المرانات وسفيان مع الهادي، واجتمعت إلى خَمَرٍ وكل قبيلة لا تريد الصلاح، وإنما قصدهم الفساد والنهب والسلب.

لا ينظرون صلاح الدين والدنيا وإنما يقصدون صلاح أنفسهم ولا ينظرون محقاً إلا لما في يده «إن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون» وقد تقاسموا أرض الله فيما بينهم وصاروا يطلبون الزيادة، واقتسموا فريقين، فسلك فريق ذو حسين وأرحب طريق ذيفان لمأرب في نفوسهم، وفريق ذو محمد وحاشد طريق السود غربي بلاد عمران وطرحوا في جبل عيال يزيد ووقع بينهم وبين أهل الجبل حرب وسقط قتلى من الجهتين، وحزّت روس تسعة، وأرسل بها الهادي إلى صنعاء وعلمت في القصر، ولما علم أهل الحوازات فصنعاء المجاورين لها أيقنوا بالهلاك، واجتمعت نهم وخولان وبني جبر إلى خارج صنعاء، وكتبوا إلى الهادي بأنهم باذلين نفوسهم يأمرهم بما يريد فجوب عليهم يتوجّهوا مع سيف الخلافة سيدي أحمد عبد الله شوع الليل نحو بلاد البستان وبعض همدان المطرف مثل ريعان ومسيب، والبلاد التي تَهْمَدَنْت، وكانت بستان^(١) فتوجّهوا وثار الحرب، وهزموا جند الإمام، ثم تثنوا على همدان وهزمهم، وحزّت منهم خمسة رؤوس، وأرسلوا بها إلى الإمام وانتهبوا خرابة محيب، وكاتب رئيسهم إلى مشايخ حضور فأقبلوا طائعين وسلّموا ما قالوا.

ودخلت سنة ١٢٦٩:

توجه الهادي إلى عمران ودخل المدينة هو وخواصه، وسرى الفساد في البلاد من الجند، وذلك أن أرحب دخلوا بيوت في عيال سريح يحفظوهم من معرة الجيش، وقبائل حاشد وبكيل صالحوا أهل عمران على مال يسلموه لهم ويحفظوهم، ويقعوا في حفظهم من الإمام والقوم، فصَحَّ أن كل أحد يقصد غرض

(١) أي دخلت في ولاء همدان وكانت من أهل البستان أي من بني مطر.

نفسه ومصلحته، فتخرب النظام على الدولة وخالفوا ما وقع الإجماع عليه.

وفي آخر محرم توجه الإمام من عمران، وعَمِلَ فيها حسن بن محسن الأنسي، والقول للشيخ مقبل الصُّغَرِيّ عمران وبلادها، وطلع مدينة ثِلا وأخرج الرُّتبة من الحصن الذين وضعهم النُّقيب علي الهَمْداني، وفَرَّقَ على البلاد دراهم وطعام وغنم وعلف وتوجّه الإمام والقوم على مقصدهم، وهو وادي ظهر وطَّيبه مسكن الهمداني، وسيدي علي بن المهدي، ووصل إلى الإمام من هَمْدان المجاورة لثِلا ناس وسلّموا ما عين عليهم، وقبلوا الخطاط^(١) إلى لولوه^(٢) وطرح الإمام في بيت نعم في المطرح، وأما أهل الحصن حَقَّ بيت نعم فبدؤوا بالحرب، وبعد صالحوا نفوسهم، ونزل الإمام إلى القرى الذي حول الحصن، وأجمع رأي قبائل من همدان ومن جند الإمام على الهجوم على الوادي، فلم يشعر أهل الوادي إلا بالقوم، فما وسعهم غير الفرار، وقد كان نقلوا من أمتعتهم ومواشيهم إلى طَّيبة وسَيِّدي الجمالي كان بدار الحجر/ولما سمع بأخذ أعلا الوادي انتقل إلى طَّيبة وأهله وولده، وترك أكثر ما يملك في دار الحجر وثوقاً^(٣) بمن فيها من الرتب الذين وضعهم النقيب علي، وكذلك أهل صنعاء، وأهل الوادي تحصَّنوا في طَّيبه، والقاضي أحمد الشوكاني سَبَقَ إليها قبل الناس بشهر، وحالت الرصاص بين أصحاب الإمام ودار الحجر، والرصاص من طَّيبه، وسيدي أحمد عبد الله شوع الليل أقبل من حضور، طرح في أسفل الوادي، وأخذ حافة إدريس، وأحاطوا بطَّيبة كأحاطة العصاة بالرأس والخنصر بالبنصر، فأيقنوا بالهلاك، وضاق بهم الحال، وداخلهم الرعب والفشل، وضافت طَّيبة بنفسها من شدة إزدحام الخلق فيها، لأن ما بقي ماء يشربون لكثرة الخلق، فما وسع الهمداني غير بذل الأموال لذو غيلان، وقد كان في ذلك الزمان قارون وتلاحق القوم وأجبروا الإمام على الصُّلح لأن ما قد قبضوا المال دراهم كثيرة فما وسعه غير القبول، ونزل سَيِّدي علي بن المهدي والقاضي أحمد الشكاني وعبد الله بن ناجي الهمداني إلى عند الهادي، فلما رآه سَيِّدي الجمالي ضَجَّ بالبكاء، قيل إنه على ما ذهب عليه في صنعاء ودار الحجر، وتلقاه الهادي وسَمَّحه من دم أبيه المتوكِّل الذي قتله في فتنة التُّرك، وصالحه على إرجاع صوافيه، وضمن عليه القبائل في سلوكه، وضمنوا على النقيب علي الهمداني في الطاعة ووجّه ذو

(١) هو أن ينزل الإمام بجنده وبرغم أهل الناحية التي ينزل فيها هو وجنده على إضافته.

(٢) سيأتي ذكره في معجم البلدان الملحق بالكتاب

(٣) أي ثقة منه.

غيلان بالرهائن كل رهن ولده في الظاهر، وأما الباطن فلم يكن ثم رهائن وإنما القبائل قد أظهروا الخداع والمكر، ولكنها الطاف اللطيف حلها على المسكين والضعيف، وأهل القرية قد كان أحاطوا بدار الحجر من قبل الصلح وقطعوا نصف تالوقة^(١) سوق الوادي لما بينهم من الشحنة القديمة والضعفان، وانتهبوا ما في الوادي جميع، أولاً شرعوا فيه أهله في حق أهل صنعاء، وفي ذهبنهم أن سلم الوادي ردهم وجروا من أهل صنعاء أجرة نقلهن، وأن تلف فقد أخذوا نصيب، فلما تلف بسطوا على ما قد كان أخذوا القبائل، أخذوا البقية مما في البيوت، وبعد أخذ الأبواب والطاقت والشريعة^(٢) حق الأعناب. وأشهد أنا أن الأبواب الكبار الذي لا يقدر على حملها القوم حرقوها وأخذوا حديدتها، وأما العنب فأكلته القراش وداسوه بالنعال^(٣)، ولم قد رأيت العنب صلح مثل هذه السنة في السنين السابقة، وأمر سيدي الهادي بخراب دار الحجر، وأخذ أولاً ما فيها من النفائس حق سيدي علي والفراش والنحاس، والقبائل أخذوا التجارة والبلور والزجاج والصيني، وحاصله أنها طامة خرجت للوادي، ولكنه قد كان قابل قبول ما أحد يعرفه من قبل، وكأنه إلا جنه وبعد كل شيء غيره.

وأهل ضلاع صالحوا^(٤) أنفسهم بمال، ولم ينلهم سوء وتوجه الإمام [إلى] الروضة، ونقل أهله وأولاده، وما قد جمعه إلى صنعاء إلى دار الطواشي^(٥)، وأهل بني الحارث دفع عنهم سيدي أحمد عبد الله شوع الليل كونهم بطانته، وكونه ساكن بينهم، وما كان أحقهم بالعقوبة/لتماديهم على البغي والفساد.

وفي شهر ربيع أنزلت قبائل ذو محمد ومن تابعهم وتوجهوا اليمن في مقاسمهم، ورجعوا للبغي والفساد وذو حسين انتهضوا من وادي ظهر، وقد كان أمر الإمام ببقائهم في بئر العزب هم وسائر القبائل حتى يتوجه إلى مقصده، وأمر أهل بئر العزب وقاع اليهود بالتفريغ، ونقلوا ما معهم إلى صنعاء، وذهب البعض، وبعد

(١) شجرة كبيرة تقع في وادي ظهر وفي معجم أسماء النبات ٨٣ التالق هو شجر الجميز.

(٢) هي الأخشاب التي ترفع العنب عن الأرض.

(٣) النعال.

(٤) أي دارو دافعوا على أنفسهم بمال.

(٥) يقول الواسعي في فرجة الهموم والحزن ص ١٣٩ ط ثانية أينما ذكرت الدور في صنعاء التي يسكن فيها الأئمة فالمراد بها القصر الخاص بالملك وحاشيته وإسم آخر في هذا الزمان بالسرايا والدور المشهورة بصنعاء الخاصة بمقر الملك دار الطواشي، دار الذهب، دار بستان السلطان، دار المحدادة، دار الجامع وغيرها وإن كانت الآن قد هُدمت.

راجع الإمام العقلاء وأخبروه أن إذا دخلوا المدينة أفسدوها، فرجع عن ذلك، وقد أصابهم بكشف أحوالهم وما معهم وذهب عليهم شيء كثير وطرحوا في نقم وظبر الخولاني، وفرق على بلاد البستان سبعة آلاف قرش، ووازر محمد العفاري، وقبض على السيد محمد الشامي، وكان هو المتولي لمصادرة أهل حضور، وعزل سيدي علي بن عباس عن الحكومة الكبرى، وولأها القاضي أحمد محمد الشوكاني، والقبائل حول صنعاء يَنْهَبون ويقطعون السبيل، ويطلبون خروج الإمام لقصد نفوسهم للبغي والفساد فخرج الإمام إلى حدة، وأصلح أهلها، وعيّن عليهم شيئاً من المال، ونقل أرتل، وأدخلوا الإمام وأصحابه للضيافة، فوثب كل منهم على البيت الذي هو فيه، وأخذوا الطعامات والأمتعة والمواشي، وجميع ما يملكوه فيها، وأدخلوا أهلها حبس صنعاء، ولا ذَنْب لهم إلا ضيافة الإمام وفتح بيوتهم، وأهدروا أهل قرية شفت وسرى البغي، وصالحوا سَنحان على شيء من المال، وتوجّهوا بلاد أنس. وَوَضَعَ عليهم من المال، ثم توجّه دمار وحطوا خارج، ونهبوا وقطعوا السبيل ذو محمد، وقبض علي عامر البخيتي وعتيق المقدشي وحبسوا وصودروا، وهلك المقدشي في الحبس، وجاعوا القبائل وتفرّقوا ورجعوا خائبين [إلى] بلادهم بسبب بغيهم، وبقي الإمام في دمار، ولم يبق معه إلا نفس يسير من التوابع.

وأما سيدي علي فإنه توجه إلى حجة مع النقيب يحيى بن يحيى الشايف في ذهنه باطناً يلقي قبائل عسير ينتصر بهم لما قد لاقاه من الرعايا، وقد تقدّمت المكاتبة بينهما ووعدوه بالمناصرة، ولم يتم شيء، وأما الهادي فبقي في دمار أياماً، وبعد قطعوا وأهل الحداء الطرق وأخافوا الناس بسبب حبس علي عامر البخيتي، وأطلق على شيء من المال، وارتحل الإمام على سر خفي النهار، وما صَلَّى الظهر يوم ثاني إلا في صنعاء تاسع جماد آخر، ووقعت بينه وبين سيفه شوع الليل وحشة، وخاف سيدي أحمد على نفسه لما قد ألقى الناس إلى الإمام من الشحناء، وكتبه الإمام إلى الروضة يدخل فلم يسعد فكان [أن] خرج إليه بنفسه، وكلما ذكر له الدخول اعتذر، وقد ألقى الناس في ذهن الإمام أنه قد كاتب سيدي أحمد هاشم المنصور المتقدّم وفرح الشيعة وتشجّعوا برجوعه، وأشعروا بذلك، وخولان والسيد محمد الشامي يسعون في إقامته ويفسدون الرعايا حول صنعاء، وما قد كفاهم ما وقع بسببهم، وهلاك ما بقي في بيت المال، وهدم دور الخلافة، وعبر ذلك ورَدَّ الإمام للشامي القطع حَقُّه، وسكنت الضوارب، ودخل سيدي أحمد عبد الله شوع الليل صنعاء بموكب عظيم، وبقي في بئر العزب في سبع وعشرين رجب سنة ١٢٦٩ هـ.

وفي سابع شهر رمضان خلع نفسه سيدي غالب من الخلافة، وطرحها طوعاً وتَنَحَّى عنها لسبب ما بينه وبين سيدي أحمد شوع الليل، وفي ظاهر الأمر الصداقة بينهم، وفي باطن الضغائن، وبني الحارث وأهل الروضة إلى سيدي أحمد أميل، وطلع/سيدي غالب القصر، ودخل دار الذهب حسب عادته، وهو مستصحب السلامة وإذا برتبة سيدي أحمد عبد الله شوع الليل الذي وضعهم في دار عامر قد حاصروا الإمام الهادي غالب بن محمد في الدار العليا دار الذهب.

فعجب من ذلك وكتب إلى سيدي أحمد شوع الليل الذي كان سيف خلافة معه إلى الروضة فوعده [با] الدخول، وفي عشية ذلك اليوم، أعلن من في دار عامر وهم رتبة سيدي أحمد بخلع الهادي الذي حاصروه، وأشعروا بذكر المنصور سيدي أحمد بن هاشم الذي ذكرنا [هـ] آنفاً، وظنوا أن من في صنعاء من شيعته سيتابعوهم، فلم يمكنهم من الخوف، وأخذوا مفاتيح أبواب صنعاء انتهبوها من باب القصر كما هي العادة أن مفاتيح صنعاء لا تبث إلا في القصر عند الأمير ويقبضوها يوم ثاني بعد الفجر، فأصبح الصُّبح والأمام محصور، والمدينة مغلقة والناس في حيص بيص، لما هم فيه من الشدة وغلاء الأقوات، ويوم الأحد دخل سيدي أحمد من الروضة ووصل إلى بيت فايح في صلاح الدين، واستدعى سيدي غالب إليه فنزل وشكى عليه ما وقع من الكلام الفاحش والسبب له من سفهاء العسكر، وآلا على نفسه أنه يتنحى عن الإمامة، وشرط لنفسه مشاريط، وشد جميع ما في دار الطواشي، وخرج من فوره بأهله، وفتحت أبواب المدينة في اليوم الثاني، وكانت مدة خلافته سنتين إلا عشرة أيام. وقام بالأمر سيدي أحمد حتى ينظر ما يصلح لنفسه وللناس والقيام لموكله، ولم يشعر بلقب ولا دعوة إنما كفل صنعاء حتى يقوم قائم، وخطب الخطيب في منبر صنعاء لما اختاره الله، وعند الويسية^(١) بأن القائم بالخلافة أحمد بن هاشم، ونفدت الحجوزات للزكاة إلى البلدان، وكان مريضاً يدعون شيعته أنه مسموم والله أعلم. قال المؤلف وما أظن إلا أنها إصابته دعوة ممن وقع فيهم ما وقع في أيام خلافته.

وفي يوم السبت عشرين شهر شعبان^(٢) توفي في دار أعلا، وهذا من فرج الله على الناس وعليه، وقد قدم على ما أسلف من خير أو شر، تغمده الله برحمته وغفر له ولنا آمين، واستمر سيدي أحمد شوع الليل إلى شهر شوال، وشاعت الأخبار في

(١) أي أتباع أحمد بن هاشم الويسي.

(٢) وفاته سنة ١٢٦٩

الأقطار بأن سيدي العلامة البدر محمد بن عبد الله الوزير^(١) الساكن في السُر من ذرية العلماء الأعلام الفخام، متأهب للقيام بالدعوة والتلقب بالمهدي، ولما انتشر ذلك بادر أهل الدنيا الغافلون عن الآخرة بالنهوض إلى السيد أحمد عبد الله شوع الليل يرغبونه في القيام وتحمل أعباء الخلافة، ولما علم إحتياجهم إليه لمأرب في نفوسهم بثّ مكنون سره وأخبرهم بالواقع، بأنه عامي فاجر كاذب فرضوا به وبإيعوه وأكرهوا من تحت وطأتهم على القول بذلك، وأعلنوا بذكره وتلقب بالمهدي وتخلق بأخلاق الخلفاء وكتب إلى الأقطار وبث دعوته في البلاد وهي تحت أيدي البغاة جميع، ولم يكن له مسلك غير التجارة في رعيته بضرب النحاس دراهم ولا زيادة في الصّرف حتى بلغ القرش الحجر قدر عشرين أوقية نحاس^(٢)، ونال الأمة المشاق بالشدة والغلاء وعدم كل شيء بسبب القرش، وهذا ودعاة ابن الوزير تدرج في الأقطار والرّسائل.

وفي شهر القعدة أظهر محمد بن علي الشامي مكنون سره وفشا أمره أنه داعي للسيد العظيم والشريف الكريم محمد بن عبد الله الوزير، فابتدأ بقبض النوبة الشامخة في الصافية تحت حدة وسناع، وأخرج من كان فيها من بني معياد وهي التي تحت سَناع وحدة، وبعد أيام يسيرة غزا أصحابه إلى الصافية العدنية، وقبضوا النوبة الهائلة نوبة علي زيد لحصار صنعاء، ولما علم أهل الصافية وأهل بئر العزب غاروا من قُورهم، وتبعهم المهدي وخرجوا إلى يد المهدي أحمد شوع الليل، وأدخلهم صنعاء وأمر أحد السوق بضرب أعناقهم، فضربت واغتم لذلك خلق كثير.

(١) هو الإمام العلامة المنصور بالله محمد بن عبد الله بن محمد بن الهادي بن صلاح الدين الورير ولد سنة ١٢١٧ ودعا ١٢٦٩ كما هو مذكور هنا وفي أول صفر سنة ١٢٧٠ أعلن دعوته ثم استقر بقريته في ناحية بني حشيش من السر توفي سنة ١٣٠٧ وفي منافيه انظر كتاب جواهر الدر المكتون للمؤرخ محمد بن إسماعيل الكبسي وقد طبع أخيراً بتحقيق الأستاذ زيد بن علي الوزير.

(٢) بعد هذا الكلام كلام آخر فصله بخط غليظ عن الأول ثم ضرب عليه ولا ندري ما السبب في ذلك وقد تبناه بعد مشقة.

«ولكنها تعد عدداً وما بقي آخرها إلا أكبر من اللّماع قليل والعدد فيها بلغ إلى ست مئة مئة حرف عن كبار مئة مئة كبيرة وعشرين مئة كبيرة صح الثمن القرش خمسة وسبعين مئة حرف عن كبار خمسة عشر مئة كبيرة وما عاد كان بعض الأمور إلا بالميزان وما بقي الناس إلا متفرقين في العدد وإذا قست عشرين أوقية وهي أكبر». ثم كتب تحت هذا الكلام قوله:

«هذا العدد المذكور تحت الخط ما وقع إلا في دولة أحمد الحيمي وأما في دولة شوع الليل فما هو إلا ما ذكر من فوق الخط من أعلا الخط أعرف ذلك».

ووفي شهر الحجة لم يحدث شيء إلا تقوّي سيدي العزي محمد بن عبد الله، وسيدي أحمد يتنقل من صنعاء إلى الروضة والعكس، والشدة كائنة في صنعاء، وأما سيدي غالب بن محمد بن يحيى فبقي في الروضة إلى رمضان وتوجه [إلى] حفاش وتلقوه أهل حفاش بالسُّمع والطَّاعة واستخلصه^(١) بنفسه هو وملحان.

ودخلت سنة ١٢٧٠ جمع السيد محمد الشامي غوغا من الشيعة إلى سناع وأعلن بدعوته للسيد محمد الوزير، وتلقب بالمنصور، وهو باقٍ في وطنه في السُّر، ودخل شردمه إلى بئر العزب قوم وأمنوا الناس، وقبضوا النوب الغربية، وتبعهم ناس من عند الشامي، فلما علم بهم المهدي خرج بجماعة من آل جهم زهاء ستون رامي، وعصابة من التوابع، وأخرجوا المدفع الكبير وأخرج المال من الذي جمعه من ضربته المشومة، ودارت الحرب من ضُحوة النهار إلى نصف الليل، ولقد أبلغ آل جهم النصيحة الذي ما عليها من مزيد، ووقع قتلى من الجهتين، ولما علم أصحاب المنصور عدم القدرة على البقاء خرجوا من الجهة الغربية، ورجعوا سناع من شدة الحصار فما وسعهم غير الفرار.

وفي عاشر محرم سنة سبعين، جمع المهدي جموعه وقصد حصار السيد محمد الشامي إلى سناع وحده، واستولا على بيت العفيف، واجتمع أصحاب المنصور إلى سناع وحده وجاهدوا في الله حقَّ جهاده ووقع بينهم وبين أصحاب المهدي وقعات، ورماهم بالمدفع يوماً بعد يوم، وأنفق أموالاً كبيرة مما جمع من حقَّ العباد واستمر ذلك إلى شهر صفر، ورجع المهدي على عقبه، واعتذر أن أصحابه خانوه، ورجع صنعاء منفرداً وظن أصحابه عوده، وجلس يومين، وخرج أدخل بقية أصحابه الرتب وأدخل المدفع ورجع، وتقوى أمر المنصور بهزيمة المهدي، ونشر المنصور دعوته، وطلعت شمس بدره، ولاح في الأفاق عزّه ونصره، ودنّت الدولة المهدوية للأفول والغروب، وكانت مدة خلافته خمسة أشهر وثلاثة وعشرون يوماً، ذكر مولانا الإمام العظيم والسيد الأفضل الكريم بدر الإسلام وزينة السادة الأعلام من جمع بين محاسن الصفات ومحامد السمات المنصور بالله رب العالمين محمد بن عبد الله ابن محمد بن هادي بن صلاح بن هادي بن عبد القدوس بن محمد بن يحيى بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي إبراهيم بن علي بن المرتضى بن مفضل بن منصور بن محمد العفيف بن مفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن الإمام الداعي يوسف بن الإمام

(١) واستخلصته (في الأصل).

المنصور بالله يحيى بن الناصر بن الإمام يحيى بن الحسين/ قام داعياً هذا الإمام العظيم أيده الله داعياً من وطنه وادي السر وتابعه خلق كثير، قام غايراً لله على العباد والبلاد، وقد انتشر الطاغوت في البلاد وتمسكوا ممن تقدم قبلهم بشبه باطلة: إقطاعات لا أصل لها ومنعوا حقوق الله، وأراد أيده الله تدارك ما فات أو كاد أن يفوت، فخرج من بلده عقب الدعوة، وقد اجتمع إليه من المجاهدين زهاء مئة رجل أو زيادة، حتى وصل القوسي، ولم قد فتح الحصن لا أحد من أيام الهدي عبد الله بن أحمد الذي جدد بناءه كما تقدم، وتوجه إلى الضبعات. بات ليلة والثانية في سناع، وتلقاه السيد محمد الشامي، وأهل تلك الجهات بما يحق له، وتزاحموا على بيعته وبايعه خلق كثير من أهل صنعاء سرّاً.

وفي يوم سادس شهر صفر أجمع رأي أهل صنعاء على قبض الأدراك حق المدينة، وأخرجوا من كان فيها من رتبة السيد أحمد شوع الليل المهدي المتقدم، وحاصروا من كان في القصر حتى أخرجوهم، وأوقدوا النيران، وأشعروا باسم المنصور، وكان شوع الليل في الروضة، فأغار إلى شعوب فلم ينفعه حذر، واستولى أهل صنعاء على مدينتهم، وعقلوا عليهم الحاج أحمد بن أحمد الحيمي السويدي [وهو] هو ممن سكن صنعاء وأتجر فيها، وكان فيما مضى في الحيمة وانقادوا لأمره، وحفظوا الأدراك وأشهروا الأسلحة، وأخرجوا التوابع بالكره، وأمنوا على أنفسهم وعلى المدينة منهم فقد وقع لهم كل كريهة من المكر والخيانة، وبيع الأدراك وعدم النصيحة للخلفاء.

وفي اليوم الثالث دخل من لدى الإمام السيد الهمام علي بن محمد عثمان، وبعض الشيعة، وأقاموا في دار الطواشي يدعون الناس إلى الخروج للبيعة، وخرج العلماء والأعيان إلى حدة وبايعوا الإمام على الشرائط الشرعية والرفق بالرعية وصلاح النية.

وفي يوم ثامن عشر من شهر صفر دخل الإمام صنعاء المحمية بالله وقت صلاة الجمعة وقصد الجامع، وصلى الجمعة، وخرج إلى دار الطواشي.

وفي اليوم الثاني طلع القصر، وأقام في دار الذهب، وواجه وطلب جميع الأعيان والسادة والعلماء والحكام، ووعظهم وأوجز وأغلظ وتغنّت وتعتّب عليهم فيما مضى، وأجاب عليه سيدي العلامة البدر أحمد بن زيد الكبسي بما فيه كفاية وقطعاً للرجع وأبقى الحكام على عاداتهم، وحاكمه القاضي العلامة أحمد بن إسماعيل

العلفي، وفعل نائباً له السيد أحمد بن محمد بن عبد الله الكبسي^(١) وقصد الإمام الخروج للجهاد وصلى الجمعة في آخر صفر في جامع صنعاء ووعظ الناس بعد الخطبة وأطال الوعظ، وصلى العصر وخرج إلى حدة، وأقام بها أياماً إلى أن شهِر ربيع وسماها وكر الجهاد، وأتوا إليه أهل حضور، وعزم للجهاد لأجلاء البغاة الذين تملكوا الحيمة، وبات في متنه، ووصل إليه أهل البلاد، وشكوا من تغلب البغاة على بلادهم، وأجابهم بما طابت نفوسهم، ونقل إلى يازل، وهو أول قرية من الحيمة، ووصل إليه بعض أرحب وخولان، وطلبوا المغلّبات وتفرغ الحصون، فلم يسعدهم الوزير، وتقدم وحاصر من في الحصون والمعازل وكل من خرج وقع له شيء من المال، ويفرقها الوزير على تلك القرى المجاورة ولقد أجاد أهل الحيمة في بذل أموالهم وأنفسهم للجهاد، وإخراج أهل البغي، وقذف الله في قلوبهم الرعب حتى أذعنوا، وخرجوا منها أذلة وهم صاغرون، وآخر من سلم الحصون الشامخة والمعازل الدافعة النقيب علي بن أحسن الهمداني، عاقل همدان وكان متغلباً على بني النمرى/ في الحيمة وسلمها طوعاً وكرهاً.

وفي خلال ذلك وقع السيد محمد بن علي الشامي الوزير بأهل عصر، وأخذوا القرية الخارجية، وانتهبوا ما فيها من أمتعة وسلاح وطعام ومواشي وصادرهم مصادرة على قدر بغيهم، وكان مدة جهد الإمام في الحيمة من شهر ربيع إلى آخر شهر رجب، وصلحت أحوال الحيمة، وأخرج من كان في حصن مفتح، وسلم أهل البلاد أموالاً كبيرة، وباعوا أحسن ما يجدوه، ونالهم مشاق عظيمة لأن الوزير كان يصالح البغاة بالأموال الجزيلة، ويجبر على أهل البلاد في تسليم ذلك، وأكثر الجهاد والحرب عليهم، والقتل منهم أكثر من غيرهم، ووصل الإمام إلى عرّ الحيمة، وأكثر بقائه فيه والوزير والمشايخ والقوم ينازلون البغاة حتى أجلوهم.

وفي هذه السنة من شهر جماد شاعت الأخبار في جميع الأمصار أنه خرج رجل في قرية ظبوة في سحان من القبر، ودعا أخاه وأباه وقت المغرب، وأدخله إلى بيته وأخبر بأخبار عجيبة، وظن من لا عقل له صدق ذلك وكتبوا إلى عند الإمام إلى عر الحيمة وأجاب: أن مثل هذا واقع واستدل بحديث عزيز الذي ذكره الله في سورة البقرة وغير ذلك من معجزات الأنبياء، فقوي أمره واجتمع رعاي الناس وأولموا ولائم كثيرة في بيت الذي ادعا هذا الشيطان أنه ولده، وكاد الناس أن يقطعوا

(١) من أفاضل العلماء، ولد سنة ١٢٣٩ وأخذ عن جمهور من العلماء وإليه انتهت رئاسة العلماء من مؤلفاته شمس المقتدى في المنطق وغيره وسيأتي ذكره مراراً توفي في سنة ١٣١٦ (انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ص ٥٠١).

بصدق الخبر، وكان يخبر بأشياء موافقة، وأشياء مخالفة، والناس في هذا الزمان غوغاء لا يدعوههم داعي إلى الغي إلا تابعوه، ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه، فكتب إلى الإمام بعض العقلاء من العلماء بما يبطل ما وهموا وأزال الشك عما ظنوه واستدل بآيات قرآنية، وأدلة شرعية فوق الله الإمام إلى طلب هذا الرجل إلى حضرته لتحقيق خبره، فوجهه بعض المشايخ ومن زعم أنهم قرابته إلى عر الحيمة إلى عند الإمام، وصرفه الإمام عند بعض الخدم فأخرجوا حقيقته، ومنهم من عرفه وتيقن الإمام كذبه وشرارته، وأمر بحبسه فانكشف أنه رجل من السادة الكباسية قد بلغ في الكهانة غاية، وقد سبقت له متفقات، وصل إلى قرية ظبوه فلقية رجل من الحرّاثين من أهل البلد فأخبره أنه يشبه ابن الرجل الفلاني، كأنه هو وأخبره أنه مات في هذا العام، وقد حزن عليه أبواه حزناً كبيراً، وأخبره باسم أبيه واسم أمه وأسماء قرابته، وعرفه ما يملك من الضياع والمواشي، وعرفه بأهل المحل، ولم يزل الكبسي يتردد إلى الحرّاث حتى عرف القدر المحتاج إلى الحيلة والفتنة، ووقف في بعض الضياع إلى وقت المغرب، وقد عرف قبر ابن الرجل الذي مات وحزنه أبواه وأدخل رجله إلى ركبته في القبر، ودعا أباه وعمّه فأجابا، وقالوا: من أنت: قال: أنا فلان ابنكم، فلم يصدقوه فأعاد الصراخ ودعا قرابته بأسمائهم، فعجبوا منه ونزلوا إليه وهو منغمس في القبر إلى ركبته، وسألوه، فقال: أنا فلان بعثني الله إليكم عبرة للناس وتسليّة لأبي وأمي، فأمسكوا بيديه، وأدخلوه بموكب عظيم، وكان يدعي كل أحد باسمه وخبر بالجنة والنار وصدقته من لا يعرف الشريعة وإلا فالجنة والنار لا يعلمها إلا الله بقول كن، ولو فرضنا صحة خبره لتوقف على الخبر من البرزخ وأهل القبور/ونكير ومنكر، والشريعة تمنع من إحياء الموتى قبل يوم البعث فهو الميقات الذي يحشر فيه الناس أجمعين بدليل القرآن في مواضع كثيرة، وأحاديث شهيرة لا يسع المقام بسطها.

ولنعد إلى ذكر الإمام بعد إرتفاعه إلى رأس الحيمة وبعد إجلاء البغاة وتخريب المعاقل وأقام في قرية عيدان، وفي آخر رجب توجه إلى حضور وأقام في مئنة وتوجه الوزير بالجند إلى قرية شعبان البروية، ودخلوا بيوت الرعايا وأكلوا طعامهم، وذبحوا مواشيهم، وحبسوا من أهل القرية جماعة، وعين عليهم الوزير أموالاً لا يقدرّون عليها، حتى باعوا أموالهم وسلاحهم، فحذر منهم أهل (بيت ردم) وقلبوا ظهر المجن، وكانوا من أنصار الإمام، وباينوا الوزير، واستدعوا جماعة من أهل المخلاف، وأجمع رأي الوزير، وعقال القبائل من خولان وهمدان على غزو (بيت ردم) في شهر شعبان، فتقدموا وقت شروق الشمس، وقد دبّروا الحيلة على أن الوزير

وبعض الجند والإمام يقفوا بأزاء أهل القرية، حتى يخرجوا من البيوت إليهم، وبعض الجند كَمِنُوا في الجهة الأخرى، حتى خرجوا أهل (بيت ردم) وقد غمسوا شميلهم^(١) في الماء وتدرَّعوا بها من الطعن، وخرجوا خُرْجَةً رجل واحد، وهم لا يعلمون بالكامينين، ولم يشعروا إلا بالصَّيْحَةِ من ورائهم، وقد أخذت أوطانهم وسكن القوم في مساكنهم، فرجعوا على أعقابهم، وماوسعهم غير الفرار إلى الحصن، وأخذ الجند البلد بما قد جَمَعُوا فيه من بيت المال ومن أموال العباد وأموالهم، وهم يزعمون أنه لم يقدر عليهم أحد، وقد أحاطت بهم أعمالهم وسلَّط الله عليهم بذنوبهم، واستمر الحرب بينهما أياماً وسقط قتلى من الفريقين وحزت من القبائل خُمسة روس وأرسلها الإمام إلى صنعاء وعلقت في الأبواب، وهدم القوم أكثر بيوت القرية، وآل الأمر إلى الصِّلح وارتفع الإمام إلى الحصن، وأمر بهِذْم مآثره^(٢) إلى القرار، وأدخل باب الحصن إلى صنعاء المحميَّة وعَمَرُوا به في الطَّوَّاشي، وكان هذا الباب فيما سبق باب حصن الغراس، وفي بعض الأيام ضَبَطُوا ناساً من أهل (بيت ردم) وضربت أعناقهم في أعلا الحصن، وأوثقوا المشايخ وبعض أهل المحل، وأدخلوهم في سِراة^(٣) الحديد. وحبسوا في صنعاء في القصر، وعَيَّنُوا عليهم أموالاً. وبعد نقل هذا الباب من الطَّوَّاشي رَدَّه المتوكل محسن بن أحمد إلى الغراس في سنة نيف وثمانين وماءتين وألف، وبعد أن أخرجوا التُّرك الغراس أرجعوا الباب وفعلوه^(٤) في العرضي حقهم وكذلك أبواب كثير كبار في العرضيات أخذوها من القصر وغيره، وكذلك أهل بلاد البستان فَرَّقَ عليهم الوزير أموالاً كبيرة وسلَّموها وقبض من القرى كهلاً رهائن وأدخلهم قصر صنعاء.

وفي آخر شهر رمضان، توجه الإمام إلى حَذَّه وأمر الإمام أهل صنعاء بخروجهم إلى ميدان الألف عدني صنعاء وشرقي حَذَّة لصلاة العيد، واجتمع خلق كثير، ورجع الإمام إلى حَذَّة.

وفي شهر شوال توجه الوزير بقبائل خولان وقَصَد سُنْحان، وقد أخذ الناس منه جذرهم، فتوجَّه إلى مَطْرَح سَيَّان، وأمر أهل المَحَاقِرَة والسَّادَة يوافقوه إلى بعض القرى، فخرجوا جميعاً إلى لقائه، وقد كَمِنَ القوم في جهة أخرى من مَزَارِع القرية حَقَّ المَحَاقِرَة، ولم يشعروا إلا وقد تَسَوَّر أصحاب الشامي البلد، ولم يكن فيه إلا

(١) جمل شمله وهو رداء غليظ من الصوف يلبسه القبائل.

(٢) أساساته.

(٣) جمع سره وهي الحبل الغليظ.

(٤) جعلوه.

النساء، وقليل من الرجال، وقتل من في المحاقرة من القوم زهاء عشرين رجلاً، وقتل الذي قد شغل العباد والبلاد القاضي أحمد بن حسين البرطي المتقدم ذكره. ﴿وَمَا رَبِّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ قتلته امرأة، وكان عاقبة بغيه ومكره وخدعه وخيانتة، ولما علم أهل المحاقرة عدم قدرتهم على محلهم تفرقوا في القرى المجاورة، وصاروا غربة^(١) كالذراويش^(٢) وانتهبت القوم بيوتهم وأسلحتهم وأمتعتهم ومواشيهم/وجميع ما في البيوت من الطعام هذا ملكهم، غير ما هو من بيوت الأموال الذي أخذوها حين هَجَمُوا على المنصور علي بن المهدي، حين أقاموا الناصر محاسن ونفائس وأحجار فصوص لا تُعَدُّ ولا تحصر، ولكن الحرام أذهب الحلال وكله حرام من قطع الطرق وغيرها، ولكن أكثر من غنم ما في بستان المتوكل هُم، وأهل جدير، وتلقَّت القوم الزربفت^(٣) والحلي والحلل، والسلاح، والسبايك والمخلص، والذهب، والفضة، والنحاس، والمفارش الروم، والجواهر والفصوص، وهَدَم القوم دورهم، وأوثقوا من بقي في سلاسل الحديد، وقتلوا من الشرائف^(٤) والرجال من قتلوا، وأقام الوزير شهر القعدة في المحاقرة وقد سبق الإمام من حده إلى صنعاء في شوال، والوزير لحق ووافى عيد الأضحى والإمام والوزير في صنعاء، وقد أنفت قلوب الرعايا، وخافوا على نفوسهم من سَطْوَة الوزير السيد محمد.

ودخلت سنة ١٢٧١ :

ونشأت الفتن، فأول ناجم نجم دَعْوَة سَيِّدِي حسين بن المتوكل أحمد، دعا من الروضة، وبايعته السبع القبائل، ووقع إبتداء الحَرْب في شعوب بين أهل شعوب وأصحاب الإمام وأرحب، ولم يقف الوزير منهم على شيء، وقد جَنَحَت الدولة المنصورية للغروب، وتغيَّرت نِيَّات الوزير والأمير، تعللوا الأعيان وبعض الحكام وحبسوا جماعة، فرمواهم بالسُّهام التي لا تخطى، وهو الدُّعاء لأنه ظلماً فسَلَّط الله عليهم الرعية، وخرج الإمام إلى حُدَّة أقام أياماً في أيام ثمارها، ولما علم الوزير بالعجز عن استئصال أهل شعوب، خرج إلى خَوْلان يجمع القبائل، وينكف عندهم.

وفي حادي وعشرني صفر، دخل أرحب وهَمْدَان وَسَنَحَان وبني الحارث بئر

(١) غرباً.

(٢) جمع درويش: لفظة من الفارسية بمعنى الفقير والزاهد والمتصوف.

(٣) سبق شرحه.

(٤) النساء الشريفات المنسوبات إلى ذرية النبي ﷺ.

العزب، وخرج الإمام ووصل صنعاء، وقتلوا من القبائل في قاع اليهود خُمسة وحزُّوا رؤوسهم، ومن أهل صنعاء مثلهم، وأرسلوها إلى عند المتوكل، وتراكت القبائل، ورجع الإمام قبل الظهر على عقبه صنعاء، وقد كان أهل بئر العزب نقلوا ما معهم إلى صنعاء، ولم يبق إلا شَطراً واستمر الحصار على صنعاء من صفر إلى رجب ستة أشهر سنة ١٢٧١ وصادر الناس أمراً عظيماً من إلزام الأعيان والعلماء والسادة من الجِراسة في الدوائر، وتحكم الحاج أحمد الحيمي وعيال السوق، وأصحاب الإمام على الناس، وأذلوا العزيز، ورفعوا الدليل، ووقعت وقائع بين أهل صنعاء والقبائل خارج صنعاء ما قد وقع مثلها، ولقد أجاد أهل صنعاء، وبذلوا رؤوسهم، وحاربوا القبائل حرباً يشيب منها الصَّغير على ما هم مترفين ما يعرفوا ذلك، وتَعَسَّكروا جميعاً، ولم يبق عملهم إلا التَّعْلَام^(١) للزَّوَامِل^(٢) والمغارد^(٣) وهي لطف من الله، فلولا فعلوا ذلك كان الكل هالك، ولكن يحصل من لطف الله، وتَسَيِّدُهم لذلك عاقلهم، حتى أن أكثرهم فعلوا لهم أقبا^(٤) وعَسُوب^(٥) ويعلقوا البنادق في الدُّكاكين، وأما الوزير السيد محمد الشامي، فوصل إلى الظُّبر وتلاشى أمره بسبب عَسْكَرت أهل صنعاء لأنه طَلَب منهم المنصور دَراهم لبني ظبيان فلم يسلموا وقد أهماوا^(٦) بالوقوع بالوزير حقَّة القوم، وأخذوا بعض الخيام، ورجعوا بلادهم، وبقي الوزير في دار سَلَم أياماً ودَخَلَ صنعاء المحميَّة وفي شعبان، وقع الصلح بين الجميع خارجي وداخلي، كبير وصغير، وقاصي وداني، على خَلْع المنصور عن دِسْت الخلافة.

وفي ليلة سادس وعشرين شعبان دخل السَّيد العلامة محسن^(٧) بن أحمد الشَّهاري صنعاء المحمية بالله إلى يَتَّى حاكم المسلمين القاضي أحمد إسماعيل العلفي في الأبهـر. وصبيحة يوم السُّبْت اشتهرت دَعْوته وتَلَقَّب بالمتوكِّل وقد بايعه عقال القبائل، وعقدوا الصُّلح بينهم وبين أهل صنعاء على خَلْع المنصور، وإقامة إمام وخَلْع المتوكل حسين بن المتوكل، وقد كان في داع الخير منتصب إمام، ورجع الرُّوضة وارتفع المتوكِّل سيدي محسن إلى القَصْر ذلك اليوم، ودخل القصر

(١) التعلیم.

(٢) هي أناشيد القبائل وأمازيجهـم.

(٣) جمع مغرد وهو كسابقه.

(٤) جمع قبع وهو رداء مصبغ يلف على الرأس.

(٥) جمع عَسِيب وهو غمد الخنجر معكوف الشكل يرشق وسط حزام يتمنطق به العامة يكون وسط البطن بخلاف الجنبية فهي تكون في الجانب الأيمن انظر جواهر الدرر ص ٥٢٩ لمحققه .

(٦) أي هَمَّوا.

(٧) هو الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد بن محمد وسيأتي خبره.

ودار عامر وخَلَع المنصور محمد بن عبد الله الوزير، وبقي في القصر نحو ثلاثة أيام يجمع للخروج ما قد معه من الخلافة، وخرج من باب سِتران بما معه وخِيَلَه، وكملت البيعة للمتوكل، وفي أيام الحِصار توفي السَّيد العلامة محمد بن محمد بن عبد الله الكبسي^(١) في ربيع. وفي جماد توفي المفتي العلامة الشهير والبدر المنير وإمام المحققين السيد أحمد بن زيد بن ناصر الكبسي^(٢) رحمه الله، ولموته أظلمت الأرض وعمره بضع وستون سنة، وكان للمدافعة عن كل أحد وأحد زمانه، ويقدم على إمام، ويصير مقبول الكلام، بل يلزمهم الحجّة سيما التعللي^(٣) وينزّه جانب العلماء وما ينسب إليهم الجهال.

وفي آخر جماد توفي القاضي العلامة النحرير اللغوي الصوفي أحمد بن علي العمراني، وفيه توفي سيدي حسين بن يحيى ابن مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين بن القاسم، عُقِبَ خروجه من حَبْس الإمام أغروا به أنه ما يحبّه، وعمره ثلاثون سنة وقيل دون، ونرجع إلى ما نحن بصددّه.

وفي رمضان لم يحدث شيء إلا أن أهل صنعاء توالوا على خروج المتوكل سناع من شغلة القبائل بعدما وقع.

وفي ثالث شوال تحرّك سيّدي غالب بن محمد بن يحيى، يقول وهو باقي على دعوته، ولقبه وليس من حين أخرجه سيّفه أحمد شوع الليل، فنهض من الروضة إلى ضلاع، وتبعه أهل الروضة وبعض من همدان ونهض قَدْرُ خمس مائة، وقد وقع التوالي بينه وبين سيدي حسين بن المتوكل، الذي خلع هو والمنصور في صلح فك حوزة صنعاء، حيث لم يتم وعده، ورجع يشاحن، وتابعهم سيدي عباس بن عبد الرحمن الذي كان المؤيد صاحب شهارة الساكن في الروضة، وبعد توجه سيدي غالب إلى حضور وأقام في جبل النبي شعيب، وكاتب الرعايا وأشهر دعوته وأجابه نواحي كثيرة لمحبتهم لأبيه وتوجّه سيدي المتوكل إلى ذمار بعد مبايعتهم لسيدي غالب وقلد عمالة يريم إلى الشَّيخ عبد الله غالب صاحب الأعماس ودخلها، وأما سيدي المتوكل المحسن بن أحمد، فإنه لما تحقّق بذلك أرسل الوزير السَّيد محمد الشامي إلى حَضُور ومعه عصاة، من خولان واستبقوا في البرويّة أياماً، ونهض

(١) من أفاضل العلماء ترجم له المؤرخ زيارة ولم يحدد وفاته (انظر نيل الوطر ج ٢ ص ٣١٣).

(٢) سبق ذكره.

(٣) المتعلل بالحجج الباطلة.

لمناجزة سيدي غالب، وكاد يغلب سيدي غالب لدهايته^(١) وفطنته وخدعه، ولكن غلب عليه خدعه، ونهض راجعاً إلى المتوكل، وذكر أن جنده باعوه وكادوا يأسرونه، ولعلّه ابتاع وأعماله تسوقه، ولما رجع عظم أمر سيدي غالب وتوجّه إلى بيت ردم، وصالحهم أهل بني مطر والبرويّة على دراهم لهم.

وفي آخر القعدة وأوائل الحجّة وافى عيد الأضحى والمتوكل في سنّاع، وعباس بن عبد الرحمن في عمّران عامل من سيدي غالب وسيدي غالب في بيت ردم والحاج أحمد الحيمي في صنعاء، وجميع أهل صنّعاء في يده وكلمته مقبولة لحبة أهل صنعاء له.

ودخلت سنة ١٢٧٢:

والخير مبسوط حتّى أنه وصل سيّغر الطعام البلّسن^(٢) قدراً لا نعرفه في سنيننا من كثرته لأنها وقعت ثمرة زائدة ثالثة، وذرواً في جميع النواحي بلّسن، وكان يقول الغوغا «من حين جاء محسن صلّح البلّسن» همّج رعاع، وقد طلب الوزير الشامي القبائل، فلم يجيبوا وقد جرّت عادة حمير وكهلان أنهم لا ينصرون الأئمة المحقّقين إلا لما يعطوا، وقد علموا أنّ المتوكل ليس في يده شيئاً ولا يرضى بفعل هذا الوزير الذي أهدر بعساكره العباد والبلاد، فتراخوا عن نصرة المتوكل، وقد صارت البلدان بأيديهم، ولعلّ المتوكل قد لا يرضى لهم لذلك إذا مكّنه الله فقعدوا في بيوتهم.

وفي شهر محرم وصل بعض من حاشدوهم إلى سيدي غالب وتوجّه على حين غفلة إلى سنّاع ودخلوا النوبة الذي فوق سنّاع وهي كافله^(٣) للمحل لارتفاعها وتسلّلوا إلى بعض بيوت سنّاع ليلة الجمعة سادس عشر محرم/ووقع بينهم وبين أصحاب الإمام وأهل المحل حرب واستمر إلى نصف الليل ليلة السبت، وأخرجوا بني جبر من الدور التي ترتبوا فيها، وخرج المتوكل من المحل مجرّداً عن الناصب والجازم^(٤) وفر الوزير ومن عنده على أعقابهم، وذاق الوزير عمله، والإمام هو ومن معه توجه [إلى] صنعاء المحميّة بالله تعالى قبيل الفجر إلى باب اليمن، فردّه من في الباب من الرتبة، وقصد باب ستران، فكذلك لم يفتحوا له، ثم إلى باب شعوب، فلم يقبلوه ولا آووه بعد المواثيق بينهم والبيعة منهم له والعهود، فما ذلك إلا شقاوة

(١) لدهائه.

(٢) البلّسن هو العدس. زاد في المخطوطة بخط صغير «ثمانية أقداح بقرش».

(٣) مسيطرة.

(٤) أي خرج بدون متعلقات.

عليهم، وما أظنهم يسلموا وبأهلها لأنها كبيرة، ولكن سيوقع فيها من لا ذنب ولا حجة عليه، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وتوجه إلى وطنه إلى (سعوان)، وأما الوزير الشامي وأهله فدخلوا صنعاء، وهذا أعجب واستولى سيدي غالب على محطة سيدي الإمام المتوكل وأخذوا الخيل وما يجدون من السلاح والآلات، وأخذوا الطهرة المتداولة بين الأئمة وأمنوا أهل سناخ، ولم يذهب عليهم شيء، وما أظنها إلا مخادعة وبيعة لأننا رأينا من العجائب التي تدل على ذلك، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأطاع الناس وتتابعت الجنود إلى مطرح سيدي غالب.

وفي النصف الأخير من محرم من السنة المذكورة أمر الهادي جُنْدَه بالتوجه إلى الحيمة بعد محاولة أهلها وبذل شيء من المال، وأمرهم الشيخ محمد بن يحيى الرميم بالتعصّب والاجتماع إلى طَرْف البلاد للإحالة بين جند سيدي غالب وبين البلاد، وما ذلك إلا لأنه يشتي^(١) يقبض الحقوق لنفسه، ويجعل غالب له آله، وفي الظاهر أنه من عند إمام، وهو بمعزل من الإتمام، ولم يسلم للإمام المتوكل من تلك الحقوق شيئاً، وقد جلس تلك المدة يحاوله ولم يسعد، وبالحال أنه إمام لإمام، وفيه كمال الشروط، ولكن قد بيّنت لكم في هذا المجموع مراراً أن رأس الفساد البغاة والمشائخ وقعت لهم فرصة وصارت لهم مهرة الخدع والمكر، وحب الدنيا، وما أظن أنه يصلح عمل ما دام ذلك وقد رأينا في زَمِنَا هذا الأخير في أيام نقل هذا، ذهبت البغاة الذين كانوا يملكون البلاد تغلباً وصاروا شعباً فأما أكثرهم بغياً «...»، فأهلكهم الله بالقحط والشدة والغلاء وبست أرضهم وجاعت بطونهم، وخرجوا يطلبون في الأقطار، وصاروا عبّرة لأولى الأبصار، وملؤوا الأمصار، وأما غيرهم مثل أرحب وخولان ونههم وحاشد فهم أشدّ منعوا على نفوسهم وغلبوا عدوهم، ونصروا على من قصدهم حيث لم يقدر غيرهم يمنع على نفسه يوماً وهم إلى هذا التاريخ مانعين على نفوسهم، وتركوهم التّرك طوعاً سبعة عشر سنة، ولكنها بسبب من الله سبحانه وتعالى محبتهم لآل محمد ومآواتهم لهم ولا بأس أنهم يبتاعون لحب الدراهم وأما أنهم يتجاروا لذهاب سيدي بينهم فيأبى الله بل أن السيد بينهم يمكنه بمدّ يده ويهتكهم ويتكلم على أكبر عاقل وما يجي منه إليه مكروه فلهذا منعهم الله من عدوهم.

وأما المذكورون معهم من «...» فقد سامتهم الدولة التركية سوء العذاب وخربوا بيوتهم مراراً وقطعوا أشجارهم، وقتلوا رجالهم قتلاً وخنقاً على رؤوسهم الخلائق/وبقت حقّ المشايخ الله يفرج على العباد بإقامة الحق وخذلان الباطل

(١) يطلب.

بحوله وطوله آمين. اللهم^(١) آمين ونرجع وهذا ووقع التشاور بين الحاج أحمد بن أحمد الحيمي عاقل صنعاء وبين الشيخ محمد بن يحيى الرمي في شأن الأول والثاني فإنهم وإن كانوا متباعدين، فإنهم متقاربين وشؤرهـم واحد لأنهم من الحيمة جميع، وعاد أملاك الحاج أحمد باقية في الحيمة، وأكثر أهل الحيمة ما يقولوا إلا بقوله لأن صنعاء محبوبة فسرى حبها إلى حب من سكنها حماها الله، فعندما سلموا للهادي المال وجّه جنوده واقتسموا من ثلاث جهات، وأخذوا في تلك الجهات بعد فعل وقتل فضيع، واحتزوا من رؤوسهم نحو إثنا عشر رأساً، وأرسل بها سيدي غالب إلى الروضة وطرح في الرصة في أعلا الحيمة، وآل الأمر إلى دخول المشايخ وعقال البلاد تحت وطأته، وصالحهم على ثلاثين ألفاً، وقيل أكثر، وهم لا يقدرّون على ذلك ولكن «من أراد أن لا يطاع أمر بما لا يستطيع» وهذا عمل المشايخ ردّ الله كيدهم في نحورهم، ولكنهم لا يفقهون زاداً^(٢) عموا معهم^(٣) الضعفاء بسوء عملهم وقبيح فعلهم، والعقوبة من جنس الفعل والعساكر بعد تلك الواقعة إلى زيادة قالوا في مثل العوام «إنجوا»^(٤) أهل الطمع قال حضروا» توالفوا من كل قبيلة حتى زادوا على سبعة آلاف وملؤوا الحيمة وأكلوا ثمارها، وكثر الفساد منهم في البلاد بقوا يعوثوها^(٥) بغير حكمة وأهل صنعاء مانعون على نفوسهم في طاعة سيدي غالب ويزعمون أنهم باقون على بيعة المتوكل الحسين، وقد ردّوه من كل باب في المدينة بعد وقعة سناع، ولم يأووه وقد فر إليهم كونهـم في منعة، وأكثرهم معترفون بحق الأئمة ولكن الكلمة كانت للحاج أحمد^(٦) والحكمة^(٧) فيها له، وهو الراعي وهم الغنم، وسار الإمام المتوكل إلى سَعَوَان، وبَعْدَ رحل إلى بَوَسَان، وراجعهم شيخ الإسلام في حق الإمام وأنهم فعلوا معصية كبيرة برّدّه من الباب، ولا يسلموا عقوبتها سواء في الدنيا أو في الآخرة، فرجعوا عن سؤمتهم^(٨) وصحّت عندهم هفوتهم، وكتبوا الإمام يرجع إليهم ويدخل صنعاء لديهم، وقد أوغروا صُدْره، وما ذاك منهم إلا خوفاً من سيدي

(١) كذا في عبارات المؤلف رحمه الله ما يخرج عن الوجه اللائق ولولا أن المؤلف له محمل ديني وعظي حيث أنه كان ممن يمتحن الوعظ والخطابة وحرصاً على أمانة النص لكان من المناسب حذفه وهذا للتنبيه فيهم.

(٢) زادوا.

(٣) الأصل (معاهم).

(٤) أي أين جاؤوا.

(٥) يعيشوا فيها.

(٦) أحمد الحيمي.

(٧) الحكم.

(٨) أفاقوا من غيبتهم.

غالب كونهم ما قصدهم إلا الدنيا، ولو قصدهم الله والدَّار الآخرة لفتحوا له، وما جرى التقفوه وقد هو إمامهم والدنيا زائلة والمراد ما يرضي الله إن عاشوا فسعداء، وإن جاهدوا معه وقتلوا فشهداء ولكنهم عن صِدْق العمل بمعزل، ومرادهم يستأثرون ويأكلون أموال الله، وهذا فعل كبيرهم الحاج أحمد، وقد ضَرَب الضربة المشؤومة أزاؤها حتى بلغت العدد الكثير، وصاروا يتجبرون في الضعفاء والمساكين، وليس لأهل العلم ولا ضعفاء الناس قول ولا فعل، بل هو له متفرداً به، وحوله أربعة خمسة من سفهاء المدينة يزِينون له مرامه، وصنوه سعد الفريد^(١) بصادر الناس، ويقابل ويواجه للخصومات، وهو كان مقبّع^(٢) فريد، وقد وَضَعه في مقام سيف الخلافة، وهو مصدر نفسه للعطائم، وأما الكلام الفاحش والأخلاق البذرية والتكلام فهي خُلُقُه واللعن، ويقول: قالت أختي سَعْدَه، وقالت أمي، وأما أراذل الناس وسفهائهم، فما يخاطبهم إلا بكلامهم من الكلام والأستام، ومن قال شيء فيه النجاة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر عاقبوه، حتى أنه باع ناس من تُجَّار صنعاء من بني جبر في مالهم عنده من جوامك عَشْكَرُهُ فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وفي شهر محرم نفرت طائفة من السُّودان من الحديدية عسكر السلطان خالفوا على باشتهم بسبب قطع أرزاقهم، ونهبوا البانيان^(٣) في زبيد والخزنة حق السلطان، ثم ارتفعوا إلى بلاد وصاب، وأوجفوا على أهلها حتى طاعوهم، واستفتحوا البلاد، وظَهَرَت الفتن في جميع الأقطار، وعانت القبائل في جميع النواحي وأخافوا الرعايا وسبب ذلك سقوط أمر الدولة /.

وفي شهر صفر أعلن أهل صنعاء طاعة سيدي غالب الهادي والسبب تقوي أمره في الحيمة، وأخذها لها، وملك أهلها وقبض على مشايخها وأهم بإفساد شجرة البن حق الحاج أحمد الحيمي، وبيع الأراضي حقه من أهل البلاد أو يقطعها للعسكر المشاركة^(٤) فما وسع الحاج أحمد وأهل صنعاء إلا الطاعة لأن الحاج أحمد معه أملاك كبيرة لأنه قريب عهد بالبلاد، وصنعاء الغنا بقي الملك وازداد^(٥) فلما تيقن القاضي أحمد إسماعيل العلفي ذلك، رحل من صنعاء إلى جدير واستوطنها لأنهم

(١) الفريد هو الذي لا يرى إلا بعيس واحدة (الأعور).

(٢) مقبّع سق شرحه وهو يعني هنا أنه كان قبلياً

(٣) طائفة من هندوس الهند ومعهاها التاجر.

(٤) جمع شرقي وهو يطلق في الغالب على أهل الجهات الشرقية لليمن كمارب والجوف.

(٥) في المخطوطة «وصنعاء الغنا بقي الملك وأستاده».

يَدْعُونَ التَّشْيِيعَ وَيَقَعُ لَهُمْ فِرْصٌ لِأَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَبُيُوتِ الْأَمْوَالِ، وَصَارَ التَّشْيِيعُ^(١) مَقْنَصاً لَهُمْ لَمَّا ذَكَرَ، وَبَقِيَ عِنْدَهُمْ وَصَرَفُوا زَكَاتَهُمْ لَهُ وَوَلَّاهَا إِلَى الْإِمَامِ، وَأَقَامَ أَهْلُ صَنْعَاءَ بَدْلَهُ السَّيِّدَ أَحْمَدَ مُحَمَّدَ الْكَبْسِي، وَلَقَّبُوهُ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ، وَقَامَ بِمَرْكَزِ الشَّرِيعَةِ، وَلَا قَوْلَ لَهُ وَلَا فِعْلَ وَلَا حَلٍّ وَلَا عَقْدَ فِي الشَّرِيعَةِ إِلَّا بِمَا يَقُولُ الْحَاجُّ أَحْمَدُ الْحِيَمِي، وَإِنَّمَا هُوَ اسْمٌ لغيرِ مَسْمُومٍ، وَكَوْنُ الْحَاجِّ أَحْمَدَ الْحِيَمِي الْخَلِيفَةَ فِي صَنْعَاءَ وَاسْتَمَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ الْكَبْسِي أَلَى شَهْرِ رَبِيعٍ، وَالْهَادِي يُحِيلُ أَمْرَ الشَّرِيعَةِ إِلَى الْقَاضِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الشُّوكَانِي وَهُوَ بَاقٍ فِي الرُّوضَةِ، وَجَمِيعُ أَهْلِ أَرْضِ الْيَمَنِ شَرْقاً وَغَرْباً وَيَمناً وَشَآمَاً لَا يَثْقُونَ بِغَيْرِ الشُّوكَانِي، وَأَكْثَرُ أَهْلِ صَنْعَاءَ عَالَمِينَ بِذَلِكَ، وَإِنَّمَا الشَّيْعَةُ يَخْرُجُونَ فِي حَقِّهِ وَفِي أَحْكَامِهِ، وَفِيهِ مِنَ الْعَفَافَةِ مَا لَا يَوْجَدُ فِي غَيْرِهِ مِنْهَا، مَا أَحَدٌ قَدْ سَلَّمَ وَلَا شَهِدَ عَلَى تَسْلِيمِ شَيْءٍ لَهُ وَلَا مَا يُوْزَانُ بِثِقَالِ حَبَّةٍ مِنْ حِينِ عُرِفَ بِالْقَضَاءِ إِلَى أَنْ تَوَفَّى، وَأَسْلَافُهُ مِنْ قَبْلِهِ مِثْلُهُ وَأَنَا وَاللَّهُ مِمَّنْ شَارَعْتُ^(٢) عِنْدَهُ فَرَضِي اللَّهَ عَنْهُ، وَأَرَادَ الْحَاجُّ أَحْمَدَ وَعُقَّالُ صَنْعَاءَ عَلَى جَمْعِ الْكَلِمَةِ وَالْإِثْلَافِ وَجَمْعِ الشُّتَاتِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالسُّوَادِ^(٣) وَدَفَعَ الْإِخْتِلَافَ، فَوَقَعَ مِنْهُمْ الْمَكَاتِبَةُ وَالْمَرَاسِلَةُ لِلشُّوكَانِي، وَطَلَبُوا دُخُولَهُ صَنْعَاءَ الْمُحَمِّيَّةَ بِاللَّهِ، وَهُوَ غَيْرُ وَاثِقٍ بِهِمْ لَمَّا تَقَدَّمَ مِنْ إِبَاحَةِ عَرْضِهِ وَخَرَابِ بَيْتِهِ، وَخَاضُوا مَعَ السَّيِّدِ أَحْمَدَ مُحَمَّدَ الْكَبْسِي بِمُوَافَقَةِ الشُّوكَانِي وَيَسْتَنْيِبُ عَنْهُ فِي صَنْعَاءَ، وَيَتَّفِقَانِ عَلَى الْمَعَاوَنَةِ وَكَوْنِ الْعَمَلِ لِلَّهِ مَا تَمَّ نَقْصُ عَلَى أَحَدٍ، الْمَقْصُودُ رِضَا اللَّهِ بِإِقَامَةِ الشَّرِيعَةِ فَامْتَنَعَ السَّيِّدُ أَحْمَدَ الْكَبْسِي، وَعَزَلَ نَفْسَهُ، وَبَلَغَ أَنَّهُ أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ عَلَى دُخُولِ السَّيِّدِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْوَزِيرِ أَوْ السَّيِّدِ مُحْسِنِ الشَّهَارِيِّ، مَكَافَأَةً لِمَنْ قَالَ لَهُ ذَلِكَ وَيُرِيدُوا دُخُولَ الشُّوكَانِي وَوَافَقَهُ بَعْضُ عُقَّالِ صَنْعَاءَ، وَقِيلَ أَنَّهُمْ تَمَالَوْا عَلَى الْقَبْضِ عَلَى الْحَاجِّ أَحْمَدَ الْحِيَمِي وَيَنْصَبُونَ إِمَاماً مِنَ الْفُقَهَاءِ بَقِيَّةَ شَيْعَةِ الْإِمَامِ ابْنِ هَاشِمٍ، وَكَتَبَ السَّيِّدُ أَحْمَدَ الْكَبْسِي إِلَى الْحَاجِّ أَحْمَدَ بْنِ أَحْمَدَ الْحِيَمِي، إِنَّهُ يَنْزِلُ إِلَيْهِ هُوَ وَبَعْضُ الْعُقَّالِ لِلْمُفَاوَضَةِ فِي شَأْنِ الشُّوكَانِي، فَتَنَزَّلُ إِلَيْهِ مُسْتَصْحَبُ السَّلَامَةِ فَلَمَّا خَلَا بِهِ هَمَّ بِالْقَبْضِ عَلَى الْحِيَمِي وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ بَطَانَةٌ غَيْرُ السَّيِّدِ قَاسِمِ بْنِ حُسَيْنِ الْحَوْثِيِّ الْمَأْمُونِ عِنْدَهُ، فَاسْتَصَغَرَ الْحِيَمِي وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّيِّدِ قَاسِمٍ وَالْخُدَّامِ^(٤) يَوْسُفَ مَا وَقَعَ فِي الْمَغْمَغَةِ^(٥) وَالْمَهَاوِشَةِ^(٦)

(١) شَرَكٌ أَوْ أَحْبُولَةٌ.

(٢) حَاكَمَ عِنْدَهُ.

(٣) أَيُّ سَوَادٍ جَزِيرٍ مِنْ ضَوَاحِي صَنْعَاءَ.

(٤) الْخَادِمُ.

(٥) مَغْمَغَةٌ.

(٦) الْمَهَاتَرَةُ أَوْ مَا يَشْبَهُ مَعْنَاهَا أَوْ بِمَعْنَى الصَّرَاعِ بِدُونِ إِصَابَةٍ.

وارتفعت الأصوات حتى سَمِعَ العقَّال الذي أوقفهم في الدِّيوان الأسفل وقد كان أخرجوه الحاج أحمد إلى مكان آخر للمفاوضة وحده والعقال في الديوان، فلما سمعوا أغاروا وقد أغلق عنهم باب الحاجز وحينئذٍ خلص وقفز أحمد الحيمي من طاقة لأن الذي يَغْمُغُوهُ لَمَّا سَمِعُوا نَصْع^(١) باب الحاجز خافوا لا يفتح، وأما الحيمي عندهم فقد هو محكوم عليه وسَهَوْا عن الطَّاقة لربشتهم^(٢) وصَّاح الحيمي بعد خروجه من الطَّاقة بأهدار بيت الكبسي فهقطت^(٣) عليه العامة، فما كان إلا ساعة فلكية حتى أخذوا جميع من في بيته، وأخربوا البيت وبيعت أبوابه وطاقاته في تلك السَّاع^(٤) / وأخذت الودائع الذي عنده لجميع الناس، ووقع في السيد قاسم الحوثي طعنة في رأسه، وقبضوا عليه، وعلى الكبسي وأودعوهما الحبس، وألحقوا آخرين الحبس من المتهمين، وعزَّروا بنفرين حَوَمَرُوا^(٥) بهم في الأسواق وهم خدم في ساعة واحدة محمد رزقان ويوسف خدام الكبسي، وقبض على بعض العقَّال الذين كانوا مشاركين في الخوض، ورجع الحيمي إلى موالاة الهادي بالضرورة لما رأى من الفقهاء، وكاتب الشوكاني وهو غير راض، ولما كثر التعويل عليه دَخَلَ في آخر ربيع آخر، وهو على حَذَرٍ من الغوغاء لإعتقادهم أنه من أهل السنة، وقد ألقى في أذهانهم من تقدم من الأئمة وقضاتهم وفقهائهم الأشرار، وأنه مخالف لمذهب أهل البيت، ولو صَحَّ ذلك ورأوا^(٦) عليه حكم غلط لشنَّت الغارات لما هم مترقبين فيه ومتبَّعين العشرات عليه، ووافقه رؤساء الناس وعلمائهم وحكامهم في دخوله، وأوهمهم بالبقاء ورَجَّع الرُّوضة بيومه، واستناب القاضي أحسن بن زيد الصديق في مركز الحكومة على الحُكَّام والمشكلات والمعضلات [التي] إليه تُرْفَع مع^(٧) مع قربه من صنعاء.

وأما الهادي فأصلح أحوال الحيمة وعيَّن على أهلها أموالاً يسلموها للعسكر، ولم يقف على شيء من حاصلها، إنما طعامه وشرابه وتوجُّهه إلى مَفْحَق، وأمر بإهدار من بقي من القبائل المشاركة لأجل لا يملكوا البلاد، وخراب البلاد، وخراب

(١) دق الباب أو رجمه بالاحجار.

(٢) لاندھاشهم.

(٣) نهبوا.

(٤) الساعة.

(٥) أي اركبهم الحمار من الخلف تعزيراً.

(٦) خ رو.

(٧) خ معاً.

الحصون، ونهض إلى حُضور، وبلغه خبر من الهَمْداني وأرحب، فخرج على جِين غفلة وما بات إلا في الرُّوضة، وتبعه أصحابه، ودخل صُنعاء بموكب عظيم، وبقي يتنقل من صُنعاء إلى الرُّوضة.

[مشاريط النصارى على السلطان وقيام الفتنة بسبب منع الأذان]:

وفي شهر ربيع جاءت الأخبار من الشَّام والحجاز بأن السُّلطان عبد الحميد صالح الماسكوه^(١) الفرنج لقوتهم على الإسلام على دخول بيارقهم^(٢) القُسطنطينية بعد قَتلى كثير من الكُفَّار والمسلمين على شرائط اشتراطوها، منها: عمارة كنيسة في بلد السُّلطان، ومنها: ترك أذان المسلمين في أوقات صَلاتهم من الصُّوامع، وغيرها، ومنها: منع بَيْع العبيد، وأجابهم إلى ذلك، وأمر عُمَّالة والباشات في الأقطار وامتلوا ذلك، وقتلوا المؤذن في مكة حيث لم يمتنع من الأذان، فثار المسلمون على الأتراك وقتلواهم في مكة سنة ١٢٧٢ وبلاد الحرمين، وأجلوهم منها وتعاضد المسلمون، وأعلنوا بالأذان وكلمة التَّوحيد، وغار الأمير عايض بن مرعي من الحِجَّاز بجنود كبيرة، وقيل أنه استولى على جِدَّة وحفظوا حَرَم الله وحَرَم رسوله، وقيل أن الكفار قد ثارت وبعُد ذلك سار إلى الشَّام، وقد رجعت الترك، ورجع الأذان، وأخبرونا ما آل الأمر إليه في تلك الوقعة فإنهم لما أطاعت مَكَّة للسلطان وجِدَّة استملكوها، تباغوا العرب عند الأتراك، من الذي أذن ومن الذي شرع^(٣)؟ في الحرب، ومن الذي قَتل واستكملوا الأخبار وقَبَضُوا عليهم جميع، كل أحد وحده، يحبس وما يدري الآخر ما مع الأول، وكأنها دعاوي أخره، حتى أخرجوهم من مكة نحو جِدَّة وكانت الغلبة للإفرنج في جِدَّة والكلمة لهم، وما ظهر ذلك، وقبضوا على من في جِدَّة ممن نصر الإسلام، وقبضوا نحو أربعين نفر، وأخرجوهم من بين أظهرهم، وهم قد علموا أنهم ذاهبين للمَوْت والترك قالوا لهم يجيئوا داعي السُّلطان واستغاثوا بالمسلمين فلم يغاثوا، واستجاروا فلم يجاروا، ودموعهم تَنحدر، ودموع المسلمين كالماء المنهمر، وكبير الترك لا يرحم ولعله كبيرهم من الكفرا، ودخلوا البحر وآخر عهد ما أحد دري كيف قتلوا/ولا أين ولا زِدْ بأن لهم أثر، ولعل القابضين لهم والذي سافروا معهم، هم الكُفَّار غرماهم أقماهم الله وأخزاهم، ولا جعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً.

وفي شهر جماد تكاثرت جمود الرُّوم من المسلمين والكفار واجتمعت قبائل

(١) هم الروس نسبة إلى ماسكوف نهر في روسيا يحتاز موسكو.

(٢) أعلامهم.

(٣) شرع بتشديد الراء بمعنى شرع الفحصى بالتحريك.

العرب إلى مَكَّة ورَمَتْهُمْ الجنود الرُّومِيَّة بالمدافع، وكان الكفار يوجِّهون المدافع إلى بَيْتِ الله الحَرَام، وذلك مقصدهم والمرام، وخَرَبَتِ المدافع في البيت العتيق، وأصابَت الحجر الأسود رصاصة مدفع، وبذلوا الدُّراهم لبعض طغام الشام ويسلموا إليهم الرئيس الكبير الشُّريف عبد المطلب، ويقبضوا عليه وعلى أولاده، ويوجِّهوه تحت الحفظ إلى الأبواب السلطانية وتلاشى، أمر العرب، وخلص الشُّريف عبد المطلب، وهرب إلى الطائف. ثم توجه إلى حضرة السلطان لأخذ الحقيقة وفيها توفي الشُّريف الحسين بن علي بن حيدر في مكة.

وفي جماد توجه السَّيد محمد الشَّامي إلى دار بناحية^(١) سَنَاع، وقبض نصف المحل، ووقع بينه وبين السَّيد علي فارغ حَرْب وصلح الأمر، ودخل صنعاء بأمان.

وفي شعبان توجه عائض بن مرعي بجيوش متكاثرة، وقصد تهامة إلى أن وصل الزُّهرة، وأتاهم بأس الله الطاعون، ومات أكثرهم ومات الأمير عائض بن مرعي في تهامة قيل مسموماً وقيل حتف أنفه، ورجعوا على أعقابهم وأوصى بالإمارة إلى عبد الله بن علي بن ترابه ولم يقبلها، ورجعت إلى محمد بن عائض ووعد أجنادة بالخروج إلى بعد عيد الأضحى للأخذ بشار أبيه وخرج على الميعاد، وفي قلبه قبيلة وادعة، لما جرى أولاً وَوَصَلَ إلى أبي عريش وأسرَ أكثر الأشراف، وأخرب دورهم وجميع القليع^(٢) في أبي عريش.

وفي هذه السنة أصاب العنب في جميع الأقطار جائحة على صورة الرُّماد أكلت الثمر وأحرقت سروعه^(٣) وفروعه، وبقي منه في بعض الجهات شيء يسير، وفي كل وقت والنقص فيه إلى زيادة في فروعه وهذه من العبر العظيمة.

وفي آخر شهر رمضان وشَوَّال وقع التَّعَدِّي من أهل جَدِر ومن معهم من أشرار الخلق إلى حول صنعاء المحميَّة وأخافوا طريق باب المَنجَل واستحلوا دماء المسلمين وأموالهم بسبب ضعف شوكة الدولة وقلة الناصر واضطر الهادي إلى مصالحة الشامي، وعقد له الوزارة، وأجمع رأيهما أن يتوجَّها بلاد خولان للإستعانة بالقبائل والحثَّ لهم على المناصرة، ووصل الإمام إلى سُوْق الحَضَارم، وعقر عندهم فأجابوا داعيه بشرط يوجههم إلى بلاد عنس لشيء في نفوسهم، وتوجَّه بهم إلى خارج مدينة

(١) خ بناحية.

(٢) أي القلاع جمع قلعة.

(٣) مجموعة أشجاره. أو أصول الشجر.

ذمار، وكتب إلى أهل المدينة [إلى] الإعانة بشيء من المال، وخطَّ القوم في يفاع فأجابوا أهل المدينة بأحالة الخوض على أهل ذمار القرن، لعلمهم أنهم أبطال ليدفعوه عن مطلبه لأنهم قد تعتوا وبغوا، وعرض الإمام الجوابات على خولان فأغاروا من فورهم على القرن، وتوجَّه الإمام وعصابة يسيرة معه فخرجوا وظنَّهم أنهم قلة ما هم في العين شيء، وأغارَت خولان من جهة أخرى وملكوا القرن/ وقتلوا واحتزوا رؤوس، وأرسلوا بها إلى صنعاء وخرج أهل مدينة ذمار سامعين طائعين مدعين للأمر، وسلَّموا معشور ما طلبهم سابقاً، وهذا حال أهل البغي والإمام مقيم في يفاع، وخولان أهلكوا القرن ولما غنموا القبائل من النهب، وقد أقبل عيد الأضحى [ف] ما وسعهم غير الفرار بما قد جمعوا وبقي الإمام في قليل من القوم وهو على وجل من عَنَس والوزير يهادن الأمور.

ودخلت سنة ١٢٧٣ :

فوقع في مكة فنا ثلاثة أيام، والخبر الحجاج بأن الجند السلطاني في مكة أكثرهم كفار، ولكن تزيُّوا بلبس المسلمين، وحفظوا نفوسهم في القليع خوفاً من فتنة الحجاج، ووصلت قبائل إلى الإمام من حاشد ونهم. وأما صنعاء فحالات تارة تسكن الأمور، وتارة تثور، ولكنه سقوط الأمر. وحدث في صنعاء قتل البانياني وخبيره^(١) في السُّمرة وسط السوق، وأخذ ما يملك وأكثره صار بيد الحاج الحيمي، فإنه إمام صنعاء في عصره، وأخذها الحاج أحمد أخذة واحدة وعادت بقية البيانة^(٢) وترك أموالاً واسعة، وما أحسن ما قال عبد الله بن المبارك^(٣) (شعراً):

الله يدفع بالسلطان معضلة عن ديننا رحمة منه ودياننا
لولا الأئمة لم تأمن لنا سبل وصار أضعفنا نهياً لأقوانا

ولما وصلت القبائل عند الهادي فرَّقهم في عَنَس، ليعلم المطيع من العاصي، فقبلوا الخطاط، ووصل ناجي شريان، وصل بقبائل ذو حسين، وما في قلبه غير الشيخ حسين بن يحيى عبَّاد لما بينهم من الضغائن والإحن على القطع، وأما مناصرة الإمام فما هي إلا وصلة لكل أحد لما في نفسه، وتوجه بهم الإمام إلى بلاد يريم، وأحاطوا بمدينة يريم من جميع الجهات، وكانت في يد رجل من أهلها من السُّوقه اسمه ابن الشيبة، والسيد محمد الشامي يدبِّر الحيل للإمام ويخادع ويمكر، حتى أنه

(١) زميله.

(٢) جمع بانيان سبق شرحه.

(٣) من التابعين الزهاد وفاته ١٨١ هـ. زاد في هامش النسخة «وقيل الفضيل عياض».

تواطأ هو وبعض رتبة المدينة أنهم يعشّروا بالبنادق إلى الإمام، ودفع الله عنه، وقتل رجلين قبل أن يحطّوا على المدينة، وأصاب الإمام وجنده برد شديد مدة شهر ونصف، حتى فتحت المدينة ودخلوها غنوة، والوزير في المخادعة، وعقد الإمام الولاية للشيخ حسين بن يحيى عبّاد، وعيّنوا على المدينة وبلادها أموالاً جزيلة بسبب بغّهم وتبيّن للإمام فعل الشامي وعزله؛ وياشر الأمور بنفسه، وهرب الشامي إلى بني سرحه في المخادر، وأصلح الإمام بين النقيب ناجي شريّان والشيخ حسين بن يحيى عبّاد، وقد كان أراد البغي بعض الجند وانتهبوا سوق مدينة يريم، وضيق عليهم الإمام الأدراك ورذّوا ما نهبوا، واستمر بقاؤه في يريم إلى جماد ورجع صنعاء، وخرج الروضة، وبعد رجوعه قلبت ظهر الميكن، وطرد أهل مغرب غنس العامل ومن معه من القبائل، وسكنت الأمور، وفي ذلك الشهر توفي خطيب صنعاء الفقيه العامل الزاهد الورع محمد لطف الورد^(١) وكان ابن نبأته^(٢) زمانه وعمره في عشر السبعين، وطلع الشامي من اليمن، وعاد الإمام في يريم وبقي في ذمار، ولما علم بطلوع الإمام هرب من ذمار إلى قطعة البختي في جهران ولا زال هذا دأبه البغي والفساد، ورجع يكاتب البغاة ويدور^(٣) الشغل لجميع المسلمين، ويظهر التشيع ويكاتب أهل جدر أنه يريد قيام المتوكل المحسن بن أحمد الذي خدعه في سناع وقصده مصلحة نفسه وسبّار^(٤) دنياه والأعمال/ولما علم الإمام والحاج أحمد الحيمي بخبث نية الشامي ومقصده، خرّج إليه جماعة في أول شهر رمضان وأوهموه بصلح على ما يرضى به، وتتابع إليهم جند يسير من الرماة، وقد كان همّوا بالقبض عليه، فخلص ولزم دار أولاد السيد علي بن أحمد بن حسين المطاع، فأحاطوا به وحفظوا ما حوله من البيوت، وخرج سيدي حسين بن المتوكل، ومعه جماعة من الجند، وتبع الإمام والحاج أحمد الحيمي، وأقاموا ليلة، وبعد ذلك أجمع الرأي أن عامل بلاد البستان يُعني به أعدائه أهل المحاقرة، وأهل مخلاف بني شهاب مكافأة له على ما فعل معهم في أيام المنصور محمد بن عبد الله، وسقط قتلى من الجميع، وانهدم بيت فوق أهل المحاقرة بسبب تخريبهم له، حتى قتل ثلاثة أنفار منهم، ورجعوا على أعقابهم، ووصلت قبائل من نهم إلى عند سيدي غالب الإمام ووافقهم في مطرحه وجروا المدفع ورّموهم به وقد اجتمع من أشرار الخلق عند الشامي واستمر الحصار والرمي

(١) من أفاضل العلماء له ترجمة في سيل الوتر ج ٢، ص ٣٠٥

(٢) نسبة إلى الخطيب المصقع ابن نبأته عبد الرحيم بن محمد المتوفى سنة ٣٧٤

(٣) غ يدو.

(٤) صلاح.

بالمدفع إلى الدَّار التي انحصر فيها الشامي ومن عنده، حتى أزعجهم من الدَّار وانحصروا في النُّوبة والسُّمسرة، ولو كان في جند الإمام عناية أنهم استأصلوه وأخذوه عنوة وإنما صبر أشد الصبر.

وفي شهر شوال سنة ١٢٧٣ وفي شهر رمضان وشوال ارتفع صرف القرش وغلبت جميع المصروفات بسبب صرف القرش، ووصول العددي من بلاد الشرف، كان يفعلوا مثل ذراهم الحيمي كَوْن قَدْ هي مثل اللِّماع^(١) وأما لو هي^(٢) مثل حق أئمة أهل البيت فما يمكن، لأن ما سَبَر لهم الغش إلا أن القرش ثُمَّن قَرش، وما عاد فيها هيئة الطابع المحكوم باسم الخليفة، ورجعت العددي من جدّة ومكة لأنها كانت تمشي عندهم ويسمونها دياوين فلما غُشَّت رجعت^(٣)، وقيل أن بعض الدُّميين كان يفعلوها في بيوتهم لنفوسهم، حتّى بلغ صَرَف القرش مئة مئة وخمسين حرف عن كبار ثلاثين مئة كبيرة، حساب القبائل، وأما أهل صنعاء فيما يحسبونها إلا حروف وهي الجملة الأولى، ولم نسمع بمثل هذا، وعاد ما هو أعظم سيأتي، وتوالت عاهة العنب «الدُّخل».

وفي القعدة وصلت خُولان عند الشامي، ودخلوا المعقل، وقد تعدّى ونهب حتى من بجواره غنم أهل عَطَّان وغيرهم، ولما تحقّق شرارة الشامي وعدم القدرة عليه، كون داعي الفساد مُجاب، وقعت المهادنة والصُّلح، وحمل الحاج أحمد الحيمي. جوامك عسكر الشامي، ودخل الشامي صنعاء، وارتفعت المطارح التي لا ثمر لها، وفتح الحيمي دار الضرب، وزاد في الظلم مثيله وفرّق^(٤) على أهل صنعاء فوق طاقتهم على ما في حالهم من الشدة، ولم يشعر الإمام إلا بعد وقع الصُّلح وعقده، فأوغر صدره ولكن الحيمي مال إلى ذلك لكثرة المحتاج للمطارح والجند لغير ثَمرة.

وفي آخر القعدة وقعت فتنة بين أرحب وهمدان، ووصلت أرحب إلى قرية الحَاوِرِي في همدان، ووقعت قتلان سقط فيها خلق كثير من القبيلتين، وكل أحد رجع ينكفّ في بلاده إلى بعد عيد الأضحى.

(١) اللِّماع شيء صغير على شكل مستدير شديد اللِّمعان تطرز به ثياب النساء وقد شه به درايم الحيمي لشدة صغرها.

(٢) يُكتب دائماً هذا الاسم هكذا (هيه) والإصلاح من عندنا.

(٣) أي أعيدت من مكة لغشها.

(٤) طلب منهم قدر معين من المال.

ودخلت سنة ١٢٧٤ :

وفي محرم اجتمعت سَنَحَان وخولان ونَهْم وحَاشِد وقَصَدوا أرحب إلى ديارهم لإطفاء الفِتْنَة والصُّلح وعقروا عندهم عقاير/وتبعهم الهادي سيدي غالب، واستنصر بالقبائل وأجابوا داعية، وسمِعُوا مناديه يوجِّههم حيث أراد.

وقد وقعت الوَحْشَة بين الإمام وبين الحاج أحمد الحيمي أولها بسبب الصلح للشامي وانفذ الحيمي، كتب إلى السيد محمد الشامي، ولا أرب للسيد محمد الشامي، ولا له عمل إلا الفساد في الأرض، ومخالفة كل إمام الهادي وغيره، ولم يزل الشامي يتردد إلى عند سيدي محمد بن عبد الله الوزير الذي كان إماماً، وإلى السيد يحيى السراجي يريد أن ينصب أحدهما إماماً ولم يسعه الزمان إلى مقصده، ووصل إلى سَعَوَان ثم إلى سايلة نقم، ووافق الحاج أحمد الحيمي، وقد كادت الفتنة أن تقع بين أهل صنعاء، وبين الحاج أحمد الحيمي، وسكنها أهل العقول، وبعد دخل الشامي صنعاء، ووقعت المشاورة بينه وبين الحيمي على الإرسال للسيد علي بن المهدي إلى ضلاع، والأمر له بالتأهب للخلافة، وقد كان أعرض عن صنعاء وأهلها، وباع ما كان يملك حَوْلَهَا، ولم يزلوا به حتى أسعدهم إلى مطلبهم، وقد تحمل أعباء الخلافة أربع مرات بل خمس، وخلع في كل مرة، وكان بيت المال والدُّخَاير والأموال التي لا تحصر في يده والدُّوْلَة قائمة والسُّلْطَان للدُّوْلَة في جميع الأقطار، فكيف قيامه في هذا الزمان، وقد نفذ بيت المال، وتغلَّبت القبائل على جميع البلدان، وصارت الشُّوكَة في صنعاء المحميّة للحاج أحمد الحيمي ومن خلف الدائر^(١) للعشائر كل أحد تغلب على جهة والخيمة إلى الحيمي والشمابخ.

وأمر الإمام لا يقدر ينقذه إلا إذا رضي الحيمي حتى في تافه يسير، وليس لمن قام للخلافة غير الخطبة، وإذا ثمَّ حَدٌّ^(٢) دَرَوْهُ^(٣) المشائخ بالدراهم لمن تأمر على صاحب الحد، وإذا هو حَدٌّ صغير في شيء يسير، وقد أجمع عليه الجَمُّ الغفير استأذنه الخليفة لأجل أبطله والأذن من الطاقة، ولو لم يأذن وقد بهم شَفَّ أمضوه، وإن أذن ومالهم رضا أخطوه، فكيف يرغب القائم؟ وكيف يقوم القائم فيا للعجب كل العجب كيف إلى ذلك يسعى ويرغب.

(١) السور: أي سور صنعاء المحيط بها.

(٢) أي حَدٌّ من حدود الله.

(٣) أي داروه حذف المد لثقله على اللسان.

وفي يوم الأربعاء ثامن وعشرين محرم أرسلوا للسيد بالحصان إلى ضلاع، وما بات إلا في دار سالم^(١)، ووقف هناك ينتظر منهم صدق القول وكذبه، ويرتقب الوقت الذي أمره به المنجم بالدخول فيه إذا تم الأمر والسيد محمد الشامي لم يقصد بذلك إلا مآرب في نفسه قد أسرّه وأوهم الحاج أحمد الحيمي أن الهادي غالب بن محمد قد جمع القبائل ويريد يقبض الحيمة، ويستهلك أملاك الحاج أحمد، وإذا ظفر به فلا يقيه، ودبر هذه الحيلة، هذا خبرهما، وأما سيدي غالب بن محمد فقد انتظر القبائل في الرّحبة حتى اجتمعت، ودخل بهم الرّوضة، وقد كان أهم بالنهوض إلى الحيمة وما يليها من البلاد، فوقعته الخديعة من بعض أهل صنعاء عن توال وتشاور بينهم وبين الحيمي والشامي، وأظهروا الخلاف على الحيمي، وكتبوا إلى سيدي غالب الهادي يستقدمونه يدخل عندهم صنعاء وإنهم متبرّين من الحيمي، وطلع الحيمي القصر وكأنهم محاصرين له، فصَدُّقَهُمْ سيدي بجوادته^(٢) وأقبل إلى باب شعوب، فبلغه أن أهل صنعاء قد لبسوا جلود النمر وأجمع رأيهم والحيمي والشامي على دخول سيدي علي بن المهدي إمام، فوقف في شعوب.

وفي ليلة الجمعة سلخ محرم أعلنوا بالبشائر من أعلا صنعاء وأعلنوا باسم المهدي علي بن المهدي، وسيدي غالب وجنوده في شعوب يرى ويسمع/خبر أهل صنعاء وقد قتل رجل من أصحابه، قتله عسكر من بني جبر من داير صنعاء إعتباطاً، ولم يكن بينهم حرب وخطبوا صبيحة ذلك اليوم لسيدي علي، وهي الدعوة الخامسة بل السادسة، ودخل ولده عبد الله من دار سلم لصلاة الجمعة، وسمع الخطبة وذكر والده في الكنية.

ويوم ثاني غرة شهر صفر دخل المولى المهدي قبل الظهر ولقيه أهل صنعاء، ودخل بمؤكب عظيم، ووصل دار الطواشي، ولم أسمع بخليفة قبله دعا خمس وبإيعه الناس خمس مرّات، وخلع خمس مرّات غير هذا الإمام، وقد ذكر في هذا الكتاب خمس مرّات، وكانت هذه الدّعوة الخامسة في سلخ محرم سنة ١٢٧٤، وتلقب بالمهدي وبإيعه الناس في دار الطواشي، ولما تيقن سيدي غالب الخبر، نفذ ومعه النقيب ناصر بن علي بن سهل الهيال صاحب خولان، نفذ معه يستنصر بخولان وبني جبر، ويعقر عندهم وانتظر ما يؤول إليه أمرهم، وأما أرحب فرجعوا بلادهم.

(١) هي دار سلم وقد تنطق هكذا.

(٢) طيبته وسداجته.

ويوم الأربعاء خامس شهر صفر، توجه سيدي علي المهدي الحيمة، ومعه عصابة يسيرة من القبائل والشامي معه وزير غدر ومكر، والناس قلقين منه على الإمام وعلى نفوسهم، وأما سيدي الإمام فالقلوب من جهته مطمئنة فهو بقية السلسلة المتسلسلة فيهم الخلافة، ولما وصلوا رأس الحيمة، وصل المقدمي سعد بن أحمد الحيمي، ومن معه من بني جبر الذي كانوا في يازل منحازين، ووصل الشيخ حزام الرميم ومعه خلق من الحيمة مطيعين سامعين للإمام، خاشعين مذلين من الشامي، لعلم كل أحد بخذعه وخيانتته، وتتابع الجنود وتخططوا في البلاد، وانتهى الإمام إلى الجدعان^(١) وتوجه إلى الخضراء، وأقام هنالك وفرق أهل البلاد إقامة الجند، هذا خبر المهدي، وأما الهادي سيدي غالب فلإنها تلاشت القبائل عليه، وطلبت خولان بلاد عنس لما بينهما من الأحن وعزم إلى معبر، وكاتب عنس وأصلح بني عنس وخولان وعزموا معه نحو أربع مئة وعزموا من بني مطر، وانتهى إلى قملان وكان مراده يحاصر بهم صنعاء فلم يسعدوا له وبقي في قملان في طرف الحيمة والشامي رتب أطراف الحيمة هذا خبر الإمامين، وأما أهل صنعاء، فصادروا مصادرة شديدة من الحوزة ممن بقي من أصحاب سيدي غالب حين عزم خولان، والمصادرة من بني الحارث وأرحب، وبعد وقعت المكاتب والمخادعة من بعض أهل صنعاء، مكافأة للحاج أحمد الحيمي، وآل الأمر إلى إدخال جماعة من أصحاب سيدي غالب من بني الحارث ومن تابعهم من رذاذ الناس، والبعض من أرحب، ترتبوا في الصافية العدنية، ورتبوا النوب هم وأهلها، وأدخلوهم إلى القرية الجديدة الذين خارج صنعاء من الجهة العدنية، مما يلي الخنادق العدنية الذي العرضي حق الترك حق العسكر، عمروه بقعتها، وأنا^(٢) عرفت القرية الجديدة عامرة، وعرفت حوزة صنعاء منها، وكان يرموا إلى باب اليمن، وتصل الرصاص، ولكنها متربة^(٣) ما كان يصيب، ولكن قطعت الطريق، وما وقع إلا تغلق باب اليمن، وفتحوا للمسافرين باب أعلا منه من جهة الشرق، قبال^(٤) حوض سكره، وسموه باب الفرج، وأنزلوا له باب كبير من القصر لعله حق الباب الأوسط، واستمرت الطريق من تحت لكمة^(٥) الزبيب، وقبل ي سواء سواء إلى الباب الجديد المسمى «باب الفرج» وفي يوم

(١) اسم موضع سيأتي في آخر الكتاب.

(٢) أي المؤلف الثاني الزبيري.

(٣) أي باردة.

(٤) أي مقابل.

(٥) اللكمة هنا هي الأكمة وهذا يتكرر كثيراً.

ثاني من دخولهم القرية أكره شيخ بني الحارث صالح دغيش أهل بئر العزب على المتابعة للفساد أو يهلك حرثهم وزرعهم فأجابوه إلى الفساد ومنعوا أنفسهم ورموا «باب السباح» وأغلق أهل صنعاء الباب وتغلق أيضاً باب شعوب بسبب شعوب هم أول الفساد وهم من بني الحارث وداعي الفساد مجاب وأغلق «باب اليمن» بسبب القرية الجديدة ولم يبق إلا باب «ستران» الذي للقصر وبقت أربعة أيام وخرج أهل صنعاء جميع من باب اليمن مما يلي الداير والرصاص إليهم كالبرد لكنها لم تصب ببركة كتاب الله لأنهم تفرغوا للتلاوة والدعاء والابتهاال فدفع الله عنهم كل مكروه وبعد طلب الحاج أحمد الحيمي بني جبر لأجل تباين أهل صنعاء وعدم ائتلافهم فيما بينهم فكان بني جبر يخرجون عند الشروق إلى طرف القاع العدني يرفقوا السُفر الداخل والخارج ووصل السُفر ودخل من باب ستران بجميع المحتاجات وزادوا أهل صنعاء لمن جلب في الأسعار فتواجد كل شيء ولم يعدم شيء وفر من صنعاء الضعفاء والمساكين بأهلهم وأطفالهم إلى البوادي لأن الخير كاين والحصاد في أوانه وأما الحوزة فتكت بالناس والمحاريس والفرق على الناس في جوامك بني جبر وأهل صنعاء كانوا كفواً للبغاة ولكن التغاير بينهم وعدم جمع الكلمة وبعد ذلك وقع الداخل والخارج من باب الفرج الجديد أسهل للناس لأن باب ستران عادة للقصر وآخر النهار عند غروب الشمس يدخلوا بني جبر من البر وهلم جرا على ذلك وزادت الشدايد على صنعاء وأهلها من عند وصول محمد بن يحيى بالأتراك فمنها لم زد أحد أحد ارتاح واستمرت الفتنة^(١) والمقابضة وأشد من ذلك كله الذي قد ذكرناه من عند وصول الترك صنعاء في سنة ١٢٨٩ فما هي إلا عقوبات ظاهرة والسبب عدم الاعتراف بحق آل محمد وعدم امتثالهم للشرعية وحكم الطاغوت وقطع الطرق في كل مكان وقد مثلنا لذلك مثلاً يغني اللبيب عن التفصيل بالجمل وهو اختلاط جميع الدواب والوحوش وبني آدم والطيور جميع في مكان واحد فأعرف ذلك وصوره في بالك ما هنالك وكان دخول البغاة من بني الحارث وأرحب القرية الجديدة في تاسع صفر.

وفي آخر صفر قبض الحاج أحمد الحيمي على عقاب من أهل صنعاء مثل عبد الله غنيمة والسيد حمود المحاقري والحاج عبد الله العذري والقبيع والحاج عبد الله الغرباني وسعد قرّضه من السوق لكنهم وقعوا في هذا الزمان مع ضعف الدولة من أهل الكلمة ومن أهل الحل والعقد وأودعهم الحبس وسكنت المخادعة من الناس

(١) انفلات الناس.

وشرع الحيمي في هدم بقية الدور الطواشي حق الدولة واستأذن من سيدي علي وما كان يحتاج إلى إذن لأنه الإمام في صنعاء ولكن كما قيل:

(لقد أجلك من أعطاك ظاهره وقد أطاعك من يعصيك مستتراً)

وعاد كان بين المقبوض عليهم الغرباني الحاج عبيد الله والقبيع بدل المحاقري/ وكان بيعه لدار الطواشي من المخاربة بخمسة عشر مئة قرش ولعل القيمة هذه ما تقوم بقيمة الزرنيخ حق التزويق وهو الأصفر غير جميع الألوان وما كانت إلا في صنعاء لا يوجد مثلها في جميع الأقطار فقد رأينا أكثر البلدان والبنادر فما لها نضير وفيها أماكن ثلاث مئة وستون مكان وكان كل مكان^(١) بحاجة فيه مما يليق به وهكذا كل دار وأما البساتين فما هي إلا جنات.

وفي شهر ربيع وقع فتح الباب الذي ذكرنا المسمى باب الفرج قبال حوض سكره ووقع إسم على مسمى لأن الصلح وقع عقيب تمام الباب وأصلحوه من في القرية الجديدة بدراهم وفرق على أهل صنعاء دراهم كبيرة وسلم لبني جبر الأربعة المحبوسين الذين ذكرنا ما خلا السيد حمود المحاقري فأبدلوه بالحاج عبد الله الغرباني والقبيع وشلوهم معهم^(٢) إلى بني جبر لأجل تخليص ما يريد والسبب أنه اتهمهم الحاج أحمد الحيمي بمظاهرة أرحب وبني الحارث.

ودخل ربيع آخر وسيدي غالب باقي في قملان وجنود المهدي محيطة به والمخادعة كائنة من جند الأمامين وفي جند سيدي علي ظهر الخديعة الكبرى والمصيبة العظماء وأدخلوا سيدي غالب الهادي إلى البيت الذي فيه المهدي سيدي علي ولم يشعروا إلا بالبنادق والصوايح واختلاط العسكرين وبعد ذلك اجتمع الخليفتان السيدان ولم بقي لسيدي علي ناصراً إلا الله سبحانه وأنزل الله في قلب سيدي غالب الرأفة والشفقة على سيدي علي لأن قد كثرت فعلاته معه وزادت عليه هفواته وقد ظفر به مراراً وأعظم الهفوات من سيدي علي قتله لسيدي المتوكل محمد بن يحيى أبو سيدي غالب ولكن لله در سيدي غالب فلقد ملك نفسه عند الغضب ملكة لا يقدر أحد عليها وآل الأمر إلى رجوع سيدي علي [إلى] ضلاع ووقع له نزر يسير قطعه ووقع الشعب بين الجند وكل جند يدعي أن لولا هو وقد قبا لهم أن كل أحد يقبض له معقل ويجعله قطعة ويتخذ أهله له رعية وأغار الشامي إلى جهة والهمداني إلى جهة

(١) خ ما كان.

(٢) معهم.

والهادي إلى جهة وأهل الحيمة حفظوا نفوسهم وامتنعوا من التسليم .

وفي آخر شهر ربيع دخلوا ثلاثة أخفار من التوابع إلى صومعة البكيرية وهم هادي الشاوش وعبد الله الحشيشي وآخر وثارت العامة عليهم ورموا من الصومعة وكونوا ناس وخرجوا إلى قيد الأسرو جمع الحيمي الحكام وكان مراده يفتك بهم لتكون حاسمة .

قال المصنف ومن الحوادث والفتن دعوة السيد محسن بن أحمد الشهاري في كحلان بعد أن أيس من دخوله صنعاء وخلعه وكذلك سيدي حسين بن المتوكل ظهرت دعوته في اليمن الأسفل عن توال من القبائل ذو محمد وبعض أهل البلاد ولعل سيدي محسن بن أحمد المتوكل عندي باقي على دعوته ولكنه ترك صنعاء وأهلها وهذا عنده وأما أنا فلم أحقد^(١) لصغر سني .

وفي آخر جماد أول جمع الحاج أحمد الحيمي آل الإمام وأعيان صنعاء والحكام ووقع من الجميع تجديد البيعة للهادي سيدي غالب وهو القائم في حواز صنعاء والمثاغر لمن دعا .

وفي جماد آخر قبض الحاج أحمد الحيمي على ناس من سحنان والصفافية ولم يشعر البعض من أهل صنعاء الذين تحت الدائر في خارج صنعاء إلا بالقبض عليهم وهم ضعفاء وأغلق باب خزيمة وقلق أهل صنعاء على نفوسهم ولم عاد كان يمكن زيارة الموتى في البر ولا الدفن للموتى فلا قوة إلا بالله .

وفي أحد وعشرين جماد آخر وصل سيدي غالب من الحيمة وفرج الله عن الرعايا ولم يقف على طائل وبقي الشامي والهمداني في الحيمة وارتفعوا في شعبان .

وفي رمضان اشتدت الأحوال بالعباد والسبب كثر صرف القرش لأن الحيمي ما بقي معه إلا دار الضرب ونحاس كثير وظلم كبير حتى انتهى صرف القرش إلى ستة آلاف كبيرة كل كبيرة خمسة حروف كما هي عادة صنعاء يحسبوا حروف ووقع الغلاء في جميع الأقطار لأن صنعاء المحمية أم الأرض وهي كالقلب في الإنسان إن صلح صلح جميع البدن وإن فسد فسد جميع البدن وسبب الغلاء فيه عدم القرش الحجر ولما تحقق أهل الأرض عن أسعارها حرروا عليها وما علموا بعلتها .

وفي شعبان من السنة أمر الحاج أحمد الحيمي بخراب القرية الجديدة التي آوت

(١) كانه فلم أحزر .

البغاة وحاربت صنعاء وأهلها حتى صارت بلاقع واندرست ستة عشر سنة ولما دخل أحمد أيوب المشير بعد أحمد مختار وقاده الشيخ محسن معيوض إليها وعرفه يبني فيها وصارت الآن عامرة وسميت العرضي وباب حصن الغراس فيها الآن .

وفي شهر القعدة توجه الهادي سيدي غالب بن محمد إلى تهامة ومعه جماعة من قبائل نهم وغيرهم حسب طلاب الباشا أحمد آغا وقد جمع الباشا جموعه إلى بيت الفقيه وقصده استئصال ريمه ولما وصل سيدي غالب إلى حد بني سعد وتهامة في أطراف جراز انتهب أصحابه سوق في أطراف حد بني سعد وتوجه الجمرة سفلى حفاش قريب باجل ولقيهم رسل الباشا بدراهم مصروف حتى وصلوا الحديدية ورهنوا عنده في الطاعة وقد تقدم من لديه حيدر باشا يقوم نحو ثلاثة آلاف من حاشد وسفيان والترك حتى وصلوا علوجه في سفلى ريمه .

وقد كان وصلت رهاين مشائخ ريمة ولم يبق غير السيد علي السعيد وبني أحمد وقد جمع الجموع وحزبهم للقاء الأتراك ووقعت بينهم حروب آت الأمر إلى توسع الأتراك إلى بلاده وحال بينهم وبين مطرح الأتراك وحوزهم هناك . وبعد ذاك توسط الشيخ عبد الرحمن محافظ على المصالحة وأطلق السيد علي من عنده من الأسارى وأطلق الباشا من عنده من الرهاين وظهر الباشا الخيانة من حاشد ونهم وعدم النصيحة لكراحتهم دخول العجم في البلاد ولكنها ألجأتهم الحاجة وأطلق رهاينهم وسلم جوامكم وفسح لهم وبقي عنده سيدي غالب وحده وقد أجرى له الكفاية ورجع الترك تهامة .

وفي الحجة نظر الله إلى عباده بالرحمة والمطر والخير ورخص الأسعار وكشف الشدة وقد كان سياكل بعضهم بعضاً .

ودخلت سنة ١٢٧٥ :

والأرض مخصبة والشمار متكاثرة والأمطار غزيرة وقد كان هلك الناس والمواشي .

وتحرك سيدي محمد بن عبد الله الوزير الذي كان خليفة وتلقب بالمنصور وخلع بالمتوكل محسن بن أحمد وجمع بني حشيش وخولان وتوجه ضوران طلباً للصيد وبعض من أنس يرون يعتاشون وأقام أياماً في ضوران وتوجه وأقام في أسلع أيام حتى لاحت الفرصة وتوجهوا إلى هجرة خرابة الحرازي في مخلاف حمير أزعجوا الضعفاء من بيوتهم ، واستولوا على ما وجدوه من الطعام والمواشي ، وتتابع بعده القبائل

مع الجذب والشدة والأسعار هي مشتلة^(١) وخصوصاً مع صرّف القرش حيث عدم لكثرة الدراهم، لكن بالنظر إلى ما قد كانوا هو أهون بسبب نزول المطر، ولم يزل يتنقل في البلاد، ويفرق على أهلها وأهل الجهة يتقون على أنفسهم وثمارهم بالدراهم، وكل ذلك طلب دنيا، وسيأتي ما يؤول إليه أمره، وأما المتوكل محسن بن أحمد فمقيم في كحلان يدعوا الناس وبلاد القبلة في يده يسوقون واجباتهم إليه وسيدي غالب باقي عند الباشة في بندر الحديد.

وفي الحوادث وصول الفرنج لعنهم الله إلى بندر جدّة وبقوا في البحر يرموا البندر بالمدافع، وداهنهم الأتراك وأمير جدّة محمود، وأمر أهل جدّة أن يكفوا عن الحرب عن الإفرنج من المدينة، وهو سيصالحهم وضبط من أهل جدّة جماعة قيل أربعة عشر من المسلمين، وقطع رؤوسهم صبراً رضاء للفرنج لعنهم الله جميع، وأرسل برؤوسهم إلى كبير النصاري، وهم المعنيين ممن تقدّم ذكرهم فيما ذكرنا، من حين منعوا الأذان، وهرب أكثر أهل جدّة إلى مكة من الخوف من الباشة، حين ناصر الفرنج على الوقوع بالمسلمين، وداخل الحجاج من الوجع خوف عظيم وضبط الباشا من أهل جدّة جماعة خلق كثير وكبلهم في الحديد، وسلمهم إلى النصاري، وحكمهم فيهم، وهذه فاقرة في الدين عظيمة، وداهية وخيمة، وانقطعت الزيارة لرسول الله ﷺ من خوف الكفار أخزاهم الله، وسبب ذلك ما تقدّم في السنة الماضية من الأذان في مكة المشرفة ورموا بئس الله الحرام بالمدافع، ووقعت رصاصة في الحجر الأسود، وثار المسلمون على الأتراك والنصاري، وقتلوه في جدّة ومكة، وهذا في العام الماضي من الفرنج والتركي محمود باشا بذلك لأن الترك خرجوا، وكانوا هم والفرنج يد واحدة .

وفي هذه السنة اشتد الغلاء والقحط في الأسعار وعدم الطعام ووصل سغره نصف قذح أي طعام كان ولم عاد كان يوجد، وصارت هذه سنة خمس وسبعين تاريخ، لأن لم يعهد مثلها إلا نادر، وفوق هذا بسبب صرّف القرش في صنعاء لأنها كثرت العددي حتى بلغت مبلغاً ما قد بلغت مثله، وتربّشت الأرض، وكثر الفساد، وقطع الطرقات، وجاع الناس، ووقع النهب في كل بلاد، ولم بقي دولة يستندون إليها، وظهر كوكب في القبلة من طرف قوس قزح له نور عظيم وذنب كبير، وكان يظهر بعد المغرب، وسيره إلى جهة العدن غير سير الكواكب، وقد ذكرنا مثله في سيرة الإمام شرف الدين في سنة خمس وأربعين وتسع^(٢) مائة وفي سنة خمسين ومئتين وألف،

(١) مشتلة: مرتفعة.

(٢) قلت لم أجد هذا الخبر في السنة المذكورة في تاريخ الحرازي الذي وصلنا عن طريق صاحب هذا التاريخ المؤرخ الزبيري.

كل ذلك يظهر في شهر صفر، وتبعه خَيْرٌ وخصب عظيم، وذكر أهل الفلك أنه يتبعه فناء في العالم ووباء وقع في هذه السنة في كل جهة، وكان يقع في الناس علة البطون ويدفعون^(٢) ويموتون بسرعة نسأل الله اللطيف/ والدفع هذا ماء صافياً.

وفي ربيع: أضمحلت رؤية الكوكب وارتفع الطاعون، وقد هلك خلق كثير، وتغلقت قرى لأنه وقع في بعض البلدان أكثر من بعض، والكثير في ضلاع همدان، ووادي الإجمار في سنحان، وغيمان وبعض قرى البستان.

وفي هذا الشهر جاءت الأخبار من بلاد كوكبان، بأن سيدي حسين الهادي خرج من صنعاء هارباً من الحاج أحمد الحيمي إلى وادي ظهر، وأقام في طيبة عند النقيب علي الهمداني أياماً، ولم يساعده إلى مطلبه، وانتقل إلى كوكبان وتوجه إلى الطويلة وتلقاه الشيخ أحسن أبو علي من أهل الطويلة، وكان به مرض فداواه فبري واعتقد فيه البركة، وأطلعه الحصن حقه المسمى القرائع، وفوضه في ماله وبث الكتب وأرسل إلى الناس يدعوهم إلى نفسه، وشاعت الأخبار أن الله مكنه من كنوز الأرض وأنه قد استخرج كنوزاً فأقبلت الناس إليه يهرعون^(٢)، ووعدهم بالنهوض بالدعوة في رجب هذا العام، ومن وصل إليه أجرى له الكفاية، وأظهر القوة والعمارة في الحصن، وأخبر أنه سيضرب ضربة فضة خالصة، ومن جملة ما عمّر دار ضرب على ما قد بالناس من الشدة من الضربة هذه حق الحيمي الذي ما قد سبق إليها في قديم الزمان، واضطر^(٣) الناس بسببها، وعدمت الطعامات والمصرفات وما عاد كان تقع إلا بالوزن في المعاملات وأما هيه^(٤) فمثل اللماع وأكبر، وبلغ صرف القرش ست مئة مئة حرف، وكسر الحيمي المدفع الكبير وقلبه لِماع وكان تزد تورد مثلها من بلاد الشرف وسميت هذه شرفية، وهذه حيمية فاعتقد الناس في سيدي حسين لما قد نالهم، وطلب سيدي حسين الهادي اليهود الذي يضرّبوا الدراهم إلى عنده، واشترى لهم آلات للضرب وقد أجاب دعوته أهل المغرب، وأما الجند فمَن وصل إليه رده وطنه حتى يطلبه، ووصلت منه إلى صنعاء كتب، وتلقب بالمنصور، وطلب منهم البيعة، وأجابوا عليه أن قد وصلت إليهم كتب من كل إمام على انفراد، فمنهم ابن الوزير

(١) دفع: تقياً.

(٢) وإليه أشار الأديب أحمد بن حسين شرف الدين القارة بقوله:

قالوا الحن قد حصروا في (القرائع) لبقر عقروا
وبشغل الكيمياء سبروا كم ذهب لا إله إلا الله

(٣) أي أصابهم الضرر.

(٤) نوعها.

محمد بن عبد الله الذي تلقب بالمنصور سابقاً ونزل في بلاد أنس، ومنهم المتوكل المحسن بن أحمد الشهاري، ومنهم قريب العهد القائم الهادي غالب بن محمد يحيى في تهامة، ومنهم أنت يا مولانا، وهم متوقفون حتى ينهض منهم الأنهض، وهم سامعون مطيعون، منتظرون يخرج من أي باب، وأما أهل تهامة واليمن الأسفل، فهو عندهم مُعتقد وأخباره لديهم ظاهرة، وكانوا يبقوا يسلموا عليه دائماً فلما بأن بعض أمره، قالوا: هو فلما قوي، قالوا: حَصَّصَ الحق والذي لدينا في أرضنا صنعاء وحوازها كانوا يسمعون من المفلكين^(١) ما يبني فيه على أمر، وهو لعل له معرفة في الرمل والجمع والفرق^(٢) فلما ظهرت دعوته قالوا (شي لله) وقد وصل إليه بعض أهل المراوعة والأشياء بيد الله سبحانه.

وأما سيدي محمد عبد الله الوزير فأفسد أصحابه بلاد أنس، ولم يقفوا على شيء، وبعدما بانّت أفعالهم، وتغيرت نيّاتهم قلبت البلاد لهم ظهر المجن وتلقوهم بالحرب حتى أخرجوهم من البلاد، وتوجه معه شرذمة عتمة، وقد علم أهل عُتمة ما وقع في الزيود في بلاد أنس الذين هم من مذهب هذا الإمام، فكيف شايق بالذي هم على غير مذهبه؟ فلم يلتفتوا إلى ما طلب/منهم ودافع الضعفاء على أنفسهم، حتى تمنعوا ولزموا المعازل، وأظهروا الكامن في صدورهم من عداوة المذهب ودفعوا لأصحاب المنصور سهام الرصاص، ووقعت بينهم وقعة في سماء وكانت الدائرة على أصحاب المنصور، وانهزم حتى وصل الربوع، وتوجه بمن بقي معه نحو القفر وتلاشى أمره.

وفي ربيع من هذه السنة سنة ١٢٧٥ كثر الظلم من الحاج أحمد الحيمي لأهل صنعاء، وتمسك بالقبائل أهل الطاغوت على المصلين فأجمع رأي أهل صنعاء على الفتك به، ودفع الضر عن أنفسهم ويأتمروا عليهم غيره، فعلم بما أضمرُوا وهرب [إلى] القصر، وجميع أهله ورّتب على نفسه، وحصروه في القصر، ووقع بينه وبين أهل صنعاء حرب مراراً، وآل الأمر إلى خروجه من صنعاء إلى الصافية العدنية على شيء من المال، وسلامة بيته وما يملك في صنعاء، وبقي في الصافية أياماً قلائل، واجتمع إليه جماعة من الأشرار وتعذّوا الطريق المسبلة، وخرج أهل صنعاء لدفعهم عن الطريق، فردّوهم بالرصاص المرة الأولى والثانية، وسقط قتلى من أهل صنعاء منهم الحاج سعد العلماني والقرش وغيره، ومن أصحابه جريح.

(١) المفلكين: أهل الفلك (المنجمون).

(٢) الجمع والفرق: ضرب من الألفاق والسحر.

[دعوة سيدي حسين الهادي]

وفي خلال ذلك انتشرت دعوة الإمام المنصور سيدي حسين بن محمد الهادي من حصن القرائع، وأعلن أهل المشرق والمغرب بطاعته، وظهرت كراماته ويسر الله الفضة، وضرب السكة فضة خالصة، فسكنت الأمور، وانشرحت الصدور وجاء الحق وزهق الباطل، وشارقت الأرض بنور ربها. وفرج الله وله الحمد.

(ذكر الإمام المولى الإمام والسيد الماجد الفخيم محي المعالم والسنن ربيب السادات أولاد الحسن من كشف الله بوجوده عن العباد البلوى وأفرج عنهم غي البغي والفساد وهداهم إلى التقوى السيد الحسين بن محمد الهادي) قام هذا الإمام المبارك داعياً في حصن (القرائع) بالقرب من الطويلة، دخل هذا الحصن وهو شامخ البنيان، رفيع المكان، ولم يردّه من دخول هذا الحصن راد، ولا دَفَعه أحد من العباد، وأودع الله هيئته في القلوب، واجتمع إلى حضرته أهل الأقطار، وأذعن لهيبته أهل البوادي والأمصار، وبَثَّ الكتب إلى أقطار اليمن، وأطاعة الناس في السر والعلن، وأمر بعمارة دار الضرب فعمرت، وطلب العملة من اليهود وسَلَّم إليهم صفائح الفضة، وأخذ عليهم عدم الغش للمسلمين، وأحكموا الضربة وجعلها أيده الله من ثلاث مائة حرف وعشرين حرف، عن أربع وستين كبيرة، كل كبيرة خمسة حروف، قاعدة صنعاء حسابهم الحروف، بعد أن قد كانت ضربة الحيمي ست مائة مائة حرف مثل اللّماع، فالقائم في ذلك الوقت بما ذكر، ما هو إلا من عند الله وبأمره، فسبحانه وفرّجه على عباده بتضرعهم إليه، فأجاب سبحانه الذي لا ذنب له ولا حجة عليه، فأوجد هذا من العَدَم لأننا نعرفه في المدينة ما يملك قرش واحد، وخرج هارباً، من الحيمي خوفاً أن يحبس، وأمر بإطعام الطُّعام على حين قحط وسنة شهباء أخذت الخف والحافر، وأوجد الله له البُر والسمن واللّحم، وأكل من ورد إليه، وهم من جميع أرض اليمن لأن الخلفاء المتقدمين كان لكل خليفة ناس يردونه ويوفدون عليه، وهذا جمع، وأطاع له الخاص والعام، ووفدوا إليه أهل قَيْفة ومراد وتهامة، وبني قيس، والبدو من كل فجّ وقد كان انقطعت الطرق في [١].

في جميع النواحي والأقطار^(٢) من عدم الدولة، ومن شدة السّنة الشهباء فما كاد أحد يقدر يسافر والمتقطعين للطُّرق في كل أرض وأكثرهم من الجوع، فلما قام

(١) إلى هنا ينتهي ما الحق بتاريخ الحرازي (في المجلدة).

(٢) في المخطوطة والأقصاء.

هذا^(١) الإمام^(٢) تصوّر للخاص والعام أن معه خدام^(٣) يخبرونه بما كان، وتشاهدوا^(٤) على ذلك خلق كثير، وما أظنه كما زعموا إلا أن الله قذف في قلوبهم الرعب وفيه الهيبة، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، وما ذاك إلا رحمة من الله لعباده الضعفاء، فقد كان يأكل الأخ أخيه والشدة في الحال لحتى^(٥) ظن الناس أن ما عاد إلا الذهاب، ولكنهم^(٦) رجعوا إلى خالقهم ومدّوا كفّ الرجا، فأجاب سؤالهم، وكان يحضر المائدة لديه خلق كثير، وهي شيء حقير، ويقومون وهو باقي للأخير، وكان يرقى للآلام بشيء من كتاب الله ويشفوا وأقبلت إليه الندور من كل مكان، وكل من^(٧) وصل من الناس الذين لا ينصرون إمام ويوضح لهم إنهم يرجعوا بلادهم، ولا حاجة له بهم، ومن وصل إليه بأمواله الدّراهم^(٨) ردها عليهم، ورجعوا بها، وكم ناس ما أمكنهم^(٩) يبقوا في بيوتهم ولا يصلوا^(١٠) إليه ولم أمكنهم الوصول خوفاً على أنفسهم من القتل، فما وقع إلا كل أحد أوصى، وتثبت ووصل إلى عنده، وهو غير ضان بالحياة بل قاطع بالموت^(١١) فبرّده بماله الذي أتى^(١٢) به وتوكل على الله وكفاه الله سبحانه، وبلغت دعوته لحج وأبين، وأجمع أهل الملاحم^(١٣) إنه الملك المغربي^(١٤).

وفي شهر رجب سنة ١٢٧٥ خرجت الضربة^(١٥) المباركة وكان لها في القلوب موضع عظيم، لأن الناس قد أيسوا من وجود ضربة فضة خالصة نقيّة وحملت إليه الزكاة من كل بلاد، وفرّقها بين الفقراء والمساكين، وما كان يرجع كل أحد إلا بشيء

(١) خ هذا.

(٢) «الإمام» ويتكرر هذا كلما جاء ذكر الإمام.

(٣) أي أتباع من الجن.

(٤) أي شهد على ذلك.

(٥) في المخطوطة «لحتى».

(٦) في المخطوطة «ولا كنهم».

(٧) في المخطوطة «كل من».

(٨) كذا في المخطوطة بأموال.

(٩) في المخطوطة لا أمكنهم.

(١٠) أي يصلوا إليه.

(١١) في المخطوطة (بلموت).

(١٢) في المخطوطة (أنا).

(١٣) أي أهل التنجيم.

(١٤) لأن المذكور ظهر في جهات المغرب من اليمن. والملك المغربي هو سلطان الجن

(١٥) أي السكة.

وولو يسير أو يتبارك به واعتقد الناس العوام أنه يعلم ما في نفس كل أحد، وتحاكوا^(١) بذلك وسمعنا من ذلك أشياء لا تدخل في ذهن من يعرف الشريعة، وأنا ممن سمعت أن الشيخ فلان صاحب اليمن تحاكى فيه بما ليس فيه، فما أصبح إلا وهو مربوط في سبلة^(٢) الحصان حق نفسه، وآخر تكلم فيه بغير ما هو فيه وما أصبح إلا وأبواب حصنه مفتحة كلها، وإن اسمعت شيخ صنعاء أحمد القمادي في قبة^(٣) طلحة قال أنها جئت^(٤) له كتب من الإمام ما يعلم من أذاها^(٥) إنما قام وهية في شباك الطاقة حق مكانه وعندي أن هذا^(٦) كله كذب ما يصح لعاقل أن يتكلم به، ولا الذي معقول أن يصنع في قلبه وعقله شيء من ذلك، إنما ذاك رجفة من الله سبحانه أقلق بها أهل الذنوب حتى لانوا وصحوا من سكرتهم رحمة من الله بعباده، وكل أحد^(٧) نزل به من الرعب بقدر ذنوبه.

وفي أول جمعة من رجب خرج بموكب يسر الودود ويغضض المبغض والحسود، واجتمع فيها خلق لا يحصيهم إلا الله من كل^(٨) فج عميق، وكان كفاية من وصل إليه منه ووصل إليه الحاج^(٩) أحمد الحيمي عاقل صنعاء الذي هرب الإمام من صنعاء خوفاً منه، لأنه تجارى بالكلام إليه وأوجد عليه شيء مَعُوب^(١٠)، وأرسل إلى صنعاء سيف خلافته السيد يحيى بن محمد الأبيض، ونفذت العمال إلى أقصى الأقطار، ووصلت جميع مشايخ البلاد النائية الذي لا يعهد وصولهم إلى خليفة قبله، ومن الكرامات وصول أحمد الحيمي^(١١) إليه وخروجه من صنعاء، وأحاط الله بالسيد محمد الشامي الذي عبث بأرض الله وخدع خلق الله، وحبس واستمر بقاءه في الحبس، وكان عنصره البغي والفساد.

وفي نصف رجب كثرت الشكاة بالحاج أحمد، وقد كان لديه له قدر نصف

(١) أي تحدثوا.

(٢) في المخطوطة سبلت والسبلة عامية بمعنى الذنب أو الذيل.

(٣) في المخطوطة (قبت) ومسجد طلحة من مساجد صنعاء انظره في المعجم الملحق بآخر الكتاب.

(٤) بمعنى حاءت.

(٥) عامية فصيحة بمعنى أحصرها.

(٦) في المخطوطة هاذا.

(٧) واحد وهذا يتكرر في المخطوطة.

(٨) في المخطوطة «كالفج».

(٩) في المخطوطة (أمه).

(١٠) أي معيب.

(١١) سيتكرر ذكره.

شهر مكرّم مجلّل معظم ما سمع فيه قول قائل، فلما أحاطت الذنوب بالحاج أحمد فكثرت^(١) الظلم منه لجميع الناس، داخله الشك ووجدت عنده^(٢) مكاتبات للترك، فهرب خوفاً من الإمام إلى عند سيدي محمد شرف الدين دولة كوكبان وهو في الرّجم مستجيراً به فأجاره/.

وفي آخر رجب رحل الإمام من حصن القرانع إلى مدينة ثلا وحزن عليه أهل المغرب، وفرح به أهل ثلا وعمران ووصلوا إليه أكثر البلدان، ودخل القلعة المسماة بالناصر، وعمر في الحصن عمائر هائلة، وله دائر من أيام الإمام المطهر، وقلدوا الوزير عبد الله عزان أمور الناس، ووَزَع الأعمال بين أهلها، ورجعت الأمور مستقرها، وابتداء بعمارات دار الضرب في القلعة المطهرية^(٣) وانتظمت الأمور وانشرحت الصدور، وجاءت الأخبار أن الحاج أحمد الحيمي هرب من عند سيدي أحمد بن محمد، وقصد نحو تهامة لمكاتبة بينه وبين الباشا حقّ الحديدية، وقد أمره بضبط التجار حقّ صنعاء حتى يطلقوا قرابته الذين في الحبس، فضبطهم الباشا وانتظروا وصول الحاج أحمد الحيمي إليه فتعرض له جماعة من أهل حُفّاش إلى حدّود تهامة وأسروه وجرحوه جراحات قاتلة وحفظوه في بلاد حُفّاش في (قيّمة) عند السيد عبده لأنه المرسل لقبضه إلى الطريق وعرفوا الإمام، فأرسل إليهم بجماعة من بني شدّاد ونهّم يصلوا به إليه تحت الحفظ، فلما رحلوا به تلقاهم جماعة من أهل البلاد المائلين إلى سيدي غالب بن المتوكل، فلما علموا بهم حفظوا نفوسهم، ووقع الحرب بينهم وقتلوا منهم جماعة، واحترزوا ثلاثة رؤوس منهم، وأسروا منهم وتوجهوا إلى الإمام بالأساري^(٤) والروس، والحاج أحمد الحيمي المجروح، وهذا من النصر والتأييد، وآل الأمر إلى وصول الحاج أحمد الحيمي في آخر شهر رمضان.

وفي شوال صودر على ما عنده من بيت المال والمظالم، وسلّم ما بقي، وهو شيء يسير وأطلق الإمام من في السّجن بسببه، وأطلق الباشا من في سجن الحديدية، وهذا عاقبة الظلم، وانتهى الحال بالحاج أحمد الحيمي إلى غاية من الإهانة والهتك، وعدم الإحترام، وكادت الدنيا أن تكون دار جزاء.

وفي رمضان وقع الإمام بالوزير الفقيه عبد الله عزان، بسبب تربش حاله

(١) في المخطوطة فكثرت.

(٢) «عليه».

(٣) نسبة إلى الإمام المطهر شرف الدين.

(٤) (خ) بل أساري.

وخيانته، وأخذ الإمام ما في البيت الذي هو فيه في ثلّاء، وصودر على مال وسلمه.
وفي ذلك الشهر عمّ الله جميع العباد والبلاد بالأمطار والثمار والخير الواسع بعد
الإياس وشدة الإبلاس.

وفي شهر شوال وقع التّربش من الرّعايا وطرد أكثر الرّعايا العسكر الذي^(١)
توجهوا مع العمال، وأبقوا العمال متوقعين ما يؤول^(٢) من الإمام هل يقوى أمره أو
يضعف.

ومن الحوادث خروج أحمد باشا من الحديدة بنحو مئتين رجل ترك وسودان،
ومثلهم عرب، يقودهم سيّدي غالب على حُفّاش وملحان، وأرجفوا على أهل البلاد،
وقتلوا منهم، واستولوا عليها وطرد عامل الإمام، والإمام منتظرو وصول عسير^(٣).

ومن الحوادث إنقلاب أهل الأسواق في صنّعاء والسفلة والغوغا على أعقابهم
في شأن الضربة، وأوهموا القبائل أن الضربة مغشوشة لا يبيعوش^(٤) إلا بالقرش^(٥)
الحَجَر، وسرى ذلك في البوادي حتى امتنعوا من الجلب^(٦) إلى صنّعاء، ومن قبول
الضربة ووقع الضّر الكبير على الضعفاء والمساكين وسكان المدينة، وأكثر ما وقع
الإغراء للقبائل إلا من المبغضين، وأكثرهم المتشيّعين وعدم الطعام في وقت
الحصاد، وعُدمت المصّرفات ما كان يلقاها إلا صاحب القرش الحجر، وامتنع
البياعين من بيع كل شيء إلا بالقرش الحجر/وومن أين لصاحب الحرفة الفقير
والضعيف والجاهل واليتيم والأرامل قروشاً حجر يشتري كل واحدة على انفرادها
بقرش، فما هذه المصيبة فأوغر صدر الإمام بذلك، وصار الضعفاء يشتكون على
الإمام مما نالهم من المشاق، وأهل الثروات والتجار والأغنياء لا يعلمون ما نال
الضعيف، وما نزل بهم من الضّر بسبب إغراء أهل البوادي فيما سبق بعد خروج
الضربة، ومع اعتقاد القبائل أن أهل صنّعاء أعرف وأحذق وأشطر بهذه القضية
صدّقوا، وما ذاك إلا من تمام المَحَن، وما تقدم في صنّعاء من الفتن، فإن الله وإنا
إليه راجعون.

(١) تكرر بمعنى الدين وقد أبقيناه حفظاً لعبارة المصنف.

(٢) خ ما أول.

(٣) أي أهل عسير.

(٤) أي لا يبيعوا شيء.

(٥) خ قرش.

(٦) أي استجلاب البضائع أو ما يعرف في التعبير الحديث الاستيراد.

وفي ثامن وعشرين شوال، تقدّم مولانا الإمام وتوجّه صنعاء المحمية بالله، وضربت مدافع الرحيل ووضع في قلعة ثلاً من يثق به، ولقيه همدان إلى الطريق بالطاعة والعقابر، ودخل النقيب علي الهمداني في ضُمن أصحابه سامعاً مطيعاً، وسار في ركاب الإمام إلى ضلع وأذن له ولقبائله بالرجوع إلى أوطانهم، ودخل صنعاء المحمّية ليلة الثلوث تاسع وعشرين شوال، وفرح الناس بقدومه، ولقيه جميع أهل صنعاء.

وفي اليوم الثاني من قدومه واجه الناس، ودخل الأعيان إلى مقامه، وتلقى كل أحد بما يليق له، وطلب الحاج أحما. الحيمي، وعبد الله بن يوسف حويدر من الحبس إلى ميدان الطواشي، ونزلوا في زنجير حديد، وبقوا في الميدان وهما الخصمان، لأن حويدر هو الذي أخذ المَعْلَة^(١) في صنعاء بعد الحيمي، وانتصب لحرب الحيمي، وكان لا يتواجهان حتى تحُت طاقة الإمام بل كل أحد وجهه إلى جهة أخرى، وبعد أن أرجعوهما الحبس.

وأول جمعة في صنعاء اجتمع خَلْق عظيم، وخرج في موكب يهيل العقول، بين يديه وخلفه نحو مئة عنا خيل، وقد أكثرها ملك بيت المال، ولم عاد كان مع بيت المال واحد عنان، وخرج في موكبه الأعيان الذي يعتادوا الخروج في موكب الدول السابقة، وأركبهم على نجائب الخيل الجياد، ولم يشهد الناس مثل هذه الجمعة إلا في أيام المهدي عبد الله، وظهرت آلات الخلافة والقوانين المألوفة، فله الحمد دائماً بدوامه محيي الأرض بعد موتها.

وفي القعدة عدم الطعام في سوق صنعاء، وظهر الذحل في العنب ظهوراً كلياً وفسد في أكثر النواحي، وهيه^(٢) من العاهات التي لم تعهد مثلها في قديم الزمان^(٣).

وفي شهر الحجة الحرام أوجد الله المعدوم، وهو الطّعام والغنم الكبار، ولم كانوا مؤملين^(٤) الناس بوجود المعاليف لشدة السّنة، واشترى الإمام الأضاحي وقُسمت للناس حسب العوائد.

وفيها ظهر الوباء والطاعون في صنعاء المحمية بالله، وما حولها، وأصاب

(١) أي منصب عاقل صنعاء.

(٢) يتكرر في الكتاب وهي بمعنى وهي.

(٣) علق المؤلف بعد هذا الكلام بقوله «تحقيق عاهة العنب وإلا فقد كان به نحو عامين لكن ما ظهر إلا يسير فتحققت العاهة نسأل الله اللطف.

(٤) خ ما آملين.

الناس داء البطون، حتى يخرج خارج من أفواههم ومن دبرهم^(١) فمن قد دنا أجله مات، ومن عاد فيه فسحة قام من مرضه، وكثير من الناس لم يصبهم شيء، وقد كادت الثمار تذهب من اليأس، ومن الله سبحانه بالأمطار الواسعة.

ودخلت سنة ١٢٧٦ :

والأمطار كثيرة والنعم جليلة خطيرة والشواهد^(٢) مباركة والأرض مخصرة مثمرة، والنحوس آفلة والسعود طالعة والنفوس مستبشرة.

وفي شهر محرم رخص الطعام بالنظر إلى ما قد كان.

واستولى أحمد ناشه على ملحان، بعد انتظار أهل الجبل لوصول جند الهادي ومع^(٣) الشدة والغلا رأى الإمام التوقف للمصلحة.

وفي محرم فشى الطاعون في صنعاء وحوازا ومات خلق كثير، ومنهم القاضي عبد الله محسن^(٤) الحيمي في الروضة، والقاضي محمد بن محمد الحرازي^(٥) في القرية، وعبد الولي الورد/في شعبان.

وفي صفر كثر الفناء في العالم، وكان من الآيات والعبر، وكان الموت على الصفة التي قدّمنا، وتنقل في النواحي بلد بعد بلد، وما خرج منه لم يعد إليه، ولما حان الحصاد للثمار^(٦) ارتفع سعر الطعام والله القابض والباسط.

وفي الشهر المذكور، وقعت الخديعة من بعض خواص الدولة، والشور^(٧) بتغيير الضربة، وخرجت دراهم نحاس صرّفها ستة عشر مئة حرف عن ثلاث مئة كبيرة وعشرين لا يرضى بها أحد، وحمدوا الله على ما كان من الضربة السابقة حق الثلاث والعشرين، وأزافوا هذه الضربة المغشوشة، والناس لا يرضوا بشيء جرت عادتهم بهذا.

(١) أدبارهم.

(٢) بمعنى أيام الخير.

(٣) (خ) معاً.

(٤) من العلماء الأجلاء له الكتاب المدرج بآخر شرح الأزهار المطبوع المسمى بتبصرة ذوي الألباب في معرفة تحقيق النصاب ولد تقريباً سنة ١١٧٠ ولم يحدد المؤرخ زيارة وفاته (انظر نيل الوطر ج ٢ ص ٩٥ وكتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٢٤٠).

(٥) من علماء البيان والأصول أخذ علومه عن الشيخ محمد بن علي الشوكاني وغيره ترجم له المؤرخ زيارة ولم يحدد وفاته (انظر نيل الوطر ج ٢ ص ٣١٣).

(٦) خ لشمار.

(٧) الشور: الرأي.

وفي الشهر وصل سيدي غالب بن محمد بن يحيى من حفاش بعد استيلاء
الترك، وما هرب من عندهم إلا هربه، وافتدأ نفسه بالبلاد^(١) التي كانت في يده.

وفيه - أي الشهر - وقع الإمام بالفقيه محمد بن أحمد العفاري بسبب أشياء
ظهرت عليه وأوغرت صدر الإمام، وقام بها بعده^(٢) علي بن عبد الله الأنسي، وكان قبل
الوزارة عامل صنعاء.

وفي هذا الشهر خرجت بكيل، وباتوا حول صنعاء، وعزموا اليمن، وأرسل
الإمام إلى عامل جهران الشيخ حاتم يوسف، وكان من سوء تدبير العامل تعريف البغاة
للموافقة له، فلما التقوا في الوقفة لم يشعر إلا بالرصاص في ظهره، وكان سبب موته
وَقَرُّوا اليمن، زَقَمُوا^(٣) المقاسم.

وفي ربيع، وصلت ذو حسين، وذكر أنهم يريدوا الجهاد، فوعدهم الإمام
بالخروج، وتوجه معهم ويات في وعلان، وخرجت جميع أهل المدينة لزلاجة،
ولقيه قبائل سَنَحان بالعقائر والسُّمع والطاعة.

ويوم ثاني في معبر، وقد كان منعوا أهل قرية الواسطة عن قبول القوم
للخِطاط، وأحاطت بهم القوم، وقد شرعوا في النهب بعد أخذ القرية، ووصلت
النساء والضعفاء يشكوا على الإمام، فخرج بنفسه يسترجع ما ذهب، وقبلوا الخِطاط
وعقروا في الطاعة ووازر الإمام محمد بن يحيى بن علي الإرياني، وتوجه ضوران،
وطلع الحصن (الدامغ) وأقام فيه ثلاثة أيام، ورجع مدينة ضوران، ووصل إلى
حضرتة جميع المشائخ حق آنس سامعين مطيعين، وأودع عقَّال خولان الحبس
وسلاسل الحديد لأجل خيانتهم ومكرهم، وجَهَّز الأجناد إلى المنار، وجَهَّز عليهم
السيد قاسم بن محمد ابن علي، وقد كان اغتصبه محمد بن صالح الرويشان وعمر
فيه معاقل، وفرق الوزير المعونات على مخالف المنار الذي اغتصبه الباغي.

وفي شهر ربيع آخر لم يشعر السجانون في حبس صنعاء إلا وقد هرب السيد
محمد بن علي الشامي، وتبعه البعض منهم وإحاطة به ذنوبه، فقبضوا عليه، وقد كان
لبس لبس امرأة وتشكَّل بشكلها، وردَّوه إلى القصر على تلك الهيئة المكروهة، وكان
لقبضه وردَّه إلى محبسه موقع عظيم، فلو انفلت أشعل الأرض نارا وأحرق بها

(١) ببلاد.

(٢) أي الوزارة.

(٣) زَقَم الشيء: بالفتح والكسر أمسه.

جميع اليمن كما هيه عادته، فكفى الله الناس شره وأوقعه في عمله وكتب السجانون إلى الإمام بما وقع من أمره، وعاد الجواب بضرب عنقه.

وفي يوم الأحد ثامن عشر ربيع الآخر طلبه سيف الخلافة إلى ميدان دار الذهب، وأمر أحد مفالقة الحطب يقال له أحمد شايح، فضربه ضربة أبان بها رأسه، وهذه عاقبة البغي والظلم، وإفزاع الضعفاء والمساكين، واستحلال الدماء والأموال، وقد وقف على ما أسلف.

وفي شهر جماد جاءت الأخبار بأن أهل ملحان وبعض أهل حفاش أخرجوا الأتراك من البلاد، وطلبوا عامل من جهة الإمام وجند قليل، وهم يستخرجوا الباقي في حفاش، وأما ملحان فلم عاد فيه أحد، ووصلوا من عسير نحو أربعين رجلاً، وذكر أن قبائلهم مستعدون للخروج يجاهدوا مع الإمام الهادي والله أعلم بالصحة.

وفي جماد وصلت كتب من المراوعة للإمام للإمام بأنه يتوقف عن كل عمل، وهو لا يخالفهم وأمر بالتوقف [] وقطع رأس رجل من المقادشة حدًا لبغيه.

وفي ذلك الشهر تحرك سيدي غالب بن محمد بن يحيى، وعضده من البغة^(١) بيت العذري، وابن مرج من أرحب، والسيد محسن الشويح من ظلع همدان، عن مشاورة النقيب علي بن أحسن الهمداني، وهو مظهر الطاعة ومبطن البغي، والشيخ سعد صالح الخواني من حدة، وصالح القوبري من دار سلم، وقليل من الأشرار، وانتقل سيدي غالب من الروضة إلى حدة، ومقصدهم إخافة السبيل، وقطع الطريق والنهب للضعيف والمسكين، ومحاصرة أهل صنعاء حتى يطيعوا أمر سيدي غالب ويبايعوه، وأكثر الأمة والرعايا وأهل صنعاء لا يرضون بشيء من ذلك إلا شردمة يسيرة ممن تقدم ذكرهم، والخلق باقون على الطاعة تائبون من الفساد والبغي، فقد كفى ما وقع في السنة الماضية وأوائل هذا العام ما تقدم ذكره من البغي والقحط والشدة والفناء والموت الفضيع ولعله لا يتم شيء من ذلك والأعمال بالنيات والله لا يصلح عمل المفسدين، وقد وقع في دولته ما تقدم ذكره من ارتفاع الضربة، واستيلاء البغاة على أرض الله.

وفي هذا الشهر جماد آخر دخل الباغي ظفران بن علي مظفر خليل قلعة ثلاً بسبب ما وقع من الرتبة من الخيانة، وهم موضوعون في محل الأمانة، وبسبب ذلك أنها وقعت المخاصمة بين الرتبة فيما بينهم، ودخلت الشحنا في قلوبهم حتى

(١) كذا في الأصل.

أخرج بعضهم بعض بخديعة، واستدعوا هذا وحاصره أهل المدينة في القلعة، وهو يرميهم إلى المدينة، وآل الأمر إلى إخراجهم بشيء من المال^(١).

وفي آخر الشهر جماد وصل عقال حدة إلى عند سيف الخلافة يخبرونه بأن قد حصروا سيدي غالب بن محمد ومن معه في بيت، وطلبوا خروج السيف سيدي العماد يحيى بن محمد، فتوثق منهم، وخرج بعصابة وخرج من فوره، حتى وصل حدة وأحاطوا بدار الجواني وما حولها، ودخلت الوسائط، وخرجت وآل الأمر إلى فك أسر سيدي غالب بن محمد عليه وعلى من لديه بالتوبة والعهود المغلضة والكفال عن أذية المسلمين والدخول في سلك المؤمنين والطاعة لله ولرسوله ولسيدي الهادي، وأعطاهم ذلك وأن لا يعود لشق العصا، وعاد سيدي العماد صنعاء، وقد ضبط الأمور وشكره على فعله الجمهور، وسيدي غالب رجع الروضة بخفي حنين، وسيدي حسين الهادي كان في ضوران، وانتقل إلى المنار الذي قد كان بيد الرويشان، ورجع صنعاء، والأمور قد تلاشت، وبقي أياماً ما فيها طائل، وخرج مخرج آخر إلى أنس، وقد كل فرد من الرعايا عن إجابته متناعس، وسيدي يحيى ابن محمد الأبيض خرج معه إلى ضوران، وعدل سيدي يحيى كون مرامه له لم تهياً وتوجه من بني سلامة، وجزع^(٢) طريق الفرش ومعه علي سعيد أبو بكر من خولان، وتوجهوا الحيمة ووصلوا العر، وأذاقوا أهلها المر، لأنهم في مصلحة نفوسهم، حتى جمعوا لهم ما يريدوا من الحطام، وتوجهوا صنعاء وسيدي حسين الهادي بقي في ضوران أياماً ووصل إلى عنده الشيخ عبد الرحمن محافظ، وعقد له الوزارة ونقلوا إلى سلع والجمعة وكان فيها الشيخ محسن بن علي راجح، ونقلهم معه إلى (دُمام) وكان بينهم وبين البريهي حرب، ونقلوا إلى (الدومري) ولقيهم علي بن يحيى المنتصر صاحب (ريمه)، وأطلعهم إلى قرية (المزينة) في ضلاع ريمة وقعد وهناك، وتقدموا على الغطاس، وقد كان دعا إلى نفسه، وأخرجه علي بن يحيى المنتصر في جهة لأجل تسكن الفتنة، وتجتمع الكلمة، وأخرجه الإمام على غفلة وقطع رأسه، وكان سبب تلاشي أمر سيدي حسين الهادي لأن [علي يحيى ما فعل ذلك إلا تسكين فتنة، وسيدي أعتزته النخوة وسرت إليه المحنة وتلاشي أمره، وشد من هنالك، وتخطفت لهم الصعاليك في الطرق، واستيقظ وندم على ذلك على مخالفة علي يحيى المنتصر، وبقي كالمحصر، ولما أمر بالشداد عارضه أهل البغي

(١) من هامش المخطوطة للمؤلف «وبعد هذه الوقفة قاموا أهل أهل ثلاث جميع على الذي كانوا رتبة في الحصن وقتلوهم عن آخرهم وهم سبعة يقال لهم بيت جبهة».

(٢) مر.

والفساد، ونهبت من أثقاله، ومن المنهوبين الوزير المعارض عبد الرحمن محافظ، وقعت في يد علايه^(١) ضربة سيف، وهو من جند الإمام، ورفقته والصَّحبة، ونهب النقيب الماس علي، وهو من أصحاب الهادي، ودخلوا مدينة العبيد، وحمد الله على سلامة العد وذهاب العديد، ومضوا من الحمام حَمَام علي، وطلع ضُوران وقد ذهبت الحصّة والسُّلطان، وبقي هناك كالحيران، فوصل إليه الشيخ محمد أبو جابر صاحب أعشار قبيلي مَقْبَع عامي، قد قطع الطريق ونهب وشغل الناس، لكنه قد تَغْهَر^(٢) مع عدم الدولة، وما يشتهر في زماننا إلا^(٣) الأشرار، وإلا فهو رعوي كما قال السيد أحمد القارة^(٤):

وأبو جابر وهو رعوي بيت إسحاق ويزره^(٥) وقوي^(٦)
عنه أنه عارض البغوي^(٧) بعلوم، لا إله إلا الله

فعقد له الإمام الهادي الوزارة وأطلعه، وطلع صنعاء وأبعد القشعة^(٨) ولبس محشة^(٩) ولم قد رضوا به أهل صنعاء كونه شيخ قرية لقطعه الطريق، ومجاراته على البغي، فكيف يصلح وزير، ووقع الوزير هذا بناس من صنعاء وغيرها وصادرهم مصادرة كبيرة، وبعد ذلك نكفت قلوب الناس، وأكثر ما نكفوا أهل صنَّعاء من سيدي بسبب، توزيره أبو جابر، وتلاشى أمره وكتبوا سيدي محسن المتوكل إلى السُّودة.

وفي خلال ذلك دخل الخمج صاحب أرحب الغراس، ودخوله عيب من الشَّروط مكافأة للقسامي الذي كان فيه، وقتل الخمج، وخرجوا أرحب من الغراس، ودخله سيدي المتوكل برغبة من القسامي [وقد كان تهدم وخرب فعمره المتوكل وجعله دار إقامة] لما رأى من أرحب ودخل إلى صنعاء ورجع الغراس.

وفي خلال إقامته في الغراس.

(١) كذا في المخطوطة.

(٢) تحبر أو تكبر.

(٣) في المخطوطة الأشرار.

(٤) أديب عرف بالنظم الحميني وفاته سنة ١٢٩٢ تقريباً (انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ص ٣٥٨).

(٥) أي جعله وزيراً.

(٦) في الطرائف المختارة ص ١٢٢ فروى.

(٧) هو الحسين بن مسعود الفراء المعروف بالبغوي من كبار علماء الإسلام توفي سنة ٥١٠.

(٨) الجمعة من الشعر.

(٩) عمامة حمراء مطرزة.

ودخلت سنة ١٢٧٩ :

خرج السيد أحمد بن محمد الكبسي^(١) المهاجر في برط من باطل^(٢) عدم الشريعة في صنعاء، ووصل هو وذو محمد أجمع، وطلبوا العلماء والعقال، وذكروا لهم أن جهاد الباطنية يام الدين^(٣) أخذوا الحيمة العام واجب على الخاص والعام، ولكن لا يستقيم ذلك إلا بإمام، ونسوا ما في الغراس من إمام، ونزلوا إلى سيدي قاسم بن حسين، وأوجبوا عليه القيام فأبى عن ذلك، فدارت عقولهم فلم يجدوا أنهض من المتوكل المحسن بن أحمد^(٤) الذي في الغراس، فتوجه البعض وكتبوا إليه وألزموه، وعنده ذلك هي المحجة البيضاء وهي عنده الحاجة التي في نفس يعقوب، وحمد الله على وجود الناصر في ذلك الزمان القاصر، مع أن ما أقعده عن الجهاد إلا عدم الناصر، وأما القيام فهو قائم وداعي للعباد إلى سبيل الرشاد، لكن قد غلب على قلوب الرعايا حب الدنيا والفساد، فنهض باسم الله وتوكل على الله، ودخل صنعاء المحمية بالله، ولقيه أهل صنعاء جميع، والقبائل وذو غيلان وضييع ورفيع، ووصل دار الطواشي الصغيرة الذي فيها الكبسي، وأما الكبيرة فقد خرجت، وعزموا على جهاد الباطنية يام، وخرج معاهم^(٥) من الفاف القبائل، وعبد الله بن ناجي الهمداني، وصحبته من همدان، فلما دخلوا رأس الحيمة وتخططوا القوم وفتحوا أهل البلاد [] وفرحوا أهل الحيمة فرحاً عظيماً، وأيقنوا بالفرج بعد الشدة وإزالة الظالمين، وبقي الإمام في تلك البلاد محاصراً لأهل العناد، حتى سعى^(٦) عبد الله بن ناجي الهمداني بالفساد، ورهن أولاده عند ذي محمد فيما قد التزم لهم من المال، وسلم ذلك وقد فوضه لسيدته الداعي، وعلم مولانا الإمام، فحبسه وهم بضرب عنقه وتحجج^(٧) عليه بكيل، لأجل لا يفوت عليهم ما قد ضمن لهم، وأخرجوه كرهاً أخزاهم الله، وشدوا^(٨) من وسط البلاد، وهيه سامعة ومطبعة، فلم

(١) من كبار علماء عصره له مؤلفات في عدة علوم توفى سنة ١٣١٦ وبياتي ذكره مراراً في الكتاب (انظر مصادر الفكر الإسلامي ص ٥٠١).

(٢) الباطل هنا بمعنى الجور والتعسف.

(٣) في المخطوطة الذي وقد أصلحناه ليتسق المعنى.

(٤) هو من الأئمة المتأخرين دما سنة ١٢٧١ وتنقل في محلات كثيرة ولما وصلت الأتراك سنة ١٢٨٩ انتقل إلى بلاد حاشد وتوفى سنة ١٢٩٥ وبياتي ذكره في هذا الكتاب (انظر أتحاف المهتدين ص ٩٥).

(٥) معهم.

(٦) خ سعا.

(٧) مانع عنه.

(٨) أي شدوا رحالهم.

يشعر المتوكل إلا وهو منفرداً وحيداً يخشى عليه وعلى حاشيته من الكفار، فما وسعه إلا لحق^(١) البغاة إلى الطريق ودعا عليهم، وأجاب الله دعاه وسمع نداءه ولباه، وعن قليل رأى دعوته فيهم عياناً، وصار أكثرهم في الأرض متعريين جيعاناً بعدما وصل الترك، وأخذوا بالسُّنين حتى صاروا عبرة^(٢) بين المسلمين، وأما الذي ابتاعوا فهم قايد بن حسين أبو راس، وبيت دُماج وبيت ثوابه، وأما بيت البحر فلم يسعدوا للغزو مع المتوكل، مقافاة بسبب سيدي غالب كونه متزوج منهم والنسبة باقية، وعزموا اليمن، ولما تيقن عدم الصُّلاح في سكون صنعاء، وصل إليها في رجب سنة ١٢٧٩ وقت صلاة الجمعة، وصلى في الجامع الكبير بصنعاء وعزم من ساعته الغراس.

هذا خبر الإمام وبكيل ويام، وأما سيدي حسين بن الهادي^(*)، فعزم ثلثا وبقي فيها أيام مدة^(٣) المتوكل في الحيمة، وقبلها بأشهر، فلما سمع بما جرى من بكيل من الخدع ورجوعهم والإمام، أغتتم الفرصة لحصار صنعاء، ولما ناله من أهل ثلثا من عدم الطاعة، وهو كان مؤمل أنها ستقوم الحصّة فلم يصح^(٤) منهم شيء، بل أنهم خلوه في بعض الأيام عند نزوله من الحصن يصلي الجمعة في المدينة، وعشروا^(٥) فيه بالبنادق^(٦) ووقعت واحدة منهن في العاقل الذي يجنبه، علي بن إسماعيل اليمني في ركبته، وبقي أعرج، فرحل من ثلثا، وقد شاهد الحزن بعد السلا^(٧) وصار عند بني بُهلُول ينكف على صنعاء، وهم قبائل غُشم أعراب، وما علموا بما سيفعلوا أنهم سيحاصروا صنعاء المحمية بالله، وفيها المصلين وهم لكتاب الله وللأذكار محافظين، وللصدقات^(٨) باذلين وللزكاة^(٩) فاعلين وللأرحام واصلين وللشريعة منقادين ولكل قرية مودين وللعلم دارسين ولأهل البيت محبين ولأئمة الحق متابعين ولأهل الخلاف معاندين فأجابوا داعي سيدي حسين الهادي،

(١) أدركهم.

(٢) خ عبرتا.

(*) قلت هذا الرجل ممن تحيرت في شأنه العقول وقد ألف في أخباره العلامة الحسن الديلمي رسالة بعنوان «در النادي في الكشف عن خبث حسين الهادي» أوردها المؤرخ محمد بن إسماعيل الكنسي المتوفى سنة ١٣٠٩ «النفحات المسكية» سيرة المحسن بن أحمد.

(٣) خ مدت.

(٤) يتحقق.

(٥) أطلقوا الرصاص دفعة واحدة.

(٦) خ بلبنادق.

(٧) خ السار.

(٨) خ لصدقات.

(٩) خ لبركة.

ووصلوا جميع إلى ضَبْر الخولاني، وطرحوا فيه وشرع الحرب بينهم وبين أهل صنعاء، فزحفوا إلى (ماجل الدمة) وبقوا أياماً، وصار القتل في الجميع، وأكثره فيهم، وأما الذي في أهل صنعاء، فما هو إلاً فعلوا فعل الحمقا الجاهلية^(١) الجهلا أن لقيوا أحد في طريق مسافر أو ضعيف أو غير ذلك نهب وقتل.

وذهن سيدي^(٢) من نومه، ورأى أمسه خير من يومه، وصار كل أحد من الناس يلومه، وصار الفعل كل يوم مقاتيل ومصاويب^(٣) إلى زيادة، فندم حيث لا ينفع الندم، وكيف وقد زل القدم فشمر للرحيل وعزم وشد أصحابه بني بهلول إلى محلهم نادمين على فعلهم، وهو صار في قطعته^(٤) بني حجاج [] في عيال سريح عند علي عثمان، وما كسب إلا ما وقع وصارت^(٥) الحرشة^(٦) والفتنة بين أهل صنعاء وبني بهلول باقية، وكان يتقطّعوا لأهل صنعاء، وينهبوا ويقتلوا، ولم يحترموا أحد، بل في بعض الأيام لقيوا السيد فلان زبارة من أهل صنعاء كان متعشياً في تلك الجهات، فقتلوه غيلة، ولا ذنب له، نعوذ بالله من الضلال والإضلال.

وبعد ذلك شبع علي عثمان ميممة^(٧) له وحده يستقل بها دون غيره، وذلك من شففته على الناس، وسماحته، فذكر لسيدي حسين طلوع ثلا وأنه سيعينه بالمال والرجال، ويدخله ثلا ويزيل بقيامه معه العنا والبلا، وطلع معه أهل القرية قرية بني حجاج إلى أن أوصله باب المدينة، فلما رأى ذلك عاقل ثلا أغلق باب المدينة من حينه، ودخل علي عثمان إليه، وفشا له سر ما لديه، غير ما دبره لسيدي حسين كان لديه، وعول على أهل ثلا وعاقلها علي أحمد حسين الزلب: ما يضركم ليلة يبيت الإمام عندكم وفي صبح غد يرحل إلى شبام، فقد دعاه أهل كوكبان والطويلة وإن ما سوى تلك الليلة وهو يضمن وسيدي الهادي باقي خارج المدينة مراعي^(٨) يأذن له الشيخ علي الزلب، ودخل على شروط منها: أنهم لا يسلموا له شيء ولا يطلبهم حاجة^(٩) قرش واحد، ومنها أن لا يدخل الحصن ولا البيت الذي كان فيه أولاً،

(١) خ الجاهلية.

(٢) أي الحسين بن الهادي.

(٣) مقتولين ومصوبين.

(٤) خ قلعته.

(٥) صاره.

(٦) المحارشة والتحرش بمعنى التقطع.

(٧) أي شبع إمامة.

(٨) منتظر.

(٩) بمعنى حاجة تصل قيمتها قرش.

ومنها: لا يقيم عندهم غداً، وفتحوا له الباب وآووه إلى بيت في جنب المدينة صغير فوق برك جعدان، وطلب بما يقوم به ليلته من عشاء ولقراشه^(١) وخاصته، فطلبوا منه القيمة فرهن عندهم بندق هايلة، وبعد دخوله طلب شيخ ثلاً أهل المدينة الذي سلموا على سيدي عند دخوله، وأدب كل من سلّم قرش حجر، وذلك تجاري منه وهو أجوره^(٢) وما أظن إلا أنها عقوبة^(٣) تحويزه فصنعاء.

ويوم ثاني توجه سيدي على الشرط شبام، فرحبوا به وأبهلوا وفرغوا له بيت السيد حسين بن يحيى الكبسي، وبقي مدة مديدة، وضرب ضربة جديدة، ووقع له فيها ربح كونها غير صحيحة، ولكن قيض الله له بها كفايته، وبقي يدعو الناس فلم يجبه أحد، وتعدّر نزوله الطويلة لما قد عنده لأهلها من ديون، وأجلّها للشيخ أحسن^(٤) أبو علي فإنه فتح المدافن في تلك السنة الشهاب سنة ١٢٧٥، وسلم النقد الحاصل، وما ذلك إلا أن الله سبحانه أغاث العباد لشدة ما صادروا من القل والفساد، وأظهر أنها كنوز وجن وهواتف ورواجف كما قال القائل السيد أحمد القارة شعراً:

قالوا الجن قد حضروا وفي القرائع للبقر عقروا
ولشغل الكيميا ستروا كم دسوت لا إله إلا الله
هذا خبره.

وأما خبر المتوكل ومحسن معيض، فالمتوكل بقي في الغراس، والشيخ محسن في صنعاء يريد يستقل بالأمر^(٥) له وما يشتي^(٦) إلا قوله، ولا يكون فوق يده يد، وكله حب الدنيا وبقي يعول على سيدي يصلح بني بهلل لأن قد شغلوا صنعاء، ولا مع سيدي من صنعاء من الواجبات لا قرش من النقد، ولا قدح من الطعام، وعرفه سيدي أنه يخلي له جزية الذميين في قاع اليهود، فلم يسعد الشيخ محسن، بل أراد يستبد بجميع الحاصل، والإمام يدافع ما يحدث على المدينة وعليه من النواثب، وأما يسكنها أو يصير له منها شيء فمعتذر، والإمام عنده (من جباها حماها)^(٧) والجزية

(١) حيواناته.

(٢) أي أجاره.

(٣) خ عقوبت.

(٤) يسمي أهل صنعاء ونواحيها كل من اسمه حسن أحسن بصيغة التفضيل وهذا يتكرر كثيراً في الكتاب.

(٥) خ بل أمر.

(٦) يطلب.

(٧) من الأمثلة الشعبية.

أدناها، والذين لا خير فيهم أدخلوا الشحنا بينهم، فقام الشيخ محسن معيـض فعل^(١) على طبيعته وشغل^(٢) يده إن قال له: قم قام، وإن قال له: أقعد قعد، وقال له^(٣)، يتأهب لوقت حاجته، وخلّاه مكانه واستوى فرّق^(٤) على صنعاء فرقة لا أكبر^(٥) منها، واجتمع العلماء في صنعاء، وخرج منهم جماعة السيّد أحمد بن محمد الكبسي، والقاضي أحمد المجاهد^(٦) وجماعة، واشتروا عقاير وبعض كسوة، وخرجوا بني بَهْلُول وعقرت العقاير، وقبلت، وقطّعوا الشُّغلة^(٧) وسلموا للكبسي من الفرقة قيمة بيته الذي أخذته العامة بهدار الحيمي، فلما أمن الضرر رجع أدخل الإمام المتأهب وهو سيدي حسين بن المتوكل من الروضة، وتكنى بالهادي، وناجي شريان أدّى^(٨) الحصان، وأدخلوه إمام^(٩) آلة لمعيـض، ووصل القصر وفتحوا دار الضرب، وضربوا ضربة مغشوشة مكافأة للمتوكل، وقاموا جميع السادة آل القاسم للحزبة^(١٠) بين يديه وكان يسيروا معه قُدّامه وخلفه بالبنادق والعمائم، وبقي على تلك المدة مدة يسيرة، وسيدي المتوكل أخترك لحصار صنعاء، وهو محق في ذلك قطعاً لبغيهم ونكثهم لبيعته. وفي خلال خلافة سيّدي حسين جمع معيـض جميع أعيان صنعاء والسادة جميع، وعقال القبائل دغيش وعبد الوهاب مَرَح، وناس من هَمْدان وغيرهم عند سيدي حسين في صنعاء، وخلّاهم فعلوا تعاريف للترك وقواعد وطبعوا^(١١) فيها وفي ذهنهم يرددوا بها على المتوكل، وهي أول مصيبة كبرى وداهية عظيمة وفعلة^(١٢) صَمًا وفتنة وعمية ظلمًا وفتنة دهماً يهلك فيها الكبير، ويشيب فيها الصّغير ويظهدهد^(١٣) الضّعيف، ويوضع الشّريف، وتنجح^(١٤) الأموال ويقوى الأندال، ويوهن

(١) أي صنع.

(٢) أي صناعة.

(٣) خ قلة.

(٤) أي: جعل معونة.

(٥) أي بمعنى ليس أكبر منها.

(٦) من علماء وقته وسيأتي ذكره في الكتاب توفي سنة

(٧) المشاغلة. الأذية.

(٨) أحضر.

(٩) ح مام.

(١٠) الحزبة: بالتحريك التأهب والاستعراض.

(١١) ختموا عليها بأختامهم.

(١٢) خ فعلت.

(١٣) كذا في النطق عند أهل صنعاء يدلون الطاء دالاً أحياناً وهي يضطهد.

(١٤) تنفذ.

الأبطال، وتقوى الأشرار، ويغنى الفجار ويهمل الأخيار فشيد الشيطان ذلك وزين لهم ما كانوا يعملون، وكتبوا وطبعوا ونسوا^(١)، واشتد الحصار على صنعاء، وقبضوا أصحاب المتوكل في بئر العزب، نوبة، ونوبة الزوة في الخندق القبلي دخلها شندق^(٢) وقتلوا ثلاثة من صنعاء مسكه^(٣) وخبرته^(٤) وما وقع العقوبة إلا من جنس الفعل، وكادت الدنيا أن تكون دار جزاء.

فلما اشتد الحصار لصنعاء، وكان الشيخ محسن يشتغل بذلك لأجل يدرأ الحق بالباطل، وكان يستخف بسيدي حسين المتوكل، حتى كان في بعض الحالات يجلس بلا عيش^(٥) وفي بعض الجمع^(٦) نزل يصلي الجمعة، ولم قد تغدى من عدم الطعام في صنعاء، وتعذر القيمة والشيخ في أجل نعمة.

وكان يشتى سيدي يذكر بأيام إخوته محمد، وعبد الله المهدي، من السطوة والفتكات والبطشات التي كان فيهم، وهذا بنا من نفسه الهادي يفعل كفعالهم، وأين ذا من ذلك، وقس الدر بالحجر، وصلى جمعة سيدي ونزل بغير غدا، وقد أخذ جانب من صنعاء حق وقعة مسكة، ودخل سيدي حسين بيت الشريف علي الذي قد هو للطف عصيد^(٧) وقد الذقن زاقمه^(٨) الذقن/والجمعة الثانية طلعت السطوة العلوية والنخوة الهاشمية طلع من الصلاة من الجامع، ودخل القصر حسب العادة، فلما دخل مكانه فرق السادة إخوانه في الدار، وفي المراتب أعوانه، واستدعى بالشيخ محسن معيظ وتهده، إن قد ازدادت الحوزة واشتدت الغاغة^(٩) وأغلظ في الكلام وأساء في أخلاقه، واستدعى أخدانه^(١٠) وأمرهم بالشيخ ويقيدوه، وبعض الناس مدّ يده، وبعض الناس هرب من الجبا^(١١) لا ييسره^(١٢) الشيخ، وخشية يرجع يعاقبه، وصاح الصايح من

(١) أ ينسوا.

(٢) إسم شخص.

(٣) إم شخص.

(٤) أصحابه.

(٥) أكل.

(٦) جمع جمعه معروف.

(٧) خ غصيب.

(٨) ماسكة أو متمسكة (وهو من الأمثلة الدارجة لأهل صنعاء).

(٩) من الغوغا وهي بمعنى الفوضى.

(١٠) أصحابه.

(١١) السطح سطح القصر.

(١٢) بمعنى أبصر يدلون الصاد سيناً.

ميدان دار الذهب، وأول من صاح ورجم وقام مع الشيخ، رجل مصّيح^(١) في غنم من أهل باب اليمن إسمه مُطَايِز^(٢)، وتبعه الغوغا وكسروا باب الدار، ورجموا الكشك بالحجار حق الإمام وتغلّق باب القصر، وقامت فتنة كبيرة أولها في محسن معيـض، وآخرها على الإمام، وخرج معيـض إلى بيته بعد أن أخذ أصحابه أداة^(٣) من حق أصحاب الإمام والعادل والدويدار وغيره، وقد كان نزل عبد الله يوسف حويدر إلى السمسرة، وبنا من نفسه المعقلة بدل معيـض لما في قلب كل واحد على الثاني، وقد كان أمره الإمام يقع بدله.

وبعد ذلك نزل معيـض وانجلت المعركة، ورجع معيـض يلقط أصحاب الإمام للحبس والسادة، وخرج من صنعاء سيدي حسين [إلى] الروضة، وما هي إلا إرادة من الله للمعيـض، الأولى^(٤) أنه تبرّأ من المتوكل، وأدى^(٥) له على طبيعته، والثانية جواب لما سيأتي، لأنه خدع الإسلام والمسلمين بما ذكرنا من القواعد والطوابع في خلافة سيدي الشرفي^(٦) والله غالب على أمره (ويريكم آياته)^(٧) وصدرت تلك الكتب والختم^(٨) من طرف^(٩) عبد الوهاب مَرَحَ في سنة ١٢٧٩ إلى مكة، وتسبّب ذلك لما سيأتي إن شاء الله، وفرق الله شمل الظالمين، وفرّ معيـض من صنعاء بعد خليفته إلى محل إقامته وهي الروضة، وعامل صنعاء علي الأنسي خرج هارباً إلى دار سلم، ودخل سيدي محسن المتوكل من الغراس إلى جدير، ومن جدير وصل سنّ ودخل صنعاء بعد خروج معيـض، وسيدي حسين، وقبض الإدراك^(١٠) حق المدينة، وعمل فيها السيد محمد المطاع وفعل فيها سيف خلافته السيد محمد بن قاسم الحوئي^(١١) وفعلوا في باب شعوب حسين شندق، ورجع سيدي الغراس وبقي مدة وتسببت الأسباب، وقتل قتيل من ذوحسين من بيت الشايف في جبل عمران، وخرجت ذو

(١) كانه سمسار.

(٢) كانه لقب نيز عليه، والمطايـزة في عامية صنعاء النميمية والوقية بين الناس.

(٣) بمعنى أدوات. أشياء.

(٤) كذا في المخطوطة.

(٥) بمعنى أعطاه على طبيعته.

(٦) يعني به حسين بن هادي ويطلق أهل صنعاء ونواحيها على كل من اسمه حسين الشرفي أو شرف الإسلام.

(٧) من الآية الكريمة ٧٣ من سورة البقرة.

(٨) جمع ختم معروف.

(٩) من طرف بالفاء أي من جهة.

(١٠) موضع الحراسة.

(١١) من الدعاة في برط مهاجراً وكان من العلماء توفي سنة ١٣١٩ (اتحاف المهتدين ص ٩٦).

حسين على الجبل، واستدعوا المتوكل من الغراس، وعيال سريح، والجبل استدعوا الهادي حسين بن المتوكل، وخرج من الروضة، وبقي عندهم في ريدة، والمتوكل في الصيد، واقتسمت ذو حسين فريقين مع الخليفين، ووقع حرب وسدوا^(١) في القتل، ووقع السبب المذكور بين المتوكل وعيال سريح، وأما سيدي حسين المتوكل فرجع الروضة، وثارت الحرب بينهما، وبقي سيدي المتوكل في الصيد أياماً ونقل إلى المنجدة، وعضدته حاشد، وبعد تغليق الأمور وانسراح الصدور، وذهاب البؤس وإزهاق الدماء وقتل النفوس، وصل سيدي إلى الغراس، ورجع جدير، وخرج سيدي محمد بن عامر من المشرق، وهو دخل ينكفه لسيدي محسن، وخرجوا معه ذو حسين، ولما دخل سيدي محمد بن عامر لما ذكر، تبعه سيدي غالب بن محمد بن يحيى ينكفه لنفسه عند ذو محمد، وما كان القصد إلا التحريب على السيد محمد بن عامر والمتوكل، وعضد سيدي غالب أنسابه^(٢) بيت البحر لحتى أصلوه^(٣) الروضة، ووصل سيدي محمد بن عامر بلذو حسين عند المتوكل، وتجهزوا على مخرج أنس، وخطوا رحالهم في قرية (أسلع) أولاً وأطاعوا جلهم في / جهران وتقدموا على قبة حثيث، ودخل ضوران، وطلع الجبل وزار الإمام وواجهه أهل تلك البلاد، ووزيره محمد بن إسماعيل الكبسي^(٤) وبعد تقدموا^(٥) الجند على بني خالد، وسيدي بقي مكانه، وأخذوها عنوة، وبقيت المفاوتة^(٦) بين عامر ابن علوان العذري، وبين أهل بوقة لأن عاد كانت أرحب مع سيدي، ورجع من العدوية وباتوا في جزيز، وبقي في جزيز، وفي خلال تلك الأيام ومعيش في الروضة بعدما أخذ صنعاء أصحاب المتوكل، بقي يشاغل صنعاء معيش^(٧) وأهلها وخلاً من يدخل يحرق بالباروت بيت الثور في المدرسة، ودفع الله وحرّق من البيت جانباً، وسلمت النفوس، وزدّ عضدوا معيش عيال أحمد ناصر من شعوب، وعامر بن صالح دغيش، ودخلوا في شمس بيضاء^(٨) أذان الظهر أخذوا باب شعوب عنوة، وقتلوا فلان الحيمي باب بيته في المحوكة، وكان سيف الخلافة في القصر، ووقع فيه

(١) اصطللحوا.

(٢) أصهاره.

(٣) أوصلوه.

(٤) من العلماء له مؤلفات منها اللطائف السنية توفي سنة ١٣٠٨ (انظر مظادر الفكر ص ٤٥٩).

(٥) أي تقدم.

(٦) التردد أو الاختلاف في الترجيح.

(٧) أي وبقي معيش يشاغل صنعاء وأهلها.

(٨) أي في واضحة النهار.

إرجافة، وخرج منه بغير ضربة ولا طعنة، ولا قد أحد ناوشة حرب، ولم قد وقع غير أخذ باب شعوب، وترك القصر طوعاً، وعنده باقي التوابع، وعاتبه المتوكل أن لو أرسلت إلينا رسول لأرسلنا لك بألف أو يزون^(١) ومحتاجاتهم، وما علم سيدي محمد بن قاسم أن المتوكل طرح على صنعاء سنين حتى ملكها وقصرها، والسيد تركها بمجرد بندق قرحت في باب شعوب لا غير، وهرب إلى جدير، فوصل وبلغ إلى سيدي الإمام فلم يأذن بالدخول، وذلك لتركه وهربه من ذلك القصر المشيد، وقد رأينا^(٢) خلق كثير يثبتوا في حروب في البراري والقفار، ويعلقوا نفوسهم في متارسهم، فكيف هذا الذي خرج من القصر، وعنده محتاجه، وهو سيف الخلافة، ولو أرسل رسول حال الواقعة ظهراً ما جاء العصر إلا وعنده قوم كثير من عند الإمام بزادهم، ولكن^(٣) هذا يذكرك على جبانته، ولورأيته وهوراكب على حصانه مدور لعمامته يدلك فعله وحركته على أنه يصاد^(٤) ألف فارس في ميدان الحرب، ولكن كما قيل شعراً:

إذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا^(٥)

وحيث قد جاء ذكره على غير تأمل فلنذكر دعوته الفاسدة، وتجارته الكاسدة فإنه لما خرج إسماعيل باشا بعد مدة مصطفى عاصم في أول سنة ١٢٩٧، أطلق المحابيس العلماء الذين^(٦) في الحديد فوصلوا صنعاء، وقد أقسموا أن ما سيقف منهم أحد وأنهم سيهاجرون ويعظون^(٧) الناس، ويذكرونهم كونهم^(٨) القدوة وورثة الأنبياء، ولهم إمام قائم ولا سيما حيث قد جربوا الظلم في نفوسهم، وسببه تصاغيهم ومعاونتهم للظلمة فأراهم الله غيب فعالهم، فلما رجعوا تمموا^(٩) وتحنوا بالحناء، وترفهاوا، وحسبوا ذلك إمتحاناً، إلا هذا العلامة السيد محمد بن قاسم فإنه بقي في صنعاء مدة يسيرة، ورحل للخريف^(١٠) في السر، واستل على حين غفلة من جميع الناس وفرحوا

(١) كذا في المخطوطة ولعله أوزيدون فسقطت على المؤلف .

(٢) خ رينا .

(٣) ح ولاكن وهذا يتكرر كثيراً مع كل ذكر لهذه اللفظة فلا نطول على القارئ بذلك .

(٤) كذا في المخطوطة وتقري يصادر (مختلطة) .

(٥) من شعر المتنبي .

(٦) خ الذي .

(٧) يوعظون وفي المخطوطة بالضاد .

(٨) فصيحة تستعمل في عامية أهل صنعاء وهي تقابل الكلمة التي يستعملها الكتاب في وقتنا هذا وهي «حيث أنهم» أو لأنهم القدوة إلخ .

(٩) من التحمم وهو الاغتسال .

(١٠) الخريف بمعنى الاصطياف وهي فترة يقضيها أهل صنعاء في الضواحي المحيطة بالمدينة ويمضوا فيها مدة الخريف .

بذلك العام والخاص، له بالرحلة مع السّلامة وإنه سيعين القائم بأعباء الخلافة الذي دعا في سنة ١٢٩٦ وهو الهادي لدين الله شرف الدين محمد، الذي دعا في الأهنوم بعد وفاة المتوكل المحسن بن أحمد، فما تم لذلك السّيد من حين أطلق من الحبس نحو سنة ويزيد يسير، إلا وقد دعا من برط لنفسه وتلقّب بالمهدي، وترسّل ونسي أن الآخر داعي، ولو أنه اجتمع بالهادي، ورأى منه ما يخل بالشروط، كان أثبت عند الله، وعند الناس، وما لاه أحد، لكنه^(١) لم يتواجه هو وهو، إنما على ما قيل من المبغضين، والناس لا يرضوا بحال ولا بأجد بل يقدحوا في كل أحد، وقد قالوا في آبائهم، وكان الثاني والفحص والتحقيق أولاً [وما ذلك منه حيث كان طالباً للخلافة إلا حسداً منه للقائم، وإن هو على ما ظهر لنا وتحقق لنا، فهو مغرور لأن الفقهاء والمصدقون الذين كانوا مع^(٢) المتوكل، كان رحمة الله مطلق لهم العنان، حتى أنهم أخذوا حقوق الأراضى لهم، وما كان يرجعوا للمتوكل إلا بشيء يسير، بحيث أن بعض السّادة أرسل رسول من بني حبش بمئتين قرش حجر، وكتب صحبته كتب منها للمتوكل وصدر للمتوكل بأربعين قرش، وكتب إلى بيته ومئتين قرش، وتحراً^(٣) الرّسول في ذلك لا يغلط بالكتب وكان الإمام في المنجدة في حاشد محتاج، والجهاد قائم على عيلا سريح، ولم يكن في تلك الحال عنده من المال شيء لا نقير ولا قطمير^(٤) ولكن الرسول صاحب ديانة صادقة يعلم أنها كلّها لبيت المال، فما وسعه دينه إلا ظهر للإمام بصفة^(٥) الواقع وقبّضه^(٦) الكتب جميع، فرامها في نفسه إن هو لحاجتها وكونها بيت مال أخذها، وإن هو لتنفير السّيد المصدق ولما سترتب على ذلك من الفساد، وكونهم ما يريدوا إلا مصالح نفوسهم، فاحتاج المتوكل رحمة الله تغاضي وصبر، وخلّاً كل شيء على أصله، فلما قام الهادي شرف الدين، وعنده أخبار الفقهاء والمصدقين تولّى كل شيء بنفسه، وكذلك من قبض الحقوق يسلم أجرته من يده، فبيست أيدي الفقهاء، وراجعوا الهادي، فلم يتراجع، بل تولّى كل الأمور لعدم الثّقة بالجمهور، فمالوا الفقهاء إلى السّيد محمد بن قاسم المذكور، فأمرهم السّيد بالبقاء^(٧) على عاداتهم أتم المتوكل، فقدحوا في الهادي عند الحاضر والبادي،

(١) خ لاكنه.

(٢) خ معا وهذا يتكرر فلا حاجة لإعادته هنا.

(٣) خ بأول.

(٤) من الأمثلة الفصيحة والنتنة في ظهر النواة والقطمير القشرة الرقيقة حولها.

(٥) خ بصفنت.

(٦) خ قبض.

(٧) خ ببقا.

ونصبوا السيد محمد بن قاسم الحوئي، وخرج من برط إلى ^(١) حوث وشق العصا وممن عضده أهل حوث وأهل ضحيان وصعدة والعنفي ^(٢) والسيد محمد بن محسن المتوكل، ومقصدهم ما ذكر، وما آل من قيام المهدي إلا أراحت الأتراك والتخريب على الهادي، وتفرق العباد في جميع البلاد، وتعيشوا المتفقهون ^(٣) وتركوا الهادي، وأقامه الله فإنه قام بعصاته لا يملك شيء، فآتم الله له أملة، وبلغه مراده، وملك الخيل والمدافع والبنادق والشاشخان ^(٤) والعربيات، ومكّنه الله من جميع البلاد، وأحبه العباد محبة ما أعلم من سني أنها وقعت لإمام، وما قد رأيت ولا سمعت بإمام أجمع على صحبته المخالف والموالف سواه، والباقي من المخالفين لا يعدون لأنهم نفس يسير في الإجماع، لأنهم طالبين مصالحهم، وما خلافتهم إلا لهوى نفوسهم، ووالله ثم بالله ثم تالله لو زد كمل الهادي بخصلة واحدة قد عرفته بها وليس هيه ^(٥) قدح في حقه فأما هو فأكل جميع الشروط [إنما هي النصيحة مما يقرب النافرين والثقة للمؤمنين وعدم تولي الأعمال من لا يصلح لها وما كسب ذلك وقد شاع وأما هو فما والله أحد يبلغه في سيرته زهد وكرم وبخل على من لا يستحق وشجاعة وتدبير وهكم ومداواة وصبر وتغاضي وعدم البادرة وجميع خصاله محمودة ودين ما في مسلم وخوف الله إلا في الأمور الذي تخالف الدين تخالف الشريعة فلا يخشى في الله لومة لائم هذا بإخباري له مسنين وأشهر ملازمة في جميع الأوقات] إن قد أصفى ^(٦) اليمن ولا خرج من بيعته أحد، ولكن نقول ما قاله السلف الصالحون لا حول ولا قوة إلا بالله ^(٧) فذلك اجتهاده لنفسه، وكل مجتهد مصيب، فيكفي المسلمين منه إنتصابه للظالمين ومباينة ^(٨) الفاسقين، والتصدر للأعباء ^(٩) ورجع المهدي برط، ولا نتج من دعوته إلا إراحة الظالمين، فأى جهاد فتح، وأى بلاد استفتح وأى صدر بقيامه انشرح، وأى ظالم بقيامه كَلَحَ، وأى مسلم أفلح.

(١) خ الا.

(٢) هو العنفي يبدأون اللاز نونا مع كثرة الاستعمال.

(٣) مدعوا الفقه أو الفقهاء المتزمتون.

(٤) نوع من البنادق في ذلك الوقت واللفظة أعجمية.

(٥) هكذا في النطق وهي بمعنى هي.

(٦) أي جعل اليمن من صفايه أملاكه.

(٧) استظهر هذه الخصلة التي عابه بها فيما بعد وهي عدم ميله للنصح والمشاورة.

(٨) خ مباينت.

(٩) خ للأعباء.

ونرجع إلى ما كنا بصدده:

وأما سيدي حسين الهادي الذي في شبام، فإنه بقي مدة لا سياق إليه ولا عيش هني، إنما من شهر إلى شهر في وهين^(١) وأخبر أنه مُنتظر لأخيه^(٢) الرعيني^(٣) يظهر من قرى حمير، فبقوا الناس منتظرين معه، فلما كان ذات يوم في رمضان سنة ١٢٨٠ أو إحدى وثمانين إلا وقد أخبر أن الرعيني في ذلك اليوم يظهر فتهيأ العباد لرؤيته، ولا سمعوا إلا المرافع تضرب من بابه والإشعار به، فتجاروا^(٤) من البيوت والأزقة حتى المرضي لرؤيته، وإذا هم برجل راكب على حصان لا بس جلاية^(٥) ذهب وإذا هو الحاج عبد الله بن عبد الله حسين الزهيري صاحب ثلثا فتيقنوا الذهاب والبلا، وتفاقم الأمر عليه وجاع من لديه، وكان يركب فوق خيله من لقي ليتسبب الغلمان وتشبع الخيل، وضاق بهم الخناق، ورحل إلى ضلاع همدان، وبقي فيه عند الغشمي، وضربوا ضربة، وأما الشيخ محسن لما أرسل أهل شعوب نحو عشرين نفر وقبضوا باب شعوب على مولاي سيف خلافة المتوكل سيدي محمد بن قاسم الحوئي. إلا من فر وقتلوا الحيمي وأمسوا^(٦) يومهم، وتبعهم الشيخ محسن من الروضة في اليوم الثاني، ودخل من الخندق القبلي، ولقيه عبد الله حويدر، وفي ذهن محسن سيقم في بيت حويدر، ولكن عبد الله حويدر كان مقدام أمره بالطلوع صنعاء، فطلع وفرايصه، ترتعد قطعاً، وكلما وصل إلى محل بنا^(٧) الوقوف فيه، وحويدر يجز بالعكسر حتى أدخل السمسرة الذي كان يجتمعوا فيها للباطل^(٨) ومع النفاق، وقد هرب السيف محمد بن قاسم وأصحابه (خلا لك الجو فيضي واصفري)^(٩) فخلا له

(١) وهن.

(٢) خ بل أجه.

(٣) هو ما يشبه المهدي المنتظر وفي بعض الروايات يرد اسمه بالقحطاني وفيه الحديث الذي أخرجه الطبراني في الكبير . . . ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً يؤمر بعده القحطاني، انظر الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة لصديق القوجي من ١٣٩ ط المدني.

(٤) أي أخذوا في الجري.

(٥) ثوب فسيح الأكمام مطرز بأسلاك من الحديد اللماع وكذلك الحصان يغطي بعضه حول عنقه. وفي قانون صنعاء من ٣٢ هي جبة واسعة الأكمام من الثياب الحرير مقصب بخيوط بالفضة أو الذهب لا من غيره فتسمى جلاية وإذا كانت من الجوخ فتسمى جوخاً والشكل متقارب.

(٦) دخل عليهم المساء الليل.

(٧) قرر أو اعتقد في نفسه.

(٨) وهي المعروفة بسمرة العثر.

(٩) من الأمثال الفصيحة وهو من رجز لطرفة يقول فيه:

يا لك من قنبرة بمعمر خلا لك الجو فيضي واصفري

الجو ومملك صنعاء في لحظة واحدة، وبقي مدة ورجع سيدي المتوكل لمحاصرته حسب عادته، فرأى أن ما يقع إلا يفعل إمام ويُسند الأمور إليه، ويكون منه وإليه مثلما فعل بحسين بن المتوكل، فكتب لسيدي حسين بن الهادي، وأدخله من ضلاع ضَحْكة^(١) بين الناس مثلما ضحك على من قبله، وما هي بأول^(٢) فنقل سيدي المتوكل إلى بيت^(٣) سَبَطان، وعمر فيه حصناً مانعاً، واشتد الحصار، وضاق بأهل المدينة الخناق، وطلعوا للشيخ محسن ناس عقلاء، وقالوا له: ما بينك وبين المتوكل، فما قد صدر منه إليك شيء لفعالك هذا أهلكتنا، وإنما نحن نُسعى بينكما بما تقر به صدوركم، ومع ما قد ناله من الحصار وسيدي حسين معه آله لا له ولا عليه فأسعد، وتشرط منها إقامة الشريعة لا بأس والرفع إلى الإمام، وينصب للإمام شيخ إسلام من لديه، وإقامة الحدود ترجع إلى الإمام، ورفع الأحكام والخطبة للإمام، وخرجوا إلى الإمام بذلك، فرأى الإمام (حنانيك بعض الشر أهون من بعض)^(٤) فأسعد، ولو لم يكن إلا إقامة الشريعة، وسلوك ضربة المتوكل، ومنع كل ضربة تظهر عليها فباطلة، وصلحت الأمور وارتضى بذلك الجمهور، ولكن كل واحد لا يثق بالثاني وإنما الشريعة بالظاهر، وأخرجوا سيدي حسين الهادي من حيث جاء (وكان لم يسمر بمكة سامر)^(٥) وفي خلال ذلك قتلت عبد الله حويدر، تسبب لها الشيخ محسن لأن ما عاد كان معه ضد إلا عبد الله حويدر، وفي قلب معيضة من حق حسين بن المتوكل، حين قد كان وقع به فما كان سيقوم بمعقله صنعاء إلا حويدر، وقد كان شرع ساعة الوقعة بمعيضة، ولعله منافس في ذلك، فلما تمكّن منه معيضة، خلا من هجم عليه إلى بيته وقبضوه وأطلعوه الحبس، وبعد يومين أرسله إلى سيدي المتوكل إلى جَزِير والسَّياف معه محمد بن محمد بن أحمد ناصر صاحب شعوب، وأخرجوه من صنعاء هو وعلي نَشْوان ولُطف سَرْحان، فما وصل عند المتوكل إلا هدية وجرادة إلى فحم حَوَّاني^(٥) لأنه كان كلما تنجح عليه الحصّة في صنعاء يخرج إلى سيدي ويبايعه، ويتعهد له، وإذا لقي مجال في صنعاء نكث مراراً عديدة، فلما وصل ضرب عنقه في الحال، بسبب نكثه مراراً والغوغا يقولوا

(١) مهزلة.

(٢) تستعمل في العامية الدارجة بمعناها الفصيح.

(٣) من أبيات لأبي خراش انظر الزهرة ٥٥٠/٢

(٤) ما بين المعقوفتين من الهامش ولا يكاد يقرى.

(٥) حيوان كالحربا يأكل الهوام.

أنه قتله لأجل معيضة كونه أرسل به ويريد قتله ويبا^(١) الله ذلك أن سيدي يجابر معيضة بقتل نفس فمعيضة أكبر أعدائه] وبقي المتوكل في قلبه جهاد الباطنية ولا زال يسأل^(٢) الله التمكن والنصر بالفتح المبين ولا زال يدأب.

وأما سيدي حسين الهادي فأيس^(٣) من الخلافة، ورجع القرية وسكن وطوى^(٤) عنها كشحاً وأضرب صفحاً.

وأما الغشمي فادعى أن له غرامة مع الهادي في قيامه، ورجع يطلب من أهل صنعاء غرامته، فلم يقف على طائل، ونهب حمولة كبيرة تجارية أكثرها لأهل الروضة، وبينهم وبين همدان ضغائن، فدخل أهل الروضة إلى الشيخ محسن يتضرعوا عنده ويبدلون له/وقبضوا في صنعاء في همدان نحو أربعين نفر، وأطلعوهم الحبس وحذروا أهل صنعاء الذين يعتادون السفر من المرور وسط همدان، وكان الذين يجو^(٥) من بلاد كوكبان يخرجوا من شبام بلاد أرحب، والذي من تهامة يجو سهام فأيس همدان من أهل صنعاء، فرجعوا على صاحبهم الغشمي، وكادت الفتنة بينهم تثور^(٦) فاحتاج ورق^(٧) في ثمن الحمولة في ماله، وخرج فقير لا له ولا عليه، أعمى نظره بيديه، وسكنت الضواري، وأيس معيضة من كل قايم، فما حصل معه بذلك إلا المائم، ولكنه اغواه الشيطان، وكان يرجع يعاقب بعمله ويتحقق له سوء فعله، فسبحان الباقي الذي لم يتغير ملكه.

[خروج المتوكل على يام إلى الحيمة مرة أخرى سنة ١٢٨٥]:

وفيها تقوى في بال المتوكل على النهوض على الحيمة لجهاد الباطنية، وطلب القبائل أرحب، فوصلوا كبيراً وصغيراً ونهض، وأمر الشيخ محسن يهىء له المحتاج من خبازين ونجارين ومقهورين وجميع المهر، وخرج من صنعاء وغيرها للجهاد ناساً قليل أخلاط، ونهض الإمام من حزيز على بركة الله، وطرح في بيت ردم، وتقدمت القوم، وأخذوا رأس البلاد، وأرجفت يام رجفة كبيرة وأيقنوا بالهلاك ووقعت في الزيلة قتله يشيب منها الطفل، وقد كانت الزيلة ملائمة من يام، ووقع المطرح

(١) كانه وبأى الله ذلك.

(٢) خ بسل.

(٣) خ فإيس.

(٤) خ طوا.

(٥) يأتو.

(٦) خ ثور.

(٧) أي كتب على نفسه في ذمته.

عليهم وبعض من القوم جت^(١) طريق جعلل وتحاصرت الزيلة محاصرة عظيمة، ولم أمكن أهلها يفتحوا لجند المتوكل، وما بقي إلا الهجوم على القرية وعلى من فيها، فهجم القوم، فلما رأوا رصاص يام، وهم قبائل طغام ليس مقصدهم إلا النهب والسلب، وهو عندهم أكبر المرام، اكتسروا من القدوم وترازا^(٢) الحرب، فلما رأى ذلك السيد العلامة الهمام علم الإسلام سيدي قاسم بن محمد من آل الإمام، أخذ الراية المتوكلية، وجري نحوهم، فلما رأى ذلك القوم داخلهم النقص في نفوسهم، وثارت الحمية في قلوبهم، فصمّموا بعده، وقفزوا وتهافتوا على القرية مهافتة السباع ودخلوها عنوة وجدوا، واجتهدوا وقاتلوا قتالاً يني عن ديانة وغيره لله، فبعضهم أحرق الدور بالنيران، وبعضهم أحرب في الدور، والبعض كفّلوا المرافض والشرط وأحازوا^(٣) يام في المحل، حتى لم ينفلت منهم أحد وصاحت (يام) بالأمان والإعلان بالطاعة، وكل من قتل احتزوا رأسه، ودخلوا على دار فيها نحو خمسين رجل من يام، ومن شدة ما نالهم وما رأوا أيقنوا بالهلاك، فاجتمعوا إلى ديوان واحد، ودخلوا قوم المتوكل ولم عد يجدوا فيهم متحرك، وسلموا سلاحهم، وقتلوه قتل واحد حتى أتوا على آخرهم، وخربت البيوت المانعة، وإطاعة البلاد الشاسعة، وجمعوا جميع ما في الزيلة من أثاث وسلاح ومواشي وطعام، وجمعوا رؤوس القتلى من يام وغيرهم ممن كان في القرية محارباً، وأرسلوا بها إلى عند الإمام المتوكل إلى بيت ردم والإمام/علق بعضها في الحصن عنده وبعضها أرسلها إلى صنعاء فوق جملين وأتانيين أو ثلاثة، ووصلت وقت العصر إلى باب الشيخ محسن، وكان لوصلها موقع عظيم في قلوب الناس، وأيقنوا بنصر الإمام وإدبار يام، وبقي الشيخ محسن في وجل عظيم من المكرمي^(٤) كون الرؤوس وصلت إلى بابه لأن في قلبه مرض، وماله رضا بهذا الغرض، بل أنه مداهن، ولم يسعه إلا امتثال لطاعة الإمام بصلب الرؤوس في الأبواب وتسليم البغاشيش^(٥) للواصلين بها، ولعله كان مكاتب للمكرمي، وبعض التجار في صنعاء كما قال الله تعالى: ﴿ولكن أكثرهم للحق كارهون﴾^(٦).

(١) جاءت.

(٢) هدؤا أو توقفت الحرب.

(٣) حاصروا.

(٤) نسبة إلى المكارمة وهم جماعة من الباطنية في اليمن.

(٥) جمع بقشيش وهو ما يعطي مقابل تسهيل مهمته وهو من الفارسي.

(٦) سورة الزخرف الآية ٧٨

ولما فرغوا من تمام قرية الزيلة توجهوا نحو العر وما حوله، والمباشر والأمير الكبير على الأجناد العلامة الهمام محمد بن يحيى حميد الدين^(١) طرح في الخرابة خارج العر، ودخلت القوم جميع البلاد وفتحوا لهم البيوت وتخططوا فيها، ودخلوا جميع البلاد، وأطاع أهلها ورأوا^(٢) إنصاف الدولة وعدلها، وفتح لهم الحاج أحمد المهدي وحتى وصلوا الحصن حقه، وصلت الجند المتوكلية إلى أسفل الحيمة حتى أرجعت حراز بمن فيها، وكانوا فرسان^(٣) الطاعة للإمام، فلما رأى ذلك الداعي خشي على استيصالهم حراز ورأى^(٤) كم ذهب من أصحابه، فبذل الأموال وسعى أعوان الشيطان إلى أرحب، ورأوا ما قد جمعوا من نهب الزيلة، ولا غاية نصب أعينهم إلا بيوتهم فأرغمهم اللعين بالdraهم، وأكثر المصائب من عقابهم، فأخذوها ولم يلتفتوا إلى أمامهم والسبب سوء أعمالهم وقبيح فعالهم، وكروا راجعين على أعقابهم، ولطف الله كون الإمام بقي في بيت ردم.

وفي خلال ذلك كان قتل السيد أحسن سليمان قتل في القزالي وكان متعشي هو ومن قتله في بيت السيد محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن، ومن جملة^(٥) القتال^(٦) عبد الله حسين الدفعي وكانت لقتله^(٧) في صنعاء وحشة عظيمة، وخرج ولده وبعض السادة ينكفؤا في أرحب، وخرجوا ذلك المخرج، وضبطوا الدفعي صاحب شعوب، وسيدي محمد بن عبد الله على الشريعة عند الإمام في بيت ردم، وطلع الجميع إلى حضرة المتوكل وتشارعوا عنده.

ومن بعد تلك الوقائع والحروب وكثر الشغل والقتال وغيره، سكنت الأمور وصلحت المدينة صلاحاً ما قد سكنت وصلحت فيما مضى مثله، في آخر دولة بيت القاسم من دولة محمد بن يحيى، لأن من أيام الترك سنة ١٢٩٥ لم زد سكنت من الشغل أبداً، إنما إمام يسير^(٨) وإمام يجي^(٩) وحوزة تقدح^(١٠) وحوزة تنجح^(١١) وفلتت^(١٢) فلتة واحدة في جميع

(١) هو الإمام المنصور فيما بعد.

(٢) خ رأو.

(٣) كذا ولعلها قرية الطاعة.

(٤) خ را.

(٥) خ جملة.

(٦) قدر كلمة ضرب عليها المؤلف بالمداد الأسود.

(٧) خ لقتله.

(٨) بذهب.

(٩) يأتي.

(١٠) تلهب.

(١١) تنتهي.

(١٢) تفلتت.

الأقطار، ولم أحد زد احترام أحد، ولا بلد سلم من دون بلد، وكثر القتل، وفشى الطاعون في جميع أرض اليمن، وترادفت عليهم، بسبب ذلك المحن من عاهة العنب، وقُلّ الرطب، وموت العباد، وكثر الجراد، وبيس البلاد، وقلت الأمطار، وغلا^(١) الأسعار وموت الأخيار وتسلبت الفجار، وقُلّ في الناس أهل الرُشاد وكثر فيهم أهل البغي والفساد، ولكن مع صلاح/نية الإمام المتوكل سكنت صنعاء وحوازها من بعضهم البعض، حيث ما يريد إلا الصلح والصلاح، وسلوك طريق الرشاد والفلاح، كف عن أهل صنعاء الحوزة والحصار، لعلمه بضعفهم، وأن الغلبة فيها لعاقلهم، وإن هُوَ معيَض فتنع^(٢) من الخلافا^(٣) لما رأى من عدم الثقة بهم والصُّغا، وقد وثق على نفسه بما وقع بينه وبين المتوكل، وإن هُم القبائل أهل الحواز فما كان يسبر^(٤) لهم المجال إلا بخليفة يفعلوه ويدخلوه صنعاء، وأهل اليمن وأهل صنعاء قطعوا اليأس من جميع الخلفاء حق القبائل، وصنعاء المحمية هيه أم أرض اليمن، فما يسبر لأحد شيء إلا، بها فأيسوا الجميع، وأطاعوا المتوكل الرفيع والوضيع، والمتوكل قنع منهم بما ذكر، وهيه إقامة الشريعة ورفع الأحكام والحدود إليه والخطبة، وذلك شعار الإسلام، وانتظر للفرج من الله، فسكنت صنعاء وحوازها^(٥) ودخل فيها شيخ الإسلام من عند سيدي السُّيد محمد إسماعيل الكبسي^(٦) برضاء أهل صنعاء وأقيمت الشريعة المطهرة، وكان هذا شيخ الإسلام الكبسي رجل هائل^(٧) دُين عرف بواطن الأمور، ويكفيك من دينه إقامة الشريعة وختم الله له بالسعادة بنيته الصالحة، فصلحت صنعاء صلاح ما قد صلحت مثله من عهد المتوكل محمد بن يحيى، لأن رأس الأمور إقامة الشريعة، وإذا استقامت فهي بمنزلة الرأس من الجسد، إن صلح الرأس صلح سائر الجسد والعكس.

وبعدها ضربة السكة حق الخليفة، إذا هي على أساس دين، فكله يصلح، فلما كانت ضربة المتوكل رحمه الله على أساس، صلحت جميع الأمور في المدينة والحواز، وكان صرفها أربعين^(٨) مئة حرف عن ثمان مئة كبيرة ولكن كانت فيها

(١) غ غلا لا أسعار.

(٢) آيس.

(٣) الخلفاء.

(٤) يصلح.

(٥) ضواحيها.

(٦) سبق ذكره.

(٧) عظيم.

(٨) خ ميت.

فضة، وليس على قناها^(١) خسران، بل أنها كانت لا توجد بالقرش الحجر، لأن الذميين^(٢) لما اختبروها بقيوا يلفوها^(٣): كونها مُخَوَّرجة^(٤) مع كل أحد، ماهية^(٥) مثل حق الماضين، ما كان يجي^(٦) القرش إلا نصف قرش، وأما حق الحَيَمي وشُوع الليل فما عاد كان يجي القرش إلا قدر ثمن قرش، فعدم كل شيء، وأما هذه فوجد بها كل شيء، ولا زِدْ عدم في صنعاء شيء من جميع المحتاجات حَبَّ^(٧) وسَمْن وخطب وقِشْر^(٨) ولو يقع لأحد منها مئة قرش ما قلق، ولا أيقن بخسران فيها، فما ذلك إلا رحمة من الله لعباده، لشدة ما قد صادروا^(٩)، وأحسن نية صاحب الضربة القاتلة، حتى أنها بقيت يتسالكوا بها إلا بعد وصول الترك بأيام، لحتى أن الذي لا خير فيهم غشوها بدراهم ردية اسمها (شرفية) ولكن قد دخلت الذنوب على الناس بعدم متابعتهم لآل محمد.

ولمادخلت الدراهم الشرفية بين حق المتوكل مَحَقَّت^(١٠) على جميع أهل اليمن، لأن قد كان الترك عند وصولهم فرحوا بها تقع دياوين^(١١) لأجل البركة في المصروفات، ولكن مع عدم معرفتهم للشرفية الباطلة^(١٢) كان التركي يصرف القرش من الدراهم، ويسير يتصرف بها، وإذا قد أهل صنعاء بيردوها لهم، لمعرفة أهل صنعاء بالشرفية من زمان، فبطلت بأصلها والسبب ذنوب، ولم زِدْ رأينا^(١٣) يوم ناهي^(١٤) بل كل ساع^(١٥) دون الذي قبلها، وأما من عند وصول العجم فتنغصت كل الأمم،

(١) اقتناها.

(٢) هم اليهود.

(٣) يخفوها.

(٤) مربحة.

(٥) ما هي: لم تكن.

(٦) يأتي.

(٧) قمح.

(٨) هو قشر البن.

(٩) شاهدوا عاينوا أي لقوا من المصادرة.

(١٠) عطلت.

(١١) أي صغيرة حقيرة.

(١٢) الباطلة.

(١٣) خ رأينا.

(١٤) جميل.

(١٥) ساعة.

وزالت علينا جميع النعم، ولا بأس أن أول وصولهم ألين لعدم محتاجاتهم من أرضنا^(١) فهي علينا أهون، ولم قد أمعنوا النظر فينا، وصار ضرهم فينا من المطالب^(٢) وأما قبل وصولهم بنحو ثلاث أربع^(٣) سنين، وهي الذي ذكرنا أيام ما أيسوا أهل صنعاء والقبائل من الفساد، وتسوية^(٤) كل قبيلة خليفة، ودانت لسيدي المتوكل، ونفذت أحكامه، فما هي إلا جنة، والسبب صلاح نيته وصلاح طويته، وبالنظر^(٥) إلى ما قبل فما هي بجانب دولة الإمام الناصر رحمة الله والهادي والمهدي وما قبلهم، فما هي بشيء والسبب قوة شوكة^(٦) الإمام ببيوت الأموال، ولم قد دخلت أيدي القبائل في الدول، والسبب قيام الشريعة، وتنفيذ الحدود فهي في قيام الدين غرة، وعلى أهل العصيان والفسوق مرة.

هذا في الأيام الأخيرة [وما هي بشيء بالنظر إلى أيام المهدي أحمد ابن الحسن^(٧) والمتوكل على الله إسماعيل^(٨) وأما غرة الدنيا عند أهل الدنيا لا أهل الدين، فأيام المهدي عبد الله، وصنوه الهادي محمد بن المتوكل، فهي الغرة لترفيه المترفعين وجمع حطام الدنيا الفانية، ولا بأس إذا كان فيهم ناس موصوفين بالخيرية^(٩) من المحاسن والصدقات، وقضاء الحاجات^(١٠) وإقالة العثرات، وتفريج الكربات.

ولكن الزمان تبسّم لأهل ذلك الوقت، والسبب أن أرض اليمن كلها في يد الدولة ببناذرها ويمنها ورئمه وعُتمة، وجميع الجهات، حتى أن التبني ينساق من أطراف البلاد فيما سبق من برط، وآخره في أيام المهدي من عمران تبني للخيال.

وكانوا جميع الخلق معتاشين مع الدولة، فإنهم أخبرونا من شاهدوا ما نذكره، وحال الرقم وعادهم أحياء يرزقون، فأول الأمر أن الخليفة منقاد للشريعة المطهرة، ولو على نفسه، وما يملكه، وكان شيخ الإسلام مهابة لتنفيذه لكتاب الله وسنة رسوله

(١) خ أرضنا.

(٢) هنا قدر كلمة مضروب عليها بالحبر بقلم المؤلف.

(٣) يريد أن يقول بنحو ثلاث أو أربع.

(٤) خ تسويت.

(٥) خ بلنظر.

(٦) خ شوكت.

(٧) هو صاحب الفراس سبق ذكره.

(٨) حكمه سنة ١٠٥٤ ووفاته سنة ١٠٧٩ (انظر أتحاف المهتدين ص ٨٢).

(٩) بالصلاح.

(١٠) خ قالت.

ﷺ، ولم أحد يشهد عليه بأخذ نقيير ولا قطمير من المتشاجرين، والسبب أن معه قِطْع مثل رصابه^(١) والرونة^(٢) وغيرها تَدِّي^(٣) أقل ما يكون ألف قدح^(٤) طعام، ومثلها عدد أنصب غنم، وعاد معه من الحيمة مصروف في كل شهر نحو مئة قرش حجر، فيأكل معه كل من عَرَفه وجاوره، ولم يدخر شيء مما حصل. وبعده سادتي آل الإمام مثل سيف الخلافة وأضرابه، قِطْع ومصاريف، وأكل معهم^(٥) كل من دخل عليهم، وعرفهم وعرفوه.

وبعدهم الوزراء خمسة ستة، كل وزير على بلاد، تهامة وزير، اليمن^(٦) وزير، أنس وريمة وعتمة وزير، البلاد الغربية وزير، الجمال وزير، الصّوافي^(٧) وزير، العكفة^(٨) وزير، ووزير الختام^(٩) عند الإمام فوق الكل، وكل وزير يغرف من الدنيا كغرف المحر^(١٠) فما كان يتوازروا^(١١) إلا ستّين ثلاث، ووقعوا^(١٢) به ولقيوا^(١٣) عنده أموال لا تحصر كما ذكرنا لك أول الكتاب، وكل وزير متعيشين معه خلائق لا تحصى، وتحت كل وزير عمالاً في الأراضي، مثل وزير تهامة تحته ثلاثة أربعه عمال من كل بندر، وكل مدينة، وكذلك وزير اليمن، تحته في كل مدينة عامل، وكل العمال بيأكلوا ويعتاشوا معاهم خلائق الكتاب والمعاريف^(١٤) الأصحاب الخدامين حق الدولة، وحقّهم البوابين حقّ الدولة وحقّهم الوُفاد والقُصّاد المتجولّين إليهم، كذلك الأمراء خمسة ستة وكبيرهم أمير القصر كل أمير عنده خلق فقهاء ومعتاشين.

هو لاء بيأكلوا معاهم أقل ما يكون عشرة أمثالهم في العدّ، وما تدور سنة

(١) مواضع في اليمن سيأتي شرحها.

(٢) مواضع في اليمن سيأتي شرحها.

(٣) تعطى.

(٤) قدر معروف من المكاييل معروف عند أهل اليمن.

(٥) خ معاهم.

(٦) الناحية الجنوبية.

(٧) جمع صافية وهي القطعة الأرضية والمخلفات العقارية.

(٨) رئيس الحرس الملكي.

(٩) جمع ختم وهي التوقييع.

(١٠) خشبة توضع على ظهر الثور لحرث الأرض.

(١١) أي يعين وزير.

(١٢) أوقعوا به.

(١٣) وجدوا عنده.

(١٤) الأصداق.

ثنتين إلا وقد تحوّلوا الوزراء والعمال والكتاب، وأتوا آخرين في أعمالهم، وقاموا معاهم^(١) ناس آخرون كما كانوا مع الأولين، فاعتاشوا جميع الناس بسعادة بيت القاسم. الخدامين حق الدولة باب الإمام معاهم قَرْضَة، الداخِل والخارج معاهم فيه مجال، ومعاهم الأوامر كل خدام ما يرجع إلا بمئات فرانصى^(٢). مرشد الرُداعي حصل له في أمر في دولة المهدي ستة عشر مئة، وآخر الأوامر في دولة محمد بن يحيى أن يحصل في الأمر مئة قرش إذا كان لليمن أو غيره من البلاد النائية.

البوابين بكيلة^(٣) مقررة من اليمن، طعام نحو أربعة آلاف قدح، وثلاث الأوامر لهم وثلثين للخدامين، وتقرّر للبوابين من عند الحب المقرر إلى عند الشركة^(٤) من المذبوح حتى الملح والحلبة في كل شهر، والخطب يومية^(٥) عيدان ضهيا^(٦) عدد والغدا والعشا مجرى^(٧) من الدار بسمنه بلحمه وقشره، لكل واحد ما يكفي أربعة خمسة، الغدا وقته من الدار، والعشا وقته، وذلك يكفيه هو وأهله، والكيلة والتقارير والأوامر ربح الغلمان، معاهم ثلاثة مدايح غدا وعشا وسمن ولحم، حتى شقاتهم^(٨) بتقارير ومصاريق وسبارات^(٩) وحق الركاب، حتى أن عاقلهم عنبه يتصدق ويأكلوا معه خلق كثير، وصدقات نافعات قروشاً حجر^(١٠) لا سيما إذا ثم محتاج أو عزيز فما بالك بمن ذكر [تقارير الأنفار من كل مخبازة غدا وعشا كل يوم نقي، للأمراء والخيالة وأهل العهد^(١١) جميع الذين يشلوهن مثل سلاح الإمام، أكله شربه قهوته حربات غدارات^(١٢) مضلات ما آذنة^(١٣) شوش^(١٤) نقبا توابع البساتين والقصر والأبواب، وجميع الدور بعسكر وبوابين، ولهم السبارات وللعسكر

(١) معاهم.

(٢) هو الريال نسبة إلى فرنصا.

(٣) معاش من القمح وغيره.

(٤) اللحم.

(٥) أي كل يوم.

(٦) نوع من أخشاب الوقود جيدة. (وانظر أسماء النبات ٣٩).

(٧) مسبل.

(٨) جمع شاقى وهو العامل.

(٩) مقررات جارية.

(١٠) أي فضة نقية شبهوها بالحجر لصلابتها أو لبياضها.

(١١) سبق شرحها.

(١٢) نوع من الرماح أو الخناجر.

(١٣) جمع مؤذن معروف.

(١٤) جمع شاوش معروف.

الجامكية، والأوامر للجميع، وتوابع البرجامية يسير من دون أنفار، ولكن ما يدخلوا إلا يوم الجمعة للحزبة^(١) وأما المرابطين فأكثر جامكية وأنفار، والجميع نحو أربعين مئة خمسين مئة، وما يصحوا^(٢) إلا ثلاثين مئة والباقي في بطون الأمراء والشوش، والكتاب، والوزير وكل واحد بيغرف دراهم والكسوة في السنة لكل أحد من عند الخادم إلى عند المخدم، ما خلا العسكر، فمالهم كسوة، وكل أحد ما يليق به الذهب والجوخان^(٣) والمصانف^(٤) والشيلان^(٥) والمحشات^(٦) والشيشان^(٧) والردون^(٨) والسبنيات^(٩) والقمصان والمحموديات^(١٠) والدسمان^(١١) هذا في رمضان، والطاري^(١٢) في جميع الأحيان، مثل يا وزير يا عامل يا أمير يا واصل، وعلى المكسي يَكسي من جاء بها إليه، ويصرفه بدراهم، وأخبرني بعض الناس أنه شل كسوة لوزير وأنه وقع له فيها ٢٥ قرش حجر.

وفي عَرَفَة تقسم الغنم لجميع أصحاب الدولة والمؤلفين^(١٣) والضعفاء والمساكين حتى إلى كل مسجد، وأنه أخبرني الذين في باب الإمام دائماً إن إحنا حسبناهن المقسمات نحو خمسين مئة رأس بالمذبوح حق جميع الدور، أولاً المقررات نحو ثلاثين مئة فيهم قُدر الربع قد انقرضوا، وأما إذ عاد منهم أحد ولو مكلف^(١٤) صار لها ما كان لأهلها، وإذا لم يصلها شيء فعلت شكية والوبال على الكتاب لأن التقسيم على بيانات قديمة، ومن قد انقرض ما يخذشوه^(١٥) بل يأخذوه

(١) العرض العسكري.

(٢) ما يتحقق. أو ما يصح في الواقع.

(٣) جمع جوخ رداء أشبه شيء بالعباءة من الجوخ المعروف.

(٤) رداء حريري يوضع على المنكبين جمع مصنف.

(٥) جمع شال رداء من صوف.

(٦) عمامة سوداء ذات خطوط حريرية.

(٧) جمع شاشة معروف وهي العمام من الشاش.

(٨) جمع رداء معروف.

(٩) أظنها أردية منسوبة إلى سبن بلد من ناحية وصاب.

(١٠) ثوب يشبه العباءة مطرز بألوان قصيرة الأكمام.

(١١) شال يوضع على الرأس وقد يبدل النون بلام فيقال الدسمال.

(١٢) أي الذي يطرأ بدون مقدمات.

(١٣) أي الذي يعتادون مثل هذا الإحسان.

(١٤) امرأة. جمع مكالف.

(١٥) ما يضربوا على اسمه.

المحوشين^(١) وبعد تقسيم آخر من الدرج^(٢) في الوقفة والعيد نحو عشر مائة لك يريد الإمام وهن أكبر من حقّ البيان لأنهن من يد الإمام البدع^(٣) من عند الخلافة وشيخ الإسلام إلى عند الفقهاء حقّ المساجد، وبعد مذبح الدور جميع خمس مئة، وحق كوكبان مئة، وأمر الإمام تقسم نحو مئتين ونوافل نحو مئتين

وآخر الكلام يجلس الإمام بغير غدا في أيام معيضة آخر المدة، وقد أ الكلام ولكن الشيء بالشيء، يذكر، فنحن ذكرنا غرة كل زمان، إما إمام دير إمام دنيا، فهؤلاء التوايع والقبائل الذي بغوا على سادتي بيت القاسم إلى أن دور دور وهتكوا الستور، وآخره قتلوا إمام الحق عليه السلام والرضوان، فإذا المصنف بالبغاة فهو إسم على مسمى فما رضيينا وحمدنا على ذلك حتى أرانا هو أعظم، وما شكرنا تلك الأيام أيام المتوكل المحسن بن أحمد إلا كونه^(٤) قوام الدين وما أحد رضي به فلما فقدناه وأين لنا به، وحيث أن نيته ص وسبرت^(٥) آخر المدة صنعاء وحوازاها إلا لحسن سيرته وصلاح نيته، فلو إحنا^(٦) ما نرضى بحاله لدانت له الحواز والمدينة، ولكن الله بالمرصاد لا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، [وقد بنخرج عن المقصود ولكن مراد الرّاقم يذ كان سابقاً لأن قد اندرس من صدور الناس، وقد ماتوا أكثر الناس السابقين، مع مدة الأتراك، ولو يبقوا عشرين سنة فوق ما قد^(٧) لأنطمس ذكر بيت القاسم وآخره يزد يلقوا من يخبر بما كان، وما سيبقى مع الموجودين غير معرفة سيرة الأتراك وما كان شيء من بيت القاسم وحسن سيرتهم في العباد فلا يحصل لوم للحقّ الكلام الكثير]^(٨).

ولكن حال هذه السكتة والكتب دارجة من عند الشيخ محسن إلى عند

(١) المتجمعين من قولهم حوش إذا جمّع (اللسان ٦/٢٩٠).

(٢) هو مواساة النساء من الضعفاء والمساكين بملابس وغيره وكأن أصله الطرح بالطاء المهم (٣) الابتداء.

(٤) سبق شرحها وهي تقوم مقام حيث أنه أولانه. وفي المعجم الوسيط ٢٥٠ يكسر استعمال كون بمعنى بسبب وهو خطأ فجملة (يسرني كونك ناجحاً) معنى يسرني أنك نجحت وليس يسرني لأنك نجحت (٥) صلحت.

(٦) نحن.

(٧) أي فوق ما قد جلسوا.

(٨) من هامش المخطوطة بخط لا يكاد يقري.

أحسن بن صلاح إلى الحديدة تختلف، والرسايس^(١) وصلت من الشام من سنة سبعة وثمانين وصلوا ترك متغربين وطافوا صنعاء وتزيوا بزي الدراويش، وأظهروا أنهم كانوا محبوسين في حبس السلطان، وصاروا يدعوا عليه وأنا ممن سمعت منهم بل ورحمتهم وجرت^(٢) لهم خبز وخرجت رويتهم^(٣) الطريق، وترافقوا هم والشيخ محسن ليلاً مراراً، وأظهروا للناس أنهم يريدون يشكوه حالهم عسى يرحمهم ويدي^(٤) لهم مصروف، قلنا لهم سيروا إلى عنده النهار قالوا ما يمكن يشكوا حالهم بين الناس.

وأما في الظاهر فقد صلح إلى جناب المتوكل وصلحت الحوازات، وكانت غرة آخر الغرة. ولم بقي معدوم في المدينة شيء، وصلاح أحوال الداخل والخارج، وأقيمت الشريعة المطهرة [] وسكنت الأمور والذين في حبس بيت ردم عند المتوكل استمر حبسهم قدر شهر، وأطلقهم الإمام، ورجع عبد الله حسين الدفعي شعوب، والسيد محمد بن عبد الله رجع وادي ظهر، وهما في باطن الأمر خائفين.

وأما خبر المكرمي فاستمر بقاءه في الحيمة بغرامة جائزة وعساكر ورتب، والإمام في بيت ردم يكفيه هو ومن عنده اليسير بلطف الملك القدير، وإلا فلو نظرت إلى^(٥) قوة الداعي وكثرة بيوت أمواله، وكثر جيوشه وعساكره وقوة أمره وكثر عدده وعديده، لما تصوّر أن يقدر عليه أحد، والله غالب على أمره، وما جنح للصلح إلا أن الله أعجزه لما رأى قوة نفسه وتكبر على الله وجنده أعجزوه لم زد قنعوا بشيء لما علموا حاجته إليهم، وسيدنا المولى ما معه عمل ولا قبالة^(٦) غيرهم.

واستمر بقاء الإمام في بيت ردم إلى شهر جماد سنة ١٢٨٧، ورجع إلى قرية حَزِيز والمكارمة رجعوا إلى الداعي في ربيع، وجَهَّزهم بمطالبهم، وغرم أموالاً في إصلاح طريقهم من تهامة والحجاز، لأن طريقهم المعتادة قد تغيرت عليهم بسبب ما وقع بينهم وبين سحار في الماضي^(٧)، وكانت من صَعْدَة ولكنها قطعت ولم أمكن يعبروها، وما وقع إلا كَاتَب الداعي الأتراك وبذل لهم أموالاً، وكذلك الأشراف حق

(١) طلائع القوم.

(٢) أخذت.

(٣) أريتهم أي دليتهم على الطريق

(٤) يعطيهم.

(٥) خ الا.

(٦) أمامه.

(٧) خ فالماضي.

أبي عريش، وقد كان أضربوا بالرعايا في الحَيمة وحراز، والمكرمي^(١) بعد عزمهم نَجْران وهنت شوكته، وضعفت عزيمته، ولو استمر بقاء الإمام في بيت ردم، لكاد أن تنزول دولته من الحَيمة بكثرة غرامته، ورفق مولانا في إقامته وقرب أهل الحَيمة [جهة سيدي] ولما فيهم من التشيع والمحبة للإمام ولكن (على الإقدام أحكام).

وفيها - أي السنة - صَلَحَت قليل شَجَرَة الكرم قدر عُشْر ما يعتاد في أكثر المحلات بالنظر إلى ما قد كان أنقص، فوقع بعض الخريف في محلات وظهت شواهد الصلح، وقد كان قلعوه في أكثر الجهات، وردوه مزارع وأشجار^(٢).

وفي السنة تأخر المطر ويبست المراعي، وهربت^(٣) النغم من قلّ المراعي.

وفي هذه السنة كثرت الفتن بين القبائل في كل الجهات، واشتعلت الأرض ناراً وفشا للقتل في الجهات، ومنها وقوع الفتنة بين هَمْدان وبني الحارث، وكان الحرب بينهما سجلاً تارة يسكن ويتخالطوا^(٤) في الطرق أفراد وتارة يكفوا^(٥) ويتواعدوا اليوم ويفعلوا زيادة على ما يغضب الرب سبحانه.

وفيها فتنة ذمار، والحال أنها مدينة العلم، ومحط المهاجرين، فافترقوا فريقين الحوطة^(٦) والجراجيش^(٧) وقسموا المدينة، وثار الحرب فيما بينهم، وذهبت نفوس من الفريقين، وبقي ذلك أياماً وهلك فيها الضعيف والمسكين وهربوا من المدينة وما هو إلا أشراً وبطراً وكفراً لنعم الله ونزغات الشيطان.

وكذلك خولان وبني بهلول وبني حشيش وهَمْدان وعيال سريح، وقعت بينهما وقائع كبيرة، وقتلات نكيرة، وكلما توسّط بينهم وسائط سكنوا أيام قلائل ويعودوا لما نهوا عنه، وقوي الطاغوت نعوذ بالله منه ومن أعوانه وحزبه، بسبب عدم امتثالهم لأحكام الشريعة المطهرة، سلط الله بعضهم على بعض إلا المجاورين^(٨) لصنعاء فلم زد جرى شي بينهم وبين أهل صنعاء [وما بقي إلا لطف الله على المسافرين،

(١) خ المكرمن.

(٢) يلاحظ أن انتشار القات لم يكن بهذه الكثرة المعروفة لنا الآن.

(٣) خ هلت.

(٤) يختلطوا.

(٥) يكفوا والبا زائدة تقوم مقام سين التسويف.

(٦) حارة من ذمار.

(٧) حارة من ذمار.

(٨) من أهل الضواحي المحيطة بالمدينة وفي المخطوطة وردت هذه اللفظة كذا «المجاوين».

فإنهم كانوا يسافرون في الطريق، ولا أحد يأمن أن يمرّ قدماً، ولكن الله أَمَّنَ الكل بأمانه ولا غير^(١) حال.

ووقعت المقابضة بين الناس كلما ذهب شيء، قبضوا من أهل تلك البلاد، ومن لم يرضى بالحق سلَّط عليه الباطل.

[وفاة سيدي علي بن المهدي]

وفيها السنة توفي سيدي علي بن المهدي بعد طول مَرَضِهِ، وقدم على ربه بعمله، وما قد عهد في التواريخ القديمة أن ملكاً أو سلطاناً أو خليفة تملك خمس مرات، وخلع خمس مرات، وكل دَعْوَة يترتب عليها قتل نفوس ونُهْب وسلب وغير ذلك، وتولى موته ووصيته ولده الفخري سيدي عبد الله بن علي، وكان صالحاً زاهداً رقيباً في بستان المسك^(٢) جنب أبيه وعمه وجدّه المتوكل بجَنب قبة المتوكل على الله قاسم بن حسين.

وفي شهر ربيع وقع الخوض في دخول المذكور سابقاً سيدي محمد بن إسماعيل الكبسي صنعاء، شيخ الإسلام للشرعية بواسطة^(٣) القاضي حسين ابن إسماعيل جفمان^(٤) وولى الشيخ محسن بن علي معيض عاقل صنعاء، ودخل بحاشية من الكباسية^(٥) وتلقب بشيخ الإسلام، وفعلوا له مصروف من صنعاء والحق^(٦) الإمام المتوكل الإجازة لما فعله معيض، ومرجع الأحكام والحدود إلى الإمام وصفة هذا المتلقب بشيخ الإسلام سيدي العلامة محمد بن إسماعيل الكبسي، هو حاكم حضرة الإمام وملازماً في الحضر والسفر.

وفي شهر جماد وقعت المكاتب بين الفرنج وعقال ذو محمد الذين في اليمن، وكلها الأطماع دخلت في قلوب الجميع، الفرنج أقماهم الله قَصْدَهُم يدأبوا في بلاد الإسلام، والبغاة يشتو المال لأنها البلاد ما هيه إلا غَضْباً في أيديهم، وكان سبق من ذو محمد ناس إلى لحج وأبين، فلما وصلت الكتب إلى عقال ذو محمد فمجرد فتحها وهي مسمومة^(٧) سماً قاتلاً هلك منهم من هلك، والعقوبة من جنس الفعل،

(١) أبطل.

(٢) سبق ذكره.

(٣) خ بواسطة.

(٤) من أفاضل العلماء من مؤلفاته سلسلة المجاز، توفي سنة ١٣٠٤، انظر كتابنا «مصادر الفكر الإسلامي» ص ٢٤٨

(٥) هم آل الكبسي علماء البلاد وصلحاؤها.

(٦) اتبع.

(٧) لعلها متفجرات فلم يتضح للمؤلف.

والسبب حيث يريدوا يذهبوا للإسلام رَدَّ كيدهم في نحورهم.

وفيما تجهز الأمير محمد بن عايض بن مرعي على تهامة^(١) وقصد الترك، يذكر أن قد اشتهر شرب الخمر واستحلال المحارم والفجور، وأول ما أخذ القنفذة^(٢) ثم خرج إلى أبي عريش، وأقام فيه شهر رمضان ووجه المقادمة^(٣) واستفتحوا اللحية ومور وما والاها، والترك تجمَّعوا إلى الحديدية ووجهوا مدافعهم، وأحكموا حيلهم على اختلاف أنواعها، وكلها مسمومة قاتلة، وتوجَّه عسير إلى زبيد وبيت الفقيه، وقابلوهم أهلها بالسمع والطاعة، وواجه أهل باجل بيت حميدة وأضافوا المقادمة حق الأمير، وظنوا أن عسير ستأخذ البلاد، فيكونوا متجمَّلين، فلما رجعوا عسير إلى الحديدية، قابلتهم الأتراك بتلك الآلات المسمومة فلم يكثرثوا، وقد ذهبت مئتين من الترك، وثلاث [مئة] من عسير، فلما طلَّعوا السور، وأرادوا العبور، خادعهم بالدَّراهم، وتقايضوا وتعاهدوا في جانب، والحرب في جانب السَّاحل، وافترقوا وباتوا وكل أحد مستعدَّ للضرب والجلاد، فسرت الدراهم، ورجعوا إلى الأمير محمد عايض، وأظهروا له ما قد فعلوا، ولكن يخشوا يثنون الأتراك لما قد فيهم، وما قد أعدُّوا الأتراك للقتال فلا مجال للرَّجوع واقفوا^(٤) ورجع الباشا على بيت حميدة كونهم واجهوا لعسير، وقبض عيالهم وأدخلهم الحديدية.

ودخلت سنة ١٢٨٨ :

والنعم جليلة متكاثرة، والأمطار غزيرة، والأرض مخصبة، والله يصلح النيات ويضع البركات.

[سيرة سيدي أحمد بن محمد شرف الدين دولة كوكبان]

وفي هذا العام نزغت الشياطين بين سادتي أهل كوكبان، كان الدولة^(٥) [سابقاً] سيدي محمد بن عبد الكريم، فما تم له شيء، وقام بها سيدي حسين بن محمد شرف الدين، فبقي سيدي محمد بن عبد الكريم، يتحرَّج ويدور تتبع الفرص، حتى

(١) خ تها من غير بقية الاسم وأصلحناها من عندنا.

(٢) من مدن تلك النواحي سيأتي.

(٣) في الأصل المقدامة.

(٤) تراجعوا.

(٥) الحاكم.

أنه نزل إلى تهامة يدعي^(١) الترك في سنة ١٢٨٤ ولم تم له شيء، وتمت لسيدى محمد شرف الدين الديولة^(٢) فيها لسيدى محمد شرف وكان رجلاً فاضلاً ورعاً زاهداً نزيهاً ما في كوكبان أفضل منه، ولكن تغلب على البلاد في أيامه القبائل من أرحب وحاشد وذو محمد في سارع، وعجز سيدي محمد من إخراجهم فقام ولده الصفي أحمد بن محمد بهمة سامية وشمّر للجهاد الساق وجدّ للبغاة اللّحاق وهجر الوطن، ودخل المحن وخرج من كوكبان [] الخرجة^(٣) الثانية في سنة ١٢٧٩ وبدع^(٤) بإصلاح البلاد من حبابة^(٥) بعد أن أفسدوا وقتلوا، وقتل منهم السيد عبد الرحمن الحبابي كبير السادة وهلم جرّى، وكلما ما وصل محل أصلحه وأخرب جميع ما بناه البغاة في البلاد، وأخرجهم منها وهم كارهون، وختم^(٦) ببني مضمون الذين^(٧) في سارع، وسرى الجهاد معه إلى أن وصل بني العوام^(٨) وحط فيه، وخالف عليه وزيره القاضي عبد الرحمن الصرمي، وطلع زقم^(٩) مصنعة المحويت، وتركه سيدي إلى أن تم أشغاله في بني العوام، وطلع له وحاصره إلى أن أخرجه إلى قيد الأسر^(١٠) وبقي كذلك في البلاد إلى سنة ١٢٨٨، وقاموا له أهل كوكبان أغروا به عند والده لما يدخل فيه من الكلام، ومن جوادته^(١١) ودينه صدق، وآخرته الذين حبسوه هم من نسل السادات الكرام، علي بن محمد، وعبد الله بن محمد، ولكنهم تخلّقوا بأخلاق العوام، ولبسوا السواد وأطالوا شعر رؤوسهم، ولم يتوقّفوا على زيّ آبائهم العظام في اللباس والأدب والتّمسك بالعلم، وأقاموا سيدي حمود بن يحيى بن محمد في كوكبان دولة، وهو ابن بنت سيدي محمد شرف الدين بزّي^(١٢) سيدي أحمد بن محمد، وعُضدّه عمه سيدي محمد بن عبد الكريم، وجعلوا أمر الدولة إليه، وجعلوا الأمر المعول عليه، وأجمع الناس عليه في كوكبان ونصبوا له المظلة،

(١) يدعو.

(٢) من الهامش والديولة: الدولة والحكم.

(٣) الخروج.

(٤) بدا.

(٥) بلد في كوكبان منها الأديب أحمد بن محمد قاطن المتوفي سنة ١١٩٩.

(٦) انتهى.

(٧) خ الذي.

(٨) من كوكبان.

(٩) أمسك.

(١٠) خ الأسر.

(١١) سلامة نيته (طيبته).

(١٢) تربية أي نشأ في أحضانه ويقال لابن البنت بزّي.

وضربت النوبة في بابه، وتوالوا على تجهيزه على سيدي أحمد بن محمد .

وفي هذا الشهر محرم، وصل بعض الحجاج، وأخبروا بخروج جند عظيم من الأبواب السلطانية، ووصلوا مكة يوم التروية، وتجهز أحمد الأمراء بجند كثيف على الحجاز، حتى وصل حلي بن يعقوب، ومال إليهم خلق كثير من المخالفين على الأمير محمد عايض، ووقعت بينهم وقعة كبيرة سقط فيها خلق كثير واختلفت الأخبار في قدر القتلى وما أظن إلا أن دولة الأمير قد جنحت للأفول، وقد فطنها كثير من أهل العقول، ونسأل الله اللطف، والخوارج من البحر كائن مترادفة، مركب بعد مركب، وجنود وخزانة وعدد وعديد، وقوم ما عليها من مزيد، ومحط رحالهم وخزائهم في القنفذة، حتى قيل أنهم وضعوا الطعام في البرية مثل الآكام الكبار، وقد كان الشريف عبدالله بن محمد عون، أراد الصلح بين الأمير محمد بن يحيى عائض أمير الحجاز وبين البوش^(١) الخارجين من السلطنة، فحملة الترك على غير السلامة، وظنوا أنها خديعة كونهم جميعاً عرب .

وفي هذه السنة سنة ١٢٨٨ جاءت الأخبار المتواترة والنقولات المتضافرة بأن الباشا الأعظم وسماه سعد السيد أحمد بن محمد رديف، المقدمي على بلاد عسير، تقدم ووقعت بين الباشا وبين عسير وقعات عظيمة، وسقطت بالقتل هامات كثيرة، فلما نظر عقال بلاد عسير إلى قوة الترك وتيقنوا عدم قدرتهم على قتالهم وفيهم نفور على أميرهم محمد بن عايض وأهويات ونفسانيات بسطوته وأمره النافذ، وأنصافه منهم من القوي للضعيف أرادوا مكافاته، تخادعوا وتفاشلوا، وطلبوا دخول الأتراك إلى بلادهم لما في صدورهم من الضغائن والإحن على الأمير محمد، وقبضوا من الأتراك دراهم كثيرة، ودخلوا تحت وطأتهم، فلما تيقن الأمير ذلك اعتزل هو وقرباته وأهله وولده وخدمه إلى حصن مناظر، وحصن ريده، وأدخل جميع ما يحتاجون إليه فلما علم الأتراك أحاطوا بحصونه كإحاطة النطق بالخصور، ولم سكنت المدافع لا ليل ولا نهار، فخرج من في الحصون عليهم خراجاً لشدة مانالهم من المحاصرة، وبعد خادعوا محمد عايض بالخروج إليهم، وضربوا له الأمان، فلما وصل إليهم تلقوه بالقبول وحسن الأخلاق والبشاشة، فلما رأى ذلك الأخلاق والبشاش مال إلى الصلح فأسعدوه، وما علم على ما قيل شعراً:

ولا يغرك من تبدو بشاشته منه إليك فإن السم في العسل

(١) جمع باشا معروف.

وجعلوا له ميعاداً^(١) للصّحاح يجي^(٢) إليهم، ورجع مأمّنه بين أهله وخدّامه، فلما وصل في اليوم المضروب للصّحاح تلقّوه أحسن من اليوم الأول، وصرفوه في دار حتى يتفاوضوا فيما بينهم، وجعلوا عليه الحراس والغفرات^(٣) من حيث لا يشعر، وإذا نزل القدر عمي البصر، ولم يدر^(٤) عليه حسه^(٥) إلا وقد احتوشوه^(٦) كالذّئباب، وأرسلوا جميع المطارح إلى الحصّنين حقه، وقطعوا رأسه خفية من حراسه، وقبضوا على أولاده، وكبلوهم في الحديد، وأدخلوهم السلطنة، واستولوا على جميع ما في الحصّنين ممّا قد جمعه هو وآبائه، ومن قبلهم لأن بيوت الأموال يتلقّوها من أمير إلى أمير، فقليل أن الدراهم برك^(٧) وأما المدافع والبنادق والسّلاح والباروت والرصاص والخيام والخيل والبغال، فما يقدر على إحصائها إلا الله وكأن لم يكن ملكوا جميع البلاد، ورثّبوا من الحصون ما يحتاج رتبة، وما فيه عليهم شغلة خربوه، وبقوا الأتراك في تلك البلاد، حتى كتّبوا إلى السلطان، ورجع الجوابات بالتهيؤ على بقية اليمن لما قد عندهم من المكاتبات، وضعوا لعسير حيلة بالقبض على ناس منهم لأنهم طلبوهم رهائن فلم يسعدوا، وساسوا لهم إلى يوم جمعة كبيرة وقد أظهروا الفتنسيّة^(٨) أي الزينة حتى اجتمعوا إلى الجامع وأحاطوا بهم كإحاطة الخنصر بالنصر، وألبسوهم ملبوسهم وأمنوهم، وجعلوا لهم مصاريق^(٩) واسعة، وجعلوهم شوش^(١٠) وملازمين، وأخرجوهم معهم، أخبرنا بهذه الدّهاية ناس منهم، وأما راياتهم في الخدمة معهم فشاهدناهم، وقد كل واحد من عسير، كأحد الأتراك، وله ما لهم من الإقامة والخرج والبغال، وما يحتاج إليه، وعليه ما عليهم م بذل نفسه للسلطان وإقدامه على ما يرمونه منه، وتخلقه بأخلاقهم وجراءاته كجرائتهم، ولا زالوا يدبّوا في اليمن كالعقارب، ولهم في ذلك أمور ومآرب، وكم من مخالغ لهم طالب رضاهم ومنهم راغب وسلّكوا في الأرض لضعف المطلوب والطالب.

(١) موعد.

(٢) يأتي.

(٣) الجند الملازمون للحراسة.

(٤) يعود. أو يدور.

(٥) حواسه.

(٦) تجمعوا حوله.

(٧) جمع بركة (الحوص).

(٨) لفظة تركية شرحها المؤلف.

(٩) نفقات.

(١٠) جمع شياوش معروف.

وتوفى المصنف في تلك السنة في شهر رمضان سنة ١٢٨٨ القاضي العلامة
النحرير المجتهد والمجد في الخير الأكبر والقدوة الفهامة الأشهر، وكان من أوعية
العلوم العارف لمنطوقها والمفهوم القاضي محسن بن أحمد الحرازي (شعر):
ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذباً

وأما خبر صنعاء وأهلها فإن النعم فيها جليلة والخير والنعمة مبسطة والأسعار
كثيرة والأمطار متوالية غزيرة والشرعية قائمة بما ذكر آنفاً من شيخ الإسلام وإجازة
الإمام، والضربة فيها ضربة المتوكل حق الغراس، صرفها أربعين مئة حرف،
والناس يدور لها، والقرش الحجر موجود فيها لأنها مخورجة^(١) وما يخشى من
نقصها ولا فيها من الغش، وكل شيء موجود بها لأنهم منعوا ما كان من غيرها الذي
فعلوه عليها، والفاعل لها الشيخ محسن معيض، والمفعولة لأجله سيدي حسين بن
المتوكل، وهي بإسمه الهادي لكنها ردية مغشوشة، فلما امتنعت سبرت^(٢) الأمور
واستقامت، وأهل صنعاء في تلك المدة في /أجل نعمة وأوفر قسمة بالنظر إلى ما قد
مضي ممّا ذكرناه آنفاً، وما قد وقع من الحرب والقتل والنهب والقحط والغلا
والشدّة، وعدم المصروفات، فما قد سكنت الأمور في مثل هذه السنة وما قبلها نحو
ثلاث أربع سنين، فتلك خمس ست سنين متوالية خيّرت^(٣) ما قد عرفناه بعد الدولة
الماضية القاسمية، فمن سنة ١٢٦٠ تغيرت كل التغيير كما ذكرنا كل وقت، وفيه كربة
وبلاء إلى هذه المدة المذكورة، والسبب أن القبائل قنعوا من صاحب صنعاء لأمر
شتى منها أنه إذا انتهب صاحب صنعاء خارج أو تمنع أحد عليه مما يستحقّه من
غلات أو ديون، قبضوهم في صنعاء، والحق ما ينكر، ومنها الشريعة قائمة، ومن
تمنع منها وقع القبض عليه يحلّه^(٤) أنه يأبى من القاضي، ويصرف عند حاكم
آخر، والشرعية واحدة، ومرجع الجميع الإمام، ومنها أنهم القبائل لم يبق لهم
مجال ومشرح في الخلفاء مثل ما مضى، من لقي له سبب فعله إمام، من جانب أنهم

(١) مخارجة. تكفي لسد ادحاجتهم.

(٢) صلحت.

(٣) بمعنى من أفضل ما عرفنا. أو خير من رأينا.

(٤) يحلّه هنا بمعنى غاية الأمر.

يشتوا^(١) دواليب خلافة من بدعها^(٢) وَيَحْنِبُوا^(٣) بما يقوم بأوده، ومنها أن المتوكل قطع تلك التشايع^(٤) بقيامه، فلم بقي لأحد معه مجال في القيام والسبب أنه غير مكلف للخلق ما لا يطيقوه، فمن سلم إليه من الواجبات حيث مرجعها إليه سَلِمَ في الدنيا والآخرة، ومن تغلب عليها تغلب وقد قنع^(٥) من القاصي والداني بإقامة الشريعة، وتنفيذ الأحكام الذي هي المقصد والمرام، ومع عدم تكليفه لهم بما لا يريده، هانت عليهم دولته، وأما هو فبعد رجوعه من بيت ردم من المخرج الذي خرج على الداعي، فبقي في جزير تارة، وفي بيت سبطان أخرى، ولا زال يدعو العباد إلى ما فيه النجاة والفلاح والرشاد، وكتبه ورسائله لا تكف لأجل إيضاح الحجّة وبيان المحجة، وما على الرسول ﷺ إلا البلاغ، وقد أبلغ الجهد والجهد، وبذل النفس والنفيس، ولما تيقن الشيخ معيظ أنه أي المتوكل غير عاذر له من الخطبة وإقامة الشريعة، وهو قد عمر حصن بيت سبطان لأجل المخالفة من أهل صنعاء، أذعن معيظ لذلك، وعلم أنه إذا خالف فهو هالك، والمتوكل قنع بالخطبة والشريعة لكونهن شعار الإسلام وإلا فقد رأينا من قبله الخلفاء^(٦) الذين فعل معيظ وغيره، كان من فعل إمام تحمّل به وبما يحتاج، وتكلف بما لا يطيق، وهذا ما يطلب منهم شيء بالقهر، لعلمه أنه إذا أجبرهم عَصَوْا فكان يطلب الواجبات كل سنة لتكرير الحجّة على العباد.

وأما أخبار الأتراك فلا زالت تُشيع وتُذيع، وكل شهر أشهر، وكل يوم أكثر، حتى خرجت الخزائن من البحر مطبوعة^(٧) صنعاء على كل حمل وكل زاد وزناد.

وبقي عبد الله بن حسين الدُّفعي صاحب شعوب يشغل أهل صنعاء، ويتبجح ويتشدد بالكلام، ويمنع من تسليم ما تحت يده من أملاك أهل صنعاء إلا ما تفضل ويشاغل معيظ ويحذره الناس، وظن أن لا قدرة لأحد عليه، وفوق كل ذي علم عليم وكما قيل (شعراً):

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيلى بأظلم

(١) يطلبوا.

(٢) بدايتها.

(٣) يتورطوا. من الحنب وهو الأعوجاج.

(٤) جمع تشعوبة. الهواجس أو الآراء غير السديدة.

(٥) ايس. من القناعة (معروف).

(٦) خ الخلافا.

(٧) أي مكتوب عليها صنعاء بالمطبعة.

وبقي عامر بن علوان العذري صاحب أرحب يلاحظ شُغلة الناس، ومَقْصده النهب والقتل، وكان يشتي^(١) قاع اليهود قطعه له، وبقي هو ومعيض [] في (فحس ودحس)^(٢) وحتم بقي يحتم فيه ولكن من شرارة العذري أظهر التشيع، والمحبة للمتوكل مع أن المتوكل بيدور الفرج من أي باب، وكلما أراد من الشغلة، فكأنه كل قيامه لنصرة إمام الحق، وأظهر ذلك وأبطن الغدر والمكر، وهو عن نصرة الإمام بمعزل، ولا يريد إلا البغي والفساد، وآخر أمره جاء إلى لكمة الزبيب (عدني صنعاء) وقتل ابن التهامي من صنعاء، وخرجوا الناس ولم يفق بل فر، وأكثر البغي والفساد والتعدي وسيجزي فاعل ما قد فعل.

وقد كثرت الأخبار من الأتراك وصار الهرج والمرج، حتى أن محسن معيض، ومحمد جغمان الوزير طَلَبوا الناس يوم الغدير عاشر العيد سنة ١٢٨٨ إلى السمسرة وتبرؤا ممن خرج من صنعاء في شهر محرم، لأن قد كثرت أخبار الترك، وقد القبائل مبطنين للشُر، وأهل صنعاء في طَنان^(٣) ومعيض في وَيَنان^(٤) كيف يقع مع أنه قد بينه وبين الترك أمور ومكاتيب^(٥) ومراسلات ومهادات، ولا يعلم أحد بذلك إلا أوهام، وما منع أهل صنعاء من الخروج إلا لشيء في نفسه قد هو أخبر به^(٦) وكان العذري، يطلب من الشيخ محسن معيض الشريعة بسبب تشييعه الذي قدمنا لدى الإمام لأجل القتل الذي قتله أحمد شاكِر في رمضان في سوق الحب، والقاتل عُسْكَري الشيخ محسن، والمقتول أحمد الحُبَّاري من سوق الحب، وخرج أخا المقتول علي الحُبَّاري يتجور^(٧) بعامر بن علوان العذري، وامثل بالشريعة محسن معيض، فطلب الإمام عشر رهائن من معيض، وعشر من عامر بن علوان، وحضروا عند شيخ الإسلام الكبسي في صنعاء، وأجاب معيض أن الرهائن ليس من حكم الشرعية^(٨)، ولكنه باذل الظمان، فما أمكن العذري إلا جاء يقتل التَّهامي وهو لا ذنب له، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ولا زال الشيخ محسن معيض يماطل الناس

(١) يطلب.

(٢) كناية عن الجدال والنزاع والفحس والدحس في العامة الدُّلك والسُّلخ.

(٣) استغراق في التفكير مع وحوم.

(٤) تفكير. ولعله من الوناء وهو التعب.

(٥) رسائل.

(٦) أعرف به.

(٧) يستجير.

(٨) كذا صوابه الشريعة.

والإمام في كل شيء، وقد هو متوقع وصول الأتراك أن يُبدوا^(١) وإلا فهو كاتم أمره، ما قد أظهر سرّه، وتواترت الأخبار بخروج الأتراك من الحديد إلى باجل فطلب سيدي المولى الجهاد عليهم وكتب الرسائل إلى كل بلاد، وبذل نفسه متقدّم عليهم، والمسلمين يتابعوه، ومن جمعتها إلى صنعاء رسالة قرئت في المنبر حقّ جامع صنعاء بعد صلاة الجمعة في التحريض على المسلمين بالجهاد للعجم، وأنه باذل نفسه وإن جهادهم واجب على كل مكلف، وأنهم سيحلّون^(٢) وما حرم الله، ويشربون الخمر، ويقطعوا الصلّة، ويملكون عباد الله، وإن في قوانينهم ذلك. ومنها أي القوانين. ومنها ومنها. عدّهن في رسائله، وأنه طالب من أهل صنعاء خمس مئة يتهيؤوا للجهاد معه، ومن كل قبيلة، وأجاب الشيخ محسن بذلك كُهن^(٣) وكذب وطلّاس^(٤) وفُجر، وطلب أهل صنعاء وفتح عليهم بما ذكر الإمام وخلا أهل صنعاء يتساهموا في الأسواق على الخروج للجهاد للعجم، وصار يحث العجم وقد السّر بينه وبينهم، ويحرّضهم على إسراعهم بالوصول، ويذكر لهم ما قاله الإمام، وأجاب على الإمام أن لا بأس بالجهاد، وهو الواجب على كل مسلم وقد أهّبنا لك خمس مئة مجاهد من أهل صنعاء بكفائاتهم، وفرّقناها على القاعدين للمجاهدين، ولكن يا مولانا حثوا القبائل للخروج، فما يستقيم إلّا بخروج القبائل، وأما أهل صنعاء فلو احتاجوهم الليل فقد تعيّنوا بأسمائهم منهم بالمساهمة بين جميع الناس وتعيّن لهم من المال ما يقوم بأودهم، وأرسل إلى عند الإمام إلى حزيز القاضي حسين جفمان وجماعة من الكباسية، والعلماء يخبروه بما قد فعل الشيخ محسن في صنعاء من تأهيب أهل صنعاء لجهاد، ويحثّوه على تحريض القبائل وأرسل بضيقة^(٥) للإمام وشمع وقليل^(٦) ذرّاهم معونة، وما هي إلا مواعيد عرقوب، وخرجوا المذكورين إلى عند الإمام على روس الإسهاد، ونحن ننظرهم، وذكر لهم أن هذا الذي يجب علينا للإمام، فما نزيد على ذلك أنشدكم الله، فصوّبوا كلام الشيخ وفعله للإمام، والإمام عليه السلام عارف أنها دهاية من معيضة، وأنه يبدي أخو^(٧) الكلام، وحال ما قرئت الرسالة في الجامع، أجب على الخطيب فلان الزيدي

(١) يظهروا.

(٢) يحلّلون.

(٣) خدق، خداع وكذب ومكر.

(٤) نعية.

(٥) ضيافة.

(٦) خ قليل.

(٧) أي الكلام الذي ظاهره على غير باطنه.

الحدّاد: إن هذا هو الصوّاب، والذي يخرج من ذلك فهو الباغي، وناشد السّامعين وكادت الأصوات أن ترتفع، وخشي معيضة الفتنة مع ما في قلبه من المرض، فخلّا من بجنبه يعلن بصلاة عصر أول، بقوله عصر عصر فمالوا النّاس إلى صلاة الجماعة عصر، وتفرّقوا على غير ضابط.

ويوم ثاني حبس الزيدي، وصار يستعجل الأتراك، ولما وصلوا حراز تيقّن سيّدي المتوكل أن الغدر والمكر والخديعة كائنة من الشيخ محسن عليه، حيث أظهر له عكس ما في ضميره، وإخراج الكباسية إلى عند المولى بالضيفة والشمع، وزد^(١) أشهد الخارجين أنكم أشهدوا على المتوكل بالطّاعة منا والامتثال إلى أمره، وما رأيتوه من تأهيبنا للمجاهدين معه من أهل صنعاء، وفرق محتاجاتهم وما خرجوا إلا يبينوا ويوضحوا للمولى طاعة الشيخ وامثاله لأوامره، فإن يقبل وإلا فقد مشاهدكم للشيخ على المتوكل كفاه^(٢) الله بعمله. واحتاج صبر سيدي، وفي العين قذا، وفي الحلق شجا، وعنده أن هذا كله خدع ومكر، والحق في ذلك مع الإمام لأن الشيخ هو يماطل الأمور، ويواعد، ويستعجل الأتراك، وإذا ما صح من الأتراك شيء ولم يقدروا على الدّاعي فهو على جميل من الإمام، وإذا لم يرضى الإمام فقد الخارجين إليه مشاهد للشيخ للفساد، وفي ذهنه يفعل أمام على طبعه، وحاصله أنه كان داهية من الدّواهي الكبار، ولما وصلوا سفل حراز، وقد تكبر الدّاعي وتعتّى وركن على حصونه وخزائنه، وفي ذهنه مثلما فعل للإمام، ولم يعلم أن للمولى سهام وأن دعوة الإمام من المستجابات عند الله، وقد أجاب دعاه بسرعة، والله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته^(٣) وطرحوا الأتراك محاطهم في الحجيلة ولقتهم يام إلى العوارض الذي فوق الحجيلة ومِتّوح والحويط المطرح، وكان مقدمي عساكر الأتراك ولي الدين باشه من كبارهم، والمشير الأكبر ذوالحظ الأوفر أحمد مختار^(٤) ولكن بين الترك وبين/بعضهم ميلين، وبعضهم ثلاثة أميال، ودعّوهم إلى السّمع والطاعة، والدخول فيما دخلوا فيه الجماعة فمالوا إلى حولهم^(٥) وركنوا على قوتهم، وتَحَفَّظُوا بِحِفْظ سيّدهم وفي ذهنه وذهنهم أن^(٦) هذا من ذلك، يعني كما فعلوا مع المتوكل. وقد

(١) بمعنى أضف.

(٢) أي كافاه الله.

(٣) لم يتركه.

(٤) من ولاية الأتراك دخل صنعاء مع توفيق باشا ثم دخلها مرة أخرى سنة ١٢٨٩ (انظر المخلاف السليماني ص ٥٣٠).

(٥) باسمهم.

(٦) خ أنا.

وعده الله تعالى : ﴿لأنصرنك ولو بعد حين﴾ كما قال في الحديث القدسي في دعاء المظلوم ﴿وكادت الدنيا أن تكون دار جزاء﴾ فضربت في حصونهم المدافع فأرعدتها من شاسع ، فلما قربت خربت وما بقي لهم من دافع ، ولما قربوا إليهم ورأوا لوائح الصّناجق^(١) وحمزت البيارق ، وفعل البنادق أيقنوا بالموت سابقهم ولاحقهم ، فأخربوا لهم الدُّور ، ونقلوهم من أعلا القصور إلى بطون الأراضى وضيق القبور ، وأخذوهم أخذة واحدة ، ولا بقي إلا من فر ، وهلك الحاضر وسلم البادي ، وحصحص الحق من متوح^(٢) وخربت عتارة^(٣) ، وخرج الداعي تقوده بزمامه الجنود المختارة ، وفارقه أقاربه وجليسه ، وجفاه أحابيه وأنيسه ، وربطت يده إلى مواخير^(٤) واحتوشته العجم ميمنة وميسرة ، وهلك عند وصوله البندر ، وكأن لم يكن يتبخر ، بعد مخادعة قوم المتوكل الإمام الأشهر ، وأخذوا جميع ما جمعه الدُّعاة السابقون إلى النار وبئس القرار ، ولم قد جمعت الملوك مثلما قد جمعه أمير عسير وداعي يام ، في الأوائل في نحو مئات السنين^(٥) وهلك كله في يوم واحد ، وأما دراهمهم فمخازين ، وأخرجوه وطلعوا^(٦) مناخة وفعلوا كما فعلوا بعتارة ، وكان فيها ولد الداعي أحمد ابنه ، فلما علم بوصول الأتراك مناخة داخله الفشل والخوف والوجل ، وفتح فزعاً عظيماً ، فما وسعه غير الفرار وتولية الأدبار وأخذ باروتاً^(٧) وقرح^(٨) بالخزينة وبيت الحكومة الذي كان فيه ، وجميع ما جمعه فيه وقرح قارحاً عظيماً حتى أفزع من في تلك الجهة ، ولم يسع الكل بعد ذلك إلا الطاعة .

هذا خبر الأتراك ويام ، وأما خبر سيدي المتوكل ، فلما علم بوصولهم مناخة نجّل^(٩) جميع ما عنده من بيت المال ، وبقي يدعو الناس إلى الجهاد ويشهد الله على الناس ، ولم بقي عنده غير حصانه .

وأما خبر الشيخ فلما تحقق أن الأتراك قد كسروا شوكة يام والمكرمي ، رجع روحه وعلم حقيقة رجّواه ، وتيقّن السّلامة ، ونسي أن العاقبة تقود إلى النّدامة ، وأنه

(١) الأعلام .

(٢) موضع في تلك الجهة . سيأتي .

(٣) موضع في تلك الجهة .

(٤) خلفه .

(٥) خ سنين .

(٦) أي توجهوا إلى مناخة .

(٧) بارود معروف .

(٨) قنجر .

(٩) نقل . أو شدّ أمتعته .

قد أضله الله والسبب بتكبره على الإمام بالعدامة^(٢) وأرسل من طرفه^(٣) من يثق بهم، وأصحابهم الكتب، وحرّض فيها على الأتراك بالحث على المبادرة، وقد سبق إليهم كتب سابقة، وعرفهم يعملوا بها ويحرّروا إليه كتب بمعانيها وإن ما يستقيم له ولهم إلا إذا عملوا بما فيها، ومضمونها أنهم يرسلوا له بكتب وكأنها من عند السلطان يدعوه إلى الطاعة هو ومن في المدينة خاصة، وجميع أهل اليمن عموماً، ويرعدوا ويرقوا لمن خالف، ويجعلوا سيّدي الضياء غالب بن محمد بن يحيى خليفة، ومرجع لأهل اليمن والشيخ محسن عاقل لأهل صنعاء، والشرعية على عاداتها وينصبوا لهم حاكماً من أرادوا، وأنهم على عاداتهم لا يتغيّر لهم حال، ولا يتكدر لهم بال مجلّين مكرّمين معظمين، وأنهم لهم السابقة على الناس، ولا يدخلوا فيما دخلت فيه الرعايا لنزاهتهم ورفاهتهم، وأن العسكر الواصلين إليهم أمرهم إلى بشاتهم، وأمر العرب جميع إلى الخليفة الإمام الهادي غالب بن محمد، فأرسلوه وزخرفوه على ذلك، وفرح الناس بما هنالك فرحاً شديداً، والله لا يحب الفرحين، والذي أرسلهم الشيخ محسن إلى حراز، هم القاضي حسين جفمان والسيّد علي هاشم صاحب سيّان، وجماعة معهم الذي على سيره وإرادته، ووصلوا حراز وتلقاهم الباشا أحمد مختار أحسن تلقي، وبسط لهم وعرفوه أنه لا يذكر لأهل صنعاء شيء من المذهب، وأن كل أحد له اجتهاد وفي ذهنهم أنهم/ من المتحرّرين على أمور الدين ومشتغلين بصلاح المسلمين، وأن ما يريدوا إلا الملاحظة على ما ينفع المسلمين، وأظهر الأتراك ما قد جرى في اليمن، وتغلب القبائل على أهل المدن سيما صنعاء، فقد ضعفت وضعف أهلها بسبب القبائل، وأن السلطان ما أرسلهم إلا غيرة لله على الإسلام لما قد أشرف على الإنهدام، وإن ما إرادتهم إلا إقامة الشريعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإراحة العباد وعمارة البلاد، وقمع أهل العناد، وتدمير أهل البغي والفساد، وصرفوهم في دار وكسّوهم جيخان حمر من ثياب الشهرة^(٣) والزينة، وسلموا لهم دراهم (وهي اللسان لمن أراد تكلماً وهي السلاح لمن أراد قتالاً) فزادت أشواق الخارجين إليهم وسبغ حبّهم في قلوبهم، وظنوا أنها الحاجة التي في نفس يعقوب، وما هي إلا عن قريب كرب أيوب وأحزان يعقوب، وآخره الوقوف بين يدي علّام الغيوب وإنصاف الطالب من المطلوب.

(١) رجل عديم ضيق العطن حمق.

(٢) من ناحيته.

(٣) هي الثياب المنكرة التي لا تليق بالرجال.

وأما خبر سيدي غالب، فلما وصلت كتب الباشا أحمد مختار المصنورة من سلطان الإسلام إليه وإلى الشيخ^(١) دخل من الروضة إلى صنعاء، وتأهب للخلافة، وأضمر لمن خالفه أن ينگله ويقطع أكتافه، ويغيط حاسده، ويرغم أنافه، وضرب النوبة في بابه، وجاءت الناس إليه وكثر طلابه، ووصلوا إليه مشائخ الحواز يتسامحوا مما أجنوا^(٢) ويتقربوا لما يستأنفوا، وقامت الحجاب على الأبواب، وتهافت الأعيان، ورأينا ذلك عياناً وبياناً، وجاء الشيخ محسن إلى بابه عملاً بطاعته، ومجيباً لطلابه وهو يضحك في باطنه لما رأى من الأمر الذي هو أضغاث أحلام، وما يعلم بتأويل تلك الأحلام إلا الشيخ الحسام^(٣).

وفي صبح يوم الخميس ثامن عشر شهر صفر سنة ١٢٨٩ وصل الشيخ الحسام إلى حضرة الإمام، وجاءت التوابع والخيالة، وجميع الأعيان، وخرجوا للقاء الأتراك إلى عصر والمتوكل لما رجعت رسائسه من متنة وتحقق وصول الأتراك بعد خروج الذين لقيوا إلى حراز، وقعت في صنعاء التنصيرة^(٤) وأشعلوا النيران في جميع المدينة، وصاحوا باسم السلطان، وعلفت البيارق في الدوائر والنوب^(٥) حق السور حيث تيقن وصولهم، وذلك الإشعار والإعلان ليلة الثلاث ليلة سادس عشر صفر، عزم على إسم الله آخر الليل، وما صبح^(٦) إلا طرف بني الحارث، وأمسى^(٧) في بيت العذري وأرحب.

ولما وصل الإمام الهادي إلى عصر والمظلة تغزل^(٨) على رأسه، والمرافع والدواشين^(٩) حوله والسادات آل الإمام سادتي حافين به، وهو متبختر في دسته فوصلت الأجناد السلطانية بخيلهم^(١٠) وطبولهم الغسانية، والبوش الخاقانية، أمروا من لقيهم بالمسير وحثوا السير، حتى وصلوا (ماجل الدمة) وأناخوا هناك، وقد رتبوا داع الخير

(١) يعني الشيخ محسن معيض.

(٢) جنوا.

(٣) يعني به الشيخ محسن معيض.

(٤) شعار النصر أصوات يطلقونها في لحظة واحدة.

(٥) جمع نوبة وهي بناء مدورة من طين تتخذ على شكل إسطواني للدفاع ويوضع في جوانبها فتحات للرماية (انظر صفحات مجهولة ص ٤١).

(٦) أصبح.

(٧) بات.

(٨) سبق شرحه.

(٩) جمع دوشان سبق شرحه.

(١٠) خ خيلهم.

قبل وصولهم المطرح، فلما استقر ساعة زمنية أدخلوا بعض الجند قصر غمدان، وأيقنوا على نفوسهم بالأمان، وصاحوا بنفيرهم لمن حولهم في البر، ببلوغ الأمل ووصلوا الوطر.

وفي صبح الجمعة خرجت كبار الناس للسلام على الباشا والاستئذان لصلاة الجمعة فاعتذر أحمد مختار من الدخول خشية من الفتنة، وكمال المعقول ووقت الصلاة خرج الهادي بالعذبتين^(١) في عمامته بأهبة الأئمة السابقين، واجتمع لرؤيته المتفرجين، وخطب للجمعة الخطيب، وذكر السلطان على عادتهم والدعاء له، وذكر الباشا، وذكر الإمام الهادي كعادتهم، وخلعت الكسوة/للخطيب على رؤوس الأشهاد، وسمع الخطبة الحاضرون، فلما رأى من دخل من الأتراك ذلك الأهبة القاسمية، اغتاضوا وخرجوا، وأخبروا بشاتهم، ففطن لذلك، وأرسل للإمام والشيخ، وسألهم عما هنالك وعن تفريغ جميع الأدراك، وأرسل عساكره لقبضها، فلما قبضوها يوم الجمعة بعد العصر، وصاحوا أن قد تملكوا أمر الباشا بعدم تلك الأهبة، وما دخل سيدي الإمام إلا منفرداً كواحد من السادة.

ويوم السبت قطعت الأهبة، وقفعت^(٢) العذبة، ونسخت الكنية، ونزل من أعلا إلى أدنى، ورعت منزلة الشيخ من أدنى إلى أعلا، واستيقظ سيدي غالب من الريا، وعبر له الشيخ محسن: بخبر رأيت، وعامل تكون، وجلس مدة يسيرة ووقع عامل في عمران.

والجمعة الثانية حزّب الباشا للصلاة وطمس إسمه وإسم الإمام من الخطبة، وخطب القاضي حسين جغمان.

ويوم السبت عاشر وصولهم وثامن وعشرين من صفر، خرجوا قادمين على عبد الله بن حسين الدفعي^(٣) إلى شعوب، وكان الباشا متضيّفاً في بيت سيدي غالب ذلك اليوم، وقد سمعه الأعيان يقسم لا يتغذى إلا وقد أخذ الدفعي، واستعظم لذلك الناس لما يعلموه من شدة بناء نوبة الدفعي، ولما رأوا من حق^(٤) مدافع الأتراك،

(١) أرخى ذوابتين من العمامة وهذا خاص بالأئمة في ذلك الوقت.

(٢) كناية بمعنى قطعت.

(٣) انظر خبر القبض على الدفعي المذكور بتوسع في فرجة الهموم للواسعي ٢٥٩

(٤) من الحقارة: الصفر.

لأنهم وصلوا بإثنين معاهم مشدودات على البغال، ولما قد أكثروا القبائل الهرج، أنهم سيفزوا الترك بعد وصولهم بيومين ثلاث، وكثر في ذلك القيل والقال، حتى أن نهار الجمعة والسبت ثالث يوم وصولهم، خرج سيدي غالب بسريره ومراقده يبيت في مطرح الباشا، واستنكر الباشا ذلك وقال له ليس^(١) جئت بالعفش^(٢) حق النوم، قال: أبيت عندك اليوم لأخبار سمعنا أن سنحان ستغزي، خبر شاذ، وأما الخبر فلعلهم أرحب فضحك الباشا في وجهه ووهب له حاجة^(٣) قيل ساعة وقيل ناظور^(٤) إكراماً له حيث أكرم بنفسه له، وأرسلوا خيمة وعسكر وغفر^(٥) في لكمة الهندي ورأوا معاهم نواظير^(٦) تبسیر^(٧) في الليل إذا شي عادية من مسير ساعتين ثلاث.

فلما أصبح يوم السبت والناس في هرج ومرج، وأرحب بيجمعوا يريدوا الغزو إلى العرضي، خرجوا وأرسلوا للدفعي ناس يدعوهم يدخل في الطاعة ويصير من جملة الجماعة، ويحقن ماله ودمه فزقه^(٨) الكبير، وبنا من نفسه أن نوبته ما نعته، وأن المدافع الذين خرجوا بها عليه ما تخرب محراس^(٩) ولا ديمة^(١٠) جرن، وقد عنده ناس من أرحب، وغيرهم، ومنع من الطاعة فرموا بالمدافع تلك الصغار إلى جدار الحوش، ورمى من عنده فصوب^(١١) ناس، وقد فتحوا الترك الخندق القبلي، فداخل أهل صنعاء الشك من فتح الخندق، وبقوا فوق الدوائر سيفوتخوا^(١٢) للترك بالنصر على الدفعي لما قد أذاقهم من الخوف والنهب والقتل، ولما رأوا أهل شعوب وبعض أرحب ومن في النوبة فتح الخندق داخلتهم النخوة والشجاعة وبنوا من نفوسهم أن الترك رزقاً لهم ساقه الله إليهم، ونسي عبد الله بن حسين الدفعي ما قد فعل بالضعفاء والمساكين من القتل وغيره، وأمن مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم

(١) لأي شيء.

(٢) الأدوات.

(٣) شيء ما.

(٤) منظار.

(٥) عسكر.

(٦) جمع ناظور سبق.

(٧) تبصر.

(٨) أخذه.

(٩) بنا صغير يكون فيه حارس الزرع أو النغم أو غيره.

(١٠) كسابقه.

(١١) صوب: أصاب.

(١٢) يدعون لهم بقرائة الفاتحة وغيرها.

الخاسرون، فإنه قتل سيّد من حوث مسافر في الطريق ولحقه^(١) إلى الحَصْبَة، وقتله بغير حق، وقتل ابن الرّحبي صاحب شعوب، ولم أحد علم به وأدخله/إلى عند البيت وهو آمن تحت خشبته، وأدخله جرف في البير حق المسنا^(٢) وبقوا يدوروا له مدة فلم أحد لحق له على أثر، والنفس لا تخفي نفسها، وقال رسول الله ﷺ: «بشر القاتلين بالقتل»^(٣) والمسرفين بالنقمة، وهذا الدّفعي قتل سيّدي أحسن بن سليمان في صنعاء ليلاً وهو متعشّي وإياه عند سيدي محمد بن عبد الله، وقيل خبر شاذ أنه مشارك في قتله، وأنهم جماعة توالوا عليه وتعشّوا وخلوه إلى نصف الليل ولحقوه إلى القزالي^(٤) وقتلوه، فهذه أسباب هلاك الدّفعي، فلما رأى الباشا أحمد مختار تجاري الدّفعي، وعدم اكتراثه بالعساكر^(٥) السلطانية والمدافع الخاقانية والبوش الشّاهانية قدم بنفسه، وأمرهم بتقديم المدافع إلى قرب النّوبة ورَمَى الباشا بالمدافع بنفسه، ونحن نشاهد، ورموا الطباشية على رمائته، فلقد شقوا النوبة نصفين كما يشق المفلّق^(٦) الخشبة اليابسة بالمعاول، وقدمت العساكر والخيالة إلى جدار النّوبة يحفظوا الخارجين من الهرب، ورمى أحد البوش الخيالة من النوبة وما دارت^(٧) أربع ساعات إلّا والدّفعي ومن عنده يسحبوه الترك، وأهل صنعاء شَهِدُوا وهلّلُوا وكَبَرُوا وَحَمِدُوا الله، ودخل الدّفعي وبن أخيه ومن عنده أذلة وهم صاغرون، والناس يلعنوه ويصبقوا إليه وبعضهم يضربه بالنّعال، وأخذ ما في نوبته أخذة^(٨) واحدة وبرّ الله بقَسَم الباشا أحمد مختار، لأنه أقسم لا يتغلّى إلّا وقد أخذ الدّفعي، وهذا عاقبة الخدع والمكر والبغي والفساد ومكرو ومكر الله والله خير الماكرين.

[أخذ علوان العذري]

فلما رأوا الناس ذلك عظموا التّرك في قلوبهم، ولكن ما هانوا عليهم، وبقي في قلب الباشا على عامر بن علوان العذري، لما قد أشعر هو وأرحب أنه سيعزو العرضي ولما قد ألقى في بال الباشا الشيخ محسن بن علي معيضم من العذري وليس

(١) أدركه.

(٢) السنّي معروف.

(٣) قال السنحاوي: لا أعرفه وليس بحديث (انظر العجلوني: ١/٣٣٨).

(٤) حارة ومسجد وسياتي شرحه في الملحق.

(٥) خ بلعساكر.

(٦) هو المفلّق للأخشاب.

(٧) مرت.

(٨) خ أخذتا.

ذلك من إلقاء الملقى وإنما وفي^(١) المكيال وعدم مبالاته، فبقي الباشا نحو شهر من عند وصولهم، ودعوا صالح دغيش إلى عندهم يمسي^(٢) لديهم، وما يعلم أحد ما يريدوا منه فلما مضى من الليل ثلثه، خرجت البوش والعساكر والمدافع، وجرت طريق بيت عامر بن علوان يقودهم الشيخ صالح دغيش، فما شرقت^(٣) الشمس إلا وقد أحاطوا ببيت العذري من كل جانب كإحاطت العصاة بالرأس، ونادى مناديه بالويل والثبور، وخربت القصور، وأخذ جميع ما يملك حتى الأبواب والطاقات والأسلح وآلة الزراعات والفراش والنحاس والطعام حقه وحق من حوله، وفر بنفسه وصار يومه شر من أمس، وكاد أن يقع في رمسه، وذلك عاقبة ظلمه وجوره، وصار بأهله غريباً يسأل الناس في البوادي ويطلب لأهله قوت^(٤) يوم وليلة، ويسترحم فلا يرحم، ويستغيث فلا يغاث. ويستجير من الترك فلا يجاران بطش ربك لشديد.

وفي ربيع أول جهّز أحمد مختار العساكر والمدافع والأجناد والعد والعديد على جبل كوكبان، والسبب سيدي الصفي أحمد بن محمد شرف الدين، فإنها حملت عليه الشجاعة العلوية واعتزته النخوة الفاطمية وذكر مضارب أجداده الهاشمية وكان المقدمي عليه فضلي باشا بطل شجاع حاصره محاصرة من لا يخشى النار ولا يرجي شفاعته المختار ولا الشرب من حوض علي الكرار إلا أنه فيه خصال محمود لا توجد في أحد من الأتراك إلا فيه يعني فضلي باشا إذا تكلم بشيء وفى به، وإذا صدق وإذا استشير أشار بالصواب، وإذا أوّتم لم يخن، ففيه الخصال المحمود ما لا يوجد في غيره في جميع الأتراك، فأول عمل بينهم طلبوا سيدي أحمد بن محمد إلى عندهم إلى العرضي، وقد أرسلوا إليه في اليوم الأول بالرتبة نحو مئتين تركي بآلاتهم وسلاحهم، وخرج إليهم صبح اليوم الثاني، وقد كان أرادوا القبض عليه والغدر به والسبب نَسَبُهُ^(٥) وزوج أخته في الديولة السيد محمد بن عبد الكريم فإن الديولة كانت معه على كوكبان، وبعدما شلّها عليه سيدي محمد بن شرف الدين، لا زال يترقب الفرص، ويسعى فيما ينغصهم ويوصلهم الغصص، فإنه نزل في أيام قبل الوقعة هذه إلى تهامة ودبّر للأتراك أموراً يبلغ بها مرامه، وعند وصول الأتراك صنعاء أقبل إليهم يسعى وذرى هذا المخرج على كوكبان، وأراد

(١) امتلاً.

(٢) يبيت.

(٣) أشرقت.

(٤) ح قنوة.

(٥) صهره.

يجعلوا له الإمارة على كوكبان، ومع أتباع الهوى كان فيها دماره فإنه بقي في العرضي بين البرد والرياح والمطر والشمس، وتعلق به رياح الفالج كونه كان مترفهاً وأدخلوه أهله في النعش إلى صنعاء يحتموه ومات فيه رحمه الله، ولما بنوا الخديعة بالقبض على السيد أحمد، قبضوا أقاربه في مدينة كوكبان، وأغلقوا الباب، وكفلوا على الترك الرتب الذين عندهم فلما علموا الأتراك أن ذلك لا يتم أظهروا له البشر وعدم الخيانة وردّوه إلى وطنه، وكأنه لم يظهر عندهم عليه شيء، فتغاضى وأظهر لهم أنه ما ظهر عليه شيء، وأنه سيدخل يصلح الأمور، ويعود فلما دخل تحصن وتزبن^(١) وفلت العسكر الحانبيين، وحشد أهل المحل، وأصدقوا العمل، وحققوا للصفي ظنه والأمل، وضربت المدافع، وحال بينهما القطع الذي باب كوكبان، وكان عليه عقْد^(٢) يَمُرُّوا فوقه، فلما تيقن سيدي الصفي، أن لا يعذروه وقد همّوا بالعبور من فوق السور حيث الباب مغلق ولا يتكيعوا^(٣) من رصاص ولا من قتل، فما وسعه إلا أن أمر بهدم العقد في غفلة من الترك، فلما سمعوا بهدمه شدّدوا الحصار من جميع الجهات، وانقطع الداخل والخارج، وقاتلوا قتالاً شديداً، وما بقي إلا من فيه محبة لهم كان يدخلوا إليهم من الشرط^(٤) الليل يؤدّوا إليهم محتاجهم وفي بعض الأيام زهدوا^(٥) الترك الذين في نصف الجبل بالمارين بما يحتاجوا السادة فقبضوا بعضهم وقتلوه، وهرب الآخريين، وخاف الجالين إليهم لأن المطارح على كوكبان تكررت، أعظمها الذي فوق البريك^(٦) والعرضي، والمدافع هنالك، وأما الباقي فهم في العارضة^(٧) وضفران^(٨) رتب مدركين بالمارين في العارضة في نصف الجبل، وفي ضفران رتبة، وفي شبام وفي وادي النعيم وحول الجبل، وفي أول الحوزة^(٩) غارت حاشد قوم واسعة وصلوا إلى طرف الضلاع وطرحوا يستريحوا ليلتهم ويتعشّوا والصبح يغيروا على أهل كوكبان، فباعهم الذي لا خير فيه، وعاد الغائرين غير خابرين بالأتراك، فما عرفوا حاشد قتالهم إلا بعد أيام، فلما ذهب أكثر الليل سرت الترك إلى مطرح العرب،

(١) تمنع.

(٢) جسر.

(٣) يخالفوا.

(٤) الفتحات.

(٥) تبين لهم.

(٦) جمع بركة سبق شرحها.

(٧) مواضع في كوكبان.

(٨) مواضع في كوكبان.

(٩) الحصار.

فمجرد وصلوا وأشرفوا عليهم من فوقهم وواقعهم بالمدافع والبنادق وهم نائمون، ففزعوا فزعاً شديداً وكادت تذهب عقولهم، ودهشوا فلما رأوهم على تلك الدهشة نزلوا إليهم فمنهم من قاتل، ومنهم من استسلم، ومنهم من قُتل، ومنهم من تردى من الجبل، ووقعت قتلة كبيرة في الطرفين، لكن الغلبة للترك، وأدخلوا الرؤوس إلى صنعاء، والأساري، وفعلوا الروس فوق روس البنادق وكان لذلك موقع عظيم، فلما وصلوا إلى باب الباشا أحمد مختار، وكان جباراً أمر بضربهم بالسياط جميعاً، وبعضهم قد فيه رصاص مدافع في يده، وبعض الرصاص حق البنادق فلما وصلوا مدوهم الأتراك تحت الطاقة في الميدان على رؤوس الأشهاد، ودسعو^(١) على رقابهم، ومنهم من مات في الحال، وابن الأحمر من رؤوس حاشد فيه رصاصة مدفع لكن أسلمت بدنه، وأخذت شطراً من يده، ومات بالقصر قبل دخوله الحبس، ولم زد أمكن الغارة على السادة، وبقي كوكبان في أشد الحصار، وكان يقدموا الأتراك في كل حين ليلاً ونهاراً إلى القِطْع ويريدوا العبور والتعلق بالسور، فيخرج أهل كوكبان إلى باب الحديد ويقاتلوا قتال من لا يرجو السلامة، ولو دخلوا لأذهبوا الجميع لأنهم كانوا يُقسموا لأن دخلوه عُتوة ليزبحوا الجنين في صُدر أمه والناس في جميع الأقطار يتوسلوا لهم، ويدرسوا^(٢) الليل والنهار^(٣) وهم في أضيق الضيق هذه المقاد^(٤) وأما أن الحرب من مطرح الترك سكن ساعة واحدة فلا، إنما البنادق تخدم والمدافع تُقَرَح، وتعيوا^(٥) الأتراك بكل حيلة على الدخول فعلوا^(٦) مراكب من صِرَف^(٧) ومراكب من جلود، واحتاجوا جميع الصُرف، وجميع السرات^(٨) الحديد، وجميع السلب^(٩) حبال وكلما تقدموا إلى هنالك فالفعل فيهم من أهل كوكبان من البنادق والرَّجَم، ومن سقط إلى القطع وذهب لا أحد يقدر على إخراجه، وفي كل مقدم يسقط في القطع خلق كثير، ودام ذلك وفي بعض الأيام وقعت فزعة شيطان في كوكبان تساقط

(١) وطؤهم بالأقدام.

(٢) يقرؤوا القرآن ليصرف عنهم البلا.

(٣) خ النار.

(٤) المعارك.

(٥) جهدوا.

(٦) صنعوا.

(٧) خشب.

(٨) حبال غليظة من حديد.

(٩) جمع سلبه وهي الحبل من الليف وغيره.

الحبالي^(١) لأن الأتراك غدروا وجاؤوا على كوكبان من عدني محل يقال له المشير ودخلوا الأولين، ولا شعروا أهل كوكبان إلا بالهيئة، ودخلوا فتغاوروا كالليوث العادية، ورأوا الأولين قد دخلوا، ولكن أكرمهم الله بِخَوْص^(٢) الطريق ما تسع إلا اثنين ثلاثة، فوصلوا إليهم أهل كوكبان وردوهم بالرماية والرجم والحجارة، وجَعَدَال^(٣) الأكداف^(٤) وَدَهَف^(٥) الرُّجال حتى المتردي يتردى على نحو مئة قامة وخمسين قامة واشتغلوا بتلك الشرطة، والترك خلوهم إلى أن مالوا إليها وقدموا من القطع كبيراً وصغيراً قاصي وداني ورفيع ووضيع بالمركب الذي جعلوه وجعلوا له جداراً من صرف ملبسه من حديد يرد الرصاص، وجعلوا له عجيل^(٦) يمشي عليها، وهو كالمكان وجعلوا في مقدمة خشبة بطول القطع، إذا وصل القطع امتدت عليه، ودهفوه دهف، ولم يشعر أهل كوكبان إلا بالهيئة من باب الحديد، ودخلوا^(٧) دخلوا فتغاوروا كالأسود المفترسة وما وقع إلا اختلطوا، لأن قد عبروا القطع بمركبهم وردوه دَهَف، وسقط خلق كثير من الأتراك إلى القطع، والذي قد عبروا من السور بعد خروجهم من المركب عَبَرُوا لأن قد سبقوا الترك أخربوا السور بالمدافع، وسهل عليهم، وكل من دفعوه السادة فإلى القطع^(٨) وحاصله أن القطع استغرق نفوس لا تعد، هذا وسيدي علي بن محمد شرف الدين معه من البنادق الشاشخان، وكان رامي هايل ما يخطي شي، فكان يلتقط الأتراك كما يلتقط الديك الحب، حتى أنه يرى من رأس الجبل إلى قاع شبام عربي وتركبي مسنَّين^(٩) ومتسايرين، فيلقط التركي من جنب العربي، على بعد مسافة، وآل الأمر إلى بقاء الحصار على تلك الحال من أول ربيع أول إلى آخر شهر رمضان، وفي آخر يوم من الحرب يوم الربوع عدوا رصاص المدافع التي رموا بها كوكبان ثمان مئة وثمانين رصاصة في يوم واحد في رمضان، وخرج سيدي الصفي إلى يد فضلي باشا مستسلماً للأمر وما فعل / إلا لأنه رأى الملل من أهل كوكبان، وألجأتهم الحاجة لكل شيء، وإلا فكان مصمماً، ولكن خشي المحذور فأفدى بنفسه في سلامة أهل بلده، وقيل أنه صلح وقع بينه وبين فضلي

(١) جمع حبلى معروف.

(٢) ضيق.

(٣) تقلب الأحجار.

(٤) الحجارة.

(٥) دهفه دفعة إلى الأمام.

(٦) كذا.

(٧) جمع عجلة معروف.

(٨) الشقوق.

(٩) قائمين.

باشا، والصحيح الأول، ودخل صنعاء في آخر رمضان دخلة تزهق القلب الشديد، وتذهب عقل البطل الصنديد، وصل صنعاء مغرب والأتراك حوله رجالاً وخيالة محيطون به إحاطة الخنصر بالبنصر، ولكن هذا الباشا فضلي الذي خرج إلى يده ما أظهر ذلك بل اشترط له عند الباشا الكبير أحمد مختار شروطاً أكيدة لا تنقض بمعرفته لقوانينهم، فلهذا لم تنقض، وبقي في صنعاء من تاريخ وصولهم إلى تاريخ زبر هذا سنة ١٣٠٦ وهو باقي، الله يبقي عليه ولكن لو خلا تلك المجدة^(١) إلى هذا التاريخ لكان أحسن، كما قيل (لا تعادوا الدولة في إقبالها فتدبروا) وجعلوا له مصروف^(٢) في صنعاء وأدوا^(٣) له بيت، وأدخل ابنه في أعمالهم، ولكن سيدي علي صنوه الذي كان يتلقط الأتراك كالحب، وصل صنعاء يتمدح بما فعل فيهم بذلك، وما علم أن المنية هنالك فأغروا به إلى الباشا أحمد مختار، فحبسه وفي بعض الليالي أخرجه إلى العرضي^(٤) وأظهر أنه يحبسه في الحديد وأمر الذي أرسله معاهم يقتلوه فلما وصلوا به إلى رأس الحيمة بين بوعان والخميس، وقتلوه عيياً وصار شهيداً، وكتب الله له السعادة والشهادة، وكتب له أجر المجاهدين والشهداء الصالحين.

وهذا خبر كوكبان وأما من في صنعاء فلا زالوا ييثوا القوانين ويطبعوها^(٥) في المدينة على أهلها ومن ورد إليها وما فعلوا إلا أشياء يسيرة في كل شيء من ميري^(٦) وغيره لأجل يسهل على الناس وكل شهر يحدثوا قانوناً، وكل سنة يرفعوا تلك الأشياء يسيراً يسيراً، حتى أن عرض^(٧) الحال أول الأمر برُبْع الثمن، فلما كان في التاريخ قد هو برِيع قرش حجر، وعلى^(٨) هذا فُقِس في أضعاف ما طبعوه، وحتى فعلوا على المرأة إذا تزوجت البكر بشيء معروف، نحو قرش حجر، والثيب دون، وعلى الجدر^(٩) إذا عمر شيء يشير، حتى صار كبير، وعلى البياعين^(١٠) للثمن^(١١) نحو

(١) النخوة والشهامة.

(٢) نفقات.

(٣) أعطوه.

(٤) هو موضع العسكر.

(٥) هذانص أكيد على دخول الطباعة مدينة صنعاء في هذه السنة سنة ١٢٨٩ هـ.

(٦) سبق وهي بمعنى ضريبة الأرض.

(٧) الشكاية.

(٨) خ وعلاها فقسس.

(٩) الجدار.

(١٠) البائعين.

(١١) التبغ.

سنة قروش حجر، على الجلابين، وبعد مدة سرت على الكسارين^(١) كذلك المبردقين^(٢) وحتى أنهم كانوا يزنوا التراب بالميازين، ومن وجدوا في باب حانوته أو بيته شيء من التراب وزنوه، وعلى كل رطل شيء. وقد ذكرت ما قالوه عند مكاتبهم أن ما يريدوا شيء غير صلاح المسلمين والإسلام، ومنعوا كل ما دخل المدينة من أي باب، ولو ربع رطل سمن أو نقر^(٣) حب، ما يقع إلا وصوله إلى السمسرة، يأخذوا عليه شطراً منه، ويثمنوا كل شيء بأضعاف ثمنه، لأجل يأخذوا جعل كبير، حتى أنه في أصله ربع عشر على القرش زلطة^(٤) وييسة^(٥) وصار في التاريخ نحو الخمس والسدس في بعض الأشياء وأرفق^(٦) ما يكون فيما لا يقع فيه شيء فعلوا فيه العشر [وحتى النورة حق القضاض^(٧) والقص^(٨) يصل إلى السمسرة والعادة^(٩) حجار، وتسليط ما قد وقع مثله في قديم الزمان وحتى في بعض الحالات حبوب الوقف يصل السمسرة، والملك^(١٠) أعسر، والقاتل يحبس لا غير، والسارق والزاني والساكر^(١١) واللوطي ما عليه شيء، وتعطلت الحدود والشرعية لو تشارع^(١٢) على قرش لا تخسر^(١٣) عشرة، وما تقف على طائل إلا أنهم يدوروا على المطاولة لأجل يشلوا^(١٤) ما في يدك أن دخلت أدبت^(١٥) وإن خرجت أدبت^(١٦)] وقد هي جمالة^(١٧) منهم ولا ذكر ذلك في كتاب ولا سنة، وأما الشريعة فلا يقدر الواصف

(١) الذين يبيعوا للناس بالتفرقة.

(٢) نسبة إلى بيع البردقان وهو مسحوق أصفر يصنع من نخالة التبغ ومواد أخرى.

(٣) قدر معين من المكاييل.

(٤) وحدة معينة من النقود ويقال للدراهم عموماً زلطاً واللفظة أصلها تركية (انظر بلوغ المرام ص ٤٢٧).

(٥) عملة صغيرة من النقود.

(٦) أشفق.

(٧) هو خليط من الحجارة الصغيرة والسورة يطلى به البرك لمنع تسرب الماء.

(٨) هو الجفض المعروف والمعروف المعروف.

(٩) الحجارة

(١٠) أي المال الملك غير الوقف.

(١١) السكران معروف.

(١٢) نحاكم.

(١٣) بمعنى لسوف تخسر.

(١٤) يأخذوا.

(١٥) دفعت.

(١٦) ما بين المعقوفتين من هامش المخطوطة.

(١٧) صنع جميل منهم.

يصف، ولا الراقم يرقم، إن دخلت سلّمت، وإن خرجت سلّمت وسِرَّ^(١) وِجِي^(٢) الشَّهر والشَّهرين والسنة والسنين ولا تزقم^(٣) على شيء، إنما تخسر إذا عاد في يدك شيء، وإن خرج لك رقم ما أسرع ما ينقض من غريمك، وترجع إلى ما كنت فيه، وتركوا الشريعة أكثر الناس، ما بقي إلا أهويات وكل قاض/ يخرج من اسطنبول^(٤) جَرَّاف^(٥) ما يجد شيء ولا تجيء مدّة السنين التي ضربت له، إلا وقد هو في لكوك، وجاء الثَّاني على مثل ذلك حتى أن النُّواب الذين كانوا يتحكموا في القضاة^(٦) مثل حراز وعمران والطويلة وحجة وذمار، تسلّموا ثمن ذلك مئتين قرش، وطبعت ظاهرة شاهرة، والنُّواب الذين في النُّواحي مثل ثلا وشبام والمحويت والمحويت والعر والحواز من خمسين وستين دفعة قُدِّمة^(٧) وأما أنهم يبقوا فما يخلوهم وإذا لم يبق يسلم ربما عزلوه، وطبعت بل أن الحوازيات أكثر في بعض الحالات، والنُّواب الذين بيعزموا للقضاة عالم أن أفعالهم أضّر من العامة لأن ما المقصود إلا خُلْس^(٨) العباد، اشتراها شراء، يفعل ما أراد، وناس قد قَرِي^(٩) وناس ما معه شيء، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وأما البعض فيَغْنُوا^(١٠) ويرقصوا ويَشْرَبُوا التُّبَّاق^(١١) ليس في ذلك بأس عند الدولة البأس، والضرر عندهم الذي لا ينصح للسُّلطان، ولا يتبع الشَّيطان، وأما ما ذكر فما هي إلا محمودة، مع ما رأيت وسمعت وشاهدت عيني، وسمعت أذني أن بعض المأمورين اتُّهم بسرقة وهو كاتب عندهم، وجاء إلى ذلك المحل الذي اتُّهم بالسُرقة فيه، ورقد ما قاموا يوم ثاني إلا وقد أفتك الحرز، فأنكر وذكر أنه غيره الذي فكّه، وأما فهو كان ساكر، والذي مدرك في رياسة^(١٢) العمل الذي شهد له أن حيث وهو ساكر، فلا يخاطب، وأنا أبسر وأسمع ذلك عياناً. وقاتل قتل ذكر أنه ساكر، فسقط عنه القود، وهو ساقط عندهم، ولكن حيث هو ساكر ما جرى عليه شيء من

(١) إذهب.

(٢) آتي.

(٣) تمسك.

(٤) هي إسطنبول عاصمة الخلافة الإسلامية.

(٥) فقير والحراف أيضاً الفقير.

(٦) جمع قصاء وهي الناحية.

(٧) تقدمه تعطي لهم.

(٨) تجريد.

(٩) درس وتعلم.

(١٠) من الغنا معروف.

(١١) التبغ.

(١٢) خ رياست.

حكم القاتل الحبس المصحى من السكر، وحال تاريخ هذا وقد ثمن حكومة العر
مستين قبضوها وهي إدارة في سنة ١٣٠٨ ولكن حال وصولهم لم ظهر للناس جورهم ،
بسبب أن القانون الذي وضعوه ما قد إلا الميري، وهو شيء يسير ماله عند الناس
تأثير. والسبب الثاني أن جميع محتاجاتهم من حَبَّ وسمن ولقمة وبقصماد^(١) من
داخل السلطنة، وإذا ما جلب إلى صنعاء فهو لأهلها. السبب الثالث أن الذين وصلوا
أنهم عند وصولهم إلى مقدار سنة عسكر مُخَفِّين^(٢)، وكان أكثرهم يسيروا في
المأموريات للحروب وغيرها وما في صنعاء إلا الرتب. والسبب الرابع أنهم عند
وصولهم أغنياء كل فرد منهم. الباشا كان يسلم معاشاتهم ما يفوت^(٣) شهر واحد
عليهم وذلك مخرج جميع المحتاج من أكل وكسوة ولحم وريز^(٤) وسمن وسكر
وصابون، وعاد كان أحمد مختاري يدي^(٥) لهم دراهم زائدة لأجل إظهار القوة
وتأليف قلوب الناس، وهم قد غنموا غنائم كبيرة من المغارب وأنس وغيره من بلاد
عسير، ومن حق الداعي، ومن بيت العذري، وفوق ذلك أن عادهم خارجين من
بلدهم أغنياء كل فرد مِنْهُمْ حزامه^(٦) ملآن ذهب كان^(٧) براها عيان لأنهم
ملقوطين^(٨) لليمن وأكثرهم أهل غنى، فلم يؤثر ذلك في أهل صنعاء ضُغْف بل أن
أكثرهم عَيَّنُوا أنذال الناس معاهم لا سيما المتقبلين والمتقنطين إن هم المتقبلين
فبأشياء حقيرة، ومقصود الترك يطيعوا القوانين حتى انتهت إلى أضعاف أضعاف
المضاعف، وفوق ذلك أهل اليمن، جميع والمغارب كان يَصَالُوا^(٩) صنعاء بدراهم
كبيرة، وعادهم آمنين الضرر، وكان يطرحوها في صنعاء جميع، فحييت الأسباب مع
جميع الناس، ولم بقي إلا صنعاء^(١٠) المحتاجات الناس وأسواق البلدان ضعفت
وحييت صنعاء/مدة سنتين ثلاث هذا بدؤوا أمرهم.

وسيدي الإمام المتوكل نقل من بيت العذري قبل وصول الترك بساعة وقيل

(١) هو البقسماط خبز يابس معروف (انظر شفاء الغليل ص ٦٨).

(٢) أي خفاف غير مرتبطين بأسر.

(٣) يضيغ.

(٤) هو الأرز معروف.

(٥) يعطيهم.

(٦) هو ما يشد به الرجل ملابسه.

(٧) هنا بمعنى كنا.

(٨) في الأصل ملقوطين وملقوطين بمعنى مختارين.

(٩) يصلوا.

(١٠) أي ما بقيت إلا صنعاء مقصد الناس.

أنهم رأوا قفائته^(١) والله قد أقال عشرته، فعزم ذلك اليوم إلى أطراف بلاد أرحب إلى ابن علي وبقي أياماً، وانتقل إلى بلاد حاشد، وكانت دار إقامته، ولكنه كان ينتقل فيها، أحياناً في الخُمري إلى حوث إلى قفلة عَذِر ولا زال يحث جميع الناس على الجهاد للأتراك ولا سيما حاشد، فإنهم اللّيوث الأماجد، ولا سكن من شغلهم ولا من الترسل إلى الأقطار، ولا من الغزو عليهم، ولو بنفر يسير، أدناه إذا لم يكن غزوات وحروب ظاهرات، فالنفر اليسير في البلدان، تسير ناس يقطع السلك وناس يقطع الطرق على الأتراك لا غير، ويقتلوا وينهبوا، وناس يحرقوا في^(٢) اليمن، وحراز وذمار، البيوت الكبار حق قائمين المقامات^(٣) وبيوت الحكومة في القضاوت، والغزوات في حالها^(٤) وتحشيد الرجال للحروب، فإنه قدم على خَيْرٍ مراراً، وعلى عَفَّار، وعلى حوث إذا كان في يدهم في بعض الحالات وفيها أخذ المدفع الكبير^(٥) في محل السنتين من بلاد حاشد فإنه قدم على خمر وخرجت الأتراك ونهبوا الترك الذين كانوا في خمر، وكان فيها من كبارهم وبُوشهم والبياعين المشترين، حتى أنهم غَنَمُوا غَنِيمة ما قد وقع مثلها صناديق مقفلة ملأنة^(٦) حروف^(٧) وبيعت بعضها في عمران بَيْس^(٨) لقلّة معرفة القبائل بالحروف، وخرجوا إلى مطرح الأتراك في السنتين، ووقع حرب وقَتْل، ما وقع مثله، وأكثر القتلى من الأتراك لأن

(١) رأوه وهو مدبر.

(٢) هو سلك البرق.

(٣) ضباط الأتراك.

(٤) في أثنائها أو لشأنها.

(٥) زاد في الهامش.

[وفي سنة ١٢٩٠ رجع أحمد مختار من اليمن ووصل باشا بدله أحمد أيوب في سنة ١٢٩٠ وفيها وقع الخرجة على بلاد القبلة وعلى المتوكل لأن أحمد مختار ما فتح الخروج على القبلة لأنه شغل بالعذري وكوكبان وأنس وغيرها فلما وصل أحمد أيوب فتح باب قتال حاشد والمتوكل وفيها أخذ المدفع المذكور في دولته وخرج للمدفع إسماعيل باشا وما وقع إلا أنه بذل لهم الأموال الجزيلة وأما لو هو لمخرجه فما فعل شيء ولكنه هان على الترك بذل الأموال ولا العار عليهم في اليمن والشام وما أظنه رجع إلا بحو أربعين ألف نحو شعرة لحاشد ونحو ثلاثين ألف عزام المخرج. وقد فعل مصطفى عاصم المذكور مخرج على سيدي قبل هذا المخرج المذكور ولم وقف فيه على طائل وما وصل إلا إلى قفلة عذر والخمري لرجع صنعاء غاضباً وجلس مدة وركب هذا المخرج الكبير الذي ما قد خرج أحد في السابق إلى زمان].

(٦) خ ملاونة.

(٧) جمع حرف عملة صغيرة.

(٨) جمع بيسه عملة صغيرة.

حاشد لم كان يباشرونهم إلا بالقفزات^(١) والطعن من اليد، وذلك الذي هو سم^(٢) الأتراك، وأما الحرب من بعيد فما للأتراك ثقا لأن بنادقهم تبلغ ضعف بنادق العرب ومدافعهم تتم^(٣) العرب، وما كان يغلبوا العرب إلا بذلك، فلما قدموا العرب على المدفع، أحاطت الأتراك بالمدافع إحاطت العصاة بالرأس خوفاً من العار وعندهم وعند بوشهم، لو ذهبوا عن آخرهم كان أهون لهم من المدفع، فتغاورت العرب من حاشد من كل قائم وقاعد، وذهبت نفوس لا تعد، وذهب جميع من فوق المدفع من الترك وجروهم العرب ساعة، وأقبلت بقية الترك فعلوا كفعل الأولين حتى صاروا مثلهم مجندلين مقتولين، وصاح لهم بالنفير أنهم يشلوا شدة^(٤) الذي في سفلة^(٥) بلولاب، فأخذوا شدة أسفله وأخذته العرب قهراً، وامتلات تلك الجبال والأكام من القتلى، حتى جافت^(٦) وأنتنت، وبقوا الترك المقبلين بشياهم ولم أحد زاد التفت عليهم، من كثرة ما قد انتهبوا، ومما قد صادروا، ورجعت الترك إلى الغولة^(٧) مقهورين مغبونين، وهذا في دولة أحمد أيوب^(٨) سنة نيف وتسعين ومئتين وألف، وبقي المدفع في تلك الجهات أوصلوه إلى عند المتوكل وحيدوه^(٩) من جبل شاهق ودفن، ونسيوه إلى دولة مصطفى عاصم كما يأتي ذكره.

وفيها السنة [سنة ١٢٩٠] وقع سبار^(١٠) السلك^(١١) خيط حديد وخشب وفي رؤوس الخشب كهية^(١٢) القفيش^(١٣) من طين في طيهن مثل الخطاف الذي يحنب^(١٤) الخيط فيه، من صنعاء إلى الحديدية يسير الخبر ويرجع في مقدار ربع يوم وما ذلك إلا

-
- (١) القفز الوثب.
(٢) الشيء الذي يخافوه الأتراك.
(٣) تنهي.
(٤) شدة المدفع: وكأنه قاعدته أو سداده بالسين المهملة.
(٥) أسفله.
(٦) جيفت انتنت.
(٧) موضع قرب ريدة من حاشد.
(٨) هو الوالي الثاني من الأتراك بعد أحمد مختار تولى حكم اليمن سنة ١٢٩٠ وعزل سنة ١٢٩٣ (انظر تاريخ المخلاف السليماني ص ٥٣١).
(٩) أي أنهم رفعوه إلى رأس جبل ثم رموا به من فوقه.
(١٠) إصلاح.
(١١) هو سلك البرق.
(١٢) خ كهيت.
(١٣) جمع قفشة وهي غطاء يوضع على رأس المداعة والمداعة هي ما تعرف في البلاد الأخرى بالنارجيلة.
(١٤) يدخل فيه ولا يخرج.

من/عمل الشيطان، لأن ما وجد في تاريخ أحد من السابقين أجمعين أو من عمَل اليونان لأن قد صارت الغلبة لهم في جميع الأقطار، نسأل الله أن يمد الإسلام بالأنصار. وعزم^(١) أحمد أيوب، وعاد المدفع باقي في حاشد، ووصل المشير مصطفى عاصم^(٢) سنة ١٢٩٣ هـ، ولما أخبروا بوصوله قتل نفسه بعض الأتراك، مما يعرف من غضبه، ولعل يئنه وبينه شيء فهابه الناس هيبة عظيمة، وهو غضب من غضب الله، ولكن صنعاء مدبرة الظلم، من قادم الزمان فوصل وضبط الأمور وانقاد له الجمهور، وكان يهَم بالوقوع بناس، ويستعظم الأمور، ويلغي وعنده إسماعيل باشا أكبر من يكون، ولكنه غفل عن صنعاء مصطفى عاصم، وقد كانت العرب دبّروا حيلة على الأتراك، وكتبت بين العرب قاعدة بين الداخلين والخارجين، وخرجت القبائل من يهَم وأخلط، وصلوا إلى حدّ سَعَوَان اللَّيْل ويوم ثاني تنبرم^(٣) المباني، فبلغ إسماعيل باشا ذلك، فغزاهم آخر الليل على خفية من جميع العرب، وصابحهم فجر، وهم نائمون مثل حاشد الذين غَزَوْا إلى ضلاع كوكبان على سيدي أحمد، فما شعر بهم الذين في حدّ سَعَوَان في الجُرف^(٤) إلا بضرب المدافع إلى عندهم إلى داخل الجُرف، وهو جرف متسع، وفي ذهنهم دَخَلُوا فيه لأجل يختفي أمرهم عن جميع الناس، ففزعوا فزعاً عظيماً، ووقع فيهم الأسر والقتل، ولا بقي إلا من طار، وأخذت أسلابهم وأثاثهم، وما جاء ظُهر^(٥) إلا وإسماعيل باشا داخلي^(٦) صنعاء بالجند القليل، وقد أشفا الغليل وسمع بذلك الحاضر والباد، ولما وصل صنعاء عاصم من الدورية الذي صار فيها يطوف البلاد ويخلص^(٧) العباد، وصل بكبر وعُجِب [من عند رجوع مصطفى عاصم بكبر وعجب، وخرج للمدفع^(٨) إسماعيل باشا، وما وقع إلا أنه بذل لهم الأموال الجزيلة وأما لو هو لمخرجه فما فعل شيء ولكنه هان على الترك بذل الأموال ولا العار عليهم في اليمن والشام فما أظنه رجع إلا بنحو أربعين ألف نحو عشرة لحاشد ونحو ثلاثين ألف عزام للمخرج^(٩)] وتجهز

(١) ذهب أو رحل.

(٢) هو الوالي الثالث ولي سنة ١٢٩٣ واستمر إلى سنة ١٢٩٥

(٣) يرم الأمر.

(٤) هو المغارة في الجبل.

(٥) أي ما جاء وقت الظهر.

(٦) داخل.

(٧) يجرد.

(٨) أي المدفع الذي أخذه حاشد.

(٩) انظر بقية هذا الهامش في الصفحة الماضية ص ٣٠٩.

للمُخرج على سيدي محسن المتوكل، وجمع جموعاً لا قد أحد جمعها، وأخرج من الخزينة أموالاً عظيمة، وأرسل لجميع الترك الذين في البلدان إلى صنعاء وأرصد عسكر عرب زبطية^(١) من جميع الأرض حتى أنه بلغ بيانهم^(٢) الذي خرج العرب بهم إلى أربعة آلاف ويزيدون، والجمال الذي أكرى نحو ثلاثة آلاف جمل، وأخرج المدافع الكبار والصغار وعزم^(٣) في سنة ١٢٩٥، ولما رأى الناس خُرْجته من عمران نحو ريده أيقنوا بهلاك بلاد حاشد وأهلها، وسيدي المتوكل كان في قفلة عذر فتنحى إلى المدان والأهنوم ودقّ البلاد مضى حتى حوث والخمري^(٤) والقفلة، ووصل البطنة^(٥) طرف البلاد، قد هيّ مُحادة جميع الجهات النائية بين الأهنوم وحجور والحرف، وهي إلى البدو أميل من جهة الغرب، ودارت البيعة^(٦) على المتوكل، حتى قبض من قبض من ثمنه، وطرحوا إلى نصف الليل وسرت السرية، وأحاطت به الأتراك من جميع الجهات، ووصله النذير والترك في الطريق على الأثر، فيحده^(٧) خرج سيدي من البيت، وأحاطت به الجنود حتى أن بعض الجنود رافقوه في خروجه، وهم العرب الزبطية، ولم أمكنهم يخبروا الترك حفظاً من الله له، ودخلوا بيته في إثره وهو يراهم، وقد تنحى، ولكنه جاز^(٨) من طريق ما أحد يسلكها إلا في النهار، إذ هو بصير وأكثرها بين هياج^(٩) وشوك، وسلمه الله، وقد كان أيقن الباشا يقبض المتوكل، والله غالب على أمره، ولا يصلح عمل المفسدين، فرجع الخبر للباشا بأنه لم تم المراد، فقام وقعد، وأرعد، وأبرق، وأكباده بالنار تحرق، وقد حاصرت حاشد الأتراك في البطنة محاصرة عظيمة شديدة، حتى عدم الأكل والشرب، وما كان يخرج للماء [الشرب] من الأتراك إلا الجَم الغفير، وأعدموا عليهم كل شيء، وما وسعه غير الرجوع، وقد سهرت عيناه وقل الهجوع، وأشرفوا على الموت بالقتل والعطش والجوع/ وهذا المخرج لم قد خرج أحد، لأنه أنفق فيه أموالاً كثيرة، منها قيل أنها تفوق على مئة ألف قرش مخرج الباروت

(١) هم جند الترك من العرب الذين جندهم الأتراك من اليمن.

(٢) القائمة المسجلة فيها أسماءهم.

(٣) توجه رحل.

(٤) قرية صغيرة قريبة من حوث وهي غير خمر المعروفة.

(٥) من قرى تلك النواحي.

(٦) أي بيع المتوكل للأتراك.

(٧) كلمة من عامية صنعاء تشبه قولهم ما كاد فعل كذا أو ما إن فعل كذا.

(٨) اجتاز.

(٩) أشجار ملتفة.

والرصاص والمعايير حق الشيخان^(١) والجوامك حق العسكر والإكربات^(٢) حق الجمال، أربعين ألف ريال حجر، وإلا فقد خرج هو بنفسه مخرج على سيدي محسن قبل هذا، ولكنه دون هذا المخرج، وقبله فلماذا لم نذكره إلا في ضمن هذا، ومخرج أرسل فيه إسماعيل باشا، وخرج مع إسماعيل باشا علي البليلي^(٣) وردوا فيه المدفع المذكور الذي أخذه حاشد في عهد أحمد أيوب، وما وقع إرجاعه إلا بدراهم كبيرة لجميع حاشد، والعنانة مع الأتراك من طريق النقيب يحيى بن هادي أبو فارح، فإنه كان يحب الدنيا والدراهم، كلما رأى فيه دراهم مال إليها، وقد هلك وقد كان أظعن في السن وذهب سمعه.

وهذه المخرجين المذكورين هيه^(٤) دون هذا فلم تؤثر لا في المال ولا الرجال فلماذا^(٥) لم نذكرها، وأما هذا المخرج فتضع^(٦) الأتراك منه، ونفذت الخزائن حقهم، وتعطلت، وفوق هذا أنها كانت مخازين ملأنة دراهم مقفلة وزد استدان عاصم من البياعين المشتريين، ومن النصاري، ولم زد أفلح الترك بعد هذا من الركة لأنها أثرت فيهم.

ولما رجع الباشا ووصل يوم عيد الأضحى ولم زد انتظر لبقية الجيش، بل سبق شزيمة يسيرة، فلما لقيه أهل صنعاء، وآهم على أحسن هيئة بأوجاه^(٧) رضية ملبسين منعمين ناسيمين^(٨) وقد أضر به البرد والعطش، والشهر والخوف، ولاقى ملاقة شديدة، وقد تعلقته به علة من القهر والحرارة، فوصل حبس العلماء حق صنعاء لغير ذنب جري منهم، وإنما أطفئ حرارة نفسه، وسكت الناس من القيل والقال، وهم السيد محمد بن قاسم الحوثي^(٩) أرسل له من السر^(١٠) عبد الله صدقة إلى هنالك، ومنهم السيد أحمد بن الكبسي^(١١) الذي كان مهاجراً في برط في أيام الدين

(١) نوع من البنادق وقد يجمع على شاشخان.

(٢) جمع كرى معروف.

(٣) هو أحد أنصار الترك قتل سنة ١٣٠٩ كما سيأتي ذلك.

(٤) هي.

(٥) خ فلها والإصلاح من عندنا.

(٦) خ فتضع ضع.

(٧) جمع وجه معروف.

(٨) مستريحين من الأعمال وغيرها.

(٩) هو ممن سبق ذكرهم وقد دعا وتوفي في برط سنة ١٣١٩ (انظر أئمة اليمن ق ٢ ص ٣٥٥).

(١٠) سبق ذكره.

(١١) سبق ذكره.

وإقامة الشريعة ولما تحولت وتبدلت رجع صنعاء، ومنهم القاضي حسين جفمان^(١) ومنهم السيد العلامة محمد عشي^(٢) وقد كان مكفوف النظر، ومنهم السيد حسين غمضان الكبسي^(٣) كان عامل الوقف من قبل وصول الأتراك صنعاء، ومنهم السيد محمد بن يحيى حميد الدين^(٤) الذي تحكم في حجة في أيام الأتراك، ومنهم السيد محمد المطاع^(٥) الذي كان عاملاً في صنعاء في أيام المتوكل، ومنهم السيد علي بن محمد الجديري^(٦) ومنهم زيد بن أحمد الكبسي^(٧) الذي كان نائب الأوقاف الخارجية، ومنهم السيد أحمد الشامي، ومنهم ناس مُخرجين من بني مطر، ومن قرية القابل محمد زاهر، وحُبسوا في القصر إلى شهر رمضان، وأخرجهم، وأرسل بهم حَبس الحديد، وما أخرجهم من الحبس إلا إسماعيل باشا، حين خرج بالأمر على اليمن، بعد رفع مصطفى عاصم، وقد كان أيقنوا جميع الناس أن لو يخرجوا من الحبس، لَمَّا وقفوا في صنعاء بل يهاجروا منها لشدة ما نالهم، ولكون^(٨) قد تغيّرت الشريعة، وهم من العلماء الذين الناس تَبَعاً لهم، ولكنهم رجعوا صنعاء بنهم^(٩) للدنيا أشد مما كانوا، ولعل عاد كان مرادهم يكافوا بحبسهم ناس آخرين، والله غالب على أمره/. وفيها توفي المتوكل رحمه الله في سنة خمس وتسعين ومئتين ألف.

وفي أيام دولة الباشا المذكور، وقعت وقعة بني حبش في بلاد كوكبان، فإنها لما كانت تقوى شوكة المتوكل بتلك المخارج على الترك، ويكثر القيل والقال، ويكثر الظلم على الرعايا، أرسلوا للهْجَام، وقومه أرحب وأفسدوا وأعلنوا باسم

(١) سبق ذكره.

(٢) هو العلامة الكبير محمد بن إسماعيل بن يحيى بن محمد عشي. نشأ بصنعاء وأخذ عن جماعة من علماء عصره بالتحقيق والتدقيق له ذيل على البسامة توفي سنة ١٢٦٩ في حبس الحديد (انظر نيل الوطرح ٢، ص ٢٤٩).

(٣) هو حسين بن علي بن حسين غمضان الكبسي ولد بهجرة الكبس من خولان العالية سنة ١٢٤١ وأخذ عن جماعة من العلماء ورحل إلى صنعاء سنة ١٢٧٠ وكان من العلماء الفضلاء تولى أعمال الوقف وتوفي سنة ١٣٢١ (أئمة اليمن ص ٣٩٨).

(٤) هو الإمام المنصور فيما بعد.

(٥) سبق ذكره.

(٦) هو العلامة علي بن محمد بن حسين الجديري من العلماء الأفاضل وهو من المتوفين في هذا السجن سنة ١٢٩٦.

(٧) سبق ذكره.

(٨) أي بمعنى لحيث قد تعطلت.

(٩) بشغف.

المتوكل، وخرجت عليهم الأتراك، وفعلوا قتلات كبيرة، وهربت أرحب واستولوا الأتراك على بني حبش، وصادروهم أشد مصادرة، ونهبت قراشهم وسلاحهم وطعامهم وأثاثهم، وباعوا أموالهم في الدراهم التي تعينت عليهم، وخربت بيوتهم، وصلحوا بعد ذلك صلاحاً لا فساد فيه، ولما كان إسماعيل باشا في صنعاء مع مصطفى عاصم، كان يصدر منه أمور تخالف الشرع فزقته^(١) مصطفى عاصم وصار منها طريداً، وضبطوا عليه مضابط على قانون الأتراك، وأكثرها خرض في ذلك عليه القاضي عبد الله الطرابزي الذي خرج مع مصطفى عاصم، والشيخ محسن علي معيض، فلما وصل إسماعيل باشا إلى إسطنبول تقبل^(٢) اليمن، وخرج باشا، وبلغ خبره إلى مصطفى عاصم قبل الناس جميع، فلَفَّ^(٣) نفسه من حينه، وخفف أثقاله، وأظهر أنه سَيُطَوَّف البلاد وخرج من باب اليمن، ولم زِدْ عاد، ولا تواجه هو وإسماعيل باشا^(٤) خرج من الحديدة، وأطلق المحابيس العلماء في أول سنة ١٢٩٧ ووصل صنعاء، وقلبه ملآن على الطرابزي، والشيخ محسن^(٥) فما كان^(٦) من الطرابزي فعزل وسافر، وما كان من الشيخ محسن فحبس وصادر، وسَلَّمَ أموالاً كبيرة، وقيل أنه سَمَّه ولم يعيش بعد ذلك إلا يسيراً، وقد كان الشيخ محسن معيض هَمُّ بأمور كبيرة لإذهاب الأتراك من اليمن بالكلفة، ولكنه عاجله الأجل ولقي الله بعمله.

[خروج إسماعيل باشا لليمن]

وصل إسماعيل باشا بأشياء نادرة منها كَبْسُ غُرْقَةٍ^(٧) شرارة، ومنها إسم الحميدية^(٨) أرصد من العرب كل أمرد، وسَمَّاهم بذلك وإنهم عياله، وكان يقال عيال إسماعيل، وقرَّر لهم الكفايات الفاضلة، وسيَّدهم على الناس، وعَلَّمهم عسكرة النظام، ورماية المدافع والمزِيْقَةِ^(٩) والنَّفِير، وحَفِظُوهم^(١٠) في أسرع وقت، وكان

(١) نفاه. وهي من اللفظة: سَفَره لتناوب الذاي والسَّين.

(٢) قبل ولاية اليمن.

(٣) جمع.

(٤) هو إسماعيل حقي وصل إلى اليمن سنة ١٢٩٥ وأنشأ عسكر الحميدية من أبناء اليمن (المخلاف السليماني) ص ٥٣٢

(٥) هو محسن معيض.

(٦) أي فما كان من أمر.

(٧) الغرقة الحفرة الكبيرة.

(٨) أنظر في ذلك الدكتور عثمان أباطة في الحكم العثماني في اليمن ص ١١٢.

(٩) الموسيقى.

(١٠) أجادوهم.

يَجْرِي بِهِمْ كُلَّ جُمُعَةٍ، وَحَسَدَهُمْ عَسَاكِرَ الْأَتْرَاكِ عَلَى مَا هُنَاكَ، لِأَنَّهُ أَبَاحَ لَهُمْ
فَعَلَ الْمُحَرَّمَاتِ حَتَّى أَنَّهُمْ فَسَقُوا وَقَطَعُوا الصَّلَاةَ، وَأَفْطَرُوا رَمَضَانَ جَهَارًا، وَلَمْ يَزِدْ
احْتِرْمُوشٌ^(١) وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَوْلَادُهُ حَقِيقَةً، وَلَا بِأَسْ أَنَّهُ أَلَيْنٌ مِمَّنْ قَبْلَهُ، وَأَقْلَ فُضَاضَةٌ^(٢)
وَأَسْلَمَ قَلْبًا وَأَلَيْنَ عَرِيكَةً، وَلَكِنَّهُ أَرْخَى الْعِنَانَ لِلْجَمِيعِ، بِالنَّظَرِ إِلَى مُصْطَفَى عَاصِمٍ،
وَجَاءَ الَّذِي بَعْدَهُ أَرْخَى مِنْهُ عِزَّتُ بَاشَا فِي سَنَةِ ١٢٩٩ فَأُولُ أَمْرِهِ أَزَالِ الْحَمِيدِيَّةَ،
وَأَخَذَ الْبِنَادِقَ مِنْهُمْ بَغْتَةً، وَدَاهَنَ الْقِبَائِلَ، وَفَتَحَ بَطْنَهُ لِلدُّرَاهِمِ، وَبَقِيُوا الْعَمَالُ فِي
الْأَرْضِ يَخْتَلِسُوا لَهُ وَلَهُمْ، وَسَلَّطَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ بِمَعْزَلٍ حَتَّى قِيلَ أَنَّهُ تَنَيَّلَتْ^(٣) كُوفِيَّتُهُ
مِنْ مَشَاوِرَةِ الْمَشَايِخِ لَهُ فِي الْأَذَانِ مِبَالِغَةً، وَبَقِيَ نَحْوُ ثَلَاثِ سِنِينَ، وَفَلَّتِ الدُّنْيَا وَتَسَلَّطَ
الْقَائِمِينَ الْمَقَامَاتِ، وَالْمَشَايِخِ عَلَى الرِّعَايَا، وَلِي وَلَكَ يَغْفِرُ اللَّهُ^(٤) وَوَقَعَتْ فِيهِ عِلَّةٌ
وَالسَّبَبُ أَنَّهُ لَمَّا تَقَدَّمَ عَلَى الْإِمَامِ الْهَادِي لَدَيْنَ اللَّهِ شَرَفَ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدٍ فِي أَوَّلِ
سَنَةِ ١٢٩٩ فَعَلَ فِي دَعْوَتِهِ مِثْلَ مَنْ سَبَقَ إِلَّا أَنَّهُ مَقَادِمُهُ أَكْثَرَ وَفَعَلَاتُهُ بِالْأَتْرَاكِ^(٥) أَكْبَرَ،
مَقَادِمُ ظَاهِرَةٍ، وَحُرُوبُ شَاهِرَةٍ وَسَطْوَةٌ قَاهِرَةٍ/تَقْدِيمُ عَلَى ظَفِيرِ حِجَّةٍ وَدَخَلَهُ، وَجَلَسَ
أَصْحَابُهُ فِيهِ مَدَّةَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ، وَاشْتَعَلَتِ الْأَرْضُ بِالنَّيْرَانِ وَأَيَقَنُوا الْأَتْرَاكِ بِالْهَلَاكِ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ، وَتَغَادَرُوا الْأَتْرَاكِ مِنْ كُلِّ الْأَرْضِ لِلْحَرْبِ وَالْقَتْلِ مَغْصُوبًا وَرَاضِيًا حَتَّى مِنْ مَكَّةَ
وَالْقَنْفَذَةِ وَاللَيْثِ وَجَدَّةَ، وَأَقْبَلُوا إِلَى الظُّفَيْرِ، وَكَانَ فِيهِ حَرْبُ عَسِيرٍ، وَقَاتَلُوهُمْ بِبِنَادِقِ
شَاشَخَانٍ مِثْلَهُمْ، وَلَمْ يَبْقَ لِرِمَايَةِ الْأَتْرَاكِ حِكْمَةٌ مَعَ رِمَايَةِ الْعَرَبِ، لَكُنْ السَّلَاحُ
سَوًى، وَالرِّصَاصُ تَلْتَقِي فِي الْهَوَى، وَحَقَّ الْعَرَبُ فِي الْأَتْرَاكِ تَصِيبٌ، وَرِمَايَةُ الْأَتْرَاكِ
فِي الْعَرَبِ لَا تَصِيبُ، وَلَئِنْ الْعَرَبُ مَتَرْتَبِينَ فِي الْمَحَلَّاتِ، وَالتَّرَكُّ فِي الْخُلُوتِ، وَكَانَ
يَتَخَطَّفُوهُمْ فِي كُلِّ طَرِيقٍ، وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ الْحَرْبُ شَهْرًا مُتَتَابِعَةً، حَتَّى نَفَذَتْ
الْخِزَائِنُ مِنْ مَوْئِنَةِ الرِّمَايَةِ الْمَعَابِرِ وَالرِّصَاصِ، وَسَأَلَ عِزْتَ بَاشَا مِنْ أَيْنَ لَشَرَفِ الدِّينِ
بِمَوْئِنَةِ مَعَابِرِ وَبِنَادِقِ وَشَاشَخَانٍ، وَبَقِيَ يَقْسِمُ وَيَحْلِفُ مَا يَفْعَلُ كَذَلِكَ إِلَّا وَهُوَ مُعَانٍ
مِنَ الْقِرَانَاتِ^(٦) الَّذِينَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ عِدَاوَاتٌ، وَلَمَّا طَالَتِ الْمَدَّةُ وَخَشِيَوا التَّرَكُّ
انْقِطَاعَ الْمَادَةِ خَرَجَ عِزْتُ بَاشَا مِنْ صَنْعَاءَ وَفِي ذَهْنِهِ أَنَّهُ سَيَمْلِكُ شَرَفَ الدِّينِ

(١) احترموا شيء.

(٢) خ غضاضة.

(٣) مِنَ النَّيْلِ وَهُوَ صِبَاغٌ تَصْبِغُ بِهِ الْمَلَابِسُ وَمِنْهَا الْعِمَامَةُ بِرُؤُسَاءِ الْقِبَائِلِ وَاسْمُهُ أَيْضًا وَاسْمُهُ (انظر معجم أسماء النبات ص ٦١).

(٤) هَذَا الْمِثْلُ يُقَالُ عِنْدَمَا يَتَوَلَّى الْمَسْئُولُونَ شُؤُونَ أَنْفُسِهِمْ وَتَرَكُوا الرِّعَايَا لِشَأْنِهِمْ.

(٥) خ بِالْأَتْرَاكِ.

(٦) كَأَنَّهَا الدُّوَلُ الْكُبْرَى الْمَعَادِيَّةَ لِلدُّوَلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ. (القرناء الأنداد).

بالفلوس^(١) لو يبذل وزنه ذهباً ما فلت^(٢) هَبَا^(٣) وقد كَذَّبَ مقالَه أولاً وعَادَهُ^(٤) في صنعاء، لأنه عمر عَقْدَ^(٥) وسط الطَّرِيقِ حق شرارة ممائلي بيت الميري حق البُوش الذي فعَلَه إسماعيل باشا للميري من جهة العدن، غربي باب شرارة، قبلي باب النزيلي^(٦)، وَحَدَّثَتْهُ نفسه والشَّيْطَانُ أن لا بد ما يفعل لشرف الدين مَعْلَقَا^(٧) في العَقْدِ للسائر والجائي، ويراه الحاضر والباد، وخيَّبَ الله آماله، وكذب في أقواله، وجزى بأعماله، وسَلَّمَ الله الإمام، فلما صَدَّقَ عزت باشا وصول الذين شَعَّبُوا^(٨) له أنهم يقبضوه له، وأخذوا بيوت أمواله، عزم من صنعاء هو والشيخ عبد الله الضلعي وخلصوا^(٩) الرُّعايا بغير سبب ولا ذنب ولا عطب وفعلوا للمشايخ جُعل من ذلك، وكانوا سوى^(١٠) تقاسموا وتخابروا^(١١) حتى في الرُّشوة، ولكن كان يأخذ الكثير، وهم جميعاً في اليسير، ولقيه إلى عمران صاحب خُفَّاش ما أدري^(١٢) يحيى ناصر الشويح، أو السيد عبده صاحب (قَيْهَمَة) وراودوه في مشيخة يحيى عبده زايد صاحب راود، وأخذوا ما معاهم من الفلوس، قيل خمسمائة، وقيل أكثر، وفعلوا لهم الرأي وعزموه حتى وصلوا البلاد على أربعة أيام، فلما علم يحيى عبده أرسل ولده، فما وَفَّتْ ثمان إلا وقد وصل، وأخذوا منه ضِعْفَ ما سَلَّمَ الأول، وفعلوا له الرَّأي، ومن هذه العجائب، والقليل يدل على الكثير، ولما قارب تلك البلاد القبيلة جاءت إليه ناس أشرار شَيَاطِينِ قليل، وأظهروا له أنهم من حَوْلِ جِهَةِ الظفير الذي خرج لأجله، وأنهم سيخضعون له البلاد والرُّتب، وقد جرت عادته مع الإختلاس أنه يوافق كل أحد وحده، وما يدري الأول ما مع الثاني، وأخذوا منه دراهم وسلاح، وخلوا ناس ضعاف عنده، وأوهموه أنهم سيصلون غداً إليه بمن عاد في

(١) خ بلفوس.

(٢) ترك.

(٣) سدى.

(٤) أي وعاده باقي صنعاء.

(٥) قنطرة أو جسر صغير سبق شرحه.

(٦) سيأتي في الملحق.

(٧) كأنها مشنقة.

(٨) ورطوه أو أطعموه بأوهم.

(٩) جردوهم.

(١٠) خ سوه.

(١١) أي ما أتحقق.

(١٢) استكملت.

نفسه، وأوهموا أصحابهم بالفرار على غفلة في الليل، وبعد صَحَّت^(١) له البيعة من طريق الموقوع في عمله، وخرطوا الذين في الظفير وبذلوا المال الكثير، والناس أتباع الدرهم والدينار، فانخرطوا وتعاقبوا من الله بعد ذلك بيسير، ورأينا العبرة ما قد وقعت على أحد في البائع، وأما في الساعي فعن بكرة أبيه وكادت الدنيا أن تكون دار جزاء.

وأما سيدي الهادي فحَمِدَ الله على ذلك الذي أصابه ببيعة أصحابه، ونذر يصوم سنة شكر لما أصابه من الإمتحان، وهذا شأن أهل الإيمان، وكله سهل حين حفظ الله البيضة الإيمان، ودخلوا خَرَبُوا الظَّفير، ونهبوه، ونهبوا مساجده، وأهدموا صوامعه ومشاهده، وكان فيه بناء ما يَتَصَوَّرُ أنه يظهر في البلاد بل وفي سائر اليمن، لأنه أساس أئمة أهل البيت الطاهرين، ومحط العلماء والخلفاء الراشدين الباذلين نفوسهم في الجهاد/والاجتهاد^(٢).

فلما انتهى الخراب إلى تلك المشاهد والقباب، عدم الصواب، وتعلق به داء العذاب، ورجع إلى صنعاء، وقد أحس بالموت قَطْعاً، وبقي أيام لحي ولا ميت ولا هو من الصرعى، وكفى الله المؤمنين القتال، ومات في صنعاء، وقبر في قبته خارج قبة البكيرية ملاصقة لركن القبة المسجد الركن العدني بغرب، وصار الإمام ناذراً يصوم سنة جزاء لله على البلا والامتحان ها^(٣) أين هذا من ذاك، ويوم القيامة ترى ما قدمت يدك^(٤). نسأل الله اللطف والحماية.

[ولاية الباشا أحمد فيضي علي اليمن]

وتعقبه بولاية اليمن الباشا أحمد فيضي، وصل في سنة ١٣٠٢ لكنه أحسن من الذي قبله بأمور منها أنه حازم، وحزم البلاد بعد أن كادت تضيع الفساد، ولو زِدَ بقي عزت باشا سنة كاد أمره أن يتلاشى لأنه أَلْف^(٥) جميع القبائل على الدراهم، وكل من أراد أن يفسد أمرَ له أنه لِلْفُلوس يَسْتَعِد، وأحمد فيضي قطع ذلك وأظهر الصميل^(٦) هنالك فكل من تحرك للفساد تجهز إليه بالمدافع والأجناد، فيا له من

(١) تحققت.

(٢) هنا استطراد للمؤلف يُخل بالموضوع تركناه.

(٣) كذا.

(٤) كانت وفاة عزة باشا سنة ١٣٠٢ هـ (انظر المخلاف السليماني ص ٥٣٢).

(٥) عودهم.

(٦) أظهر القوة والصميل عصا غليظة تستعمل في أعراض متنوعة.

بطل همام، يمشي إلى الباغي في الظلام، فدوَّخ أرحب ونحوهم، وللمسير أوجب أو سنَّ سنة، وللبروج أخرج، وأرسل سعيد آغهِ^(١) إلى مراد وقيفه أخذ إبلهم، وأذاقهم رجفة وخيفة، كذا الحدا وخولان، فعل لهم ما فعل بهمدان، وكان يضرب بالسياط والعصي لأجل يحذر الناس، ثم لا يزيد عصي. وحق التَّن ما سواه لها تسبب ستة ريال قرَّ^(٢) القرار عليها، ثم ذهب يا ويله من الله، ما أحد وجدها في الملل، ولا في أي مذهب حتى السُّرق^(٣) في سعادته رأينا، وأيام غيره ما رأينا ولا فيما سبق سمعنا وأقبل الباشا من بعده عزيز اسمه وهو شبيه عجيب ما مثله بدمه وما أظن مثله في العجم بهممه وصار منها ما ظلم ولا ابن دمه.

وفي سنة ١٣٠٥

[عزل أحمد فيضي ووصول عزيز]

وصل الباشا عثمان الذي كان في مكة، ولعله أضُرَّ ممن سبق، ولكن قليل البصر، وكثير ما يخافه الناس ويحذر إلا أنه وقع في مدينة أزال^(٤) ولو كان في غيرها لأزال من فيها، وفعل رئيس البلدية يعني عامل صنعاء من الشام الطغام وجمروك أظلم من الليل الظلام، وقاضيه أحمد بير ماله مذهب غير أكل الحرام، وإفكار العباد عندهم هو البغية والمرام/وأعوان كالأحدي^(٥) يوهموك بالأعين ويشبعوك بالألسن، ويخطفوا ما معاك بالأيدي، وتسير وتُدِّي وتَجِي وتُدِّي^(٦) هكذا دائما سرمد، وإن ما معك شيء فما أحد يستمع لك شيء، وقد يرجع يُخَفِّر^(٧) لك ويقول ما وضع لي شيء.

وفي سلخ سنة ١٣٠٥ وقع هذا الباشا المذكور عثمان بالشيخ عبد الله بن أحمد الضلعي^(٨) صاحب عيال سريح، وقد كان كبيراً، قد فعلوا له نيشان، ولقبوه بعبد الله باشا، خرج له ذلك من اسطنبول، وكسوة، وصار متزِّي بزيهم ومُشَوِّب^(٩)

(١) هكذا ينطقها أهل اليمن في ذلك الوقت وعند غيرهم آغا وكأنها رتبة عسكرية .

(٢) استقر.

(٣) اللصوص.

(٤) اسم لمدينة صنعاء.

(٥) جمع أحذية وهي الحداة طائر مفترس يعيش على الجيف وغيرها .

(٦) تعطي.

(٧) يصيح في وجهه بغضب وتجهم.

(٨) سيأتي خبر وفاته (وانظر حادثته مع الأتراك في أئمة اليمن ق ١ ص ٩٦).

(٩) أي مرخي شاربه كعادة الأتراك.

كشواربهم، وله من ابتداء دولتهم يخدمهم أحسن خدمة، وكلما صعب عليهم أمر من أمور بلاد القبلة تصدّر لها هو، وأجلاها حتى أن الأئمة: الإمام السابق المتوكل محسن بن أحمد، كان كلما تجهز على الأتراك وخرج بحاشد، وجّهوا له عبد الله الضلعي بالجنود والمدافع، ويخرج معه للعسكر أحد الأتراك كالألة، وانخوضر عليه ويجلّو تلك الغبرة، وبعد المتوكل الهادي شرف الدين خرج مراراً على خَمَر مرتين وعلى (مسور) وعلى (الظفير) وعلى (السودة) وكلما خرج سيّدي شرف الدين أرسلوا له الأتراك عبد الله باشا^(١) فيفعل مع الأئمة كما فعله أهل القرن الأول مع أئمتهم، فوقع به عثمان باشا في سلخ سنة ١٣٠٥ وحبسه في العُرْضي نحو شهرين ثلاثة، وأرسله الحديدية وبعد إرساله إلى الحديدية، أرسلوا عسكرياً إلى محله، فقام وكيله راجح بن سعد صالح الميموني نسبة إلى بلدة بني ميمون في عيال سريح نَجَل^(٢) ما في البيوت جميع من سلاح ومُدْرَهَم وفراش، وقراش، منهن خيل نيف وعشرين، وذخيرة باروت، ورصاص ومونة شاشخان، كل شيء من ذلك أحمال، أما الطعام فلا يحصر، غير الذي في القرى والمدافن في كل قرية، وبقية الأموال الأراضي في كل محل، حال الرقم وهو باقي على أصله، وبعد ذلك خرجت الأتراك أخربت البيوت حقّه، وأخذوا بقية ما وجدوا منها طعام نحو أربعة آلاف قدح، وما الرجل الشيخ عبد الله فلم زِدْ تحقق له خبر حال الرقم، وما يدري ما فعل بملكه والمَنَجَل إليهم ذلك يعلم الله كيف يكون بهن، هل يرجعين^(٣) أو يموتين^(٤) وبعد حبس الرجل وتغريبه أمر الباشا أحد القواد البوش ممن تحته، يقال له أحمد رشدي^(٥) يتقدّم على جهة اليمن، فعزم فأول عمَل لقيه مشايخ عَنَس المِصْري والشُّغْدي وغيرهما إلى خارج دَمَار، فما دخل دَمَار إلا وقد وقع بهما وأنزلهما من فوق خيلهما على رؤوس الأشهاد، وحبسهما في عُرْضي العسكر في دَمَار، وصادتهما مصادرة عظيمة، وسلّموا فلوساً جَمَّة، وكذلك أهل المدينة، وما خرج منها إلا وقد قُرب في آجالهما، ودخل يريم، وجرح كل قلب سليم، وصادر كل واحد على التسليم، وربط وكُتِّج^(٦) في البطون والظهور، حتى نائب الوقف في يريم، طلبه وربطه بعمامته وهُدّه بما لا يستحقّه.

(١) أي الضلعي.

(٢) نقل.

(٣) يرجعن.

(٤) يمتن.

(٥) سيكون أحد ولاية الأتراك فيما بعد.

(٦) أي ضرب بالكرباج والسوط من الجلد واللفظ من التركي.

[وبقي أحمد فيضي سنتين دُوخ جميع البلاد وخرج على الحدا وقيفة ومراد، أرسل لهم سعيد أغه، وكان ظالماً غشوماً، وقد خرج إلى اليمن ثلاث مرات ويعزل، وفعل الباشا أحمد أربعة سمّاهم بُلَص^(١) وكبيرهم السّيد علي بن أحسن صلاح فايح وفوضهم في أعمال القحاب^(٢) والسّكاري وكل مهرة^(٣) دنية فاستجذبوا الأمر الذي يقع فيه الدّراهم، وتعلّقت يد سعيد أغه من هذه المهرة الدّنية فنصب سعيد له ثمانية عشرة شياطين يشغلوا العباد، على هيئة السّرق مكافأة للباشا والبلص، وكان يتخارطوا في الشّوارع، ويرجموا على النّاس، وأما السّرق فهو يسير، لكن ما بان فعلهم إلّا به بدعوا^(٤) بأمره وبعد مخارطة ورّجَم وشغلة^(٥) وسهّروا جميع النّاس النوم نحو شهرين، وعمرّوا جميع المحاريس، وكل من صاح زقموه^(٦) وإن غار^(٧) زقموه، وإن أسرج^(٨) بيته حبسوه، وكأنّهم دوّارين في مصالح النّاس، وهم ضرّارين، وخرج تاريخ تلك السنة (طُفي^(٩) ونمّ نَهَبَك ما لم طلعت الكاوش^(١٠)) (١٣٠٣) [١١]

وسلم^(١٢) دراهم وبعد أهل يريم وخبان، وزيادة على ما جرّت منه العادة أخرب دُورهم وحصونهم، وشرّد أطفالهم، وحرّمهم، ولولا دفاع الله لأبادهم عن آخرهم، ولكن لكل شيء سبباً وكان الله على كل شيء رقيباً، والسبب/الذي فرج الله عليهم به أنه الوكيل حق عبد الله باشا الضلعي بعد تنجيله في مخلف الضلعي، عزم إلى صعدة وضيق على الإمام الهادي في جهاد العجم، وهو في أكمل الكمال لم يغتر بالعرب، ولو قد اغتر بالعرب أن قد ذهب رَدّه وعُناه بفتح العمل، وأرسل ولده

(١) لعلها محرفة من اللفظة الإنجليزية (بوليس: بمعنى عسكر أو جند).

(٢) كذا في المخطوطة وكان الأولى بالمؤلف أن يرفع عن استعمال مثل هذه ولكنه هنا في موقف المتقذ للأتراك فرحمه الله.

(٣) حرقه.

(٤) بدأوا.

(٥) مشاغلة.

(٦) أمسكوه.

(٧) أغار.

(٨) أي أضاء بيته بالسراج.

(٩) أي أطفئ السراج.

(١٠) هو مركز الشرطة.

(١١) ما بين المعقوفتين زيادة بحط المصنف في هامش النسخة بحط دقيق لا يكاد يرى فضلاً عن أن يقرى وقد جاء بعد حديثه عن أحمد فيضي.

(١٢) من هنا الكلام تابع لما قبل المعقوفتين.

شرف الدين، من أول عمل إذا رآمنهم ما يوجب الخروج من البلاد الصعدية، فرجع محتديين إشارته أمسى في بني ميمون، ورسايسه ترس له ما يخرج من صنعاء للعجم، فخرجت قافلة نحو ثلاثين حمل أكثرها خزنة مؤونة بنادق ومدافع، ومعها عسكر وخيال من كبارهم فاستقربهم، وقتل الخيال، وفعل في العسكر، وأخذ الخزينة وشرّد وتحركت حاشد حين تحرك فيها السبب، لأن قد أهملهم الأتراك مدة بقاء الهادي شرف الدين في صعدة، نحو خمس سنين، وما كان يزد يوقع لهم من الأتراك شيء لأن ما كانوا ينالوا من دنياهم إلا بسبب بقاء الأئمة بينهم، أولاً المتوكل، وبعده الهادي، فلما وقعت تلك الواقعة من وكيل الضلعي، فرحوا وتحركوا، فلما تحركوا أرسلوا الأتراك لأحمد رشدي الذي عزّر بأهل اليمن، وفرج الله على أهل اليمن بحركة القبلة، فوصل على الفور، وخطّ الرهائن الذي قد صادرهم في ضوران، وكان قصّد الباشا الكبير يقبض عليهم لأنهم كلهم مشائخ ويرسلهم تحت الحفظ إلى الحديدية مثل الضلعي.

ومصطفى بيه متصرف تعز قبض المجاهد في تعز، لأنه مثل الضلعي في غناه وحظّه مع الأتراك، وقائم مقام حُفّاش قبض على الشيخ المشايخ في تلك البلاد يحيى عبده زايد، وأرسله إلى الحديدية، وكان في ذمتهم يكلفوا اليمن بهم، فلما تحركت القبلة وصل الباشا أحمد رشدي من بلاد يريم، وأمسى في صنعاء ليلة واحدة، وخرج عمران، ونشأ حرب بينه وبين حاشد، ووقعت قتلات في قرية عقابات في عيال سريح، وكان العرب يغزو الأتراك إلى العُرضي، ولما قبضوا حاشد ما يرضيهم من الترك، تفاشلوا أو ابتاعوا، وممن ابتاع معهم السيد^(١) الوادعي وهلك عقيب ذلك، لعلها دعوة الهادي أصابته، وقبض أحمد رشدي، رهائن من عيال سريح، ومن الجبل لأجل سكون الفتن، ولكن بعدما بالموت قد أيقن، وما ذلك إلا جواب ما فعل بأهل اليمن.

وفي تلك المدة أرسلوا بالضلعي عكة^(٢).

ورأينا^(٣) مع هؤلاء الأتراك غير [ما سمعنا] من الأتراك السابقين في أيام شرف الدين، والقاسم بن محمد، وطالعنا في سيرة الماضين، فلم وجدنا من ذلك شيء إنما قوانين

(١) بيض المؤلف لاسمه وكأنه لا يذكره حال الكتابة.

(٢) هي عكا الفلسطينية. أعادها الله.

(٣) خ رينا.

أخره^(١) وملبوس آخر ومدافع أخره، وبنادق أخره. وذكروا الأتراك أن هذا السلاح فرنجي، وهو الصحيح، وما أظن ذلك كله إلا كمثلته، ولكن ما فهموه العرب، لأن الفرنج قد دخلوا في السلاطين، وشاركوهم في الأمر، ولكن مع البعد ما تعقّلت إلا بأشياء ظهرت، وإلا فهم متملّكين في المسلمين من سنة ١٢٧٢ لأن السلطان عبد المجيد صالحهم في تلك الأيام على ثلاثة شروط، منها: أن يعمر كنيسة^(٢) في القسطنطينية، وعدم بيع الرقيق، ومنع الأذان في جميع البلاد، وخلّوه يكتب إلى عماله بذلك، وقتلوا مؤدّن مكة، وثارت الفتنة في مكة، وقتلوا عسكر السلطان/والفرنج بينهم حتى رموا الكعبة بالمدافع، وأصابوا الحجر الأسود، وذلك بغيتهم والمرام إذهاب الإسلام، وإخرا ببيت الله الحرام. والثانية في سنة ١٢٧٥ خرج النصاري إلى جدة ورموها بالمدافع، وكان فيها الباشا محمود، منع أهل جدة أن ينالوهم بشيء، بل إنه أخذ من أهل جدة نحو أربعة عشر رجلاً، وقتلهم وسلم رؤوسهم إلى النصاري، وضبط ناس آخرين، قتل أربعة عشر، وقيل ستة وعشرين، وسلمهم بخيرين^(٣) إلى النصاري، وآخر عهد بهم ما أحد لحق لهم بأثر فما ذلك إلا تمويهاً علينا، وسمعنا منهم أن النصاري شرطوا أن الأتراك الكبار يلبسوا لبسهم غير العسكر النظام، ولا بأس أن كله جُوخ ولكن تفصلاً^(٤) آخر لأجل لا يظهر، وذلك مشاهد فإننا عرفناهم قبل هذه المدة في حفاش وملحان وتهامة وجدة ومكة والمدينة، ملبوس البوش ملبوس آخر وتفصلاً آخر.

كذلك القوانين هذه ما عرفناها فيما مضى، وذلك تمويهاً وما تعقّل^(٥) الأمر إلا عند آخر دولة مصطفى عاصم، فإنها جاءت لهم كتب بقتل السلطان عبد العزيز^(٦)، وحزّنوا وأولوا^(٧) عليه، وقلعوا الذهب من أكمام البوش، وأخبرونا بأنهم قرّئوا^(٨) لنا فرمان بهذا المعنى، إن قد توالوا على الصدر الأعظم، وكان يقال لهم أولاً البوش الثلاثة، أحمد مختار، وأحمد أيوب، ومصطفى عاصم في اللسن التركي، وفي فرمانات المشير فلان، ولما بدأ إسماعيل باشا سُمّوه والي ولاية، والمجلس الكبير مجلس إدارة الولاية، وبعد مجلس ولاية وتنفيذ المراقيم والعروض الحالات والأوراق

(١) أخرى.

(٢) كنيسة.

(٣) متعافين.

(٤) تفصيلاً. خياطة.

(٥) عقل الأمر وعاه وأدركه.

(٦) اختلف في قتله قيل أنه انتحر وقيل مات موتة طبيعية بعد خلعه.

(٧) لبسوا ملابس الحزن (الجُداد).

(٨) قرؤا.

بالولاية وبَدَل الكتاب العزيز والسنة الغراء، كتاب (المجلة)^(١) بالقانون القاتل يحبس لا غير، السارق مثله لكنه أقل الزاني والسَّاكر في حاله لا عليه شيء، المفلس يطلق لحاله إلا أن يكفيه غريمه، حبس الذي له المال، لهذه أحكام القانون بعينها، فما بقي من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، أين (ومن لم يحكم بما أنزل الله) ثلاثاً، وأين دين العلماء حقناً، حسبنا الله ونعم الوكيل، وأين مذهب أهل البيت الذين ما كان يتحكّم للقضاء ويتصدّر له إلا كل مجتهد من هذه الذي يليه، فأنا سمعت من سيدي الفخري^(٢) من العرب لكنه باقي عند الحكام الخارجين من اسطنبول في حضرة خلق كثير، أنه أخبره القاضي الذي وصل هنا وتصدّر للأحكام، أن فلاناً في إسطنبول كان خُمّاراً مداخل لأصحاب الدولة، واستدان له بعض المقرّبين في المجلس حق الحاكم شيخ الإسلام في إسطنبول والذي استدانه من الخُمّار قيمة خمرة، فلما صارت نحو ثلاث أربع مئة ريال تقاضاه الخُمّار فأجاب عليه ما عندي فلوس لكن أجّر^(٣) لك من المجلس أمر تحصل فيه ثلاثة أرباع آلاف ريال، قال: لا بأس، ما يعلم ما هو^(٤) الأمر، فلما كان في بعض أيام جاء إليه بأمر له أن ينفذ حاكماً للشرعية في محل كذا، وسماء لنا، فقال: إني لا أعرف هذا الشغل، قال: وما عليك من بأس إفعل ما تقدر عليه بين الغريمين على أحدهم البيّنة، وعلى الآخر اليمين، فعزم، فلما وصل إلى ذلك المحل بأهبة^(٥) قاضي تلقاه أهلها، فلما صاروا بين يديه، كان كلما أحد جاء إليه يقول له عندك بيّنة، قال: خوضي آخر جيت لكذا وكذا/ قال: عندك شهود، قال: ما جئت لك لهذا، قال حيث لا يمين ولا شهود صرّ في الحبس، فصار في الحبس نحو مئتين لا لدعوى، ولا غيره فصار أهل تلك البلدة إلى شيخ بلدهم يشكوا عليه بذلك، فعزم وقته لهذه الحادثة العجيبة، فوصل إليه، وقال له: أن أهل هذه البلدة صاروا في الحبس من لديك، وما لهم ذنب إليك، قال عندك شهور، قال ما جئتك مشاجراً جئت أخبرك ما جرى، قال إحلف قال جئت أخارج أصحابي، قال احتبس، و صار معهم، فلما رأوا هذه المصيبة كتبوا إلى شيخ الإسلام إلى إسطنبول بذلك الواقعة التي أصابتهم، فعرف الذي أخذ الرأي منه وهو الذي استدان من الخُمّار، فكتب إليهم أنهم يسلموا له نحو ألف أو

(١) هي المجلة العدلية قننت فيها أحكام الشريعة بما يوافق العصر ولا عبرة بقول المؤلف فهو لم يسمع بها إلا سماعاً.

(٢) كلمة مطموسة.

(٣) إسحب لك. والجرّ (معروف).

(٤) ما حقيقة الأمر.

(٥) خ باهت.

ألفين غرامة ما قد غرم في وصوله إليهم، وما قد صَرَفَ على نفسه، ومن معه لديهم، وهو سيرفعه، فسَلِّمُوا ذلك ورفعه من هنالك، فهذه أخبارهم.

[وقد سبق في أول الكتاب بخط الناقل، من خط المصنف مثل هذه لكنها قصة أخرى حق السائح إلى بلاد النصارى، ولقاء القاضي النصراني، وكلام المصنف حجة لأنه عالم]^(١).

ومرادهم خلس الرعايا والسُّلب لما في أيدي العرب، ومن ذَهَبَ ذهب.

وأما أخبار الوقائع التي قد وقعت في اليمن^(٢) والحروب، فلا تعدُّ ولا ثم فُسْحَة لرقمها عن كل وقعة، لأنها قد تكاثرت، فإن هي أرحب فخمس ست وقعات، وإن هي خولان فمثلها^(٣) وإن الحدا فكذلك من ابتداء التشكيل، وإن هي آنس وضوران فمراراً وكل بلدة يستنصروا^(٤) فيها الترك إلا بلاد حاشد، فما قد أحد فعل كفعلهم، حتى أنهم مَنَعُوا على نفوسهم، وأول الأمر قبل ما يختبروا بقتالهم، كان يسلموا عشور وعامل عليهم في خمر يحده^(٥) إلى عند عاصم فما أحد وصل إلى أقصاها إلا هو في تلك المدة المذكورة حق البطنة مرة على المتوكل، ومرة على الهادي شرف الدين، وتغلق باب القبلة^(٦) ورفع العامل، ومنعوا على تسليم العشور، وطلبوا الزيادة من الدولة، حتى أنهم جعلوا لهم مَعَاشَات في كل شهر، ومتى قطعوها الدولة دُوروا لهم أدنى شغلة^(٧) وهُولُوا بحركة أو مَخْرَج إمام، ويستلموا ما لهم من منكر، ومثله وأماً ما قد غنموا من الأتراك، فقد أكثر بلاد حاشد متسلحين تاشخان، ولم عاد فيهم يتسلح البنادق الأصلية إلا القليل وقد هو عندهم كالنقص بينهم، وإذا خرجوا في دورة^(٨) أو ملقى أو عيد أو سوق، فلا ترى فيهم إلا كلهم بما ذكر، وذلك بمرثى وقد به في أرحب ولكن ما هم مثلهم أمّا حاشد قلله درهم. /

واليوم أخبرنا بعض الذي يشارعوا أنه احتاج بولة^(٩) لورقة قالوا ما تقبل الورقة

(١) من هامش المخطوطة.

(٢) خ فليمن.

(٣) خ فمثلها.

(٤) أي تارة يتنصروا وتارة ينهزموا.

(٥) سبق شرحها.

(٦) الجهة الشمالية.

(٧) مشاغلة.

(٨) جولة.

(٩) هي ما تعرف الآن بالدمغة طابع صغير يعين بقدر من المال.

إلا بها وإذا هيه^(١) بثلاثين قرش حجر، وقد طرح مثلها في شريعة^(٢) ولم قد وقف على شيء. وتوكل للشذاري^(٣) وصرفوا من المحكمة عند قاضي الجهة الهجوة^(٤) واسترقم^(٥) وغرم غرامةً كبيراً، ودخل غرم في المحكمة لحتى صَحَّ الحكم، ورقموا فيه بالصحة، وخرج غريمه عند قاضي الاستنطاق، ونقض ذلك كله، وأخذ دراهم من الغريم كبيرة، ورجع إلى المحكمة يراجع، فلهم زد قبل منه شيء بعد أن جرَّ كل واحد شويته^(٦) ورشوته، وآخره أقنعوا أن ما حدَّ يقدر يعترض الاستنطاق^(٧) وليس هو بشريعة، ولكن يراجعوا^(٨) الغراما^(٩) إلى كل مجلس ومحكمة لأجل^(١٠) اتصال^(١١) الدراهم عند كل واحد.

وفي شهر رجب سنة ١٣٠٦ وصل باشه كبير من داخل سُموه بصادق بيه، وبقي في العرضي قيل أنه وصل بقوانين منها تسليم دراهم على كل بيت في الشهر، وعلى كل حانوت، وعسكر نظام وهلك بوعدة في العُرُضي فسبحان من له في كل ساعة شان.

وفي الشهرين الماضية قَلَبُوا^(١٢) الوزنات^(١٣) حقَّ مدينة صنعاء، كان كل رطل فيها فعلوه الأئمة السابقين سبعة عشر أوقية، وجعلوا تلك الوقية^(١٤) الزائدة في الرطل وزن لأجل البركة، والأواق على حكمها، وجرت على ذلك مئات السنين، وهو لاء فعلوا الرطل عشرين، وارتبش^(١٥) كل شيء في المدينة وصارين^(١٦) عينات منهن عشرين أوقية، ومنهن تسعة عشر أوقية، ومنهن ثمانية عشر أوقية، ومنهن ثمانية عشر أوقية وربشة، وقد زيدوا في الأسعار الربع لأجل زيادات الرطل، وفي الحقيقة ما زاد

(١) هي.

(٢) محاكمة.

(٣) أي من آل الهجوة لاتزال أسرهم باقية إلى الآن. وهم من آل الكبسي.

(٤) استكتب.

(٥) القطعة المشواة من اللحم. و الشيء الخاص به من المغنم.

(٦) كانه ما يعرف الآن بمحاكمة الاستئناف..

(٧) أي يحولونهم من مجلس إلى مجلس.

(٨) الغراما.

(٩) خ الا أجل.

(١٠) اتصل.

(١١) عكسوا.

(١٢) الأوزان.

(١٣) الأوقية.

(١٤) اختلط.

(١٥) صرن.

على الأصلي، إلا أوقية وهذا من الرّيش، وقلة البَصَر، وقلة البركة، وكثر الذُّنوب لا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي رجب سنة ١٣٠٦ تشارع سيدي علي بن محمد زبارة، والحاج حسين الغرباني على كَرَى^(١) الحانوت، قال أنه ما يبسلم كل شهر بل يتاعِبَه^(٢)، وغرم الذي استرقم خَمْسَة قروش حجر، والآخر أقل كون^(٣) بيده شيء.

رجعنا إلى ذكر الباشا أحمد رشدي الذي عزز بأهل اليمن وأفقرهم وحبسهم وكَرَبَجَهم^(٤)، وخَرَّب بيوتهم، وأرسل الباشا الذي في صنعاء حين وقعت غَزْوَة راجح بن سعد صالح الميموني صاحب عيال سريح، وأرسلوا له فبادر إلى أمر الباشا سامعاً مطيعاً وفي ذهنه أن الكل يمن وكله دشمان^(٥) ومنه أشعب بالخيال، وكَسَب الذهب فلما وصل إلى عمران، وقع الحَرْب بينه وبين حاشد، وخادعهم بالأموال، وأرغم كل واحد على انفراده، وأخذ رهائن كَذَّابة من عيال سريح والجبل، وعزم على الرّجوع صنعاء، وبقي في نفسه السّيد محمد بن المتوكل محسن، يريد يخادعه بالفلوس، وإذا لاحت له الفرصة يَقبُض عليه فهو المراد، فخادعوه ناس من حاشد حتّى إلى عمران أدخلوه إلى بيت الصعر، وجاء أحمد رشدي إلى عنده وجلّله وعظّمه وكرّمه، ورأى رجل مشكل، عجيب حاله مرضي، فعّاله مقبولة في كل المجامع، وهو شاب بقي عند من يعرف حقّه ويوم ثاني أرسل أحمد رشدي للسّيد العزي يخرج للعرض حق عمران، فخرج وبسط له شبّاك الخداع وسَلَّم له دراهم/ثلاث مئة قرش حجر، وقيل أكثر، وقد رأى الشّر في وجوه الترك يظهر، وسمع نفثات أفلقتة وكتّمها، ورجع عمران وفي الليل أنسل راجعاً إلى حاشد، وقد كان كتب أحمد رشدي إلى صنعاء بتقرير معاش لسيدي محمد المتوكل، فإن يعود إليهم أو يرسلوا بمعاشه فهم على المحبة والوداد، وهو والقبائل يشتوا^(٦) الفلوس والزاد وإلاً فزيادة في الفساد وأن يبدي غير ذلك، فلعل الخبر ما هنالك الذي لمحنا أولاً إليه من أن قد كان القبض عليه. وفي نصف رجب جاءت الأخبار من الجهة العدنية أن أهل كومان من الحَدَا غزوا قرية الجُبُجُب من مكْتَب عنس ذمار، وأخذوا

(١) إيجار.

(٢) يتعبه.

(٣) حيث بيده إلخ.

(٤) ضربهم بالكرباج. قلت يكثر في العامية تصريف الاسم إلى فعل وهذا عام في سائر عامية البلاد العربية.

(٥) أغبياء أو أعداء واللفظة من الفارسية.

(٦) يطلبوا.

جميع ما فيها من كل شيء، ورجعوا، فلما رأهم أصحابهم من الحداء أهل بني فلاح نعت شيطانهم، وصاح، ونهضوا فوراً من الصُّباح، وتوجَّهوا على قرية أخرى من مكْتَب ضُوران وجَهْران إسمها عَشْرُوس، فكتب المشير عثمان باشا لأحمد رشدي إلى عمران ما قد وقع في الجهة العدنية، فبادر بالوصول، ولا سيَّما كون قد سلمت منه لحاشد المحصول يعني لأشرارهم، فنهض من حينه ووصل صنعاء يوم الأحد بحينه^(١) لأنه مسافر قريب المدينة، وبات تلك الليلة عند الباشا الكبير حقهم، وسأله كبيرهم هذا عن تلك المحلات وحاشد، فقرَّر لأحمد رشدي النجاة والفراسة والسياسة بالنظر إلى من سبق، وكتب له الجمالة، وما وقع أخبار ذلك إلى بجميع حاصل البلاد في تسكين أهل الفساد.

ويوم ثاني سادس عشر رجب وصلت الأخبار المفزعة للأتراك أن العرب قد قتلوا جماعة كبيرة وسلبوهم من الترك، وذهب سلاحهم وعفشهم^(٢) ودبشهم^(٣) يعني أصحاب رشدي بالأتراك وكل زبطي. وكبيرهم عثمان وسلم أحمد رشدي وصح المغزا والفعل فيهم، في خلال ذلك خلاً من يرصد دكاكين صنعاء وما هو إلا قبل الوقعة بيومين، فهذا بذلك لأنها أزال، ويريد يفعل على أهل كل بيت كرى غير الكرى الأول ويصير إليه، فسبحان من ملكوت الأمور بيديه، وتعالى من لا شيء يخفى عليه.

ووصلوا الأتراك برأس^(٣) إلى صنعاء، ولعلها قد أدبرت عليهم قطعاً لأننا نسمع ونرى في أيام خلافة بيت القسام، كل ما وصلت الرؤوس من الأرض إذا كان الواصل رأس واحد الدُّبور بعينه، وبعد تفاقم الأمور صلحت بمصالحة رغبين وعك^(٤)، وهذا من ركة الأمور وإلا فما كان الناس مظنِّين إلا أنه سيصل أقصى القبله بعد تمام شاد، ولكن ضعف الطالب والمطلوب.

وفي سلخ رجب رجع الباشا أحمد رشدي بخفي حنين والتُّرك باقين خوفاً غدرات العرب، وما وصل إلا بقليل عسكر، وأربعة مشايخ، وأربع عقاير من عيال سريح، ولو تمَّ قوة وقدرة أن قد فعلوا بما يذهب بلادهم بعد رجالهم على قانون الترك، ولكن لله حكمه، ولو تمَّت للترك الكلمة، رجعوا على المدينة وأهلها،

(١) أي من الصُّباح الباكر.

(٢) متاعهم من العامية السائدة في سائر بلاد العربية.

(٣) أي برأس إنسان.

(٤) في الأصل وأدعك.

فدفع الله عليها وعلى أهلها بفعل تلك القبائل الذين ذكرنا، وما تركب على ذلك المخرج إلا خراب البلاد وكثر الفساد، ولكنه يحصل من لطف الله ما لا يخطر في البال ولو انكشف الغطاء ما اخترت إلا الواقع^(١) فالمتولي لدينا عثمان أجور من قد مضى، وعدم البصر فيه لأن قد جاء عاصم في سنة ١٢٩٤ أعسر منه ولكن/ظلم مرتب وكان يفعل الأمور على ما يطاق الوقت، ولم وصل إلى ما وصل به غيره. كذلك أحمد فيضي الذي خرج باشا في سنة ١٣٠٣ جواراً وضع الجور في مواضعه الذي كان يصير به مشكوراً عند أكثر العرب، ودوخ البلاد جميع، ولو بقي أنه كان أحسن للرعايا لأنه تخلص المشايخ الكبار، وأخذ منهم المراد، ولم شعر بالضرر لأحد والسيف وصلت والرفق حاصل، والمخارج والحروب كائنة، وكان يقع النصر معه، بعكس هذا فشاهر سيفه وكل إنسان في خيفة^(٢) والبلاد في فساد، والرعايا في عناد والنهب والقتل في كل محل، الشق^(٣) القبلي ما صلحوا إلا بدراهم كبيرة من الترك، والعدني^(٤) يتقطعوا في الطرق، فإنه وقع في رجب هذا في قاع سهمان أربعة مقاتيل، وفي باب دمار كذلك، ووصلوا أهل المجد^(٥) إلى خارج دمار، وخرجت أهل دمار الليل ولم يقفوا على طائل، وفي ذراع الكلب مقتول ومناهب^(٦)، وفي جهران الليل نهب على جهة الشرق، وهو في صنعاء يتقطع سمومات^(٧) ويفقس حكم^(٨) باردة الذي تذهب، لأن الخلق لا زالوا في دعاء ليلاً ونهاراً لما بلغهم من حركاته ونفثاته فلماذا لم انتظم له شيء، وقد قيل أنه مطلوب^(٩) فإن صبح فما هي إلا (سهام)^(١٠) الليل لا تخطي، ولكن لها أمد وللأمد انقضاء^(١١).

وفي آخر رجب أوجد الباشا عثمان على كل عاقل في أي سوق يرصد

(١) من كلام الإمام علي بن أبي طالب.

(٢) خوف.

(٣) الناحية.

(٤) أي الشق العدني. الجهة الجنوبية.

(٥) تقرى هكذا وقد تقرى الحد.

(٦) منهوبين.

(٧) أحقاد.

(٨) أي أفكار جائرة.

(٩) أي مطلوب وصوله إلى تركيا.

(١٠) الدعاء عليه.

(١١) من شعر للشافعي.

حناويت^(١) سوقه وقَبَاض^(٢) الأكريات^(٣) السيد محمد مفضل، يرصد في حاله^(٤) ويبحث عن كل حانوت كم كراها وأين يبصير وبقي يُبَيِّن الحر^(٥) من الوقف^(٦) وأوهموا برصد البيوت، فكثرت الأخبار وقُلَّ الإصطبار، وشاع القيل والقال، فناس ذكر أن مراده يفعل^(٧) على كل دكان نصف قرش، وبعضهم قال لأجل معرفة^(٨) النفوس، وكل أحد بثَّ من الأخبار ما وجدته، وقد أحدثوا قلعة شرقي القصر داخله فيه، ولولا تفاشل حاشد وعيال سريح في المخرج ما كان في ذلك بأس ولا حَرَج. وبعد وقفوا خوض^(٩) الحناويت^(١٠) واختلفت الأخبار، فالذي شاع أن الباشا رأى في منامه النار والله أعلم، وبعد أيام يسيرة ترجح للباشا رصد حناويت صنعاء جميع، حتى الأسواق الذي لم يكن فيها فائدة، حتى الذي يُمَسُّوا فيها البدو، وطبعوهن بقطران^(١١) مثل الحناويت المحلولات، وأثبتوا كل سوق كم عدد حناويته، وكان ذلك على عنوة بعض الأتراك، وأما أول الرصد فخلوا البُلص الذين سَمَّوهم بلص، وهم من صنعاء، وعاقلهم السيد علي بن أحسن صلاح فايح، والذي رأيت يرصد السيد علي الشامي من الضبعات^(١٢) أو من جحانه، وابن الشهاري، ولعلهم كانوا ناكزين^(١٣) خَلَّو العرب، فلما رأوها برداً وسلاماً خَلَّو ترك، وكان أحدهم يرصد والآخر يكتب في البيانات بأيديهم: حانوت فلان حانوت بن فلان، والآخر يكتب على كل حانوت عددها الذي وصل العدَّ عندها، وكل سوق يبدع^(١٤) يكتب أول حانوت ضربة^(١٥) واحد بالهندي^(١٦) إلى ينتهي إلى آخر واحدة، وكل حانوت تقابل في العدد ما

(١) أي حوانيت جمع حانوت معروف.

(٢) مستلم.

(٣) جمع كرى الإيجار.

(٤) من جهته لوحده.

(٥) الذي يملكه أشخاص.

(٦) هي التابعة للأوقاف أو المسبلة لأموال خيرية.

(٧) يضع.

(٨) هو ما يعرف الآن بالتعداد السكاني.

(٩) أي دخلوا في مسألة الحوانيت.

(١٠) هي الحوانيت يقدمون النون على الواو وهذا شائع إلى الآن.

(١١) مادة سوداء (معروفة).

(١٢) قرية قريبة من صنعاء.

(١٣) مستوفزين.

(١٤) يبتدي.

(١٥) كتبة.

(١٦) أي الحساب الأرقام المعروفة.

قبالها^(١) مثاله أن الشارع في السوق سكتين^(٢) عدني وقبلي، فأول واحدة عدني قبالها (١) قبلي (٢) قبالها عدني (٣) وعلى هذا إلى خمسين ستين مئة كما صَحَّ، والذي يكتب في الحناويت بدل القلم مسواك، وبدل المداد قطران، وقَطَرُوا كل حانوت، والله أعلم ما ينتهي إليه الخوض هذا، وما أظن إلا أن ذلك لحكمة عندهم، ولهم فيها أرب^(٣) وإلا فسمعت من ناس عقلاء بيتحرشوا الناس لأجل أو يحصل من العرب فتنة أو منع أو أدنى شيء يدخلوا بها علينا لأن هذا الباشا عثمان ما قد جاء أغلظ منه إلا عاصم، ولكن عاصم السابق معقل^(٤) ما يضع كل شيء إلا في مواضعه، وهذا يفعل بِقِلَّة^(٥) قَبْلَه^(٦) وقلة بصر، وهذا الرُّصد في نصف شعبان سنة ١٣٠٦ وقد أمر أهل قبيلة سنحان يبرحوا^(٧) الطرق العدنية، وأشعروا أنه سيسير يتحمم في حمام علي في آنس، ومضوا ناس من تلك القرى السنحانية وهم/يبرحوا الحجار والتراب في الطرق.

وفي شهر رمضان سنة ١٣٠٦ أطلقوا القاضي يحيى المجاهد^(٨) صاحب تعز من حبس الحديد، بعد أن أخذوا عليه بمقدار ستة لكوك من كل شيء، ووصل صنعاء إلى الكاوش^(٩) ولعله كَفِلَ وخرج، ومراد الدولة في دخوله اسطنبول، ولعلمهم أشاروا عليه ناس أنه يختار ذلك ويطلب الدخول، ودَقَّ^(١٠) في السلك لنفسه أنه يريد الدخول.

وبعد رمضان سابع شوال، وصل السيد محمد المتوكل، وصنوه عبد الله بن المتوكل سيدي محسن إلى صنعاء إلى حضرة المشير عثمان باشا، ووصلوا بأهبة كبيرة، ولقيوهم جميع أصحاب الدولة، وجميع أهل صنعاء، ووقعت خَرْبُه^(١١) وأهبة لوصولهم، والتدبير لذلك من حين خَرَجَ المقدمي الباشا أحمد رشدي إلى عمران،

(١) أمامها.

(٢) جهتين من الدكاكين متقابلة.

(٣) خ ما أرب.

(٤) عاقل.

(٥) أي بغير قبول أو استحسان.

(٦) قبول. أي بقل قبول من الناس واستحباب له.

(٧) برح الطريق أبعد ما فيها من أحجار وتراب ووسعها.

(٨) هو يحيى بن أحمد بن علي المجاهد مفتي تعز وفاته سنة ١٣٠٩ (انظر لامية نبلاء اليمن ص ١٧).

(٩) محل العسكر.

(١٠) ضرب على السلك (البرق).

(١١) تجمع أو استعراض.

وصل إليه السيد المذكور، وعقدوا ذلك الرأي، ووصلوا صنعاء يوم الخميس سابع شوال، وقرّغوا لهم بيت في بئر العزب، وأهبوا لهم ما يحتاجوه من طعام وشراب وملبوس ومفروش، كل شيء زائد على المحتاج.

يوم السبت تاسع شوال أمر الوالي عثمان باشا بالعرضة^(١) لجميع الأجناد الرومية، وجميع آلة الدولة يحضروا المدافع جميع، والقواري^(٢) والبنادق، والعسكر العربية المسماة بالزبطية، ووقع ذلك في العرضي الغربي، ووصل الباشا والسيدان المذكورين المفعول لأجلهما ذلك، وخرجوا جميع أهل صنعاء لرؤية ما هنالك من ظُهر^(٣) إلى عقيب العصر، وحضرت جميع الخيل بركابها، عرب وعجم، فلما ازدحموا الخلق ما وسع الباشا إلا دخل من باب اليمن، ونزل بئر العزب والسيدان خرجا من باب العرضي. العرضي الغربي ودقاً^(٤) على خيلهما، وفتتا بهما إلى بئر العزب من زحمة الناس، وقد لبسا ملبوس آخر غير ما وصلوا به، والكسوة من الدولة جيخان حمر على قانون الترك، وتقرّر لهما مصروف كل شهر مئتين ريال حجر والجزايب لهما إلى صنعاء أبوفارع صاحب حاشد، والسيد أحمد بن محمد الكبسي، وسعد^(٥) الشرقي، وما فعلا ذلك إلا محبة للترك، وأوهموا أن القبلة في يد السيد المذكور، وأنها ستسكن الضوارب، ومكافأة للهادي السيد شرف الدين الذي في بلاد صعدة، وما أظن إلا أنها ذنوب على العرب، وإلا فالتوكل رحمه الله أبو السيدين الواصلين صنعاء وأبوهم خير منهما قاتل الأتراك مقاتل كبيرة وغرم^(٦) الأتراك بسببه نحو مئتين لك من المال كما ذكرناه سابقاً، وأوصى أولاده بعدم وصولهما تحت وطأة الترك خشية عليهما لما فعل معهم^(٧) فخالفاً، وفعلا ما ذكر لي رضي الله أمراً كان مفعولاً.

وأما شرف الدين الهادي في صعدة فدانت له البلاد، وواجهت جميعها، ولم

(١) الاستعراض.

(٢) جمع قاري: وهو العربية تجرها البغال ونحوها.

(٣) من وقت صلاة الظهر.

(٤) ضرباً.

(٥) هو سعد بن محمد بن عبد الله الشرقي ولد سنة ١٣٠٥ وصحب جماعة من العلماء والأئمة وبعد دخول

الأتراك إلى اليمن هاجر إلى حاشد سنة ١٣٠٧ واستقر سنة ١٣٢٦ بقفلة عذر مع الإمام يحيى وألف سيرة

كبيرة لهذه الإمام بعنوان قلائد النحور توفي سنة ١٣٣٥ (انظر كتابي مصادر الفكر الإسلامي ص ٤٦٢).

(٦) غ: غرماً.

(٧) خ معاهم.

بقي معه ضدّ فيها، وأرسل لزوجته التي كان مانع عليها صنوها^(١) سيدي محمد ابن المتوكل الواصل صنعاء، وعزم معها أخوها الرابع السيد علي، وهو الآن هنالك في حصن السِنارة عند الهادي مجلّل مكرم في مقام أمين في الدنيا والآخرة والأعمال بالنيات. وبعد شهرين رجع عند أهله بلاد حاشد، وأما أخيها الكبير الفريد^(٢) أحمد بن المتوكل فإنه تهيأ في هذه السّنة سنة ١٣٠٦ لدخول البيت الحرام للحج والسّفر على طريق صَعْدَة من عند صِهْره السّيد شرف الدين القائم بأعباء الخلافة في الآن، وأما الذين وصلوا صنعاء فإنهم طبعوا^(٣) صورهم في اليوم الثالث من وصولهم يوم السّبت لعشر مضيّن من شوال، وما فعلوا الأتراك تلك الزّينة إلا لأجل تصوّيرهم، وإلا فما هم فرحين بنا، وأرسلوا بتلك الصور إلى اسطنبول، وهي صور جميع من حضر، يريدوا علو مرتبة لنفوسهم، ويفتخروا على سائر البوش الماضين، كونهم غرموا في إصلاح بلاد القبلة لكوّاً لا تحصر، ولم انضبط لهم منها شيء وأين هذا من ذاك، فإن والدهم المتوكل لو أراد وزّنه ذهباً من الأتراك ويصل إليهم ويسكن^(٤) من حربهم لبذلوا، ولكنه رحمه الله اختار الآخرة، وعاش سعيداً حميداً، ومات شهيداً، وأما أولاده الواصلين، فإنهم بذلوا نفوسهم للوصول لأجل المحصول ولكنها ألجأتهم^(٥) الحاجة، وهو بسبب مخالفتهم للإمام القائم، وإلا فلو بذلوا نفوسهم لله ولرسوله، وتابَعوا القائم لكان حظّهم أوفر، وحاصلهم من الدُّنيا أكثر سيّما مع محبّة جميع الناس، والقبائل لهم، ولكن العناد أغواهم والهوى.

حب الرياسة أطفى الناس فافترقوا حرصاً عليها وهم منها على حذر

﴿وفي شهر شوال وصلت الأخبار أن ابن رشيد^(٦) من بلاد الشُّروق^(٧) محترّك للخروج إلى الحجاز، وأنه في قوة عظيمة بخيل كثير ومدافع، وقد هو في طرف بلاد يام وعسير، وبعد ثمان وصلوا ناس من بلاد صعدة من عند الهادي سيدي

(١) أخوها.

(٢) سبق شرحه وهو الأعور.

(٣) رسومهم وهذا أول عهد لليمن بآلة التصوير. قلت: رأيت هذه الصورة بالمتحف العسكري بصنعاء.

(٤) يهدأ.

(٥) خ اللجائهم.

(٦) هو محمد بن عبد الله بن علي بن رشيد أكبر أمراء آل رشيد حكم حائل وتوطدت لهم الإمارة وامتد حكمه إلى أطراف العراق ومشارف الشام ونواحي المدينة وما يلي اليمن وغلب على نجد وأدخل بلاد آل سعود في حكمه توفي سنة ١٣١٥ (الاعلام ج ٧ ص ١٢٢).

(٧) النجد أهل نجد.

شرف الدين، وأخبروا بوصول نَفَرين مكاتبة من عند ابن رشيد إلى عند الهادي على مطيتين راكبين، وشاهدوهم ووصولهم بكتب إلى الهادي، ؛ أنهم باذلين له النصرة والطاعة على ما يريد، وإذا مراده في خَيْل بركابها يجاهدوا معه أرسلهم، وكتب لهم الجوابات، ورجعوا إلى أميرهم.

وفي تلك الأيام عَزَمَ سَيِّدي عبد الله بن المتوكل محسن الذي وصل صنعاء وصنوه محمد إلى حضرة الباشا عثمان، ورجع خَيْر سيدي عبد الله بيتطلع لتلك الأخبار، ويعرّف بها عثمان باشا، وبقي صنوه سيدي محمد.

وفي سلخ شوال سنة ١٣٠٦ وصل عزل الباشا عثمان^(١) وأنَّ ثَمَّ باشا آخر وُصِّل، وقد أرسل عثمان باشا مقدِّمة أحمد رشدي باشا إلى الجهة العدنية، يفعل كما فعل أولاً، والله غالب على أمره، ووصل للمشير العزل له من السلطان عبد المجيد بن عبد الحميد^(٢) ظهر له^(٣) أن قد في قلبهم عليه لما صنع، وفسح للسيد محمد بن المتوكل من صنعاء لأمر في نفسه، إمَّا عداوة للسلطان حين عزله، أو وفاء منه للسيد كونه أدخله بعهود وميثاق^(٤) ولأجل لا يصير به غَدراً بمن بعده، ولكنه تَجَمَّل فيه مدة بقاءه نحو شهراً أو دون كل يوم بالكفايات الفاضلة والمذبوح كل يوم، والخريف^(٥) والسمن، وكل شيء كان يصير إليه من الشيخ علي البليبي الجمرؤك من الميري حق السُّمسرة، وأما الفلوس فمن الصُّندوق، ولعلها تقوم في ألفين^(٦) ريال حجر له ولأصحابه حاشد، الذين دخلوا معه، وكان عَزَمَه إلى عند أهله إلى بلاد حاشد يوم الإثنين ثالث شهر ذي القعدة، وأما المشير فقد أخرج جميع أدواته^(٧) وأثاثه، وما قد جمعه من عَفْش ثقيل إلى السُّوق للبيع، والله في كل ساعة شان.

وكان عزل هذا الوالي عثمان^(٨) نوري في آخر شهر سنة ١٣٠٦، ولم قد ثَمَّ

(١) وصل إلى اليمن سنة ١٣٠٥ فاستحدث الرشوة واستؤنفت المظالم وكان عزله سنة ١٣٠٧ (المخلاف السليماني ص ٥٣٣).

(٢) كذا وصوابه عبد الحميد بن عبد المجيد تولى الحكم سنة ١٢٩٣ وخلع سنة ١٣٢٧ هـ.

(٣) بان له.

(٤) موائيق.

(٥) فاكهة العنب وغيرها.

(٦) خ الفيين.

(٧) أدواته حاجلته.

(٨) لعله اختلط عليه بعثمان نوري الآتي بعد عثمان باشا المذكور (انظر المخلاف السليماني ص ٥٣٣).

باشا غيره كما يفعلوه سابقاً إن متى^(١) وصل الثاني خرج الأول.

ووصلت مَرَكِبِينَ في ذلك التَّارِيخِ نَصْرَانِيَّةً إِلَى بَنْدَرِ الْحَدِيدَةِ، وَأَظْهَرُوا الْخِلَافَ عَلَى الدَّوْلَةِ، وَرَكَّبُوا مَرَّاهَ^(٢) فِي الْمَرْكَبِ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ فِي ظُلْمَةٍ عَظِيمَةٍ، حَتَّى بَقِيَ الْبَنْدَرُ مِثْلَ الشَّمْسِ نِصْفَ النَّهَارِ، فَمَا وَسَّعَ أَهْلُ الْحَدِيدَةِ إِلَّا رَدُّوا الْبِيرِقَ حَقَّ النَّصْرَانِيِّ الَّذِي بَعْدَهُ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ لِأَجْلِ مَغَايِرَةٍ بَدَأَتْ مِنْ أَحَدِ الْمُتَجَوِّرِينَ لِلنَّصَارَى، نَسَأَلَ اللَّهَ الْحِمَايَةَ.

وَاضْطَرَبَتْ أَخْبَارُ الْحُجَّاجِ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ، فَمِنْهُمْ مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ مِثْلَ الْفَقِيهِ الْعَلَامَةِ عَبْدِ الرَّزَاقِ^(٣) الرَّقِيحِيِّ مِنْ صَنْعَاءَ، وَمَنْ مَعَهُ، وَمَا يَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ بِهِمْ، وَمِنْهُمْ نَاسٌ آخَرِينَ مِنَ الْحَيْمَةِ وَحِرَازَ وَبَنِي مَطَرٍ، وَرَكَّبُوا وَسَارُوا بِهِمْ إِلَى جَبَلِ الطُّورِ وَأَجَاعَوْهُمْ وَأَعْطَشَوْهُمْ، وَبَقَوْهُمْ أَيَّامَ حَتَّى ضَاقَ بِهِمُ الْخُنَاقُ، وَتَمَنَّوْا الْفِرَارَ، وَأَرْجَعَوْهُمْ إِلَى الْحَدِيدَةِ، وَمَا خَرَجُوا إِلَّا كَالْمَوْلُودِينَ مِنْ شِدَّةِ الْمَصَادِرَةِ مِنْ دُونِ حِجٍّ وَمِنْهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ صَنْعَاءَ وَأَرْضِ الْيَمَنِ رَجَعُوا إِلَى مَحَلَّتِهِمْ بِغَيْرِ حِجٍّ مِنْ شِدَّةِ مَا رَأَوْا فِي الْمَذْكُورِينَ، بَعْدَ أَنْ أَقَامُوا فِي الْحَدِيدَةِ إِلَى سَلْخِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَالْبَاقِي مِنْهُمْ بَقِيَوا فِي الْحَدِيدَةِ اللَّهُ أَعْلَمُ مَا يَصِحُّ^(٤).

وَخَرَجَ الْبَاشَا الْآخِرُ عُثْمَانُ خَيْرِي^(٥) وَاشْتَكَوْا عَلَيْهِ جَمِيعَ الْحُجَّاجِ/ فِي الْبَنْدَرِ مَا نَالَهُمْ مِنَ الْمَشَاقِّ، وَمِنْ الْكَرْتَنَةِ^(٦) وَالْقَطِيعَةِ^(٧) فَأَجَابَ عَلَيْهِمْ أَنَا تَرَكْتُ^(٨) ثَمَانِيَةَ عَشْرِ يَوْمًا مَنِّي^(٩) فِي نَفْسِي، آمِنًا بِاللَّهِ، وَوَصَلَ صَنْعَاءَ فِي خَامِسِ شَهْرِ الْحِجَّةِ.

(١) خ متا.

(٢) لعلها الكهرباء المعروفة.

(٣) هو العلامة الخطيب عبد الرزاق بن محسن الرقيحي تولى خطابه جامع صنعاء مدة من الزمن ووضع مؤلفاً في التاريخ بعنوان تاريخ الزمان فيما استحدث بعد سنة ثمان توفي سنة ١٣٢٣ (انظر كتابي مصادر الفكر الإسلامي ص ٤٦٠).

(٤) ما يصح من الأخبار. ما يتحقق.

(٥) هنا اتضحت لنا الحقيقة في اسم هذا الولي وإن صاحب تاريخ المخلاف السليماني توهم حين سماه عثمان نوري وإنما هو إسم الأول وانظر لزيادة التأكيد (أئمة اليمن ص ٩٩).

(٦) هو ما يعرف الآن بالحجر الصحي يحجز فيه المسافرون للتأكد من سلامتهم من الأمراض المعدية.

(٧) التأخير.

(٨) كذا في المخطوطة ولعل صوابه أنا تكرنت.

(٩) بمعنى من الذي سيدافع عني.

[وفاة السيد العلامة القاسم بن الحسين المنصور]

وفي ذلك اليوم توفي سيدي العلامة البدر نخبة^(١) آل الإمام سيدي القاسم ابن الحسين بن المنصور حسين رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه فراديس تجري من تحتها الأنهار، فكان لموته موقع عظيم في قلوب المؤمنين.

وخطب الخطيب في جامع صنعاء تلك الجمعة والثانية بثلم الإسلام، واستودع البيت الحرام، وحفظه من النصارى اللئام، واستشهد بأبيات عبد المطلب، ومستهل الخطبة: الله المستعان في حفظ البيت الحرام، وعليه المعول والتكلان في بقاء المشاعر العظام، ووعظ في جمع كلمة^(٢) المسلمين، والتآلف والتعاضد، وتحشيد المسلمين في هذه الفاقة العظيمة.

ووقع في ذلك التاريخ مطر عظيم ما قد وقع مثله إلى آخر سنة ١٣٠٦ في أيام الخريف، ونزلت سيول ما يعتاد واحد من الأحياء أعظم منها، وفعلت^(٣) في بيوت السائلة^(٤) فعل عظيم، وهرب منها أهلها، وخربت بئر مسجد النهرين والبستان، ولولا من الله سبحانه بذلك أن كل أحد هلك لما قد تابعت الشدة مدة سبع سنين، وانتهى سعر الشعير في تلك السنين جميع إلى قدح وربع، والبر إلى ربع قدح وثمان، والذرة إلى نصف قدح. وأما في البلاد البعيدة فكان السعر أرخص قليل، ولكنه هرب الناس الميري^(٥) الواقع في صنعاء، أصله ربع عشر، وكان يقع في بعض الحالات، وبعض المجلوبات إلى عشر كامل، ولم يعتاد على الحب ميري في جميع أرض الشام، إنما عشر من المال لا غير، في اليمن عشر المال، والمخضر^(٦) يصح عشر ونصف، وبعد كان يزد^(٧) يفعلوا عطف على أهل الأراضي فيساوي الخمس، والفرق والغنم وأشياء ما تحصر، ما يحلها إلا الله حتى خلّسوا العباد وما بقي إلا فرج الله.

ووصل الباشا المذكور يأمر الناس، وجميع الأتراك بالصلاة، والمحافظة على

(١) خ نخبت.

(٢) خ كلمت.

(٣) أي فعلت من الخراب.

(٤) هو مجرى السيل الذي بين صنعاء وباب السج.

(٥) سبق وهي ضريبة الأراضي الزراعية.

(٦) الحضراوات كالبصل وغيره.

(٧) يزدوا أو يضيفوا.

الجماعات، حتى وقعوا كلهم مُصلّين وهم لا يعرفوها، ما أحد يدري ما عنده وما هو عليه.

وفي سلخ شهر الحجة وغرة محرم، وصلوا الحجاج أهل الحجاز من الطائيف، وقيل من الليث ردّوهم الأتراك بغير حج، لعل شورهم^(١) واجدّهم والنصارى إنّنا لله وإنّا إليه راجعون، وكله^(٢) ولا المتأجرين الفقراء الذي قد استغرقوا جميع الأجرة في قضاء ديون ولعيالهم، وما رجعوا^(٣) من ذلك الأجرة والخطاب باقي عليهم، في ذمة الأتراك، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وما صَحَّ^(٤) إلا أهل الساحل لم حَجُّوا، وأما أهل الحجاز فكُرتنهم بيومين ونَشَرُوا^(٥) يوم ثالث مستعدّين للشهادة خشية من فوت^(٦) الحج، فلما رأوا الأتراك فيهم الشرّ تركوهم، وبلغهم الله الحج، والزوّارين لم قد بادى^(٧) منهم أحد.

وفي نصف محرم قطع الوالي الكنس^(٨) إلى القواري^(٩) وأمر ببيع الحمير وابتاعين، وقال كل أحد يخرج كنسه إلى البر.

وفي سلخ محرم قتل النقيب محسن بن داحش الهجام في بيته غيلة من ابن عمه، بدعوى قتل عنده (وأقول شام والمراد عراق^(١٠)) الذي بيّره^(١١) من عند الباشا عثمان خيرى الذي وصل يأمر بالصلاة إلى عند قائد بن سنان عاقل الضمان في أرحب، وهو سرّح ابن عمه داحش الهجام لاختباره بما بين أرحب، ولشيء في علم الله لعله فتح خير للعرب، وإلا فهو كان هائل لم رضي يدخل مدخول جميع العرب الذين دخلوا عند الأتراك، وقد بذلوا له أموال جزيلة وجامكية كبيرة في كل شهر، ويسكن من شغلهم، فلم أسعد احتاجوا خرجوا عليه مراراً، وخربوا بيته، وما كان

(١) رأيهم.

(٢) أي كل شيء يهون ولا المتأجرين وهم الذين يحجون عن الناس بالأجر إذ لا يعطى أحدهم إلا نفقات حجة.

(٣) ما رجعوا والشين هنا زائدة تستعمل في العاملة للكثرة.

(٤) أي وما انتهى إليه الأمر إلّا..

(٥) خ ونشرو التصحيح من عندنا.

(٦) خ قوة.

(٧) لم يظهر خبر منهم أو لم يأتي أحد منهم.

(٨) النفايات.

(٩) جمع قاري العربية تجرها الحمير أو الخيول أو الجمال. وهي من الفصحى الجاري من الجري.

(١٠) يكثّر استشهاده بهذا المثل وكأنه يريد أن يبين أن الخبر الذي يقوله ليس على ظاهره.

(١١) في المخطوطة الذرية بدون نقط.

هَمَّهُ إِلَّا الْقِيَامَ مَعَ أُمَّةِ الْحَقِّ، وَبِذَلِكَ نَفْسَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، وَعَلَى رَأْيِهِمْ، وَأَكْثَرَ اجْتِهَادِهِ مَعَ الْإِمَامِ الْمُتَوَكَّلِ الْمُحْسَنِ بْنِ أَحْمَدَ، فَلَمَّا كَانَتْ أَيَّامُ الْهَادِي انْقَطَعَ مَعَهُ الْمَجَالُ مِنَ الْإِمَامِ مِثْلَ جَمِيعِ النَّاسِ، فَمَالَ إِلَى حَكْمِ الطَّاغُوتِ، وَبَقِيَ يَجُورُ مِنْ اسْتِجَارِهِ، وَيَغِيرُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ وَيَقْطَعُ الْخَضِرَاءَ عَلَى مَنْ لَمْ يَسِيرْ فِي قَوْلِهِ فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَكَانَ يَحْصِلُ لَهُ فِي ذَلِكَ مَوَادِّاتٌ وَأَكْثَرُهَا مِنَ الْحَيِمَةِ وَحِرَازٍ/ وَكَانَ مُرَادُهُ أَنَّ الْهَادِي سَيَدِي شَرَفِ الدِّينِ يُوَاسِيهِ وَلَوْ بِرُبْعِ مَا كَانَ يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنَ الْمُتَوَكَّلِ السَّابِقِ، وَهُوَ سَيَفْعَلُ لَهُ مَا يَرِيدُ، وَيَشْفِي لَهُ الْغَلِيلَ فِي جَمِيعِ الْأَعْدَاءِ فِي أَرْضِ الْيَمَنِ، لَكِنْ لِكُلِّ إِمَامٍ اجْتِهَادٌ، فَلَمْ أَسْعِدْ لَهُ الْمَوْلَى بِشَيْءٍ، وَلَا مُرَادُهُ يَدْخُلُ عِنْدَ الْأَتْرَاكِ إِلَّا فَكَانَ سَيَحْظِي عَنْدهُمْ لِفَعْلِهِ الَّذِي قَدْ اشتهر، وَصِيَّتُهُ^(١) الْمُخْتَبِرُ، فَلِإِنَّهُ شَجَاعاً مُعْتَبِراً، وَلَعَلَّ مَوْلَانَا غَيْرَ قَابِلًا لِلنُّصَاحِ، فَمَا فَاتَهُ فَهُوَ أَكْبَرُ، بِسَبَبِ ذَلِكَ، فَكَمْ قَدْ رَجَعَ عَنْدهُ أَسْوَدٌ بِسَبَبِ عَدَمِ قَبُولِ النُّصَاحِ، وَكَمْ فَاتَهُ مِنْ فَتُوحَاتٍ، قَدْ بَانَ فِيهِنَّ النَّصْرُ وَاللُّوَائِحُ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ مُحِبًّا وَرَأَى شَيْءًا لَا يَصْلُحُ، فَلِإِنْ كَانَ مِنْ أُمُورٍ خَارِجَةٍ عَنِ الْمَقَامِ سَمِعَهَا وَيَحْسِبُهَا سَامِجَةً، وَإِنْ كَانَتْ مِنْ أُمُورِ الْمَقَامِ وَالْبَزَايَا^(٢) وَالْدِيَامِ^(٣) الَّذِي بِهَا يَتِمُّ الْقِيَامُ، وَيَعْلُو شَأْنُ الْإِمَامِ، أَلْقَاهَا إِلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الْكِرَامِ، وَتَعَادَوْا بِذَلِكَ الشُّخْصَ وَلَا تَزِدْ تُقْبَلُ لَهُ تَوْبَةٌ مَا دَامَ فِي الْمَقَامِ^(٤) وَيَلْقَى السَّامَ، وَيَنْدَمُ، وَآخِرُهُ مَا يَصْدُقُ أَيُّ وَقْتٍ يَفْتَسَحُ^(٥) وَكُلٌّ مِنْ افْتَسَحَ وَرَجَعَ إِلَى مُحَلِّهِ، بَقِيَ ذَلِكَ الْمَقَامُ نَصَبَ عَيْنِهِ وَأَمَلِهِ، وَكُلُّ جَاءَ وَسَارَ سَلَهُ^(٦) وَلَا هَانَ عَلَيْهِ أَحَدٌ تَرَكَهُ، وَلَكِنْ يُقَالُ: «إِذَا رَأَيْتَ مَا يَغْضِيكَ فَارْقُتْ مَا تَحِبُّ» فَكُلُّ أَحَدٍ يَسِيرُ مِنْهُ وَفِي عَيْنِهِ قَذَا، وَفِي حَلْقِهِ شَجَا، وَمَوْلَانَا حَفَظَهُ اللَّهُ لَا ذِهْنَ^(٧) وَلَا دَرِيٍّ إِنَّمَا مَجْلِسُ فِي الْغَدَا وَالْعِشَاءِ، وَالسِّيَاقُ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ، مَا أَحَدٌ يَعْلَمُ كَيْفَ صَارَ، وَلَا أَيْنَ طَارَ، فَلِإِنْ كَانَ مُحْفُوظاً فِيهَا وَنِعْمَةً، وَإِنْ هُوَ عَلَى مَا ذَكَرُوا الْمُعَاوِدِينَ^(٨) وَبَلَغَ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَفِي غُرَّةِ سَنَةِ ١٣٠٧ وَصَلَ رَجُلٌ عَجِيبٌ حَازِقٌ لَبِيبٌ مِنْ اسْطَنْبُولَ، وَأَصْلُهُ

(١) جَاهِهِ.

(٢) الْخَادِمَاتُ. جَمْعُ بَزِيَّةٍ.

(٣) الْمَطَابِخُ. جَمْعُ دِيمَةٍ.

(٤) مُحَلُّ إِمَامٍ.

(٥) يَخْرُجُ.

(٦) سَلَاةٌ نَسِيَةٌ.

(٧) أَدْرَكَ الْأَمْرَ.

(٨) الْمُتَرَدِّدِينَ. إِلَيْهِ.

مشرقي من بكيل، قد كان عند القاضي يحيى المجاهد في اليمن، ولما وقعت به الواقعة هو وعبد الله بن أحمد الضلعي صاحب عيال سريح من عثمان نوري الوالي السابق، وعزم القاضي يحيى، وولده الكبير إلى أسطنبول، وخرج الولد وهذا الرجل العجيب اللبيب المذكور، وخبرنا^(١) شفاهاً، وأخبرنا ما في أسطنبول من العجب، وكيف وقع دخول الفرنج في الأمر السلطاني، وأخبار لعلها صحيحة، كونها وافقت الواقع الذي تحس فيه والمحسوس الذي لا ريب فيه فأول ما خدعوا الإسلام في آخر سلطنة عبد العزيز^(٢) خادعوا الوزراء وجميع الكبار من بوش ونظار وحكام بالمال، حتى انخدعوا وأظهروا لهم قوة غير ما يعتادوا وقدموا بعساكر جرارة ومدافع مختارة وعساكر كرامة، وخلوا المسلمين إلى حال^(٣) صلاة العيد، وقد كمنوا لهم مكامن، وهم آمنين الضرر وإلا فقد كانوا متداخلين في المحل وفي كل بلدة، بيت بيت وحنوت بحنوت، ولكن من دون إظهار الضرر وأما المخادعة فكائنة فهجموا على المسلمين في بلدة خارج أسطنبول مسير يومين، فقتلوا من المسلمين قيل عشرين ألف، وقيل أقل وقيل أكثر من تاريخ بعد الثلاثمائة والألف، والهاجم بعض القرانات^(٤). الكفرية بدسياسة من بعض القرانات الذي قد سد^(٥) هو والسلطان، وغدر وخلاً غيره لا منهم^(٦) ودخلوا على الصدر الأعظم، وأهل مجلسه، وقالوا لهم مع ما قد أرغموهم بالأموال الجزيلة إذا لم تسعدونا على شروط نفعلها بيننا وبينكم، لا نأخذ^(٧) البلدة أخذة واحدة، وإذا حطت المساعدة منكم تساعد بأعلى أمر يكون بيننا، قالوا لهم: إذا لم يحصل من السلطان ما نفعل، وأما إحنا فلا قلق منا قالوا إذا لم يساعد السلطان قتلوه/ فقالوا للسلطان هؤلاء الفرنج قد تمالوا علينا، وما يليق إلا نجيبهم إلى مشاريطهم^(٨) التي قد شرطوها قال وما مشاريطهم؟ قالوا: أن يكون جميع المأمورين في جميع القضاة منهم البوش والكتّاب وكل عمل ما خلا العسكر النظام، فمن المسلمين، الشرط الثاني أن يلبسوا هؤلاء المذكورين لبسهم^(٩)

(١) أخبرنا.

(٢) هو عبد العزيز الثاني بن عبد المجيد حكمه من سنة ١٨٦١ م إلى سنة ١٨٧٦ (الفتح العثماني ص ٤٩٣).

(٣) أثناء.

(٤) الدول. (سبق).

(٥) تصالح.

(٦) كذا.

(٧) لناخذ.

(٨) شروطهم.

(٩) لبسهم.

وتَقْضُولُهُمْ^(١) الشَّرْطُ الثَّالِثُ أَنْ يَحْجُّوا بَيْتَ اللَّهِ مَعَ^(٢) الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ مَرَادُهُمُ الْحَجُّ وَإِنَّمَا مَرَادُهُمْ دُخُولُ مَكَّةَ، وَقَبْضُهَا أَقْمَاهُمْ اللَّهُ، الشَّرْطُ الرَّابِعُ أَنْ تَكُونَ شَهَادَتُهُمْ مَقْبُولَةً عَلَى الْمُسْلِمِينَ، الشَّرْطُ الْخَامِسُ: أَنْ يَتَزَوَّجُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيُزَوِّجُوهُمْ كُلُّ بَعْدٍ أَرَادَ، الشَّرْطُ السَّادِسُ مَنْعُ بَيْعِ الرَّقِيقِ، الشَّرْطُ السَّابِعُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَالنَّظَامِيَّةِ مُتَوَقِّفَةً عَلَى قَانُونِهِمْ، وَعَدَمُ إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ إِنَّمَا بِالْحَبْسِ الْقَاتِلِ خَمْسَةَ عَشَرَ سَنَةً، السَّارِقُ كَذَّاءٌ، الْمَفْلَسُ كَذَّاءٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ بِالرَّضَا كَاثِنٌ، مَا كَانَ فَلَمْ يَسْعُدْ إِلَى ذَلِكَ السُّلْطَانُ عَبْدُ الْعَزِيزِ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوهُ فِي أَيَّامِ تَوَلِيَةِ مُصْطَفَى عَاصِمٍ عَلَى الْيَمَنِ فِي سَنَةِ ١٢٩٤ وَوَصَلَ الْخَبْرُ إِلَى صَنْعَاءِ الْمُحَمِّيَّةِ.

وَكَسَرُوا الزَّلْطَ^(٣) الْحَمْرَاءَ، وَكَانَ مَرَادُهُمْ يُبْطِلُونَهَا فَلَمْ يَسْعُدْ أَهْلُ صَنْعَاءَ لِعَدَمِ قُدْرَةِ الضُّعْفَاءِ عَلَى الزَّلْطِ الْبَيْضَاءِ وَالصُّرْفِ الصَّغِيرِ الْفَضَّةِ، وَتَرَاضَوْا عَلَى بَقَائِهَا، وَرَقَمُوا عَلَيْهِمُ الدَّوْلَةَ وَتَنَاهَا^(٤) صَرْفَهَا مِنْ ثَمَانِيَّةٍ وَأَرْبَعِينَ إِلَى خَمْسَةِ وَسَبْعِينَ مَرْبُوعَةً الَّتِي كَانَتْ قَدْ بَطَلَتْ وَالَّتِي كَانَتْ رُبْعِيَّةً، صَارَتْ نِصْفَ بَيْسِهِ وَالَّتِي كَانَتْ زَلْطَةً صَارَتْ بَيْسَهُ، وَالْقَرْشُ الزَّلْطُ الْكَبِيرُ صَارَتْ رُبْعِيَّةً.

وَتَغْيِيرُ حَالِ الْأَتْرَاكِ وَصَارُوا حَزْبِينَ، وَقَلَعُوا الذَّهَبَ مِنْ أَكْمَامِهِمْ، كَمَا يَفْعَلُ النِّسَاءُ الْمَوْلِيَّاتُ^(٥) وَخَطَّبُوا لِمَرَادٍ^(٦) وَتَسَمَّى بِالسُّلْطَانِ مَرَادٍ، وَقَبْلَ بَعْضِ الشَّرُوطِ وَعُضِلَ^(٧) عَنْ بَعْضٍ، فَبَقِيَ مَدَّةٌ وَخُلِعُوهُ، لِعَدَمِ قَبُولِهِ جَمِيعَ مَشَارِيطِ الْإِفْرَنْجِ، وَقَالُوا: هُوَ مَجْنُونٌ، وَأَقَامُوا عَلَى التُّخْتِ هَذَا الْمَوْجُودُ عَبْدُ الْحَمِيدِ خَانَ^(٨) فَقَبْلَ جَمِيعِ الشَّرُوطِ، وَلَمْ تَنْكَفِ نَفْسُهُ مِنْ شَيْءٍ وَصَارَ الْأَمْرُ فِي إِسْطَنْبُولَ لِلنَّصَارَى فِي الْبَاطِنِ، وَفِي الظَّاهِرِ أَنَّهُ إِلَى الصُّدْرِ الْأَعْظَمِ كَمَا أَخْبَرُونَا بِهِ عِنْدَ عَزْلِ السُّلْطَانِ مَرَادٍ، قَالُوا لَنَا قَدْ تَرَاضَوْا مِنْ فِي إِسْطَنْبُولَ جَمِيعُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْقَرَانَاتِ عَلَى الصُّدْرِ الْأَعْظَمِ يَحُلُّ وَيَعْقِدُ وَالصُّدْرُ الْأَعْظَمُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ الْمَطِيَّةُ وَأَتْبَاعُهُ وَقَرِيبُوا^(٩) لَنَا ذَلِكَ الْفَرْمَانُ فِي مِيدَانِ الْبَكِيرِيَّةِ، وَصَارَتْ جَمِيعُ الْأَعْمَالِ الْكِبَارِ إِلَى النَّصَارَى وَالْمَتَوَلِينَ

(١) هَيْئَةُ مَلَابِسِهِمْ.

(٢) خَ مَعَا.

(٣) النُّقُودُ.

(٤) انْتَهَى.

(٥) الْمَوْلِيَّاتُ الْمَحْدَّاتُ مِنَ الْحَدَادِ. سَبَقَ شَرْحُهُ وَهُوَ الْحَزَنُ عَلَى الْمَيِّتِ.

(٦) هُوَ مَرَادُ الْخَامِسِ حُكْمُهُ مِنْ سَنَةِ ١٨٧٦ إِلَى سَنَةِ ١٨٧٦ (نَفْسُ السَّنَةِ).

(٧) حَالُ بَيْنٍ مَا يَرِيدُونَ وَالْعُضْلُ فِي اللُّغَةِ الْمَنْعُ.

(٨) هُوَ عَبْدُ الْحَمِيدِ الثَّانِي حُكْمُهُ مِنْ سَنَةِ ١٨٧٦ إِلَى ١٩٠٦ م.

(٩) قَرَأُوا

لها، والملبوس والقانون، وجميع الشروط المذكورة، وإنما هي تموهات، بسبب أن عاد هذا السلطان عبد الحميد معاهم كالألة^(١) قال السلطان، أمر السلطان، والحل والعقد والعزل والتولية إلى المذكورين، وأخبرنا هذا الذي وصل اسطنبول، وتاخم الناس وشاهد ما لم نعلم به، وأخبرنا أن السلطان معاهم آلة لا عليه ولا له، وإنه يسأل^(٢) الصدر في الأسبوع عن أحوال جميع البلاد ومن فيها من العباد، فلا يجيبوه إلا بالصلاح والسداد، وإذا وصلت مكتوبات فيها تشكر من أي جهة أعرضوها عليه، وكلما وصل مشاكي^(٣) أهموها^(٤) عليه، وكل متولي في الأقطار معه في اسطنبول من يلقف^(٥) له ما جاء من غيره تشكي منه، وكل أحد من المتولين من قاض والوالي، وقائم مقام، ومتصرف وكاتب وكبير، وعسكر معه مرزح^(٦) هنالك، وما خلّس واختلس أرسل بشطره لصاحبه الذي يلقف له ما جاء فلهذا ما بقي عزل وتولية في كل أرض إلا من اسطنبول إلا أهل البلاد العرب، فلا يعبؤا بهم، وأمور شنيعة ما يحلها إلا الله سبحانه.

وفي شهر صفر سنة ١٣٠٧ ألغى الوالي عثمان خيرى المحاكم الثلاث محكمة البداية ومحكمة الجزاء، ومحكمة الاستئناف^(٧) وعزل حكامهن وأعضائهن جميع، وصاروا عبّرة للناظرين، وعظّة للمستبصرين، وبعضهم قد أراد يستكري^(٨) حانوت، ولكن خشي العار، وما خشي الناريًا ويلهم من لقاء الملك الجبار.

وفي أول شهرنا أرسل الوالي لخولان، وذكر أن المقطوعية الذي عليهم ما تقوم بعشر الواجب عليهم، وما يريد إلا فرز وتخمين الزكاة، فعضلوا ومنعوا، وأجابوا أنهم مفسدين، وأرسلوا عاقلين من طرفهم يخبروا بفسادهم، فلما رأى الجّد منهم قنع بالمقطوعية الذي عليهم، ولكن أخرج خبره^(٩) لهم، وكذلك أرحب ذكر لهم ذلك قبل خولان، ولم قد بان منهم شيء فلهذا درّ خولان.

وفي آخر صفر حبس عقال نحو عشرين من صنعاء، وأطلق بعضهم إليها

(١) خ كل آلة.

(٢) في (خ) يسأل.

(٣) كأنها جمع شكوى (معروف).

(٤) أهموها: أخفوها.

(٥) يتلقف.

(٦) جمع مرزح المتكىء أو المسند.

(٧) الاستئنافية.

(٨) يستاجر.

(٩) سره.

بيومهم^(١) وذكر أن من عاد عنده بقية الفرقة^(٢) بقي في الحبس، ومن قد سلم طُلِقَ^(٣) وفي الباطن إن ما حبسهم إلا يجس ما هم عليه.

ووصلت أخبار من ريمة مزعجة بالفساد، والسبب أن أهل ريمة وصلوا إليه يشتكوا ظلم عليه جائر وعطف^(٤) وحبوس، ولا عندهم شيء بل مُؤَفِّين، وغرموا في صنّعاء غرامة كبيرة في مدة بقاهم للمشكى، فما وسعه إلا ردهم إلى من هربوا منه تحت الحفظ، فما زاد قائم مقام الذي عندهم إلا أغلظ عليهم، وخاطبهم بأضعاف البواطل^(٥) وجعلهم في الحديد عنده في أحرز^(٦) والليل ينزل يضربهم، فأعلنوا بالفساد^(٧) فرجع يطلبهم إلى صنّعاء، مقصده يعيدهم حين رأى الجند منهم، ولعله بيغسّس^(٨) كل أحد، ومن وجده رطب^(٩) أدخل يده، والعسر^(١٠) له جني يشله.

ويومنا الثلوث سابع وعشرين صفر، نزل يلوي^(١١) في الأسواق، واستقر في سوق الملح^(١٢) قدر ساعة يحدث الناس جميع إن كل شيء بالرضاء وإن كل أحد يبيع بضاعته بكيفية^(١٣) والمرجع في ذلك المحكمة، فلما سمعوا ذلك عيال السوق فرحوا بما هنالك، ودّعوا له، وذلك بغيتهم، والمراد، وهو أكبر فساد على جميع العباد، سيّما من لا يعرف الرّشاد فاسأله اللطف وسلم لمولاك وقل يا سلام.

وفي شهر ربيع أول نزل الوالي الوصال^(١٤) عثمان خيرى إلى السوق، واستقام^(١٥) للخاص والعام في سوق الملح، وأخبرهم جميع أن كل شيء بالرضا، ولا إجبار، ولا إكراه على أحد في شيء، ودخل إلى سوق الحبّ أخبرهم بذلك شفاهاً من

(١) في يومهم.

(٢) سبق شرحه وهي قسط من المال يوزع على الأهالي كالضريبة ونحوها.

(٣) أطلق.

(٤) مضافة.

(٥) الماخوذ باطلاً.

(٦) جمع حر بفتح الحاء واسكان الراء وهو سرداب يقع أسفل المنزل خاص بالحطب والبهايم.

(٧) الفساد هنا الثورة.

(٨) يتحسس.

(٩) كناية عن الغنى.

(١٠) المعاند.

(١١) يتجول.

(١٢) من أكبر أسواق صنّعاء القائمة الآن.

(١٣) بهواه.

(١٤) الواصل.

(١٥) قام.

لسانه، فلما سمعوا منه ذلك ارتاحوا بما هنالك، وهي الحاجة التي في نفس يعقوب، وكان سوق الحب ملآن من جميع ألوان الطعام حتى الرُّومي والدجرة والذي ما يعتادين^(١) ولا أصبح يوم ثاني/وعاد من تلك شيء كل أحد أدخرها تجارة عن تراض، حتى انتهى بهم الحال قدموا إليه عَرْضُحَال يشتكون أن الناس يشغلهم، وهم بِيَّاعين مشتريين في الطعام، مثل سائر الأسواق في صنعاء، مقصدهم يجيب عليهم في شكيتهم أنهم يراضوهم في بضاعتهم الطعام، حيث قد كل أحد بيدخُرُه ويرسلوا بالمشات والآلاف إلى كل محل، ولم زِدْ قَرَّ^(٢) في السوق شيء إنما كل يوم يصال نحو مئة^(٣) جمل طعام واضعافها بهائم وآخرها يصال عند غروب الشمس، ولا يصبح شيء في السوق، وبالحال أن قد وقع صَيْف^(٤) ما قد وقع مثله في عشرين سنة إلا سنة ١٢٩٥، وقع قبال الزكاة حق قضا صنعاء هَمْداني وسَنَحاني حارثي^(٥) بستاني^(٥) بهلولي^(٥) روسي^(٥) بستين ألف قدح للدولة، وأقل ما يكون أن المشايخ والمدرين^(٦) يحطوا مثل نصفها ولو سلموا عشر المذكور أو نصف عشر العشر لآل محمد ما سَلَطَ الله عليهم ما ذكر، فهذا بذاك ولا عتبان على الزمن.

وفي غرة شهر ربيع أول سنة ١٣٠٧ رفع الباشا القاضي أحمد بير، ووصل إلى حراز وتَحْيِد^(٧) ووقع فيه جنایات بسبب ما جَنَى على الشريعة بأخذ أموال العباد، ووصل الخبر في البُسْطَة^(٨) حقهم، بأنه قد توجه قاضي آخر من اسطنبول لليمن، وقد توفي في البحر قبل الخروج إلى البر، ولعل نيته أخبث والله من ورائهم محيط. فما وسعهم إلا استنابوا في صنعاء المسمي بالمفتي على مذهب الحنفية أحسن بن أحسن الأكوع^(٩) إلى جماد أول سنة ١٣٠٧ وولوا قاضي آخر.

وفي تلك المدة كل أحد مَدَّ عنقه للتوظيف^(١٠) فوصل عزل بقية المتوظفين ولم بقي إلا كاتب المحكمة سيدي عبد الله بن إبراهيم، فإنه مَرَسَ في قانون الأتراك

(١) الأشياء غير المعتادة يريد أن يقول والأشياء التي لا يعتادها الناس في الأكل كثيراً.

(٢) استقر.

(٣) خ مئت.

(٤) محصول الصيف.

(٥) ضواحي صنعاء الأماكن القريبة منها.

(٦) كآنه المديرين.

(٧) تردى من فوق الجبل والحيد الجبل.

(٨) الوسطة (الريد).

(٩) من العلماء وفاته سنة ١٣٠٧ وسيأتي خبر وفاته في الكتاب.

(١٠) للتوظيف.

وسايرهم مسايرة الأفلاك بشطارة^(١) وعفة وحفظ قلم ولسان، وصار كاتباً وحاكماً وترجمان، وحفظ جميع القوانين، وحفظ أيضاً السبعة الأقسام بلغاتها فلم أحد من العرب قدر يكون كمثلته، ولا العجم لقيوا عليه ثلثة.

وفي شهر جماد آخر عزم الباشا للرحيل إلى تهامة ونصبت في عصر للرحيل خيامه وصارت جميع العرب لذلك مستنكرة بسبب أخبار قفرة^(٢) ولكنها بالله مستبشرة ولفرجه منتظرة، ولكن ما عزم إلا وقد بان سيره وما كتم، فإنه طلب جميع المشائخ وخاطبهم في تسليم جميع البواقي المتقدمة عندهم وعند الرعايا وعند المتقبلين من ابتداء دولة أحمد مختار، وأجل الرعايا والضعفاء مسلمين موفين كونهم لضعفهم غير مكرنين، فشكوا ذلك، ولم يقبل ما هنالك حتى الذميين طلبهم المنكسر من الجزية فبرزوا إليه بنظر وفاء بأيديهم وكمال فلم يقبل وعطف عليهم خمسة وعشرين مئة ريال حجر، وبقوا عقالهم في الحبس نحو شهرين، حتى سلموا وطلب من أرحب وخولان فرز الثمار كون السنة مخيرة^(٣) وترك الاقتدا بغيره من قبول المقطوعة، وحبسهم نحو شهرين هم والقوسي والبخيتي عقال الحدا ووصل في هذه الخطرة^(٤) إلى حراز وترجع له الرجوع لشي في نفسه كان كامناً فخشى ظهوره، فرجع وخرج إلى الطويلة وفي الرعايا فضع^(٥) ودخل عمران، وصل صنعاء على ستة عشر يوم، ووصل يخاطب جميع المشائخ في تسليم جميع البواقي فمن سلم سلم ومن تظلم حبس وظلم وصار أكثر العقال والمشائخ في الحبس، فسلموا ما ذكر، وعطفوها على الرعايا، فلما امثلوا بذلك وسلموا ما هنالك/ لقيوا مكاتب في بياناتهم عند الكتاب قد انقضوا أهلها، وما عاد إلا ذرياتهم فقراء لكنهم تقبلوا في ابتداء وصول الدولة في سنة ١٢٨٩، فطلبهم ما بذمة آبائهم، حتى أنه وصل عند كابع الدباغ وقُدَّ له نحو خمس سنين من حين انقراض، وعاده عنده نحوريالين من قبائل سوق الوادي، ورأسلوا لذرية^(٦) هادي كابع الجزار حق شرارة^(٧) أن عنده قرش إلا ربع، وهو مات فقر، وأولاده أيتام أفقر منه، وقد له من حين مات سنين، هذه أخبار

(١) براءة.

(٢) كناية: سيئة والفترة التنة.

(٣) ذات خير كثير.

(٤) الزيارة.

(٥) اضع.

(٦) خ لذريت.

(٧) هي المجزرة القائمة إلى الآن في باب السبح.

هذا الباشا الظنين المصلي ، وبعد هذا لما وجد الرعايا قد قل مجدهم وقُلِّلَ حدُّهم ، ولم بقي فيهم قرن ، طلب من المشايخ تسليم ما صار في أيديهم من العشور من مدة سبع سنين من سنة الثلاثمائة بعد الألف ، وأنهم يكونوا مجانيين^(١) كيف يقطعوا لهم عشر وهم خَدَمَ للسلطان هذا عدوان وبهتان . وحبس الجميع ، وصاروا مخاطبين^(٢) في تسليم ما قد استهلكوه ، ولعل الذي خص بلاد البستان من ذلك نيف وثمانين ألف ، وحبسهم جميع إلا من امثل ، فأول من امثل مشايخ البستان ، منهم ثلاثة أنفار الأسد ، وعيَّاش والرَّمَّاح وورُقوا^(٣) على نفوسهم ، وختموا في ذلك ، فأطلقوا ، والباقي منهم في الحبس ، وبني الحارث وكبيرهم^(٤) دغيش وهم في الحبس ، نحو ثمانين نفس ، وأمر بذلك في جميع القَضَوات .

ويوم السبت ٢١ جماد آخر أرسلوا بأوراق للتجار ، وألزموا كل أحد بتسليم قرش وربع حجر ، حق الأوراق ما حُدَّ دَرَى ما اسمها ، ولا بد يظهر ذلك ، فوقعت المراجعة من بعض التجار الذي لم قد سلموا ، فأجابوا عليهم أن ذلك معونة من سَلَمَ فله الرضى ، ومن يسلم فلا بد من القضا في الباطن ، ومن قد كان سلم فما رجع له ما سلمه .

[وفاة الإمام محمد بن عبد الله الوزير]

وفي يومنا الجمعة سابع عشر جماد آخر سنة ١٣٠٧ توفى مولانا الإمام بقية الخلفاء العظام ، إمام الجهاد والإجتهد ، المنصور بالله سيدي محمد بن عبد الله الوزير^(٥) رحمه الله رحمة الأبرار ، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار آمين ، ودَرَسُوا^(٦) له في جامع صنعاء ليلة السَّبْت وقبر في محلّه في السَّر .

وأما الطريق الغربية ، فصار العمل فيها التُّرك والعرب ، الترك نحو أربعة طوابير باقين من ابتداء العمل ، والعرب في السخري ، كل بلاد تعمل في بلادها ، ونحو خمس مئة قبيلي ، كل يوم سخرة ، وأخذوا أموال الناس ، بدَّعُوا من عَصُر غربي صنعاء إلى تهامة وعملوها في أموال الناس ، وتركوا الجَاذَة ولا سِيَّما في قاع

(١) خ مجانيين .

(٢) مطالبين .

(٣) أي كتبوا على أنفسهم سند بذلك .

(٤) مَبْيُض لاسمه في الأصل .

(٥) انظر أخباره في أئمة اليمن ص ١٥ ومصادر الفكر الإسلامي ص ٦٣١ .

(٦) قرأوا القرآن .

سهمان ويازل، وبيت المفضل، فأكثرها أموال على الغيول^(١) اللبنة^(٢) تسوى^(٣) ثمناً عزيزاً، ولم أمكن أحد يتكلم بشيء، فسبحان المذل لمن يشأ، والمعز لمن يشأ، وما ذلك إلا عقوبة للعرب، لتجاريهم على آل محمد صلوات الله عليه وآله وسلم. لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى عليهم الدهر بالآفات والمحن.

وفي هذا الأسبوع أطلقوا القوسي والبخيتي من الحبس، ولهم فيه نحو أربعة أشهر. كفى بالزمان مؤدباً والدهر واعظاً والله سبحانه بالمرصاد. وبعدها أرخى الباشا لجميع المشايخ، وأطلقهم من الحبس، وفعل لهم مَرَحَمَه^(٤) على لغتهم، والسبب في ذلك أنه لما أخزق^(٥) الجور عليهم، وخسوا في نفوسهم الإهانة وأيقنوا بذلك تقاعدوا^(٦) فيما بينهم، ودخل بعض العقَّال، وأظهر للوالي الفساد، فما وسعه إلا إطلاق الجميع.

وفي شهر جماد أول من السنة المذكورة، طلب الباشا عثمان عسكر عرب زبطينية، فأقبلوا إليه من جهات متفرقة وفيهم من جدير ناس كثير بقحامه وسخف نكير، فأرصدوا في البان وأخذوا منهم الضمان، وذكروا لهم أنهم يسيروا يترتبوا في حفاش وملحان، وأرسلوهم فلما وصلوا بهم تهامة وأدخلوهم الحديدية، وحلقوا لهم ذقونهم، ولَبَّسُوهم كسوة النظام وأركبوهم^(٧) البحر، وأرسلوا بالكتب وكسوتهم القدية حق بيوتهم ووعسوتهم^(٨) ومن يقل لهم في البحر يادقوناه فما أسخف عقول هؤلاء^(٩).

وفي عاشر رجب عزم الوالي بنفسه اليمن لشيء في نفسه والشيخ علي البليلي، وفيه توفي القاضي العلامة الضيا الصالح بن أبي الرجال وخرجت جميع أهل صنعاء من الساكنين فيها يشهدوا قبره وفي رجب عزم الوالي بنفسه اليمن لشيء في نفسه

(١) جمع غيل وهو النهر الجدول والغيل في اللغة الماء الجاري على وجه الأرض.

(٢) مساحة من الأرض معينة تقابل عشرة أمتال تقريباً.

(٣) تساوي.

(٤) رافة.

(٥) ضاق.

(٦) حرروا فيما بينهم قاعدة يتعهدوا فيها بأمور.

(٧) خ أركبوهم.

(٨) جمع عسيب وهو ظرف من خشب يوضع عليه الخنجر، وقد سبق شرحه.

(٩) يصف الدكتور عثمان أباطة ملبوس هؤلاء بأنه عبارة عن عمامة زرقاء ورداء له أزرار فضية (انظر الحكم العثماني

.(١١٣)

والشيخ على البليلي، باقي في خولان بيخلص خولان بنفسه وحده، وما معه إلا نحو ثلاثة أربعة أنفار لمخلص بلاد خولان جميع، بعد أن كانوا سابقاً في أيام بيت القاسم ما يسلموش، إنما بغاة فساد بل يطلبوا منهم المغلبات، ويفسدوا، ويسقطعوا الطريق، ويقتلوا النفس وأخذوا فيروز عبد الهادي، وجميع ما معه بنحو مئة ألف بيت مال المسلمين، وهذا واحد فرد من سوق الحب الكياليين عرفته ورأيته بعيني واكتلت من أبوه ومنه ومن جميع إخوته، وخرج بيتخلص هذه البلاد زأهلها، فسبحان المعز له والمذل لهذه القبيلة الذين كسروا كم دولة قاسمية، فهذا بذلك ولا عتبان على الزمن.

ولما عزم الوالي أرسلوا الترك لأهل صنعاء، وخاطبواهم في الحارات والبيوت، وأظهروا لهم نصيحة وهي عَيْن الخديعة أن الفرقة التي بتسلم في كل سنة هي على صنعاء بيوت وحوانيت، وما بيسلموا إلا أهل اسواق، وأهل البيوت لم يسلموا شيء من الفرقة، وأوهموا الترك أنهم يريدوا التسوية بين العرب والإنصاف والعدل والأمانة، وعدم الخيانة، كيف يسلم، وناس لم يسلم، فيريدوا حصر الحارات، وعقال^(١) منهم والكلام غيره، يُشْتَو ميري بيوت، وهو المثل السائر في السنة^(٢) الغوغا من قبل هذا الزمان كأن يقولوا كيري ميري، فالميري في السمسرة أوله عشرة آلاف، واليوم في نحو ثيف وثلاثين ألف، وهذا قصاص الغيب وهم لا يعلمون، ولكن أقول (شام والمراد عراق).

وفي خلال ذلك يوم رابع عشر شهر رجب فتحوا^(٣) الترك على العسكر السمايين الفبطية أنهم يحلقوا ذقونهم ويكوفوهم^(٤) ويلبسوا لبسان وزنين^(٥)، ورضوا بذلك، وهو من بابين باب الصميل، وباب الجميل، ولكن لا عيب في ذلك من بابين الباب الأول [إن خدمة الدولة شرف لا عيب فيها ولا شلل، والباب الثاني] أنهم كانوا سفهاء وأرذال، وقوم بغي وفساد، وسكر ولواط، وإن كان ثم وفيهم العشر أو نصف العشر من ناس فهم متحيدين^(٦) قد ألجأتهم الضرورة، والسبب خبث نياتهم، وعدم توكلهم على الله، وأما أكثرهم، وأجلهم عدداً فما نعرفهم، ولا لهم عندنا جد يُدعى،

(١) كذا وثقرا غفال.

(٢) خ اللسنت.

(٣) فاتحوا.

(٤) يلبسوه الكوافي (القلانس). واللبسان جمع لباس: سروال.

(٥) جمع زنه قميص.

(٦) مضطرين.

إنما جلبوهم الأتراك من كل أرض مزينة^(١) ومهادده^(٢)، ومقهوين، وجزارين، وقشامين^(٣) وحجاميين، وقوادين، وديوثين، وأكثرهم هؤلاء أولهم جهال للخدمة واللواط، ولم نعرفهم، لأنهم من غير صنعاء، ما نعرفهم إلا قعاش^(٤) ونيل^(٥) ووزرة مرصقه وسكر وزنا، وغير ذلك، وكفاهم بما قيل فيمن قبلهم الذين وقع بهم ذلك في الحديد (من حلقت دقن جاره فليسكب الماء على لحيته) أخزاهم الله وأقماهم. [وليس ذلك سب في حقهم، وإنما هو كائن فيهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذكرت الفاسق بما فيه لكي يحذره الناس^(٦) فلا بأس وما نريد نسب أحداً بما ليس فيه، ولكن هذا كائن فيهم، وما نعرفهم لأنهم كلهم من غير صنعاء، ما نعلم من أين هم، وحتى البغايا في صنعاء أكثرهن من الدنيا ولكن تزيين بملبوس نساء صنعاء^(٧)].

وقد استأذنوا من ساداتهم الذين دخلوا في خدمتهم إذا أحد ضحك عليهم أو غيرهم، فقد فسحوا لهم فيهم فمنهم من ضربوه ومنهم من هتكوه، وحاصله ما يحلها إلا الله، اللهم بحقي عليك وبحق رسولك عليك أسألك بحل هذه العقدة وأن تفرج على أمة محمد فرجاً عاماً عاجلاً غير آجل فنحن بقضائك راضون ولعفوك راجون، ولم أحد أمكنه النظر فيهم خشية العقوبة/وأما الباشا عثمان خيرى المسمى بالفقيه فهو عزم باشر أولاً قضاء آنس، ونقل ذمار، ولا بد من مروره على جميع الجهة اليمنية لخلص الرعايا كما فعل في صنعاء وجهاتها، وأما الشيخ علي بن محمد البليلى، فإنه رجع من خولان، وقد تخلص منها عشرين مئة ريال حجر،

(١) مزينين.

(٢) مهتدين يهود أسلموا.

(٣) جمع قشام وهو البستاني أو بائع القشمي وهو البقل.

(٤) جمع قعشة وهي الجمرة من الشعر.

(٥) صباغ أزرق (سبق).

(٦) إشارة إلى قوله ﷺ «أترعون عن ذكر الفاجر أهتكوه حتى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس» أخرجه الطبراني وابن حبان في الضعفاء وابن عدى من رواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده «الأحياء ١٤٩/٣ وأما حديث لا غيبة لفاسق قال اسيوطي في الدرر المنتثرة ت ١٨٧ له طرق كثيرة وقال أحمد منكر وقال الدار قطنى والخطيب باطل ورواه البيهقي في سننه من حديث أنس بلفظ من ألقى جلياب الحياء فلا غيبة له وقال في إسناده ضعف وضعفه أيضاً أبو الفضل السليمانى وفي الشعب من حديث الجارودي عن بهز بن حكيم السابق ذكره عن أبيه عن جده متى ترعون عن ذكر الفاجر أهتكوه يحذره الناس. وضعفه وقال الهروي في ذم الكلام هو حديث حسن ثم ساقه من طريق أخرى عن بهز بلفظ : ليس لفاسق غيبة.

(٧) زيادة من أسفل الصفحة.

وقطعا من مواشيهم، وأدخل مديرهم السيد يحيى الهَجُوة، بعد أن آلى على نفسه لا يدخلها ما داموا فيها فسبحان المذل لهؤلاء الذين أخافوا العباد وبغوا في الأرض الفساد.

وفي هذا الشهر رجب سنة ١٣٠٧ تَفَضَّلَ الله الكريم سبحانه على عباده بالأمطار المتكاثرة في فصل الربيع في شهر شباط الرومي آخر سنة الرومية، وردوا عليه ثمرة زائدة دثا^(١) بلسن وسقله^(٢) ولولا أنه تفضل سبحانه على العباد بذلك لما قد نال الناس فيما سبق من الشحة^(٣) والغلاء لذهبوا فله الحمد كثيراً وله الشكر بكرة وأصيلاً.

وفي ثاني وعشرين رجب وصل الوالي، وقد مرَّ على أنس وضوران، وخرج إلى اليمن، ورجع إلى يريم وذمار، وصل صنعاء على اثني عشر يوماً، فما أشحذ همة هذا، وما أسرع سفره، وأتم أمره وقيل أنه عارف بطريقة السحر والكهانة، وإن له في ذلك اليد الطولي، منها ما ذكرناه أولاً من أنه أرسل على البليلى وحده يخلص بلاد خولان جميع إلى حدود الأعروش وبني شداد، ولا أحد قدر يقل شيء، ومنها أنه أرسل تركي فرد وحده إلى بلاد الحدا يتخلص، وأجاب عليه التركي كيف أعزم إلى بلاد الحدا، والحدا تحتاج طابور عسكر ومدافع، قال أنت مأمور أعزم أخبره بما أخبرتك وهم يسلموا، فعزم إليهم بما أخبره، فما وسعهم غير التسليم بعد أن كان ينهبوا ويقتلوا ويقطعوا الطرق، حتى أن البخيتي كبيرهم لقي سيدي علي بن المهدي عبد الله وأراد ينهبه، وسيدي علي خليفة طالع^(٤) من يريم، فما وقع إلا رهن عنده ابن الوزير حقه عبد الرحمن محافظ فيما ادعاه، ويدل على ما قيل فيه إنه من حين وصل سأل عن المفلسين^(٥) وكان يختلي بهم، فذا لا شك دجال من الدُّجاجة حق آخر الزمان الذي أخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان هذا عقوبة آل محمد البررة الأخيار فهذا بذاك ولا عتبان على الزَّمن.

وفي سلخ رجب حبس الباشا السيد يحيى بن أحمد الهَجُوة مدير خولان، وقد هرب من صنعاء، وبعد خروج الشيخ علي البليلى إلى خولان أدخله معه وأمن له،

(١) دثا ثمرة زائدة في الربيع في غير وقته.

(٢) نوع من الشعير.

(٣) قلة الأمطار.

(٤) طالع.

(٥) كذا ولعله المسفلين وهم المخبرون بأمور الغيب والتنجيم ونحوه.

فلما وصل صنعاء حبس، ومضى الباشا إلى محل العسكر الضبطية المسمى الكاوش، وطلب مشايخ سنحان المحبوسين هناك، وأغلظ لهم الكلام، وتهذّدهم بكل أمر مخوف، لأجل أنهم ما ختموا^(١) على ما يريده، مثلما ختموا مشايخ بلاد البستان، أجابوا عليه: ما نقدر في الرعية نَجِرُ^(٢) منهم هذه المطالب الشاقة، وإذا ختمنا أجابوا علينا الفرعية أن أحنا نسلم الظلم مثلما ختمنا فيه قال لهم: لا بد من ذلك، فختموا على الباطل، والله أعلم ما يكون.

وفي غرة شعبان وصلت أخبار من الحديدية، أنه وقع في بُندر عدن مطر وريح ما يعتادوا مثل ذلك، حتى ذهب نحو مئة بيت وثلاثين، وقيل بمن فيها، والله أعلم بالصحة، وأخبار أخرى، أنه وقع أعظم من ذلك في الهند، في سرّات^(٣) وجهاتها، وأخبار أنه وقع في اسطنبول برد، البردة مثل السّفرجلة شيء كثير، وذلك آيات الله يخوّف بها عباده^(٤) نسأله اللطف فيما قضاه علينا بحوله وطوله آمين /.

وفي شهر شعبان سنة ١٣٠٧ أشعرت قبيلة همدان بالفساد على الدولة بسبب كثرة مطالب الباشا المذكور المسمى الفقيه، ولعل بعض القبائل أغروهم، وتقاعدوا جميع على الفساد، وأرسل الباشا ناساً يفاشلوهم ويخوفوهم، منهم السيد محمد الشويح كبير همدان، وأدخلوا ناس آخرين غير المتصدّرين للفساد، والباشا خلاهم وشأنهم، والله أعلم ما يكون، إلا أنه أخرج من القصر نحو ثلاثة آلاف قدح حنطة للطحنة، وكلفوا اليهود يطحنوها^(٥) في ثلاثة أيام، وصاروا الذميين يجأروا بالدعاء من شدّة الظلم الذي نالهم، لأنهم داخلين في أوائل عيدهم المسمّى عيد الفطير.

ومن شدّة ما شهر من الظلم ما تجمل في الحساب، عند أهل بني بَهْلُول، وليس عندهم له في الخارج وجود وغيرهم مثلهم، وأكثر، وليس عند أحد شيء من ذلك، إنما على حساب الباشا والمخلصين بني بَهْلُول مئآت تسعة وأربعين مئة قدح.

ومنها قرية عناقه ثلاثة مئة قدح، والحاصل عندهم في قريرتهم زكاة ثلاثين قدح (فأين السّما من يد المِتّوَل^(٦)) ولكن أخرجوا لها تخاريص وأسماء عجمية منها

(١) ما وقعوا.

(٢) سحب (ناخذ).

(٣) سورة مدينة في الهند.

(٤) خ نسله.

(٥) خ يطحنونها.

(٦) المتناول. وهو من الأمثال الدارجة ورد في شعر القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأنسي المتوفى سنة ١٢٥٠.

(الصَّرفية) الصَّرف المتعامل به اثنين وخمسين زلطة وحقهم عشرين قرش زلط مربوعة وقصَّ ثمانين زلط، ومنها اسم آخر (سقنطه) وهو أنه يلحق كل ريال ثمن ونصف الثمن، وكذلك في الطعام، مثل النقد، وكلهم مخلصين للعرب والعرب مخلصين لبعضهم البعض.

وأما قوله بالرضا فما جاء به إلا هذا الوالي، ولكنه ضَرَّ بالخلق، صار الرُّطل البرقوق^(١) بزلطة خمسين رطل بقرش الخبشة^(٢) تصح في قرش ونصف، ورطل شركة^(٣) بسبع زلط على حساب سبعة ونصف بقرش إسم، وإلا فالسُّرْقُ^(٤) أكثر وعدم إبعاد العظام حسب العوايد، فما تصح إلا ستة أرطال بقرش، والسبب الرضا، وأجاب لي بياع^(٥) البرقوق واحد أصله جزار في سوق الملح، أنه مبيع للمشتري الرطل بزلطة.

ونُصِبَ الأوجَه سيدي عبد الرحمن بن يحيى زيارة ونحن داخلين نُصلي عصر^(٦) في المذهب^(٧) والحل أن قد هوزمان خير دفع الله بهذا الخير؛ شر هذا^(٨) الذي قال للفلاحين بالرضا فلو عاد السُّعر مثل العام الماضي، الله يعلم لكانت القاضية على الضعفاء والمساكين، لأنه ما مقصوده إلا المغالاة المفرطة، ولا ضبط على أحد، فعجزه الله وخيَّبَ أمله، ويسط للناس الخير الذي لا قد عهد منذ إحدى عشرة سنة من سنة ١٢٩٥.

وهذه السنة سنة ١٣٠٧ وصلت الدُّرة قَدَحِين ونصف بقرش، ومنها قدحين وربيع، ومنها قدحين الطُّيبة، فيما سبق في الصُّراب السعر دون هذا النصف والثلث، ولكن تكاثرت الأمطار في الربيع والصيف، حتى صار ما ذكره الله الحمد في كل لمححة^(٩) ونفس عدد ما وسعه علم الله. وأما الحنطة فباقي على سعر

(١) المشمش وأصل اللفظة من اليونانية أنظر معجم أسماء النبات ١٤٨

(٢) وعاء من آدم كبير.

(٣) لحمه.

(٤) أي المسارقة مخالفة القانون المقرر.

(٥) بائع.

(٦) أي نصلي صلاة العصر.

(٧) مسجد انظره في معجم البلدان الملحق بالكتاب.

(٨) أي الوالي.

(٩) خ لمحت.

الصُّراب^(١) والسبب أن عمل الترك فيه البر نصف قدح وثمان، والشعير قدح ونصف وثمان.

وفي يوم الربوع حادي عشر شهرنا رمضان سنة ١٣٠٧ وقع صاعقة أخذت زَغِيرَةً^(٢) قضاض من صومعة موسى^(٣) وجرت غربي أخذت الخشب حق السلك في طريق عصر مما يلي المِصْبَانَة من شرق وغرب، حتى قلبتهن مثل الميازيب^(٤) أخبرني الثقة المشاهد لهن، وشاهد الترك يوم ثاني أخرجوا يُعَوِّضُوهُنَّ^(٥) ولعلهن تتابعين صاعقات أخرات الله أعلم هن تعاونين^(٦) على الخشب أو صرفين إلى محل آخر، ولكن الخلاف في قدر الخشب الذاهبات، أخبرني الفقيه علي بن علي الحارثي أنهن سبعين أخبروه القبائل وأخبرني القاضي الثقة على ابن محمد العمراني^(٧) أنهن نحو عشرين لأنهم خرجوا يوم ثاني إلى عصر يغرزوا^(٨) / المخضر حق الوقف.

وفي عشرين رمضان أرادوا ناس من بني بهلول يفعلوا لهم صِيت^(٩) عند القبائل حيث قد سمعوا أن همدان أهل الجاهلية مفسدين الذين شيخهم دودة، فعزموا بني بهلول على أن يبنوا لهم إشارة، وكان المدير يعني العامل عليهم سيدي حمود بن غالب، وخرج هو وإثنين خيالة معه يتخلصوا منهم ما هو^(١٠) للدولة، فقام منهم رجل وعضدوه آخريين، ضربوا ذلك الخيال، وما رجع إلا مغور^(١١) على العامل سيدي حمود، ولعل الشيخ حقهم يريد يوقعهم في الشبكة «...» فأرسل العامل والشيخ إلى صنعاء وخرجوا نحو ثلاثين نفر، ووصلوا إلى المحل، قبضوا القبائل، وذبحوا أغنامهم وأكلوها، وأخذوا من أدوانهم^(١٢) وكتفهم رباط وأدخلوهم مربطين نحو ثلاثين، وفرحوا بذلك الأتراك، وحصل معهم من شدة الكبر

(١) هو حصاد القمح.

(٢) صغيرة قطعة.

(٣) من مساجد صنعاء سيأتي في الملحق.

(٤) جميع ميزاب معروف.

(٥) يبدلوهن.

(٦) كذا.

(٧) هذا الاسم ضرب عليه المؤلف بالمداد الأسود.

(٨) يغرسوا.

(٩) هذا اللفظة تقري المخضر المخفر.

(١٠) الذي.

(١١) غائر.

(١٢) ملابسهم.

الإشراك^(١) وخرجوا في رابع وعشرين إلى طرف السر وأول نهم إلى محل قرية يقال لها بيت العنب، بسبب أنهم أظهروا الجيعال^(٢) بغير سترة^(٣) ونهبوا البدو من المشرق يسافروا بالملح، فخرجوا مثل الأولين نحو أربعة خيالة ورجالة، فهربوا بيت العنب فنهبوا بيوتهم، وأخذوا من مواشيهم، وأحرقوا بعض البيوت ورجعوا يوم ثاني، فهذه عاقبة الذنوب وإلا فالذين ييخرجوا ما يجوا مثل طشة^(٤) في بحر، ولكن الذنوب سواقة، والعقوبة من جنس الفعل، والله في خلقه نظر^(٥) ولعل الفترة كائنة والأسباب متفاتحة للأبواب، بلغ من العدل المختبر المتأخم لأهل المظالم: أن ناس من أرحب طلوعوا إلى حضور في خواتم^(٦) رمضان، وجلسوا عند الشيخ فلان شيخ القلاض، قتلوه غيباً، وميت مات، وقد عرفنا أفعال هذه الدولة ورقمناه^(٧) بمعناه، إن كان الحق لهم فلو كان يسيراً، بل لا قيمة له، تبعوا فيه وأخذوه وشطرا من مال من كان اليسير لديه، وأن كان بعد دهور وأزمان، وإن كان فيما بين العرب فكأن نجم إذا غرب سواء في مال أو عرض، أو نفس، وكم قد فات وذهب في هذه المدة اليسيرة، وفوق هذا إجماع المشتكي بغريمه تغابوا^(٨) وأخذوا ما بقي في يده، وتغابوا سرّ وارجع أتوقع^(٩) الشهر والشهرين، والعام العاملين، وفيما بين ذلك أن دخل سلب، وإن خرج نهب، فتقطعت بذلك الأسباب، وضاعت قلوب أولي الأبواب، وفاتت أموال الجلاب أن تفلس أحد ما حكم عليه، وإن سرق سارق فلا أحد عليه، وإن زنا ولاط، فلا بأس عليه، وإن المفعول باقياً لديه، فسبحان الحلیم الذي لا يعجل على من عصاه، وخالف الكتاب والسنة حيث مرجعه الله سبحانه/وتعالى .

وفي يوم عيد الفطر قطع الوالي العرضة المعتادة عند البوش السابقين وخرج صلى في البكيرية حسب عادتهم، وطلعوا الأعيان من الناس، والسادات والعلماء يسلموا عليه وكلما وصلت جماعة إليه رفع من لديه.

ويوم ثاني العيد خرج إلى العرضي، وخرجوا المذكورين عالم وجاهل وسيد،

(١) الشرك بالله.

(٢) العناد.

(٣) قدرة.

(٤) القطرة من المطر.

(٥) خ نضروت.

(٦) أواخر.

(٧) كتبناه.

(٨) ادعوا الغباء.

(٩) انتظر.

وفعل العَرَضَةُ المعتادة في يوم العيد، في العرضي ودَعَابِهِمْ وفَوَّتَحَ لهم حسب عادته في كل موكب معهم، السيد العلامة والبدر الفهامة سيدي أحمد بن محمد الكبسي وأَمَّنُوا جميع المذكورين على دعائه، وجرت المدافع جميع، والخيل جميع، والخيالة العرب، وضربت المدافع لإشعار العيد حسب عادتها، من عصر الوقفة إلى ثالث العيد عند كل أدان إحدى وعشرين ضربة، ووقع العيد والصوم عند المخالف والموافق في يوم واحد من غير خلاف ولا شك.

وفي ثامن شوال أرسلوا الدولة العمال يأتوا بالجمال سخري لأن الوارد إلى صنعاء ما يكفي، فخرجوا سَخَرُوا القبائل، وأتوا بالجمال، وأخبرني حسين بن محمد أن قرية الجحشي زاد جَنَبُوا في إثنين جمال لم زد وجدوهن، فاحتاجوا دخلوا يستكروا من صنعاء من جمال العصارين جملين بخمسة عشر ريال حجر، وهذا من شدة التسليط على العرب، فوق كل مطلب، وقيل سيعزموا تعز وقيل هَمْدَان وأرحب، والله أعلم ما يصح.

ويوم ثاني سَخَرُوا البهايم جميع حق أهل صنعاء والقشامين والقبائل الواصلين بالجلب^(١) إلى صنعاء من كل شيء، ولم بقي شيء، والذين علموا قبل دخولهم المدينة تَحَيَّرُ^(٢) في أطراف البراري، وشرحوهن^(٣) خارج صنعاء، وحملوا مجلوباتهم فوق أظهرهم حتى كادوا يهلكوا من التعب، والذين أخذوهن لم عزموا بهن بل بقوهن للجوع والعطش، وما قدر أحد يصال إلى قارشته، والأشرار المعتاشين بالسخري لاحت لهم الفرصة كل من رأوه حَنَجَ^(٤) بقارشته، أخذوا منه دراهم كبيرة، وكل من بينهم وبينه عداوة سببوا عليه وعزموا^(٥) له إلى بيته وأخرجوها قهراً، حتى أنهم كانوا يسيرون إلى عند من يعملوا أن معه قارشه^(٦)، جاؤوا يبايعوه فيها، ويغتلبوا له ثلث ثمنها زيادة، ويأخذوها سخري، نسأل الله اللطف فيما قضاه، وآخر الأمر أرسلوا أعوانهم إلى حدود سَنَحَانَ والروضة وباب المنجل، وأخذوا القراش من البيوت ومن الأموال الذين يَبْشَغُبُوا بها وَيَصَيِّفُوا عليها، وأدخلوها، ومن استفدى حماره وَحَمَلَهُ بالقروش فَلْتُوا، والذي ما معه شيء وصلوا به

(١) الوارد.

(٢) تأخر.

(٣) أودعوهن عند ناس.

(٤) مشفق.

(٥) قصدوه.

(٦) قارشة بهيمة.

عند الترك، وأخذ من البهايم غرتهم^(١) والذي ماله من قدرة أطلقوه من العرضي، وأما البغال والجمال، فأخذوها جميع ذلك بما قدمت أيديهم^(٢) وإن الله ليس بظلام للعباد، وجر الزبطية وأترك معهم إلى الروضة أخذ القرأش حقهم قهراً، والذي ما فتح لهم بيته هم يأخذوا مرادهم بكسر باب بيته، منهم أحمد بن القاضي عبد الله السرحي، كسروا^(٣) باب بيته في الروضة، وأخذوا^(٤) بغلته، ومنهم أبي عبد الله فآخر بل أنهم زد ضربوه^(٥) على حقه [و] بيت العزي بن القاضي/أخذوا قرأشه، وأهل البوادي القريبة كل أحد تخبي، ناس بين المال، وناس^(٦) في الجبا^(٧) وناس سرحوا له إلى بين ماله وحطوا من فوقها آلة^(٨) الزراعة، وخلوا أهلها يفرّوا في البر مثل الظباء^(٩).

هذا في عاشر شوال، ولكنها أزال أجاب الله دعاء الضعيف، ما جاء يوم سادس عشر إلا وقد وصلت أخبار متواترة أن ابن الأحمر صاحب حاشد، غزا إلى حصن غفار من بلاد حجة، وأخذ أحد الأتراك الكبار وأصحابه من الزبطية، وقيل وقع من المأخوذون قتلى^(١٠) وسار بهم نحو بلاده، وأخذ سلاحهم، ولعله هذا ابن الأحمر [هو] الذي أخذ قايم مقام^(١١) فيما سبق، وساقه إلى الإمام السابق المتوكل على الله المحسن بن أحمد وبقي عنده أيام، وأفاض عليه المتوكل كل الأنعام، وعمه إحسانه والإرغام^(١٢) وبعد أيام أطلقه، ووصل إلى صنعاء، وكان الباشا فيها مصطفى عاصم، فكان يسأله عن أمر الإمام فما كان يجيب. إلا أنه ربي نبي فيعيروه ويتفلوه ويرجعوا يسألوه فلا يجيب إلا أنه ربي نبي.

وفي خلال ذلك تقدموا من ذمار أترك آخرين على قريتين في بلاد عنس

(١) أفضلهن.

(٢) خ أيهم.

(٣) خ كسو.

(٤) خ أحد.

(٥) خ ظربوه.

(٦) خ. نا من غير سين.

(٧) سطح المنزل.

(٨) خ آلت.

(٩) الضبا.

(١٠) هنا قدر كلمة بيض لها المؤلف.

(١١) أحد ضباط الأتراك.

(١٢) كذا ولعله الأنعام.

الهجرة وحوار وأخذوا ما فيها، وباعوا الطعام بأرخص من ثمنه الثلثين وقيل^(١).

وفي ثامن وعشرين خرجوا الليل أتراك كثير يريدوا الغزو على أبي دودة شيخ وادعة همدان.

والصبح خرج الباشا وكبار الأتراك، وأهل المجالس، وأعيان من العلماء ورؤيس العلماء السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي، ونصبوا الخيام يودعوا الحجاج وأجاء مولانا العلامة الرئيس في ذلك اليوم بالدعاء للسلطان عبد المجيد ابن عبد الحميد خان خادم الحرمين الشريفين، وبعد دعائه قام الأمير، على أهل الحجاز السيد محمد غمضان، ودعا كما دعا الرئيس، وأكثر الحجاج عزموا الحجاز^(٢) خوفاً مما نالهم العام الماضي، وأكثر الحجاج، عزموا قضاء عما عليهم حيث أرجعهم النصارى في العام الماضي، وهم نحو خمسة عشر مئة، وقد كان نفدت عليهم الفلوس المأخوذة، فبعضهم باع ما يملك، وبعضهم أعانواهم أهل الإجارة^(٣) وبعضهم توكل على الله بالشيء اليسير، ومنهم ناس باقين في مكة من العام الماضي، وهذا كله بسبب قوة النصارى، وضعف الإسلام بضعف أركانه، وما صار منهم طريق البحر إلا اليسير خشية من التعسير والكرتان^(٤) الضير^(٥).

والذي غزوا ابن دودة ليلة ٢٢ شوال ما أذن الظهر إلا وقد رجعوا صنعاء لأنهم ما وصلوا عنده إلا وقد أنذرتة رسايسة، ف ضرب النكف في تلك الحال، وأشعل النار فما نجحت^(٦) النار إلا وقد امتلأت القرى من المغار^(٧) أسرعوا الغارة إليه، وكل أحد طلب الثار من العجم بما قد صار في كل قبيلة من العار، فلما ظهر^(٨) للعجم ذلك توالوا^(٩) أن لا طاقة لهم بما هنالك، فقالوا ما نريد إلا صلاح العباد ودفع الشرور، ودخلوا بيت الشيخ، وقد كان شرد، فلم يجدوه، وأخذ بعض أشياء من بيته فأمرهم كبيرهم بإرجاع ما أخذوه، فأرجعوه، ورجعوا على الفور، ما أذن الظهر

(١) فراغ بيض له المؤلف قدر نصف سطر

(٢) خ حجاز.

(٣) المؤخرون لهم للحج.

(٤) هي الكرتينة.

(٥) الضار.

(٦) انتهت.

(٧) كذا ولعله المغاوير أو المغارين.

(٨) بان.

(٩) اتفقوا.

إلاً وهم في صنعاء، ولو رأوا أنها لهم لما عذروهم من النهب والقتل، والأسر، ولكنهم رأوا أن الدائرة تكون عليهم، والقبائل قد كان أضمرُوا العيب، وكمِنُوا بعيداً من القرى، ونيتهم متى ذهب النهار، وأقبل الليل أقبلوا كالجراد المنتشر، وأحاطوا بالعجم إحاطة العصاة بالرأس، فدفع الله الشرور، وسلم الجمهور، وسكنت الأمور/ ورجعوا كما ذكر آنفاً والله يصلح الشأن/ ويقيم الحق ويهلك أهل الشأن.

ويوم رابع وعشرين وصل من اسطنبول رَفِيع^(١) المشير المذكور بخلاف كل مأمور من البوش، فإنهم يقيموا سنتين حسب القانون حَقُّهم، وهذا سنة واحدة، فما ذلك إلا أنهم ضاقوا منه أكثر الأتراك لأنه عزل منهم خلق^(٢) وبُذِلَ وَحُولَ، وظن أنه عن أزال لا يتحول، فسبحان الدائم الذي لا يزول، وما هي إلا بركة المدينة، وبيان ما فعله مع الموتى، وبرهان، فإنه أمر بإجلاء ما بين العرضي الغربي والشرقي قبلي السُعدي^(٣) وأخلوا آثارها، حتى كأنها لم تكن مقبرة، وحفروا في شرفها ساقية غريقة^(٤) قدر قامه، وأخرى في قبليها، واثنين وسطها من باب العرضي الغربي إلى باب العرضي الشرقي، قدر فوق القامة بذراع، وجعلوا في تلك الأخاديد غرائس^(٥) سَيَّال^(٦) وأثل وتفجرت جميع اللُحود حتى الأموات في القبور، وكلما أجروا الماء لتسقية الغرائس، دخل إلى اللُحود، وحال النيش لتلك الأخاديد ظهرت للأحياء المارين بقية الأكفان والعظام والرؤوس والأيدي والأرجل في اللُحود، واغتمت لذلك القلوب، واقشعرت لما هنالك الجلود، حيث وصل ضَرَّ الأتراك إلى العظام الرمام^(٧) وأكثر القبور أخذوا أحجارها، وأما المقبرة السابقة التي شرقي وهب وعَدَنِي السجزة، ومسجد النور^(٨) الدَّاخِلَات في صنعاء إلى ما يحاذي بئر سكره، ولكنهن خلف الدائر من داخل والمقابر من خارج، ولكن مع ما قد أحدثوا في وهب ما وقع تخدود المقابر إلا في المدينة، وإلاً فكان وهب محل الجذمان من عهد بيت القاسم، وكان فيه بور^(٩)

(١) عزله.

(٢) يقول المؤرخ العقيلي عن سبب عزل عثمان نوري أنه لم يكن ضليعاً في جمع ولاية الأتراك باليمن وقد لقب بالفقيه لتدينه وكثرة صدقاته فلم يرق عمله لبقية رجال الدولة ورأوا فيه القضاء المحقق على مآربهم ومصلحهم فرفعوا مضبطه إلى الباب العالي بأنه ضعيف إرادة سيء الإدارة لا يصلح لولاية اليمن فكان عزله سنة ١٣٠٧ (مخلاف ص ٥٣٣).

(٣) هو مما يلي الصافية من الجهة الجنوبية لصنعاء وكانت أكثرها مقابر.

(٤) عميقة يعرق الإنسان فيها.

(٥) مغروسات.

(٦) شجر معروف.

(٧) الرميمة.

(٨) سيأتي في المعجم.

(٩) جمع بئر معروف.

وديام^(١) ومساكن من بيوت صغار وغيرها، وكان لهم تقارير^(٢) وقيمين^(٣) عليهم بمحتاجاتهم، وصار (وهب) الآن عرضي محل للعسكر والمدافع وبساتين، وما حوله من المقابر، صارت طرق ولم بقي للمقابر أثر، حتى كأنها لم تكن، وهذه المحدثات الآن المذكورة أعلا صارت خالية الأحجار، ولعلمهم قد سيبدعوها بساتين وقد بدعوا بالغرس المذكور، وقد بخشوا^(٤) بئر، عدني نوبة المدفع، خارج باب اليمن بدعت لتلك البساتين.

[وفاة الإمام شرف الدين رضي الله عنه]

وفي نهار الأحد ٢٧ وصلت الكتب من مدينة صعدة من الحصن حق السُنارة قضت ب وفاة مولانا أمير المؤمنين. وسيد المسلمين الهادي لدين الله رب العالمين رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار، فلقد أجاد وجد، واجتهد وجاهد العرب والعجم، وأذاقهم سوء العذب، ودمرهم تدميراً، وكان وفاته يوم الأحد ٢٠ شوال سنة ١٣٠٧، ونقل إلى المدان من بلاد الأهنوم لعله بوصية منه، وقد كان السيد إبراهيم الهاشمي ذكر أنه سيحفر له في مدينة صعدة جنب قبر الهادي يحيى بن الحسين رضي الله عنه /.

[هذا الصفح خليفاه بياض لثريّة الإمام الهادي رحمه الله]^(٥).

/ووصلت الكتب إلى صنعاء يوم الأحد سابع وعشرين شوال بالخبر، وما أجمع عليه من كان حاضراً عند المرحوم، وهم الأعيان من السادة والعرب، منهم السيد العلامة العماد يحيى بن قاسم عامر، صاحب الأهنوم، والسيد العلامة الصفي أحمد بن قاسم حميد الدين^(٦) والسيد الصارم إبراهيم الهاشمي، والسيد الضرغام الحسين بن علي دولة صعدة، والعلامة الفخري عبد الله الشماحي^(٧) صاحب ذمار

(١) منازل صغيرة تخصص للحراسة وغيرها

(٢) مقررات.

(٣) قائمون.

(٤) بخش البئر: حفرها.

(٥) كتب هذه الجملة ثم ترك الصفحة فارغة لإثبات ثريّة الإمام ولم يكتبها ولعل الأجل باغته أولعله لم يقف على الثريّة فإنه عاش بعد هذا التاريخ نحو عشرة أعوام.

(٦) من مشاهير عصره ولد سنة ١٢٧٧ وله مع أترك جولات توفي سنة ١٣٥٣ (تحفة الإخوان ص ٥٢).

(٧) هو القاضي العلامة عبد الله بن أحمد الشماحي ولد بدمار سنة ١٢٥٣ وهاجر إلى صعدة مع الهادي وقام بالتدريس في شهره توفي سنة ١٣٢٦ (انظر أئمة اليمن ج ٢ ص ١٣٤).

والسيد العلامة الزاهد الفهامة محمد بن عبد الله الضحّياني، وسيدي سيف الإسلام العزي محمد بن الإمام المنتقل إلى دار السّلام، فأجمعوا الجميع على الإرسال لسَيّدي البدر محمد بن يحيى حميد الدين، فلما وصلت الكتب إليه وعَوّل بعض المؤمنين عليه، فنهض من حينه، وتوكّل على الله سبحانه ناصره، ومعينه، فعزّ صبح الإثنين ٢٨ شوال، وبقي ذلك اليوم في شعوب، وقد شغفت بحبه القلوب، وتحدثت بذكره جميع الناس، وزال عنهم ما كان بالأمس من الأبلّاس، وما بقي هناك من شعوب إلّا تسترّأ من أهل البغي والنفاق والعصيان والشقاق، وعزم على بركة الله مفوّضاً أمره إلى الله صبح الثلوث بعد صلاة الفجر إلى غولة زندان، وأمسى ليله، وعزم إلى بيت الصّباحي، واجتمع هو وعقال أرحب والقاضي محسن العلفي، وعزموا معه جماعة من العقال في أرحب، منهم الحاج شريان مرح، ومن بيت الهجّام وغيرهم، ووصل إلى الحرف، وعرف الناس بما في النفس، وتلاحق معه من أرحب نحو سبعين نفر، ووصل إلى الصّفرا في بلاد صعّدة، لكنها ترجع إلى قبيلة وادعة همدان بن زيد، وأقام بقية يومه، وقد سبقت منه الكتب إلى حصن السنارة محل أولاد الإمام السابق، ولقيوه يوم ثاني ملقى كبير ببقيّة قبيلة وادعة إلى محل يقال له آل عمار من تلك القبيلة، ومعهم خلق من سحار، وبعض من سفيان والجبل، وأركبوه على فرس سَيّدي محمد الإمام الهدي المسمى الثريا، ورجعوا بالجمع الغفير والسرور الكبير، ولم أسعدهم يدخل معهم الحصن لشيء في نفسه وبقي في محل يقال له بيت الزنّامي، وبقوا يختلفوا إليه جميع الناس أرسالا، وكتب إلى جميع الجهات الأربع شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً، يريد جمع العباد ولم شعّتهم وجمع كلمتهم وإبطال أهل الشقاق، ونفي أهل النفاق، وكتب إلى برط إلى سَيّدي العلامة العزي محمد بن قاسم الحوئي بالوصول لجمع الكلمة، وعدم الفرق، ولتكون كلمة الله هي العليا، ولفتح باب الجهاد الأكبر، وهو جهاد العجم وكان وصوله إلى بلاد صُعّدة سابع شهر القعدة سنة ١٣٠٧ ولما وصل إلى محل يقال له (الخائق) راجع إلى قبيلة وادعة همدان، وبقي هنالك ذلك اليوم، ويم ثاني وهم يختلفوا إلى عنده، وأجمع رأيهم على أن يفسح لبعض أصحابه، ففسح لهم، وبقي قدر ثلاثين في ذلك المحل، وطلع الحصن محل الإمام الهادي رحمه الله هو وولده/ سَيّدي العماد^(١) ولعل حب الدنيا العاجل داخل الجماعة السابقين، مع ما قد بيدهم من سحار من الهجر، فلم أمكن يقبّضوه بيوت الأموال، بل أنه استقرض من بعض المؤمنين نحو مئتين قرش حجر،

(١) هو الإمام المتوكل على الله يحيى. فيما بعد.

وقد كان بيده من الحرف قدر مئة ريال على جهة القرض، الذي كان ينفق له ولأصحابه في الطريق، وعند وصوله ولعل أن زوجة الإمام الهادي الذي بيدها كل شيء هي (المخربة) للأولين والآخرين، وأما سيدي العزي محمد بن الهادي الإمام، فلم يظهر منه خلاف، ولكن يقال في المثل (من روحه بيد غيره مات معذب) ويقال (المخرب غلب ألف عمار) هذا ما ظهر بوصول المخبر الثقة في يوم عشرين القعدة.

وفي يوم ٢١ القعدة عزم من صنعاء المشير المعزول في شوال، ولعله أحسن من غيره بأمور ظهرت، وهو عدم المجاهرة من الجند بالفسق، ومحافظة على الصلاة إلا أنه مَحَق^(١) المدينة لما أرخى العنان للسوقة أن كل أحد يبيع بضاعته برضاه، وصنعاء المحمية بالله لم يصلح فيها إلا ما وضعه بيت القاسم بالتسعور^(٢) والمفاقدة والانتباه على أولاد السوق وزجرهم وضبطهم وتأديبهم كلاً بما يليق به، ولكن الله يفعل ما يشاء ويختار.

وفي شهرنا القعدة ظهرت الجراد، وبقيت أياماً متتابعة وهي مترادفة، ولكن الله سلّم الثمار القيّاض^(٣) قد رُوّجوه^(٤) والذرة الكبرى^(٥) سلمت والصغرى فعلت قليل، وما غير الله حال في خوض الطعام مع البسط، والأمطار المتكاثرة في أول السنة وإنما المخضرات مثل القضب وجميع أنواع الخريف، فعلت اليسير في الثمرة البلس^(٦) والفرسكة^(٧) والعنب، وغيره، وأما الورق فأخلت جميع الورق في كل ثمرة حتى أنك ترى الشجرة ما عاد فيها شيء من الورق إلا حبوب والكسوة والريش، وبعد تغيرت الثمار ولحقها التغيير والنقص، وليقضي الله أمراً كان مفعولاً. ويرى عباده آياته وعدم رجوعهم إليه ولزوم بابه نسال الله يلطف بنا في قضائه.

ويوم الخميس ثالث وعشرين القعدة، وصل الباشا إسماعيل حافظ^(٨) الذي سبق ذكره، وكان قد تولّى اليمن سابقاً في سنة ١٢٩٦ ووصل قبل الظهر في موكب

(١) أفسد.

(٢) بالتسعير.

(٣) موسم الثمرة.

(٤) باعوا بأسعار رخيصة.

(٥) خ الكبير.

(٦) هو التين.

(٧) الخوخ.

(٨) هو إسماعيل حافظ حفي أحد ولاية الترك على اليمن ومؤسس الحميدية توفى بصنعاء سنة ١٣٠٩ (أئمة ص ٩٤).

عجيب، وسرُّ بوصوله خلق كثير لا سيما النَّصارى الذين في صنعاء، فإنه يظهر من أمورهم، ولم يمكن أحد من البوش يسانعهم^(١) ويخلي بينهم وبين ما يريدوا في المدينة من أجراء قوانينهم، وإظهار فواحشهم، وأظهروا له زينة كبيرة في أسواقهم وأذهبوا^(٢) الأثل حق الملاك أهل صنعاء، ولكل زينة يفعلوا ذلك قطعاً، ودخل إلى الخيمة المنصوبة في عصر، وقد كانوا مراعين^(٣) له فيها أهل مجلس الإدارة والرئيس، حق العلماء والنظار، حق الأوقاف، وضربت في باب الخيمة النوبة والطبول والمزامير للأتحاف، ولم ينكروا على ذلك كونه لم قد وصل الباشا، عادة في النُّقيل، ولكن وقع لهم في ذلك رغبة، وهي شدة المحبة للباشا، لأنه الذي أطلقهم سابقاً من حبس الحديد، وبعد ذلك دخل وأقاموا قليل وتدعى^(٤) لهم الرئيس وداخل في الدعا المجانسة كمجانسة الموافقة، حتى قال أن ولاية هذا إسماعيل لعلها من عند الله كونه/ قد هيه الثالثة^(٥) خرج إلى اليمن، وما قد وقعت لأحد هذه المزية من قديم الزَّمن وما ذلك إلا أن الله قد رضي على العباد، واختار هذا مضمون الدعا، وأما فهو فكثير لا يحصى ولا يستقصى، فله دره من عالم تحرير، حيث يأتي في كل موكب بكلام موافق، فما هو إلا من علم غزير، ومعه - الباشه - امرأة قالوا هي مرَّته^(٦) وراكبه على حصان ويتماشيا معاً، وهي متبرجة غير متسترة وتتكلم من فوق الحصان بكلام ليس لها فيه حاجة، من جملة^(٧) أن حصان الشيخ علي البليلى ركض العبد وتخبَّث فتكلمت الولاية^(٨) من فوق الحصان، وقالت: لعله عطشان اسقوه ماء، ومن قبل وصوله عند الخيام المنصوبة له، كان هو وهي راكبين في العربية معاً، ويتناقلوا. وفيما سبق في ولايته السابقة هي كانت معه، وما تطلع إلى هنا إلا في ولايته وتجلس قليل وتسافر، ولو كانت كما قيل ما تغيب عنه، وتَنَافَرُوا وبعد خرجت من خيمتها، ودخلت صنعاء بوصايفها، ودخلوا صحبتها الخيالة والخدم والمزيقة^(٩) وأكثرتها^(١٠) دولتها ممن له معرفة، ما خلا كبار العرب وأهل المجالس المتسلفين الأباليس،

(١) سانعه داراه.

(٢) أفنوا.

(٣) منتظرين.

(٤) دعا لهم.

(٥) خ الثالثة.

(٦) امرأته.

(٧) أي من جملة كلامها.

(٨) أي الولاية زوجة الوالي.

(٩) الموسيقى.

(١٠) وأكثرها.

وأوصلوها إلى نَعْمَان^(١) ورجعوا من سوق البشامق^(٢). وخرجوا لقيوا الباشا من باب اليمن بالأهبة والمزامير والطبول والبوق وجميع أنواع الملاهي، ودخل باب اليمن، وطلع الحكومة وبعد رجوع إلى نَعْمَان وأُمَّا هِيَه^(٣) فدخلت بموكبها وأهبتها من باب قاع اليهود، وباب شرارة وباب السباح.

وتلك الليلة فعلوا النَّصَارَى زينة كبيرة ورَكَّبُوا البيارق وشرَّعُوا^(٤) السوق من عند سوق الحرير إلى باب القصر بالأثل، والفوانيس والنُّوارات^(٥) واللُّنبات وَخَيَّمُوا وشرَّعُوا الدكاكين بكل ملهى ومَحْرَم، والتصاوير عِيَّات^(٦) وأكثرهن بنات فيا حياهم من باري البرِّيَّات، حيث كل أفعالهم سيئات، وظهر الخمر من تلك الليلة.

أخبرني من هو بينهم ومنهم، وطلع الوالي سلم على النصاري إلى كل دكان، ومر عليهم جميع، وقد أظهروا كل أمر فظيع، وكلا على انفراده وميعاده، وكان يجلس عند كل دكان قدر ساعة، وأذهبوا أموالاً في تلك الإضاعة، فيا خسارتهم وبُئس البضاعة، ولا زالت المزامير والمزيَّقات والشَّبَابات والنوبة إلى أن أكمل السَّلام على أشرار الأنام، والمخربين للإسلام، وشريعة سيد الأنام، وكبراء العرب يتهافتون ولا ينكرون، لأجل حطام الدنيا، فإن كل واحد منهم بالحرام مفتون الله يرزقنا الحلال ويقنعنا من هذا الجنون. ودخلوا الناس في عيد الأضحى، ونَسُوا القيل والقال والإثبات والإمحا إلا أنه وصل تجار أخبروا بِرَبْشَةٍ في تهامة، ووقع معهم فيها نهب وقتل، وأفعال في بعض التُّجَّار والمسافرين، قيل أنهم الزَّرائيق وقيل غيرهم/.

ووصلت كتب ورسائل من صعدة من عند سيدي المولى، وقد تَكُنَّى بالهادي كنية الإمام الهادي السابق، واجتمعت الكلمة لسيدي المالك العلامة العزِّي، وكذلك لسيدي العزي محمد بن قاسم الحوئي، فإن السَّيد القايم أرسل إليه جماعة من أهل صعدة وضحيان، وكتب من لديه في التَّضييق عليه في الجهاد، فما وسعه إلا خَلَعَ نفسه، وتسليم الأمر لسيدي الإمام القائم في هذا الأوان، والكتب والرسائل بالحث على جميع العباد في الجهاد، فلما وصلت ظَهَرَ للأتراك ذلك، فقاموا وقعدوا، وأرعدوا

(١) حارة من صنعاء.

(٢) جمع بشمق وهو الحذاء والكلمة تركية.

(٣) هي.

(٤) أثبتوا الأعمدة في السوق من خشب الأثل وغيره.

(٥) سرج تعلق من زيت وغيره.

(٦) أسواع.

وأبرقوا، وأرسلوا الخيالة إلى جميع الحوازات للجمال سخري إلى عمران، واشتعلت الأرض طولها والعرض، من أخبار سيدي المولى، لما قد نال العرب من الضيق، حتى قيل أن قد هو في حاشد، ولعله لم قد احترك من صعدة لما هو فيه من ترميم الأمور، وإصلاح تلك البلاد، والجمهور، وما أشبه قيام هذا القائم بقيام جدّه القاسم، حين اشتعلت بقيامه الأقطار وتمنوا المنافقين الفرار، ولعل الترك مختلفة أهوائهم ومتشعبة، ففريقاً جروا مجرى إسماعيل باشا الواصل، وبعضهم لم وافق مرامه مرامهم، وحتى أنه قطع معاشاتهم في آخر الشهر، ولم يسلم لأحد شيء، واستنكر الناس منه أشياء منها أنه ركز^(١) البيرق السلطاني المعتاد في كل جمعة وعيد، ولم قد اتفق مثل هذه العجيبة، فزعمت طائفة أنه منافس في أمر النصارى لما يعتاد من فعله وكلام سابقاً وزعمت طائفة أنه ظهر أن ما ينشر البيرق إلا في المحل الطائع وأن صنعاء مفسدة على السلطان كون الدعاة بيخرجوا منها قائم بعد قائم، وأن أهل صنعاء عالمين بذلك ومنافسين فيما هنالك، وفعلوا مضابط وطبعوها بذلك والله أعلم.

وفي يوم الربوع ١٣ ذي الحجة قطع السلك في وسط المدينة، قيل أنهم قطعوه أعداؤه من الأتراك، والله يحق الحق ويبطل الباطل يحوله وطوله.

وفي ٢٤ شهر الحجة، وصلوا ناس من حاشد بطلاب^(٢) من الباشا إسماعيل حافظ، وقد طلب عقاب القبائل، فناس وصل، وناس مطل^(٣) وأما حاشد فالواصلين نحو ثلاث مئة نفر، وما قصدهم إلا المعاش، وهو^(٤) الباشا مقصده المناقضة على سيدي القائم المدعي، وعيال سيدي محسن المتوكل بيتسلم لهم معاش من حين دخلوا العام الماضي، يومنا هذا يسلم لهم سبع مئة ريال حجر، ولعل أحدهم يصل، وحاشد لا بد يستلموا فلوس كبيرة، وما شاء يصح من مناقضتهم شيء، بل أنهم ما يريدون إلا الدنيا، وأما أنهم يضروا السادة فلا، وإنما هي استخراجات أموال الأتراك لشيء يعلمه الله. وأما ابن سعد صالح المتقدم ذكره، فأصلح نفسه عند الأتراك، ودخل عمران ودخل صنعاء بأمان.

وأما سيدي القائم فواجهت/ له جميع بلاد صعدة، وعلماء ضحيان الذين خالفوا الإمام السابق سيدي شرف الدين، وسيدي العلامة العزي محمد بن قاسم

(١) نصب.

(٢) طلب.

(٣) أمطل.

(٤) كذا في المخطوطة والصواب وأما الباشا إلخ.

الحوثي، الذي دعا في برط وتكنى بالمهدي، واجه للقائم سيدي محمد بن يحيى المذكور آنفاً، واجتمعت كلمة جميع الزيدية من صعدة إلى طرف اليمن الأسفل عليه، ولم بقي مخالف، وما بقي معه إلا الأتراك، ومقصده الخروج عليهم، ولكن ثبته من لا خير فيه، وأحبطه في صعدة، ولكن الله يسلطه عليه، فقد عذب أكثر المؤمنين المجاهدين، وصاروا من الباطل نافرين ولا زال يماطل سيدي القائم ويحبطه^(١) ويشبته، وصاروا الآن يقسموا مخلف الهادي الحلال، لأنه تحرى على نفسه رحمة الله، وأوصى بثلاث ما خلف بيت المال، والذي يقسم بينهم القاضي إسماعيل الفضلي^(٢) الذي كان عامل في رازح من طرف الهادي، ولم قد قبض سيدي الإمام القائم من بيت المال إلا شيء يسير وفرقه على المجاهدين في المقام، وكساهم جميع من الخادم إلى المخدم، وصار المقام بالخلق ملآن، الخبازين يخبزوا لمن وفدوا للعسكر، والخدم وسفرة سيدي من بيت الإمام السابق، يجتمعوا فيها نحو ثلاثين أربعين نفر، واستقامت الأمور، وصلحت هنالك أحوال الجمهور، وعمل البلاد جميع السيد محمد عامر مكانته القاضي إسماعيل الفضلي في جبل السنارة، وسيدي أحمد بن قاسم حميد الدين جبل خولان، والغالي^(٣) صعدة، وسيدي محمد بن الإمام الهادي المرجع، ولعله سيبقى في الحصن المعمور بالعدل، حصن السنارة فوق رحبان صعدة، هو وسيدي محمد بن عامر، والله سبحانه يصلح الشأن، ويدفع الشنآن بحق محمد وآله.

ويوم حادي عشر شهر الحجة توفي سيدي محمد بن حسين بن إسحاق من بيت المهدي أحمد بن الحسن صاحب الغراس، وقيل أن القاضي أحسن بن أحسن الأكوع فعل مكتوب صبح موت سيدي محمد بن إسحاق المذكور قبل دفنه إلى ناظر الأوقاف الفقيه أحسن العمري، بأنه يؤصف ولده محمد بن أحسن في ما كان بنظر سيدي محمد بن إسحاق من الأوقاف في سامك وغيره، وهذه عادة الدنيا الأطماع خلّت عقول الرجال مجانين على كل دقة ولون.

وفي يوم تاسع وعشرين الحجة سنة ١٣٠٧ توفي القاضي أحسن بن أحسن

(١) يحبطه. أو يعرقله.

(٢) هو القاضي العلامة إسماعيل بن علي الفضلي الأنسي أخذ العلم بدمار ورحل مع الهادي إلى صعدة وتولى القضاء بخولان وفي جبل رازح توفي سنة ١٣٠٨ (أئمة اليمن ص ٣٠).

(٣) لعله إبراهيم بن عبد الله الغالي من علماء ضحيان كان متبحراً في العلوم حتى أنه سمي طبري اليمن توفي سنة ١٣٢٧ (انظر كتابنا مصادر الفكر الإسلامي ٢٥١).

الأكوع، وخرجوا لتشيع جنازته من صنعاء الأكابر وأصحاب الدولة والقضاة، وكذلك خرجوا من صنعاء لتشيع جنازة سيدي محمد لأنهما توفيا في الروضة، وكانا ركنين من أركان الدولة، القاضي، أحسن كبير أهل مجلس الإدارة ومفتي الحنفية ورئيس مجلس قمسيون^(١) الأوقاف، وحاوي كل الأطراف، وسيدي محمد كبير مجلس محكمة^(٢) الاستئناف مدة عشرين سنة، وكلما عزل قاضٍ إن كان من محكمة الشرعية على قولهم، استتاب القاضي حسن، وإن كان من الاستئناف استتاب سيدي محمد ويأخذوا^(٣) وما هو للقاضي فوق ما لهم.

ولما تيقن سيدي القائم بأفعل المضارين للعباد من أيام من سابق، قلب الكنية، وتكنى بالمنصور بالله لأن الطوابع^(٤) حق الهادي قد ملأت الفضاء بغير رضا منه، ولم تيقن ذلك، ولا صح له ما هنالك من المهالك على كل سالك/.

وفي هذا التاريخ كثر الهرج، والأخبار اضطربت، وصارت شغوف كل أحد يدخن من رأسه من سيدي القائم، حتى كان يخبروا بوصوله حاشد، وتنفيذ المقادمة إلى كل جهة، وحتى نجّل بعض الناس من بئر العزب إلى صنعاء وناس هرب من صنعاء خشية الحوزة، وحتى ألغوا الخطبة للسلطان في قرية القابل مسير ساعتين من صنعاء، وخطبوا للإمام المنصور بالله في عيد الأضحى، ويوم الجمعة في خطبة الغدير سلخ سنة ١٣٠٧ وبعد أرسلوا لهم الأتراك، واختفى الخطيب عبد الرحمن ابن محمد زاهر، وأدخلوا صنوه يحيى زاهر، وهو شيخ القرية، وحبس يومين وخرج وسلموا دراهم، ومن شطارة الأتراك ما زدّ قالوا لأحد شي ولا هدموا^(٥) حد، ولا حبسوا أحد، ولا قد جرى في أحد من الشيعة شيء، ولا تكلموا في ما يملكه سيدي المولى شيء، وذلك من فضل الله وإحسانه بأهل صنعاء لأن أكثرهم شيعة ومحبين «...».

وفي خلال هذه الأيام، والهرج كائن، أرسل الباشا إسماعيل حافظ لقبائل حاشد على ما ذكرنا، وما تمسك^(٦) منهم بضابط^(٧) وقد افتتنوا بعضهم البعض على الدراهم، وقد عزم أكثرهم البلاد، وبقي القليل كأنهم عقال يريدوا أكثر الأموال،

(١) كانه مكتب أوقاف.

(٢) خ محكمة الاستئناف.

(٣) فراغ في الأصل.

(٤) الاختتام.

(٥) أربعوا.

(٦) أمسك.

(٧) بشيء يقرر عليه موقفهم.

لأن الذين قد عزموا ما وصل عند كل نفر إلا نحو قرشين ثلاثة، والله سبحانه يصلح أحوال أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويقيم الحق ويخذل الباطل ويعمي أبصار الظلمة عن المؤمنين ويشغل كل ظالم بنفسه.

وفي سلخ شهر الحجة طلب الباشا جميع العساكر السلطانية إلى ميدان البكيرية والمدافع صحبتهم إلى هنالك، وطلب القبائل الباقين من حاشد إلى هنالك، وأراهم ذلك الحزبة، وبعد خرجوا جميع من باب شعوب، وفعلوا تمشية كبيرة إلى ظهر الحمار^(١) بتلك الأهبة، والمدافع وقصدهم الإرهاب والإرعاد والإبراق، وأن يرى العرب ذلك.

ويوم ثاني الشهر شهر محرم سنة ١٣٠٨ نزل سيل من سعوان ما قد أحد عرف مثله، ودخل الروضة وحصل فيها جمع^(٢) كبير وخراب كثير بيوت، وأما الأغراب فأكثر جدرانها ذهبت، وإلى فوق العيدان تداربت^(٣) حتى أخبرني المشاهد إنها قدر ثلاث ساعات الذي كانت الجدر مثل تعشيرة^(٤) البنادق، وأكثر ما وقع ذلك في الجانب العدني، وأما الغربي فهرب أكثر أهلها إلى عند أصدقاهم^(٥) المتزهين، والذي أخبرني من الذين هربوا بغدائهم عجين، وتركوا كل ما كان ظنين، ونجوا بنفوسهم وذلك في شارع المخالف^(٦) عند الحمام الصغير، وضربت الطيسان للغواير على بعضهم بعض، وقد دفع الله ما هو أعظم، بوصول السيل الصبح، فلو نزل ليل لذهبت البيوت بمن فيها، ولكن لطف الله، وكذلك في الوادي سيول وخراب أعقاب كثير، ولكن ماشي في البيوت، وأما السيول متتابعة نحو وعدين^(٧) ما انقطعت وفي [كل] محل كذلك لأن الأمطار عمت جميع الأمصار، ونزل من جبل اللوز سيل دون هذا، ومضى من صنعاء إلى الروضة نسأل الله اللطف في قضاءه والعافية في بلاه/.

وفي شهر محرم سنة ١٣٠٨ وصل من اسطنبول الجماعة الذين دخلوا يقرؤوا^(٨)

(١) هو ظهر حمير والعامية يسمونه ظهر الحمار يقع في الجهة الشرقية من صنعاء.

(٢) فوضى.

(٣) تساقطت.

(٤) سبق ذكرها وهي أصوات البنادق دفعة واحدة.

(٥) أصدقائهم.

(٦) من شوارع الروضة يقول الخفجي في ذكر هذا الشارع:

ومن مضى من شارع المخالف يلقاه غولى في الظلام ممدد

(٧) الوعد هو الأسبوع.

(٨) أي يدرسوا وكأنها أول بعثة دراسية ترسل من اليمن.

في أقلامهم، وهم عشرة أنفار، والذين رجعوا [في] هذا التاريخ عيال سيدي عبد الله موسى^(١) الذي قتل أبوهم في ضوران وهو في عمل مع الأتراك وقد مات أحدهم ورجع الثاني وابن الضبي محمد، بن الحاج يحيى وابن السيد محمد زبارة وابن عبد الواسع وابن حجر، وعاد ابن سيدي محمد الخباني باقي هنالك يعلم الله ما سبب تحييره، والذين وصلوا قد فعلوهم ياروات^(٢) على لغة الترك يعني واسطة بين العرب والعجم للكلام، وفي ذهنهم مقدمات لقانون النظام ويحكم الله الملك العلام.

وفي نصف محرم سنة ١٣٠٨ أمرو الدولة بإظهار الزينة في جميع المدينة، ويسمونهم قنطسيّة في لغتهم، وفعلوا البيارق، ونهبوا أثل الناس، وما عندهم في ذلك إثم ولا بأس، وألبسوا الخشب بأنواع البندارة والصّحن^(٣) مخيّطات وأسرجوا دكاكينهم والحارات، وأدخلوا العساكر بين العرضي جميع للحزبة، وتأهبوا بكل الأهبة، وضربت المدافع حال الدّعاء، وابتهلوا كل الابتهاال، وأمنوا جميع الحاضرين من الرجال، والذي تدعّا^(٤) بهم رأس العصابة الزيدية، وكبير الفرقة الكبسية السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي، أطال الله بقاه في الطاعة، والعلم خير بضاعة، ورجعوا يلعبون بالخيّل، واجتمعت جميع الفرسان كالسّيل، والباشا إسماعيل وجميع المأمورين كبير وصغير، وتفرقوا^(٥) وفي كل سنة يفعلوا مثل هذا ويخبروا العرب يفعلوا مثلهم، ويزيّنوا دكاكينهم، ويسرجوا، وهذه المرة لم فعلوا أهل صنعاء شيء من ذلك، وأما الأمر فقد أمروهم بما هنالك، ولم أحد فعل شيء، ولكن به شيء والله يحق الحق ولو كره الكافرون.

وفي ثامن عشر، وقع مقتولين في صنعاء اللّيل في سمسة سوق البهايم، ما قاموا إلا وهم مقاتيل أحدهم ذبحاً وآخر طعناً، وهم نيام غدرأ من آخرين، ولم قد ظهّر لا القاتلين ولا المقتولين، وحبسوا السّمسري وسماسرة آخرين.

وفي ذلك اليوم وصلت كتب للأتراك أن ثم قتله فيهم في سوق شرس، سببها وجدوا بندق شيشخان من حقهم مع رجل من بيت قدم، فطلبوها منه فلم يسعد يسلمها، وطلب الثمن منهم الذي سلمه، فأخذوها قهراً فطعن الأخذ لها التركي

(١) هم أحمد ومحمد ابنا عبد الله بن موسى (أئمة ج ١ ص ٦١).

(٢) مفردة ياور، وهي كلمة تركية بمعنى المساعد والمعاون وفي المصطلح العسكري تعني رئيس أركان حرب.

(٣) نوع من الثياب يميل إلى اللّمعان.

(٤) أي دعا لهم.

(٥) بياض في الأصل.

والصُّوت^(١) سَبَرٌ، فقليل راح نحو ثمانية عشر، وقيل أقل وقيل أكثر، وسخر جميع الجمال من صنعاء، حتى حق البدو، وعزموا للغارة يوم ثاني، والله أعلم ما يكون، ولما رأوا أهل تلك البلاد أن لا طاقة لهم بتلك الأجناد وتعذيبهم من العجم على روس الأشهاد، نَجَّلُوا أهلهم وأطفالهم، ورحلوا من تلك الديار، وتعاقدوا هم والبدو على إسعار النار، والمغازي ليلاً ونهار، وبقوا يتخطفوا الطرقات، ويقتلوا العجم وأما العرب فما صار إليهم شيء.

هذا في نصف محرم مفتتح سنة ١٣٠٨ ولم قصد وصل خبر من حجاج بيت الله أهل البحر، فوصل أهل الساحل والحجاز، وأخبروا بفناء عظيم، وأكثره في أهل الشام، وسبب تحيُّر أهل البحر، دين النصاري حبسوه سبعة عشر نهار، ويسموها كرتنة نصرانية، الله ينصر دينه، وكيف حال من قد شاهد تلك المواقف، وذلك الفناء والتعب والسهر، والغربة عن أهله ووطنه، وقلت ما في يده، وعند وصوله إلى الحديدية أو كمران، وقد هوه في آخر جزء من الحياة، لما قد شاهد من الفناء وغيره، ويحبسوه سبعة عشر يوم، ومن مات أخذوا فلسه، وأحرقوا أدياته، وأوجبوا استئناف^(٢) الكرتنة بكل من مات أقماهم الله، ولا قدرة للحجاج وهم/ يشاهدوا بندر الحديدية ونسيم بلاده، ولا يقدر على النهوض، وأكثرهم فقراً ما يتم آخر المناسك إلا وهو سك ويقولون أنها مصلحة في دينهم من المعادة^(٤) فهو خلاف الشريعة قال صلى الله عليه وآله وسلم (لا عدوى ولا طيرة في الإسلام)^(٥) وإذا مات أحد الحجاج في مدة الحبس، يعني الكرتنة أضافوها مثلها واستأنفوها من أولها، فإذا زِدَ حدث موت آخر، وقع ذلك، فلعن الله من خالف شريعة رسول الله، وبعد وصل من أهل البحر نبذة آخر الشهر، وكان فيما سبق قل وصول الأتراك أرض اليمن، وقبل ظهور هذا الدِّين المَكْرَتين، ما يستهلوا الحجاج شهر محرم إلا في حجة أو في مناخة، ونحن ممن حَجَّ سابقاً واستهلينا محرم في حجة وكانت هي البيضاء والمحجة.

وفي آخر محرم قطع السِّلْك في عصر، وأرسلوا لأهل عَصِرٍ وبئر العزب، وجعلوا عليهم الطريق أدب ثلاثة أرباع ريال، والمقصود تعذيب العرب، وإلا فقد كان أهل عصر قبضوا الذي يقطعونه وأدخلوه إلى عند الترك، فحبسوه مدة، وأخرجوه،

(١) أي اشتدت المعركة واستوت.

(٢) استئناف.

(٣) كناية عن فراع اليد.

(٤) العدوي.

(٥) حديث صحيح عن أبي هريرة ونصه «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر».

وما يفوت عليهم مما هولهم، ولو مثقال حبة من خردل، وأما فيما هوبين العرب، فلو ذهب أكثرهم لما زادهم إلا شوقاً وأفرحهم، ففي تلك المدة في محرم، وقع حرب بين العرب، وقتل كثير فيما بين بني حشيش والسر ونهم، وفيما بين بني بهلول، وخولان وفي الحواز، وقطع غيار، من بعضهم البعض في الثمار، وتغاضوا عن ذلك الأشرار.

وفي أوائل شهر صفر سنة ١٣٠٨ أخبروا الترك الداير^(١) المحاجي^(٢) على باب اليمن من جهة العدن، وقصدهم يخلوه فهو من دون حاجي، وهو خلل على المدينة، مصلحة لهم أو لا يكلفوه من العرضي حق المدافع، ويحكموا الداخل والخارج، وإذا وقع في المدينة شيء فهم كافلين الباب من العرضي، ولو يبقى بدون عسكر في الباب، وأخرجوا منه أحجار حبش^(٣) وموائر^(٤) حبش إلى تخوم الأرض، وكان باحته^(٥) فساح^(٦) وكله عمارة ججار نحو عشرين ذراع وجذر^(٧) في أثر جدر كلها أحجار، وما تعدد الرسوم كما رأيناه في الذي خبروه، باب السبح وباب شرارة. وفي خلال ذلك حميت الوقزة والأخبار، حتى أنهم أمروا^(٨) بالصائح أن لا يخرج أحد إلا بفانوس من مغرب، فضأقت أحوال الضعفاء الذين يتصرفوا بعد المغرب، وأيضاً ضاقوا المصلين، كيف يخرج يصلي مغرب وعشاء بفانوس، فطلعوا إليهم وصيحووا^(٩) مرة أخرى أن لا يكون ذلك الجراج^(١٠) إلا من ساعتين^(١١) في الليل، وصايحين في نهار واحد لا شيء، ولكنها رجفة من الله سبحانه.

وفي نصف شهر صفر عزم الشيخ علي البليلى، والسيد حسين بن علي غمضان لإصلاح البلاد العدنية الحدا وجهران وما يليها، لأن قد ظهر للدولة ضيقة^(١٢) جميع

(١) السور.

(٢) المحيط.

(٣) حجار سوداء متينة.

(٤) جمع مؤثر أساس البناء.

(٥) الباحة المساحة.

(٦) واسعة فسيحة.

(٧) جدار.

(٨) خ أمر.

(٩) صاحوا.

(١٠) التأكيد والتشديد على الناس في عدم الخروج.

(١١) أي من الساعة الثانية بالتوقيت الغروي.

(١٢) ضائقة.

العباد وإن قدهم على رأس الفساد، فالأول يذّي (١) للقبائل وجهه وعهوده، والآخر يعظهم، ويذكرهم سَطوة الدولة، وبما يقربهم إلى النار، وعزم صحبتهم طابور صغير ومدفع كبير، وحب الدنيا فتنة ورأس كل خطيئة وحسبنا الله ونعم الوكيل / .

ويوم سادس عشر صفر صحَّ الخبر بأن سيدي المنصور، وصل (المدان) ثاني شهر صفر.

وفي ذلك اليوم ما شعر الدّولة (٢) إلّا بمقتول تركي في صَبْل (٣) في الطّواشي غبطه (٤) القاتل له في البندق، وأخذ البندق، وهرب الليل، ولعله من القبائل الذين عرفوا قدر الشّاخشان وتسلّحوها، ورجعوا حبسوا أهل الصّرحة نسال (٥) الله اللطف فيما قضاه علينا.

وفي التاريخ وصلت الأخبار المتواترة، والكتب المتكاثرة (٦) من لدى مولانا القائم إمام الزمان وحجة الأوان، وصل جبل الأهنوم ثاني شهر صفر المظفر، ولعله قد خالف عليهم الماحق بلاد الشام، وتعلقت الحمى بالجميع «...». ولما تحقق الخبر حق المرض في أكثر أهل مقام الإمام من الحمى.

وأما سيدي المولى حفظه الله فعارضه مع الحمى مرض آخر، وهو حرقة دم مفرطة مع حرارة جائرة، حتى انقطع عن الناس خبره، وعدمت رؤيته عن الأبصار، حتى قيل إن قد انقرض، والله في ذلك مصلحة وغرض في علمه تعالى، ولعله كتب إلى سلطان الإسلام قبل، وإلى سلطان العجم، وما ذلك منه إلا تثبيت من الله وإظهار الحجة على السلطان وإيضاح ما جرى من عساكر العجم، من تعطيل الشرائع والأحكام، وشرب الخمر، وهلاك الرعايا، والفسق والمجاهرة بالمعاصي، وعدم الضبط، وعدم إمضاء الحدود، فإذا تحصّل من السلطان انتباه، فقد أبرى عذره عند الله في قتل العجم وإن تحصل انتباه فالحقن دماء العرب والعجم، والله الناصر والمعين.

وفي رابع عشر ربيع أول وصلت البسطات المنقطعة منذ شهرين، والسبب كرتنة

(١) أي يقول لهم أنتم في وجهي (على مسؤوليتي).

(٢) خ للدولة وإصلاح من عندنا.

(٣) اصطبّل.

(٤) حسده.

(٥) خ نسل والصّرحة . الساحة.

(٦) خ المتكثرة.

المراكب في البحر والفناء الواقع في الشام، وقيل لربش في اسطنبول، ولعل فيها إن شاء الله إفادة للمسلمين، وأما الجوابات لسيدي المولى أول للصالح لجميع العرب / .

وفي يوم ثاني عشر ربيع أول وصلوا الزوار الذين سلموا من الفناء وتعذيب النصارى من التحروج^(١) والكرتان في كمران، والقطيعة في جدة لعدم الركوب نحو أربعين يوم في البندرين المذكورين، وأما في المدينة المشرفة، فما خلوهم يدخلوا المدينة الداخلية إنما خلوهم برا^(٢) أقماهم الله، وما رجع إلا القليل، فأحد العصب الذي فيها بيت السياغي وبن سلام، وناس من المغرب، وقاسم العرشي توفوا جميع، وهم إثني عشر، وعلى هذا فقس وأما جدة ومكة، فخلت بيوت، وراح آلاف نسأل الله اللطف.

وفي ذلك اليوم وصل سيدي حسين بن علي غمضان، والشيخ علي البليلي من جهران، بعد أن أهلكوا الرعايا وأخذوا ما معهم وهم كارههون، وأما قرية هجرة منقذة فأخذوها قهراً، وما فيها من طعام وقراش، وأحرقوها بالنار، ورصابة كذلك ولعلها ذنوبهم « . . . » وقد وقع بعض حرب، وراح من الترك نحو أربعة، ولعل أنه أهل الحدا أغزوا إلى مطرح الترك إلى معبر ووقع منهم بعض قتل ونهب، ورجعوا بليتهم، ورجع أهل منقذة يقطعوا الطرق، ويتخطفوا، ولم زد لقوا الرعايا ما يسلموا لهم، قطعوا قراشهم للمقدمين المذكورين، ووصلوا بهم صنعاء يريدوا بذلك عند الباشا رفعة وصنعا.

والأتراك عزموا بلاد أنس يفعلوا أشد من ذلك قطعاً، والله يحكم بينهم لديه عند الرجعا، ووقع في أنس أعظم، كونهم رعية ضعفاء، فأول أن شيخ بكار العسودي، قتلوه أهل قرية من جهران، لكنهم مواخيين^(٣) للهداء، وطلعوا عيال العسودي المقتول يستغيثوا بالدولة، فما وقع المخرج إلا لينتصروا لهم من عدوهم بالحق، فلما أحسوا أن لا طاقة لهم بمناقشة الحدا سيما وقد بادروهم بالمغزى إلى معبر، فعدلوا^(٤) فتكوا بالضعيف، وتركوا المقوي^(٥) وهذا دأبهم مع الضعيف، فخلصوا أهل مخلاف أنس، وحتى أهل المقتول، وأخذوا جميع ما يملكوا، وغزوا على محل آخر قرية خشران وغشام، طلبوا منهم

(١) التحرج.

(٢) خارج المدينة.

(٣) مواخين متحالفين.

(٤) خ قعد ولو.

(٥) القوي.

المغلبات ، فأجابوهم أنهم مُؤفون للدولة بجميع الحقوق حتى أن قد أهل ذلك المخلاف هربوا يتعيشوا في ... (١) من شدة ما قد أخذوا ما بأيديهم برضاهم ، عاد عندكم بقي لديكم ، فضاق بهم الحال هربوا قالوا هم مفسدين ، ودخلوا قريتهم أخذوا ما فيها جميع ، وصاحب الحدا وخولان الذي لديهم الحقوق ما قدروا يكلموهم فحسبنا الله ونعم الوكيل / .

وفي سلخ ربيع أول ارتشبت الزلُط وكثرت البيضاء العدنية (٢) ، ضربة الإفرنج ، وقلت البيضاء والحمراء ، ضربة سلطان ، حتى صارت الفرنجية ثلاث أرباع والحمراء والبيضاء حق السلطان الربع وعدم القرش الحجر ، حتى لم زد لقي له أثر ، وضائق أحوال الناس ، وعدمت المصرفات ، وكثر الإبلال ، وأشعروا أنهم سيزيدوا في صرفها ، وفرحوا الضعفاء وتسالكوا بتلك الزيادة قبل تنبيه الدولة ، فلما طلوعوا إلى المشير إسماعيل بتلك الحكاية ، ركه الهوى ، ولبس الغواية فلم يسعدهم بالزيادة ورأوا الشر في وجهه إلى زيادة ، فرجعوا بخفي حنين ، فلما علموا أولاد السوق رجعوا إلى العدم الخفي ، ووجد المصرفات بزيادة ، وكثرت فيما بينهم الحنات (٣) وكل واحد من الأندال والسفهاء أخرج الطامات ، وصاحب الدين لم أمكنه ذلك ، بل رده دينه من الشغلة للناس والأذيات ، ولاحت الفرصة لأهل سوق الحب ما يكيلوا إلا بالقرش ، والأحب فاتر (٤) ما فيه لقمة ، فهم أعظم النعمة ، في صنعاء وقاموا المفاودة (٥) يستكيلوه ويفادوا فيه بقولهم ، ولا أحد انتبه كل أحد نفسي نفسي ، غيري المعنى ، فقليل الدين وصل عندما يتمنى ، وصاحب الدين ما زد لقي راحة ولا تهنى .

وفي سلخ الشهر وقعت الزلُط ، والصرف أثلاث الحمراء ، إثنين وخمسين والبيضاء عَينتين السلطانية ستة عشر بقرش حجر والنُصرانية ثمانية عشر بقرش حجر وسكنوا الناس قليل مما كانوا فيه ، والقرش الحجر معدوم .

وسمعنا أن والقاضي إسماعيل ، من الحاج الفاضل الثقة يحيى بن أحمد في حراز ، أن قد مراد الدولة يَغْرُسُوا على جميع الناس غريسة ، وقد شرعوا فيها في مناخه ، وهي أن كل من يسافر من بلد إلى بلد من العرب ، يلقوه الزبطية وفتشوه ، وما وجدوا معه من

(١) كلمة مطموسة .

(٢) نسبة إلى عدن .

(٣) المشاكل .

(٤) ضعيف .

(٥) الذين يبيعوا للناس من تجار الجملة .

تعاريف^(١) من العرب إلى العرب من بلد إلى بلد ، حبسوه وأذّبوه ، ولو ما فيها شيء ، إنما لما بينهم ، ولو تبليغ السلام في الكتاب ، يريدوا أن يفعلوا العرب في كل كتاب بولة^(٢) بنصف الثمن ، ولو ما في الكتاب شيء ، وبعد تنهاى البول مثلما ذكرت لك في كتابي آنفاً أول ما ظهر البول من زلطة ، وانتهت إلى خمسين قرش حجر ، في الأشياء العظام ، وهذا ما قد وقع في اليمن وقد بدعوه^(٣) في حراز ، وآخره ينتهي إلى جميع أقطار اليمن ، والبدع وقع في ربيع أول سنة ١٣٠٨ في جملة ناس منهم سيدي هاشم الشامي والي وقف حراز ، كان في صنعاء فاحتاج يعرف أهله الذين في (مناخة) أنه بخير سيصال عقيب المكتوب الصادر ، وصدر ثلاث كعد^(٤) عطل^(٥) حق شرب ماء فلقبوا الرسول بذلك الكتاب ، وكتب غيره من ناس آخرين ما فيها ما يوجب إنما مثل ذلك ، فلما لقبوا الرسول الزبطية في نقي^(٦) الشجة حق مناخة هتكوه وحبسوه نحو شهر ، فنزل سيدي هاشم إلى هناك ، فلقبه الزبطية في المحل ذلك الذي يتلقفوا^(٧) فيه للمسافرين ، فأخذوا سيفه ، وطلبوا تسعة قروش حجر جزاء نقدي على لسنهم^(٨) كونه لم فعل ذلك / الكتب السابق فيه الكعد الذي قيمتهن بقشتين ثلاث بول ، ولا أرسل به في البسطة^(٩) المقصود نصف الثمن ، ومرادهم تطبع^(١٠) على الناس جميع ، هذا ناظر الوقف ، سيد من بيت النبي ، كيف بسائر الناس يأخذوا حقه حلال عندهم ، ولا بأس ، وقد كان أمر قائم مقام مناخة ، بحبس السيد المذكور ، فرأى أهل مجلس مناخة أنه نقص في جناب السيد ، فأخذوا سيفه وطلبوه تسعة قروش حجر ، فأرسل السيد هاشم رسول إلى صنعاء بكتب يغور^(١١) على معاونين له ، والسادة الكباسية ، فعزموا إلى الوالي مغورين معولين فيما صدر في جناب صاحبهم ، فضحك في أوشاهم^(١٢) فأجاب عليهم هذا قانون .

وكذلك وقع مع ناس آخرين ، مثل ذلك ، حتى دمي وذمية خرجوا من صنعاء يريدوا

(١) رسائل

(٢) طابع بريدي أو طابع دمغة . واللفظة تركية .

(٣) بدؤا فيه .

(٤) جمع كعدة وهو الإناء من الخزف يوضع فيه الماء أو القهوة أو غيره

(٥) فارغة .

(٦) العقبة .

(٧) يستلموا .

(٨) كلامهم .

(٩) البريد .

(١٠) تعمم أو يعتادها الناس .

(١١) يغيروا .

(١٢) أوجاهم على عادة بعض أهل صنعاء في نطق الجيم جيماً شامية .

دخول بيت المقدس ، فلقوهم^(١) ذميين آخرين من القاع ، فأرسلوا معهم بتعريفين^(٢) صغار في كل واحد كلمتين ، إلى أنسابهم^(٣) إلى مناخة : أنهم بخيرين مستريحين مُشَجَّنين^(٤) عليهم ، فأخذ الكتابين الزبطية المذكورين ، وحبسوا المسافرين وجروا من الذي التعاريف إليهم إثني عشر قرش حجر ، جزاء حيث لم يفعلوا فيهن بُول ولا أرسلوهن في البسطة الذي تسير مع الزبطية ، وأجرتها للدولة وإذا دانت لهم الأمور وسكنت الضواري ، فلا بد يفعلوا ذلك في جميع اليمن ، ولكن الله غالب على أمره ، وهذا ما رقمته إلا ليتعجب الآخرين من فعال هؤلاء العجم ، وإذا فرج الله سبحانه بعد ذكرنا ذلك وأدمننا الدعاء لمن هنالك كما تراه إن شاء الله قريباً فعند التناهي يقصر المتناول ، وهذا الظلم الجاري المذكور والأفعال الشنيعة ، وبطلان الشريعة ، بالمشاهدة ، غير أنهم لم صرحوا لنا بذلك ، ولا أرخوا لنا العنان بما هنالك ، إن إذا مراد العرب في شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتشارعوا بين ما شاؤوا ، ولكن مرادهم الإبطال من حيث لا نشعر به ، فلهذا إن كل مشارع يجلس سنة وستين ، ويغرم مثلما يشارع عليه ، ولا يقف على طائل ، ولا يتمسك بحكم جازم ، إنما إذا قد حازهم^(٥) المشارع ، وقد شا^(٦) يفضحهم ، فعلوا له رقم بمخرط^(٧) وأوهموا غريمه يقدم عَرْضُ حَالٍ ، ورجعوا يثنوا الشريعة الطاغوتية الحمراء ، ومع هذا والعرب والعلماء يتهافتون على أبوابهم كالبهايم الذكور بعد الإناث ، الذي يمتدح فيهم يمتدح والذي يشعر يشعر ، والذي يعظ على مقتضى ما يريدوا يعظ ، والذي يطلب أعمال يطلب ، والذي يتقبل يتقبل ، ويشغل أمة محمد بالمغلاة يتقبل ، والذي يتقنطر ، والذي يترجم يترجم ، والذي يزين لهم أفعالهم يزين كالشيطان زَيْن لهم ما كانوا يفعلون ، والذي يسبب على الناس والذي بيهادي بالمكولات^(٨) بيهادي ، والذي يجلب كل مليح ، ويحرم كم من فاضل وسيد يطلعه لهم طلباً للدرهم كذلك^(٩) / .

وهذه قصيدة قالها بعض السادة في الوالي إسماعيل حافظ يوم وقعت الزينة على قيلهم « فنطسية » وقد سبق في أيام قصيدة للقاضي حسين جغمان في عزة باشا . وهذه في سنة

-
- (١) التقوهم .
 - (٢) كتابين رسالتين .
 - (٣) أصهارهم .
 - (٤) من الشجن بمعناها الفصيح .
 - (٥) حاصرهم .
 - (٦) شا تقرر مقام سين التسويف في الفصحى .
 - (٧) ربط يسهل إعادته .
 - (٨) لعله الماكولات .
 - (٩) فراغ في أصل .

١٣٠٨ والأولة قبلها بنحو أربع خمس سنين فيظهر لك نفاق العرب وسبب التسليط عليهم .

بعيد تم فيه لنا مرام
ومن في الخافقين له مقام
ومنهماجاً تفوز به الأنعام
ومن للمسلمين غدا إمام
حميد الفارس الندب الحسام
تخت رقاة قبل آباء كرام
من الدنيا وتم له النظام
تذل له الأكاسرة الطغنام
بسيف لا يفارقه ائتلام
بعسكره الذين هم الحمام
سواه عاجل كهف همام
سليمان وتم له المرام
ينل ملكاً تطاوعه الغمام
بملك لا يحيط به الكلام
ببعض سروره طاب الغرام
على أسد لوحظها سهام
هم أركان دولتك الكرام
كأن هناك ركن أو مقام
توالت لا يخال لها انصرام
إذا ركضت وقد كثر الزحام
بأيديهم منيات وسام
رقاب المفسدين لها طعام
فلا تحتار إن هجم الظلام
لأمرهم أطاعوا واستقاموا
وأنغام يقارنها احترام
هو فغدا يقلده الحمام
ونالهم ببهجتك السلام
بدعوات يناسبها المقام
وتأييد يلازمه الدوام

تهنا أيها الوالي الهمام
بعيد جامع للخلق طراً
بعيد للسعادة كان بابا
بعيد جلوس سلطان البرايا
بعيد مولى التاج عبد ال
بعيد جلوسه من فوق
بعيد جلوس من ملك الأقاصي
أمير المؤمنين وخير قوم
أمين الله حامي دين طه
مبيد المشركين بكل واد
ملك ليس في الدنيا ملك
ولو لا أنه قد قال هبلي
لكان مثيله في الملك إن لم
لأن الله خالقه حباه
فهذا اليوم عيد أي عيد
ولما إن طلعت كليث غاب
وخلفكم الأكابر كل شهر
وقد غصّ المقام بحاضريه
وقامت للسلام صفوف جند
وخيل تحتها تحكي بروقاً
ولا عيب يرى فيهم ولكن
واسيف مهنده صقال
ومدلجهم يعيد الليل صباحاً
وإن أمروا بأمر أي أمر
نعم وغدت ترنم باحتفال
رجال اتقنت فيما روته
فاستعرضتهم فرداً بفرد
وبعد دعا من العلماء شريف
لمولانا المليك يطول عمر

وأمن حاضر الميدان طرا
وأطلقت المدافع معلّقات
وبالتبريك قد وافيت كلا
وصار نهارنا يزهر بحسن
ومن فرح عيون السحب جاءت
وأشرق بدر ليلتنا لكيما
فمن خجل توارى حين مدت
وكل نجومه غابت فغارت
فإن الأرض قد ملئت نجوماً
وديباج النبات لها فراش
وحسبك أنه قد زاد زهواً
على الأقطار حتى لو رأتها
وإني في النظام قصير باع
ولكنني علقت بحب مولى
هو الممدوح في حضر وبدو
ودام بتخته والأرض طراً
وصل ذو الجلال لكل حال
على طه وآل ثم صحب

وبالدعوات ابتهل الأنام
ببشر للزمان به إغتنام
خصوصاً منك كان بها الختام
وشاق لا يكفيه النظام
بدمع والهواء به انسجام
ينل قبساً يعوجه التمام
بجانبه من السحب الخيام
وقد بهتت وداخلها الملام
وبالأزهار فتحت الكمام
وذاك الدمع كان لها مدام
وبأنوار البها ما اختط سام
لغطت وجهها مصر وشام
ولم يك قد تعلق بي غرام
بحسن ثناه قد لهج الأنام
ملك دام يخدمه السلام
بقبضته ودام لها إمام
وسلم ما تجاويت الحمام
صلاة طيبها مسك ختام

تمت لله در قائلها فلقد أجاد فيهم غاية

وفي ذلك التاريخ رعمت^(١) خيل المدافع ، وهلكت ، وأشار بعض العرب على إسماعيل باشا أنه يأمر المشايخ حق العرب بإعانة خيل للدولة ، فكل أحد جدّ واجتهد ، وشروا خيل نحو عشرين رأس ، وصارت في العرضي للتعليم .

وفي شهر ربيع آخر مضت بغلة قاري من حق السقائين ، واستطرت^(٢) رجل محمد النعيمي رجل شائب شيعي يبقي بيهتف بعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه فكسرتها ، وبقي نحو أسبوع أو دون ، وتوفى رحمة الله مثل من مَضَى قَتْلَ بالخيل مراراً / .

ويوم الإثنين ١٩ ربيع آخر وقعت آية سماوية وقت الغدا ، سمعنا قارح^(٣) في الهواء

(١) الرعام مرض يصيب الخيول وهو يشبه النزول .

(٢) داسته .

(٣) إنفجار .

معلي^(١) ما أحد يقدر يمثله بشيء ، لا بمدفع بل ، هو أشوع^(٢) وسمعوه خلق كثير ، كل أحد في محله ، وبقت الرعدة حقه بعده مدة قدر دقيقة ، والشمس في تلك اليوم في القلب^(٣) لها ثمان ، وحصلت لها رجفة في قلوب الناس ، فسبحان القادر المقتدر الذي بيده ملكوت كل شيء ، المخوف لعبادة آياته .

وفي شهر ربيع آخر وصل رجل فلان^(٤) الأخشر من ثلا ، ومزدوج الآن من ثلا من بيت الريض سادن الجامع حق ثلا ، ولنا به معرفة ، ووصله من المغرب ، من بني العوام والعريف ، وأخبرنا بما صار في الرعايا في تلك البلاد ، مما قضاه الله على جميع العباد ، في تولية المائتين عن الرشاد ، والمتولي في ذلك التاريخ ، تركي يسمى محمد عارف ، والكل منهم للشرع والرسول والحق صارف ، فمما رأى في تلك الخطرة إن هذا المتولي خرج على الشيخ يحيى صالح صاحب جبل نمر من بني العوام ، وربطه في زنده بحبل شدّه ، ونحلا جزّار من جزارين حجه يصيح به في السوق بين الناس كما يفعلوا في أسواقهم ويسموه بالحراج^(٥) يُخرّج به يا شاري الحمار ، يا شاري الكبش ، من يعطي ثمن هذا المشار^(٦) فيهرب المشايخ الكبار ، ويستقيم الفجار ، ويعطوا فيه ثمن قرش ويضحك من ذلك الهمج الأشرار وخرج على شيخ آخر يسمى صالح القحمي أصله مشرقي مستوطن العريف^(٧) فخرج عليه إلى بيته ليلاً على حين غفلة ، فدّهمه بغتة فبهتة ، ومعه أربعين نفر من الأتراك ، فقبض عليه وذبحوا غنمه عشاً لِلْمَنُ^(٨) معه ومن لحق ، وكفل جميع المشايخ ، وتهذّدهم بالقتل ، فأيقنوا به حيث لم يجدوا معيماً ، ولا ناصراً ، فأخذ منهم نحو عشرة ألف ريال لنفسه ، واستخلص يقبضهم الحقوق ، الذي عند الرعايا في جميع البلاد ، ومثيلها نحو مئة وأربعين ألف ، غير العشرة حقه الذي في سلامتهم من الموت ، وهذا من التسليط ، وإلا فليس له قدرة ، وقبض الميري حق أسواق حجة بنحو سبعين ألف ريال ، هذا كله في شهر زمان ، وهو الرجل المذكور مشاهد لما ذكر ، وبمثل هذا أخبر عبد الله بن صالح كحيل صاحب الحيمة ، بما جرى في الحيمة سواء سواء ، إلا إن عاد فيه زيادة ، إن

(١) مرتفع .

(٢) أشد والشرع القبح

(٣) من أسماء النجوم الزراعية .

(٤) يقال فلان كذا أي أنه لا يذكر اسمه بالضبط .

(٥) المزاد .

(٦) أي المشار إليه .

(٧) مركز بني العوام .

(٨) خ للمي .

العام الماضي ، وقع عندهم بكار وهو في ثلث ثمرة البكار^(١) الخراج المضروب عليهم ، فلم رضوا يسقطوا لهم شيء فاشتكوا إليهم ، وبكوا والضعفاء صارت عيونهم بالبكاء تسفح وتدمع ، ولا قبول لشكايتهم ، ولا مسمع ، فَبَاعُوا ما يملكون وكادوا أن يهلكوا فلا قوة إلا بالله .

وفي هذه السنة المذكورة لم صح عندهم من ثمرة البن شيء ، والسبب البرد ، ولا أحد تمسك من الثمرة لا قليل ولا كثير ، وكذلك الذرة أخذتها الجراد في آخر سنة ، فلم يحصل لهم شيء ، ولا بعض الصَّيب^(٢) فاشتكوا ، فأجابوا أن ذلك بالنصيب سلموا ما عليكم ، قبل خروج العساكر ، تأخذنكم وتصيب ، وفي بلاد الطويلة أشد من ذلك ، وأكثر وأشنع مما ذكر وأضر .

وفي سلخ جماد الأول فتن بلاد دمار ، منها قتل جمروك دمار قتل فيها إثنين زبطية التقوهم القبائل . وشلوا بنادقهم ، وطعنوهم ، وأما فيما بين القبائل فحروب كثيرة وقتل وفتن غبارها يُطِير / ومنها أي من الفلته والفتن بين خولان ، أهل قروي ، وبني بهلول فتنة كبيرة من أجل مُزَيْن من بني بهلول في قروي ، فنزغ الشيطان بينهما ، وقالوا بني بهلول أن أهل قروي قتلوه عيب ، ومع عَدَامَتَهُمْ^(٣) المشهورة وكل أحد يعدُّ نفسه ذيب ، تَقَدَّمُوا على خولان ، ووقع قتلى من الطرفين نحو سبعة غير المفاعيل من الجانبين .

ومنها في اليمن حول الشَّعْر في بلاد العود حَبَسُوا الدولة شَيْخ العود أبي فاضل في تعز حتى توفي ، وشَيَّخُوا عليهم ابن الزبير من الشَّعْر ، فأفسدوا فقدم عليهم ابن الزبير بنحو خمسة عشر مئة من العرب والترك ، معه نحو طابورين ، فاقتتلوا وكادت الهزيمة تقع في أهل العود ، فأغار أهل سفلى العود ، وهم رجال قَطَّاعين^(٤) مشهورين في الحروب ، فثاغروا العرب ، والعجم ، وباتت الكسيرة^(٥) في العرب والعجم ، وراح منهم نحو ثلاثين قتيل ، ورجعوا أهل العود بالجمالة ، وشيخوا^(٦) لنفوسهم شيخ آخر ، من بني فاضل ، ولم يقفوا منهم على طائل لعسرتهم^(٧) .

ومنها في حجة غزا محمد عارف قائم مقام في حجة على الحمران يريد ابن الأحمر ،

(١) الثمرة المبكرة من الصراب .

(٢) بذور القمح .

(٣) العداة عدم الفهم مع تصميم على الرأي الخاطي .

(٤) أبطال .

(٥) الهزيمة .

(٦) أي نصبوه عليهم شيخاً .

(٧) أي لباسهم .

مبخوت^(١) الأحمر ، المناصر لسيدي القائم المنصور بالله محمد بن يحيى حميد الدين ، ولعله أخرب بيته ، وأخذ عليه طعاماً جَمّاً ، ومبخوت لما أحسن أن لا طاقة له في تلك السّاع^(٢) شرد^(٣) مختفياً ، واصطحب له جماعة من أصحابه ، وغزا إلى حجة مكافأته لقائم مقام ، فوصلها ليلاً بعد أن هدأت العيون ، وعشر إلى العرضي هو وجميع من معه ، ف وقعت الهيعة والفرقة التي لا مزيد عليها ، حتى ظن من فيها إن قد أخذت ، وبقيت الفتنة إلى قرب الفجر ، وشردوا ، ولم أحد لحق له على أثر ، ولعله راح فيها نفوس نحو ثمانية من الأتراك ، وقيل أكثر ، وقيل أقل ، ولكنها لم تظهر أمور العجم على العرب ، وهذا الذي في هذا الصّفح في شهر جماد آخر سنة ١٣٠٨ ، وسيدي لا يزال يكتب العرب إلى كل جهة ، والوفود إليه من كل بلاد بالمال والرجال ، ولا ظهر على أحد ما في ضميره ، وكل ضمير مستتر ، وبذلك إن شاء الله القلب يقر^(٤) ويبلغ ما يسر .

وأما الأتراك الذين في آنس فعبثوا بالرّعايا ، ونالوا منهم جميع البلايا ، وقبضوا من عزلة بني خالد أربعة عشر ألف ريال ، حجر ، وما سلّم إلا من قائم ولا ملجأ منهم ولا مفر ، أموالهم تحت أيدي مشايخهم ، وأخافوا جميع الناس ، ووقع في الرعية الإبلان إلا جهران إلا صاحب المنار ، فإنهم أرسلوا إليهم نحو أربعين خيالة عسكر ، وهورّتب محلة ، وأظهر الفساد ، ولهم ظهر وأجاب عليهم أن مرادهم في المعتاد رفعوا محاطهم ، وما هولهم يصال إليهم بالميعاد ، وإن^(٥) / فهو له البغية والمراد ، فلما رأوا جدة بذلك ، رفعوا المطرح من هنالك ، وأرسل إليهم بما عليه من غير ، أن يصالوا إليه ، وهذا أدّى لهم السهل ، والمسكين يهلكوه ، والعسر والمتمنع يتركوه ، فإنه بقي الطعام في أجران ذمار في الصّراب نحو شهرين أو ثلاثة لم أحد قدر يكيل منه حبة ، لأنهم طلبوا منهم العشر ، صبرة^(٦) جايه مثنى على ما عليهم ، فتركوا الرويح^(٧) من الأجران ، وبقوا يراجعوا ، ويطلعوا إلى صنعاء يشتكوا ، وغرموا غرامة كبيرة ، فلم يلتفت إليهم ، فما قتلوا الجمر ك المذكور ، قنعوا منهم بالعشر ، وروحوا طعامهم .

وفي ذلك الشهر أي جماد آخر ، تقدّم الطابور حق قعطبة على أهل العود لأن شيخهم

(١) أحد أبطال اليمن الأشاوس ناهض الأتراك حتى زمن خروجهم من اليمن .

(٢) الساعة .

(٣) هرب .

(٤) يستقر .

(٥) أي وإن أرادوا الحرب .

(٦) دفعة واحدة .

(٧) الذهاب لتحصيل الثمرة وجمعها .

أبي فاضل حبس في تعز حتى مات في الحبس ، وشيخوا الزبيري فظلم غاية الظلم حتى أن المتقبلين للزكاة عطفوا على الرعايا على كل قدح أربعة أقداح ، فمن عليه قدح زكاة صار عليه خمسة أقداح ، زكاة والسبب أن السنة الماضية سنة ١٣٠٧ تقبلوا بشمانية عشر مئة طعامهم عزلة أزال ، وكان السعر غالي فربحوا المتقبلين ربح كبير ، وفي هذه السنة سنة ١٣٠٨ زادوا في القبال^(١) أربع مئة ، ووقعت مذكرهم^(٢) إثنين وعشرين مئة فوق السعر من قدحين ، ولحق كل قدح ريالين عطف ، والريالين بها أربعة أقداح ، فكلف لما ذكر من الفساد والقتل الذريع ، وهذا وقع على كل رعوي^(٣) القدح بخمسة أقداح ، غير ما هو عليهم من ميري ووركي^(٤) يعني فرقة ، وأغنام ومخضر ، وقات ونحل عسل^(٥) ورسل وخيالة ، وغير ذلك ، نسأل الله اللطيف فيما هنالك ، ومما يشهد لذلك سيدي فلان الكبسي ، قد كان حاله^(٦) هنالك يقرئ^(٧) ويقيم المسجد ، وقد معه قليل من مال الوقف يترعوي فيه لأجل قيامه بالمسجد والدرسة ، وقد قرروا عليه الزكاة أربعة أقداح ، وسلمها طوعاً فلحقه العطف أربعة ريال ، ثم أربعة ريال ، ثم أربعة ريال ، وحاصروه في ذلك فسلم وترك اليمن ، ورجع الكبس ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ومما سمعناه يقيناً ممن لا يكذب ولا يتصور في حقه كونه عند الدولة مقرب ما يريد إلا علو كلمتهم ، لأنه من محكمة الشرعية ، يذكر لنا يوم الجمعة رجب سنة ١٣٠٨ أنه خرج من أسطنبول في هذه المدة الماضية حاكم شريعة منصوب لمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهبط الوحي ، وجلس سنة كاملة في المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، وأنه لا يقرئ القرآن ، ولا يعرف منه شيئاً ، وبقي يحكم سنة ، وأجبنا عليه كيف يكون ذلك ، فحكى لنا ما قرأ في بالنا ، وشهد به عليه الهنا أن كل حاكم يحكم بمكة بكتاب المجلة حقهم على القانون ، عندهم كل دعوى ، وفيه كذا ، وأما والحدود ، فما سوى الحبس ، وكل حكم في بنود ، منها ، والحاكي لنا المتولي جميع أحكام اليمن ، فظهر منه ما كان بطن ونسي قوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ ثلاثاً وعزم القاضي من المدينة ولم ظهر لأحد سوى الكاتب حقه في المدينة ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله / .

(١) تقبل الشيء .

(٢) أي بالدرهم .

(٣) المواطن من الرعية .

(٤) كلمة تركية فسرنا فيما بعد ومعناها أصحاب الأغنام أنظر « المجتمع الاسلامي » لجب ١٧٦/٢ .

(٥) لعله عسل نحل .

(٦) أي حال ساكن .

(٧) يدرس القرمان .

وفي هذه السنة ١٣٠٨ كثرت الغيول في جميع أرض اليمن ، حتى أن كل غيل زاد على عادته بمقدار النصف ، وبعضها أكثر من النصف ، كغيل الصافية العدنية حق صنعاء ، رأيته بمقدار ثلاثة أرباع^(١) ما نعرفه في السنين الماضية ، وظهرت غيول أخرى^(٢) كثيرة ، منها ما يعتادوه في سنين الخير ، وما يعرف إلا في هذه السنة ، في كل بلاد سهل وجبل ، فسبحان الموجد ذلك للعباد ، وله الشكر دائماً ونسأله الرضا والتوفيق إلى أحسن طريق بحوله وطوله .

وفي شهر رجب مرض الباشا إسماعيل حافظ مرضاً شديداً ، وبعد انقطعت عواده ، ولم يعلم له على خبر إلا أول شعبان ، حال الرقم ، ولم يظهر له موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً .

وفي شعبان تعافى^(٣) وفي رمضان أبدى ما هو على المدينة أفجع ، وأضر ممّا ذكر وأشوع أمر بخراب نوبة المدفع في باب اليمن من خارج وبابها من داخل ، المسعى يفتح من نصفها لأن فيها قدر النصف عمارة متصلة زوابير^(٤) قدر ثلاثة سقوف من الأرض بلا أخشاب ، ولا سقف ، لأجل الوثق^(٥) لأن كان بيت القاسم رضي الله عنهم كان يخلوا بعض المدافع الصغار فيها ، ويرموا بهن من وسطها أيام الأعياد ، وأيام البشائر الواصلة من البلاد النائية ، والعلومتين^(٦) على حكم البنا سقوف ودرج إلى علوها ، وفي رأسها أخشاب خارجة كبار ، نحو عشرين خشبة ، من كل جهة نافذة ، قدر ذراعين ، وطاقت مفتحة ، وكان يعلقوا فيهن الرؤس التي تقع في القتلات في البغاة المخالفين ، مثل قتلة أصحاب الفقيه سعيد وغيرها ، وآخر ما علق فيها في سنة نيف وثمانين ومئتين وألف ورووس يام في قتلة الزيلة في خلافة المتوكل على الله المحسن بن أحمد . لأنها وصلت إلى صنعاء نحو مئة رأس ، ولم أمكن خلافة الشيخ محسن لذلك يدفن ، لمعاونته ليام خشية من المتوكل رحمه الله ؛ وكان المقدّمين في ذلك المخرج ، وتلك القتلة سيدي العزي محمد بن يحيى حمد الدين القائم بأعباء الخلافة في التاريخ بعد وفاة الإمام الهادي ، ولم يكن في تلك النوبة ما يغبط الأتراك لخرابها كأحجار وأخشاب ، وإنما لضعف المدينة من الزبن^(٧) لأنها كانت كبيرة ، في قدر ستة سبعة سقوف ، وقاهرة على العرضيين الشرقي والغربي ، لو بقي حَمِيّة في أحد ، ودخلها ومنع على نفسه فيها لما بقي في العرضيين حركة ولا سكون ، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

(١) خ أرباع .

(٢) خ فاخترة .

(٣) برىء من مرضه .

(٤) الزاوير التراب الجيد .

(٥) القوة .

(٦) العلو: الارتفاع .

(٧) التحصين .

وفي شهر رمضان وقعت فتنة في بلاد الحدا بين القبائل ، وقتل من عقال الحدا نحو خمسة قتلى ، ولم أمكن الدولة يحاكمهم^(١) بشيء كُله عرب^(٢) وإنما ذلك لهم المراد ، والله يصلح أحوال العباد .

وفي عاشر شهر شوال سنة ١٣٠٨ تحققت الأخبار أن قد افتتح الجهاد بين سيدي الإمام المنصور بالله ، وبين اسماعيل باشا ، وقد كانت المهادنة كائنة فيما بينهم من العام الماضي ، من حين خرج سيدي من المحمية في آخر شوال سنة ١٣٠٧ وهذا الفتح في بلاد الشرف ، ولعل قد عزموا ناس من حاشد من طرف سيدي ، على كتمان ، والترك احتركوا من حجة محمد عارف/مع أن كل من الفريقين محترق ومتربح للآخر ، من دون فتح عمل ، فما نوى أحدهم إلا والآخر مراعي^(٣) ، وذلك العمل الذي فتح في بلاد الشرف قيل في الشاهل^(٤) وقيل في قفل شمر^(٥) ، ولعلهم تسابقوا كالأسود المفترسة ، وقيل أنها وقعت تنصيرة في جميع البلاد المذكورة ، ولم قد تحقق ماهيه^(٦) .

وفي ليلة الأحد ١٦ شوال وقع كسوف في القمر من عقيب صلاة العشاء إلى قرب ثلث الليل ، أوله سواد ، وآخره إحمرا حتى غمر جميع القمر ، وأظلمت الأرض ، وضج أهل المدينة فيها ، وخرجوا من بيوتهم أجل^(٧) أهل المدينة إلى الجامع المقدس ، وتكررت صلاة الجوامع زمراً زمراً كلما انقضت جماعة قامت أخرى ، وجأروا بالدعا والاستغفار ، وخرجوا جميع الناس بعد الوعظ والتذكير إلى أزقات^(٨) المدينة وإلى جبانة^(٩) سوق القضب ، وهي جبانة العوام ، ولم نعلم ما دليلهم فيها وإلا فكان البقاء في الجامع أفضل وأشرف ، وبعد تجلت بمن الله ورحمته « . . . » .

وفي ذلك التاريخ وصلت أخبار من بلاد الشرف مما وقع بين الإمام المنصور وبين من هنالك من العساكر الشاهانية ، وإنما هي غير مشاهدة لكنها متواترة ، قيل أنهم قدموا الأتراك من قفل شمر إلى الشاهل ، ووقعت قتلة ، واختلفت الأخبار في قدر القتلى من الفريقين

(١) يحذوهم .

(٢) أي أن الأتراك تقول كلهم عرب .

(٣) منتظر .

(٤) من بلاد الشرف .

(٥) سيأتي ذكرها في الملحق .

(٦) ما هي .

(٧) أكثر .

(٨) أزقة .

(٩) هي جبانة سوق القضب والتن والمنجارة .

والتواتر بأربعة من أصحاب الإمام ونحو^(١) من الأتراك ، ووصلت رؤس منهم إلى عند الإمام إلى الأهنوم ، وغار محمد عارف القومندان وهو على أربعة طوابير ، نزل من حجة نحو القفل ، ووقعت قتلات متعددة ، حتى أجمعوا على أنه قتل القومندان^(٢) بنفسه في تلك القتلات ، وبعد ذلك شنت الغارات من صنعاء وغيرها إلى تلك المحلات .

ويوم الثلوث ٢٥ شوال بقي إسماعيل باشا في بيت السلك طول يومه ، وترك الإدارة في مجلسه المعتاد يوم الإدارة ، وبقي يدق إلى أسطنبول من صنعاء إلى الحديدة ، ومنها إي تعز ، ومنها إلى هنالك ، وإلى عدن بأن اليمن مفسد كله ، وإن قد قتلت العساكر ورئيسها محمد عارف الذي كان في حجة قومندان ، وذهبت الخزانات^(٣) فإن يأتوه برجال وذخيرة ومال ، وإلا هو سيرتفع إليهم بنفسه ، ومن بقي^(٤) أرادته الحث والتحشيد ، واستعجل من بقي في البنادر، وريمه وأنس وتعز إلى الوصول إلى صنعاء، ويرسلهم

ويوم الربوع أخذوا جميع الجمال الذي في صنعاء والحوازات للسخري .

وعزموا جماعة يوم الخميس ٢٨ شوال ، ومعهم كبير من كبار الترك ، جعلوه بدلاً عن الذي قتل ، وطلبوا من جميع الحوازات عسكر زبطية لأن الأتراك قدهم قليل ، وخائفين على جميع المراكز في اليمن خشية من الإمام لا يغدرهم بأخذ المعازل ، وصاروا في حيرة كبيرة ، وطلبوا أيضاً زبطية من أهل صنعاء ، والله في خلقه غارات يقيّل بها العثرات نسأله^(٥) اللطف / وقد أرصدوا^(٦) نحو مئتين نفر ، ولو يقدموهم إلى تلك المعارك لقالوا أين المفر «كلاً لا وَزَّرَ إلى ربك^(٧) يومئذ المستقر» ولكن ذكروا أنهم شرطوا أن لا يخرجوا من صنعاء ، وهذا الشرط يلغي قطعاً .

ويوم الأحد ما أصبح إلا والسلك مقطوع ، وثلاثة أيام ولم قد رجع من شدة من في عمله قد فظع .

ويوم الإثنين وصلوا ناس من أرحب بالبشارة للوالي إسماعيل باشا ، أن المقادمة قد

(١) بيض له المؤلف .

(٢) أنظر خبر قتله بالتفصيل في أئمة اليمن ص ١٨

(٣) الأموال .

(٤) أي ومن بقي معه .

(٥) خ نسل .

(٦) أثبتوا أسمائهم .

(٧) سورة القيامة الآية ١١ .

وصلت من جهة الإمام إلى جهاتهم ، ولم يكن لهم قدرة لدفعهم ، فسكت ولم يحرك ساكن إلى الآن .

وليلة الثلوث ، قاموا ناس من صنعاء ضربوا صاحب العربية الذي يبطلع بها وينزل يجرها حصان ، ولكنهم كانوا يتأذون من ذلك خشية على البيوت ، واشتكوا ولم ينتصفوا منه ، فقاموا له وضربوه ، وقطعوا حبال^(١) تلك العربية ، وصار يشتكي هو ، وكان ظن الناس أنهم سيحبسوا شهرين ، فحبسوا ساعتين ، وأطلقوا ، ولم قد نال أحد من أهل صنعاء شيء من جهة الوالي فله دره ما أعقله .

وبعد ثمانية أيام طلبوا الدولة من الزبطية المذكورين المرصودين أن يأتوا ببنادق لنفوسهم من بيوتهم ، وأما الدولة فما معهم لهم بنادق ، فمنهم من تدّين^(٢) بنادق عربية ، ومنهم من معه لنفسه ، مثل بعض القبائل ، والأكثر طمسوهم من البيان ، وأظن ألا أنها حكمة من الدولة ، جردوا^(٣) بها عقول العرب ، وكان لم يسمر بمكة سامر .

وثالث شهر القعدة أرسلوا الشيخ مقبل دغيش وإسلام أفندي ، وبعض خيالة وزبطية يكمّنوا في بيت زهرة^(٤) للمقدمي حق الإمام السيد أحمد الشرعي ، ولم قد صح ولا يصح شيء ، ولا يمكن دغيش يقول لا ، ولا يمكنه يزقم^(٥) المقدمي ، ولو كان قادر ، لكان منذراً خوفاً من العواقب وإنما أطاع الأمر ، وتوكل على الشيطان . كما يقال .

لقد أجلك من أعطاك ظاهره وقد أعطاك من يعصيك مستتراً

وخامس الشهر قامت القيامة من مغرب ، وأرسلوا للعريق شيخ بيت ردم وأرسلوا معه زبطية ، وأرسلوا لأهل قرية عصر ، وحبسوهم حيث لم يحفظوا السلك في الليل ، وقد كان عنوهم سابقاً حتى قبضوا الذي يقطعته من خولان من بشار ، وحبسوه مدة وأطلقوه كونه من قبيلة عسرة^(٦) ورجعوا على المتاربة يحفظوه ، ولا زالت تلك الليلة أشد بلاءً على أهل تلك الجهات ، وعلى الزبطية والخيالة طول الليل في جرى ، لأنها جاءت أخبار للدولة أن أرحب ستغزي على السلك يقطعوه كله ، لأن الليلة السابقة ما راح منه إلا قد مسير نصف مرحلة

(١) حبال معروف وكان أهل صنعاء يتأذوا من مرور العربات لضيق بعض الشوارع .

(٢) إستدان .

(٣) جردوا استغفلوهم .

(٤) موضع يلي صنعاء من الجهة الجنوبية الغربية .

(٥) يمّسك .

(٦) شديدة البأس .

وقطعوا بعض الخشب حقه، وأخذوا من القفيش والبواري^(١) الذي في رؤس الخشب، ووصلين إلى عند سيدي القائم.

[قتل محمد عارف قومندان]

وفي التاريخ وصلت تحقيق خبر القتل^(٢) وقتل محمد عارف بصفتها / قيل أنه قدم من حجة إلى القفل حصن في طرف بلاد الشرف ، وهو محل مركزهم فيه ذخيرة ، وكل ما يحتاجوا ولولا ذلك الحصن ما تَدَوَّلُوا^(٣) بلاد الشرفين ، والذي أنزله أن أهل البلاد لما كثر عليهم الخطاب كما في جميع جهات اليمن ، ولكن أهل الشرف ليسوا مثل أهل اليمن ، ما سلّموه للدولة يحسبوه واحد ، بل أنهم يحسبوه تقوة^(٤) ويسلموا واجبات أخرى إلى كل قائم ، أعظمها في أيام المرحوم^(٥) الهادي شرف الدين ، والأتراك من قانونهم لا يحنوا على أحد سيما إذا كان ضعيفاً فعلوا عليه ضعيفين ، ما على غيره ، فنزل يتخلص ، وقد كانوا قبضوا أهل البلاد حصن الشاهل ، وهو دون القفل ، فطلع من هناك يريد الشاهل ، فمنعوه ، ودار الحرب بينهم ثلاثة أيام مناوشة الفعل قليل من الجهتين ، لكنهم كسروه^(٦) إلى القفل ، فطلع إليهم قبيلة بني كعب يريدوا إعانتهم على الأتراك ، ويغزوا جميعاً إلى القفل ، فلم يجتمع لهم شور ، فلما فارقوهم أقبل محمد عارف القومندان كبير الأتراك في حجة وبلادها لأنه على أربعة طوابير حيث قد الخبر عنده من الرسايس أن العرب سيغزون ، فأقبل يغزوا بهم على غفلة من الليل ، فلما توسط في الوادي بين البين ، أحسوا به الرصد^(٧) من أهل البلاد ، ومن أصحاب الإمام ، فتناوشوا بما في جوف البنادق ، فسمعوا أهل بني كعب ، لأن عادهم قريب ، لم قد أقفوا^(٨) فرجعوا من وراء محمد عارف والأولين قدّامه ، ففعلوا كما فعلوا الأولين تراموا بما في بطون البنادق ، وكَبَرُوا بكثرة واحدة ، وقفزوا فوق الأتراك هالكين أو مالكين ، فكانت الدائرة عليهم ليلة الأحد النصف الثاني من شوال سنة ١٣٠٨ ، فوقع في القومندان كون^(٩) مسلّم ، فهرب نحو ميل ، فتبعه ثلاثة سادة وفقهه ،

(١) جمع بوري وهو ما يوضع على رأس المداعة .

(٢) خ القلات .

(٣) ما أسسوا دولة .

(٤) تقوة : أي مدافعة كالرشوة .

(٥) لفظة المرحوم من بقايا كلمات الأتراك التي أدخلوها وهي وإن كانت فصيحة إلا أنها لا تستعمل هنا .

(٦) هزموه .

(٧) المراقبون .

(٨) أدبروا .

(٩) إصابة مأمونة .

فبعضهم غرزة^(١) يعود الآخر طعن وضرب جرد^(٢) حتى خلص^(٣) وقطع رأسه ، وفيه جزء من الحياة ، وهو ينظر ، وراح معه من كبار البوش واليوزباشاه والملازمين ثلاثة عشر نفر ، كلهم من كبارهم ، ومن العسكر مئة وأربعين نفر ، من دون نقص غير من هرب ، وفيه من الرصاص والطعن ما فيه ، وذهب روحه في الطرقات ، وغير من وصل مطرحهم ومات ، وأخذت بنادق المذكورين أجمعين ، وجميع ملبوسهم ، وجميع سيوفهم ، ما خلا من هرب بروحه ، وحمل سلاحه ونجا بنفسه ، فما بقي إلا من طار ، ولزموا منهم خمسة أساري أربعة عسكر وأفندي كبير اسمه أسعد أفندي ، من جرأته على الله وخشيته من العار عند خبرته^(٤) ، بذل ثلاث مئة ريال حجر ، ويحزوا رأسه ، ولا يأخذوه أسيراً فأبوا ، وقالوا لو بذلت وزنك ذهباً فلا يجوز عندنا قتل الأسير ، ووصلوا به عند الإمام ، وخبرته الأساري إلا واحد أو اثنين فإنهم ماتوا في الطريق حتف أنفهم ، من دون ضربة ولا طعنة إنما فجيرة ، وهم الآن في الحبس عند الإمام .

وأما في صنعاء ففي النهار أخبار وأعلام ، وفي الليل محراس ، ودور وقلق عظيم بحيث أن العرب يرقدوا والأتراك لا يرقدوا / من شدة الخوف ولا يعدوا أنهم يصيحوا ، وما وسعهم إلا حبسوا من أهل صنعاء نحو خمسين رجل ، من كل سوق ، ولكن وقعوا جميع المحابيس من الذين لا يعاب بهم ، ولا خوف عليهم لأنهم أفراد من الأراذل ، كلهم ما فيهم من يُخشى عليه ، ولا هم من المسمائين ، لأنهم ذكروا الدولة أنهم يريدوا حبس الذين يتكلموا من الإمام ، فوقعوا المذكورين دفاع لمن يصلح حبة من المؤمنين المحبين ، والله سبحانه يخارج هؤلاء المذكورين ويعمي^(٥) أبصارهم من المؤمنين بحوله وطوله ، ويفضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وبقوا في الحبس نحو أسبوع وأطلقوا .

[أخذ ظفير حجة]

وفي عشرين القعدة تواترت الأخبار على أن الإمام ، أنفذ مقادته على بلاد حجة ، ورئيس القوم مبخوت الأحمر ، والمقدمي سيدي محمد بن الهادي من بلاد شهارة ، وأخذوا الظفير ، ظفير حجة الذي أخذوه أولاً مدة الهادي شرف الدين في سنة إثنين بعد الثلاثمائة وألف ، في مدة عزت باشا ، والآن دخلوه سلاماً بسلام ، وأخذوا معه الشراقي في بلاد

(١) خ غر زهو .

(٢) مجرد عن الملابس .

(٣) إنتهى انقطعت أنفاسه .

(٤) جماعته .

(٥) يعمي يغطي .

حجة ، وقيل أنهم زد أخذوا معه اللومي ومبين ، كلهن هنالك ، وصارت الأرض تشتعل ناراً بالأخبار كل أحد على ما يوافقه والله الموفق .

وفي سلخ الشهر، صح عزل إسماعيل باشا من اليمن ، وأجمعوا على أنها توجهت ولاية اليمن لأحسن أديب باشا ، وذلك خبر السلك ، ولم قد باد بادي^(١) ، والمحاصرة لحجة باقية ، ولا سائر ولا راجع ، إلا إذا شيء كتب مع ناس متغربين^(٢) وأما أن أحد يمضي عسكر أوزبكية ، فلا ، والذين خرجوا غارة من صنعاء الوعدين^(٣) الأولى باقين في عمران ، حليفين^(٤) الأحزان ، والله في كل ساعة شأن .

وفي سلخ الشهر أخبر الأتراك أن ثم رؤس ووصاله شببك^(٥) من العرب لأنهم فعلوا للعرب دبارة^(٦) وبقوا الناس بين مصدق ومكذب ، وطلع بعض الناس من أصحابهم المصدقين من باب اليمن ، أخبر في سوق النضارة^(٧) أن قد وصلت الرؤس ، فتجاروا^(٨) الغوغا ينظروا إلى باب اليمن ، فلما رأوهم الترك لما قد فيهم من الخوف والوجل يتجاروا على عجل ، فأغلقوا باب اليمن ، وافتشلوا فشل عظيم ، وتداعوا بالنفير من الباب إلى العرضين الغربي والشرقي ، فأقبلوا فزعين مرعوبين ، وكانوا يسألوا العرب إيش فيه يا عرب إيش فيه ، ففطن أحد العرب ، وأجاب أن ما ثم شيء إلا جئنا ننظر الرؤس الواصلة ، فرجعت أرواحهم ، وسكن ما بهم من الوجل والفشل ، ولم أمكن يقولوا ما به شيء رؤس ، بل قالوا قد هن في العرضي ، وقد وصلت ، وهذا وجه ليل^(٩) الصبح تنظروها عياناً وبياناً ، فما أصبح الصبح إلا وقد اشتعلت الأرض ناراً بتنصيره واحدة بدعت من بلاد أرحب ، وجرت إلى عيال سريح ، وجرت إلى همدان السفلى الجاهلية والخطاب وجربان إلى العرة التي جنب الروضة وجبل بني جرموز ، وأعلنوا بها جميع يا منصوراه ، ودخل السيد محمد الشويح الليل ، يخبر الأتراك بذلك مقصده ينجب^(١٠) نفسه من شرارته ، وإلا فلعله منهم ، ولكن كما يقال (إن جاد مولانا قلنا يا إمام القبلتين ، وإن جادوا أصحابي فانا من حصن

(١) بدأ بادي .

(٢) متكرين .

(٣) الأسبوعين .

(٤) محالفين .

(٥) جمع شبكة (معروف) وهي التي يوضع فيها التبن .

(٦) خدعة .

(٧) سوق المفرشين (ويعرف بسوق المبسطة) .

(٨) من الجري معروف .

(٩) أي نحن على وشك الليل .

(١٠) ييري نفسه .

الظبيتين^(١) وهذا بالحالتين وهو من تَغْيَر النية ، والله يصلح أحوال العباد ، ويختار للعباد ما فيه الخير والصِّلاح .

وفي هذا الوعد وقع من الذنوب الحرب بين الشيخ قايد الأهجري وبين أهل رَجَام حرب كبير ، وهم أهل بلاد واحدة ، وداعي الجميع واحد ، الجميع بني حشيش ، وقد ذهبت منهم نفوس ، ووقع الفعل في أهل رجام ، وكذلك بين أهل سعوان والرّونة وكل ذلك الذنوب وعمل الشيطان والقتلى في سبيل الشيطان ، فنعوذ بالله من الشيطان ، وأفعاله وأعوانه وأتباعه .

وقيل وصلت بسطة من محمد بن المتوكل إلى المشير ، يحرضه على أهل صنعاء أنهم لا انقطعوا^(٢) من عند ابن حميد الدين ، دائماً من حين قام ودعا ، وإن الطرق والمحلات مستمرة منهم إليه وكذلك عامل أرحب بن سنان ، فعل ما يقارب هذا ، سأله المشير عن أحوال أرحب ، وأنهم لا زالوا يتهيؤوا للخروج على الدولة ، فأجاب أنها وقّرات وإرجافات في صنعاء من أهلها ، فتَحْمَل المشير بأهل صنعاء ، وحَمَلهم على غير السلامة ، ووقع ما ذكر من التحريش والتّحريض على أصحابه ، وإن الخوف من صنعاء ، وأهلها فلزمهم السّهر ، حتى لا كان يناموا أبداً في الليل بعضهم - الترك - يدور في المدينة وبثر العزب ، وبعضهم الزُّبطية والخيالة من خارج السور إلى حمرا علب ، وإلى عصر وإلى ضَبْر الخولاني ، وإلى نغم طول اللّيل ، وأهل صنعاء نيام ما عندهم شيء من ذلك إنما يحده هرج ومرج في النهار ، والليل سكون ، وقلق فزاد الغيظ في قلب الوالي فهم بالقبض على ناس من الرؤساء والتّجار ، فظهر من فُحواه ما في هواه ، فاجتمع رأي السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي ، والتجار على الخروج إلى عنده إلى بثر العزب ، فخرجوا ثالث أيام العشر ، يوم الخميس ، وتكلّموا بما في مرادهم أن حالنا وحالكم واحد ، وإن أحنّا يا أهل المدينة من القبائل أخوف ، وإن الولد والمكَلَف^(٣) واحدة ، وأنا يد وساعد على من نازعنا ، وأن لا يدخل في قلب مولانا المشير على أهل صنعاء شيء ، فهم ضَعُفا ولا يتصور أنه يقع منهم أو بسببهم شيء من الفساد ، وأن المغربي أكل ولده^(٤) ، ومن يسمع يخل^(٥) . فأجاب

(١) من أمثال قبيلة خولان وهو من شعر ملحن لشاعر خولان أحمد بن سنبل أنظر الأمثال اليمانية ٢٣٣/١ .

(٢) لم ينقطعوا .

(٣) الزوجة والمرأة .

(٤) من أمثال صنعاء المغربي المرء الذي أغري بغيره (الأمثال اليمانية ١١٤٩/٢) .

(٥) من الأمثال الفصحى (أنظره في المستقصى ٣٦٣/٢ وتمثال الأمثال ٥٦٤/٢) .

عليهم بما يحق لهم ، وأظهر الممنونية^(١) وحمد فعلهم ، وشكلاً سعيهم ، واطمأن خاطرهم الجميع ، كما يقال : (حنانيك بعض الشر أهون من بعض) وأما أن القلوب والضغائن فيهم باقية ، فلا تزول ، يَحُدُّه أن تلك الليلة ما رقدوا إلى الصُّبح أشد من كل ليلة ، فإنهم سمعوا بعض بنادق في الحواز ، لعلها حريوه^(٢) كونها ليلة الجمعة^(٣) فتجاروا^(٤) من كل عهده ، وخرجوا جميع الخيالة والزُّبطية نصف الليل ، ضربوا في الأربع الجهات شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً ، حتى طلعت الشمس يوم الجمعة ، وما أظن إلا أن هذه رجفات حلَّت بهم ، وترادفت عليهم ، حتى أنهم يتسمَّعوا ما يقولوا الناس في الأسواق ، وخلوا ناس ما عملهم إلا ذلك يأتوهم بأخبار ، وحتى سنوات يدُورين^(٥) في البيوت يتجسَّسين الأخبار في الحَمَّامات .

والذين في حجة باقين محتازين الآن ، وكذلك من في عمران أحتازوا بعد تلك التنصيرة الواقعة في أرحب وهَمْدان .

وجاءت أخبار أن الذين في قُفل شمر ، قد خرجوا قتل هربوا ، وقيل إلى القتل ، وقيل إلى الأسر ، والله أعلم بالصَّحة ، وحاصلة أن ما لها إلا الله سبحانه .

وفي يوم الجمعة بعد أن نزلوا إلى الوالي يُطَيِّبوا^(٦) نفسه بما ذكر ، ظهر ذلك حتى في الخطبة في الجامع المقدس ، فإنه الخطيب زاد في مَدْح السلطان غير ما يعتاد فيما مضى ، والله يصلح أحوال العباد والبلاد ، ويختار لعباده ما فيه الصَّلاح ويجلِّى هذه الشدة آمين / .

وفي أوائل أيام العشر قد كان قد تهيَّأت الأمور لصَّلاح جميع الجمهور ، ووصل أوائل المسافرين من كل ناحية إلى المدينة المحمية ، فوقع رأي أهل الحل والعقد ، على قبض الجمال الواصلة بالأحمال من غير إمهال ما ينقض الجمل ، إلا والعسكر مناظرين^(٧) والخيالة طرشوا^(٨) بخيلهم إلى كل جهة من جهات صنعاء ، لأجل لا يتعالموا بالسخرى ، ووقع التَّحروج على بعض القبائل في الأبواب ، ما يدخل من الباب إلا طريق الحبس ، وما مقصدهم إلا قبائل أرحب ، وقبائل وادعة هَمْدان ولكن مع الذنوب والتسليط ، كان كل أحد

(١) من عبارات الترك بمعنى المنة .

(٢) عروس تزف ليلة عرسها .

(٣) يتيامن أهل اليمن بليلة الجمعة فتكوب أكثر أعراسهم فيها من ظهر الخميس .

(٤) جروا .

(٥) من الدوران معروف .

(٦) يسترضوه .

(٧) منتظرين .

(٨) أسرعوا .

يدراً من الزبطينة بما يتقرب ، فكان يفزعوا المطلوب وغيره ، بل كان بعض القبائل يفدي بنفسه ، شيء من المال لأجل لا يوقع في الحبس .

وفي خلال ذلك قد حبسوا جميع مشايخ بلاد البستان ، فصَحَّ عند جميع القبائل لا حاجة لهم في دخول صنعاء ، فرجع من الطرق من رجع ، ومن لم قد وصل بقي في محله موقف لم يصل متوقف ، واستكفوا عن دخولها بأسواق بواديهم ، وأما أهل القبلة ، فأجمع أكتع^(١) استكفوا بسوق الروضة ، وحُيِّت الروضة حياة كبيرة في البيع والشراء ، وكثر الجلب إليها من كل شيء ، وما كان يدخل صنعا إلا الضعفاء الذين لا يرجى خيرهم ولا يدفع شرهم ، ولا ذنب لهم ولا حجة عليهم ، ، بل كان يزِدُّ يقع معهم بعض إمتحان كما ذكر لي بعضهم ، رجل شائب مسكين من جبل عيبان فوق حدّة : أن الزبطينة قبضوه في باب السُّبحة وأخذوا جنبيته ، وأطلعوه إلى القصر ، وما كان مقصدهم الزبطيني القابض له إلا مرجي يأخذ منه فدا نفسه ربع قرش أو غيره ، وقال له أنت من أرحب ، فلما جاؤا ناس من بلاده يخارجوه من مشايخه ، ظهر ذلك وفي كل الناس كذلك ، وكان يخبرون أن السُّخري في جميع القرأش حمار وجمل ، فأما الجمال فانقطعت ، وأما البهايم ، فكل من كان له أتان رده البلاد ، ودخل بغير زاد فقلَّ كل شيء من المصرفات ، وكثرت الحوشات^(٢) على كل مجلوب من سمن وسليط ، وكل ما يحمل على الدواب ، سيما الحطب فغلي غلاء لا يعتاد مثله ، حتى وصل حمل الحمار قرش إلا ربع ، الحطب المليح كونه عيد كل أحد ، ما زِدُّ فند^(٣) ولو بقرش ومع الوقزة بالفساد ، والحوزة ، فصاحب القرش الذي سيستغني به حطب ، كان يشتري بأربعة قروش ، ولا سيما أصحاب الدولة ما كفاهم شيء ، مستعدين لما ذكر ، فضعفت صنعاء في البيع والشراء ، ضعف ما قد وقع مثله وقل البيع والشراء وكل أحد مستعد لغير ذلك ، ما خلا الطعام فبحمد الله ما جرى فيه شيء ، والسبب أنه مجلوب دائماً من كل جهة ، والخير فيه متتابع ، وانقطاع الجبال هو مقدار أربعة خمسة أيام ، والبهايم كائنة في كل محل ، طعام واصل ، والعذاب في الميري ، كان يأخذ المتقبل حتى على بعض الأملاك ميري ، وما زاد رعى في أحد ذمة ولا حرمة ، وكان الذين يخرجون الروضة يسلموا له ميري على أغنامهم المعلوفة في بيوتهم ، ما قد أحد وصل إلى ما وصل إليه هؤلاء وهم المتقبلين ، وسيم ، وخليل ، ترك ، وحماد من عرب بئر العزب ، ومات في تلك المدة المذكورة وهو في تلك العهدة المدبورة/وحاصله أن وقع للعرب عذاب ما يعرفوه من حين

(١) من عبارات الأجرومية في باب التوكيد .

(٢) إحتواش الناس تجمعهم لأجل الحصول على محتاجاتهم .

(٣) بين أو ميز .

خَلَقُوا ، ولكنها بقدر الذنوب ، وهو في القبائل أكثر بقدر أعمالهم ، لأنهم قد بغو وعثوا وعاثوا في البلاد ، ولا زِدْ رَعُوا في أحد وأكثره بغيهم على سادتي آل القاسم ، فإنهم منعوهم تسليم الواجب ، وقطعوا الطرق ، وقتلوا النفوس ، عبثاً ورأيت في بعض تلك الأيام السابقة أن ما يدخل القبيلي صنعاء إلا يتحرش الناس ، ويفاتن في الأسواق ، ويطلب المغلبات من الدولة القاسمية فإن سانعوه^(١) بمراده ، وإلا فعل ما ذكرناه من البغي والفساد ، وفي الآن ما يدخل إلا يأخذوا منه في كل باب رَهْن فيما دخل به ، ولو ربع رطل سمن ، ولو نفرين^(٢) حب ، ويرسلوا معه من الباب من يمسكه ، ويبد الماسك له ورقة فيها مكتوب ما دخل به ، والمرسل معه جاهل^(٣) في نحو خمس ست سبع سنين ، ولو كانت نقيب الدّاخل أو شيخ ، ما قدر يخالف ، ولا ينفر ، ويصال إلى السُّمسرة وإذا ما وصل صار عليه أضعاف ما كان لديه .

ورأيت يوم في هذه المدة ما طلّعوش^(٤) التُّرك السُّمسرة ولا حَقَّهم المُمير العطاب ، فكان يصالوا من الأبواب بالقبائل ، ويدخلوهم السُّمسرة ناس محمل على ظهره ، وناس على جملة ، وناس بهائم ، حتى وقع وقت الغدا ، وقد امتلأت السُّمسرة من كل المجلوبات ، خريف^(٥) وقات ، وطعام ، وعَلْف ، وحطب ، إذا معه شيء يسير مما يمير عليه أخذوه إليها بحطبه وعلفه ، ولا قدر أحد ينفر ، ويخرج يبيع ما جلبه ، فهذا بذاك ولا عتبان على الزمن ، والمؤمن في الألفاف ، وإن قد غثي^(٦) وتعب وخاف ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وهو اللطيف الخبير .

يوم العيد خرج الوالي المتعين لليمن ، ودقوا في السِّلْك إلى صنعاء بخروجه هو وأحمد رشدي المذكور سابقاً ، الذي عبث بأهل اليمن الأسفل ، فما رجع إلا وقد رفعوه درجات على قانونهم ، حتى صار فريق ، والمتعين أحسن أديب ، وصحبتهم الباشا^(٧) وصحبتهم عسكر ، وقبلهم عسكر قد كانوا وصلوا حراز ، وبعد أجمعوا أصحاب الدولة أن الباشا الخارج من البحر عزم على طريق حجة وهو عسكره ، وقد أجمعوا في الأخبار أنها وقعت في حجة قتلة كبيرة وأخذ العرب^(٨) .

(١) سايروه على ما يريد .

(٢) مثنى نفر : مكيال صغير كالمذ .

(٣) صبي .

(٤) ما طلّعوا والشين للكثرة .

(٥) خريف : فاكهة الخريف كالشمش والتين والع . ونحوه .

(٦) استأ

(٧) بياض في الأصل .

(٨) بياض قدر سطر ونصف تركه لتحقيق هذا الخبر .

والعسكر الذين قد كانوا في حراز وصلوا صنعاء المحمية بالله في ١٧ شهر الحجة سنة ١٣٠٨ وخرجوا من صنعاء يلقيهم لقية كبيرة ، ووصلوا وصلة عريضة طويلة ، وهم خمس مئة سلاحهم بنادق مَرَتْ^(١) جميع ، تبلغ ضعف البنادق الشيشخان ، والشيشخان تبلغ في مرماها ضعف البنادق العربية ، واقتسموا فريقين ، فريق طلّعوا القصر من وسط صنعاء ، ونصفهم خرجوا من باب خزيمة ، ودخلوا العرضي .

ويوم ثاني اجتمعوا الجميع ، وفعلوا عراضة كبيرة ، وجُرَّت المدافع التي وصلوا بها إثنين كبار مثل المدافع السابقة الذي في صنعاء وأدخلوها عرضي المدافع وقد كان أطلعوا^(٢) من العرضي إلى القصر بعض المدافع ، وكان يدفعوا في أيام التشريق من القصر والسبب الونش^(٣) والقلق / الكائن .

ونسما^(٤) يوم الجمعة وخرجوا يوم السبت لا يدروا أن يتوجهوا لأن البلاد قد نصرت للإمام ، وزاد فوق ذلك أخذوا أصحاب الإمام بعض قرى في حضور في ذلك اليوم الذي وصلوا فيه العسكر الشاهانية ، ولعله كان مرادهم في العسكر الواصلين يهجموهم الليل في متنة أو بعض البلاد ، فما وصلوا القبائل إلا والعسكر واصلين ، وأصبح الخبر في صنعاء صبح الجمعة ، يوم العريضة المشهورة ، وقد نصّروا في الحيمة وأشعلوا النيران في تلك البلدان ، في بلاد القبائل ، وفي بني النمري ، وبلاد الشيخ^(٥) قطع ، والأتراك قابضين الجمال المسخورات من بين الخمسين ، فإن يبقوا في صنعاء ، فسيضعف عليهم الأمر قطعاً ، وأن يخرجوا فهو أولى بهم وأحرى ، وعمران قد تغلّقت طريقها بسبب تنصيرة همدان السفلى ، وعيال سريح ، فخرجوا صبح السبت في ذهنهم أنه يوم ثبت ، فخرجوا من باب^(٦) شعوب متلفتين من الزوب^(٧) ومعهم أصحابهم المزلجين لهم ، وصحبتهم المدافع ، وحزبة كبيرة نحو مئة وخمسين ظهر جمل ويغال وخيل ، فوصلوا إلى جبل الجراف ، وقد سبقوا بعضهم ينفضوا الطريق خشية من المضيق ، وطلّعوا رأس الجبل المسمّى بجبل القرعة فوق وادي الحربي المعروف ، حق أهل الجراف ، وعمرؤا فيه المتاريس ، وقعدوا فيه ينتظرون ، كأنها قد أتتهم الليوث العوايس ، وما به ما يوجب لا أسد ولا فارس ، وطلع الحاج العماد

(١) نوع من الأسلحة يقول المؤرخ زبارة وكان أول خروجها إلى اليمن في عام ١٣٠٩ (انظر أئمة اليمن ص ٧١) .

(٢) خ أطمعوا .

(٣) التشويش .

(٤) إستراحوا .

(٥) بياض في الأصل تركه لاسم المذكور .

(٦) خ با من غير با أخرى .

(٧) الخوف .

يفعل دوره من الجراف إلى وادي الحربي، ويلتقط له قليل بَلَسْ ومعه فقيه واحد فَلَقُّطُوا لهم رطل بَلَسْ، وطلعوا إلى رأس الجبل، فكل من رآهم من الأتراك أبلس، فلحقهم بعض الأفندية ومعه عشرة عسكر، فلما وصلوا إليهم تخبروهم ما طلع بهم وما شأنهم، وما في بلادهم، وسلموا عليهم سلام العرب مصافحة وتقبيل، فأخبروهم أن ما به قلق ولا ثم ما يوجب إصفرار الألوان والعرق، وقعدوا في مقعدهم وأرسلوهم طريق خبرتهم يخبروهم، أن ما ثم شيء فعزموا في الحال جميع الرجال نحو القاع، وأرسلوا بعضهم ينفضوا لهم الطريق، فصعدوا على جبل الكولة كملت العرج بين الروضة وجدر، وقعد وارجعوا أصحابهم المزلجين لهم نحو صنعاء، ومعهم مدفع رجع، وقعدوا هنيهة حتى رجع من العرب الذين سبق يجس الطريق، فقل أن بلاد همدان قاطعة للطريق، ولم قبلوا الرشوة، وقيل أنهم سمعوا هبة^(١) في جدر، فأجمع شورهم وشور من معهم المديرين لهم، وهم الشريف محمد الشويح، والشيخ حزام بن صالح دغيش، على أنهم يطلعونهم من نقيط ذهبان إلى ضلاع، فطلعوا بما معهم، وهم من شدة الخوف صراع^(٢) وفي صنعاء على تلك القاعدة، ما يرقدوا في الليل شيء، بل يدوروا كل ليلهم، وأما في السائلة من الخندق القبلي إلى الخندق العدني، فقاعدين في أبواب البيوت إلى الصبح، كل ليلة، وجميع أهل صنعاء رقاد في حمى الرحمن الودود، فسبحان العالم بما يكون قبل أن يكون / فلما أوصلوهم إلى بيت نعم، وقد زالت عليهم النعم، أمسوا وفي قلوبهم الهم والغم، فلما أصبحوا ولدوا بهم شدوا، ولا شعروا إلا بتعشيرة من رأس النقيط، فسقط من أيديهم الخفيف والثقيل، وصعدوا الجبل وقد هم في غاية الوجع، فما وصلوا إلى وسط القاع إلا وقد كل أحد متحير ومرتاح، وهم قريب المنقب، وإذا القبائل للقتال تتحزب، فأقبل أوائل القبائل بالمهاري والعوايق، ومن وصل عشر إليهم، حتى أظلم الهوى وثار العجاج، حتى ملأ النجود والفجاج، وبقوا على تلك الحال طول يومهم، يوم الأحد عشرين الحجة، وليلة الإثنين أقبلت الغواير، وقامت حفيظة كل قاعد وسائر، ولعلهم القبائل قد تقاعدوا، ولذلك اليوم المشهور تواعدوا، والسبب أنها ظهرت تلك الليلة ليلة الأحد منارة في رأس جبل نقم، قيل أنها بينهم العلامة ولم قد تحقق ما جملة القتلى.

وصلت إلى الدولة يوم الأحد أخبار وكتب، بأن الحيمة قد نصرت للإمام، وإن أصحابهم الذين في العر محتازين^(٣) في المنصورة حق العر، فأجمع شورهم على إرسال

(١) الهبة: تكررت لغة الصوت المفزع (انظر فترة الغوص ٩٥).

(٢) صرعى.

(٣) محاصرين.

بقية الضبطية ، فجمعوهم ، وأمروهم بالتأهب للمسير ، وعزموا فجر يوم الإثنين وصحبتهم الميم^(١) باشا كبير الزبطية ، والله أعلم كيف آخر القضية ، وأما الرماية بالبنادق والمدافع فلم سكنت لا ليل ولا نهار ، عند الذي في المنقب لأنهم نحو ثمان مئة ، والمدافع كذلك تخدم كالرعود ، وهذا مما يدل على أن قد نجمهم قد تحول من السعود ، وصار في النحوس ، والسقوط ، بعد أن كان البلك منهم ثمانين نفر يسوق القبيلة ، وهي نحو آلاف . وتقول أين المفر كلا لا وزر فسبحان المعز المذل .

وبعد عزموا على المسير من المنقب ، وشدوا صُبح الثلوث ، وفي ذهنهم أنهم يريدوا الغارة على أصحابهم إلى حجة ، ويمروا من عمران ، فتعذر المرور من طريق وادعة ، فلم يمكن فطلعوا تلك الطريق ، فلما مضوا قاع المنقب إلى أن وصلوا حجر سعيد ، وحضرت منايا القريب والبعيد ، ووقع يوماً عبوس ، وتقاربت آجال النفوس وجُزّت الرؤوس ، وتقارب الجيشان ، وفر الجبان ، وتصادم الشجعان غزاهم السيد أحمد الشرعي ، وفعل مثل ما فعل في اليوم الأول في المنقب ، وهو وأصحابه أعظم من ضرب فيهم ، وعلى قوم العرب عول ، فما وصلوا شبام إلا على أشر حال ، وصعدوا عند أصحابهم الذين في كوكبان ، قيل أن قائم مقام كوكبان منعهم من الدخول / خوفاً من الحوزة ، وقيل أنها بقت العرب تغزيهم في الليل ، وصاروا^(٢) حائرين الأفكار في الليل والنهار ، حين لم صح من غارتهم شيء لا على عمران ولا على حجة ذو الفقار ، وانقطعت عليهم الطرق ، حتى من البسطات^(٣) بعضهم البعض ، وكل أحد احتاز مكانه ، ولا عد^(٤) يمكن غارة المئة ولا المئتين هولاء نحو عشر مئة ، وقع ما ذكر ، فكيف بالقليل في قاع الضلاع ، وبكروا خولان عزموا برهائهم إلى الإمام ، رهاين مختارة ، ثمان من بني جبر ، ومن بني شداد ، ومن الأعروش وبني ظبيان والسهمان ، وقد هم على أوان الرجوع ، وأصحابهم في البلاد مازد هنيهم^(٥) لا حركة ولا هجوع ، من شدة الشوق للقتال والضرب والنزال .

وفي خلال هذه الأيام عزم الشيخ علي بن محمد البليلى إلى بلاد خولان ، يسكن الدُّهْمَا ، ويتقرب عند البوش والسلطان ، فلما وصل قروي عند صاحب له الشيخ^(٦) الهزامي ، ووقف هناك حائر الفكر ، لأنها جاءت له النذر أنهم سيضبطوه وقيل رجع إلى

(١) اسم أحد العرب وأظنه تحرف عليه من حاميم .

(٢) خ صار .

(٣) جمع بسطة الريد .

(٤) عاد بمعنى صار (معروف) .

(٥) لم يهنؤوا من الهنا معروف

(٦) بياض تركه لأسمه .

الكبس عند السيد يحيى الهجوة ، وبينهم عداوة ، ولكن هجمه إلى بيته فما وسعه إلا السكون في أمره ، ولعله متوقع ما يرجعوا به الذين عزموا إلى الإمام ، لأنه بقي أهل الحصن الظبئتين ما رهنوا مع من رهن ، والسبب السيد يحيى الهجوة ثبّطهم عن الملقى مع أصحابهم ، والسبب أنه متوقع لما يصح ، والمثل السائر ما وقع إلا من بني الصوفي (إن جاد مولانا قلنا يا إمام القبلتين وإن جاد أصحابي فأنا من حصن الظبئتين) وبين الشيخ علي البليلى ، وبني الصوفي مروّات ، وبيت الصوفي إلى الأمام^(١) أميل ولكن متوقعين لما يبدى .

وفي هذا اليوم شردوا الخيالة المسمائين بالسوارية من صنعاء بخيلهم ، وأخذوا البنادق حق الدولة معهم ، وهم نحو عشرة ، والسبب كثرة الأخبار المفزعة من حركة كل القبائل وإعلان الفساد .

وفي يوم الجمعة ٢٥ الحجة ما أصبحوا إلا والسلك مقطّع من حدود الحيمة إلى بلاد البستان ، عمّل قوم كبيرة ، ما قد وقع تقطيع مثله أبداً ، وأخرجوا له حملين جمال جرو بوادي ومن شدة الفزع في أهل صنعاء ، ناس يهرب من صنعاء إلى البوادي وناس يهرب من البوادي إلى صنعاء والأترار بينجلوا من بئر العزب إلى صنعاء ، وإلى القصر ، والقبائل يلتفوا فيما بينهم بين ، وحاصله أن هذا شهر الحجة الحرام ما قد وقع مثله في الخوف والفزع ، وجميع الناس يتحاشروا في صنعاء على المصرفات ، جميع مستعدين لحوزة كبيرة ، مع قوة الأترار ، والله له في كل ساعة شأن يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ومتى عظمت الشدة قرب الفرج فياغوثة بالله نسأل الله أن يلف بنا والمؤمنين ، ويحفظ المدينة ومن فيها من المؤمنين بحوله وقوته وبحرمة الفاتحة / .

وفي هذا الوعد^(٢) بدت^(٣) من الأترار خرافتين ، الأولى أنهم طلبوهم إلى عند الميم باشا ، وذكروا لهم أنهم الدولة يريدوا يسلموا لأهل صنعاء بندق شاشخان ، يتسلحوا بها في بيوتهم ، ويحفظوا نفوسهم ، وبيوتهم من ثورة العامة ، وتواعدوا^(٤) للجواب إلى يوم ثاني ، وطلعوا ، وقالوا الدولة ما ثم حاجة لما ذكر بالأمس ، وإنما المقصود كل واحد يحفظ نفسه ، ويوم ثالث أرسلوا لهم وطلعوا ، وذكروا أنهم يريدوا أن يعرفوا من معه بندق من صنعاء ، ومرادهم يعرفوا منهم الذين يملكون البنادق العربيات .

(١) خ الإتمام فيحقق .

(٢) الوعد الأسبوع (كناية) .

(٣) بدأت .

(٤) اتفقوا على ميعاد .

والثانية : أنهم أرسلوا لهم من البلدية أنهم يريدوا يقطعوا جميع الأثل الذي حول صنعاء من جهة القبلة ، ويخربوا الجدران الذي خارج صنعاء بالقرب^(١) من الدائر ، لأجل القبائل لا يجوا يكمنوا بين الأثل أو خلف الجدران .

والثالثة : رأوا سراج باهي في داع الخير، ولعلها لنبّة^(٢) في مكان في الدّار العدنية، فأرسلوا لمعياد صاحب الدّار الليل ، لأنه كان في صنعاء ممّسي في بيته وما أطلعوه إلاّ مربوط الليل، ففشل من ذلك وسألهم^(٣) ما السّبب قالوا: إنهم رأوا في بيته في داع الخير تنصيرة، فرجع روحه، كونه عالم أن ما ثمّ شيء، فكفل في عدم ذلك، وأطلقوه بعد أن أفزعوه لا لشيء.

وأما خبر الشيخ علي البليلي ، فإنه عزم خولان مصلح من طرف الدولة ، كونهم قد أظهروا الفساد ، وأرسلوا برهائهم إلى عند الإمام إلّا أهل قُرّوى وبيت الصوفي فلم يرهنوا ، والسبب السيد يحيى الهجوة ، فلما وصل إليهم أظهروا له إنه ساقه الله إليهم وأقبلوا بني شداد ، وناس من بني جبر يريدوا يلتقوا هم ، وأهل قُرّوى ومسور ، لكن قصّدهم الجمالي^(٤) يريدوا قتله ، وقعدوا للإمام في الطاعة ، وبذلوا بقية الرهائن للإمام ، وما تمّوا المجمع إلا وقد ختموا ، وطبعوا جميع خولان ، وجميع سادة الكباسية ، والشيخ علي يرى ذلك ويسمع ما هنالك ، وتموا وتحاكوا في خوضه^(٥) فلما علموا أهل اليمانية والسّادة أن ما قصدهم إلّا المشار إليه ، إحتاجوا أدخلوه المسجد، وتحجّجوا^(٦) عليه كونه في ساحتهم ، وفي ذمة السّادة الهجر ، وآل الخوض^(٧) على الإحتراس عليه خوفاً منه من الهرب ، ومن قتله غفلة لأن بني شداد نفروا من المجمع ، وخلوا خمسة عشر رجل يتعنوا به ، ولعلمهم عرّفوا إلى الإمام في خوضه ، ومقصد الهجوة قبضه لحتى يصال ولده من حراز ، لأنه حاكم في متوح من طرف الترك ، وفي ذهنه لا يقبضوه ، فقبضوا الشيخ من طرفين، وإلى آخر شهر الحجة وسو باقي .

وفي غرة شهر المحرم سنة ١٣٠٩ ارتفعوا الزبطية / من العر قيل أنهم طلبوهم يترتبوا

(١) خ بالقرب .

(٢) سراج يضاء بالزيت واللّفة أعجمية .

(٣) خ سلهم .

(٤) أي علي البليلي .

(٥) في شأنه .

(٦) تجمعوا حوله ودافعوا عنه .

(٧) إنتهى .

في متنه في بلاد البستان ، لأجل حفظ الطريق ، وقاع سهمان ، وحفظ السلك من التقطيع الذي يقع فيه ، وقيل أنهم خافوا على نفوسهم في الحيمة ، كون قد هيه متابعة للإمام ، فلما وصلوا إلى متنه ، تحققوا إن قد بلاد البستان متجمعين لهم يريدوا الفتك بهم في متنة تلك الليلة ، وعاد شيخ بيت^(١) ردم العريق مجد^(٢) مع الأتراك يريد الفخر عندهم والمروة لهم ، فوصل أنذر الزبطية وشلهم عنده تلك الليلة وعشاهم ، وآخر الليل شلهم ، ورفقهم بجماعة من أصحابه إلى أن وصلهم بيت عذران فوق عصر ، ووصلوا إلى عصر صاغرين مذلولين ، لا زقموا مرتب الحيمة ، ولا ثبتوا في متنه ، وقعدوا حتى أذنوا لهم بالدخول صنعاء ، ودخلوا بين المطر متفرقين لا كما خرجوا بالزامل^(٣) والبرع^(٤) بين يدي كبيرهم الميم باشا وجنابهم في أيديهم تلوح ، وكل أحد يترع وبالزامل ينوح ، فسبوح سبوح كيف تبدلوا في ثمانية أيام حسوماً ، ودخلوا يوم الخميس .

وصبح الجمعة وصلت الأخبار الصحيحة بأن مقدمي بلاد البستان الحاج منصر خصرف ، هجم إلى قرية يازل في طرف البستان ، ورأس الحيمة ، وفيها نحو عشرين نفر خيالة بخيلهم وبنادقهم ، وقتلوا بعضهم ، وأسلموا الذين استجاروا بهم ، وأسلموا الذين استجاروا بهم ، وسلموا سلاحهم في سلامة رؤوسهم ، وأخذوا الجميع أخذة واحدة ، وسلبواهم جميع ما معهم من سلاح وخيل ورمصاص وبنادق وثياب ، ومن قاتل منهم قتلوه ، ولم سلم أحد منهم ، أما أسراً أو قتل ، وشرد منهم إثنين في آخر الليل^(٥) ووصلوا صنعاء مخاليس ما عليهم إلا ما يستر عوراتهم بعد أن أمنوهم ، ولكنهم هربوا ولم شعروا بهم ، والقصد منهم قد أخذوه ، ووصلوا بالأخبار الصحيحة ولولا هربوا وواصلوا الخبر ، ما كان أحد يصدق .

ووصل ذلك اليوم بقية الترك الذين في دمار ، وهم مقلة^(٦) ومعهم الخزنة والمدفع الذي هناك ، ولم بقي أحد في دمار ، وما وصلوا إلا على أشرف حال ، خوفاً من القتل والدمار ، لأنهم كانوا مظنين أن خولان سيلقوهم إلى الطريق ، ولم بدا من خولان شيء ، مع أنهم قد أشعلوا الأرض ناراً ، وأعلنوا بالفساد جهاراً ولكن في بيوتهم لأن لهم نحو شهرين يريدوا الفساد .

(١) خ رم فيحقق .
(٢) لا يزال في صفهم .
(٣) نشيد جماعي خاص بالقبائل .
(٤) نوع من الرقص .
(٥) بياض في الأصل .
(٦) قليل .

والوعد الأول قبل سلخ السنة بثمان ، مضت الدراهم حق الدولة طالعة من اليمن ، وظنوا أكثر الناس أنهم سيأخذوها عنوة ، وتوقعوا بها الدولة في اليمن مدة وبعد في الطريق ، فمضت وهي أحمال جمال ، المكثر بعددها يقول ثمانين ألف ، والمقلل لها يقول أربعين ألف ريال حجر ، فعدوها الشيعة هاتين من خولان هفوين^(١) .

وأما السلك فما أصبح يوم الخميس غرة محرم إلا وقد قطع جميعه من بوعان إلى عصر ، وقلعت أخشابه ، وكسرت البور ، وكأن لم يكن في ليلة واحدة لأنهم كان يقطعوه فيما مضى قطع سليمة وإلا يأخذوا منه من الجر^(٢) قدر ذراعين ثلاثة ، وهذه المرة لم قد وقع منها إلا في أيام فساد الزرائيق في تهامة ، في أيام سابقة ، فاحتاجوا الدولة تجهزوا للمخرج يوم السبت ٣ شهر محرم سنة ١٣٠٩ ببقية الزبطينة الذين رجعوا بالأمس ، وأترك وخزنة ومدافع ، والله المدافع والعالم بما يكون من البستاني^(٣) ، لأن المخرج عليه ، وطلعوا من عصر إليه وهما منها لأحدهما أو عليه^(٤) .

وخرجوا صبح ذلك اليوم يوم السبت ثالث الشهر ، فوصلوا إلى عصر ، وطلبوا رهائن يصلحوا كلما مروا عليه ، ويأمنوا في مسيرتهم ، وبذلوا الرهائن وطلعوا بيت عذران ، وقبضوا منهم رهائن كذلك ، ومضوا الجعادب وكذلك ، ورجعوا إلى الحُسمه قرية فيها قليل رعية يسموا بيت المغربي ، وطلبوا مبهم رهائن ، فلعلهم تراخوا عن الوصول بذلك المأمول أو خوفاً منهم كانت المراهاة ، فقلبوا لهم المدافع التي خرجوا بها ، قيل ثلاثة وقيل أربعة ، فأخربوها ، ولزموا من أهلها أربعة أنفار ، وقتلوا منهم كذلك أربعة ، واحتزوا رؤوسهم ، وفي ذهب الأتراك والزبطينة تقع له جمالة عوضاً عما فعلوه القبائل بالأمس من قتل الخيالة ، وقتل المدير السيد عبد الكريم بن يوسف صاحب كوكبان ، فإن له عندهم نحو ثمانية أيام ، ولم أمكن إطلاقه وبعد أمسى عند بن علي ناجي^(٥) وزلج معه ثلاثة أنفار رفقه يوصلوه مأمنه ، فوصلوه إلى الطريق ، ووقع فيه تعشيرة بنادق ، وقتل بالأمس يوم الجمعة ثاني محرم ، ومقصد الترك من عار العرب يفعلوا ما ذكرنا بأهل الخمسة ، وغارت بعض قبائل من القرى القريبة ، وقد كان دخلوا الترك القرية ، فوقع بينهم حرب يسير إلى أوان الظهر ، وأقبلت أوائل القوم الذين في البلاد ، فكسروا الترك إلى أن ردوهم إلى رأس نقيل عصر ، فخرجنا ننظر فرأينا حرب ما أشد منه ، المدافع تخدم الترك ، والزبطينة ترمي بالبنادق أسرع من طرفة عين ، ولكن إذا عمي القلب عمي البصر ، وأقبلت باقي القبائل النائية قبل الغروب فمغنى تعاشير كالرعود القاصفة

(١) كذا في الأصل .

(٢) السلك .

(٣) أي صاحب بلاد البستان .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) بياض .

تعشيرة بعد أخرى، حتى إنا سمعنا أحدهن ونحن في صرحة^(١) الأبهـر، فمن شدة وقعن أجمعوا السامعين أنها في القصر، ووقعت فزعة عظيمة في صنعاء، سيما في الأسواق، لكل أحد غَلَقَ^(٢) دكانه، وجرى يدور محتاجاته من حَطَب وقشروسليط، حتى لم زد وجدوا شيء من قَفْرة^(٣) الأسواق، واستطال الحرب إلى أن غلب عليهم الليل، والظلام بقدرة الملك العلام، وإلا فهي كانت كيوم أحد، وتبعوا الترك القبائل إلى وسط القاع، إلى فوق الماـجل الذي بين عصر وقاع اليهود، واـفـتـرـعوا^(٤) الليل وكل أحد رجع محله، والذي في بئر العزب دخلوا صنعاء جميع، وغلقوا أبوابها من قبل الغروب، ورجعوا الترك متفرقين بعضهم دخلوا من باب السباح، وبعض القتلى معهم على البغال مغطّـايـن، والذين هم أهل الحرب والطعن والضرب، رجعوا مع الدايـر نحو العرضي، ولا زد أحد سمع لهما جميع العرب والعجم، لا حركة ولا سكون، حتى أضاء الصباح وأشرق بنوره ولاح، ولم قد يعلم كم قدر القتلى ولا غيرهم، والله سبحانه يفرج على عباده، ويحل هذه الشدة ويحفظ المؤمنين والمدينة بحوله وطوله، بحق محمد وآله، وبحرمه الفاتحة إلى روح النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ويوم ثاني ما شعروا الناس إلا بفجـيعة^(٥) في الأسواق كبيرة قيل قد القبائل ملأت الفجاج من العجاج، وقد أولهم في شعوب، وأقبلوا أصحاب الدولة عساكر ومدافع كبار يجرونها من وسط السوق بالخيل الجياد، وتلاحق العسكر والزبطية بعدهم، قاصدين قبائلاً وشعوباً، فلما وصلوا الباب، قيل أن القبائل جرت نحو عصر، فَجَرَوْ نحو عصر، واستقاموا خارج باب القاع، ورموا بثلاث جليل^(٦) مدافع إلى نـقـيل عصر، وبقوا هنالك إلى العصر، ودخلوا خيّموا في الباب المذكور، وبقوا هنالك، وأهل الأسواق نقلوا ما في جميع الحناويت إلى البيوت، وإلى المخازين التي في السّـماسر وبقوا على تلك الحال، ينقلوا مدة يومين ثلاث سراً وجهراً، والمصرفات عدت سيّما الطعام، واشتد الحال، سيما بالضعفاء، الله يفرج على المؤمنين.

ويوم الأحد اجتمع القبائل في ذهبان بني الحارث، والجامع لهم سيدي أحمد الشرعي، وحملت أمورهم جميع على الخلاف على الأتراك حتى الروضة وشعوب، وبلغ

(١) باحة .

(٢) أغلق .

(٣) فراغ .

(٤) انفصلوا .

(٥) خ فشيعة .

(٦) قدائف خاصة بالمدفع جمع جلة وهي إقلة من الفخار شبهت بها.

المعصّدر إسماعيل باشا وكيل المشير إسماعيل الوالي لولاية اليمن ، وأرسلوا لأهل شعوب وطلبوا منهم رهائن ولعلّهم لم أسعدوا ، وأرسلوا لبيت معياد وأهل داع الخير ، وطلبوهم الرهائن ، فأجابوا أن مالنا القه^(١) بالبقاء في داع الخير ، سندخل لديكم صنعاء ، فلم يسعدوا الدّولة وحبسوهم .

[وفاة الباشا إسماعيل حافظ في محرم سنة ١٣٠٩]

ويوم ثاني الإثنين توفي المشير إسماعيل باشا ، وأطلعوه قبروه إلى جنب قبرة عزة باشا في باب البكيرية .

ووصل الشيخ علي البليلي من خولان نهار الإثنين ، وقرّت به من أهله العين ، وقد كان أشرف على الهلاك في محبة الترك في خولان ورأى الموت عياناً .

ودخلت قبيلة سنحان فيما دخلوا فيه جميع الأعيان من القبائل ، وعم الفساد على الدّولة جميع البلاد ، حتى حدّة وسناع ، وبيت سبطان .

وقد وصلت عسكر من الحديدية ، وتخيّروا في الخميس خميس مذيور ، من كثر القبائل في بلاد البستان ، والذين في كوكبان نفذوا نحو حجة ، وهم الآن متخيّرين في وادي السيل بين كوكبان وبيت عذاقة .

والوالي الجديد أحسن أديب نفذ من تهامة إلى الشّغادرة تحت بني العوام ، وتحت حجة وكل أحد حانِب في مكانه ، فسبحان المفرق لما جمع والجامع لما تفرق .

ولا زالت الأرض تمور بمن فيها ، والأخبار تضطرب شغوف ، كل أحد بما يوافقه ، وتقطعت الطرق من الريبة ، وإلاً فما ثم خوف ، بل أن ما قد ذهب على أحد من العرب شيء في هذه المدة في جميع الطرقات ، وإلاً من معه شيء من الكتب والبسطات ، والله يفرج ويحل هذه العقدة والشدة آمين / .

وفي هذا اليومين فرّقوا الدّولة البنادق لخلق كثير ، أولاً لبيت معياد أهل داع الخير ، وأدوا لهم زانه^(٢) ولجميع الرّسم^(٣) لأهل بخار البخاري البياعين المشتريين ، وللمحرجين

(١) ثقة سر أو قدرة .

(٢) ذخيرة .

(٣) العسكر .

في الأسواق ، وللنصارى ، ولناس مخصوصين ، ومن أراد من أهل صنعاء وطلب بندق أدوا له الدولة ، وتركوا ما كان بنوا عليه من أنهم يأخذوها غصباً ، وصيخوا بالأمان ، وفعلوا للناس أوراق وعظ وتوبيخ ، من أن كل أحد يحفظ نفسه وبيته ، ولا يصدر منهم مغايرة ، واطمأنت القلوب قليل من الطرفين ، وإلا فكان كل فريق في قلق من الآخر ، أهل صنعاء وجليلين من الدولة من طلب المغلبات ، والدولة وجلة من ثورة العامة ، والله سبحانه يدفع البلاء بقدرته ، فقد ضاقت أحوال الجميع ، وكل أحد مترقب الفرصة ، وأما أهل صنعاء الأصليين ، فيأبى الله أن يصدر منهم شيء ، وإنما قد فيها حي^(١) كثير بسبب الدولة ، حللّوهم في المدينة ناساً لا يعرفهم أحد ، ولا هم ممن يخاف الله ، ولا لهم أمنه ، ولا عليهم ركنه ، ولكن جلبتهم الدولة أولهم عيال وشقا^(٢) وخدم ، وآخرهم زبطية ، وأهل بيع وشراء ومعاشات ، وهم المترقبين للفرصة إذا لاح لهم شيء وثبوا عليه ، ولو حراماً فما بالهم ما يترقبوا .

وأهل شعوب نجلوا من شعوب خوفاً من المدافع ، والله المدافع .

ويوم الربوع لقطوا من الفرع^(٣) النجع^(٤) المذكورين نحو مئة ولا زالوا يلقطوهم ، صبح ذلك اليوم ، فلقطوا إلى الظهر نحو المئة ، وطلبوهم الدولة إلى البكيرية : وأقبلوا أصحاب الدولة كل أحد زقم له واحد إثنين ، هذا يقول هو عندي شاقى ، وهذا يقول هو خدّامي ، وهذا يقول هو في البيت عند الهانم يبيّزي ، وخرجوهم مما قيل فيهم ، والسبب أنهم جلّوبتتهم وتربيتهم على ما يريدوا ، وقائمين مقامهم في بيوتهم ، أفهم ولولا ذلك أنهم سيلقطوا منهم نحو ألفين أو يزيدون ، وهم المترقبين لهم كما يقال في حار^(٥) ألما يقول دائي مني قال الشاعر :

فلذا صار تسيحي مثل تسيح حارا لما

وطلبوا في ذلك اليوم الحدّادين والنجارين والسياقلة^(٦) وأعطوهم بنادق ، كل سوق خمسة وعشرين بندق ، وألزموهم بالمحراس والأحتراس ، ولعل أنهم أعطوا ناس من شعوب قليل وناس من الرّوضة بنادق ، وما أخذوهم الأولين والآخرين إلا بالنيّتين^(٧) .

(١) ناس كثير .

(٢) إجرأ .

(٣) الفارغين . المتسكعين . أو أراذل الناس .

(٤) الفقراء .

(٥) أي الماء في فورانة .

(٦) الصياقلة صنّاع السيوف والخناجر .

(٧) بين أن يصدقوا أو لا يصدقوا .

أما من شعبان أو من رمضان أنهم كيف يصير التدبير في التدمير ، أنظر بتدبير علي باشا الذي خرج في آخر الحجة يريد عمران ، وبعد جاء طريق ضلاع ، ووقع ما وقع إلى عمران رجع نزل من وادي السيل ، بعد قتلات كبيرة في كل مطرح ، ووقع وصوله عمران على أربعة عشر يوماً ، واليوم يريد يرجع صنعاء بعد أن أيقن بالهلاك قطعاً ، وصار قتالهم اليوم للحواز طبعاً ، كما قيل (إذا أراد الله أن يقضي أمراً سلب ذات العقول / عقولها حتى يقضي أمره تعالى)^(١) .

ويوم الخميس ٨ محرم ، وقعت [في] النهار فزعة في المدينة بسبب أنهم رأوا القبائل في نقم وفي قاع صنعاء العدني ، مع أنها قد وقعت بالأمس تعاشير وتحاضير منهم في شعوب ، والصبح في جرف مبارك في الجانب الغربي ، والنهار ما ذكر في نقم ، ومقصد القبائل يجروا الترك إلى البر للحرب ، والترك إلى الآن كالحميان^(٢) للزرع والعنب يقال في المثل (حامي العنب أدن)^(٣) فلم أمكن منهم الخروج في تلك اليومين ، بل تصاغوا ورموا بالمدفع ضربتين أو ثلاث ، وأرسلوا الزبطية زقموا لكمة الزبيب ، وكان يرموا منها ، والقبائل رقموا من لكمة الجزارين إلى سارقة^(٤) نقم إلى الجرف حق المتغربين ، إلى الجويلي محل الغيل المعروف ، وكان يعشروا هنا أجمعهم ، حتى يظلم الهوا من كثرتهم ، ويحضروا بمرافعهم ، ويهولوا ويصوتوا إلى بعد المغرب ليلة الجمعة ، ولولا المطر لكان لهم خبر .

ويوم الجمعة ، وما يوم الجمعة على الجبان ما أفجعه ، بدعوا القبائل بالتعشيرة من عرض نقم تعشيرة كبيرة أفزعت من في المدينة ، ونزلوا إلى القاع ، وأقبلت القبائل بعرونونها المشهور كما يقال في مثل العوام (عرنون بني بهلول) فيوم الجمعة وقع عنوتهم ، وآخر النهار لحقوهم ناس من سرحان ، وطال الحرب من بعد الصلاة إلى بين العشائين ، ولم أمكن الترك يخرجوا من القصر ، ولا من المدينة ، ولا من العرضيات ، وإنما كانوا يرموا بالمدافع من باب العرضي ، ومن القصرة من الجربة ، ويرموا بالمرت والشيشخان ، والقبائل بالبنادق العربيات ، ما يصلح رمايتهم إلا من قريب ، واحتاجوا قربوا إلى الهشاش^(٥) وإلى المسجد ، وإلى لكمة الهندي ، وإلى المخلصة وأما في القاع فالمواجهة

(١) حديث أخرجه الدليمي من حديث ابن عباس به مرفوعاً وفيه سعيد بن سليمان بن حرب وهو متروك وفي الشهاب ٣٠١/٢ عن ابن عمر مرفوعاً وفيه محمد بن محمد المؤدب قال الذهبي لا أعرفه أنظر (الشهاب ٢٠١/٢) وتمييز الطيب (١٤) .

(٢) حراس الزرع .

(٣) الدرن هو ثقل السم .

(٤) لعلها سائلة

(٥) موضع سيأتي ذكره في الملحق .

من الصافية العدنية إلى حمراء العلب ، ولكمة الجزارين ، وإلى الغول حق نقم ، وإلى الجويلي ، حتى قاربوا المقابر ، ولا زالت الرماية من عند كل أحد ، حتى أظلم الهوا ، رأي العين ما هي أخبار مبالغة وغوى^(١) وكان تقع رصاص المدافع من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن إيمانهم ، وعن شمايلهم ، ومن فوق رؤوسهم بالقرب ، ولا تكيّعوا منها ، ولا بقيوا في متاريس كعادة الحرب ، وإنما يمضوا كأنهم في طريق سمحة سهلة ، وهذا غاية الإقدام ، فإذا صادف مع ذلك حسن نيات ، فياسعدهم بالنصر ، للأحياء وبالقصور في أعلى الجنات للشهداء والأموات ، وإن قصدهم الطمع فيا شر عاقبة لمن يرى ويسمع . كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « ليقال جرى أو يقال شجاع »^(٢) .

وأقبلت آخر النهار قوم وصلت الجراف ، وعشروا فوق الجراف في الجبل الذي فوق الجراف من جهة الغرب ، وعشروا آخرين تحته من عدني بالقرب من الحصبة ، وكان يرموهم من بئر الغرب بالمدافع ، وتصل إلى هناك وتقرح قارح آخر ، كما نرى في الذي في الجانب العدني كل ذلك / مشاهد .

وأما القبائل الذي في الروضة وحدودها ، فقد أعذروا وأنذروا الناس جميع وما تعدوا أحد نحو ثمانية أيام ، والآن بدعوا في من جلب إلى صنعاء أو دخل شيء ، ولولنفسه ، إلا من خرج فأمّن ، ومن دخل أمّن بشرط لا يدخل بشيء ، ولعل قد أخذوا في الروضة بيت الحاج محمد بن صالح السنيدار لأنه من الأنصار .

ومن الداخلين من الروضة بيت غمضان ، نهبهم في الطريق قوم آخرين غير مسميين ولا منحصرين .

وليلة الأحد أقبل كل واحد محتد^(٣) وقد كبسوا من الليل جماعة قليل في نقم من الليل ، جلسوا يشاغلوا أصحاب الدولة إلى القصر ، ولم خلوهم يهجعوا بل بقوا يرموا من القصر بالبنادق ، وثلاث ضربات بالمدافع الأخرى أو أن التسبيحة^(٤) الثالثة فما صدقوا القبائل أي حين^(٥) أضاء لهم الصّباح ، وأشرق بنوره ولاح ، نزلوا إلى القاع لطلب الحرب ، فلما خرجوا الزبطية تبعوهم الأتراك إلى القاع والمدافع ، تخدم في القبائل ، ولكن الحمى معهم كالحايل ، وإلا فعلى ما نظرنا وشاهدنا أن المدفع الواحد وعشرة عسكر

(١) خطأ .

(٢) من حديث عن أبي هريرة مرفوعاً أخرجه مسلم في صحيحه ١٥٦/١ .

(٣) متحمس .

(٤) أي دعا آخر الليل من المآذن .

(٥) خ ليحين .

من الأتراك يقوموا مقام خمسة ألف ، لأن البندق تبلغ مقام أربع عربيات^(١) من حق العرب ، والمدفع كأنه في أيديهم كالبنديق ما يخطي شيء ، ولولا الدِّفاع ، وظاهر الحمى لا خلوهم هَمًا^(٢) واكتسروا القبائل من القاع رأي عين وإجماع ، وبقوا ناس في مترس في نقم ما حالوا منه ، وتهافتت عليهم العرب والعجم ، حتى انجلت على ثلاثة أنفار منهم ، قتلوا من الذين احتازوا في نقم احتجزوا رؤوسهم ، ودخلوا صنعاء وعندهم ، إن قد أحسنوا صنعاء والرؤوس في البنادق ، وقدرهم حول المئين والزبطية نحو مئة ، ولا زالوا يَعَيِّقُوا^(٣) ويتبرعوا^(٤) على الرؤس ؛ ومتأبطين شر من البر ، والشيخ محمد البليلى ممن يتبرع ، إلى أن وصلوا القصر قبل الغذاء ، ورجعوا الزبطية يتحارشوا^(٥) البياعين المشتريين يُوجِّدُوا^(٦) لهم حاجاتهم ، وسمعت أضعف الخلق منهم مسعد الصاحب من شقاء سوق الحب صورته كالشعل^(٧) وقد لبس لبس الزبطية لأن عادته بكوفية ، يقول للقشَّار^(٨) يُوجِّدُ له قشر لأنه يِيْضُمُّ^(٩) رأس القشَّار وغيره ، وإلاً أطلعه إلى مخزَّنة^(١٠) يفتش عليه إذا ثَمَّ معه قشر ، ولو سلموا فضيحة^(١١) العرب بسبب عيفاطهم^(١٢) والكسيرة ما شَوْرَبُوا^(١٣) فوقنا ، وأنهم في حيرة ولعل الحقتلي كثير ، لأن ما نفعتهم بنادقهم ، بل كانوا يقتلوا من مسير مسافة بالمرّت والمدافع ، وهذا من عيفاط الرِّعوى كما يقال شعراً :

إذا ما خلا الجبان بأرض قوم طلب الطعن بسوحها والنزالا

ولله در قبيلة حاشد اليوم عشرين سنة ولهم على الدولة المِنَّة والسبب تدبير الحرب والشطارة (وعدم تدبير الحروب تظهر العيوب) .

وأما السيد الضرغام والأسد القمقام والبطل الهمام أحمد الشرعي فهو غَفَل الآن من

(١) أي بنادق عربية تشعل بالفتيلة .

(٢) همى طمسه وأخفاه .

(٣) يصرخوا .

(٤) يرقصوا .

(٥) يتحارشوا .

(٦) يوجدوا .

(٧) الثعلب أو أنثاه .

(٨) بائع القشر .

(٩) يحفظ يحرس .

(١٠) محزنة .

(١١) فشلهم .

(١٢) من العيفطة الجلافة .

(١٣) شارب كشر في وجهه .

هذه الجهات ، ولعله صار يتربص للحصار على من ذكر ، وهو علي باشا وأصحابه السابقين معه ، والذين في تلك المراكز لأن خبره شاع أنه سيرجع صنعاء بالمذكورين^(١) لأنها أصل الديولة في اليمن ، فخشي السيد أحمد رجوعه ، واشتداده بما في صنعاء من الخزائن وصعبها في الأخذ والحصار ، والقصد تفريق الشتات / منهم وإلا فلو كان قريباً في الحواز ما وقع من ذلك الفعل شيء ، فسبحان من بيده ملكوت كل شيء ، وقد صاروا ملاقين أعمالهم إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر الأعمال بالنيات من كان قتاله لله وفي سبيله وابتغاء مرضاته فقد لقي عمله ومن كان قتاله يريد إلا أداة فويله من الله ومن لقاءه .

وفي أول الوعد هذا علّقوا أوراق مكتوبة وعظاً وترغيباً وترهيباً للناس وتسكين .

واليوم الإثنين ١٢ محرم علّقوا أوراقاً أخرى أن الوالي أحسن أديب قد أصلح بلاد حجة وما يليها ، وأطاعت ، وعلي باشا أصلح بلاد عمران وما يليها ، من جميع البلدان ، وإن قد كسرهما بسطوته وقتل من أهلها بجبروته ، وأطاعت ، ونصره الله والله أعلم ، هذا خبر الأوراق المعلقة والمنادي في السوق ، إن من قرّح ببندق أو قرّد^(٢) من بعد المغرب من يهودي أو نصراني أو تركي أو عربي فهو هدار^(٣) ولعل تحت هذا الصائح خبر عندهم مكتوم .

وأكسفت من هذا اليوم شمس داع الخير وبيت معياد ، وقابلهم النحوس بعد الإِسعاد ، فلما أنجلا حرب ذلك اليوم وكثر القتلى من القبائل نحو العشرة فما فوقهم ، رجعوا أهل القتلى أوصلوا المقاتيل إلى جرن^(٤) بيت معياد ودعّوهم وزكّوهم عليهم بهم ، وقطعوا عليهم الغيل لأن العين حقه من عندهم ، وقيل غيروا عليهم من الذرة ، وأصبحوا بين معياد ينجلوا إلى صنعاء خوفاً من سنحان ، وقامت قيامة سنحان على بيت معياد ، والسبب أنهم كانوا متقاعدين هم وإياهم ، وبعد دخلوا بيت معياد جرّوا لهم رتبة من عند الدولة زبطية ، وقيل مدفع ، فلما هبت الكسيرة في سنحان رموهم الزبطية من داع الخير ، وخلّوهم^(٥) يخرجوا يحتزوا رؤسهم ، فقامت الفتنة بينهم .

ويوم الثلث وصل علي باشا ، وأدرهم باشا ، ومصطفى باشا الذين عزموا من صنعاء في آخر شهر الحجة ، ووقعت طريقهم المنقب وكوكبان ، وقد كان راسلوا [إلى] صنعاء خفية أنهم يلقوهم إلى الطريق ، فخرجوا من صنعاء ليلة الثلث ، ووصلوا إلى عصر ،

(١) خ بالمذكورين .

(٢) مسدس .

(٣) أي دمه مهدور .

(٤) محل حصاد الحب .

(٥) خ فلوا .

وعلي باشا خرج من عمران يوم الأحد ، ووقع في حاز وصبح الإثنين وعزموا من حاز وكانت طريقه من قاع المنقب ، وخرج إلى قاع سهمان ، ونزل من عصر ، ولكن ما سكن الحرب والقتل رليل ونهار^(١) من حين خرج من عمران إلى أن وصل صنعاء ، ولم دخل عيونهم النوم ، وما وصلوا إلا وكل واحد منهم كالغوم^(٢) وكذلك الأكل والشرب ، من شدة الحرب ما سكن قارح البندق ، والمدفع ساعة واحدة ، كلما مضوا من قرية خرجت عليهم بالطعن والضرب ، واحتزوا سبعة رؤوس ، ووصلوا بها ، وآخر عمل في عصر مَحْرَب^(٣) أَظْلَمَ منه الأفق ، وتلاقت الأبطال واضطربت من قارح المدافع الجبال ، وتلاقت الرجال ، وما وقع إلا أحربوا عليهم أصحابهم الذين خرجوا من صنعاء من المصابة حق عصر ، والواصلين نازلين وقد هم مضغفين من السهر والجوع ، وما سكن قارح البندق والمدفع إلا حين دخلوا من باب القاع / وما وقعت طريقهم من حيث ما ذكر إلا أنهم لم يجدوا غيرها ، وبالحال أنه وقع فيها عند خروجهم ما وقع ، ولو جاؤوا من الطريق المعتادة إلى عمران لكان أشوع ، لأن العرب جميع كانوا مراعيين لهم في عيال سريح وجربان ، فخرجوا على حين غفلة وجاؤوا على وسط همدان ، والسبب أن المدبر لهم السيد محمد الشويح ، ووصل معهم وأصحابه معه والنقيب^(٤) بن سنان صاحب أرحب ، وأصحابه معه ، وابن أبو فارح صاحب حاشد ، وجملة العرب الواصلين معهم نحو المئتان ، كل ذلك لحب الدنيا كما قيل « الأطماع خلت عقول الرجال مجانين على كل دقة^(٥) ولون » ووصلوا يخبروا جميع الناس بالتنصيرة لهم والمحراس ، وقسموا صنعاء أرباع ، كل ربع يحرس في الدائر الذي يليه ، وجعلوا لهم أربعة عقال لك ربع عاقل ، الربع العدني بغربي قاسم بن محمد هاجر ، والربع العدني بشرقي^(٦) ، والربعين الآخرين القبليّة السيد علي الشرفي ، ومحمد بن عبد الله غنيمة ، وصارت المطالبة لكل أحد أما سَلَمَ ثمن قرش ، وإلا وصل يشل حصته في الدائر ، وسبر المعاش لكل ظالم وجاير ، وقد صار أكثر الغوغا بنادقية شيشخان من الحرس والسماسرة وشقاة العصارين^(٧) والجزارين وغيرهم ، وأما شقاة الترك والخضراوين^(٨) الذين يسنوا^(٩)

-
- (١) خ نها .
(٢) الظل أو الخيال .
(٣) حرب .
(٤) بياض في الأصل .
(٥) جنس .
(٦) بياض .
(٧) أي عصارين السمسم .
(٨) كأنهم عمال البساتين .
(٩) السنا سبق شرحه .

لهم في البساتين ، فجميع بنادقيه وجميع النصارى بنادقيه ، وكل من يريد بندق أعطوه ، بل قد أعرضوهن على الدميين ، وحاصله ما لها إلا الله سبحانه بجاهه وجاه سيد المرسلين يحلها عاجلاً .

ويوم الخميس ١٥ محرم وصل الشريف الأفضل والسيد المفضل محمد الحتري صاحب الجوف إلى الروضة ، وبان للناس فضله أظهر الأمان ، وعدم الظلم والجور ، وهذا هو الغاية والمراد .

وصحَّ خبر قبض مدينة العر المحروس ، وقبض حصنها المعروف المسمى بالمنصورة ، وخروج جميع الزبطين الذين فيه من دون ضربة ولا طعنة ، بل في سلامة رؤوسهم إلى يد الحاج الفاضل منصر خصروف صاحب بني مطر ، فإنه المباشر لذلك عنوة ، وهو مقدمي بلاد البستان ، وهم الزبطين الذين كانوا فيه خمسين أو يزيدون ، وسلموا الحصن بما فيه من الخزنة ، وجميع ما هو محتاج الدولة فيه ، وسلموا أيضاً جميع بنادقهم إلى يد المذكور سلاماً بسلام ، وفعل لهم أمان في وصولهم إلى الأمير الذي فوقه السيد أحمد الشرعي ، وهو في الطريق الذي في قاع سهمان ، فلما وصلوا إليه فلت هو منهم نحو الربع ، ونحو الربع الآخر قد شرد قبل وصولهم متغربين بعد تسليم السلاح ، وبقي نحو النصف قبض عليهم وأرسلهم إلى الإمام وإلى بلاد الأهنوم محروس المدان ، وقد كان ذلك بيومين قبضوا على القاضي العلامة عبد الرحمن بن أحمد المجاهد^(١) حاكم العر من طرف الدولة ، وقبضوا معه أيضاً على المدير تركي^(٢) وأرسلوهم جميع إلى حضرة الإمام .

وصح الخبر أن الباشا الخارج من الباب العالي لولاية اليمن أحسن أديب ، وصل حجة ، وطلع من (الشغادرة) والله أعلم بالصحة لأن طرق جميع الجهات منقطعة لا داخل ولا خارج .

وفي هذه اليومين تواترت الأخبار بوصول سيدي محمد بن المتوكل محسن بن أحمد ، وأنه مقدمي لخولان^(٣) .

وفي خلال تلك اليومين وقع القبض على الحصن الذي في رأس نقييل سمارة ، قد كان وصلوا ناس إليه يريدوا القبض عليه ، وإخراج من فيه من الزبطين عسكر الدولة الله أعلم من أين هم ، هل من خولان ، أو من الخدا ، ولم يتم لهم مأرب فطلع إليهم الشيخ محسن

(١) من العلماء الأفاضل له أخبار مع الأتراك توفى سنة ١٣١٦ (أنظر أئمة اليمن ص ٢٧٢) .

(٢) بياض .

(٣) خ لخولان .

عامر صاحب قرية ضاف ، وتحيل للزبطية أنكم ستذهبوا هبا ، ولكن الشور إنهم يسلموا السلاح إلى يده ،

وفي خلال تلك اليومين وقع القبض على الحصن الذي في رأس نقييل سمارة ، قد كان وصلوا ناس إليه يريدوا القبض عليه ، وإخراج من فيه من الزبطية عسكر الدولة الله أعلم من أين هم ، هل من خولان ، أو من الحدا ، ولم يتم لهم مارب فطلع إليهم الشيخ محسن عامر صاحب قرية ضاف ، وتحيل للزبطية أنكم ستذهبوا هبا ، ولكن الشور إنهم يسلموا السلاح إلى يده ، وهو يورق^(١) لهم فيه ، وفيما في الحصن ، ويرفقهم إلى ضوران يطلعوا يستريحوا ، ويضموا^(٢) رؤوسهم ، وهيه منه دهاية إذا تم الأمر فقد أخذ شويته سهلاً ، وقبض الحصن ، وأوصل الجماعة ضوران حليفين الأحزان لا يملكوا شيئاً ، ولا يستطيعون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً .

وأيضاً تواترت الأخبار بقبض حصن مفحق ، بعد أخذ الخزنة التي في المطرح الأسفل من مفحق ، ولكنها بداهية^(٣) قيل من الشيخ^(٤) الرازقي صاحب بني مطر ، هو والحاج منصر خصروف والمخير ابن المساجدي الذي نزل بالبسطة^(٥) من صنعاء إلى مناخة وابتاع ، وأسروه وأطلعوه إلى العر ، ورأى منهم الموت الأحمر ، وكانوا يهددوه^(٦) بالذبح كل حين ، وهذه عادة أهل الأطماع ، ولم قد سلموا له أجرته فحال الرقم وهو يلاحق^(٧) لها ولا شك أنه ظالم لنفسه مبین .

يوم السبت سابع عشر محرم خرجوا الدولة من صنعاء قادمين على سنحان وأخرجوا جمال كثير يشدوا فوقها الطعام الذي سيأخذوا ، فوصلوا إلى خلف حمري العلب ، فجروا المدافع على قرية القلقان وهيه بيتين ثلاثة ونوبة رهيفة^(٨) ، وأخربوها وأخذوا الزبطية منها عجيل^(٩) المساني وقليل أصابع^(١٠) خراب ، ورجعوا حطوا على قرية الجردا ورموها ، حتى

(١) يكتب لهم سنداً في البنادق المذكورة .

(٢) يستكنوا .

(٣) حيلة ودهاء .

(٤) يباض .

(٥) خ بسطة .

(٦) خ يهدوه .

(٧) يتابع .

(٨) رقيقة .

(٩) جمع عجلة معروف .

(١٠) جمع أصبع وهي أعواد رقيقة يسقف بها البيوت .

أيقنوا أن قد أجلوا أهلها منها ، وألزموا الزبطية بالهجوم عليها ، فلما قاربوا أطلقوا من فيها الرماية الذي لا تنكف^(١) ووقع ما وقع في القادمين أكوان وقتلى ، ورجعوا عنها ورموها ثانياً حتى تخيل لهم أن القبائل بعد تلك التعشيرة قد شردوا ، فأمرؤا أصحابهم بالهجوم ، فلما قربوا منها وقع مثلما وقع أولاً ورجعوا ، فعلوا مثل ذلك ثلاثاً حتى تعددت القتلى من الفريقين الهاجمين الترك والزبطية ، وأجادوا القبائل في تلك القتلات المفجعات مع ما مع الأتراك من المدافع الكبار والبنادق الممرت والشيشخان ، فما يواجه تلك الآلات إلا من بغض الحياة وإشتاق إلى الجنات والأعمال بالنيات ، إلى أوان الظهر ورجعوا على قرية وراقة ، فعلوا لها قليل ، وقيل إنتهبوا منها الزبطية قليل أثاث ، وأما ما كان قصدهم فلم يصلوا إليه ، ورجعوا وقد سقط منهم خلق كثير ، والبنادق تشهد محملة على البغال ، وتركوا القتل والقتال ، ودخلوا مدينة أزال وقت الزوال حق المغرب ، وأدخلوا معه رؤوس قیل عشرة وقيل ثمانية ، ولم يسكن قارج البندق من القبائل بعدهم من نقم ومن ظهر الحمار ، إلى أذان العشاء الآخرة والله سبحانه يحلها على جميع العباد ويحق الحق ويبطل الباطل بحوله وطوله آمين / .

وهذا فعل الأبطال الجياد قبيلة بني شداد من خولان وسنحان ، وأمالوا على قبيلة خولان الخارجية ما كان ، وأخبر المشاهد هجام^(٢) فإنه كان مع الأتراك حاضر مشاهد ، أنهم زادوا تحيّلوا بحيلة للمعونة لهم على حرب عدوهم ، كون لم يكن معهم سلاح مثل سلاحهم ، فإنهم لما رموهم بالمدافع سكنوا حتى أيقنوا الأتراك يخلوا القرية ، ودخلوا متسابقين يريدوا الطمع ، وباب القرية مفتوح ، وما قد فرضته^(٣) المدافع في الدائر ، فخلوهم إلى أن دخل البعض ، وأطلقوا الرماية من داخل وحكموا على من سبق بالدخول ، وقتلوهم بسرعة ، وأخذوا سلاحهم ، ورجعوا يحربوهم به ، ولكن قد اقتسموها عنوتين ، بعضهم قام للداخلين ، وبعضهم ثبت مكانه للخارجين ، وعشروا فيهم ، وخرجوا إليهم طعن من اليد ، وأخذوا البنادق ، والمؤنة التي فوقهم ، ورجعوا عند إخوانهم ، وقد معاهم نحو أربعين بندق شاشخان ومّرت ، وبعد لاحت لهم بغلّتين زانه مّرت وشاشخان ، وصلت من المطرح إلى عند العسكر الذين بيحربوا القرية ، فخرجوا غلّمة^(٤) كبيرة أخذوها ، ولما قربوا بها من القرية ذهبنوا الأتراك فتبعوها فثبتوا لهم الذين داخل القرية بالرماية ، وعطفوهم ودخلت البغلّتين بحملهن مونة ، هذا خبر المشاهد المرموز على إسمه أعلا .

(١) لا تنتهي .

(٢) إسم شخص .

(٣) خربته .

(٤) غلمان فتية .

وأما نغم فلم زد خلي لا ليلاً ولا نهاراً ولا سكن منه قارح البندق ساعة وأما واحد منهم أو اثنين فجلسوا في لكمة الهندي وفي المخلصة شرقي القصر ببندق شاشخان يتبندقوا إلى القصر ، كلما أشرف أحد من الداير حق القصر ، أو ظهر في وسطه رموه ، وقد فعلوا إلى الآن فيهم كفعل الجان لا يرى لهم صورة ، ولا يظهر منهم جنان ، وإذا ظهر في القصر أحد أطلقها كالعنان للفرسان .

ويومنا وصلت رصاصة إلى باب حمام الميدان لعلها مرت .

ووقعت تنصيرتين في الروضة في ليلتين متتابعتين ليلة الثلوث ١٣ وليلة الربوع ١٤ محرم ، وأعلنوا فيها باسم المنصور .

وبالأمس أرسلوا الدولة الشيخ علي بن محمد البليلى يشتاط^(١) لهم من شعوب ، وخرج لم أمثل أحد له بشيء .

وبعد غصبوا الوشاح أدى لهم ما يسد به عرضه منهم ، ومن بيت معياد كذلك شياطه فوق الخطاب الذي عليهم وهو سبرة الرتبة الزبطية ، وزادوا فوق الزبطية رتبة السيد محمد الشويح صاحب ضلاع وأصحابه ، فهذا جرى في بيت معياد حين أطاعوا الدولة ، وخالفوا أصحابهم ، ونسوا أمثال القبائل (بين إخوانك مخطى ولا وحدك مصيب) فما مطيع للدولة إلا وهم وما^(٢) يليهم من أهل الصافية العدنية الذين بالقرب من صنعاء ومن أهل شعوب من بالقرب من الداير مطيع .

وألزموا^(٣) جميع السوارية الباقين يطلعوا عندهم الكاوش يمسا ، فلم يسعدوا وبعد طلبوهم تسليم البنادق الذي لديهم ، فسلموها ، وأرسلوا زبطية من أرحب يترتبوا في شعوب ، ولعلمهم لم زد بقي معهم ألقه^(٤) على جميع العرب ، وصاروا يتحدثون فيما بينهم أن العرب كلها خيانة حتى أحجار صنعاء خيانة ، ظهر ذلك منهم علينا ، وتركوا المحاريس الذي أوجبوها على أهل المدينة ، والسبب أنها صارت معاشات للفرع ، وأولاد السوقه الآن ذال وكانوا^(٥) يخلوا صبيان في الدواير واسترجعوا بعض البنادق من الذين أمروهم يحرسوا بها وخلوا البنادق عند الذين يحربوا بها معهم وقد توجهوا ناس من العرب القبائل إلى جهة حراز للمحاصرة لمناخة

(١) يشتاط القمح يشتره .

(٢) خ ومالهم .

(٣) خ ألزموا .

(٤) ثقة أو إطمئنان

(٥) خ كان .

وأما صنعاء فزاد فيها الضيق والغلاء في الأسعار سيما الطعام فإنه في العشر في العيد الطعام قدحين والحنطة قدح إلا ربع وفي الآن في نصف محرم وآخره الطعام قدح إلا ربع والحنطة نصف قدح تعجز^(١) هذا في شهر والسبب المفاودين^(٢) وعدم الضبط لهم نسأل الله اللطف بحوله وطوله آمين .

ويوم / الثلوث صار مصطفى باشا المقدمي حق حرب يوم الجردا ، تحت الإستنطاق^(٣) كيف أذهب عسكر السلطان وأذهب خزنة البنادق والمدافع لغير حاجة ، لأنه رمي الجردا بأربع مئة ضربة بالمدافع ولم صح منها شيء ، قيل كل ضربة عليهم بذهبية^(٤) وكل ذهبية بسبعة ريال ، وكذلك مئة البنادق أربع بغال ، غير ما فوق جميع العساكر العرب والعجم كل أحد فوق قدر ما يحمله ، وذَهَبَ ذلك كله ، وذَهَبَ من العسكر العجم خلق منها بلكين^(٥) الذين دخلت القرية حين أمرهم بالهجوم ولم خرج منهم أحد ، ومثلهم خارج القرية قتلى ، ومثلهم مصاويب^(٦) ومكاوين^(٧) ولعل ما قد وقع مثل يوم الجردا^(٨) لا في حاشد ولا في الحدا ، وفعلوا ذلك اليوم مجلس خاص بهم ، ما حضره أحد من العرب ، إنما خاصة العجم ، يتراجعوا فيه ما سبب فساد جميع اليمن في وقت واحد من الزمن ، وتراجعوا فيه يومهم ، وترجّح لهم ما هو السبب ، وهو الواقع الذي كلف ذلك ، وما يرد ما هنالك ، وبقيوا حائرين الأفكار .

كيف يكون ذلك وأمره سبحانه بين الكاف والنون ، وإذا أراد أن يقضي أمره بين عباده سلب ذات العقول عقولها ، فالله سبحانه سلب عقولهم ، وما ظهر لهم إلا حين حان أجلهم ، كيف يشارع^(٩) المشارع السنة والستين ، ويغرم أكثر مما تشاجر عليه ، وما يتمسك بشيء منهم ، وكيف يصل الضعيف من أطراف الأرض يستغيث بهم ممن ظلمه وأخذ ماله قهراً ويرجعوه إليه ويغضب عليه ، وعذبه وجعل عليه أضعاف ما كان لديه ، وكيف

(١) أي نصف قدح وأقل أو بالكاد .

(٢) سبق شرحه والمفاود هو الذي يبيع بالفرقة من تجار الجملة بالريح .

(٣) التحقيق في مسأله .

(٤) من عملات الأتراك .

(٥) فرقتين .

(٦) مصابين مجروحين .

(٧) جمع مكون سبق شرحه كسابقة .

(٨) توسع المؤرخ الحسين بن أحمد العرشي في تاريخ هذه الواقعة في كتابه بهجة السرور (أنظروا بتحقيقنا) وذكر فيه أن امرأة واحدة قتلت أربعين من جند الترك .

(٩) يحاكم المحاكم .

يصال المسافر إلى صنعاء من حين يدخل الباب يصير فيه الهتك واللعن والعذاب ، من أنذال لا يعبأ الله أن يعذبهم في النار ، ويجعلوا عليه في السمسة ميري أضعاف ما هو عليه من الباطل ، فإنهم طبعوا الميري على القرش زلطة وبيسة ، والآن أربع زلط خمس ست أينما قدروا ، وأولاد السوق يسرقوه ويمطلوه^(١) ويهتكوه ويلعنوه ، وهم لا ينصفوه ، والآن عرفوا وندموا حيث لا ينفع الندم ، كيف وقد زل القدم ، وقامت جميع العرب على العجم ، وصارت جميع الحوازيات حول صنعاء ملائمة قوم من كل أرض ، بحيث لا يقدر أحد أن يقدرها لسعتها واختلافها ، ناس يسير وناس يجيء ، وكل يوم تعاشر وصالين في كل قرية مئات ، وكم قرى من عمران إلى خولان وسنحان ومن حراز إلى طرف البستان ، وكل ذلك عليهم وعلى صنعاء بسببهم ، وهلك الضعيف والمؤمن بذنبهم ، وكيف بهم ، وقد دخلوا عليهم إلى صنعاء ، وكيف حال المدينة ومن فيها من الضعفاء والمكالف^(٢) والأرحام والصبيان والأيتام والعكبان^(٣) والعرجان ، مع أن معرة الجيش صعبة على أهل البلد كما قال الله سبحانه : ﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ ومع أن هؤلاء المحاصرين للمدينة أكثرهم جاوعين قافرين ما يريدوا إلا السلب إلا القليل منهم مخلصين لله ، ومجاهدين في سبيل الله ، وهم القليل ، وأما أكثرهم فما قصدهم غير السلب والنهب ، اللهم أسألك بجاهك وجاه رسولك صلى الله عليه وآله وسلم ، وبفضل جميع الأنبياء والمرسلين ، وبفضل الكتب المنزلة عليهم من عندك أن تحمي وتكفي / ويجعل لكل موذي كافي ، ولكل ظالم منتقم ، وأن تحفظنا وأهلنا من فوقنا ومن تحتنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ، وتحفظ اللهم صنعاء ومن فيها من المؤمنين ، بحق إسمك الأعظم ، وبفضل لا إله إلا الله ، وبفضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبحرمة القرآن ، وبحرمة البيت الحرام ، وبحرمة الفاتحة : ﴿ قد ضاقت الأحوال ، وقل الاحتيا ، وخابت^(٤) الآمال إلا فيك يا رب العباد ﴾ .

وفي الروضة خطبوا هذه الأيام للإمام أول جمعة يوم ٩ محرم ، أغلقوا الجامع في الروضة ولم أمكن يعلنوا فيها بإسم أحد خشية من الخبر لا يصلح عند الأتراك ، وخشية من العرب الذي قد هم في الروضة ، فأغلقوا الباب ، والجمعة الثانية ١٦ محرم والثالثة ٢٣ محرم أعلنوا فيها بإسم المنصور ، وما تعدوا محظور .

(١) من المماثلة معروف .

(٢) النساء .

(٣) العكب الخبل الكساح .

(٤) من قصيدة حمينية مغناة للأديب عبد الرحمن يحيى الأنسي المتوفى سنة ١٢٥٠ .

ويوم الخميس ٢٢ محرم خرجوا الأتراك من صنعاء إلى داع الخير ، ولكنها تَضُمَّت خرجتهم لأمر شتى الأولة كان مرادهم يتمموا قرية الجردا في ذهنبهم أن قد أجلت العرب ، والثانية إذا ظفروا بمن في نغم من العرب ، لأن قد كثروا في الجبل الرتب ، ونالهم منهم الخوف والرَّيب . وثالثة تمشية كأنها لهم صافية^(١) عافية ، فها نحن أسود قد خرجنا من المدينة إلى البرية ، ورابعها أنهم هربوا من داع الخير والصافية بعض نفقات^(٢) من الزبطية وأخذوا البنادق ، وخرجوا طرحوا مكانهم من العساكر الشاهانية رتبة بجانب الباقيين ، وطرحوا مدفع صغير يحموا العرضيين والقصر ، وفسحوا^(٣) للزبطية الذين أصلهم من البرية وما خلوا إلا من جلاله^(٤) في المدينة المحمية أو من كان كفيله منها ، لأن قد تقرر عندهم خيانة العرب أجمع أكتع^(٥) وتفوهوا بذلك أن جُدُر عماير صنعاء وأحجارها خائنة ، وأن لا ألقه لأحد في هذه الكائنة ، وأرسلوا الشيخ حزام دغيش ، والشيخ علي البليلى إلى الروضة يصالحوا القوم بما قدروا من الفلوس ، ولو يعقد صلح في مهلة^(٦) شهر لحتى ينظر ما يكون ، وما أظهروا الضعف إنما هو لأجل الضعفاء لا يذهبوا وهو (أقول شام والمراد عراق) يريدوا يشتاطوا لهم طعام ، ويستعجلوا من في مراكزهم النائبة ، وقد أتاهاهم الحمام ، واسترجعوا البنادق الذي قد كان سلموها من أجل أهل صنعاء ، وعذروا المحاريس عن أهل المدينة خوفاً من الخائنة منهم ، ما هو إشفاقاً عليهم ، فلو يقع لهم ينظموهم ، ولكن الله سبحانه نظر إليهم لضعفهم .

ووصل بعض الحجاج في التاريخ^(٧) وأخبروا أنها وقعت رحمة^(٨) في مكة دون العام الماضي ، ولعل الزوار ما ستقع طريقهم للزيارة إلا من طريق جدة بَحْر ، لأن البر مربوش^(٩) والسبب أن الدولة طلبوا شريف مكة^(١٠) يصال إليهم إلى إسطنبول فمنع ، وأحرقوا بيوته الذي في مكة ، وهرب إلى البر إلى حَرْبٍ وهذيل ، وصار فيه الحصار ، ولعل بالشام ما باليمن فيما بين العرب والعجم .

(١) بمعنى سهلة ياردة .

(٢) نفر .

(٣) سمحوا .

(٤) من سكنه في صنعاء .

(٥) كلهم .

(٦) إمهال .

(٧) أي في هذه الآونة .

(٨) أمطار .

(٩) من الريشة وهي الأزمة والخوف .

(١٠) بياض .

وهذه الثمان^(١) لم زِدْ أمكن الأتراك التحرك من البلد ، ولا أحد زِدْ خرج من الباب خوفاً ممن في نقم ، فإنهم باقين فيه ليلاً ونهاراً ، ولا زالت منهم الرماية مستمرة سيما على من في القصر ، فكل يوم ولهم فيه جرحى وقتلى .

وأما يومنا الإثنين ٢٦ محرم فإن الدولة أمروا أهل المدينة بإظهار الفنطسية يعني الزينة والتنصيرة ، وضربت المدافع ، فلما سمعوا من في الجبل أكثر الرماية وأقبلت الغارة ، وشتت من كل بلد من الحواز ، تَصَوَّرَ لهم خروج الترك على أصحابهم ، فوصلوا من كل شردمة ، وأنسوا الدولة ما هم فيه من كثر الرماية ، حتى كان اتصال الرصاص إلى الكاوش ، وإلى بيت الحكومة ، وإلى بعض الأسواق وإلى الشوارع وإذا^(٢) العشا ضربت رصاصة منهم في جدر صرح الجامع ، ورأوا ذلك وسمعوا أكثر الناس ، وما كان يقع الرماية إلا تعاشير يعني دفعة واحدة / والعشي^(٣) تنصيرة في المدينة بأمر الدولة ، ما لها رأس ، وإنما قصدهم إختبار الناس ، وإدخال الشحنا فيما بين القبائل وأهل صنعاء ، حين علموا أن ما قصد القبائل والقائم إلا هم ، وتيقنوا أن الإمام لا زال يحرض جميع الأنام بعدم مضاررة أهل صنعاء ، فإنهم محكوم عليهم تحت وطأة الأتراك ، فزادهم ذلك عليهم إغاظه وتأليماً .

ولا زالت المطارح حول المدينة باقية في كل قرية مئات ، وأما المشير الذي ييهتفوا له ، وبوصوله من حجة ، فلم بدا منه بادي ، ولعله من نفسه في شغل شاغل أشغل من مشغوله ذات الخ^(٤) ولعله قد سلّم فلوساً ، وابتاع له بعض المقاداة ، حتى خرج منها ، وتوجه غرب نحو تهامة ، من حيث لم تم له مراد ، وأتوه خلقاً آخرين يحاصروه وكل محل فيه العجم محاصر ، وكل محاصر^(٥) وأما الضعفاء في البلد فما في يدهم نقد ، وأكثرهم منها قد شدّ وشرّد إلى الحوازيات ، وأرسلوا الدولة للأغنياء في الروضة ، وعرفوهم أن من اعتذر من دخوله ، فقد أباح ماله وسيفتحوا بيته ، فدخلوا ناس مثل محمد بن يحيى مكي ، والعنسي ، وأجبروهم على أن يخرجوا الطعام الذي معهم للفقراء والمساكين بالقيمة ، وأنزلوا معهم من يفتش عليهم بيوتهم ومخازينهم ، وأخرجوا الطعام ، فما كان من حنطة فأخذوه لنفوسهم ، وما كان من علس^(٦) وقلاً وعدس فللضعفاء والمساكين بالقيمة ،

(١) الثمان الأيام .

(٢) كذا في المخطوطة ولعله أذان .

(٣) المساء .

(٤) المثل هو « اشغل من ذات النحيين » وهي امرأة كانت تحمل قربتين سمن وعسل فجاء أحدهم إلخ أنظره في المستقصى ١٩٧/١ .

(٥) بياض في الأصل .

(٦) نوع جيد من البر .

واغتصبوا جميع الأثل الذي في شعوب وغيره خُر^(١) ووقف ، وقطعوا ، وتركوا الشذب حقه والهمل للمساكين ، وشدوه إلى بيوتهم وأفرانهم ومطابخهم ، فمن لَحَقَ^(٢) للقيمة وعزم أعطوه عشرها ، ومن تراخى عَديمها ، وأخربوا الجدران التي بالقرب من الدوائر ، ليتحصنوا في المدينة ، وأما الخروج فمستحيل ، والله سبحانه يفرج على عباده ، ويجلي هذه الشدة فقد بلغت القلوب الحناجر .

ولما شاهدنا فعالهم في إستخراج الطعام من البيوت والمخازين ، وإذا قصدهم صلاح نفوسهم ، ولكن ما يظهر إلا صلاح المساكين ، وفتحوا بيوت الناس والمخازين ، فلما فتحوا بيت العنسي ، وأخذوا منه نحو مئة قدح ، بعضها شعير وبر ، وبعضها قِلا^(٣) يوم الثلوث ٢٠ محرم ، بعد أن أخرجوا قبله حق بيت محمد مكي وجعلوا الجميع يطلع إلى السمسرة ذكروا أن طلوعه مصلحة ، وأنه يقع مغادرة^(٤) في سوق الحب من المفاودين ، ومظالمة بين الناس فأهَمُوا^(٥) في السمسرة عند وسيم الجمروك حق بيت مكي الحنطة ، ووعدوا المساكين ليوم ثاني وقصَّدُوا^(٦) بينهم بعض القلا حق العنسي . ويوم ثاني أهَمُوا حتى الحاج علي السنيدار سَمَراء وشعيراً ، وفرَّقوا للمساكين بقية القلا ، وخلوا لهم جميع الشعير والحنطة ، وطلعوا جميع المساكين يشتكوا على إسماعيل باشا الذي نصبوه وإلى بعد موت إسماعيل حافظ ، فأجاب عليهم بما يشفي قلوبهم أن كل ما أخرجوه من البيوت ، فهو لهم ، وإن الدولة مستغنية ما قصدوا إلا إصلاح أمور الضعفاء والمساكين ، وأرسل معهم الياوار يقنع الجمروك من أخذ الحب ، وأنه يصير كله للمساكين ، ونزلوا جميع ووصلوا السمسرة فلم يجدوا وسيم ، فصار يدور له الياوار في بئر العزب ووعد الناس إلى يوم ثاني ، وهو في سوق الملح وسيم موجود ولكن (أقول شام والمراد عراق) جعلوا المساكين وضلة وسبباً لأخذ الحب ، ولا زالوا كذلك ونحن مشاهدين ، ويفعلوا كذلك ونحن حاضرين .

وليلة السبت نصَّرت جميع الحوازات شرقاً وغرباً يمناً وشاماً . قيل لأخذ مَفْحَق مرة أخرى ، لأنهم أخذوه العرب أولاً وتركوه خالياً بعد أن أخذوا ما فيه كما ذكرنا سابقاً ، وهبطوا إليه الأتراك نحو مئتين نفر ، ورجعوا العرب ورئيسهم البطل الهمام المقدام / السيد أحمد

(١) المال الحر الذي لا يملكه الوقف .

(٢) تابع .

(٣) عتر يابس .

(٤) غدر .

(٥) أخفوه .

(٦) قسطوا .

الشرعي ، رجع عليهم وسم^(١) الماء الذي لديهم ، حتى خرجوا إلى قيد الأسر ، وسلّموا جميع سلاحهم إليه ، ونزل بعضهم قيل إلى حدة وهذه الأخبار . والمزبور^(٢) من أول شهر محرم إنما هيه أخبار متواترة ، لأن قد انقطع للداخل والخارج إلا نادراً يدخل ويخرج متغزراً^(٣) والمكاثبات انقطعت داخلة وخارجة ، ولا سيما العرب فإنهم خرجوا غاية التحريج على كل من خرج ببسطته ، ومن دخل إلى صنعاء ومعه بسطة ، ويعذبوه غاية العذاب ، ويعزروه أشنع التعزير ، فمن جملتهم سيدنا حمود ، كان إمام في صلاح الدين^(٤) وبعد صار عند الكباريات من الجلساء والأدباء ويحفظ الغرر من الأشعار ، ويجالس أهل المجالس الكبار ، وخرج ببسطة ولقيوه في الروضة ، وضربوه وعزروه وما نصروه ، وتكرر ضربة مراراً حتى تمنى الفرار وعقبه^(٥) رجل مسكين^(٦) محمد بن محمد المسوري المنحس يشتغل بالنحاس ، وخرج ببسطة ولقيوه في (حدة) ووقع له بضعفه وفقره وقل جهده ، وآخره خلّقوا ذقنه ودخل صنعاء على تلك الحال ، وحسين حيلة حارس في صنعاء من حرس السوق ، وأصله من الروضة وقد لقيوه مراراً ، ويطلقوه وآخره ربطوه وضربوه أشد ضرباً .

ويوم الجمعة سلخ محرم قُربوا أحد العرب الذين في نقم ، ورموا إلى عرضي المدافع وقتلوا ، فغضبوا الأتراك وأرسلوا الزبطية على من في نقم ، وصادف أنهم كانوا في ذلك اليوم مقلّة^(٧) في الجبل ، قيل أنهم نزلوا يصلّوا في جامع الروضة شوقاً لجمعة آل القاسم وسماع الخطبة لأن قد كان يسعوا إليها من كثير من الجهات ، مثل شعوب وسعوان والجراف وغيره ، وعقب خروج الزبطية خروج الأتراك فتعلّوا^(٨) العرب إلى المنظر حق نقم ، قيل لقلهم ، وقيل أنهم كانوا يريد الغدر بتوسيط الزبطية ، وأقبلت الغارات من كل جانب ومكان ، ولما نظروهم الأتراك بالنواظير صفروا^(٩) لأصحابهم بالنفير ، فرجعوا ودخلوا من باب ستران قبل الصلاة حق الجمعة ، وكان يرموهم بالمدافع ، والله المدافع إلى عصر ، وكف الحرب ، ولا زالوا الضعفاء من أهل صنعاء يفرّوا إلى البوادي بأهليهم وأولادهم لعدم

(١) سم .

(٢) المزير المدون زير الكتاب كتبه .

(٣) مغرر به .

(٤) من المساجد سيأتي ذكره في المعجم الملحق بالكتاب .

(٥) لحقه .

(٦) كذا .

(٧) قليل .

(٨) ارتفعوا .

(٩) أطلقوا أصواتاً من صفارة .

كل شيء في صنعاء ، وقل ما في أيديهم ، والله يلطف بالجميع ، ويفرج على كل أحد رفيع ووضيع ، أنه سميع قريب .

ولا بقي في هذه الأيام للأتراك عمل إلا يترقبوا إلى أهل صنعاء الفرص ، ويجرعوهم الغصص ، ويخرجون عليهم في الأبواب لا يخرج أحد من الباب ، حتى الجنائز عسرت عليهم الخرجة للمقبار ، حتى قالوا في بعض الأيام لا يخرج مع الجنازة إلا أربعة . أخبرني الذي قيل له يحيى الرضي ، وأما الداخل فأشد إذا كان هو صنعاني جاء من الحواز ، بعضهم يفتشوه ، وبعضهم يردونه ، وبعضهم يحبسوه ، وبعضهم يضربوه ، وبعضهم يتهددونه^(١) ويأخذوا منه فلوساً ، كل مختلس على انفراده ، وعلى كم ما مراده ، فإنه دخل من الوادي الحاج محمد العيني ، وأحمد الصايدي ، وبقوا يومين في صنعاء ، وخرجوا وقبضوهم في باب السباح ، وأخذوا ما معهم من أداة ومصروف ، وأطلعوهم الكاوش وما وقع إلا إطلاقهم آخر النهار إلا بخمسة قروش حجر ، للميم باشة ومن حوله ، وربع ثمن للبواب ، غير ما أخذه عليهم بنحو قرش ونصف تين وقشر وحوايج وأبي^(٢) لطف الصوعي ضربوه ، جاء من الجهة العدنية ، ولا له ذنب ولا أية^(٣) وحبسوه ، وحبسوا الفقيه العلامة عبد الله الحضوري وغيره من غير لا حجة ولا ذنب / .

وصبح الإثنين ٣ صفر وما يوم الإثنين كأنه يوم حنين في لقاء الجمعين خرجوا الأتراك بعد أن ضبطوا وختموا على الخروج للقدوم على الروضة وقد سبق الأعداء والأندار لمن فيها من الجيش والمخترفين^(٤) وكانت طريقهم الطريق الغربية طريق الجراف ووصلوا إلى جبل القرعة الذي غربي الجراف وحطوا فيه وجسوا الطرق بالنواظير وسرحوا قدامهم^(٥) الخيالة والجواسيس فلم يجدوا هنالك حياً ولا أنيس ، ولم يهملوا^(٦) على القدوم إلى ميدان الموت وخوضه ، ولا ما ختموا عليه من الوصول إلى الروضة ، وكانوا يرموا من ذلك الجبل إلى الجراف وخربوا فيه بيوت . وبعض نُوب وتسامعت الرتب من العرب ، وكل بطل للحرب وثب ، ولما تقرر هنالك في حيد الجراف الحرب أنشأوا العرب محارب آخر ، من حمية في نقم ونزلوا إلى لكمة الزبيب وإلى الهشاش ، وإلى مسجد نقم وجروا إلى ظهر الحمار ،

(١) خ يتهدوه .

(٢) من عادة أهل صنعاء وغيرهم من أهل اليمن أن يقال للرجل المسن أبي تقديراً له وإجلالاً .

(٣) لا له ولا عليه .

(٤) المصطافين سبق شرحه .

(٥) أمامهم .

(٦) يجرأوا .

والتقوهم الأتراك بالرماية بالمدافع من العرضي والقصر والبنادق من هنالك ، ولم أمكن الخروج من المدينة ولا نفر ، وكان ذلك لهم المستقر والذين في الدواير القبلية يرموا على حالهم إلى ظهر الحمار ، وإلى كل جهة يحموا على من في البر ، ولم سكن القارح دقيقة واحدة حتى أظلم الهوا وأغبر ، من حمري العلب إلى نقم ، إلى صنعاء إلى شعوب ، إلى الحشيشة إلى الحراب ، إلى قاع ذهبان والكولة هذا محط الحرب في ذلك اليوم ، والتحاضير والصولة ولم بلغوا المأمول بما أشعروا به إلى الروضة من الوصول لكثرة القوم ، وإقدام الفحول إلى أذان الظهر والقبائل مرجئين^(١) هجوم العساكر الشاهانية حسب القاعدة الخاقانية أنهم يرموا بالمدافع مدة ، فإذا لم يجيبهم أحد هجموا على المحل مثل ما وقع في الجردا ، فلم زد لهم تأتي ، وأقبلت الغواير من كل جهة وقدموا لهم إلى جبل القرعة فزحفوا عدني ، وزقموا مكانهم ، ولا شعروا إلا بتعشيرة كبيرة من نقم نحو تعشيرة الألف ، ولعلمهم عرضه واتصلت آخرها بأولها ، ففزعوا جميع السامعين وتخيل لهم ، إن قد القبائل دخلوا القصر وزحفوا القبائل نحو الأتراك إلى غربي الحصة ، وتقارب الجيشان ، وترائي الجمعان رأي عيان ، ولم بقي بينهم إلا بلغ الميضاف^(٢) وقلقوا الأتراك على المدافع ، فجرت نحو صنعاء ، وبقي الحرب بالبنادق وغزرت العرب نحو العجم وباتت فيهم الكسيرة ، ولحققتهم العرب إلى السواد الذي غربي شعوب ، ولكن العجم بيحربوا في حال المسير ، وكلما مضت زمرة تبعها زمرة أخرى ، ودخلوا صنعاء عقيب العصر ، وحرب نقم في حالة بعد تلك التعشيرة والمدافع تخدم ، ما سكنت دقيقة واحدة من كل مكان من القصر والعرضي ونوب الدوائر إلى باب الروم ، كلها فيها مدافع والذي خرجوا بهن قيل ستة مدافع ، وقيل أربعة ، وجملة القوارح بهن نحو ألف قارح ، قيل إن كل ضربة بذهبية بستة ونصف [قرش] وإذا هية بستة آلاف وخمس مئة / .

ووقعت تلك الليلة في جميع الحواز العدني والقبلي وغيره تناصير كبيرة لأنها وقعت الغالبة للعرب في المحرب ولو علموا أن الترك على عدم الهجوم قد ختموا لما فلتوا بل هم كانوا منتظرين الهجوم إلى وسط الجراف فلما تيقنوا ذلك عقيب الظهر سارعوا جميعهم إلى هنالك ، حتى التقوا وتراؤا عياناً ، ولما رأى الأتراك من العرب تلك الوثبة صَفَرُوا بالنفير للمدافع ، بالهربة لأنها عندهم أظن من نفوسهم ، ولولا هن ما بقيوا في اليمن ، بل ما دخلوه

(١) منتظرين .

(٢) وهو النصف آلة يستعملها الزراع لإخافة الطيور .

من أول الزمن ، ولكن الفعل لهن كيف كان يرموا بهن ، من دواير صنعاء القبلية ومن القصر إلى الحشيشية ، وإلى السواد وإلى جبل القرعة ، والسبب النواظير معهم ، مع كل مدفع يرى القوم من حيث لا نراهم ، وكيف هذه الرماية الذي لا تخطي ، لولا من الله سبحانه الحماية لما يفوتهم أحد ، فلما صفروا لهم بجرت المدافع هربوا بها الطباشية ، نحو المدينة من حيث ما خرجوا ، حتى أنها وصلت المدافع باب الروم ، وعاد الترك عند القوم في الحصبة ، وخرجوا على جميع المتفرجين ، لا يخرج أحد ، ولا يطلع منهم إلى الدواير أحد لشيء في نفوسهم ، أما لا يظهر ما وقع منهم من قتلى وجرحى ، أو لا يقع غدره في غفلة ، لأن القلق حاصل معهم من صنعاء وأهلها ، وما ذاك إلا كتاب الله ، وإلا فصاحب صنعاء مثل حاله كما قيل « إنها تجمعهم طاسة^(١) وتفرقهم عصا » ولكن قد صار أكثرهم الآن ملازمين لتلاوة القرآن ليلاً ونهاراً في جميع المساجد ولا سيما « يس » في كل مسجد بعد صلاة المغرب ، والله سبحانه لا يضيع عمل عامل ، سيما الأيتام والأرامل ، وأحربوا في ذلك اليوم معاهم النصارى ، وقيل أنه راح منهم من النصارى غير ما هو من الأتراك ، ولكن مع ما وقع من اليساك^(٢) ما ظهركم القدر ، فإنهم كان يدخلوا الجرحى إلى الاستخانة^(٣) وما يظهر إلا لهم ، والقتلى يدفنهم مكانهم حسب عادتهم حتى قيل أنهم إذا وجدوا أحد جريح ماعد يرجي سلامته دفنوه مكانه خشية العار ، وقد كان أجمعوا أهل مجالسهم ومشوراتهم أنه يكون الحرب ثلاثة أيام مستمرة لأجل يتبين الصلاح من الفساد ، فلما وقع ما ذكر الغوا ما أجمعوا عليه ، وقنع كل أحد بما كان لديه ، وتبين العجز من ذلك اليوم بعدم الهجوم المعتاد والمعلوم ، وما دخلوا المدينة إلا بشق النفس ، لأنه لما تبين للقبائل عدم الهجوم هجموا القبائل على الأتراك إلى الصحراء ، مظهرين السرور والبشرى ، والأتراك حسوا أن مالهم منهم مكابرة^(٤) هربوا بالمدافع أولاً وبقوا يحربوا في حال الكسيرة ، وما زدد حموا عليهم إلا من الدواير حق المدينة بالمدافع ، ومن القصر ، ونوبة الزوة ، ونوبة الخندق ، وباب الشقاديف ، وباب الروم ، وهؤلاء كانوا يرموا جميع بالمدافع والأتراك يهرولوا جرياً نحو الباب ، وقد عمي منهم الصواب ، واشتاق لهم الطلاب ، وأكثر ما جرأهم على الكسيرة عدم إكتراث العرب من فعل المدافع ، وحملوا عليهم كالسوافع ميقنين أن الله المدافع للمدافع ، ولما رأى كبيرهم إسماعيل باشا الوكيل عن المشير ، حملت العرب أمر أهل

(١) الطاسة طبل كبيرة على شكل طاسة .

(٢) منع التجول وهي لفظة تركية .

(٣) كأنها المستشفى .

(٤) قدرة .

النفور في بثر العزب أن يَصِيحُوا لهم الهرب الهرب ، ولعل إن قد أثرت فيهم تلك الوقعة قيل ذهب فيها بُلُكٌ^(١) دفعة وقيل ستة من العرب قتلى وقيل أقل وقيل أكثر فيهم ابن دهره من بني الحارث ، شيخ والباقي من جدر ومن أرحب^(٢) .

وليلة الربوع وقع في الجراف والروضة تنصيرة أخرى ، وشاعت الأخبار في صنعاء أنها أخذت حجة ، وقيل أخذ قفل شمر ، وقيل أخذ أحمد رشدي وكل أحد يخبر بهواه .

والله أعلم / ولكن العسكر الذي في الجراف ، والروضة من العرب يشغلوا الطرق ، والناس من بُدَّة^(٣) غيرهم ، فكل العساكر الذي في جميع الحواز سليمين الشر ، كثيرين الخير ، لم قد ظهر منهم ما ينفر العباد ، بل سعيهم صلاحاً في البلاد ، إلا شردمة من هؤلاء ، فقد لاحت لهم الفرصة في النهب والذرب ، ولعلمهم أفراد أشرار ، وغالبهم في هذه المحللين أختيار ، ولكن الأعمال بالنيات ، لا بد يوقعهم الله في أعمالهم ، والإمام والمقادمة لعلمهم لا يرضون بذلك ، ولكن معرة الجيش تأتي بما هنالك ، فأنهم لا يصير يوم إلا وقد صدر منهم غير ما يرضي الله والإمام ، وقد أخذ بيت عرهب بما فيه من نجارة ، وحب وزد فعلوا في صاحب البيت وفي ولده فعل ، وأخذوا أيضاً نجارة بيت النعماني بعد [ما] جلسوا فيه ، ولما فعلت فيه المدافع بعض الخراب أصْلوه إلى الذهاب .

ويوم الجمعة قد كان شرع المحرب^(٤) في نقم بين أصحاب الإمام والأتراك ، وضربت المدافع من العرضي والقصر ، وخرجوا جميع الزبطينية ، وطلعوا إلى مكان أصحاب الإمام إلى لكمة الهندي ، لأن الذي كانوا في نقم من أصحاب الإمام شيء يسير ، ولكنهم لا زالوا كل يوم يشاغلوا من في القصر والعرضي بالرماية والقتل ، وضميرهم أنهم يشتوا الزبطينية يوسطوا ، لأن أكثر الأفعال الشنيعة منهم ، فلحقوهم الزبطينية فصعدوا الجبل ، وأقبلت لهم الغارة بسرعة ، فلما حَسَّوها الزبطينية رجعوا القهقري ، وسكن الحرب بعد أن كان نشأ ، ونحن نشاء والله يحكم ما يشاء .

وليلة السبت طلعت القبائل إلى رأس نقم للصباح والصوايل وبقوا يحضروا^(٥) بالمرافع^(٦) ويجددوا من الغوائر ويعشروا بالبنادق ، ويغيضوا عدوهم من فوق رأسه من الشواحق ، ولم

(١) مرة واحدة .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) من دون .

(٤) الحرب .

(٥) يضربوا .

(٦) طبل صغير .

يجيئهم لا بالمدافع ولا ببنادق ، ولكنه فعل للأغاضة موافق .

وليلة الثلوث وقعت تنصيرة في جميع الحوازات في القرى ، وفي بعض الجبال في السواد الغربي ، والسواد العدني ، فيه نحو ثمان تناصير ، كبار متقاربات كأسنان المشط ، وبعد هذه التناصير ضربت عندهم المرافع ، وبدعت بالبنادق التعاشير الذي لا زِدُ كَفَّت^(١) من محلين من حمرا العلب ، ومن رأس نقم ، حتى ظننا أن قد سيدخلوا المدينة بسلام ، وبعد ضربت نحوهم المدافع نحو ست ضربات من القصر والعرضي^(٢) وحال تلك التعاشير ، رأيت مثلها وكعددها ، قام الذخير^(٣) من رأس جبل عصر من غربي ، ولكن ما سمعت لذلك الذخير قارح أبداً ، ما أدري ما السبب ؟ وما أظنها لا إمارية بين القوم الغربية والشرقية ، ولم قد ظهر حال الرقم ما هوه لأن الرقم عقيب التعشيرة ، والأخبار مقطوعة ، وهذا الوعد اشتد الحال على جميع الناس سيما الضعفاء ، وعدمت أنواع الطعامات ، وغلت الأسعار وصل الشعير قدح إلا ربع ، غير موجود ، والحنطة ربع قدح ، وأربعة أنفار خمسة أنفار ، والبلسن والذرة نصف وثمان ، والعلس قدح إلا ثمن ، وكل ذلك ينقص الربع في الكيل إذا كان الكيال من سوق الحب ، ومع كثرة الناس والحاجة ما بقي وسواس مع أحد إذا وصل عنده عيد ، لا حول ولا قوة إلا بالله .

وأما خارج صنعاء في كل الجهات فنعم متواليات ، وأسعار مترخصات ولكن المذنبين بمجاورة . .^(٤) وقد هربوا أكثر الضعفاء غير المحترفين والهاربين السابقين ، وقفرة^(٥) الأسواق ، ما بقي في كل سوق فاتحين إلا العشر ، وقدر الغافلين^(٦) نحو النصف أو يزيدون ، نسأل الله اللطف فيما قضاه الله علينا وأمضاه واختاره لنا بسبب ذنوبنا وارتضاه / .

ومن أول صفر ظهر من قلوب العجم كل ما كان مضمر ، وبان منهم الحوب والإحْن القديمة التي في القلوب على جميع العرب ، سيما أهل صنعاء فأنها خيمت وعمتهم منهم الكرب ، وتشعبت لهم الآراء ، وبعضهم عدم الكرى^(٧) وما بقي معهم ولا قَصْد^(٨) أعينهم

(١) انتهت سكتت .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) إطلاق النار .

(٤) فراغ في الأصل .

(٥) أي أصبحت كالقفر فارغة .

(٦) المتغيين .

(٧) لذة النوم .

(٨) أمام .

إلا هم ، حتى أنهم يسكوا^(١) عليهم في المدينة لا أحد يخرج منهم من باب لا دُوار ولا بويه زوار ، ولا من المدينة إلى الحواز فرار ، وبعد هول وشفاعة الشافعين فسحوا للمساكين من الجوع بالفرار ، ولكن كان يعذبوهم بالفتّاش^(٢) عليهم في الأبواب ، وكل من وجدوا معه قليل مصروف^(٣) أخذوه ويقولوا « هو سيخرجه للحرامية » يعني القبائل ، وكل من أتى من بادية من أي من أي جهة قبضوا عليه وحبسوه ، ولو كان أهله في صنعاء وهو ما سار^(٤) إلا يأتي لهم بما يسد رمقهم كونه جاء من عند القبائل ، والسر الغامض عندهم تعذيبهم لكون ما أحد من القبائل بينا لهم بشر ، بل أن جميع القبائل في البوادي متسخرين لهم بالعطاء ، وأكثر العسكر الذي في الطرق جميع بيزد يعينوا الخارجين بحمل أولادهم رحمة لهم إلا قليل من في حواز الروضة من أشرار وفجار ، من « . . . » فأنهم إذا لاحت لهم الفرصة في نهب شيء نهبوا . قبحهم الله .

والسبب في ذلك تحري العناية منهم للضعفاء . . .^(٥) وفي ذهن الترك أنهم العرب جميع على شور^(٦) واحد وأهل صنعاء منهم كونهم ما بينالوهم بسوء ما كان يرضيهم إلا نهبهم ، ويأبى الله أن القائم^(٧) .

ويوم الثلوث حادي عشر صفر نزلوا جماعة من الأتراك والرئيس يسّمروا الحناويت^(٨) والمخازين حق أهل الجراف ، ما كان قصدهم إلا أخذ ما معهم فيهن وأن القانون : من قرح المدفع إليه فقد استحلوا ما معه ، وعاد الخوض في أهل صنعاء الذي كانوا مخترفين في الجراف ، الترك يريدوا ذلك ، وأهل صنعاء بيراجعوا فيهم كونهم مخترقين لا ذنب لهم .

وأما الذي في لكمة الهندي فقد كثرت أسمائه ، كل أحد يسميه العايد^(٩) والمعتكف والمتصيّد لأنه باقي على تلك الحال من أول الحوزة لا يبرح من ذلك المكان إلا إذا كان الليل ، وما يجيء الفجر إلا وهو هنالك ، وكل يوم له قتلى في القصر والعرضي حتى أن قد

(١) من اليسك هو حضر المشي وهي لفظة تركية .

(٢) التفتيش .

(٣) نفقات . زاد .

(٤) ذهب .

(٥) بياض في الأصل .

(٦) رأي .

(٧) بياض .

(٨) الحوانيت سبق ذكره .

(٩) ذكر هذا الرجل المؤرخ العرشي في بهجة السرود بتوسع وانظر في كتاب المؤرخ زيارة أئمة اليمن ج ١ ص ٤٤ .

خلاهم يتجوبوا^(١) القصر بتجاوب لب^(٢) وأملوا آلاف الأكياس تراب متاريس لما يبصال من الرصاص وفي هذه الثلاثة الأيام الخميس والجمعة والسبت ، خرج من صنعاء نحو الربع من الضعفاء والمساكين ، لأنه وقع تنبيه أن من مراده يخرج فما عاد لهم أمان سواها ، فخرج كل من لم يجد ، ومع رحلة الناس توجد قليل الحطب ، وأما الحب والسمن والقشر فقليلاً جداً ، وأكثر ما كان يقع بدل السمن سليلط الجلجلان^(٣) للمتمكنين^(٤) وأما المساكين فإذا قد وجد الحب ، فهو البغية والمطلب ، وبعضهم كان يبيت طاوياً ، لا حول ولا قوة ، والآن البر ريع قدح ونصف الثمن والشعر مشني ، وإذا قد وجد سهل فمهني

وليلة الجمعة أقبلت العرب أول الليل ، بعد أن مضت ساعتين ، ووصلوا إلى الهشاش^(٥) وإلى المسجد حق نقم وغيره ، وعشروا تعشيرة كبيرة وبعد بقيوا يرموا إلى القصر وينظروا ما عند^(٦) من فيه ، هل من خروج ، وهل فيه للدخول لهم من فروج ، ولم أمكت الأتراك أن يتحركوا / من مكانهم وإنما كأنهم أموات وعظاماً رفات ، ولا رموا بشيء إلا آخر العمل رموا برصاصة مدفع ، بعد أن قد رجعوا القبائل .

وليلة ثاني ليلة السبت نصف شهر صفر أقبلوا جميع كل بطل وغضنفر ، حتى ملأوا نقم وجميع الأكام والمشهد ، وظهر الحمار ، إلى لكمة الزبيب والغولة ، ولعلمهم كان يريدوا دخول القصر ، وقد مضى من الليل ثلثاه ، وبقوا يحربوا من جميع تلك الجهات المذكورة ، ورايات الترك قد هن منكوسة ومدبورة ، أنزلوا نحو ستة سبعة مدافع وعساكر من النظام ، ونزلوا إلى الزمر ، وملأوا تلك الحارة ، ولأهلها أفزعوا ، وجلسوا في المحوكة إلى باب شعوب ، ووجهوا تلك المدافع نحو الباب في ذهنهم أنهم سيدخلوا عليهم الباب ، وأملوا الدواير القبليّة من العساكر السلطانية ، وما قصد الأجناد الأمامية إلا أخذ القصر ، هو المشار إليه بالبنان والمضمر بالنية ، وأما أنهم أجابوهم أو خرجوا نحوهم ، فلا إلا ضربة مدفع واحدة كما في الليلة الماضية ، إلى أن أصبح الصبح ، وأما التناصير فأكثر الليالي في الروضة ، وجميع الحواز ، ولكن مع قطع المسافرين الداخلين ، فلم يظهر لنا خبر إلا أخبار ما يمكن رقمها لاختلافها وبعضها تصح وبعضها لا تصح ، وأما الكاين والمجمع عليه ، فقد أعظم القتال الآن في الحيمة وحراز وحجرة بن مهدي ، والسبب أن الأتراك الذي كانوا في

(١) التجاوب هي زوايد تبني على النوافذ .

(٢) طوب من تراب .

(٣) السمس .

(٤) الأغنياء .

(٥) موضع قريب من صنعاء .

(٦) أي ما عندهم من القوة .

حجة رجع بعضهم تهامة وطلعوا نحو حراز ، كان مرادهم الغارة إلى صنعاء فحالت بينهم الحجب ، وتهاقت نحوهم أكثر العرب ، من عند سيدي محمد بن الإمام المتوكل من سنحان ، ومن عند أخيه من الروضة ، ومن كل جهة ، فحازوهم في الحجرة ، ووقع بينهم قتلة مغبرة ولعلمهم وصلوا بالفيد والغنائم والملازيم إلى الروضة ، وأما الجهة العدنية فقد أجلوا من فيها ، آخرهم قائم مقام ذمار ، والحاكم القاضي أحمد بن حسن الصديق قيل رحلوا بهم نحو الإمام ، وقيل بقوهم في سنحان عند سيدي محمد بن المتوكل ، وأخذوا ما في ذمار من الطعام والنقد ، وكذلك يريم كفل ما فيها السيد^(١) نجيم ، وأنس كفّلوا معقلها أهلها ، ووصلوا مجاهدين إلى الحجرة ، وأما الباشا الذي خرج أحسن أديب ، فلم أحد زِدْ وقف له على خبر ، وما عدلوا من حجة نحو تهامة وطلعوا حراز إلا بعد أن قدموا على الطريق الذي من شرس ، يريدوا عمران وصنعاء ، والتقوهم في شرس ، ووقع بينهم قتلة لا تعد قتلاها ولا تحصر ، ورجع الباقيين حجة يحاصر ، وأما الخارجين من صنعاء ، فلم كان يخلوهم الأتراك يخرجوا بشيء من المصّرفات ، ولو كان قليل نحو وقية تنن أو وقية قشر ، أو وقية سليط ، وما هي إلاّ عداوة وغضاضة^(٢) للعرب كان يغضبهم كون أهل صنعاء يخرجوا عند القبائل والمقادمة ولا أحد ينكّهم^(٣) بشيء أو يدخلوا من عندهم شيء فيستغيضوا من ذلك ، وما مرادهم إلاّ يقع بأهل صنعاء من القبائل ما يبيع بهم ، وكيف يقع ذلك ؟ والله سبحانه رؤوف بهم ، وهم المغضوب عليهم ، ففعلوا بهم ذلك والله فوق كل ذي علم عليم .

وليلة الأحد وهي الثالثة ليلة ، وصلوا نصف الليل على عادتهم مصمّمين على الدخول ، وصلوا تلك المحلات المذكورة في الليلة الأولى ، وناولوا من في القصر بالحرب ، فلم يجيبوهم ، ففقدوا حتى طرحوا في لكمة القاضي ، التي بالقرب من باب ستران وفي ظهر لكمة الطاحون ، وفي المقبرة القبلية التي مساوية للبكيرية من شرقي المشهد ، وفي باب شعوب حيثما يبرم النجار الفتلة ، فلما رأوا ذلك الأتراك فزعوا فزعاً عظيماً وأيقنوا أنها القاضية عليهم فرموهم رماية من لا يرجى الحياة ، من الدواير والقصر والصوامع الأربع صلاح الدين والمدرسة والمرادية والبكير ، وكذلك بالمدافع ، ولولا الله سبحانه مدافع ، لما منهم أحد براجع ، واكتف^(٤) الحرب فجر إلى طلوع الشمس ، وخرجوا الأتراك متأبطين شراً ، وصعدوا إلى الجبل إلى لكمة الهندي والمخلصة

(١) بيض المؤلف لإسمه .

(٢) لعلها فضاضة .

(٣) سبق شرحه .

(٤) إنتهى .

والهشاش ، وظهر الحمار ، مكان ما يقعدوا القبائل وفي ذهنهم كسرناهم^(١) والقبائل مقلّة صعدوا إلى المنظر حق نغم ، واستجروهم بحرب ، والغواير^(٢) أقبلت من كل نايف من يمناً وشاماً ، واستطال المحرب من صبح ذلك اليوم إلى بين العشايين ، إلا أنهم اكتسروا الترك والزبطية بين الظهر والعصر ، الكسيرة الأولى الخيالة ، والزبطية المدفع الصغير ، خرج بهم علي باشا ، ورتبهم في ظهر الحمار ، فأقبلت غارة سعوان فقشعوهم^(٣) من ذلك المكان ، إلى أن أدخلوهم من باب ستران ، والغارة الثانية أقبلت من الجهة العدنية ، من لكمة الجزارين ، وكان يرموهم بالمدافع من العرضي والقصر ، فلم يرتابوا ، ودخلوا غولة الجويلي ، وأجلوا من في الهشاش والعدني ، وبقي الحرب عند الذي في مسخنة ، فنزلت غارة نغم ، فأجلوهم عصر ، ودخلوا جميع صنعاء ، وقد فيهم من القتل ما فيهم عرب وترك ، من العرب الذي ظهر حالاً مانع الخولاني صاحب بير العزب ، إسمه عند العجم بلك أمينة وآخرين غير مسمايين عندنا هنا...^(٤) ومن العجم قتلى وجرحى وغير ذلك...^(٥) وما كان يقع الحرب الضريير إلا من صنعاء في حال المحرب بالمدافع من كل مكان من القصر ، ومن العرضي ، ومن الدواير يَحْمُوا بهن على أصحابهم ، وإلا فلولا هن لهلكوا الخارجين من العرب والعجم ، ولاقوا القبائل في ذلك اليوم الأحد أشد ما لا قوة المسلمين مع رسول الله ﷺ في يوم أحد ، وثبتوا وصبروا صبراً لا يوصف ولا يُحد وأبانوا من أنفسهم كل الجلد ، فوالله ما سكن قارح جميع المدافع والبنادق دقيقة واحدة من الصبح إلى عقيب المغرب ، ولا سمعناها ورأيناها إلا تعاشير من المئاة فما فوق ، لا تسكن ، ولما أدخلوهم من الأبواب ، نزلوا القبائل نزلة واحدة حتى قبضوا أماكنهم ، الأولى لكمة الزبيب والهشاش والمخلصة وظهر الحمار ولكمة الهندي ، وما بقوا يحربوا الترك إلا من صنعاء ، وخلوا البر قفر للعرب ، وبقت الحراية من الدواير والبيوت الكبار ، والصوامع الأربع ، والقصر ، والعرضي بالمدافع والبنادق إلى أن أظلم الليل ، فسبحان المعز لمن يشاء والمدل لمن يشاء وهو على كل شيء قدير ، وما أصبر هؤلاء القبائل على ذلك الحال ، وما أشد رؤيتها على المشاهد كيف الملاقي لها ، ولا سكنت العوائق^(٥) والتحاثير^(٦) من العرب ، بل أن عند كل ضربة مدفع يتلقوه بالقفزات^(٧) وضرب المرافع ومتيقنين بالشهادة ، وأن الله

(١) هزمناهم .

(٢) النجدة .

(٣) زحزحوهم .

(٤) أسماء أشخاص بيض لها المؤلف لعدم تحققه بها .

(٥) الصراخ .

(٦) الضرب على الطاسة سبق شرحه .

(٧) الوثب .

المدافع ، ولا دخلوا الأتراك بشيء من الجمالات لا راس ولا لزيمن من فضل العلي العظيم .

/ وفي هذه الأيام لاحت الفرصة لأولاد السوق والأراذل والسفلة المقربين عند الدولة في شغلة جميع الناس ، العالي والسافل ، وخصوصاً الأماجد الأماثل ، إلى فتح بيوتهم سواء كانوا حاضرين أو غائبين ، وإخراج الطعام على ما ذكرناه أولاً إسماءً للمساكين ، وقوتاً للشياطين ، حتى أنهم كانوا يفتحوا كل يوم خمسة ستة بيوت ، وليس يقتنعوا بدخول محلات الحبوب كالطبيق^(١) بل في آخر هذه الأيام يدخلوا كل مكان حتى بيت النار^(٢) وأماكن الفراش ، ويعتذروا أن العرب يفعلوا الحب في الوسائد والفرش ، ويقلبوا الفراش من مكانه ، وقصدهم بذلك أنهم سيلقوا ، إما كتب أو كسوة أو مونة تدل على هلاكهم بالكلية ، وآخر يوم وقع الفتاش في داود^(٣) في بيت أحسن لطف الثور ، وبيت الحاج يحيى بن عبد الله الكسار ، وزد وقع فيه دلكمة^(٤) من بعض الأشرار ، وما يعزم لذلك الفتاح إلا جماعة كبيرة منهم الرئيس ، وبعض البلصات^(٥) والجمروك ، في بعض الحالات ، والكيالين بالغراير^(٦) والآلات ، ولا بد من نجار صحبتهم لما عسر فتحة ، والسبب سعد السقا وجنبه إثنين ثلاثة أربعة زبانية وثلاثة أربعة من زبانية سوق الحب ، ولكنها جزعت على طغام الشام ، حقيقة لأنهم ختموا على نفوسهم بأوجاد الطعام من صنعاء ، وختموا معهم أهل الإدارة ووقعت هذه البخيقة^(٧) فنزل أهل صنعاء إلى عند رئيس العلماء السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي ، وأجاب عليهم بما يشفي صدورهم ، ويذهب غيظ قلوبهم ، يوم الثلاث ثامن عشر صفر أنهم يلقوه غداً صبح الربوع إلى شرارة ، ويدخلوا عند الباشا جميعاً ، فوق ذلك فأجاب عليهم إسماعيل باشا الوكيل للولاية في المشيرية ، بأن هذا ما لنا به رضاً وأن أصحابكم الذي ختموا بهذا في الإدارة منهم أهل الإدارة حاضرين ، فأجابوا إنا ختمنا على فتح بيوت المحتكرين لا بيوت المغولين^(٨) ، وعصرها سعد السقا وأهل سوق الحب ، لأن المحتكرين هم من سوق الحب ، وأهل سوق الحب هم الخلاصة ، وهم المقربين ، وهم المتقنظرين ، وهم أهل الفلوس ، وهم أهل الخيل والسلاح ، والخروج

(١) جمع طبقة وهو موضع يوضع فيه الحب .

(٢) المطبخ .

(٣) حارة ومسجد في صنعاء سيأتي ذكرها في الملحق .

(٤) لكمت .

(٥) جمع بلص سبق شرحه .

(٦) جمع غرارة معروف .

(٧) التافهة .

(٨) أي أصحاب العوائل .

للقتال كنعو بيت البليلى ، ما تفرح بندق الحرب إلا وهو وأخوه وأولاده السابقون ، وفيهم الحاج سعد الربيدي الذي كان اسمه . . . (١) ولأن شبهوه لحالة المنصور في وجهه لأنه ضيف ناس وغداهم في مكان ، وقهواهم في مكان آخر وأدكوا (٢) في مكان وعشاهم في مكان آخر ، وسَمَرُوا في مكان آخر ، فشبهوه الكلاب بذاك ، حمولة الملح تصل مئتين ظهر ، ويسلم ميرتها وينقضها في بيته ، وكلما وصل طعام جيد السوق أخذه لنفسه ، وهو المتقنطر لهم الحنطة والسمن ، ولم أمكن يحاكوا هؤلاء ، ولا يفتحوا لهم بيت كونهم النصر ، وأعوان السلطان ، ومنعوا تلك الشنينة الشنيعة وزدّ منعوا معها تلك الساعة فتّاش الناس الخارجين في الأبواب مدة يومين ، ورجعوا يفتشوا والسبب أن ما وجدوه أخذوه لهم ، وما علّنا سوى العرب المحوشين (٣) الجوخلي لهم ، كما قيل (دائي مني وهو تسبيح حار الماء) .

وليلة الأحد وقعت تنصيرة كبيرة / في جميع الحواز قيل وصلت ثلاث جمال روس [إلى] الروضة والله أعلم وما هي إلا عيّنات (٤) من العجم ، وقعت القتلة في الحيمة خرجوا من مناخة مصرين على وصولهم صنعاء حيث قد تعسرت عليهم جميع الطرق ، فخرجوا ووصل أولهم إلى حول العجز والخميس ، وتغاورت عليهم الغواير ، والتفت الأسود من جميع النجود ، حتى كأن له يبق على وجه الأرض حي إلا ما ورد المعركة تلك ، واستحلّقوا جميع من بقي من أهل السلاح الشاشخان والمرت ، وغنموا غنيمة كبيرة من السلاح وآلته ، وأعز الله المجاهدين بقوله : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ (٥) وتحققت الأخبار في هذا الوعد من العرب ، بل ومن العجم سمعته أنا من تركي كبير باشة يخلّوا الجهة العدنية من الأتراك ، وتوليبتها من لدى الإمام أنس نفذ إليه الحاج سعد الشرقي نايب ، وذمار السيد (٦) ابن أحمد المطاع ويريم السيد . . . (٦) الشامي ، ودخلوا المدن ، وواجهت لهم البلاد ، وأجابوهم جميع العباد ، وأخذوا ما كان فيهن من بقية آلات الأتراك من خيام وطعام وذخيرة وسلاح وغير ذلك ، حتى ذكر لنا الأفندي فلان أنهم أحرقوا جميع ما وجدوه في ذمار من الدفاتر والأوراق ، وبقية الأثاث إحراق (٧) وصاروا جميع من لدينا يخبثوا علينا ، والله سبحانه

(١) كلمة نابية .

(٢) أتكوا .

(٣) المتجمّعين .

(٤) نماذج .

(٥) سورة الروم الآية ٤٧ .

(٦) بياض في الأصل .

(٧) بياض في الأصل قدر سطر .

معنا وبالعناية ناظر إلينا لا يضرنا كيد من آذاناً وهو معنا ، وتقرر عند العجم إن كل من كان من أهل صنعاء غائباً من قبل الحوزة الذي خرجوا للخريف ومن بعد الحوزة الذين هربوا ، المسكين والضعيف إن ما خرجوا إلا محاربين ، وما خرجوا إلا برضا الجالسين ، وإن شور الداخلين والخارجين بدوي وحضري إمام ومأموم ، على ولاء وتدبير ، وهذا رأيهم لهم به إن شاء الله التدمير كلما أهموا^(١) بأهل المدينة سوءاً زادهم الله بؤساً « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين »^(٢) وهذا دأب من أراد بها سوءاً كما ذكرناه من فضلها أولاً لما ورد فيها من أرادها بسوء كبه الله ، ولا زال الدرس والتلاوة في كل مسجد بعد كل فريضة وهو السميع العليم وأما الناس فأخر صفر المظفر قد رحلوا قدر ثلاثة أرباع ، وما بقي إلا نحو الربع ، ولا زالوا الباقين يهيموا بالخروج والله سبحانه يجعل للجميع من لديه فرجاً ومخرجاً إنه قدير على ما يشاء .

وفي هذين اليومين تحركوا الناس لشرف^(٣) الذرة وصرابها^(٤) خضرة يكوبوها^(٥) خشية عليها ، فما كان^(٦) من أهل بئر العزب في جانب الغرب ، فقد مدوا أيديهم إليها في القاع ، ولكنه صدر كلام فاحش من ابن حماد إلى القبائل ، فمنعوا عليها ، وخرج حماد وجماعة معه ، فلم يخلوهم يصلوا إليها ، ووقعت بينهم حراة يسيرة ، ورجع حماد خائباً ولم يعينوه الدولة بشيء إلا برماية المدفع ، نحو خمس ست ضربات من الداير ، وما كان^(٦) من أهل داع الخير ، فقد مدوا أيديهم ، ولعله صدر منهم إلى القبائل ما يغضبهم ، فمنعواهم ، ودخلوا إلى عند إسماعيل باشا يستغيثوا ، فأغاثهم بيلك ترك ، ومدفع ، فلم يمنع ، وما كان من أملاك^(٧) أهل صنعاء فوق من القبائل الأمان لهم إن لا مانع لهم ، فمن له ملك خرج له ، فخرجوا ناس ، وصربوا ورجعوا ، ولكنها عاد هيه خضراء إنما تلافوها خوفاً من الذهاب وللحاجة .

وأما الرماية من نغم فما سكنت ساعة واحدة في هذه الأيام جميع ، لا ليلاً ولا نهاراً ، ولا سيما المسمى بالمعتكف في لكمة الهندي ، فمن فجر الحنفي^(٨) إلى عشاء الشافعي لا يسكن ساعة ، وتلك البقعة صارت له كالحانوت والبضاعة ، وإذا لم يحصل له بقارح بندقة

(١) هموا .

(٢) سورة آل عمران الآية ٥٤ .

(٣) إزالة أوراق الذرة .

(٤) حصادها .

(٥) يكوموها يحصبوها

(٦) فأما ما كان .

(٧) الأراضي المزروعة .

(٨) من عادة أهل المذهب الحنفي تأخير صلاة الصبح حتى بزوغ الضوء وكذلك الشافعية يؤخروا صلاة العشاء .

قتيل ولا جريح / فهي عند إضاعة وبُست البضاعة فلله دره ما هذه الصناعة^(١) .

وفي يومين قامت حفيظة الناس للصراب ، وليس قد هو أوانه لأن عاد أكثر الذرة مارحة^(٢) وإنما ملاقة كون الفتنة قارحة فما كان من الملاك الضعفاء فَصَرَبُوا بهول وخوف ، وما كان من أهل الصافية وبيت معياد وبير العزب ، وحماد فإنه لقي أشد العذاب ، والبندق قارحة من الجهتين والمدافع من القصر والعرضي تحمي على الصرابة ، والقبائل لم يكثرثوا فيها بل بيأخذوا من جانب ، والملاك من جانب .

ويوم الجمعة لعلها وصلت قوم لم سكنت التعاشير من الجهة العدنية ، والعشي ليلة السبت أقبلوا يعشروا من حمراء العلب ومن نغم مراراً عتيدة^(٣) وكانت تلك الليلة عند العجم ليلة شديدة وكما قال ابن مطحن^(٤) « وكل باشة يكاد قلبه يطير فهو جدير » فهذه الأيام صَحَّ قوله ذلك ووصلنا أكثر ما ذكره هنالك .

وقد أهموا^(٥) بالخروج يومنا السَّبْت سلخ صفر ، فلما ظهر ما ذكر من القوم والتعاشير الليل ألغوا الخروج من ذلك اليوم ، ومالوا إلى الاعتكاف في المحل والصوم .

وفي هذا اليوم العبوس يوم السَّبْت سلخ صفر ، شمل وعم المؤمنين البؤس بما تحقق من الخبر من وفاة السيد الهمام الشهيد الشريف الغضنفر من جمع الله له بين السعاده والشهادة وغمره الله من فضله بالحسنى وزيادة السيد الشهير والأمير في الجهاد الكبير من لزم الحق المرعي السيد أحمد الشرعي^(٦) رحمه الله رحمة الأبرار فأصيب بسم ، وقيل سهام في قدومه على حراز في القتلة الكبيرة التي في نصف صفر في حجرة بن مهدي من حراز والحيمة ، وكتب الله له جوار آبائه ، الكرام السابقين له إلى دار السلام بمثل عمله المبرور ، وفعله وإقدامه المشهور لا يتأخر عن مصاحبة البيرق المنشور في سبيل الله العزيز الغفور ، فإنه أجاد بنفسه لله وفي سبيله ، وإبتغاء لمرضاته حيث رأى جمع العجم الكبير وتحشيدهم للجمهور الغفير ، وإقدامهم جرأة على من قدامهم من العرب ، ومقصدهم بذلك الأقدام

(١) خ الصناعة .

(٢) مارحة بالحاء المهملة الذرة دون التضوج .

(٣) لعلها عديدة .

(٤) شاعك شعبي وجدت له ملحقة بمجلد تاريخ الحرازي خط المؤلف ملحمة قال فيها هذه قصيدة أنشأها ابن مطحن من بلاد وصاب كما تواترت الأخبار من المختبرين المسافرين إلى ريمة ووصاب أنه أنشأها في سنة ١٢٧٣ وتوفى سنة ١٢٨٠ وهي ملحمة غريبة الوجود وقدرها ثلاثمئة بيت أخرج منها صنوه حسن البعض وكتب الباقي إلى أن تنقضي الأولة ويخرج الباقي حسب وصية صنوه المنشي لها كونها وفيها أمور عجيبة لما كان مستقبلاً إلى آخر الدهر .

(٥) هموا .

(٦) هو أحمد بن محمد الشرعي توسع المؤرخ زبارة في ترجمته (أنظر أئمة اليمن ج ١ ص ٨٥) .

بلوغ الأمل والأرب ، ووصولهم إلى عند أصحابهم إلى صنعاء اليمن ، ولو وصلوا إلى مقصدهم لكان فيها نصرهم ، ووهنوا فيها العرب ، وكسرت شوكتهم ويأبى الله ذلك حيث قد زالت أيام إقبالهم ، وحانت منهم أيام أدبارهم ، فبرز إلى ميدان الحرب بنفسه الكريمة طالباً لكسر شوكتهم اللثيمة ، طالباً للفضيلة العظيمة ، فأمدّه الله بجنود أهل قلوب من الجبن سليمة ، فثبتوا جميعاً ثبات من لا يخشى فراق الدنيا ولا الفوات ، وعقلوا نفوسهم في مواطن الجنان العاليات ، طالبين أعلا مقام فيها ، وما شملت مما أعد الله للمجاهدين من الحور العين ، وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فسعد في ذلك اليوم من سعد ، من القوم وشلت يداً من رماه بسهمه ، وعوجل إلى نار يقاد برغمه ، ونقل إلى حضور للمجاردة وبعد صُلي عليه في قرية القابل ودفن بها .

/ وفي ذلك اليوم خرج الناس من صنعاء أهل الأملاك لصراب أملاكهم الذي في قاع صنعاء حول داع الخير وحمرا العلب .

وقد كان مدُّوا أيديهم في الصُّراب ولم أعترضهم أحدٌ من القوم ، لعلمهم بضعفهم وحاجاتهم ، وقل ما في أيديهم ، وخرج الشيخ علي البليلى ، وبعض الأتراك في ذنهم يحموا على بيت معياد يصربوا^(١) حقهم كونهم أنسابه ، وعندهم رتبة من عند الدولة أترك وعرب ، فلما رأوا القبائل فعل ذلك الأتراك وخروجهم عليهم ورميتهم بالمدافع والشاشخان والمُرت تجارر الحرب وأقبلت الغواير من كل ناحية ، وصار يوماً عسير غباره في الهوى يطير ، حتى أنها ما سكنت البنادق والمدافع دقيقة واحدة ، من الصبح إلى العشي ، وحتى المدافع التي في قبلي دواير صنعاء كان يرموا بها إلى طريق سعوان والسواد ، والسبب أن النواظير كان تقرب لهم رؤيا الغارة ولم اكثرثوا القبائل من تلك المدافع بحيث أني شاهدت بعيني كان تقع الرصاصة حق المدفع بين القوم ، وتقرح القارح الآخر ، ويصيحون حولها بالعوايق فرحاً بها ويأخذونها في تلك الساع حامية ، وأقبلت غارة سعوان كالوعد الأول ، والزبطية في ظهر الحمار ، فشردوهم شذراً مذراً ، حتى ألجؤهم إلى المشهد ، وبعد خرجوا منه إلى بين الأثل الذي حوله ، وحول فَرَوَة وباب شعوب ، والذي في نغم ثبتوا ثبات من لا يريد الحياة ، وخرجوا أكثر الترك وتقابلوا إلى عصر ، والمدافع ترمي عليهم من كل محل ، من العرضي ومن القصر ، ومن الدواير ، والشمس إلى وجوه القبائل كونهم مواجهين للغرب ، ودخلوا الأتراك والزبطية عصر قبل الغروب ، ونزلوا القبائل ثبتوا مكانهم في لكمة الزبيب والمسجد ، ولكمة الهندي ، والمخلصة ، والهشاش وغيره ، وما بقي الترك يحربوا

(١) يحصلوا .

إلا من الدوائر والقصر ، ودخلوا برأسين في رؤوس السناجك^(١) فرحين بها لأجل لا يقال أنهم دخلوا مكسورين ، فلما وصلوا قرب الباب وإذا الرأسين من أصحابهم .

وقيل واحد والآخر ثاني ، وإذا هو من بير العزب ، رأس ابن المدعي عسكري مع حماد ببندق حماد والآخر قيل ابن عمه من بير العزب ، وقيل آخر فتخازوا أمرهم وطرحوا الرأسين في العرضي ، ودخلوا أهل بير العزب يشتكوا على إسماعيل باشا على أن الأتراك قتلوا أصحابنا ، ونحن منكم وفي طاعتكم ، وهذا لا يليق فأجاب عليهم بما يسكنهم في تلك الساع ، ونزلوا إلى باب اليمن ولقيهم نفرين من صنعاء ابن الناظري وابن الخميسي ، ولعلمهم الموهوم^(٢) بكلمة أو كلمتين ، فتهاوشوا وقام مع حماد زبطي لعين يقال له حلوسن ، قد بيعد نفسه المقدار أو عتتر ففعل في ابن الناظري فعل ، وفي الخميسي فعل بالجنية ، وكانت ستقع فتنة ، ولكن دفع الله وأقبل الليل ، ولكن قد أهدر الشيخ علي الذرة^(٣) حق قاع صنعاء جميع ، فخرجوا جميع المحتاجين والجاعين ، أخذوها أخذة واحدة ، وعيون أهلها تدمع عليها ، وقد لهم سنة مراعين^(٤) ومقصد الشيخ الجمالي إهدار حقه وحق بيت معياد في الظاهر صدقة للمحتاجين ، وفي الباطن إعانة للأتراك لأن القوم ما كان تليح^(٥) لهم الفرصة في القتال الشديد إلا بدخولهم بينها ، وإذا زالت من القاع انكشف الغطاء ، ولكنها ذهبت حق من لا ذنب له ولا حجة عليه ، وكان يبصر أخذها وهو يبكي لأنهم أذهبوها في ذلك اليوم ، أكثرها فما كان من حق بيت معياد ، والغني فلا بأس ، وما كان من حق الضعيف وباقي الناس فمصيبة ، وذهبت جميع لا زدت بين الحلال من الحرام فلا حول ولا قوة إلا بالله / وسرت تلك القضية في جميع الثمرة من ذرة وشعير وبر وغيره ، لأنها ثمرة عظيمة صراب قبل حصاده ، والعادة أن الناس يخشوا على الثمرة في الصراب من برد سبت السبوت ، وهذا وقع قبل سبت السبوت بأيام ، فتبين لك أنها أحصده في غير أوان حصادها ، وما هي إلا الذنوب .

وأما الأتراك فأمرؤا على من في المدينة ، ومن بقي حولها تحت وطأتهم ، أن كل أحد يسلم إليهم نصف ما حصل له من ماله شيئا^(٦) منهم بالفلوس والعشر ، وذلك مما حصل في الصافية وشعوب لأهل صنعاء والقبائل ، فتبين أن لك أن المحتاز في المدينة [ليس] إلا

(١) روس البنادق أو الإعلام .

(٢) الموهوم .

(٣) علي البليبي .

(٤) منتظرين .

(٥) تلوح .

(٦) شاط الحب شراه واكتاله .

الضعيف ، وخرّجوا على أهل صنعاء وغيرهم لا أحد يخرج من المدينة ، وقد كان ثم ناس باعوا ما يجاد معهم في المدينة من طعام وحطب وغيره بناء منهم للفرّة . فلما وصلوا إلى الأبواب ردّوهم ، ورجعوا يشتكوا على إسماعيل باشا فلم يفدهم ، وبقي يواعدهم بالفسح أيام ، وهو منتظر وصول عسكر من أسطنبول ، فلم يصل أحد وبعد وعدهم يصبروا إلى يوم الخميس خامس محرم وإلا خرجوا ، فبقوا يبيعوا من أدوانهم^(١) في إقامتهم إلى ميعادهم ، فلما جاء يوم الربوع عزم إليه بعض السادة أحمد إسحاق إلى العرضي ، في ذهنه من التحيور^(٢) صبح الخميس وينظر الإفادة على الميعاد بمراده ، فأجاب عليه أن لا بأس قد زكنا^(٣) على البوابين في الأبواب بعدم التحريج على الناس ، فدخل في تلك الساع إلى بواب باب اليمن الكلاي ، فذكر له أنه جاءني أمر حال^(٤) الساع أن لا يخرج أحد ، فرجعوا جميع يشتكوا فوق لهم إذن في ساعات حياة من خلف الوعد ، ولما قد عولوا عليه أن هؤلاء ضعفاء لا يضرّوا ولا ينفعوا ، فخرج خلق كبير من دون غير ولا نفير ، ولكن بروسهم وأحدهم معه حمار مشدود^(٥) سيدي فلان بن قاسم بن علي صاحب باب اليمن ، فحيره وامتحنوه ، وكاد أن يردوه ، ولكن صادف وصول سيدي علي بن أحسن فايع البلص ، قام معه في الباب حتى ملص^(٦) وإمتحان عظيم على الداخلي^(٧) والخارجي^(٨) ولا يزالوا يقسموا الأتراك أن من خرج لا رجوع له إلى البلد ، فالجالس نادم ، والخارج نادم ، وكثرت هذه الأيام الأخبار والقليل والقال ، وكل أحد يخبر بما يريد ، والظاهر أنها قد وقعت قتلتين أو ثلاث في الحيمة ، والسبب الباشا أحمد رشدي المشهور ، بيغصب العساكر بالقدوم من جبل حراز ، وتلتقيهم قبائل هناك معدين للجلاد والبراز فيقع قتلات كبيرة منها الأولات الذي في نصف صفر بحضرة المرحوم السيد الهمام الغضنفر . . .^(٩) (ومنها بعد في آخر ربوع في صفر ، ومنها في أول يوم في محرم السبت إلى الأحد ، وكل أحد يخبر بما يوافقه أصحاب الأتراك يخبروا أنها راحت من العرب آلاف كبيرة ومن العساكر الشاهانية الشهداء شرذمة يسيرة ، والعكس في العكس ، وأما حقيقة فليس ، وكل أحد محتاز مكانه ، القفل

(١) حاجاتهم .

(٢) لعل في الجملة نقص .

(٣) أكدنا .

(٤) وقت .

(٥) مسرج .

(٦) خرج بخفية أو سرعة .

(٧) الداخل .

(٨) الخارج .

(٩) يياض في الأصل ولعله الشرعي السابق الذكر .

محتاز ، حجة محتازة ، عمران محتاز ، كوكبان محتاز ، مناخة محتازه ، ولا أحد يدي^(١)
خبر من أحد حسبنا الله ونعم الوكيل

والذي في صنعاء الأتراك جالسين منتظرين لما يدي لهم من البندر لأن الباشا
الذي ذكر رجوع من حجة إلى الحديدة وباقي يدق في السلك من الحديدة البحر إلى
عدن ليلاً ونهاراً دائماً عشية وإبكراً بفساد اليمن وإنه مستعفى إلاّ تصاله^(٢) قوة وخزنة
منهم . وسيدي باقي في المدان مكانه ، وكل يوم يخبروا الأتراك بوصول القوم قدهم في
بوعان قدهم في الخميس قدهم في حراز .

وأما الآن خامس محرم ، فلم قد خرج أحد إلاّ الذي في حراز ، وأحمد رشدي فهو
بيقدم بهم المرة بعد المرة ، والكرة بعد الكرة ، ويرجعوا إلى مكانهم حراز ووقعت الحجرة
ومفحق محل البراز^(٣) .

وفي يوم الثلوث فسحوا الدولة لبعض الزبطين الذين أرصدوا آخر الوعد ، وأخذوا
منهم البنادق والمعابر ، وقد صاروا الترك البوش الذين في صنعاء فريقين من طريقين الأولى
أن بعضهم يريدوا المصالحة والسلامة ، وكونهم أهل نساء وجهال وتكليف ، وبعضهم يقول
لا بل نقاتل حتى نذهب عن آخرنا ، والطريق الثانية أن بعضهم يقول لكبار الزبطين يعني الميم باشا ،
ومن فوقه أنهم يختموا^(٤) في المونة الذي بيدهم ، لأن قدهيه شيء كثير أكثر من الذي احتاجوا جميع
الأتراك ، والزبطين ومن فوقهم لعلهم يبييعوها ، وهؤلاء الذين ذكروا ، يقولوا للبوش يختموا في السلاح
الذي ذهب من الدبابة ، لأن قد ذهب سلاح كثير ، ما أحد دري كيف وقع به ولا ان^(٥) صار مصيره ،
فصاروا فريقين من طريقين ، وصنعاء قفره^(٦) من أهلها ما بقي إلاّ اليسير فيها ، الله يحفظها ، ويحفظ
المؤمنين ، ففيها الآن عجائب يضحك السفهاء منها ، ويبكي من عواقبها الحليم .

وليلة الخميس ، أقبلت القبائل أول الليل إلى نقم ، وعشروا عشيرة كبيرة ، ولم
يجبهم الأتراك بشيء ، والآن قد كان أخبروا أنهم سيقدموا على الروضة والمراد سعوان ،
لأنها جاءتهم ، أخبار أن قد القبائل تروحو^(٧) بلادهم يشرفوا ويقلعوا ، فلما سمعوا تلك

(١) يأتي .

(٢) أي إلا أن تصله .

(٣) المباراة القتال أو المواجهة .

(٤) يوقعوا .

(٥) أين .

(٦) خالية .

(٧) راحوا ذهبوا .

التعشيرة انحلوا عن القدوم ، وتلك السيرة ، وأما المناير والمشاعيل فأكثر الأيام ما يقطعوها في عيبان ، ورأس جبل عصر والجراف ، غير التناصير التي تقع في الأسبوع أو دونه أو فوقه ، بل هذه مناير بينهم بل أماير^(١) وخرج من أهل صنعاء في تلك الساعات المعلومة يوم الخميس خلق كثير فأرّين من القل والعدم وكل عسير ، وما وقع إلا بفتّاشهم^(٢) في الأبواب وتكشافهم للحريم والجهال ، حتى أنهم يفتشوا عمائم الخارجين وأقباعهم ، والله سبحانه يعاملهم بأعمالهم .

وفي ذلك اليوم خرجوا ناس من صنعاء يريدوا يصربوا^(٣) ، ولكنهم طماعين غير مالكين عادهم يشتوا من بقية الذي هذّره الشيخ الجمالي علي بن محمد البليلي ، فقبضوهم القبائل ، وهم نحو أربعة أنفار ، يقال لهم أحمد مرشد وابنه الذي كان يفرق القات ، وعيال سعد عبده المقاوتة^(٤) وابن اليمني الخدام المتزّي بزبطي في البلدية ، وبيت الهبل خرجوا يصربوا من قاع صنعاء فقبضوهم القوم وشلّوهم إلى حدة وسلموا خمسة قروش / وعاد البهيمة مقبوضة ، والحاصل له نحو خمسة وعشرين قدح له وللوقف ، والدولة تخاطبه الآن في مثل ذلك الحاصل زكاة وشياطه ، وذكروا له أنه يسلم قسام الوقف إليهم لأنهم أبدا^(٥) من أهل الوظائف ، والقاضي عبد الرحمن المجاهد ، وصل له طلاب من الإمام هذه الأيام ، وعزموا به من دار سالم^(٦) وصحبته من يحفظه ، واختلف الخبر الحقيقي في القاضي أحد الصديق ، قيل باقي في ذمار عند أقاربه والأصهار ، وقيل في الحواز ، وأما السلاح حق عسكر ذمار وجميع الخزنة وما في الشونة^(٧) فصار إلى عند ابن الإمام المتوكل إلى سندان .

والمصرفات في صنعاء تغالت ، حتى وصل السمن رطل وربع وفي الروضة ، والوادي ثلاثة ونصف ، والقشر في التاريخ^(٨) ثلاثة ونصف بقرش ، وفي الروضة ثمانية ، والبر ربع وثمان قدح تعجر^(٩) نفرين بقرش ، وخارج^(١٠) فوق القدح ، والشعير قدح إلا ربع يعجز . وخارج قدحين ، والقشر الضعيف الذي كان يبتاع من نصف الثمن ابتاع من ربع

(١) علامات .

(٢) بفتّيشهم .

(٣) يحصلوا .

(٤) باثعوا القات .

(٥) أقلم .

(٦) توسع العرشي في خبر أسره أنظر بهجة السرود .

(٧) مخزن الغلة (أو السلاح) .

(٨) أي حال كتابة هذا .

(٩) يعجز بمعنى غير إلا كذا أو ينقص .

(١٠) أي خارج صنعاء المحاصرة .

يعجز ربع الثمن ، قيل أنه كان مع شعلان السنحاني قشر كثير فوق ألفين رطل ، شراه من ستة وباعوه له من ستة عشر قرش ، والذي شروه كسروه^(١) من خمسة بقرش المية بعشرين نحن ممن شري منه .

والآن صاروا الدولة يفرقوا^(٢) طعام على كل زارعي صنعاني وشعوبي ، ومن في الصّافية شري منهم شياطه بأثمان وافية .

ويوم الخميس والجمعة سادس ربيع أول وقع اليسك بلغة الترك يعني المنع لمن دخل إلى سوق قاع اليهود ، وجعلوا غفراة^(٣) يعني على قاع اليهود ، ومن وصل إليها لحاجة ردّوه من الصلبي^(٤) كايّن من كان ، حتى أن القاضي علي بن حسن المغربي خرج يريد ييدي^(٥) إلى عند ذمي يجرّ بشمق^(٦) كانت مَعْمَلَة^(٧) فمنعوه ، وبعد خلاً ذمي آخر ينفعه يصير إلى من هي عنده ، ويردّ له جواب من الذمي ، وما أحد دري ما السبب لذلك ، وما بقي مع الأتراك إلا الحكم كل يوم يبدوا^(٨) للعرب بحكاية ، وفي كل باب يسك بل وفتاش ، حتى للزائرين للأموات ، حتى كرهوا أكثر الناس الخرجة من الأبواب من سبب هذا الحلباس^(٩) ولو نرقم جميع ما وقع وما شاع من كل خبر ، لطال الكلام ، ولا احتاج إلى مجلّدات في بعض الحالات ، ولكن ما أطرف^(١٠) لنا رقمناه وما كثر تركناه خشية الإطالة ، ولو عاد الأرض مفتوحة لكان أخبارها مشروحة هنا ، ولكن ما معنا إلا خبر ما كان لدينا في المدينة وإلا ما صح وتواتر والله أعلم^(١١) .

ويوم الجمعة اجتمع القبائل للجراف ورجع كل أحد مرتبه^(١٢) عصر ، وبقوا يعشّروا كل فرقة في قريتها المترتبة فيها ، وكان نسمع التعاشير إلى الجامع الكبير ، ورجعت شرذمة من أرحب نحو ثلاث أربع مائة إلى بلادها ، وقد كانت في مفحق قيل أنهم كسروهم الترك

(١) أي باعوه من هذا السّعر .

(٢) يوزعوا عليهم شراء طعامهم منهم .

(٣) غفر عسكر .

(٤) المحل غير المزروع وهو ما يعرف الآن بالقاع .

(٥) يأتي إليه .

(٦) هذا سبق ذكره واللفظة من التركي .

(٧) أي مصنوعة من أجله .

(٨) يظهروا .

(٩) ويقال أيضاً الحلباط بالطاء وهو التأخير في الأعمال .

(١٠) أي ما كان طارف . قريب .

(١١) ملّت أخبار هذه الفترة فلما كان خارج سور صنعاء فصلّه المؤرخ الحسين بن أحمد العرشي في كتابه السرور وبتحقيقنا .

(١٢) موضع رتبته المكان المسلحين فيه .

إلى الخميس ، وقيل إبتاعوا ، وقيل شغلوا أهل الحيمة سرق ونهب ، وبعد فسحوا لهم المقادمة ، ووصلوا إلى بلادهم ، ولكنهم شرذمة يسيرة ، والمطارح حول المدينة باقية وقارح البندق ما يسكن ساعة ، ولا سيما المسمى بالمعتكف في لكمة الهندي ، ونقم ملان حتى في الغول حول الجويلي ، ومسحنة والذي قبضوهم من نقم هو من تلك الغول ، لأنهم ما هذروا إلا الذي في القاع الثمرة ، وهؤلاء المقبوضين هكموا^(١) إلى غول نقم / فقبضوهم ونهبوهم ، كونهم أقدموا إلى ما لم وصله غيرهم ، وأما بيت الهبل فهم كانوا في الحفاء حق حدة ، وأهل بير العزب المقبوضين إثنين من فج عطان .

وصبح يوم السبت وما يوم السبت فلا أعظم من قتاله ، ولا أشد في ما ذكر في هذا التاريخ ، ولا في سنّ راقمة أبداً فإنهم خرجوا أصحاب الدولة من صنعاء فجر ذلك اليوم نحو طابورين ومدقعين ، ووصلوا إلى فج عطان غربي بير العزب ، وقد عندهم خبر بوصول العسكر الشاهانية ، والمشير أحسن أديب باشا ، والباشا السابق في سنة ثلاث وثلاث مائة أحمد فيضي ، والقومندان أحمد رشدي ، ولكن العرب جميع غير مصدقين بوصول أحد لكثرة القبائل في تلك الجهات الغربية في الحيمة وحضور ، وكون قد لهم نحو شهرين يوصلوهم ، فأيسوا ولكن يقال في المثل « أستعلم الدولة ولا تعلمها » فما خرجوا إلا وعندهم حقيقة ، وقيل أنهم سمعوا المدافع من الليل ليلة السبت ، فبدعوا الخارجين من صنعاء رموا بالمدافع إلى جهة عُطان من باب الفج إلى نصف الصبح ، واستولوا على السّينة قرية ضعيفة زمّنه مهينة ، ووصل المذكورين قوماً كبيرة ، ومدافع كثيرة ، والعرب المتخطة^(٢) في الحواز آمنين الضرر ، راكبين على من في الجهة الغربية ، ولعل قد انخدعوا الذي لا خير فيهم ، « . . . » قيل أنهم ابتاعوا بفلوس كبيرة « . . . » لأنهم وصلوا راجعين بلادهم في اليوم السابق وقد معهم قليل نهب من الخيمة ومضوا من الروضة بالأمس وكان يسألهم من لقيهم ما جاباكم^(٣) قالوا كسرنا الأتراك وقاتلناهم حتى رديناهم من الخميس إلى حراز ، ونسير ونعود ، والأتراك المذكورين الواصلين أقبلوا في أثرهم . أرحب أمسوا ليلة الجمعة ، وليلة السبت في الروضة ، وخلفها والباشا وقومه في متنه ، فما أصبح يوم السبت إلا وهم قرب مند ، ولما علم المقادمة الذي في حدة والروضة والحوازا ، فعزموا من ساعتهم صبح السبت أو ليلته ، فما وصلوا بيت عذران إلا وهم يتراون عيان فقل أن القوم العرب دخلوا بيت عذران قرية فوق عصر ، وحطوا عليهم الأتراك هناك ، وركبوا جميع المدافع عليها ،

(١) جراًوا .

(٢) المفرقة في البيوت لضمان أكلهم وشربهم .

(٣) ما الذي جاء بكم .

والباشا ونحو طابور دخلوا صنعاء وبقت الحراة في بيت عذران بالمدافع جميع ، والبنادق كالرعود القاصفة لا تسكن دقيقة واحدة ، ولا نسمع نحو خمس ست أو ثمان عشر بندق في قارح بل مثل تعشيرة المثة في قارح واحد ، في الدقيقة الواحدة نحو ألفين قارح ، مقلل وإلا فأكثر ، وهلم جراً على تلك الحال إلى أوان الظهر ، ووقع مثل ذلك في السنية بندق ومدافع وبقي ذلك في المحليين / إلى قبل غروب الشمس ، وسكنت سكة واحدة ، والله أعلم هل وقع القتل طعن من اليد ، واختلط العرب والعجم ، أو سكنوا وإن شاء الله يتحقق ونذكر ما كان .

وبعد العشاء أمروا الدولة بالتنصيرة في المدينة ، ودرج المصيح والمعلم بها في أزقة المدينة بالصائح لأنه فاتهم التنبيه في الأسواق بالنهار ، فقاموا جميع وأشعلوا النار ، وصاحوا باسم السلطان ، وأغاطوا بذلك قبائل همدان وسنحان والبستان ، وسكنت القوارح نحو أربع ساعة ، وإذا قد سمعنا ضرب المرافع العربية ، فطلعنا وتحققنا ، وإذا هي في رأس جبل نقم في الفرضة ، وسكنت المرافع ورجعت القوارح ، وفعلوا العرب تعشيرة كبيرة من الفرضة ومن حمراء العلب إغاظة للدولة ، والمشعلين النار من العرب في صنعاء ، وأما في الغربي في بيت عذران والسنية وعصر ، فلم زد سمعنا شيء من قبل الغروب ، والله يفرج الكروب ، وصح الخبر أنهم احتازوا جم غفير من العرب في بيت عذران ، وفيهم ناس من المقادمة وهمدان ، ولم زد وقع من عندهم رماية كانوا مظنين أن العساكر السلطانية سوف تهجم عليهم ، وذلك الهجوم بغية العرب لما يقع لهم فيه من الأرب كما ذكرناه أولاً ، فلم يهجموا بل أحاطوا بهم كإحاطة العصابة بالرأس ، وبقوا مكانهم محيطين ، والعرب داخل القرية حاببين^(١) ومنتظرين أن تلبهم^(٢) القبائل بالغواير لذلك العار عندهم الثائر ، وجاءت القبائل تعشر من نقم تلك الليلة كما ذكرنا آنفاً تعشيرة (لا خنج ولا منج ولا لها قبل ولا رنج)^(٣) ولم زد رموا بشيء ، لا من داخل ، ولا من خارج إلى آخر الليل ، وهربوا جميع من في القرية من أهلها والعسكر الذي فيها وكانوا كحادث ومادث ، ودخلوا إليها الأتراك صباح يوم الأحد ، ولم زد وجدوا فيها أحد فأخذوا جميع ما فيها من الطعام الذي لا أكثر منه في قرى الأنام ، والعفش والنفش والمواشي من جميع الأنعام والحمير ، وآلة الزراعة ، وأدخلوا ذلك إلى صنعاء ، وأما الطعام فأعدموا القراش في صنعاء ، حتى بهائم القشامين سخروها لشداد الطعام ، مع ما قد كانوا فيه من الحاجة لذلك ، وبقوا يرحلوا الطعام ، فوق جميع القراش حقهم ، وحق الناس أهل صنعاء بغال وحمير ، ومضى الأحد

(١) مورطين لا يستطيعوا الخروج .

(٢) أي تلبهم .

(٣) بمعنى شيء ما له سبب ولا فائدة والخنج والمنج بمعنى اللطافة والقبول .

والإثنين وهم على ذلك الرحيل ليل ونهار ، ورثبوا القرية ، ونفذوا العسكر ظهر الأحد إلى جهة باب المنجل ، فأقبلت الغواير من القبائل جميع ، وخرج من صنعاء نحو طابورين وثمانية مدافع ، واحتربوا حتى فرّوا القبائل من تلك البقاع ، ونفذوا الأتراك إلى جبل القرعة المشرف على الجراف ، وطرحوا هناك ، وفرّقوا المدافع قبلي فوق مواجل صالح ، وفي ذلك الجبل شرقاً وغرباً ، وبقت تخدم المدافع كلها إلى الجهات كلها ، وإن رأوا قبائل رموهم ، وإن استتروا القبائل رموا إلى الحشيشة وإلى الحشيشة وإلى الجراف فوق / ما قد ناله من المحرب السابق في شهر صفر والقوم العرب تفرقوا شذراً مذبذباً .

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفاء أنيس ولم يسمر بمكة سامر وما ذلك من الباشا الأفخم والقمنطار المفخم إلا توطئة وتمهيد لأهل الروضة بقاء العساكر في جبل قرعة والرمية شرقاً وغرباً وإلاً فما المقصود إلا القدوم على الروضة ، ولكن قد أخبر أن فيها أهل صنعاء وضعفاء ولم يكن لهم طاقة بالهروب والرحيل ، وأنهم غير راضين بالفساد ، ولكن غلبت عليهم تلك القبائل ، وأهل البلاد ، فبقي يروضهم عسى يرجعوا عن غيهم ، وأمسوا أهل صنعاء تلك الليلة حلفين^(١) الأشجان ، كثيرين الأحزان تالين القرآن خوفاً على من في الروضة من الروضة من أهلهم وأصحابهم والجيران ، لأن أكثر الناس في صنعاء وأهله خارج ، وناس أصدقاؤه وقرباءه ومن لا ذنب له ولا حجة عليه ، فدفع الله ولم يقع تلك الليلة شيء من العساكر لا رمية ولا قدوم ولا هجوم ولا غير ذلك ، بحيث أن بعض الناس من العقلاء أهل المجالس كان يبكي في صنعاء بين الناس ولا يبتأس كون أهله خارج ، ولاحت الفرصة للغوغاء والذميين في ثمرة عصر . وأيضاً هي كلها وقفاً لله الغريم فيها الله ، فأخذوها آخذة واحدة كما سبق لثمرة القاع العدني بحيث أنهم كان يتلافقوها^(٢) ملاقفة بالبهائم وغيرها ، وأخذوها جميع في يومين ، السبت والأحد ثامن ربيع أول . الذرة والنضايا^(٣) جميع كون قدهم آمنين بالعساكر الشاهانية حيط الطريق لهم مستمدة .

وصبح يوم الإثنين وصلوا ناس من صنعاء الساكنين في الروضة إلى الباشا أحمد فيضي متظلمين كونهم تحت وطأة القبائل ومحكوم عليهم في الروضة ، وعقروا عنده ، وأظهروا له الطاعة والأنقياد ، ونصبوا البيارق للسلطان ، وفعل لهم الأمان ورجعوا إلى بيوتهم بالأمان والأطمئنان ، وسكن ما بهم من الخوف ، ودخل الباشا المذكور إلى الروضة وتوجه إليها

(١) حلفين .

(٢) لقف الشيء أخذه بسرعة .

(٣) محصول من البر والشعير يأتي في الصيف .

بجميع أصحابه والمدافع والمزيقة ، بعد أن سمع من أهل صنعاء صحة الأخبار بإجلاء القبائل ، وخلوها وما بقي إلا أهل الطاعة والأخيار ، وجرت العساكر الشاهانية والمدافع الكرخانية إلى جهة جدر ، وحطوا هناك ونصبوها إلى المحل ذلك ، وبقت تضرب طول النهار من عقيب العصر إلى بعد المغرب ، وسرى الهدار^(١) إلى الجراف ، ولاحت الفرصة للأنذال والجراف^(٢) فأخذوا ما فيه أخذة واحدة ، من حب ، وأبواب ، وطيقان ، وبقية أثاث ، حتى وصلوا ناس بحطب من الشرعة أحمد الدريني^(٣) ، وخرج ناس غير محتاجين إنما الأطماع خلت عقول الرجال مجانين على كل دقة ولون . السيد يحيى بن محمد باب نوبة ، والسيد محسن الشامي باب بيت ، وجميع السماسرة والفلاتين^(٤) من القبائل ، وكل من له رغبة في الحرام ، وكان ناس يخلوه يدخل من الباب وناس يردوه ، وناس ما جابه^(٥) ؟ يأخذوه في الباب ، وصارت كمثل بيت عذران ، فيا سبحان الله ما هذا الخذلان / لو كان الطمع بيد العساكر الشاهانية لهان لأنهم أغراب ديار ، ومحتاجين وباذلين رؤوسهم في القتال ، ولكنه بيد كل بطل والإسم أنه صاحب صنعاء وليس إلا الوبال .

وبقيوا أهل جدر ومن عندهم من القبائل في المحل إلى نصف الليل ينتظروا هجوم العساكر الشاهانية ، في ذهنهم يتجملوا بين القبائل لا يقال أجفلوا ، فلم يهجموا فاحتاجوا شردوا في الليل ، وما أصبح فيها أحداً من أهلها ، فدخلوها الأتراك صبح الثلوث ، وأخذوا ما وجد وأحرقوا ما لم ينقل ، وكانت مثل وقعة بيت عذران ، نسأل الله سبحانه الأمان .

ودخل الباشا أحمد فيضي من الروضة بعد أن كمل لهم الأمان ، ورجع من كان هرب في الليل إلى صرف وغيرها مما يلي جهات الروضة لأنه حصل لهم من الله سبحانه لطف كبير بهجوم الأتراك في ساعة واحدة بغتة ، وما كان ظن أهل الروضة أنه سيقع ذلك ، فوقع من الله لطف بما هنالك ، لأنه لو دخل الباشا من بيت عذران إلى صنعاء بتلك العساكر الجرارة والمدافع المختارة ، وهياً الخروج من صنعاء ، ومن قاعدتهم يسبقوا أولاً الإعدار والإنذار ، فكان مجرد سماع القبائل بذلك أمد يوم يومين يأخذوا جميع ما في الروضة القبائل ، كما هي عادتهم مع كل قائم ، ولا سيما حيث يقال في المثل^(٦) ولكن نزل الباشا

(١) هدر الشيء أباحه .

(٢) الفقراء .

(٣) أي من شرعه عنب أحمد الدريني والشرعة أعمدة من الخشب .

(٤) الفالتين .

(٥) أي يقولوا له ما الذي جاء به .

(٦) يباض في الأصل وكأنه كتب هذا المثل ثم محاه بالماء ، لعله لفحشه وهكذا تجدنا معذورين في حذف بعض الكلمات النابية من الكتاب لأن المؤلف كتبها وهو في حالة انفعال وكان سيحذفها لو أنه عاد إلى هدوئه .

من بيت عذران بين الصّلاتين ، ووصل جبل قرعة فوق الجراف أذان العصر ، ووقع ما ذكر من الحرب ، وضربت المدافع شرقاً وغرباً وتوطئة لهم وتمهيد ، وفعلوا إلى الروضة نحو أربع ضربات أحدهن في بيت النّاشري وخرقت وطرحت في باب بيت شريان ، والثانية في بيت العنيسة فوق العنقوشة^(١) وثنتين في بيت محمد الحميدي^(٢) ، وشرّدوا القبائل من حينهم ، وما زِدْ ملكوا نفوسهم بل الجيد من لف^(٣) نفسه ، ولكنها كانت تلك الليلة، ليلة الإثنين تاسع ربيع أول أشد على من في الروضة من الموت ، لأنهم فشلوا فشلة كبيرة ، كون الوصول إليهم من التّرك بغتة فناس هرب ، وناس بقي ، وناس فلت بيته وما يملكه وهرب بنفسه ، وناس هرب بعائلته .

وصبح الإثنين أجمع شورهم على من يعزم إلى عند الباشا ، فممن عزم محمد بن أحمد الرّداعي المسمى بالشغدري ، وعلي بن محمد الجنداري ، وسيدي^(٤) ابن القاضي ، وقطعوا من عمايمهم بيارق في رؤوس الأعصي^(٥) ومضوا إليهم ، وكان ما ذكر من الأمان فله الحمد على سلامة من ذكر ، ودخل الباشا من الروضة ليلة الثلوث إلى صنعاء بغتة ، وبقت العساكر في الروضة وفي المطرح الذي على جدر ، ورجع النهار وأمسى .

ويوم الربوع وصلت عقائر القرية وقبلوها ، ورجعوا الواصلين من القرية ، وتبعهم خيالة ، وطلبوا الحاج سعد الزبيري ، ووصلوا به الروضة ودخل صنعاء صحبتهم ، وأودعوه وولديه الحبس ، وحبسوا سيّدي إسماعيل حميد الدين وولده كل ذلك ليلة الخميس / وآخر من بيت حميد الدين من بشر العزب ، وتلك الليالي الثلاث الماضية كان يَجْوَ القبائل الذين في دار سلم يعشّروا من رأس نقم ، ومن حمراء العلب .

وفي صبح الخميس طلبوا النّاس إلى مَيدان القصر ، واجتمع الرئيس والمرؤوس إلى الميدان ، وقرأوا فرمان السّلطاني لحضرة القاضي والداني ، أولاً قرأه رجل من الأتراك بالتركي للأتراك ، وبعد قراءة الجمالي علي بن محمد الجرافي بالعربي للعرب ، وسمعوه جميع من حضر ، وبعد افتتح بالدعاء والوعظ والترغيب والترهيب ، سيدي العلامة أحمد بن محمد الكبسي ، ودعا للسّلطان ، ووعظ جميع الأنام بالطاعة والإنقياد ، وعدم المخالفة والفساد ، والإكثار من الحمد والشكر لله على صلاح شأن العباد ، بالغارة عليهم من سلطان الإسلام ، من أطراف البلاد بعد أن فشى الفساد في هذه البلاد ، من أهل البغي وبين الناس خبث عقائد أهل الفساد ، حيث كان

(١) موضع في الروضة .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) أخذ نفسه (هرب) .

(٤) بياض في الأصل .

(٥) جمع عصا معروف .

يقولوا في تحاييهم يا شوقاه للبيب^(١) والدقق ، وأن أعمالهم غير صالحة ، والله لا يصلح عمل المفسدين [وبعد تمام ذلك الوعظ أخرجوا له نشان^(٢) كأنه من السلطان على رأي البوش والأركان ، وضربت المدافع بين أيديهم في الميدان]^(٣) .

وهذه الثلاثة الأيام بقوا الأتراك جميع في صنعاء مع سعتهم ، فأحطموا^(٤) الخبز والرّجيز^(٥) وكل المأكولات ، لأنهم كانوا في سعة من الفلوس ما كان يبالوا بها مع ما قد همّ فيه من الحاجة للمأكولات^(٦) مع عدم معرفتهم بالأثمان ، ولكن قد يسّر الله قليل طعام موجود في السوق من النهب وغيره ، ودخلوا الناس الذين كانوا في البوادي أفواجاً ، ولكن الذين دخلوا ما قد يجوا النصف ولا الثلث مما قد هربوا ، لأن عاد الأمور كالمتلاشية ، والقبائل عادهم زاقمين العسرة^(٧) وأما ناس فقد دخلوا قليل يجلبوا من الوادي ، ومن مذبج ، وعصر ، والسنيّة ، وهم على وجل مما قد جرى فيهم من الفشل .

ونهار الخميس يوم ثاني عشر المحرم قبل العصر تهيؤا الدولة للمخرج على سنّحان . وبدعوا بالحرب في دار الحيد ، وبقت الرّماية مستمرة بالمدافع الثمانية والبنادق من الطرفين كالرعود القاصفة إلى / أذان العشاء الآخرة وهدنت^(٨) البنادق ، وبقت المدافع دون ما كان إنما ساعة ونسّمع قارح واحد ، ولعلمهم تقاربوا في القتال من اليد بالحد ، وكل أحد إذا جدّه وذكر الجد ، وذلك القتال وقع في القرية السابقة المسّماة بالجردا ، وعاد كان فيها بقيت حسبه لمن وفي أجله ، ولقي ربه ، وسلمت القرية التي كان محط القوم ، وابن المتوكل فيها ، وكانت المركز الذي يخشى عليه شيء يعلمه الله ، ولأنهم نصبوا بيارق ، الطاعة للدولة ، والباشا أحمد فيضي بصيراً بالأمر من أظهر الطاعة قبلها منه ما عوّل على أحد ، ولا فجّع أحد ، ولو قد جرى منه ما هو أعظم ، وهذه من الدهاية^(٩) لأنه لو عاملهم بما جرى منهم ما دخل في الطاعة أحد ، بل قبل منهم ما أظهروه ، وترك ما بطن ، ووقعت الواقعة في

(١) جمع لبة ودقة ومن حلي خاص بالنساء .

(٢) نشان .

(٣) من حاشية الكتاب بخط المصنف .

(٤) أفنوا .

(٥) هو التمر المهترس .

(٦) خ المكلولات .

(٧) القبيلة الشهامة .

(٨) وقفت .

(٩) الدهاء .

دار سلم والقلفان والجردا ، حتى أخربتهن المدافع وبعدها خراب وحريق ونهب وسلب ، ووصلت العقائر من تلك الجهة جميع وادي الأجبار إلى حد بيت حاضر وبيت نمير ونصبوا بيارق الطاعة وسلموا جميع الجماعة بعد ذلك ، والخير فيما هنالك ، والله أعلم بمصالح عباده وبلاده وقد فعلوا العرب بقدر عقولهم ، ولقيوا أعمالهم ، وسيحشروا بنياتهم إلى ربهم من كان هجرته إلخ^(١) .

وكذلك جميع البلاد الحرة^(٢) وغيرها من الحواز دخلت في الطاعة وسلكت مسلك الجماعة ، ووصلت العقائر من كل محل ، حتى من الحيمة وبلاد البستان ، ما خلا بني مطر ، ونصبوا البيارق هؤلاء المذكورين جميع ، من بستاني وسنحاني وروسي وسعواني وحشيشي وسري وحارثي وهمداني ، القرييين كالوادي وضلاع ، وواجهوا للصميل والدين ضاع ، وأما الفشلة والخوف والدهشة فعمت الحاضر والباد من وصل الحرب عنده ومن لم يصل ، كمثل حرب يوم الجراف ، فشل من في الروضة من القوم ومن أهلها والمخترفين ، وهربوا جميع إلى كل ناحية ، ويوم حرب جدر هربوا جميع من فيه ومن بجوارهم كالقرية إلى الوادي وثقبان وذهبان إلى ضلاع والعرة وعلمان بأهلهم وجهالهم^(٣) حتى قيل أن في هربتهم من الروضة إلى جهة السر وغضران وصرف ولدين^(٤) أربع نسوان في الطريق الليل ، لا حول ولا قوة إلا بالله . ويوم حرب الجردا وقع الفشل في جميع السنحانية والحرة كسنع^(٥) وحده وبيت سبطان ويوس وحمل وارتل وشردوا المقادمة جميع أبناء المتوكل وغيرهم / وجميع أهل وادي الأجبار إلى حد بيت حاضر هربوا نساءهم وصبيانهم ، كذلك عمّت تلك الفتنة جميع البلاد ، وفشلت كل العباد بدعت من الحيمة من هربة أرحب وهلم جرا .

وأصبحوا يوم الجمعة وقد خلصت الحواز ، وبيرت ونصرت وعقرت .

شعر :

كان لم يكن بين الحجون ومكة أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وقال آخر :

(١) كذا والحديث مفتوح صحيح البخاري ج ١ ص ٢ ونصه « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته

إلى دنيا يصيها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » . إلخ .

(٢) القرى المحيطة بصنعاء كسنع وحلة وبيت سبطان وغيره .

(٣) أطفالهم .

(٤) وضعن .

(٥) هي سناع .

كأن لم يكن بين الهشاش إلى الحفا^(١) قبيلي ولم يحزب بحزير حازب
 وكان مراد الباشا أحمد فيضي يمر إلى حزيز والمحاقرة لشيء في نفسه ، ولو قد
 أظهروا الطاعة ، ولكن قيل بدا لهم أمر مهم مكتوبات مزعجة من الجهة القبلية ، فترك الجهة
 العدنية ، ودخل صنعاء مؤيداً منصوراً نهار الجمعة ، وطويت الخيام وشدوا والعساكر
 الشاهانية تجهزت والمدافع الكرخانية على الخيل جرت ، وخرجوا صبح السبت ١٤ ربيع
 أول ، وخرجوا من باب شعوب ، ومن باب الشقاديف ، ومن باب الروم طريق الجراف إلى
 قبل الظهر ، وتجهزت عساكر آخره ، قيل لاحقه ، وقيل مطلوبه من عند الباشا أحمد فيضي
 من الطريق ، فوصلوا إلى بلاد همدان المعروفة بالرقه والتقوهم ، وقبيلة همدان وأرحب ،
 وعضدوهم أهل جدر ، فوقع بينهم يوم عكر ، وحرب عسر كاد كل أحد يطر^(٢) وتمنى أن يفر
 وهربوا القبائل من قدامهم جميع ، وأحرقوا الحاوري بعد أن شرعوا في خرابه بالمدافع ،
 حتى أيقنوا بفرار العرب ، ودخلوه وأحرقوه ، وتوجه بالعساكر علي باشا من الرقة جهة شبام
 وعمران ، ورجع الباشا أحمد فيضي نهار الأحد إلى صنعاء لعله لمفاوضة بينه وبين من في
 صنعاء من البوش ، ولحفظ صنعاء فهي أصل اليمن لولا حكمه^(٣) بالوصول إليها لما صح
 شيء .

وأما أهل دار سلم ، فقد ذكرنا أنهم نصبوا البيارق ، حق الطاعة ، وقبلوها الدولة ،
 فلما أرادوا الدولة الدخول صنعاء جعلوا عليها عساكراً غفراً لحفظ ما فيها وسخروا البهائم
 ورخلوا ما كان فيها من الطعام ، لأن فيها طعام كثير لا يوجد في غيرها من القري ، وبعد كما
 شداده الله^(٤) أعلم هل تسلم أو تدمر^(٥) من الخراب ، وهروب الناس من محلاتهم عذاب ،
 وخراب بيوتهم عذاب العذاب ، نسأل الله أن يهدينا إلى الصواب ، فلم بقي في هذا الحواز
 أحد ما ما نجل ولا هرب ، حتى الذين كان يهربوا أهل الروضة وصنعاء إليهم هربوا ،
 المقصود^(٦) أنه الذي جعلوه مأوى كان يهرب معهم فالذين هربوا من الروضة إلى صرف ،
 وبعض قرى بني الحارث ، وبعض بني حشيش الغربية هربوا مع من هرب ، والذين هربوا
 من صنعاء إلى قرى سنحان القرية ووادي الأجبار ، هربوا مع من هرب نحو خولان ،
 والذين هربوا من صنعاء إلى حزت بلاد البستان كسنع وحده وسبطان هربوا / بمن هرب

(١) ما بين النهدين ونقم .

(٢) يطير .

(٣) تجرؤه .

(٤) كذا .

(٥) في الأصل تدرم .

(٦) خلاصة الكلام .

إليهم ، والذين هربوا أولاً قبل وصول الباشا أحمد فيضي من صنعاء نحو حضور والبستان ، هربوا عند وصول أحمد فيضي بعد قتلة الحيمة وفرار أرحب ، وهذا كله في صنعاء وحوازاها ، وأما البلاد البعيدة فلم قد تبين شيء لأن ما قد أحد وصل منها إلى يومنا الأحد ١٦ ربيع . وأما الذين في هذه الحواز نحو الروضة ووادي ظهر والقرية وسعوان وحدة فهم رجعوا الأولين من يوم الإثنين ٩ شهرنا ، لا سيما الأغنياء والمتهمين عند الدولة أنهم هاربين منهم ، والمتهمين بإعانة المقادمة في الروضة وغيرها ، والذي كان يدخلوا عند سيدي عبد الله وسيدي يوسف بن غالب في الروضة ، فما وسعهم إلا الدخول [إلى] صنعاء على الفور وهم من الخوف صرعى فسبحان المعز لمن يشاء القدير على ما يشاء .

وما أظن إلا أنها تغيرت نيب العرب لأن الأعمال بالنيات وكل عبد وما نوى^(١) فأول الأمر ظهر الصلاح منهم والفلاح ، فلما تمكنوا في العمل ظهرت^(٢) فيهم القبائح^(٣) فنعم فيهم ناعق الشتات وصاح قال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴿ فإنهم لما تمكنوا استحلوا ما حرم الله وخالفوا أمر إمامهم ونهبوا الضعيف الهارب من الجوع وتكشفوا المحصنات وهتكوا أعراض من بساحتهم الذين لجؤا إليهم وتركوا أوطانهم فوق بهم ما ذكر .

وسيدي محمد بن محسن نقل إلى غيمان ، ولعلها أركنته خولان ، والله أعلم ما يصح ، وصنوه عبد الله عزم بمن كان لديهم من الأسارى الأتراك الذين كانوا في المراكز العدنية وبما معهم من العفش والفلوس ، ومن كان لديهم من العرب كالقاضي أحمد الصديق ، والشيخ قاسم الحواني صاحب حدة ، والسيد محمد الحتري عزموا مع ابن المتوكل محمد وبعد تفرقوا .

ولإسماعيل باشا الذي كان وكيل المشيرين في صنعاء عزم طريق الحديدية يريد تعز من تلك الجهة .

رجعنا إلى يوم حرب قاع الرقة يعني الحاوري ، وحوله وقع بينهم الحرب والقتل ، وثبتوا ثباتاً كلياً ورجع الباشا أحمد فيضي إلى صنعاء ، وعزم علي باشا قرمادان إلى تلك الجهات السابقة الذي عزم لها أولاً ، ولم يحصل على ما يريد ووصل شبام قبل الشمس^(٤)

(١) تصحيح الحديث سبق قبل قليل .

(٢) خ طهرة .

(٣) خ القبائح .

(٤) أي قبل بزوغ الشمس .

بغته ، وقد كانوا العسكر الشاهانية في خمكة^(١) لأن همدان دخلوا شبام ، وكان يطلعوا إلى قاع الضلاع ، وباب كوكبان ، قصدهم يأخذوا كوكبان ، كون الأتراك فيه شزيمة يسيرة ، فلم تسعدهم الأقدار بسبب إلحاح محسن الشرفي عاقل كوكبان ، بقي يحاجي على كوكبان ، ومن فيه من العرب والعجم ومرامه متى خلصت صنعاء من أيدي الدولة ، فلا بأس الأمر جميل ، وإن صنعاء باقية فقد تجمل معهم وبدا بالجميل ، وكان الترك الذين في كوكبان يحاربوا بالمدافع إلى شبام ، وآخر يوم رموا إلى بيت القهالي بثمان ضربات إلى شبام ، وبعد وصول الباشا علي سكنت الأمور وخضعت / بعد تلك الواقعة رقاب الجمهور ، ودخلوا في الطاعة ونسوا خير البضاعة ، ودخلوا صنعاء أكثر العقال المجاورين لصنعاء ، منهم قائد الأهجري ، وعياش ، ولا زالوا يتسابقون ، ما خلا أهل بني مطر والحيمة لأن أكثر ما تركب العمل عليهم ، ما خلا الذين ذكرنا أنه وصل ناس من الحيمة بعقائهم وهم من رأس الحيمة كبيت النش^(٢) وبني سوار وبوعان ، وأما وسط الحيمتين فعادهم في الغيبة الله يحسن مخرج الجميع ، ويلطف بالمؤمنين .

ونساء الأتراك المأسورين قاثمين^(٣) المقامات ، وصلوا بهن وبرجالهن من الجهة العدنية إلى الضبعات فما من^(٤) كان من الرجال ، فعزموا بهم كما ذكرنا آنفاً ، وما كان من الحرير^(٥) فهو نحو إثني عشر مرة^(٦) وجُهلهن^(٧) بقين في الضبعات ، ودخلين صنعاء غائيات^(٨) حازنات يوم الإثنين ١٦ ربيع أول ، ودخلوا معهم ناس رفقة لا حول ولا قوة إلا بالله لأنهم^(٩) بلغ منهم أن القبائل تجاروا على رجالهن ، ما عاملوهم معاملة المأسورين ، فلهذا وذاك الذي جرى منهم إلى^(١٠) أهل صنعاء ، صاروا جميع القبائل مكسورين ، لأنه تبين للناس خبث عقائدهم ، ولو تمكنوا لكان فعلهم أشوع ، وطوياتهم لعلها أشنع شعر^(١١).

إذا كنت تعلم بأنه حكيم فإن اعتراضك لحكمه جنون فهو بحال العوالم عليم

(١) كذا في الأصل .

(٢) قرية بجوار الزيلة .

(٣) أي نساء قاثمين المقامات (الضباط) .

(٤) فأما ما كان .

(٥) النساء .

(٦) امرأة .

(٧) أطفالهن .

(٨) مستآت .

(٩) لأنه .

(١٠) أي في أهل صنعاء .

(١١) من قصيدة السكر المحلول عراض قصيدة البهلول للأديب علي بن إبراهيم الأمير .

وبعد رجوع الباشا أحمد فيضي من وادعة همدان والحرب في ذلك الميدان ، والطعن والضرب الذي شابت له الولدان ، وما كان من القتلى ، مما لست أذكره من قتله غبراً ، ولا تسأل عن العدد ، عزم علي باشا كبير أركان الحرب في العسكرية من نحو عمران على ما ذكرنا ، وزادهم رجالاً وذخيرة ، وطلع كوكبان ، ولعله كان مراده يمضي حجة يزيدهم قوة فلم يتأتى له المضي ، وتلقوه ناساً من بلاد المشارق نحو الجبل حق عيال سريح ، وأهل المصانع ، ومن المغرب ، قيل المقدمي السيد الجندبي ، ووقع بينهما قتلان كبيرتان تميل بقلب الجبان إلى الجنان^(١) والزيفان ، أشد من حق همدان ولا يحصى خبرها إنسان ، سيما حال الرقم في الآن^(٢) أفهم ، وقد كان تقدّم قبل ذلك قتلان في باب كوكبان ، والمقدمي فيهم سيدي^(٣) ابن علي بن عباس صاحب كوكبان ، لأن قد كان^(٤) ساكن في شبام ، وتكاتب هو والإمام ، وطلع إلى باب كوكبان بناس من همدان وبأهل شبام ، ووقع فيها قتلى من الفريقين ، ولم يتم شيء لأن الحاج محسن الشرفي ، لم أمكن يساعد ابن عباس مقدمي الإمام ، ولو هم من محل واحد ، فإنه بقي محاجي مع دولة الأتراك ومجاهد ، وكل أحد من كوكبان له مساعد ، وأجاب على سيدي محمد بن عباس ، متى خلصت صنعاء من أيدي الأتراك فلا بأس ، نسلم ما عندنا ، وكذلك الشيخ حزام الصعر صاحب عمران ، فهو احتجى على من في عمران ، وأجاب بما أجاب محسن الشرفي ، والعرب كان مرادهم الفتك بهم لأجل تخلص صنعاء وحجة ، فلا [ذا] تأتي ولا ذا حصل ، حتى وصلت البوش الكبار المذكورين ، أحمد فيضي ، وجماعته من بوش وعساكر ، وتفاقم الأمر ، ورجع علي باشا صنعاء ليلة الإثنين ٢٣ ربيع أول ، قيل أنه دخل الطويلة ومسور ، ورتبهن في تلك الخطرة ، وقيل ما ذكر لا غير ودخل صنعاء عشاء الآخرة ، وتلك الليلة / تجهزت العساكر الشاهانية والمدافع الكرخانية ، نحو بلاد بني بهلول إلى غيمان لأن ابن المتوكل باقي فيه وجماعة من خولان ، وما وقع الحرب إلا من فجر ، فإنها سمعت من تلك الوقت قيل ثمانية مدافع ، وقيل أكثر ، وسمعوها إلى كل ناحية إلى الروضة وإلى ضلاع ، وأما الحواز فأقرب ، وسمعوها إلى صنعاء ، قيل ما قد سمع [مثلها] من أول الحوزة ، والحرب بأعظم من ذلك اليوم ، كثرت ضرب المدافع ، واحتاجوا غواير من صنعاء متتابعة ، وكل غارة تخرج بمدفع وعساكر ووقع يوم كيوم بدر ، ولم قد تبين ما وقع فيه إلا أن العساكر رجعت القهرا^(٥) إلى ريمة حميد ، وقيل إلى دار الحيد ، ولا بد يتحقق .

(١) الجنون .

(٢) خ الان .

(٣) بياض .

(٤) خ كا .

(٥) كذا وصوابه القهقرا .

وأما خبر ذمار فإن الدولة أرسلوا لهم برايات الأمان ويرجعوا عما هم عليه ويصالحوا ولا يعاقبوا فيما جرى ورجعت جواباتهم بعدم المساعدة ، وأنهم على ما هم عليه من طاعة الإمام ، ومن يريدهم وصل إليهم والسلام .

وأما خبر حفاش وملحان ، فإنهم فعلوا كما فعلوا ، والسبب أنه وقع الأمر من الإمام لابن حبيش صاحب حاشد الساكن في بلاد المحويت في حصن نعمان من زمان ابن الذي قدم في سنة ١٢٨٦ علي حفاش وقتل إبراهيم أغاة عيب بعد أمنه وأطلعه إلى محله وقتله ، وأخذ حفاش ، وعند وصول الأتراك صنعاء وأخذهم سنة ١٢٨٩ جميع البلاد ، ونزلوا عليه ، وأخذوا حصنه ، وجميع ما معه فيه أخذة واحدة ، وهذا ولده وقع الأمر له من الإمام بالقدوم^(١) فقدم علي حفاش في محرم سنة ١٣٠٨ ، وتلقاه الشيخ يحيى عبده زايد صاحب راود شيخ المشايخ ، وكتب من حفاش إلى ملحان ، وأجابوه لأنه لم عاد كان عندهم أترك ، وأعلنوا بالطاعة للإمام ، وهرب بعض المشايخ المسمى زليل من حفاش إلى عند الأتراك إلى حجة ، ونهبوا بيته سبب العرب هربته وحاصله أن قد كان أجابت جميع أرض اليمن حتى مدينة إب وجبله حال هذه المقاتلة والحوزة ، وإب في أشد الحصار محاصرين لها أصحاب الإمام ، والله أعلم هل أخذت قبل هذه الفشة والنقطة بوصول الباشا أحمد فيضي ، أو عاد كانت في الحصار ، لأن السيد عبد الله بن غالب ناظر وقف ذمار طلع من ذمار بعد وصول الباشا فيضي ، وهي محاصرة ، ولم صح أخذها ، أخبرنا شفاها ، وبعد ذلك تحقق حرب غيمان ، وقع القدوم على قرية جوب ، لأن أكثر القبائل فيها ، وحاصروها من كل الجهات ، وكان فيها الصوفي ، وأغارت عليه القبائل ، وخرج هو وأصحابه بعد أن فعل ما يذكر به عند ربه ، ورجعوا على غيمان ، وكان فيها أولاد الإمام المتوكل سيدي محمد ، وصنوه عبدالله ، وأخذوا أصحاب الدولة القرى الذي تحت الحصن حصن غيمان ، وأخربوا الذي في الحصن يومهم وليلتهم حتى غلب على جهدهم لقتلهم وشردوا جميع نصف الليل / إلى جبل اللوز وخطوا هنالك بالقوز ، ولم تركب^(٢) الحرب في تلك اليومين بلياليها^(٣) إلا على نحو أربع مئة نفر لا غير من خولان وبني بهلول ، ولم استقام أحد ، كل أحد قر إلى حقه البلد ، وعمت الفشة تلك جميع عساكر العرب ، ولم زيد ظهر من تلك الآلاف فرد ، سوى تلك الأربع مئة أهل الهمم السامية ، الذين لا يريدوا المدينة المحمية^(٤) ، ورجع الباشا أحمد فيضي من يومه إلى (سيان) وترك أهل تلك الجهات كالعميان لما شاهدوا من قتال

(١) خ بقلوم .

(٢) تقوم .

(٣) خ بلياليها .

(٤) صنعاء .

حمر الكوافي^(١) والأعيان ، والمدافع الذي تدع العمران خبوت^(٢) وقيعان^(٣) وهم نحو سبعين مئة ، والمدافع تقوم مقام سبعين مئة أخرى ، فله در تلك الفئة القليلة الأربع مئة العرب الذين واجهت وقاتلت تلك الألوف العجمية ، والمدافع الرومية ، الذي انصدعت لها قلوب جميع العرب من الغرب إلى الشرق ، ومن الشام إلى اليمن ، ورجع كل أحد إلى بيته يتأهب لما يجيه^(٤) . ويأهب الطعام والنقد والجزء للدولة ما ينجيه ، بعد أن كان كل أحد منهم يظن أن ما فوق يده يد ، وهم نحو ثلاثين أربعين ألف في كل الجهات ، كل أحد أعد نفسه لمئة فارس . ولا بأس أن قد فعلوا أو لا قتلات صعبة^(٥) ومضارب عجيبة ، ولم كان يكثرثوا من مدافع ، ولا من غيرها ، وكان الله لهم مدافع ، ولكنها تغيرت نيات أكثرهم سيما بعض « . . . » الذين يدخلوا الحزم^(٦) الحطب إلى صنعاء ، فإنهم فعلوا فعال شنيعة ، وفظعوا في الضعفاء والمساكين والأرامل والأيتام ، والهاريين من الجوع ، فعلوا فيهم أفعال ما يرضاها الله ولا رسوله ، ولا أحد من المسلمين ، وصاروا يتمدحوا^(٧) بها ويفتخروا بما ورائها ، من أنهم يريدوا نهب المدينة المحمية ، وأخذ جميع ما فيها ، وتبين أن نيتهم جميع عليها ، وما قصدهم سواها ، ولكن أظهروا الجهاد على الأتراك لينالوا ما هناك ، ولا عملوا بقول إمام ولا بشرائع الإسلام ، بل أنها كانت يصالهم كتب الإمام بالتحري من مدينة سام ، وحفظ الضعفاء والأرامل والأيتام ، ويتحروهم جميع المقادمة في كل يوم ، وما خربت إلا بيوتهم ، وما نهبت إلا أداتهم^(٨) ولا تشردت في البلاد إلا نسائهم وأولادهم ، ورد الله الذين كفروا بغيبضهم ولكنها / وقعت بسببهم الفشلة^(٩) في جميع اليمن المشرق والمغرب ، وما سبب فتنة جميع أهل اليمن إلا الحواز^(١٠) حق صنعاء الذين تغيرت نياتهم ، وشاعت في جميع الأرض فشلتهم ومصيبتهم ، لأنهم أولاً جاهدوا جهاد من لا يرجى الحياة ، وقاتلوا قتال الأبطال الكماة وأقبلوا من كل فج عميق ، في كل محل آلاف لا تحصى ، ولا تعد ، وكان ينتصروا في كل معركة ووقع ما رقم^(١١) حتى كملت لهم البلاد ، وما بقي محل في كل

(١) كأنهم الترك أو جندهم من العرب الزبطية .

(٢) خ خبوة وهو جمع خبت سبق ذكره .

(٣) جمع قاع معروف .

(٤) يأتيه .

(٥) صعبة .

(٦) الحرم بضم الحاء وفتح الزاي وتسكين الميم جمع حزمة العصبة الواحدة من الحطب .

(٧) يتمدحوا أنفسهم .

(٨) حاجاتهم .

(٩) الهزيمة ويعني هزيمة أهل اليمن في مواجهة الأتراك .

(١٠) القرى المحيطة بصنعاء .

(١١) أي ما سجله المؤلف في تاريخه .

بلاد إلا واجه بالطاعة وامثل أمر الإمام ، وأمر من كان مفوضاً من لديه ، وجاهدوا بأموالهم ، وأنفسهم ، وسلّموا أيضاً من واجباتهم ، فلما تمكنوا في العمل ، داخلهم الملل ، ومالوا إلى حب الدنيا بالنهب والسلب للضعفاء ، فلما أكلوا الحرام ، طمس الله على قلوبهم ، وحدثوا أنفسهم بأخذ المدينة^(١) وصمّموا على ذلك ، سيّما بعد وفاة السيّد الهمام أحمد الشرعي المباشر لكل صعوبة عند الإحجام ، الذي لا يخشى في الله لومة لائم ، فبعد وفاته ظهرت^(٢) تغير نيتهم وعلموا أن لم بقي معهم من يردعهم ، ولم يزد امتثلوا لأحد بعده لأنه كان مهاب ، وما فيهم مخلصين إلا المقادمة ، وأما القبائل فهم كلهم^(٣) (. . .) كيف ما تفرح منهم بندق ممن في الروضة جميع وجدر إلا بقي^(٤) قلب أحد يخفق وهربوا وهم كانوا هذه^(٥) الجهة القبليّة نحو عشرة ألف أو يزيدون ولم زد أوجه^(٦) وهم المذكورون أولاً أهل الفسالة دائماً « . . . » الذين كانوا يعيقون^(٧) في المرائع^(٨) حال المسنى^(٩) أقماهم الله وأما الحيمة وبني مطر فثبتهم الله ، فلم افتشلوا إنما قاتلوا حتى غلب على جهدهم مدة ثلاثة أشهر ، لأن أول ما نشأ العمل من عندهم في شهر الحجة وهلم جرّاً إلى دواخل^(١٠) في ربيع ، وفعلوا ثلاث قتلات يشيب لها الرضيع ، وراح فيها كم من رفيع ووضع الأول^(١١) في الحجرة ومفحق ، وفي الخميس ، وقملان ثلاثة أيام متوالية ليلاً ونهار ، ولا سكنوا فيها ساعة ، وأولهن التي تكوّن^(١٢) فيها الأمير الكبير السيّد أحمد^(١٣) ولم فعلوا بأحد من المسافرين مثلاً فعلوا المذكورين ، أعظم ما يكون إذ لقيوا^(١٤) مع أحد بسطه أو شيء قبضوه ، وأما الضعفاء والمساكين ، وجميع المسافرين داخلين أو خارجين فلا نكوا^(١٥) أحد ، بل أنهم يزد

(١) أي نهبا (مدينة صنعاء) .

(٢) كذا .

(٣) كلمة نائية لا يحق لنا إيرادها في حق القبائل وأهل البلاد .

(٤) بمعنى لا بقي .

(٥) خ هاذ .

(٦) واجه .

(٧) يصرخوا .

(٨) جمع مرنع وهو عبارة عن خندق يحفر في الأرض على شكل تدريجي ويتزل فيه الفلاح وبهيمته لتزع الماء من البئر .

(٩) السنى معروف ، يريد أن يقول أن هاتين القبيلتين كانوا أهل زراعة وليس في هذا عيباً فالزراعة من أشرف المهن وأقربها إلى الجبل .

(١٠) الأيام الداخلة في هذا الشهر (أوائله) .

(١١) الأولى .

(١٢) تكون أصيب بجراح .

(١٣) أي الشرعي سبق ذكره .

(١٤) لقوه تلقوه .

(١٥) من نكى الجرح آلمه .

يمروا مع كل معروف ، حتى يبلغوه مأمنه أو وطنه . وإذا فعل أحدهم رأي^(١) لأحد مضى آمن ، وكل من لقيه علّم عليه^(٢) وزاد تقوية حيث ذمة الإسلام واحدة ، الله يحسن مخرجهم ، ويلطف بهم وبالمؤمنين ، وما سبب الفشلة أولها إلا من « . . . » الذين هربوا من الحيمة كما جاء في الحديث (من سن سنة حسنة فله^(٣) أجرها وأجر من عمل^(٤) بها) والعكس في العكس . فالسبب من « . . . » تبغوا ضِعفوا ولكنه الحرام السابق / لأنهم أهل جدر كان كل واحد يعد نفسه لألف فارس طول الزمان ، وأكثر عسرتهم^(٥) ، على أهل صنعاء ، وكذلك أهل جزير مثلهم سواء في العترة والعسرة ، فلما خُصَّص الحق وجاءتهم الأتراك ، وسأقتهم لذلك الأقدار والأفلاك تمنوا الخلاص ، ولات حين مناص ، ولا زد قرح من لديهم بندق ، ولا طلع لهم ذخير^(٦) ولعل ما لصي^(٧) لهم فتيل ، أهل جدر بقيوا في البيوت طول النهار ، ويحيى بن يحيى دودة يعاذلهم أن يقاتلوا ، وقد كان عندهم بأصحابه ، فلم يسعدوا بل أجابوا إذا مرادك تقاتل وحدك فشأنك ، وهربوا الليل ، وأما أهل حزيز ، فما وصلوا الترك عندهم وعاد في القرية بشر ، كل أحد قد نفر كما يفر الثعل من إنسان البشر ، فحُمي^(٨) لحاهم من الفيشرة^(٩) والبرط طول الزمان والعيسرة^(١٠) فما أحقر من قافي^(١١) أسلوب القبيلة يا « . . . »^(١٢) جدُّ بكم يا أهل الحيام والقيام بالدين ، الله سبحانه لكم نعم المعين ، بني مطر الله يدفع عنهم الشر ولا تزالوا في حمى خير البشر .

وبعد ذلك توجه الباشا أحمد فيضي بعساكره الجرارة ومدافعه المختارة جهة العدن يريد ذمار ، ولم قد وصل منه إلى الآن خبر ، ويوم الجمعة ٢٧ صفر توجهت من صنعاء

(١) هو ما يسمى الآن بالترخيص أو التعريف .

(٢) أشر عليه أو وقع .

(٣) خ فلهم .

(٤) الحديث قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن

ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من

أوزارهم شيء » رواه أحمد بن حنبل والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جرير (أنظر الفتح الكبير ج ٣ ص ٢٠٠) .

(٥) شدتهم يقال فلان عسر (شديد المراس) .

(٦) كذا ولعله ذخيرة .

(٧) ما أشعل لهم فتيل .

(٨) حمى كلمة عتاب أو لوم .

(٩) القشر .

(١٠) النخوة .

(١١) أدار لها قفاه .

(١٢) كلمات مخلوطة لا يليق إيرادها هذا ولعل المؤلف كان صاحب نظرة سيئة تجاه القبائل القريبة من صنعاء لما يحدث بينهم

من إحتكاك في ذلك الوقت وإلا فإن تلك القبائل أجادت في مواجهة الأتراك وغيرهم .

المحمية بالله نحو طابورين جهة قبلي . الله أعلم أين المراد ، الأخبار بلاد كوكبان مربوثة لم قر فيها القرار ، وفي الروضة نحو طابور باقي رتبة قرار في البيوت الكبار ، وقد أطلقوا سيدي محمد بن إسماعيل حميد الدين بعد نحو وعدين وولده ، وباقي^(١) الحاج سعد الدين الزبيري ، الله يخارجه ، وزد حسبوا الفقيه عبد الله الحضوري ، سره أخرى وكفل^(٢) وخرج هو وابن الجحدري .

ومنعوا في صنعاء المزلين^(٣) الذين يعلموا الزلايا قيل أنه يضر العساكر ، وأن الوقت وخيم^(٤) حتى قيل أن ثم فنا^(٥) فيهم ، وكذلك في الحديد والزوار^(٦) وصل بعضهم في ٢٠ ربيع أول الذين ركبوا سواعي ، وأما أهل المراكب ، فلم قد بدا^(٧) منهم بادي إلى الآن^(٨) سلخ ربيع ، الله يبلغهم أوطانهم ، كما بلغهم أوطارهم ، ويشركنا في صالح دعائهم ، ووقع في هذا الوعدين قضيتين : الأولى في أول ربيع أول قبضوا القبائل أهل ثلا وحبابة وشبام على المشعبث^(٩) الذي كان يتكنى بأمير المؤمنين ويدعي أنه خليفة المنتظر ، وهو رجل قبيلي ، كان يسكن في الغرزة من بلاد همدان ، وقد فعل قضايا ، وهلك على يده ممالك ، المرة الأولى خرجوا عليه الترك إلى حَجَر الزكاتين ، وهي حصن جنب كوكبان ، وراح ما فيها بسببه ، والثانية في حَضْران من بلاد ثلا بالقرب من العسم وبيت علمان ، وطلعوا له الترك من عَمْران ، وذهب ممالك من القرية بسببه ، والثالثة هذه في الرونة من بلاد ثلا فوق حبابة ، وخرجوا عليه أهل المحلات المذكورة ، وراحوا نحو ثمانية أنفار من تلك المحلات ، ومن القرية التي هو فيها والسبب أنه يصال المحل ويعمي^(١٠) عليهم بأمور ، ولكن مع جهل العوام جَزَعَتْ^(١١) على طعام الشام ، والحال أن القرى التي ييقعد / فيها متقاربة ولا حَلِزَ منه أهل القرية الأخرى مع ما فعل بأهل القرية السابقة ، ولكن الذنوب أعمت القلوب .

(١) أي باقي في السجن .

(٢) ضمن .

(٣) أي صناع الزلايا وهو عجيبة توضع على السليط الساخن حتى تنضج ثم توكل واللفظة فارسية .

(٤) موبوء .

(٥) ولاء .

(٦) زوار قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (الحجاج) .

(٧) ظهر منهم ظاهر .

(٨) ح ألا الا ان .

(٩) المشعوذ (والشعوذة ضرب من السحر والجنون) .

(١٠) يطمس أبصارهم .

(١١) مرت

حُبِّ الدنْيا أَهْلَكَ كَمَ مِنْ عاصِرِ نَيْبَةٍ^(١)

وانظر من كان قبلك من شاب وشيبة .

وقبضوا عليه ، وأدخلوه شبام ، وكتبوا إلى الإمام في أمره ، فرجع الجواب بإيصاله إليه فوصلوا به وصار مغلغلاً في الحديد ومكبلاً .

والقصة الأخرى أن علي باشا لما خرج الخرجة الأخرى المذكورة صحبة^(٢) الباشا أحمد فيضي بعد فتح الحواز ، ومر على بيت عداقة ومسور ، وحط فيها رتبة ، فلما رجع وقع القبض على الذين في مسور وبيت عداقة من القبائل بسلاحهم ، وجميع ما يؤول بهم ، ومضوا بهم إلى الإمام^(٣) وهم نحو ثلاثين أو يزيدون .

والذين ذكرنا الطابورين الخارجة من صنعاء في نحو عشرين ربيع ، مضوا إلى بلاد كوكبان ، ويريدون بلاد المحويت ، قيل وصلوا ، وقيل بيحتربوا في بني حبيش والله أعلم .

وفي خرجة علي باشا الذي وقع الحرب فيها في قاع الضلاع ، والتقاها السيد الجندبي كما ذكرناه ، وبعد جت^(٤) طريقهم على بني الخياط وقعوا بقريتين وأخذوا ما فيها ، وهيه^(٥) بيت شدان والثانية بجنبها ، وأما ابن المتوكل الذي كان في دار الحيد ، فصار الآن في سوق الحضارم طرف بلاد خولان من شرقي خلف بني شداد ، ولا زال يعاذل^(٦) خولان بالبقاء على طاعة الإمام ، ولم يزد حصل منهم الإسعاد له ، وذكر لهم أن إذا ما عاد مرادهم في الجهاد فعلوا له قاعدة^(٧) بيده وطبعوا^(٨) فيها ، فلم أمكنهم لما سبق منهم من النشطة^(٩) للجهاد وشغلة^(١٠) الإمام بالكتب والقواعد^(١١) والرهائن ، خشية من الإمام ، وخشية من الأروام^(١٢) إذا طبعوا له أن هم شا^(١٣) يطيعوا الأتراك استضعفهم ، وطلبوا منهم المغربات

(١) أي نابه مقدّم الأسنان وهو من شعر الأديب علي بن إبراهيم الأمير المتوفي سنة ١٢١٩ في عراضة لقصيدة البهلول .

(٢) خ صحبت .

(٣) خ إلى إمام .

(٤) جاءت .

(٥) وهي .

(٦) يلومهم .

(٧) كتاب بيده .

(٨) طبعوا فيها بأصابعهم ختموا .

(٩) النشاط .

(١٠) أشغال .

(١١) الاتفاقيات بينهم .

(١٢) الترك .

(١٣) سوف يطيعوا .

بعد أن كانوا هم القاسطين^(١) وصاروا الهاربين من الأروام والناكبين لبيعة الإمام .
وصارت الحيرة في جميع أرض اليمن ، لا بقوا على الفساد ، ولا أطاعوا وتركوا العناد .
إنما كل أحد زاقم نفسه في بلاده منهم قِل^(٢) سطواً من الترك لما قد جرى . ومنهم مبطن الفساد
ومتربب لما يصدر من العباد . ومنهم قصده يلف ثمرته ويرجع لعادته ، وصاروا يرهجوا^(٣) وما
دَخَلَ صنعاء إلا عشر أهل الحوازات ، والمراد أن صنعاء في ضلْكة^(٤) كبيرة كالبقرة المشبوجة^(٥)
بالقضب ، ففروا لها بطنها فتنخست ، وهذه صنعاء كالمحوزة إلا أنها تنخست ، والأخبار
شغوف^(٦) .

وبعد ما فعل الباشا أحمد فيضي في بني بهلول ما فعل من إحراق غيمان ، عزم سيان
وتوجه دمار ، وقد أهلها ميقنين^(٧) بالدمار لما سبق منهم كما ذكرنا ، فوصلها وقد رحلوا أكثر
أهلها منها ، ولم يبق إلا القليل الذي هو مرجي^(٨) السلامة ، وهو على وجل في البقاء ، ولقيوه
بالعقائر ، ودخلها ولم يوجد فيها باقيين^(٩) إلا / الذميين فهم من بقاهم بالسلامة منهم على يقين ،
وفعلوا فيها العساكر ما قدروا عليه من النهب سيما حين لم فيها إلا اليسير من أهلها ، وبقي فيها
يومين لا غير ، وأرسل بعض العساكر وكبارهم من البوش واليوزباشا ، والشيخ علي البليلى إلى
يريم ، وأظهر للجميع الأمان ، وأن لا يعاقبوا بما فعلوا مهما ذكر سابقاً ، وأنه قد عفى عما مضى
جميع ، فيما ذهب بسببهم من أوال الميري والشونة والخزنة والهزينة الفلوس والخزينة البنادق
والمدافع ، وأخذ الرجال وما معهم من العفش والنفش^(١٠) والأموال ، والذي كان فيها قائم مقام هو
نسبه^(١١) محمد علي ومحرق^(١٢) لقلبه ، ولكن سياسته بالعفو والأمان خلَّت الرعايا ترجع إلى طاعة
السلطان فلولا ذلك العفو وإظهار الأمان ما رجع إلى الطاعة إنسان ، بل يصيروا جميع في الفساد
والحرب وإضرار النيران ، والظاهر أنها إلا سياسة إلى أن يرجعوا كلهم إلى أوطانهم ، والأترك
يتمكّنوا منهم ، وإلا فما يفوت عليهم شيء ، وقد ظهرت منه نفثات بهذا المراد ، فإذا صح

(١) العادلين .

(٢) قل إقدام .

(٣) يثيروا الفتنة والشغب .

(٤) لعلها صنكة (ضنك) .

(٥) المتشخطة البطن .

(٦) كل يخبر على هواه .

(٧) موقنين .

(٨) راجي .

(٩) باقيين .

(١٠) المتفرق .

(١١) صهره .

(١٢) أي وقلبه حرق منهم .

وتمكنوا^(١) فما هي إلا ذنوب على العباد ، لأنه قد وقع فيهم من العرب جميع فعل فظيع من رفيع ووضع ، ولا سيما أخذت مفتح فإنه صار الباشا يتكلم فيها ولا يذكر غيرها لكثرتها لأنها ملآن المطرح من كل شيء مذكرين لها ، فذهبت بأجمعها القبائل في مدة حياة السيد أحمد الشرعي لأنه بعد وفاته تفاقمّت الأمور ، وفشل الجمهور ، وفشى النهب في الطرق من القبائل في الضعيف والمسكين ، وظهر الخبر من الباشا أن عاد إب وجبله باقية مع العرب ، والله أعلم كيف يكون آخر أخبارها متى صحت رقمناها .

ولا زال يحرض الباشا على القاضي أحمد بن يحيى الرّدي^(٢) في العزم إلا العر لأنه قد نصبه حاكماً فيها بعد القاضي عبد الرحمن المجاهد الذي لزمه وأرسلوه إلى الإمام وبقي في دار الحيد أيام عند المقدمي سيدي محمد بن المتوكل وبعد عزموا إلى الإمام وبقي^(٣) ، عنده نحو ثمان أيام وأطلقه^(٤) وقيل أنه أعطاه رأياً في حكومة الطويلة فوصل صنعاء ، ولما عزم الباشا أحمد فيضي دمار ، تبعه المجاهد يشتكي بأهل الحيمة وبلاد البستان ، ويغريه بجميع العباد أنهم باقين على الفساد ، وأنه كان سيئين له جميع الناس المحبين والشيعة والمكاتبين ، ولكن الله لطيف .

ووصل وأحمد فيضي باشا مشغول بالتصليح للناس ، والعفو ، فلو سمع منه ما جاء به ما صلح له أحد ، وفروا جميع خشية من العقاب ، فنفر في وجهه ، ولم يلتفت إليه ولا أصغى لما جاء به ، وقيل أنه نفخ^(٥) في وجهه ، وذكر له أنك رجعت من القبلة^(٦) براي^(٧) حكومة ، وأنتك منهم غير صادق عندنا ولا مصدق ، والله أعلم ، ولكنه رجع من عنده بخفي حنين ، ولا سيما كونه وجّه الحكومة لغيره أحمد الردي ، وعاد هيه غير صالحة الحيمة ، بل إلى التاريخ خامس ربيع آخر ، وهي باقية على الفساد ، وعزم الرّدي على غير أساس في البناء ، ولكن قصد الباشا أطفأ النار والتبريد^(٨) وتصليح البلاد ، ولو بغرامة ، وقد سبق إليهم القاضي يحيى زاهر ، وهو شيخ قرية القابل ينصحهم ويعظهم ويصلحهم ، وعزم من عند أدهم باشا من الرقة لذلك ، وهو

(١) أي الأتراك .

(٢) هو الفقيه القاضي العلامة أحمد بن يحيى الردي الصنعاني ولد سنة ١٢٦٣ وتولى القضاء للأتراك في حراز ويزم وحجة والعدين وبلاد البستان وغيرها وكان أديباً ظريفاً لما أطلع على معجم في لسان الأتراك قال قصيدة أولها : هذا كتاب عجيب حوى فنون الرطانة .

توفي سنة ١٣٢٠ (أنظر المؤرخ زيارة : أئمة اليمن ص ٢٨٦) .

(٣) أي بقي المجاهد .

(٤) وفي بهجة السرور للعرشي أنه فر هارباً إلى الأتراك وكانت وفاة العلامة عبد الرحمن بن أحمد المجاهد سنة ١٣١٦ .

(٥) غضب .

(٦) الجهة الشمالية مقر الإمام .

(٧) بتفويض أو تعيين .

(٨) خ التبريد .

أكبر الشيعة والمحبين ، ولكن غلب عليه كما غلب على غيره ، وفي ذهنه أن المشاحنين عليه والأعداء كثير سيما دغيش عاقل ضمان بني الحارث وفي ذهن يحيى / زاهر يمحي ما جرى منه ويغطي كما قال الله تعالى : ﴿ خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ﴾^(١) . ومدة خروج الباشا أحمد فيضي على بني بهلول وذمار ، ومدة رجعة^(٢) عشرة أيام لا غير ، ولكنه كان كالمجلى ، ورجع معارض ومستعجل ، وألاً فكان الشهرين قليل ، لأن عاد اليمن باقي^(٣) وما أرسل إلى البليلى وغيره إلى يريم كأنه يريد الرجوع لما هو أعظم ، وهي جهة القبلة .

وطلع يصلي الجمعة في الجامع رابع شهر ربيع آخر ، الباشا أحمد فيضي ، وما وصل إلا حال الأذان ، وقد في البقعة التي يقعدوا فيها الخلفاء والأمراء ناس آخري من الفقهاء ومن أراذل الناس ، ولم يفسحوا له بينهم ، وهم إثنين هو وعلي باشا القمطار^(٤) كبير العساكر ، فقعدا تحت المنبر من غرب لاصقين بالمنبر ، حتى أنه يمكن أنفه يلمس المنبر حال السلام ، وبعد الصلاة أدى^(٥) للخطيب ذهبية وإلى يد محمد الأكوع كبير المؤذنة^(٦) فالخطيب سار بذهبيته ، وقامت الفتنة بين السنيدار^(٧) والمؤذن كلاً يياها^(٨) وفعل السدان عرضحال يعني شكية وهم أهل عهد^(٩) كثير لمن يكون ذلك ، فأجاب بتقسيمها على السوية ، وحال الرقم بعد يومين ولم قد سكنت بينهم الشغلة^(١٠) .

وحين خرج من باب الجامع ، فتحوا له الباب القبلي ، وقد أمر حقه الياور يقسم زلطا للمساكين ، فلم أمكن التفريق بينهم لكثرتهم ، فرمى بها من رأس الدكة القبلية ، فأقبل كل من له جلد وجزم^(١١) حتى بعض الأغنياء ، والعسكر النظام يتهافتوا عليها جميع ، وركبوا خيلهم ورجعوا بثر العزب .

وفي أوائل شهر ربيع آخر ٦ ربيع عزم علي باشا على الحركة من عند الباشا أحمد فيضي ، إلى جبل مسور في بيت عداقة لقتالهم ، لأنهم أخذوا الثلاثين نفر العسكر واليوزباشا

(١) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

(٢) رجوعه .

(٣) أي باقي في الثورة .

(٤) لعلها رتبة من رتبهم العسكرية وأظنها محرقة عن القمندان .

(٥) أعطى .

(٦) المؤذنين .

(٧) هو القائم بأعمال المسجد من نظافة وإشراف وغيره .

(٨) يطلبها .

(٩) أهل وضائف متمهلون بها .

(١٠) المنازعة .

(١١) عدم حياء .

يعني كبارهم ، وأخذوهم بسلاحهم ، وأوصلوهم إلى الإمام فخرج متخرج من فعالهم بقوم كبير ومدافع ، ووصل شبام وعزم من شبام ، ومضى إلى بيت عداقة ، ورتبها وتبعه يوم الخميس ١٠ ربيع قوم ومدافع كبار ، وحطوا في جربان مرزومة وهاظم لجميع القبائل .

ويوم الخميس ظهر عندنا ما لا نعرفه ولا سوى الله يصرفه ، وهي الكرنتنة التي كان يفعلوه في البحر يعني حبس المسافرين في المحل الذي خارج البندر لحتى ينظروا الصحيح من السقيم ، ويُخَيِّرُوا الْبَخِيرَ^(١) مع الأليم ، فوصلوا بقية الحجاج الزوارين ، وقد فعلوها معهم في البحر وفي جلة وفي المدينة ، وصح مدة^(٢) غيبتهم هذا السابع شهر في هذه التحيرات ، وما وسعهم إلا زد حرجوا عليهم ومنعواهم من دخول صنعاء ، وهم بخيرين مستريحين صحاح فصاح ولكن قالوا أنهم وصلوا من بلاد وخيمة وخيروهم خارج صنعاء في بيت زهرة^(٣) وفي عصر ، ووصلوا مسافرين آخرين مختلفين من الحيمة وحراز وحضور وصنعاء ، ومعهم ترك من تهامة ، فحيروا الجميع من دخول باب القاع ، وشلوهم إلى باب الروم ، وبقوا هنالك لحتى جاء الطبيب ينظرهم ، وبقاهم في البيوت التي قبلي باب الروم وأمروا أهل البيوت بتفريغها للواصلين ، فقالوا لهم أهل صنعاء وأهل حضور فنحن بخيرين ما سبب بقانا في الكرنتنة ، قال الطبيب لمسايرتهم للأمراض في الطريق ، وهذه من عظم الذنوب الله يغفرها لنا ويتجاوز عن الحوب آمين .

ومنعوا بيع المخضر^(٤) جميع ، والتمر ، والزبيب ، والبرعي^(٥) والزلايا^(٦) / ووقع في هذا الوعد مطر في الشتاء والشمس في القلب ، وبرد عظيم أكثره في بلاد همدان في أم سرجين وجربان عند العساكر الشاهانية ، ولعل فعل فيهم ما فعل في جربان ، والموت باقي فيهم ، فعلوا الكرنتنة المذكورة في صنعاء ، والمرض فيهم ، وأخبرني الثقة الذي خرج من صنعاء طابور في عاشر ربيع وتوجه ضلاع والرجل المخبر دخل من لولة^(٧) فرأى بعض العسكرية ييموتوا في الطريق من غير مرض ولا عرض ولا مضيق^(٨) وإنما سومة^(٩) ونومه . ورأى بعينه غير واحد في ذلك اليوم ، وغيره رأى مثله ، والذين في الروضة كذلك وفي صنعاء مثل ذلك ، وصار ذلك فيهم

(١) المتعافى . الصحيح .

(٢) خ مدت .

(٣) من الجهة الجنوبية وهو الآن داخل في صنعاء جنوبي باب البلقة .

(٤) الخضروات .

(٥) هو عتر يابس يغلي بالماء ويوكل مع خبز كالفول .

(٦) سبق ذكره .

(٧) قرية سيأتي ذكرها في البلدان .

(٨) ضيق .

(٩) دوار غيبوية .

في كل محل ، وأما الحديدية وتهامة فأجل^(١) الله يلفف .

ووصلت هذا الوعد كتب ومكاتبه أشرف من مكة ذكروا أنهم مرسلين من السلطان ، أحدهم السيد فلان الحريري^(٢) خرج من اسطنبول من عند ابن عمه شيخ الصوفية ومقري^(٣) أولاد السلطان^(٤) ، وآخر السيد أحمد المعافا كان مهاجراً في مكة وآخر معهم إلى اليمن والإمام لإصلاح الشأن وبقوا في صنعاء وأرسلوا بالكتب من صنعاء إلى الإمام وقيل أنهم من عند البوش الكبار أحمد فيضي وأحسن أديب وأنهم فعلوا لهم مكتوب على لسن السلطان إلى^(٥) الإمام وقيل أنه حقيقة من طرف السلطان وأرسلوا بذلك مع سيدي أحسن بن عبد الله بن يحيى المنصور وسلموا له عشرين ريال حجر قُدمه^(٦) لحتى يعود بجواب الإمام ويوفوه أجرته . فوصل إلى الإمام وبقاه قيل أيام حتى جوب عليهم بما طابت به نفسه وشفا خاطره وقيل في الجواب قولين الأول أنه ردّ لهم جوابهم وذكر لهم أن جواب السلطان قد أرسل به من لديه فحار فكرهم في شطارته إذا صح أنهم زُوروا وأنه قد ظهر له التزوير حتى قيل أنهم قد كتبوا من صنعاء إلى اسطنبول المتصدرين يلقفوا لهم الجواب حق الإمام إذا وصل والله أعلم .

وأما جوابه لهم ولسلطان الإسلام فإنه عظم شأنه غاية التعظيم ورفع مكانه على سائر الخلق لما هو فيه من ماثرة الكفار وللقيام بالذب منهم على الحرمين الشريفين ولمحتاجاتها وغرامته فيما يقوم بها وبأهلها ويعساكرها وما سأل^(٧) السلطان في كتابه إلا ليحقق له ما سبب الفساد في اليمن وما سبب سفك الدماء من الجهتين وما سبب التكفير لمن في اليمن من المشيرين والبوش المختارين والعساكر المجاهدين فأجاب بالقرآن والسنة وما أوجب قيامه إلا لما ظهر من أجناده من البغي والفساد وظهور الفواحش والمنكرات أجمع شرب الخمر واللواط والزنا والربا والقمار والميري^(٨) والرسوم وأعظمها إبطال الشريعة وتعطيل الحدود فهذا كله من البوش والحكام في اليمن ومن لم يحكم بما أنزل الله (ثلاثاً) فلو يعلم سلطان الإسلام مولى الخاص والعام ، بما صار منهم لجاهدهم بنفسه فخشي كل أحد من البوش على نفسه من السلطان وإيصاله رسمه^(٩) .

(١) فاعظم .

(٢) هو محمد بن علي الحريري الرفاعي الحموي مفتي حماة (أنظر أئمة اليمن ج ١ ص ٥٢) .

(٣) مدرس .

(٤) يعني به الشيخ محمد بن حسن المعروف بأبي الهادي الصيادي استمر في خدمة السلطان عبد الحميد نحو ثلاثين سنة توفي

سنة ١٣٢٨ هـ .

(٥) خ الإمام .

(٦) تقدمه .

(٧) خ سلة .

(٨) ضريبة الأرض (سبق) .

(٩) أنظر نص رسالة السلطان عبد الحميد إلى الإمام المنصور وجوابه عليها في بهجة السرور للعرشي وأئمة اليمن ج ١ ص ٥٢ -

٥٩ .

ولم سكنت الفتن والحرب والقتل في خلال ذلك فإن علي باشا لما رتب بيت عداقة جاء له الخبر أن القبائل أحرقت بيت في المحويت فيه عسكر كثير فعزم من حينه نحو المغرب ووصل مطرح بعرق الرُّجْم سوق ووقع حرب كبير ولما عزم من بيت عداقة طلَّعوا القبائل أخذوا الأتراك الذين في بعض المعازل في بيت عداقة وهي المرة الثالثة أخذوا العسكر منها .

وأما خبر دمار فلعل قد الخطاب عليهم كائن فيما ذهب عندهم من أموال السلطان وعساكره / وذخيرته ، ويريم أكثر أهلها هاربين سيما مع ما سمعوا به من خطاب أهل دمار وأكبر من فيها شيخها عبد الله مثنى نجيم لم رضي يرجع ولا يصطالح الآن وباقى الجفر^(١) في جميع البلاد . وابن المطاع الذي كان في دمار عامل للإمام وصل صنعاء على يد الذي خرطه للوصول فلما وصل سمع من الباشا أحمد فيضي نفثات ألم فبقي يوم وهرب فجر متغرر^(٢) .

وأما خبر أرحب وخولان فلعلهم ابتاعوا الآن قدهم في صنعاء جميع عقال أرحب وخولان وقيل أن البيعة شرعت من عند السيد يحيى الهجوة وأن سيدي محمد بن محسن المتوكل فيها شريك والله أعلم .

ووقع كسوف في شهرنا ربيع آخر ليلة رابع عشر نصف الليل حتى كادت تنطمس جميع وتجلت .

وأما خبر أحمد باشا رشدي فلعله نزل نحو تهامة وطلع حجة ووقع له محرب كبير حتى قيل رده إلى نجرة وباقية حجة محتاجة من الكسوف الأول هي وقفل شمر في شوال سنة ١٣٠٨ إلى التاريخ .

ومن بعد ما استفاضوا الأتراك على هذه الأرض فتحوا بيتين في صنعاء بيت الإمام القائم وبيت الرماح شيخ بني مطر وحطوا فيهن عسكر كثير وغفرات^(٣) في الأبواب وكان يُعلموا^(٤) العسكر في تلك البيوت والصريح^(٥) ورأينا تعليم العسكر في بيت الإمام وفي صرحه الخراز^(٦) وفي بيت الرماح وصرحه داود بيت أحسن لطف الثور وباب بيت غمضان القبلي وقد جت^(٧) للأتراك تلك البيوت وترتيبها على ما عندي مزاجاً فإنهم يريدوا المداخلة في صنعاء وسكون

(١) عدم الاستقرار .

(٢) متكرر .

(٣) جند وفي المحيط « من لحن العامة أنهم يدلون الخاء غيناً في كل ما كان للإجارة والمحافظة من باب خفر فيقولون الغفر والغفارة يريدون الخفر والخفارة » .

(٤) يدربوا .

(٥) وهي الساحة .

(٦) حارة ومسجد سيأتي ذكرها مع ملحق الكتاب

(٧) جاءت .

العساكر بين البيوت للقلق^(١) فيهم من صنعاء فقد كان جعلوا نحو طابورين في سماسر صنعاء من الذين وصلوا مع الباشا أحمد فيضي في الظاهر لكثرتهم والباطن لعدم القتهم^(٢) .

وبعد دخلوا تلك البيوت ولعل عاد مرادهم .

وفي يوم الخميس سادس عشر ربيع تجهز الباشا أحمد فيضي بنفسه للخروج من صنعاء بالعساكر والمدافع فلذا خرجوا معه ذلك اليوم ثلاثة آلاف ثلثينهم صحبته الصبح وثلثهم عصب^(٣) الظهر مع باقي الشداد ولم وقع سخري لكون ما قد يريدوا تنفير القبائل كون لم قد طابت نفوسهم بالطاعة لهم ولا بدخول صنعاء بالبضاعة معهم فشدوا على جمالهم وبغالهم وسخروا بهائم القشامين وجت طريق العسكر من باب شعوب والباشا والخيالة من باب الشقاديف وتوجهوا قبلي ولم تبين مرادهم ولا أين قصدهم لأن البلاد كلها باقية في العناد ، ناس يقول : أرحب ، وناس يقول : ريدة وناس يقول حجة وبلاد المغرب ، وناس يقول : المراد سيدي الإمام ، وكلها محتاجة وهي الباعثة للخروج ، جت لهم أخبار أنها وقعت في حجة قتلة كبيرة واشتد الحصار بمن فيها وبمن في عفار حتى أن قد نفذ معهم الزاد وكان علي باشا أينما توجه لا يأت^(٤) لهم بخير ، محوّر في الرجم ، وبقية من في حصن مسور محتازين هناك ، وقد كان سبقه عساكر كثير إلى جربان من قبل بثمان يقاربوا بهم صلح أرحب / على ما كان عليه من المقطوعية السابقة ولا عليهم غيرها شيء لا جزاء ولا غيره وآخر ذلك اليوم وقع في الكولة في قاع جدير مكوّن من الأتراك ، وإثنين مقاتيل منهم ، وقيل أكثر ، وقيل أقل ، ودخل المكون إلى صنعاء محمول ، ولعل ذلك من أجل البنادق الذي فوقهم .

ويوم السبت وصلوا عسكر من الجهة الغربية من الذين كانوا باقين في الحديد بسبب المرض وقد وقع فيهم موت كثير من الطاعون الذي وقع فيهم وراح الأجل^(٥) منهم والواصلين نحو ثمان مئة ومعهم أربعة مدافع كبار وخيلهن قيل سبعين وقيل أكثر وقيل أقل ، أجلهن مخاصي لا فحول ، وكرتنوهم خارج بثر العزب في تلك البيوت المفرغة للكرتان في الغروس خارج باب الروم وفي بيت زهرة خارج باب البلقة ، وعاد اليوم الثالث حال الرقم وهم في الكرنتنة ، حتى أن ناس معهم تكرتنوا وليس هم من تهامة واصلين . بل من صنعاء خارجين في منفعتهم وواصلين من الحيمة صحبتهم ، ولكن عندهم من سايرهم فعليه ما عليهم ، وهذا من قبح فعالهم خلافاً لما

(١) الخوف .

(٢) عدم الثقة بهم .

(٣) شد رحاله . وتقرأ : عقيب .

(٤) لا يأتي .

(٥) الأكثر .

جاء عن سيد الأنام لا عدوى ولا طيرة في الإسلام صلى الله عليه وعلى آله الكرام .

ولم انكف^(١) الواصل من الأتراك من تهامة ولا الخارج من صنعاء بعد الباشا أحمد فيضي لأنه يريد الغدر بالإمام إلى المدان ، وقد سبقه أحمد رشدي باشا من طريق تهامة ولعلمهم قد تواعدوا يهجموا المدان محل الإمام كل أحد من جهة ، وكل أحد قد جمع من العسكر آلاف لا تحصى ، ومدافع وذخيرة لا تستقصى ، ووصل رشدي من الزهرة^(٢) طلع جهة الأهنوم ، وقد معه من العرب المنافقين البائعين للدين ومدللين^(٣) على المسلمين .

وفي هذا الوعد ارتبشت أحوال صنعاء في البيع والشراء وجميع المصروفات والسبب أن الدولة فعلوا المجيد^(٤) الذي كان صرفه ثمن ريال وبعد فعلوه ربع ثمن^(٥) ريال وبعد انقطعين منذ خمس ست سنين وإذا وجد نادر فهو قرش إلا ثمن والآن خرجت هذه العساكر الذين من الشام مع أحمد فيض باشا ومعهم مجيديات كثير ففعلوهن قرش وثمان ونصف ومن ردهن فأدبه خمسة قروش حجر ، فعدم كل شيء حتى اللحم ، لأن كل من معه مجيدي جاء يجر^(٦) بثمان أو أزيد له مجيدي ويريد أنه يُرد له البقية عددي^(٧) والقبائل لم يعرفوا المجيدي فقل المجلوب وصارت^(٨) ربشة^(٩) كبيرة .

وفي خلال ذلك إنتهبت حملة واسعة في قاع الحقل في حدود آنس والحيمة ، وفي حراز والفرش قيل مئين وخمسين ظهر ، وقيل أقل وقيل أكثر فيها كل شيء ولم يكن فيها للتجار شيء إنما هي للدولة جميع ، وقيل أنها تبعثها نهبة آخرة في حدود مفتح والعجز ، والسبب أن الحيمة باقية على الفساد على الدولة ، والعامل حق الإمام باقي فيها ، ومقادمة من طرفه وقطعوا السلك الذي عادهم أصلحوه بعد مشقة كبيرة حتى . كمل صلاحه / فلما تمموا^(١٠) عمله وقد يستعملوا به بعد انقطاعه نحو ثلاثة أشهر وكسور^(١١) قطعوه من بوعان إلى وسط الجبل حق الخميس .

(١) أي ولم يتوقف .

(٢) بلدة في تهامة اليمن .

(٣) أي دالين عليهم كالجواسيس .

(٤) عملة تركية منسوب إلى السلطان عبد المجيد ١٨٣٩ - ١٨٦١ م أنظر تاريخ النقود الإسلامية للعلامة المازندراني ص ١٧١ .

(٥) في الأصل مع .

(٦) بأخذ .

(٧) قطع قدية صغيرة . أو ما يعرف في بعض البلاد بـ « الفكّة » .

(٨) خ مارت .

(٩) فوضى .

(١٠) أكملوا .

(١١) وأيام (بضع) .

ووقع في هذا الأسبوع نهبتين في الأتراك أحدهن في الزوم تحت جبل حراز والناهيين أهل الحيمة نحو سبع بغال ومن معهن^(١) .

والثانية^(٢) ليلة السبت ٢٦ ربيع آخر في قاع جدر [وهم] وصّالين من عمران عسكر وخياله فمضوا وتحير بعدهم نحو خمسة عشر نفر وأربع بغال وقيل أكثر ، وخرجوا لهم من جدر أسروا نصفهم وقتل وتكون^(٣) النصف الآخر . وهربت ثنتين خيل إلى علما وقبضوهن وردوهن وغاروا الأتراك الذين في الروضة بمدفع ، ورجعوا وخرج من صنعاء نحو طابور يدوروا لأهل حدر فلم يجدوا تلك الساع أحد ولو بقيوا في القرية حقهم إلى خروج الطابور لكان أجمل لهم ، ولكن فشلوا وبقي ذلك الطابور يدوروا من قاع جدر وما يحاذيها من جميع الجهات الأربع إلى الصبح وهربوا أهل جدر بمن قبضوا من الترك إلى بلاد أرحب وبقيوا هناك أيام لأجل أو يقع لهم صلح لأن نياتهم غير صالحة للجهاد وإنما ذنوب سابقة ، فأرسلوا الدولة من يصلحهم ويردوا ما أخذوا وهو شيخهم حزام دغيش والقاضي يحيى زاهر شيخ القرية وكسوهم جيخان^(٤) حمر وعزموا إليهم وإلى حدّ السّاع ثالث جماد لم قد ظهر نفع المخرج الذي خرج [به] الباشا أحمد فيض بتلك العساكر ، والمدافع إنما وصل إلى كحلان وبيت عذاقة ، ولم طلع مسور بل هو باقي في يد أصحاب الإمام ، وتراجعت بعض العساكر الشاهانية إلى عمران ، ومن عمران إلى صنعاء ، وكثروا الرتب الذين في الروضة من الأتراك ، وصارت الروضة بهم روثة ، حتى أن أهل صنعاء كانوا يدوروا من يسكن في بيوتهم باجرة في كل شهر ، لأجل لا تدخلها الأتراك ويقوا على ذلك في مهمة كبيرة .

والرماح والرازي أهل بني مطر أصلحوهم الدولة ، وابن ناجي صاحب بلاد البستان الذين قتلوا السيد عبد الكريم^(٥) دخلوا صنعاء الجميع ولكنهم يَنْسَحُوا من فوقهم من معرة الترك .

وانتهت حملة هذا الوعد بعضها للدولة وبعضها للتجار طلعت من الحديدة والناهيين لها بين أسعد من مكتب آنس الذين نهبوا الحمولة الأولى وبين هذه الحمولة بضاعة للبخارين وقليل للدولة وبعد علموا أنها لتجار صنعاء فأطلقوها وقد كان وقع فيها قليل تفريط قبل علمهم لمن هي وتجار صنعاء أرسلوا أناس ي خارجوها بقليل دراهم مع علمهم أن الناهيين ما يريدوا إلا ما كان للدولة وأن الإمام لا يرضي بنهب أحد من العرب .

(١) بياض في الأصل .

(٢) أي النهبة الثانية .

(٣) جرح .

(٤) جمع جوخ : معروف .

(٥) هو عبد الكريم بن يوسف بن يعقوب الكوكباني مدير ناحية بلاد البستان أنظر خبر قتلة في أئمة اليمن ج ١ ص ٤٢ .

وفي هذا الوعد رجع الموت كله والحرب في الحيمة لأن جميع العرب فشلوا ، وأهل الحيمة بقيوا على الفساد والسبب الشيخ^(١) قطع فإنه أكبر المجاهدين ، وأحسن من بقي المخلصين الموحدين والمقادمة باقين في الحيمة وقد عضدوهم عساكر كثير ولكن من بلاد بعيدة وصارت كفاياتهم عليهم وترازاوا^(٢) القوم جميع نحو عشرة أيام وأكثر إلى تاريخ الرقم ١١ جماد أول الأتراك في المسجدين وبيت معدن وبيت المفضل وبيت . النش / والزيلة والسيد محمد الشويح مع الأتراك ولم قد آل شيء من أخذ بلاد الحيمة والعرب مسامتين لهم وزاقمين عليهم الطريق خشية من الدخول في البلاد وأما القتلات فقد وقعت بينهم كثير منها أربعة أيام ليلاً نهاراً لم سكن الحرب بينهم ساعة وما أظن إلا أن قد أخلصوا لله النيات وصلحت منهم الطويات وإلا فمن يقدر لمواجهة تلك المدافع والبنادق الشاشخان والمرت التي بَلَّغَهَا^(٣) مثل أربع بنادق عربيات .

وهذا الوعد تواترت الأخبار بقبض الشيخ علي البليلي الذي طلعت رتبته عند الدولة وصار إسمه في الجرايد علي البليلي باشا مثل ما فعلوا للضلعي حين أطلعوا درجته من المشيخة إلى البشيشة^(٤) وكانت نغمته وأيضاً أخوه محمد البليلي أفندي . والذي قبضه^(٥) العمري صاحب بلاد يريم وقبض معه جماعة من الترك من الكبار والله أعلم بوش أو أفندية^(٦) .

ويوم الخميس ٩ جماد عزم المشير الجديد الذي وصل أحسن أديب إلى تهامة بعد أن أخبروا قبل عزمه أنه معزول والله أعلم هل صدق أو تغمير^(٧) وسيرته لأمر باطنة من دهاياتهم وحيلهم لأنه ما صفي^(٨) له شيء من عند خروجه من البحر في عرفة^(٩) بقي يتردد في تهامة كالهائم ما يدري أين يتوجه كون قد كانت اليمن مفسدة وطلع إلى حجة بعد قتلة كبيرة ، ورجع تهامة إلى خروج الباشا أحمد فيضي ، وطلعوا جميع ، وما وصلوا صنعاء إلا بعد قتلات تحير الأفكار ، ويسيب لها الأطفال الصغار . ووصل صنعاء لا أمر ولا نهى كونها بعد حوزة وباقي

(١) بياض جعله المؤلف لإسم هذا الثائر ثم اتضح له فيما هو يحيى قطع كما سيأتي ذكره مما يدل على أن المؤلف توفي دون أن يراجع مسودة تاريخه هذا بدليل تركه للفراغات الكثيرة لعدم تأكده من بعض التفاصيل ثم عثوره على كثير منها ولم يكمل كتابتها .

(٢) أوقف بعضهم بعضاً .

(٣) مداها .

(٤) الباشوية .

(٥) يعني علي باشا البليلي .

(٦) في الأصل أفند والإصلاح من عندنا .

(٧) بمعنى تغرير (مخادعة) .

(٨) ما استقر .

(٩) أي بعد وقوف الحجاج في عرفة (شهر الحجة) .

الحواز لا مطيعة ولا مفسدة ، وأحمد فيض يداري^(١) الناس بالعفو عما مضى ، فما صَفَتْ لا حسن أديب إلا كفواق^(٢) الناقة للحليب يومين ثلاث بعد وصوله ، وعاد الناس في الفشلة والذهول ، وعادت على الفساد كما كانت بقدرة الله تعالى .

وأما أحمد فيضي من حين عزم في أول ربيع آخر إلى عمران وقَصَّده القدوم على الإمام ، فلم زِدْ ظهر له خير ، وأكثر الأخبار أنه يقولو :^(٣) هو بخير وانقطع خبره وأما أصحابه الذين عزم بهم فبعضهم رجع كما ذكرناه الروضة والحيمة وبعضهم بقوا في بيت عذاقة وكحلان والمعركة ومحط الرحا^(٤) ومسقط الروس في الشراقي عدني حجة كان يريد الطلوع إلى حجة فلم سبرت لهم المحجة وانسدت عليهم الطرقات وترتبت جميع الطرق والشرط من عند الإمام ولم بلغوا شيء من المرام الذي عزموا له والله أعلم بمصالح عباده وكانت في الشراقي قتلات كقتلات أيام الإمام القاسم^(٥) والله أعلم من يعود منهم سالم وسيف الله باقي مجرد على كل باغي وظالم وإمام الزمان باقي في التحشيد للأنام وشحذ همهم^(٦) في التدارك للإسلام والقتلات متكاثرات في جميع الأقطار وإنما هي على قدر الأفعال وأكثرها في الفجار ، والأرض تمور بأهلها موج البحار ، لا صَفَتْ للترك ولا عصت جهاراً كما صار ، وإنما من خرجوا عليه الترك أظهر الطاعة ، ومتى قَفَّوا^(٧) انعكست الصناعة وصار التخطاف في جميع البلاد للعجم لا للعرب ، حتى أنه لم يمكن مضي الخمسين والثلاثين والعشرين في البلاد الطائعة وأما في المفسدة ولا مئة / ولا مئتين والقتلات المذكورة في بلاد مسور أعظمها واحدة كقتلة أُحُدَ الكبرى ، قيل في الرغيل وقيل في الشراقي لأن الترك يريدوا الطلوع إلى حجة والباشا أحمد فيضي معهم قد تجمعت العرب فوق ما ذكر من القتلات مئتا^(٨) .

وأما الحيمة فمنعوا على نفوسهم إلى نصف شهرنا جماد أول وأطاعت للدولة عزلة الأحبوب وبيت الشَّقَّاقِي وقيل قدهم في الخبرة الذي فوق العر والهجرة وقد وقع في تلك الحروب قتلات كبيرة نحو مئة وخمسين قتيل من الطرفين أكثرها^(٩) وأدخلوا في التاريخ مكاوين^(١٠) ومصاويب إلى

(١) من المداراة معروف .

(٢) الفواق ما بين الحلبتين من الوقت وقيل ما بين فتح يدي الحالب وقبضها على الضرع .

(٣) هنا كلمة ضرب عليها تقرى هكذا : وأصيب ودفن وبعض أصحابه .

(٤) يقال حطت الحرب رحاها (إذا اشتدت المعركة) .

(٥) هو الإمام القاسم بن محمد الذي جاهد الأتراك في القرن الحادي عشر الهجري .

(٦) خ همهم .

(٧) أدبروا .

(٨) يياض .

(٩) يياض .

(١٠) سبق شرحه وهم المجروحون .

صنعاء قريب المثة وقد قطعوا السلك قطعة كبيرة من^(١) .

وفي هذه التّومين رتبوا بعض قرى الحواز كالجراف والسنية ومذبح وسعوان .

ويومنا يوم النصف طلّعوا يطوفوا جبل نقم فلق^(٢) كثيرة من الترك قيل يريدوا يرتبوه وقيل يريدوا العمارة في الحصن حذراً مما ذكر آنفاً مما وقع في نقم في الحوزة السابقة حتى كان اتصال الرّصاص إلى المدينة وأمّا القصر فما يمكن أحد يظهر فيه .

والإمام شد من المدان إلى قفلة عذّر طرف بلاد حاشد ، وشد أهله إلى هجرة عيان في بلاد سفیان محل الإمام القاسم العياني ، قبلي سوق الخرف بقدر ساعة ، والله أعلم ما المراد ، ولا زالوا الدولة في صنعاء يشتاطوا الطعام سيما الحنطة من السوق كل يوم من أول شهر ربيع كل يوم نحو مئتين قدح مقلل لأن المتقنطرين للحنطة ثلاثة محمد البليبي وسعد الريدي ووسيم التركي الجمروك وكذلك الحطب والملح وكل شيء لا زالوا يتخروه والله سبحانه يفرج ويرحم الضعفاء ومن لا ذنب له وحجة^(٣) عليه .

ونرجع إلى ذكر الحرب في الحيمة ، فإنه طال بينهما اليوم نحو شهر زمان ، وبعد ما أخذوا الأتراك بيت معدن والمسجدين الذي كان السيد محمد بن علي الشوبع فيها ، سهلت على الترك الحيمة كون المحليين المذكورين راكبين^(٤) على جميع الحيمة ، ونزلوا إلى بعضهما والتقوهم العرب في محل يقال له ظفار ووقعت فيه قتلة^(٥) كبيرة ما قد وقع مثلها في الحيمة ، لكنها في أصحاب الدولة ورجعوا العرب بعد العشاء إلى مراتبهم ، ولم أمكن أهل المدينة العر الفتح لهم يدخلوا يُمسوا حسب عادتهم السابقة وردوهم من باب المدينة والهجرة وأظهروا الطاعة للسلطان ، ونصبوا ييارق الأمان وطلبوا العفو والغفران ، ودخلوها الترك يوم الخميس ١٦ جماد ، وانتقلوا العرب إلى بني النُمري لحرب أترك آخرين قيل أنهم طلّعوا من حراز ، وقيل من عمران وشبام ، فعلوها خداعة ومخاللة لأهل الحيمة لأجل يفشلوهم بذلك ، وهم قد أخلصوا نياتهم وأصلحوا طوياتهم ، وأعظم من يكون بهذا الوصف الشيخ العماد المقدام يحيى^(٦) قطيع وبعض الرعايا والبعض بالعكس / كما أن كل محل لا يخلوا من محب وشاني ، وما قلت^(٧) هنا من إخلاصهم إلا إني سمعت أحدهم من ضعفائهم قد هرب إلى صنعاء وقد ذهب عليه جميع ما يملك في نهبة

(١) بياض .

(٢) جمع فيالق أو فرق من العسكر .

(٣) دالعه عنه .

(٤) مسيطرين .

(٥) خ كتلة بالكاف كعادة بعض أهل اليمن في إستبدال القاف كاف .

(٦) هذا هو إسم الشخص الذي بيض المؤلف لاسمه فيما ما مضى .

(٧) كذا ولعله قللت .

المحلات السابق ذكرها في المخلاف مخلاف مذيور فإنهم امتحنوا إمتحانين . أوله أرحب حين فرّوا من الباشا أحمد فيضي نهبوا المحلات الذي كانوا فيها والذين مضوا منها ، والثانية عند طلوع الباشا المذكور فإنها هدرت تلك المحلات الذي في المخلاف المذيوري ونفخوا لهم بالبوري^(١) ، فأحرقوا تلك الدّور جميع وإذا ذلك الرجل يذكر لنا في صنعاء أنه ذهب عليه جميع ما معه كسوة نسائهم سلبوهن القبائل « . . . » من فوقهن ، فيا حياهم من رب العالمين حين هذا جهادهم ، وصار العرب الآن في بني النمري والله أعلم ما يكون .

وأما الباشا أحمد فيضي وعلي باشا فإنهم الآن في حجة وبعض البلاد هناك واجهوا لهم بالطاعة للضرورة وبعض البلاد هربوا من قدامهم لأن قد كان أيسوا من الأتراك مع طول مدة الفساد وفرحوا بقيام الإمام جميع أهل البلاد ، وخطبوا به وساقوا واجباتهم ، وقطع الميري في جميع تلك الأسواق ، وقاموا لحرب الترك بالأسواق واصطروا الآن لما جرى من الترك في بلادهم من النهب والسلب والإحراق ، وما بقي الآن ما قد وصلوها الترك إلا أنس وحصنها ضوران ودمار ويريم من حين قبضوا على الشيخ علي البليلى باشا توقف الحرب ، وصاروا مناظرين^(٢) لمن تكون الغلبة للإمام أو للأتراك .

وما بقي في مدة هذه القومة^(٣) الذي قاموها العرب في جميع أرض اليمن إلا قاموا مع الإمام ، إلا جبل حراز فإنهم بقوا على طاعة السلطان ، ولم صدر منهم شيء ، وصنعاء المحمية ، وأما جميع أرض اليمن فإنها أظهرت الفساد وواجهت للإمام^(٤) وقبلوا عماله وساقوا واجباتهم ، وخطبوا في منابرهم للإمام ، ونفذت المقادمة والعمال إلى جميع جهة بلاد اليمن ، ودخلوا المدن جميع دمار ويريم وضوران والعر وثلا وقعطة والقاعدة عزم لها سيدي^(٥) بن إسماعيل الشامي ، وغزتهم الأتراك من تعز ، وكان معه من ذي محمد عنده في مطرحه وناس آخرين فلما وصلت إليهم الأتراك وفيهم سبعة وعشرين خيال فنزلوا عن خيولهم وربطوها ومشوا على خفية من أصحاب الشامي ، وقد اصطحبوا سرات^(٦) سلب يربطوا بها العرب والعرب قد زهدوا^(٧) بمجيئهم وتجهزوا بآلة حربهم ، فما وصلوا إليهم إلا وهم قيام لهم ، فعشروا فيهم وجردوا جنابهم^(٨) وتبعوهم فلم زدّ التفتوا الترك على خيلهم المربوطة ، وأخذها العرب وأخذوا

(١) النفير .

(٢) منتظرين .

(٣) الحركة .

(٤) أي مع الإمام .

(٥) بياض .

(٦) حبال من الليف غليظة .

(٧) أدركوا الأمر .

(٨) خناجرهم .

سلاح نحو سبعين بندق واقتسموها بالسُّوءِ وَرَدُّوا^(١) الأتراك إلى محلهم ، وكذلك من كان في تلك المدن / المذكورة أخذوا من كان فيها من القائمين المقامات ، وأخذ ما في تلك المدن من جميع آلات الدولة ، وأما بلاد الحيمة فكمّلت بالطاعة للسلطان الآن بعد قتلات كبيرة ، وما هي إلا طاعة لسان لا طاعة جَنَان وأركان ، ولم قد أحد سلم شيء من أهل اليمن إلى الدولة إلا الحوازات حق صنعاء يسوقوا بعض زكاة وقليل سياق زكاة في دمار ويريم طعام لا فلوس ، ولكهم مبقين لما عندهم حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود . حتى أن أهل ثلا سلموا للذين جلسوا عندهم في الحصن رتبة من الترك محتاجات نحو شهر زمان وارتفعوا الترك ودخلوا أهل ثلا يطالبوا الدولة فيما سلموه للرتبة ، وعندهم حقوق كبيرة ما يبحسبونها ، ولكنه الباشا أحمد فيضي سامح جميع الناس ولم يأمرهم بتسليم شيء وما يريد منهم غير الطاعة ، فكان يطيعوا باللسان .

وهذا الوعد تحققت أخبار قدر القتلات ، وقدر القتلى فالذي راح في الحيمة في القتلتين القتلات الأولات عند طلوع أحمد فيضي في مخلاف مذيور وقملان والخميس ومفحق نحو خمس مئة .

وفي حجة شهرنا جماد أول والشارقي وبيت عداقة نحو^(٢) وأعظمهن قتلت هذا الوعد حين قدموا الأتراك على الظفير ومبين^(٣) فإنهم بقوا ثلاثة أيام وقد اجتمعوا جميع الأتراك ومن معهم من العر نحو عشرة آلاف والعرب المقاتلين الذين هم المخلصين كإبن الأحمر^(٤) والسيد الوشلي وحاشد وناس من البلاد نحو ألفين وأخلط محوشين^(٥) معاهم للتسويد مثلهم . وقتلة مشهورة في قرية الجزارين وذهبت فيها مئآت .

ويوم الربوع^(٦) والخميس ٢٣ جماد أول قطعوا السفر في الطريق العدنية أهل الحدا وأظهروا الفساد في طريق زراجة ، والسبب أنهم رأوا قبائل من بني جبر وبني شداد وقليل من خولان مروا من لديهم وعزموا بلاد آنس بمكاتبه السيد^(٧) وحملهم في عسكره ومكون وشهيد .

ويوم الجمعة ٢٤ جمادي الأولى خرجوا جميع أصحاب الدولة من صنعاء يلقوا الباشا أحمد فيضي وخيموا في الحصبة وانتظروا إلى غروب الشمس فلم يصل أحد وقد كان منه اليأس كل أحد من العرب كما لمحناه آنفاً .

(١) أرغموهم على الرجوع .

(٢) بياض .

(٣) هو مبخوت بن ناصر بن الأحمر سبق ذكره .

(٤) مجتمعين .

(٥) أي للتكثير .

(٦) خ الربو أسقط العين مع الاستعجال والمتابعة في تفقيد الحوادث كل يوم بيومه فرحم الله المؤلف .

(٧) فراغ في الأصل .

ويوم الأحد أعادوا الخيام في الطريق جنب قرية الدجاج في شعوب ، وخرج الخاص والعام للقياء ، فوصل عند غروب الشمس لعل سار من عمران ، ووصل وصله في الظاهر كبير والباطن وعند الله صغيرة لأنه أقسم على نفسه أن يصل إلى محل الإمام ويضبطه ويصال به ويراه جميع الأنام ، فقصر الباع واشتط^(١) الشراع وكلَّ الجهد والصراع ، وتحير في حجة وانقطعت الحجة وضاعت المحجة وبقي نحو أشهر كأنه في لجة وكلت من القتال العساكر وطلبت الفسح والتراكر . وراح كل طمطم ومكر ، وصحا منهم كل ساكر مما رأى من قتال الطالبين لليوم الآخر / وبان النحوس وتساقطت الرؤوس ، وظهر فيهم عند وصولهم البوس ، ومنعوا العرب على نفوسهم المخلصين على أنفسهم في الظفير ، ولم يصله من العجم لا كبير ولا صغير ، ولا أثرت فيه المدافع قليلاً ولا كثير ، وكانت إثنا عشر مدفع على الظفير ، تضرب ضربة واحدة بصوت النفير ، ورجعوا منه خائبين وما أقسموا به صحوا^(٢) كاذبين ، وراح منهم نحو ألف أو يزيدون ، ووصلوا تاعبين جائعين باردين ، يتعثرون ، وهم على وجل بل غير راكنين على أنفسهم مما بهم من يؤسهم ، وخرجوا جميع الناس للقياء والعلماء والمأمورين ، وخرجت من صنعاء ستة مدافع إلى شعوب ، وهم وصلوا بإثنين مدافع وخرج الشيخ علي باشا بليلي لقيهم لأن وصل ذلك اليوم من يريم ، وطلع بأربعة مشايخ ونحو ثلاثين ألف دراهم نقداً وخرجوا الترك الذي وصلوا معه يلقوا الباشا ولم قد عطفوا^(٣) لهم قدماً بل أنهم على ما تحملوا أداتهم على ظهورهم من وعلان ، فالتقى الجمعان أموات على أموات ، الذي من وعلان والذي من عمران : ومحملين كل أحد فوقه جميع زاده ودَفاه^(٤) ويندقه وقدر ثمانية عشرة أرطال معابر^(٥) ونزل الباشا في الخيمة وتحاولوا ، واستفتح مولانا وسيدنا العلامة أحمد بن محمد الكبسي بالدعاء والسلامة وختم الدعاء بأن يجعلنا الله جميعاً في دار المقامة : ودخلوا عقيب المغرب بعد أن ضربت المدافع في الصباح ، في شعوب ودخلوا من باب شعوب ، ومع الظلام لم تبين المحب من المحبوب ، وتفرقوا شذراً مذكراً ناس إلى العرضي سحوب ، وناس إلى بيته سكوب ، والكل منهم ملآن كروب في الباطن ، وظاهر الفرح بالسلامة لما شاهدوا من أهوال كالقيامة ، والفلوس الذي وصلت صحبة الشيخ علي بليلي هو الذي طلع صحبتها لأنها وصلت من تعز ، ولكن لم ثم ألقه^(٦) على طلوعها بنحو بلك عسكر ما وقع إلا بطابور يطلعها لكون الفساد باطن عند جميع

(١) اشتط الثوب انشق نصفين .

(٢) صح اتضح . بان .

(٣) أثنوا .

(٤) الأشياء التي يدأ بها من البرد كالبطانيات وغيرها .

(٥) جمع معبر وهي ظرف الرصاص .

(٦) ثقة .

العباد ، وكان الشيخ محير في ذمار ويريم ، من عند نزول الباشا هنالك فلما رأى الطابور سيطلع مع الفلوس إشتاق إلى صنعاء مخزان الرأس لما قد صادر في قبضه المذكور .

وتواترت الأخبار أنها تعقبت قتلة كبيرة تشبه الذي قبلها في ظفير حجة وقعت في حجة والحرب والقتل مستمراً دائماً ولكن هذه القتلات من قتلات أيام صفين . مع أمير المؤمنين الذي يقع فيها أعداد المئين .

وفي ذلك الوعد الذي وقعت فيه هو في آخر جماد أول وقعة قتلة يومين في الخيمة تقدموا أصحاب الدولة والسيد محمد الشويح على الشيخ يحيى قطيع إلى عزلته ووقع ما ذكر^(١) وأدخلوا المصاويب إلى صنعاء .

ويوم الأحد ٣ جماد آخر تقدم من صنعاء طابور كبير ثمان مئة ومدفع كبير ولا بد صغار قيل خَرَجِينَ^(٢) من صنعاء وقيل سيلقوا بهن من ذمار وأمسوا في وعلان وآخرين عزموا بخزنه قبلي^(٣) نحو عمران والله يصلح الشأن / ويدفع الشأن .

وتحققت الأخبار من حجة والظفير أن بعد عزم الباشا أحمد فيضي إلى صنعاء وقعت قتلة أكبر من الأولى حتى صاروا منحصرين في حجة وصارت القتلى من^(٤) .

وفي ثالث شهر جماد أصبح الصُّبح وقد قطعوا السلك من (مند) إلى قرب بيت عذران وخرج الميم باشا وجماعته الزبطية ينظروه ويصلحوه .

وليلة الثلوث ٥ جماد آخر وقع في الروضة حريق بيت المُتَرَّب الذي قبلي الروضة وفيه أتراك كثير قيل بلك وقيل أكثر في آخر الليل وهجم^(٥) البيت عليهم جميع وتغاور تلك الساع الأتراك الذين هناك في الروضة وَيَسْكُوا^(٦) على الناس لا يقرب أحد ودخل الخبر إلى صنعاء حمية^(٧) الشمس وأحرقت قلوبهم على ما بهم من الأمس وهو السُّلك وقبل الأمس وهي قتلات حجة والظفير ، حتى كان صدق قول ابن مطحن^(٨) (وكل باشة يكاد قلبه يطير) .

(١) بياض .

(٢) خرجن .

(٣) أي عزموا بخزنة مال إلى جهة قبله نحو عمران (الجهة الشمالية) .

(٤) بياض قدر سطرين .

(٥) سقط .

(٦) منعوا تجولهم واللفظة تركية .

(٧) هي شدة الشمس أوان الظهر .

(٨) شاعر شعبي لعله يشبه الحميد بن منصور وعلي بن زايد وغيره من شعراء العامة المجهولين وانظر خبر هذه الواقعة في

أئمة اليمن ج ١ ص ٧٣ .

ووقع الإرسال إلى أهل الروضة تلك الساع وما لهم ذنب يوجب لهم الأفزاع ، وعُقِبَ خروج طابور وصحبته الشيخ علي بليلي ينظروا ذلك وصارت قلوبهم بالغُل على العرب مشحونة وقلوب بيت المَتَرِب على بيتهم محزونة لأنهم لا ذنب لهم ولا حجة عليهم وبسبب هذا الفساد صارت الروضة في الدبور والفساد والنحوس والكساد وبعد أن كانت انتهت غاية الإنتهاء :

وإذا نظرت إلى البقاع وجدتها تشقى كما يشقى الرجال وتسعد ويوم ثاني حبسوا ناس من أهل السوق ومن الذميين وأدخلوا السيد أحمد الخيال بيّاع مشتري في حانوت في حمزة وفتشوا بيته في الروضة وحانوته وربطوه وأدخلوه صنعاء مربوط وقد ضربوه ضرباً شديداً قيل أنهم لقيوا في حانوته قليل باروت وما أظن إلا أنه تَقَرَّب إليهم من لا يخشى من العقاب . حتى نال ذلك العذاب وأخرجوه بحبسوه في العرضي بعد أن بقي [في] باب الحكومة إلى عصر .

ويوم ثالث يوم الخميس أفزعوا الناس في الروضة جميع وقبضوا على من لقيوا في سوق أو بيت أو مسجد حتى دخلوا إلى جامع الروضة لقبض المصلين صلاة الظهر ففتحوا الباب الشرقي وهربوا منه ولعل المأمور معاهم من عند الباشا لذلك سيدي العلامة حسين بن علي غمضان الكبسي وحبسوا ناس في الروضة وأدخلوا ناس إلى صنعاء مع خيالة منهم ومع المأمور المذكور وحاصله^(١) إنها فتنة وشُغلة كبيرة على جميع العرب نسأل الله اللطف بحوله وطوله .

ويوم الربوع أمس الماضي خرجوا جميع أصحاب الدولة يلقوا فرمان السلطاني صحبة ياوار المذكور فيه أمر المشيرية وولاية اليمن للباشا أحمد فيضي لأن ما مضى^(٢) عاد كان مقدمي حرب / .

ويوم الجمعة ٨ جماد آخر خرج يوز باشا من صنعاء وصحبته بلك عسكر ترك وزبطية [إلى] قرية القابل على القرية يفتشوها لأجل يقبضوا على أهل جدر الهاربين فيها لأن الدولة متهمين أنهم الذين أحرقوا العسكر في الروضة وقبضوا على تسعة أنفار منهم حيث لم وجدوا أحد من جدر في القرية وقد كان قبضوا منهم ثلاثة اليوم الأول وأدخلوهم تحت الحفظ إلى صنعاء والأولين نحو خمسين نفر من بني الحارث وصاروا الجميع محبوسين في القصر مقيدين .

(١) خلاصة الأمر .

(٢) فيما مضى .

ويوم الإثنين أُلزموا^(١) جميع أهل صنعاء يحضروا ساعة خمس إلى ميدان البكيرية لسماع قراءة فرمان السلطاني المخبر بتولية الباشا أحمد فيضي والمشيرية له فطلع جميع الناس من الخاص والعام وحضرت العساكر الشاهانية وجرت إلى هناك المدافع الكرخانية ستة من الكبار تجرها الخيل الصافنات الجياد وأربعة صغار فوق البغال الكبار وخرج المشير من بيت الحكومة وأصغت جميع العباد بين يديه وقرأه للأتراك بعض الرؤساء منهم بلغتهم وبعد قرأه بلسان العربية السيد الهمام عبد الله بن إبراهيم بن الإمام وقد أمر الباشا بتقريب أهل صنعاء للسماع بين يديه لأنهم كانوا متفرقين في الميدان فأقبلوا إليه كما أمر ولهم قرب . وبعد ذلك أنصتوا جميع للدعاء والأبتهاال من السيد البحر الزاخر ذي اللسان الباهر والذهن الصافي الفاخر سيدي العلامة الصفي أحمد بن محمد الكبسي عافاه الله فلقد استحضر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وابتدأ بالحمد للملك العلام وبالصلاة على رسوله وآله الكرام وآتى^(٢) بصفة^(٣) الواقعة من إبتدأ أيام الحوزة وقال : ﴿ وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة ﴾^(٤) وآتى بما وقع من القبائل وما كان مرادهم في المدينة وأهلها وبعدهم ما عدم في المدينة وبوصول المأمور المشير المفخم وزير السلطان المعظم وأنه قد عفى وجامل وأغضى وصفح عما مضى عن جميع الناس وآتى بكلام بآهر^(٥) مضمونة إن قد استحلفه بالوفاء عما عفى وإنه لا يعاقب بشيء وأطال الكلام في هذا الشأن وغيره وكل كلام يأتي عليه بشواهد من الآيات والأحاديث وبعد ختم الكلام بالدعاء والأبتهاال إلى ذي الجلال وبالفاتحة وفي تلك الساع خربت إحدى الإسطوانتين التي في باب الحكومة في الدكة ولولا دفاع الله على كثرة الخلق لذهب تحتها جماعة ولكن دفع الله ، وضربت المدافع عند التمام وعند ختم الكلام والدعاء لسلطان الإسلام وصاحت بالتأمين جميع العساكر جهراً وأسر به العرب وتفرقوا بعد ذلك عند آذان الظهر .

وقبل أمس خرج الأمر من الوالي المؤمي إليه بتولية محمد بليلى أفندي رئيساً لمجلس البلدية يعني عاملاً على مدينة صنعاء المحمية وصار فيها من يوم السبت ٩ جماد آخر وكملت العمالة له والقبال بيده / .

قبال القنطرة حق اللحم وكذلك الجمركة قد تقبلها سنين وصار هو وصنوه الشيخ الآن أحظى من في اليمن ولعل قد الشيخ علي سيطلع يقع من أهل مجلس الإدارة لأن قد ختموا

(١) خ الزموا .

(٢) خ أنا .

(٣) خ بصفة .

(٤) سورة النحل الآية ١٢٢ .

(٥) جميل .

له في مضبطة أكثر أهل صنعاء خوفاً من شره الله يَلْقَى العباد خيره .

ويوم الخميس خرج العلامة صفى الإسلام أحمد بن محمد الكبسي والشيخ علي باشا البليلي والسيد محمد الشويح والتقوهم وأهل جَدِرْ وأدخلوهم صنعاء معاهم وفعلوا لهم رأي أمان من الدولة وردُّوا بعض البنادق الذي أخذوا والبغال والصناديق المعابر وانقطعت معاهم ونَجِحت^(١) حَقُّهم المفاخر وما هي في الحقيقة إلا مخازي في زماننا وفي اليوم الآخر لأن جميع أفعالهم عندهم مصالح ولو انكشف الغطاء كما قد كان شرع أنها فضائح .

ويوم الجمعة ٢٢ جماد آخر طلع المشير والي اليمن أحمد فيضي باشا يصلي في الجامع من دون حزبه^(٢) عساكر ولما رأى الفقيه العلامة الجمالي علي ابن محمد وحيش خطيب جامع صنعاء استحسن زيادة في الخطبة الأولى ذكر سلطان الإسلام وذكر والي ولاية اليمن المشير الأفخم فلما انقضت الصلاة وعزم الباشا سلم للخطيب وللإمام خمسة ريال ولأهل العهد في الجامع ثمانية ريال ورجعوا يتهاولوا أهل العهد فيما بينهم كما فعلوا سابقاً .

وأما خبر بلاد آنس فإنها تفاشلت الأمور عليهم بعد أن قد كان تعاقد أمر الجمهور فيها فيما وصلوا الأتراك معبر باستعجال الشيخ غيلان صاحب الجبل لأنه لم رضي يسلم الحصن لأهل آنس ولا للعسكر الذين نزلوا من بني جبر وبني شداد وبعد دَخْلهم الشيخ غيلان إلى مدينة ضوران فما وسع الناس إلا الإجابة والمقابلة بالعقاير فلما نزلت العساكر إلى جرف الطَّاهر تلقوهم إلى تلك المحلات بالحرب الظاهر ووقع ما وقع وتوجهوا أصحاب الدولة إلى مدينة العبيد وإلى سوق أسلع وحال الرقم وهم هنالك والخير للجميع في ذلك رضاء لحكم الله المالك^(٣) .

المقطوعية من زمان وبسط لهم الوالي وساجلهم / على منوالهم كما بسط وساجل جميع العرب من أشكالهم وقصده التسكين إلى حين ، ومتى لاحت الفرصة قرط ولو بعد حين وأما تحقيق الجهة اليمنية فإنه وصل القاضي العلامة الشرفي وأخبر بخروج المقدمي مصطفى^(٤) نافذ من يريم بمن عنده من العساكر الشاهانية متقدماً على عبد الله مثني نجيم فوصل إلى مريس^(٥) والتفت له جميع العرب الذي في تلك البلاد إلى رؤوس الجبال

(١) إنتهت .

(٢) الحزبة تكرر ذكرها وهي التأهب بالملابس الزاهية وحمل السلاح والقدوم إلى الحاكم للقيام بالخدمة كحرس .

(٣) من هنا إلى نحو أربعة أسطر لم نستطع قرائتها في المخطوطة لتغطيتها بدرق طيور أو فئران .

(٤) في الأصل مستفي بالسين والتاء .

(٥) موضع سيأتي في الملحق .

والأنجاد ووقع بينهم حرب كبير حتى ردوهم إلى يريم وأخبرنا أيضاً بما فعله الشيخ^(١) الدعيس صاحب جبل بعدان فإنه تقدم إلى قعطبة على الأتراك الذين هناك ووقع بينهم حروب مهولة وراح فيها خلق وقتل فيها الزبير شيخ العود ورجع إلى محله وقبض جماعة من أتباع الدولة من جملتهم الشيخ فلان الصنعاني صاحب أب وجماعة معه ووصف لنا بما صدر من ابن حجر المقدمي من لدى الإمام في من كان في تلك الجهات العدنية من الأمور الدنيّة الذي لا ترضي الله ورسوله ولا إمام الزمان فيما فعل بالأساري والنسوان حقهم حتى من جملة ما وصفوا أن ابنة خالته بنت عواض مزوجة بتركي فسلبها جميع ما معها وغيرها مثلها بعد أن طلبوه الأمان في وصولهم بما معهم إلى الإمام وهو أولى بهم من أنفسهم فأبى وفعل ما قضاه له عقله ، وغيره فعل مثله كفعله هؤلاء الذين يركن^(٢) عليهم فما بالك بمن لا يركن عليه من العوام فعلوا الآثام وانتهبوا الضعفاء والأيتام وقد حُرِّج^(٣) عليهم الإمام أن لا يقربوا شيء من الحرام وإنما يفعلوا ما يقرب إلى دار السلام فكان ما كان بسبب فعل الطغام وانظر إلى المتوقفين على رأي الإمام في جميع جهات الشام كمن في الظفير ونحوه كيف لا قدر عليهم أحد ولا نهبوا فحفظهم الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولكن كادت الدنيا أن تكون دار جزاء والله سبحانه لا يضيع عمل عامل .

وفي نصف جماد آخر أرسل الوالي السيد يحيى الهجوة الكبسي يدخل الشيخ الجابري صاحب مخلاف مذيور في الحيمة برأي أمان وعهود لأن قد كان هرب من الحيمة بعد ما واجهت بالطاعة للدولة إلى بني جبر فدخل وتوافق^(٤) بالوالي أحمد باشا فيضي وعاتبه معاتبة كبيرة على فساده وأخذه قائم مقام مفحق وأخذه لخزنة الدولة والسلاح فأقر الجابري بكل ذلك الذي ذكر واعتذر لكل دعوى بعذر وأن كله الذي جرى من الرعايا والسبب المأمورين والجور الذي وقع منهم على الرعايا وعدم إمضاء الشريعة وأنه طالب الدخول عند السلطان وطالب عمارة بيته حيث قد خرب عليه مرتين الأولى أحرقوا عليه القبائل العام الماضي ولم أنصفوه الدولة بضبط غرماء والثانية أحرقوه الدولة عند وصول الباشا ولم وسع الوالي إلا مسامحته عما مضى وامثل له أن يجعل له مرحمة ولا عليه وعلى أصحاب عزلته إلا العشر الحق ولا يسلم باطل شيء ولا يدخل فيما دخلوا به أهل الحيمة وامثل له بذلك ويصير يصلح باقي الرعايا الذي عاد مفسدين لم قد وصلوا منهم أهل بني مطر فصار من حينه وجمع عقال بني مطر ودخلوا صنعاء الرماح والرازي ووقع معهم من الوالي ذلك العتاب وزد

(١) بيض له المؤلف .

(٢) يوثق بهم .

(٣) أكد .

(٤) تقابل .

تحاكي الشيخ علي باشا البليلى / فاستوجع الرماح من كلام الشيخ علي وتهاوش^(١) هو وهو حتى كادوا يفتتنوا عند الباشا وما وسع الباشا إلا عَضْد الرماح وأظهر له السماح وعفا عما مضى حتى من السلاح وألزمه بتحصيل الواجب الحق ولا باطل يجزع عليه في شيء ولا صَبْرَه^(٢) كما كان والله يصلح الشأن وهؤلاء آخر من بقي على الفساد إلى تاريخ أحد وعشرين جماد والله سبحانه يحلها على جميع العباد في جميع النواحي والأنجاد .

ويوم غرة رجب عزم الياور ابن الحسيني^(٣) رجع إلى استنبول لأنه خرج عقيب خروج الحريري المذكور أولاً لأخذ حقائق أمر اليمن وأهله وأخذ الحقيقة ورجع إلى السلطان بالوثيقة من الأخبار وفي مدة بقاءه في صنعاء تكاتب هو والإمام ولعله أخذ من الإمام مكتوب مكتوم عن جميع الخاص والعام إلى السلطان وزد اجتماع ببعض مشايخ الحواز وأصحابه كتب ومضابط مختومة بختومهم جميع وسلموا له دراهم كبيرة لأجل إبلاغ ذلك وإرجاع الإفادة من هنالك ولعله لم حصل منه المساعدة للوالي أحمد فيضي باشا لأن الوالي كان مراده يطلع على مكتوب الإمام ومراده يهيمه^(٤) عنده لأنه يعلم أن الإمام بيكتب إلى السلطان بحقيقة أفعالهم وما هم عليه من الظلم والبغي وأخذ أموال الناس بغير حق وعدم إمضاء الشريعة والترخيص في الحدود حتى أنه تكابر^(٥) البليل . والياور لأن البليلى كان يجري مجرى الباشا أحمد فيضي والياور مقصده إيصال ما جاء له السلطان . وماشا يتبين الحقيقة إلا بعد مدة شهرين ثلاثة من بعد رجوع جوابات سلطان الإسلام .

وأما أمور اليمن فهي على حالها محلات^(٦) صالحة ومحلات خراب .

ووصل هذا الوعد قائم مقام ضوران الذي كان أسيراً عند الإمام أطلقه قبل بفداء إفتدى به نفسه ووصل إلى صنعاء سالماً غارماً .

وأما خبر الذي في بلاد آنس فقد دخلوا في البلاد حتى انتهوا إلى جبل الشرق وفشلت قبيلة خولان وبني جبر ولم يوسعهم إلا الهرب وهرب معهم المتولي من قبل الإمام الحاج سعد الشرقي وأخذ حصانه وما كان معه من السلاح فيما هو لهم وما استقام إلا

(١) تهاوشوا .

(٢) الصبرة هو قدر معين غير مميز .

(٣) هو علي مثني الحسيني الرجامي الحشيشي من أهل اليمن دخل استنبول وخدم الأتراك حتى كان من الياورات (أنظر أئمة اليمن ج ٢ ص ٦٣) .

(٤) يخفيه أو يطمره .

(٥) من المكابرة المنازعة أو ما يشبهها .

(٦) جمع محل . أماكن .

الشيخ . . . (١) المقداد وبقي يحربهم ولعل قدهم راجعين لأنها وصلت إلى الباشا أحمد فيضي أخبار من القبلة مزعجة ووقعت في خارج الظفير قتلات يشيب منها الوليد وأحرقوا العرب بيت في ما بين حجة والظفير قيل بيت سنان وفيه أتراك كثير وخزنة بمال كبير واشتهر محرب كانت (٢) فيه الغلبة للعرب على العجم وكان فيه من قبيلة سنحان خلق كثير وراح فيهم ماس يسير منهم أحمد يحيى الشاوش صاحب جزيز وجماعة من المحل حقه وآخرين من لتخراف من سنحان ومن مقولة وشعسان ووصلت تعازيهم إلى أهلهم وقيل إن العرب قطعوا لطريق الذي إلى حجة أو القفل وغزوا على قافلة فيها خزنة وعساكر شاهانية من التهمة بميرة للعساكر السلطانية / فلما وصلت الكتب للباشا بذلك جهز بقية العساكر الذي في صنعاء والذي كانوا في الروضة جميع صبح يوم الخميس لست ليال مضت من رجب وفرج الله على أهل الروضة فرجاً عاماً عاجلاً ووصلت عساكر سلطانية من الجهة الغربية قيل من تهامة وقيل الذي كانوا في متنة والخميس ومفحق ولعل الوالي عازماً بنفسه غارة على من في حجة من الضيق الذي هم فيه مع بقاء الظفير بأيدي العرب هذه المدة وتفاد ما عندهم من الميرة والعدة .

وليلة الخميس الماضي عجوبة (٣) نكيرة جاذبة (٤) صغيرة تزوج رجل من بيت العرشي وزوج أخته من بيت العمري وإذا هم يشتوا يسيروا يدؤا له أولاً حريوة (٥) بنت السنيدار من الفليحي ويوصلوها إليه ويشرحوا يشلوا أخته من بيته فعزموا أولاً يدوا التي ستدخل فلما وصلوا عند الجامع تلقوهم الدورية بلك نحو أربعين تركي ولم يكن بينهم عرب يعرفوهم (٦) بشأن أهل البلد لما قد فيهم من الفشل والفرع فقبضوهم جميع وهم ثمانية أنفار فلما رأوهم متسلحين بالجنابي والسيوف التي يدقونها خلف الحريوة ومعاهم بغلة قالوا هؤلاء حرامية (٧) ولم يقبلوا لهم كلام سيما كون أكثرهم مقبعين (٨) وما فيهم إلا رجلين أو رجل مغمم (٩) وهو الفقيه أحمد بن محسن الأكوع وأخذوهم جميع وأخرجوهم إلى العرضي وأدخلوهم مكان

(١) فراغ في الأصل وهو الشيخ علي المقداد بن راجح الأنسي أحد من ناهض الأتراك في اليمن وله معهم حروب طويلة استمرت حتى وفاته سنة ١٣٣٩ هـ (أنظر لامية نبلاء اليمن ص ٧٩) .

(٢) خ كان نت .

(٣) أعجوبة .

(٤) مستنكرة غريبة .

(٥) عروسة .

(٦) يدلونهم على عادات البلاد .

(٧) ينعنون بهم ثوار من القبائل .

(٨) أي على عادة القبائل في لبس القبع وهو عبارة عن عصابة رأس مصبوغة بسواد .

(٩) العمامة هي علامة الفقهاء بخلاف القبائل .

وضيّقوا عليهم وأتى كبير العسكر يرقم عليهم يسموا الرقم (جلنار) مضمونة أنا وجدنا ثمانية أنفار مسلحين ، وبعد طلبوا الثمانية أن يكلموا قائم مقام العرضي ومن لطف الله بهم وقع قائم لَيْنْ ووقع^(١) ويفهم اللغة العربية فلما تحقق خوضهم وصحة خبرهم أطلقهم وقد هدموهم^(٢) وضاق الوقت عليهم ودخلوا على ما يريدوا وساروا أدوا تلك العروس وقد هو^(٣) قريب الفجر وقد استَبَطُوهُمْ^(٤) الذي عزموا من لديهم والذي سيصالوا إليهم ورجعوا يريدوا إخراج العروس الآخرة وقد هو فجر من دون أن زِدْ استقروا عند أحد فيا عجباه كيف يزِدْ يحتاج أحد إلى شيء من السوق وهو مفرد وحده ، بعد أن كان كل أحد يخرج لحاجته في أي وقت كان فلا كان هذا الزمان نسأل الله الأمان والفوز بالجنان والسلامة من النيران

وهذا الوعد أمرت الدولة أن من خرج الليل فهو مباح الدَّمْ وسَمُوهُ (باليسك) على لغتهم ، وتلك الليلة سرقت حناويت منهن في السايلة حانوت أحمد البصير ، وخرج باقي العساكر الشاهانية من صنعاء يوم السبت ثامن رجب تبعاً للذي سبقوا يوم الخميس وهي البقية الأولين ثلاثة طوابير والآخرين ثلاث مائة أمسوا جربان وجروا الجميع جهة عمران .

وفي بلاد يريم تقدم ابن أحمد صلاح على قرية قرعد ولكن بعسكر عرب في الظاهر أنه من جناب الدولة وفي الباطن مكافأة للعرب أهل تلك الجهة .

وأهل آنس عاد الحرب باقي ولكن الدولة يميلوا إلى الصلح والصلاح ، منها صالحوا أهل بني أسعد الذي نهبوا الحمولتين بجملة آلاف على مقطوعية في كل سنة ست مئة قرش وكان يجيء عليهم سابقاً نحو أربعين مئة في كل سنة وأما قيمة الحمائل فما ذكروها مَيْلاً إلى المهادنة وأطلق الإمام هذا الوعد قائم مقام يريم الذي قبضوه من هناك فيما سبق على تسليم دراهم أفدى بها نفسه وأطلق أيضاً القاضي أحمد أحسن الصديق الذي أسر من ذمار ولحقت عساكر خرجت من صنعاء كل ذلك إلى مدينة عمران وعزموا على القدم نحو الجبل وتوجهوا طريق الخدرة يريدوا اللومي فلما قاربوا طريق الخدرة أحسوا بالشر من العرب قد تجمعوا العرب في تلك المحلات فرجعوا القهقري من حيث جاؤا ودخلوا عمران ، وفي هذه الثمان قل معهم الإطمئنان لأخبار أتنهم من قتلات حجة والظفير فإنها باقية العرب في الظفير والعجم في حجة ولكن تكررت^(٥) فيما بينهم القتلات وسرت العرب إلى الشغادرة وبني

(١) متوقع متاني .

(٢) أخافوهم .

(٣) أي الوقت .

(٤) استبَطُوهُمْ .

(٥) خ تكررت .

العوام والعريف وأخذوه ، وقيل أن تابعتهم بلاد لاعة جميع ورجعوا عما كانوا عليه من الطاعة والأنقياد للسلطان وتابعوا الإمام وأظهروا له الطاعة وأشعلوا النيران بالتناصير له والفنا^(١) باقي فيمن في حجة من العساكر الشاهانية .

ويوم الإثنين ١٧ رجب عزموا نحو طابور وخزنة معهم كبيرة إلى الطويلة خشية من العرب لا يقبضوها حيث قدهم في بلاد لاعة وهي قريبة منها وتقوية لكوكان ولا زالوا العرب في جميع الجهات يهيموا بالفساد ولم اطمأنت قلوبهم بالأمان من الأتراك ، وقيل أنهم سمعوا تعشيرة بنادق من رأس نغم ليلة الربوع الماضي أخبار متواترة ولم سمعنا التعشيرة ، والسخري^(٢) رجع وأخذوا الجمال من صنعاء إلى عمران .

وقلوب الأتراك كبيراً وصغيراً مملوءة إحن على جميع من في اليمن خصوصاً أهل صنعاء حتى أنها لا زالت تفيض من أفواههم فلما تيقنوا العرب ذلك نفرت قلوبهم ولا زالوا مترقبين الفرص جميع كل أحد يتربقب للآخر والله يختار لعباده الخير ويدفع الشر .
ويوم الإثنين والثلاث كان يخرجوا بعض العساكر الشاهانية بحقهم الأهبة^(٣) والمزامير والطبول الصبح إلى عصر ويرجعوا النهار ، ما لهم يا ناس ؟ قالوا يلحقوا العساكر الواصلة من أسطنبول عشرة آلاف وآخر يوم وصلوا قليل أمراض ومكاوين من بلاد آنس ولكنهم جت طريقهم من تهامة لأجل التهويل والتطويل وهم نحو مئتين أكثرهم وصلوا (إستخانة) محل الأمراض وبقيتهم باقيين في الجمعة في آنس وفي محل آخر يقال له (الهان) والطرق عندهم خوف ما يمكن أحد يسير وحده إلا إذا كانوا مئة فما فوق ولكنهم خربوا حصن الشيخ فلان المقداد في جبل الشرق ولا زال يشغلهم بالمغازي^(٤) والنهب والقتل وقد ذهب منهم نحو مئتين .

وهذا الوعدين رجع فيهم المرض والموت الذريع في كل محل . نسأل الله اللطف .

وليلة الربوع تسع عشر رجب وقعت في الجبال تناصير ووقيد النار منها إثنين في نغم وواحدة في جبل عبيان وواحدة في سنحان وواحدة في ضين وأصبحوا الأتراك في فزع عظيم وخرج الشيخ علي البليلى باشا والزبطية إلى بلاد سنحان يدوروا المنصّرين وأدخلوا ناس من دار سلم ودار الحيد وأحمد يحيى الشاوش صاحب حزيز وناس من سعوان وحبسوا الجميع وحبسوا معاهم السيد يحيى الهجوة وشيخ عصر .

(١) الطاعون .

(٢) أي تسخير الجمال والبغال ونحوها للدولة .

(٣) المعدات .

(٤) سبق ذكره .

ويوم ثاني غيروا على أهل بيت معياد السمراء^(١) وهجموا كظايم^(٢) الغيل عليهم حتى انقطع وهم كانوا لاهيين^(٣) معهم عرس كبير ستة حراوة^(٤) في ليلة ومثتين متعرس^(٥) / .

وفي نصف رجب مرض الوالي أحمد فيضي باشا ووقع في مرضه إطلاق الحاج سعد الدين الزبيري بعد أن بقي في الحبس أربعة أشهر ولعله اعتبر في مرضه لظلمه .

وفي ١٨ رجب ظهر آية سماوية في بلاد خولان في بني شداد قيل أنها ظهرت نار وقامت من بين الدور حتى علت إلى العرش وتقارحت كالصواعق أو كالرعود وزعزعت أهل تلك المحلات حتى أزعجتهم ووصل إزعاجها إلى بني بهلول ونزلت منها حجرة وقيل ثلاث حجار ووقعت في جبل منها حتى أنزلت من الجبل صخرات كبار وفعلت في بعض البيوت في محل قريب .

وفي هذا الوعد عزلوا الدولة سيدي حمود بن غالب من إدارة بني بهلول وأرسلوه مديراً على بلاد الحداء فوصل إلى زراجة هو وأصحابه الزبطية ووصلوا إليه أهل الحداء وكانوا سينهبوه هو وأصحابه إلا إذا هو مرسل من عند الإمام فلا بأس بقي فأجاب عليهم ما يمكنه الرجوع إلى الدولة إلا بوجه في يده أنهم مفسدين فرقموا له وردوه صنعاء .

وفي يوم تاسع وعشرين رجب أرسلوا الدولة الخيالة على أهل الروضة أنهم مفسدين وأنهم ساروا ناس عند الإمام يحاربوا في الظفير وضبطوهم إلى الحبس نحو أربعين ولعلمهم استضعفهم وإلا فقد عزموا إلى الإمام خلق كثير من كل جهة لحرب حجة ومن فيها سيما من أرحب وهمدان وسنحان ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً .

واشتد الموت والفناء هذا الشهر في الأتراك في كل ناحية سيما في صنعاء ونسأل الله اللطف فيما قضاء ولا زال المشير الأفخم لجميع العرب يدم ويفحم وإن قال : عفا عما مضى فما هو إلا مترقب لهم في القضاء وفي الوعد السابق . كسى أهل رداع جيخان حمر كونهم قبضوا قائم مقام عندهم بما معه من الخزنة والسلاح وفي ذهنهم أن تمت للسلطان نالوا بذلك الأمان وإن تمت للإمام فقد هو وما معه لهم والسلام .

ويوم رابع شهر شعبان وصلوا بعض مشايخ الحيمة وكساهم المشير جيخان جزاء لما

(١) نوع من الحنطة .

(٢) منبع الماء أحجار تكون على المنبع وهجموا سق شرحه وهو بمعنى أخربوا هدموا .

(٣) لاهين مشغولين .

(٤) زواج عرس .

(٥) أي ضيوف مع الحراوة .

فعلوا سابقاً من القتلات المذكورة وإشعال النيران ودخلوا لهم الآن في الطاعة وإيصال بعض من البنادق الذاهبة شيء يسير ما يقوم بعشر العشر من العشيرة .

ويوم الخميس رابع شعبان طلب الوالي من أهل صنعاء خلقاً كثيراً إلى مجلس الإدارة ولا يزال يعاتبهم معاتبة كبيرة إنا قد عفونا عما مضى جميع ولم أحد امتثل بل أن المدعي^(١) حميد الدين منكم ومذهبه مذهبكم زيود جميعاً والمؤنة تخرج إليه منكم والبنادق تبتاعوها له والكسوة من لديكم والزكاة من عندكم تنساق وقد أعييتونا لا زقمنا منكم أحد ونحن نعلم أن ذلك كله كائن منكم فقد أنتم تنهوا بعضكم البعض عن ذلك لأننا لو نظفر بأحد ما نغفر بل نعاقب العقاب الشديد الذي ما عليه من مزيد / فأجاب عليه بيت الردي عيال القاضي يحيى بما قال الله سبحانه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾^(٢) وقال تعالى : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾^(٣) فإن قد ظهر لكم بذلك أحد من أهل صنعاء عاقبتموه وأسلمتم الباقيين وسلمتم ظلم من لا ذنب له ولا حجة عليه ، أجاب الشيخ علي باشا البليلى إن أحنا^(٤) والدولة عارفين بالويسة جميع في صنعاء .

ويوم ثالث أرسلوا نحو مئتين نفر ومدفع يتخلصوا فلوس من بلاد همدان وجت طريقهم ضلاع ووقعوا في قرية القابل والشويع معاهم وقد كانوا سلموا إلى دغيش عاقلهم وإلى المدير خمس مئة قرش حجر قبل خروج الترك بيومين ولكنها أهويات منهم على القرية وأهلها كون الإمام له ملك فيها وهم يودّوه ويسير ويجوا إليه وفتحوا بيت الإمام الذي في القرية وبيتين جنبه^(٥) بيت المحتسب الذي قد هو لسيد محمد الحمزي وبيت القاضي محمد الورد صاحب ثلا وجلسوا بعض العساكر فيه ولا زالوا يرسلوا همدان وهي من السيد محمد الشويع عاقل همدان كناية^(٦) لأهل القرية لأنهم لا زالوا يواعدوه بالهمدنة وقد أدخل لهم بكل ما يصلح شأنهم ويجيرهم من كل باطل ولا عليهم سوى العشر وإنهم هجرة همدان ويبطل أسواق همدان جميع ويحيى لهم القرية فأبوا وقالوا : « قبح الجدمعار » ففعل لهم هذه الخديعة وطرح فوقهم البروصي^(٧) المذكور ولا زال الخطاب على جميع المشايخ الآن في تسليم ما عندهم من سابق ولاحق ومن سلم سليم ومن لم أودع الحبس

(١) يعني الإمام .

(٢) سورة الحجرات الآية ٦ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٦٤ .

(٤) نحن .

(٥) جانبه .

(٦) خديعة . ولعله يرمي : نكاية .

(٧) هو ثقالة السفينة .

والقيد وقد هو سبب وإلا فقد مرادهم بإخلاء العرب لما في القلوب مما سبق وقد في الحبس الشيخ السماط^(١) والكبوس وقائد الأهجري وحبوس مغلظة في الوزنة^(٢) وناس آخرين ما عندهم لهم شيء إنما مكافأة لما ذكر ولا زالوا يدأبوا في تفريغ بيوت وسماسر في صنعاء قيل لعسكر واصلين من تهامة وقيل لأمرض يغيروا فيهن الهواء ، وقد فرغوا سمسرة سوق النحاس^(٣) وسط السوق سمسرة هائلة كبيرة منيعة حصن مستقل وقد المقاصصة^(٤) فيها والله أعلم ما مرادهم بذلك وقد اجتمع شورهم في ثلاثة أنفار الشيخ علي باشا البليلى ومرزاح ميم باشا والمشير أحمد فيضي باشا وباقي الناس كلهم تراب وفوق كل ذي علم عليم .

ويوم ثالث عشر شعبان وصلت الأخبار من بلاد آنس أنهم لقيوا الزبطية عسكر الدولة العرب ونهبوهم وقد كان مرادهم في قتلهم جميع وهم نحو العشرون وانحازوا إلى قرية^(٥) بعد أن قد وقع بعض قتلى من الطرفين وأسلمهم بعض أهل البلاد في تلك القرية على أن يخرجوا في سلامة رؤسهم ويطرحوا ما معهم من السلاح وغيره حتى الثياب ورفقوهم^(٦) إلى مطرح الدولة إلى أسلع .

ويوم رابع عشر مضت قافلة كبيرة من الجهة العدنية تريد تمر إلى جهة القبلة ، من أرحب وبني شداد وغيرهم الساكنين في عيال سريح وطرف حاشد والجبل حق عيال يزيد فخرجوا من صنعاء أدخلوها وأهلها جمال كثير نحو خمسين وبهائم مثلها وأدخلوهم إلى صنعاء ، وطلع الشيخ محمد البليلى يريد يخارجهم فما وقع الجواب من الباشا / إلا بأخذهم جميع ، وأطلعوا ذلك الطعام إلى الشونة محل طعام الدولة فليل في ذلك قولين قيل أن عندهم بواقي حسابات للدولة وهذا يقطعوا من ذلك الذي عندهم وقيل أنه جاء خبر للباشا أنها زكاة اشتدت^(٧) من الجهة العدنية للإمام وأنه ما أخذها إلا كونها للإمام والله أعلم .

ويوم سادس عشر وقع التنبيه لجميع الناس يطلعوا إلى ميدان البكيرية يتفرجوا على الفنطسية ونشرت البيارق وجرت المدافع من العرضي صبح ذلك اليوم وحزبت جميع العساكر الشاهانية وطلعوا جميع المأمورين من القضاة والكتاب والمأمين^(٨) والعمال والمديرين

(١) خ الصماط .

(٢) الزنافة .

(٣) داخل صنعاء وسط السوق كما ذكر المؤلف .

(٤) جمع مقصص وهو الذي يطلي الحيطان بالجص معروف .

(٥) بياض قدر كلمة .

(٦) رافقوهم .

(٧) شدت .

(٨) كذا لعله جمع إمام وهم أئمة المساجد أو المقامين جمع قائم مقام من العسكر على لغة أهل الشام في نطق القاف همزة .

وكل من له تعلق غير أهل الأسواق وسمعوا الوعظ من السيد العلامة الصفي أحمد بن محمد الكبسي مستهله قوله : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ﴾^(١) إلى آخر الآية الكريمة وآيت أخرى ضمنها بل صرح بها أن السلطان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيامه الحق ومثاغرة^(٢) الكفار وما هو عليه من الذب عن الإسلام والمسلمين وكيف نية القبائل من العرب الذي كان يقتلوا النفس ويقطعوا الطريق ويقطعوا الخضراوات ويستبيحوا المحرمات وكيف سيرة هذا المشير الأفخم في الناس بعد تلك الحوزة والإبلاس ، وما جرى من هؤلاء حتى كاد الإياس فنحمد الله على هذه النعم ونسأله المزيد من الفضل والكرم ، وضربت المدافع بالبشارة حق ذلك اليوم المشهود وهو يوم طلع^(٣) سلطان الإسلام على كرسي المملكة فصار ذاك سنة في كل عام إظهار البشائر في جميع بلاد الإسلام وبعد بقيت العساكر الشاهانية بأمر كبرائها يخربوا كل يوم ويطلعوا وينزلوا من الأسواق والأزقة بالمزينة لأمر أخرى يعني إظهار القوة والتجلد على المشار إليهم لأن أخبارهم مقوية .

ويوم الجمعة ١٩ شعبان خرجوا جميع الذي في المراتب في صنعاء والأبواب والإدراك والعرضي نحو ست مئة أو يزيد وتلقوا العساكر الواصلة الذي لهم بيوصلوها شهر وفرغوا لها الخانات والبيوت ولقيوهم إلى عصر وإذا هم مثلهم في العدد ودونهم في الجلد لأن الأولين من الرديف الذي خرجوا مع الوالي وهذا الرديف رجال وافية وفي القتال محكية^(٤) لأن قد لاقوا في أيام عسكرتهم ملاقات شديدة من قتال الكفار وغيرهم ووقف عسكرتهم وأخرجوهم للحاجة وكالمستعينين لهم مع ما قد عندهم من المعرفة بتعليم العسكرة وأما الواصلين فلعلهم أغبياء^(٥) عادهم يشتوا تعليم بدع^(٦) ، ولكن كل من وصل من عند وصول الباشا أحمد فيضي في الحوزة ما يصلوا إلّا متسلحين بالبنادق بخلاف ما سبق قبل الحوزة فكل من وصل لا يصلوا بشيء من السلاح والحال أن قد معاهم في اليمن وأكثره في صنعاء سلاح فارغ^(٧) ما يكفي عشرة آلاف ولكن في ذهنهم لا يمضوا من محل إلّا متسلحين لأنهم غير آقين^(٨) على العرب ووُجد سلاح عندهم ما أحد يملكه من الدول ولولا تلك القوة ما

(١) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

(٢) ناهضهم في الثغور (المواني) .

(٣) طلوع .

(٤) مشهورة .

(٥) غير محتكين بالحرب .

(٦) من البداية .

(٧) أي معهم سلاح احتياطي يسد حاجة عشرة آلاف .

(٨) غير مطمئنين إلى العرب .

استروا^(١) في أرض اليمن بعد أن وقع الإياس المذكور أولاً ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وكما ذكر سيدي الصفي^(٢) في آخر الوعظ أعلا والآيات الموافقات لما قال والله عاقبة الأمور ختم بها والله أعلم بمراده / .

ويوم السبت عشرين شعبان عاد الأمر كما كان من الذنوب حق العرب خرجوا من الأتراك نحو طابور إلى الروضة ويوم ثاني مثله ورجعوا في البيوت الذي سكنوها أولاً بعد أن كان فرج الله عليهم برفعهم من لديهم ويم الأحد طلع المشير أحمد فيضي إلى جبل نقم هو وجماعة من كبارهم والشيخ علي باشا بليلي وطابور صغير عسكر وبقوا فيه إلى غروب الشمس وقيل في ذلك ثلاثة أخبار قيل يتأملوا الجبل لا يفعلوا^(٣) فيه رتبة عسكر خشية أن تقبضه العرب . وقيل ينظروا منه بالنواظير إذا ثم جماعة ماضين وقيل يريدوا يعمرؤا فيه الحصن ويطلّعو فيه مدافع كبار يرمؤا بها إلى جميع الحواز .

ويوم الإثنين ٢٣ شعبان عزموا طابور ومدافع صغار والشيخ علي البليلي قيل إلى الشرفة طرف بلاد نهم لأنها وصلت لهم كتب بالأمس من ابن راجح عاقل نهم وقيل من المدير حق نهم ابن السيد أحمد الأهجري أنها وصلت مقادمة وقوم من عند الإمام يريدوا المضي إلى جهة اليمن فخرجوا لعلهم يريدوا القبض عليهم وقد سبقوا رتبوا الروضة والجراف وسعوان فيه جماعة من قبل يتخلصوا وقد هم فيه والله يصلح شأن أمة محمد بحوله وطوله . وبقي الشيخ علي باشا يخلص في بني حشيش والأتراك بقيوا يعاودوا طلعت^(٤) نقم مراراً حتى صار يصلحوا طريقة بالعمارة من عند المسجد إلى حال الرقم وقد هم في سلام^(٥) المنظر محل معروف عند أهل صنعاء وتواترت الأخبار هذا الوعد أنها وقعت في ظفير حجة قتلة كبيرة وقيل ثنتين لكن لم قد وقع مثلهن في سالف ما مضى إلا إذا هو في أيام صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام وتوجهوا حكماهم المدينتين العدنيات ذمار ويريم وصار للقاضي حسين بن محمد العمراني ويريم للقاضي أحمد بن أحسن الصديق الذي قبضوه سابقاً في ذمار وعزموا به إلى الإمام فما رجع إلا بقي إلا في صنعاء ، قيل وعزم لتلك النيابة والقاضي حسين عزم في آخر شعبان لحصر تركة الإمام الذي في القرية وغيرها ولكن إلى حال الرقم ما قد حصر إلا مال القرية والبروية والله أعلم هل يتم ذلك العمل أو يعزم في لنيابة في ذمار والعمل . وأخبرني من أثق بخبرهما أنهما رأيا ناراً أضرمت أمس العشي في نقم في قبلي

(١) استطاعوا .

(٢) العلامة أحمد بن محمد الكبسي السابق الذكر .

(٣) لأجل يفعلوا (يصنعوا) .

(٤) طلوع .

(٥) سلم (درج) .

الحصن الذي يريدوا الدولة يعمرها فيه وذلك ليلة ٢٩ شعبان . ورجع الظلم والمظالمة كما كان صار فرز العنب في الروضة شيء معلوم فلما أنجلا الفساد ودخلوا في الطاعة ووقع القبض للفرز صار مثليه فلما تمكن الأمر في شعبان صار عطفاً^(١) عليهم مثل ذلك أخبرني الثقة أنهم فرزوا عنده ربع قرش ووقت القبض غصبوه يسلم ربع قرش والآن الخطاب عليه في زيادة نصف ولم معه ما يقوم بذلك الفرز الأول وغيره بقدر ما معه من عشرين من عشرة وهم محوزين في صنعاء لم صح معهم من العنب ولا ببقشة واحدة وعلى هذا فقس .

ورابع شهر رمضان طلع خيال من عند الشيخ علي البليلي من السريتهخلص في الشرفة وبقي يشغل القبيلي الذي أمسى عنده فقتله وأخذ حصانه وسلاحه ولعله زبطي من بيت الضلعي . ووصلت أخبار للدولة مقلقة من الجهة العدنية فلما رأوا ذلك التربش أطلقوا جميع المحابيس الذين من الروضة والقرية وسرحوا طابور ومدفع جهة القبلة وطابور ومدفع جهة العدن وسخروا الجمال وعزموا إلى كل جهة / .

وهذا الوعد تحقق خبر قتلة وقعت في الظفير حق حجة كبيرة يوم الإثنين سلخ شعبان لم قد وقع مثلها وهن متتابعات^(٢) القتل لكن ما نذكر إلا المشهورات الذي لم قد وقع مثلهن في سابق الدهور الذي يصير فيهن من القتلى مئآت وأما قتلات الأحاد والأعشار فمن حين قام هذا الإمام وهلم جرا لا قد صار شهر^(٣) إلا وفيه عجائب وهذا القتلة صمموا الأتراك على هجوم الظفير ولو لم يبقى منهم باقية إذا قد أخذوه لأنه قد أتعبهم ولهم طارحين عليه ومحاصرين لمن فيه من العام الماضي كما ذكرناه آنفاً فهجموا^(٤) من جميع الجهات حتى اتصلوا بالدائر وقيل دخلوا بعضهم إلى المسجد ولم يسكن الحرب والقتل من صبح ذلك اليوم إلى الليل وراحت مئآت النفوس ووقع أسلاب كبيرة ولم أخذوه ورجعوا بالناقص . ويومنا عاشر رمضان وصلت عساكر من تهامة كبيرة نحو خمسة عشر مئة وقيل أقل وقيل أكثر بسلاحهم إلى صنعاء والوعد الأول رجعوا عساكر من عمران وحطوا في جربان همدان ولعلمهم يروموا^(٥) القدوم على قبيلة أرحب ولم هكموا^(٦) والسبب تشتت العساكر ومفاتيح الحرب في كل محل لأن جميع اليمن مفسدة في الباطن مطيعة في الظاهر ولكن قد المراكز كلها مقبوضة والعساكر الشاهانية فيها باقية والمخلص ما يبقع إلا في المراكز وحولها ما قرب

(١) ضعفاً .

(٢) أي أنهم كل يوم .

(٣) أي لم يمر شهر دون أن تحدث فيه العجائب . إلخ .

(٤) في الأصل فهجموا .

(٥) يروموا . يريدوا .

(٦) جرأوا سبق .

والمبعدين سالمين ومتأخرين ومتوقعين لما يؤول الخوض والمقدمي سيدي محمد^(١) بن عباس صاحب كوكبان قد مضى من أرحب وخولان ودعاهم للجهاد وفتح البلاد ولعلمهم تكاسلوا من الإجابة خشية من الدولة العثمانية وبالحال أنه احتمال^(٢) لهم عسكره وجوامك في كل شهر ولم يسعدوه وصار الآن في الحداء في بني فلاح ولا زال يكاتب أهل ذمار بالفتح له ولمن معه من الأجناد الإمامية ومرامه لقبض ذمار وبلادها كون قد عبد الله مثنى نجيم صاحب يريم مذ حل ببلاد يريم لأنها في قوله وهو صالح إلى جناب الإمام ومكاتب ، ولم زد أمكنه مواجهة الدولة بل قد عاهد نفسه بعدم المواجهة لهم وعدم دخوله يريم ما داموا فيها والذي في آنس ارتفعوا جميع إلى معبر والذي عزموا من صنعاء في معبر باقيين ووعلان وكل أحد مترقب للآخر والله يحق الحق بحوله وطوله .

وفي نصف رمضان رجع الشيخ علي باشا البليلى من السرو بقي يومين وردوه يتخلص ويمضي يتخلص خولان يجي طريقه من رأس حق خولان وفي ذههم هو من هنالك / والذي في سوق الربوع تحت حصن الظبيتين كذلك ويغشوه من فوقهم ومن تحتهم حيث قد رأوهم مفشولين منهم وقد واجهوهم بالطاعة ونجح عليهم البرط^(٣) والهرج فلما رأوا المدافع الكرخانية والعساكر الشاهانية تخربت عليهم النية الذي قد كان أظهروها للإمام وفي خلال ذلك وصل المقدمي حق الإمام سيدي محمد عباس صاحب كوكبان إلى بلاد خبان بسبب الشيخ عبد الله مثنى نجيم المذكور وأخذ حصن كحلان في تلك الجهة وخرجوا عليه الأتراك الذي في يريم ولكنهم نحو ست مئة فلم يؤثر بل أنهم ما قدروا على من في الحصن ولا اتصلوا به لقتهم عساكر المقدمي إلى قرية قرعد ووصل ابن أحمد صلاح شيخ بلاد خبان مغور^(٤) إلى صنعاء ليلة عشرين رمضان لأنه رأس الفساد بسبب ظلمه لجميع الرعية طول مدة هذه الدولة من ابتداء التشكيل ولا انتبهوا الدولة وصاروا الرعية يشتكوا به على كل قائم مقام في يريم ويصال يسلم لقائم مقام نحو مئة قرش ويحبسهم له ويسلموا لابن أحمد صلاح قوله معشور ما هو عليهم حتى طلوعوا منهم جماعة يشتكوا إلى صنعاء في مدة إسماعيل باشا وغرموا غرامة كبيرة في عشا^(٥) ورشا فجلبوا غريمهم ابن أحمد صلاح تنزيلة لما أخذوه منهم رشوة وردوهم إلى القضاء عند قائم مقام وسلم ابن أحمد صلاح في صنعاء بغلة فرانصي في

(١) بياض .

(٢) تحمل .

(٣) التشديق بالكلام ونحوه .

(٤) مغير .

(٥) هدايا ورشوات .

ضبطهم وضبطوهم مزنجرين^(١) تجاه^(٢) حصانه وعزم بهم بين يديه إلى يريم وحبسهم نحو ستة أشهر أخبرني بهذا حاكم يريم فذلك سبب الفساد حقهم هذا خبرهم .

وبعد رجوع تلك الست المية المتقدمة على كحلان ووصول ابن أحمد صلاح وجهوا معه نحو طابورين من صنعاء يوم عشرين رمضان وقد كتبوا إلى إسماعيل باشا الذي في تعز يطلع بمن معه من العساكر إلى كحلان والله أعلم ما يصح ، وبعد هذا اليوم حبسوا الحاج علي المحفدي ومحمد العنسي وطلبوا فلوس وهدوهم بالطلابات وغيرها مما لا يذكر ووقع منهم دراهم .

وليلة الجمعة ليلة خامس وعشرين رمضان وقعت آية عظيمة سماوية ظهر نجم من السماء تسبيحة الثانية^(٣) له نور عظيم وذنب عظيم فيه حمرة وخضرة وأضاءت له الأرض حتى غلب نوره نور القمر وخر إلى جهة غرب بعدن جهة حدة وبعد أن غرب وغاب نوره قرح قارح عظيم واستطال كالرعد القاصف المخوف جهة القبلة نسأل الله اللطف حتى ظن السامعين أنها تعاشير بنادق خلق كثير حتى صارت تلك القوارح المخوفة جهة القبلة وفزعوا لها خلق كثير وسمعوها ورأوها في جميع الحوازيات التي حول صنعاء فتلك آيات من الله .

وهذا الوعد وصل خبر موت عبد الله بن أحمد الضلعي باشا في عكة كمدا وخلف بنحو مئة ألف من كل شيء ومات فقيراً غريباً ولم قد أحد صنع لهذه الدولة مثله استفتح لهم القبلة مراراً وأخرب مدن مثل الظفير سابقاً والسورة وثم أئمة حق ووقف بعمله / .

وقبل^(٤) هذه الآية بنحو ثلاث وقع حريق في بندر الحديد في داخل البندر حتى حرقت بيوت كثير وخانات ومقاهي^(٥) ومخازين وذهبت أموال عظيمة بما لا يحصى وتلك عبرة لأولي الأبصار والتي قبلها آية لأولي الألباب الله سبحانه يلفظ بما فيما قضاه علينا ، وتوجهت عساكر أخرى ومقدمي من صنعاء ومدافع والذي كانوا في الروضة عزموا الجميع إلى بلاد أرحب وما وسع قبيلة أرحب إلا المواجهة بالسمع والطاعة للدولة خشية من صوت

(١) أي مقيدين بالزنجير وهو سلسلة حديد يقيد بها .

(٢) أمام .

(٣) يقول شيخنا العلامة الحسين بن أحمد السياغي في تعاليقه على صفحات مجهولة « جرى العرف في صنعاء بثلاث تسبيحات ثلث الليل الأولى أول الثلث الأخير والثانية بعده بنحو ساعة أو أكثر والثالثة قبيل أذان الفجر بثلاث ساعة للتأهب لصلاة الفجر » (أنظر صفحات مجهولة ص ٣٧) .

(٤) عطف على ما قبل هذا الخبر لأن المؤلف استدرك خبر موت الضلعي فيما بعد بدليل اختلاف نوع القلم الذي كتب به الخبرين فالأول كبير والآخر بخط دقيق .

(٥) جمع مقهاية : مقهى .

إم نفير^(١) لأن أرحب بعد وقعة أخذ العذري في ابتداء الدولة العثمانية في أيام أول باشا وهو أحمد مختار لما أخذ بيت العذري بغتة بعد أن سمع وسمعنا أنهم كان يهملوا^(٢) بالغزو على الأتراك إلى صنعاء بعد وصولهم بثمان عشرة أيام فهجم عليهم إلى محلهم ليلاً فلم يشعروا إلا بالمدافع والنفير والعيير فبقوا أيام كما نوق عبر قالوا هذا نفير وبعد صاروا من جملة الرعايا وسلموا ما عليهم وما رجع هذا المقدمي من عندهم إلا وقد سلموا ما طلب حتى طلب رهائن ووصل بهم رابع عيد الفطر سنة ٩ وبقوهم في سمسة سوق النحاس وبعد نقلوهم إلى بيت سيدي أحمد ابن قاسم حميد الدين الذي في داود كونه باقي عند الإمام ولولا صادف قلّ الماء في أرحب لبقى المطرح عندهم قرار حتى يسلكوا مسلك الرعايا والله أعلم بما هو يصلح العباد فأول ما كسروا عد العرب أرحب وأول من اكتسر صاحب أرحب فأتوه إلى بيته وهو لا يشاء .

وأما حصن كحلان فباقي مع العرب وقد تشتت العرب في تلك الجهات إلى السدة وإلى العذارب وإلى محل الأشول . ولكن ما اعترضوا الطرق أبداً والمسافرين بيطلعوا وينزلوا حسب عادتهم كون ما فيهم القبيلتين خوقان وأرحب فما وقع النهب والسلم في الطرقات في الحوازيات فيما مضى في الحوزة إلا من هذه القبيلتين وما وقع التخليص والمطرح إلا عليهم بذنوبهم ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، وكذلك في الظفير تتابعث القتلات كما في حصن كحلان سيما في خواتم رمضان وغرة شوال والله عاقبة الأمور وتعقب في العيد قتلتين في الحصنين المذكورين وثم في كحلان أخرى أوجبت الخروج من صنعاء غارة نحو طابورين يوم نصف شوال .

وتلك الليلة الماضية وقع كسوف في القمر واستطال من ساعة خمس ونصف في الليل إلى أن مضت تسع ساعات وبید الله جميع الحالات .

ويوم ثالث عشر خرجت كسوة جيخان حمر من الدولة لعقال أرحب .

ويوم ثاني وصل مرزاح آغا والشيخ الجمالي علي بليلي باشا من خولان وصلة كبيرة ولقيوهم من صنعاء الأتراك والمزينة يعني المزامير المعروفة وخرجت جميع الخيالة للملقى ووصل وصلة عظيمة ما قد وقع مثلها لعربي في صنعاء ووصلوا معهم نحو ثمانية أنفار عقال من خولان ورهائن نحو خمسة عشر رهينة وحول لهم الوالي بمئة ريال عشاهم وقد صارت

(١) كتبها هكذا على قاعدة بعض أهل اليمن في إستبدال أداة التعريف بأم اليمنية وهي عربية يمنية عرفت عند أهل اللغة بالطمطمانية لا تزال شائعة بين سائر قبائل اليمن شماله وجنوبه (يعني هنا النفير) .

(٢) ينوا .

الجمالة^(١) عند الدولة للجمالي بأنه أكبر مصلح في اليمن ولما قد لاقى في هذه المدة وألزمه أيضاً بالعزم مع الغارة المذكورة الذي عزموا حصن كحلان في بلاد خبان فوق منه الترجي لمهلة يومين كون عاده وصل ومراده يبسر أهله فقبل منه المشير الترجي وأمهله يومين لا غير ، وعزمت يومنا الطابورين وهو عقييهم بعد غد وصارت عساكر أخره عزمت قبلي طريق عمران في ليلتنا والله عاقبة الأمور . ولا زالوا الدولة يرأسوا العساكر جيلاً بعد جيل إلى مدينة عمران وكذلك الزانة من الباروت والرصاص وجميع المحتاجات ويرأسوا إلى أسطنبول باستعجالات لجميع المحتاجات ويكتبوا أن اليمن باقي على الفساد وهم يرسلوا بكل ما طلبوه حتى العساكر تكرر خروجهم حتى أن الذي قد في اليمن من حين خرج الباشا أحمد فيضي في أول سنة ١٣٠٩ نحو ثمانين طابور إلا إنهم قد تنهولوا^(٢) من الطاعون والأسر والقتل قدر الربع .

ويوم السبت ٢٤ شوال ١٣٠٩ هـ عزم الباشا بنفسه ومن بقي من العساكر الشاهانية غير ما لا بد منه لحفظ المركز الكبير صنعاء اليمن وتوجه إلى عمران قاصداً للإمام إلى محله في بلاد حاشد في قفلة عذر وعزم من صنعاء في ذلك اليوم الشيخ علي باشا بليلي إلى جهة العدن مفوضاً من الباشا أحمد فيضي في جميع القطر اليمني لإصلاحات تلك الجهات وقبض الحقوق لا سيما وقد أصلح بلاد خولان وأدخلهم صنعاء حين دخل .

نعم وأما خبر حصن كحلان بلاد يريم الذي قبضه سيدي محمد بن حسين ابن عباس شريف كوكبان مقدمي الإمام فإنه بقي فيه إلى نصف شوال وفلته^(٣) وخرج هو ومن كان لديه جميع والسبب أنها تكاثرت غواثر أصحاب الدولة بإرسال العساكر الشاهانية إلى ذلك المحل نحو سبعة طوابير وحاصروا الحصن حصاراً شديداً وأحاطوا به من كل جهة كإحاطة العصابة بالرأس حتى قلت عليهم المحتاجات من كل شيء ولم أمكن أحد يأتيهم بشيء وإلا فالبلاد حولهم جميع مواجهة لهم بالطاعة وعقيدهم^(٤) عبد الله مثني نجيم أكبر المحبين والمتشيعين في الإمام ولكن حال بينهم الموج وهي العساكر السلطانية فأصلحوا نفوسهم من كبير العساكر الباشا مصطفى نافذ^(٥) بعد أن أعرض الصلح على المشير الباشا أحمد فيضي لأن قاعدة الأتراك جميع لا يفعل أحد شيء إلا بأمر من فوقه فوق الصلح المرضي بشيء من النقد معلوم بينهم اختلفوا فيه المختبرين حتى أنهم زد أعطوهم جمال يشتدوا ما معهم في

(١) حسن الصنيع .

(٢) تناقصوا .

(٣) تركه .

(٤) أي مقدمهم «عقيد» .

(٥) كلمة غير واضحة أصلحناها من كتاب أئمة اليمن ج ١ ص ٨٣ .

الحصن جميع من ذخيرة وغيرها وخرجوا بالزامل وهو المغرب^(١) ومرافعهم تضرب بين أيديهم فما كان^(٢) من بعض العرب فرحلوا محلاتهم وما كان من المخلصين فعزموا صحبة أميرهم سيدي محمد بن عباس إلى جهة أخرى في اليمن وقبضوا حصناً آخر.

وأما خبر المشير الذي عزم صنعاء إلى جهة القبلة فوصل عمران ونهض إلى ريدة يريد المضي إلى خَمِرٍ وكتب لأهل تلك الجهات يلقوه فلقيه النزر اليسير وقليل من حاشد الذي يريدوا حطام الدنيا وهم الخارجين يقال لهم البيضان المحاددين عيال سريح وقيل أن قد وقعت بينهما قتلة في حدود حمدة^(٣) وريدة والله أعلم ولكن يؤيد^(٤) هذا الخبر أن أصبح الخميس عظم السخري في صنعاء حتى البهائم حق جميع العرب من المدينة والحواز القشامين والمتاربة^(٥) وتلك الليلة وقعت مناير في الجبال وفي أرحب وفي نقم وبالحال أن ثم عساكر سلطانية في نقم في المنظر محل معروف والمنارة في الحصن فوق المنظر قيل أنها إمارات بين القبائل وسخروا البهائم حق القشامين وجميع الداخلات صنعاء بالبرقوق^(٦) وحق أهل الوادي وكان يطرحوا حمائلهن في البر ويدخلوها بأجرة وأكثر ما كان يخرجوا لها الجمال حق المعاصر^(٧) من صنعاء ويرجعوهن وصارت ثلاثة أيام حسوماً على أهل الحواز وكان الزبطية يقبض أحدهم حمائر القبيلي ويقبض منه رشوة ويفلته ويلتقيه زبطي آخر يقبضه وبعد صاحوا للناس بالأمان الصبح فلما أمِنوا وظهرت البهائم قبضوها ظهر ذلك اليوم الذي أمِنوا الناس فيه وهذه البهائم والبغال المسخورة أرادوا يحملوا عليها الأمراض والمكاوين الذي في استخانة لأن قد كثروا ويشدوا عليها ناس آخرين الذي سيدخلوا عند السلطان^(٨) يقعون كتاب وأفندوهم^(٩) الذي تعلّموا القراية في الرشدية^(١٠) وقد أكملوا تعليمهم ويريد رفع درجاتهم وهم نحو أربعين نفر أكثرهم عرب منهم السيد محمد بن عبد الكريم الكوكباني [ابن] الذي كان مدير بلاد البستان وقتل في البروية أول الحوزة .

وفي ذلك الأسبوع وصل عسكر من عمران قدر ستين سبعين نفر فلما وصلوا إلى حول

(١) حذاء ونشيد .

(٢) فأما ما كان .

(٣) قرية أنظرها في ملحق الكتاب .

(٤) بود .

(٥) الذين يأتون بالتراب للبناء .

(٦) هو المشمش .

(٧) جمع معصرة وهي التي يعصر بها السمسم ويستخرج منه زيت .

(٨) أي الاستانة للدراسة .

(٩) أي أفندية .

(١٠) كأنها مدرسة كبيرة في تركيا .

الأزرقين قاموا لهم ناس ما أحد يدري من هم وفعلوا في كل واحد فعلين وسلبوهم البنادق والسيفين وما وصلوا إلا مسلوبين .

وفي نصف شهر القعدة وقع القدوم من العساكر السلطانية على قبيلة بني عبد ما بين السودا وعمران وهي قبيلة يسيرة نحو خمس ستة مئة نفر قدموا من المطرح حقهم وهو المسمى باللومي . فاحتربوا طول ذلك اليوم وما فرق بينهم إلا الليل فلما أصبح الفجر قدموا بجميع المدافع على تلك القرى وأهلها سكتوا فيها ولم يظهر منهم أحد فرموا إلى نصف الصبح فلم يسمعوا فيها لاغية فهجموا إلى ذلك المحل فلما دخلوه ظهّر أهله وخرجوا اقتتلوا وسط القرية قتلة ما قد وقع مثلها لا في الجردا ولا غيرها حتى سالت الدماء كالماء طعن من اليد كل أحد منهم ذكر الجد حتى لم يتبين القتلى بالعد وتركوا تلك القرى وهربوا ودخلتها بقية الأتراك فلما رأوا ما صار في أصحابهم من الهلاك أحرقوا تلك القرى بالنار ورجعوا إلى مطرحهم اللومي ولكن قامت همة القبائل للقتال لما رأوا فعل تلك الرجال في ذلك القتال ودخلت المكاوين إلى عمران الليل كالسيل وسكن القتال نحو ثمان من هول تلك الواقعة التي تذكر إلى آخر الزمان / ولم قد وقعت قتلة مثلها يصير فيها الجم الغفير إلا في الظفير فرجال الظفير مشهورة وعند الله مشكورة بالقتلات المذكورة وحفظ مركزهم هذه المدة اليوم سنة فما هي إلا حسن نياتهم وصلاح طوياتهم ولم يخونوا الله حتى يخونهم ولم يتعدوا محظور حتى يسلط عليهم. عدوهم بل صابرين والله محتسبين وقد نزلت لهم من الله آية وعبرة كما كان ينزل في الصحابة قرآن وهو أنه قلّ عليهم الماء في المحل ونَجِحَ^(١) ما في البرك فحارت عقولهم وكتبوا إلى الإمام فعرفهم بالصبر وأن لا يضيع عمل عامل ولا بد ما يحدث الله لهم ما يحتاجوا فتراكمت عليهم سحب الغمام ومطروا خاصة من بين الأنام حتى ملئت بركهم في تلك الأيام وأكثر الأرض يابسة لا نزل فيها قطرة سيما من بأزائهم فأى عبرة مثل هذه وأين من له نية مثل نية هؤلاء المجاهدين المخلصين ورئيسهم مبخوت الأحمر القاهر لبني الأصفر^(٢) .

وبعد وقعة اللومي وبني عبد عزم المشير بجميع الأجناد السلطانية والمدافع الكرخانية إلى محل يقال له السنتين وهو ما بين حصن الغولة وبين خمر وهو أول قرية في حاشد مما يلي خَمِرْ وبعد عزم بتلك العساكر والمدافع إلى خمر ودخلها وقد أجلوا عنها أهلها جميع وأما ما يحدث فلا بد إن شاء الله نذكره .

وأحوال اليمن الأسفل مرتبشة لم صلحت بل القتال باقي وقد وصلت ممن هو متولي

(١) نفذ .

(٢) الأتراك .

فيه كتب يقال لها عندهم بسطات يريدوا عساكر من صنعاء وأرسلوا بالبسطة إلى الوالي إلى خمر وهو يريد مثلهم زيادة وقد عنده وفي جهته في المراتب الذي رتب نحو عشرة ألف نفر وهل من مزيد .

ويوم الجمعة إجتمعوا الأتراك الذين في صنعاء وحتى الذين في نغم نزلوا لذلك المجمع إلى العرضي وخرجوا الكبارات من العرب والعجم والعلماء ورؤسهم سيدي أحمد بن محمد الكبسي وقرأوا لهم كتاب من السلطان واختلفت فيه الأخبار بين العرب والعجم فشاعت أخبار العجم بأنه يقري العساكر السلام ويبشرهم بأن فسحهم^(١) قريب وأنه سيرسل بعساكر آخره فلقطين أو أكثر لأن العساكر هذه الذي في اليمن خرجوا مع الباشا أحمد فيضي يسموا رديف يعني ليسوا بنظام وقد تعسكروا سابقاً في النظام ولكنهم مستعارين مدة يسيرة استعان بهم السلطان يصلحوا اليمن ويرجعوا عاجلاً مدة شهرين ثلاثة واليوم لهم نحو تسعة أشهر فإذا صح الخبر فما هي إلا تسلية لهم وإن كان الخبر غيره فلا بد من ظهوره وقد تتابعت بعدهم عساكر أخرى وكلما يرسلوا بعساكر يطلبوا وصول هذا الرديف وقد استغرقهم^(٢) اليمن والسبب في صلاباتهم^(٣) أن الباشا بعد وصوله صنعاء ودخولها عنوة وتشريده لمن كان محاصراً لها كتب إلى السلطنة أن اليمن قد صلح جميع يريد بذلك رفع درجته في السلطنة وعلو مرتبته لما وعدوه من المشيرية إذا أصلح اليمن فإنه يكون فيها مشيراً ويرفعوا أحسن أديب باشا فوقهم ذلك كما ذكرناه هنالك ولكن لعل النية الباطنية غير صالحة في الناس فتربشت الأحوال وقل الرأي والإحتيال وكان ما ذكر (كلما شبره^(٤) قصر) الله يصلحنا ويصلح لنا بحوله وطوله آمين / .

وحال الرقم وله في خمر خمسة وعشرين يوماً ولم أمكن القدوم على الإمام حسبما خرج له ولكن مخاشره^(٥) ومراشاه^(٦) .

ويوم الإثنين تاسع عشر القعدة وصلت المدافع الذي لها أربعة أشهر يوصلوها وصارت أشد على الرعايا من جميع المطالب لأنهم كلفوهم بجرها من دون عجيل بل على صُرف في القاع فصعب عليهم جرها وما قصدتهم بذلك إلا تعذيب القبائل ولزيادة الإرهاب لأن ما كان تسير في اليوم إلا نحو ميل بمشقة كبيرة فلما وصلت بوعان أرسلوا لبلاد البستان يجروها فأبوا

(١) سماحهم عن الخدمة في اليمن .

(٢) استغرق الشيء صرفه أو أفناه .

(٣) كذا ولعله طلاباتهم .

(٤) قاسه باليد وهذا المثل أنظره في الأمثال اليمنية ٨٧٧/٢ .

(٥) مخاذلة ويقال خشر العصابة فك رباطها .

(٦) راشاه ترجاه وتوسل إليه .

أن يجروها على تلك الأصراف وكادت الفتنة تثور بين الأتراك والبستان فأطلعوها على العجيل فما باتوا بها إلا مند .

ويوم ثاني وصلت صنعاء أذان الظهر بزجلة^(١) كبيرة وخرجوا لقيوها بالمدافع السابقة والعساكر الذي في صنعاء والمتولين للأمر بعد الباشا أحمد فيضي وطلعوا جميع الناس ينظروها ودخلوا بها من بئر العزب والنهرين والفليحي والقصر وطلع السيد العلامة أحمد بن محمد الكبسي يهنيهم بذلك ويسرد لهم فيها أدلة قرآنية وأحاديث نبوية فأول ما نطق به بعد أن مدّ كفه نحو السماء قال الله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾^(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : « ألا أن القوة الرمي » ثلاثاً^(٣) وبعد رجع يدعو لسلطان الإسلام بالتأييد والنصر على الطغام وتنفيذ شريعة الإسلام وبالقيام على الكتاب والسنة وبعد ثلثاً بالدعا لوزرائه وعماله وحكامه ورجع ثلث بالدعاء له خاصة وختم بالفاتحة وجميع الحاضرين من العرب والعجم يأمّنوا على دعائه وعقروا رأسين غنم تحت كل مدفع رأساً لعلها من رئيس البلدية يعني عامل صنعاء محمد بليلى أفندي لأنه كان يدور حولها حال الذبح والجزارين يكلموه ويكلمهم وأدخلوها القصر وصفتهن صفر في سعة بطونهن لعلهن أوسع من الأولات قليل بنحو زيادة رطل في الرصاصة ولكنهن أجسّر^(٤) سيما من أوساطهن إلى جهة الخزانة والعين فإنهن أجسّر جداً مثني مثلوث .

وأما البغمة^(٥) والمعنقة^(٦) وجهة فمه فما فيها زيادة إلا يسير والله يفك عنا كل عسير ولا زالت الشحنا بين البوش الكبار كايّة أعظمها بين المشير أحمد فيضي باشا وبين كبير العساكر الذي خرجوا معه المسمايين بالرديف فإنه كل حين يطلب الرجوع بهم إسطنبول لأنهم مستعين بهم مدة يسيرة نحو شهرين ثلاثة واليوم لهم نحو سنة والباشا أحمد فيضي يريد بقاهم حتى يصلح اليمن ومن ها هنا صارت الشحنا وكل ساع يزعل^(٧) ويغضب ويخرج السيد أحمد الكبسي يعظه ويعظ العساكر ويصبرهم ويوعدهم بالرجوع وبالسلامة والشهادة لمن مات في القيامة حتى أنه خرج لذلك مرتين يوم جمعيتين ثامن شهرنا بعد الصلاة وخامس عشر شهرنا الصبح والله سبحانه يحق الحق .

(١) بضجيج .

(٢) سورة الأنفال الآية ٦١ .

(٣) أنظر الحديث في صحيح مسلم ١٦١/٢ عن عقبة بن عامر مرفوعاً .

(٤) أصلب .

(٥) فتحة المدفع رأسه .

(٦) عنق المدفع .

(٧) يذهب حائناً وأصله الملل والغيظ (أنظر المعجم) .

وحول نصف شهرنا القعدة وقعت قتلتين قرت فيها كل عين الأولة في الظفير أمر المشير العساكر الذي في حجة بالهجوم على الظفير ولا يرجعوا ولا يتأسوا من كثر القتلى لو يريحو النصف بل يدخلوها عنوة ولو بفلوس أو في سهوة^(١) لأن اليوم لهم سنة ما قدروا وهذا عيب عند السلطان وعند العرب وأنه قد خرج / من صنعاء إلى بلاد حاشد من أجل أنه يشغل العرب بقدمه أعانة لمن في حجة يأخذوا الظفير والله على كل شيء قدير فقدموا بأجمعهم صغيراً وكبيراً صحيحاً وسقيماً فوق الدخول من بعض الشرط نحو ميتين والذي داخل جمود كأنهم غائبين أو رقود وقيل أنها بيعة من بعض العرب وخديعة وقاموا قومة رجل واحد صحح نيته أنه لله مجاهد فبعضهم اعتنى بمن دخل وبعضهم بمن خارج وذهب الداخل ونحوه من الخارج ورجع من بقي القهقرا وحمد القوم السرى يعني الداخلين .

والقتلة الأخرى عند الباشا في بني صريم حاشد فإنهم نزلوا من خمر يريدوا جهة الإمام فقبل أنهم اقتتلوا حال القدوم وقيل أنهم غزوهم العرب الليل بالهجوم ولكنها أكبر من أختها بزيادة الثلث ووصلت الروس جميع إلى عند الإمام .

وبني عبد في ذلك الوعد أخذوا حملوة من عمران طلعت جهة خمر فالتقوها إلى ما بين الغولة وخمر وأخذوها قيل عفش الوالي وقيل زانه وقيل فلوس ومعها قليل شعير حسيك لأن كل ما كان يحتاجوا من خمر منساق من عمران وأما أنهم يجدوا محتاجاتهم في خمر فلا وما يمكن يمضوا من عمران إلى خمر . ولا من خمر إلى عمران إلا إذا ثم وهو طابور أو نصف وأما المئة فما دون فيما يتصور يكون لو متسلحين لأن بني عبد حائلين بين المحليين .

وليلة الجمعة ليلة ثاني وعشرين القعدة وقعت منارتين في نغم وفي الجانب الغربي قيل أنها قد هيه إمارات بين العرب في القتل والنصر وبلوغ المآرب .

وفي آخر شهر القعدة خرجوا العرب بفلوس كبيرة أظهروا للأتراك أنهم سيبعوا ويخدعوا الإمام للأروام^(٢) فصدقوهم وسلموا ما شرطوا لهم من المال ولعل أنهم تحيلوا في أخذ ما أخذوه من النقد وإلا فقد هو برضاء الإمام رأى في ذلك مصلحة ، وقيل أن الأتراك من شدة الفرح وعدم ما يأول إليه الأمر من الترح زد أعطوا العرب قراش يشدوا أدوانهم وأثقالهم وسلم الله ونزلوا أصحاب الإمام عند الإمام وأصحاب الباشا الأتراك عند الباشا ، وتزاحم وتضايق الأمر فيما بينهما من خمر وما إليها من تلك الجهات إلى أن وصلوا الأتراك إلى قفلة عذر محل الإمام والإمام صادف تلك الليلة في محل آخر ولم يتصلوا بمرادهم ولا

(١) سهو غفلة .

(٢) خ للأورام .

بلغوا آمالهم واشتد القتال وكثرت الأخبار بالقليل والقال وتزاحم الفريقان والتقى الجمعان والتقت الساق بالساق وضاق الخناق وغار الإمام من حيث ما كان لأنه كان يدور في جميع مطارحه ويبيت كل يوم أو يومين في محل خشية من غدر العرب والعجم وحفظه الله .

وفي سابع شهر الحجة وصل خبر الشيخ علي باشا بليلي أنه قتل في بلاد أنس قتلوه ذو محمد الذي عزموا من لدى الإمام إلى جهة العدن ومقدميهم قيل سيدي محمد بن حسين عباس وقيل سيدي أحمد بن يحيى وقعت طريقهم من وسط جهران حتى وصلوا الجمعة سوق معروف لأهل أنس وعلي بليلي باشا قد كان رجع من بلاد الشعر وبلاد خبان بعد أن أصلحهما وأخذ رهائنها / وأدخلهم معه إلى ذمار فلما وصل ذمار علم بمسراح بكيل ودخلهم أنس فبنى من نفسه حيث قد سبرت^(١) له أنه سيفزيهم ليلاً ويأخذهم عنوة وتمدح بذلك يومه وأمه وما علم أنه يكون في رمسه فصاحبهم واهترى وشهر نفسه ، فلما علموا أنه هو تهافتوا عليه تهافت السباع ورموه وأخذ سلبه بمقدار ألف ريال ورأسه وأرسلوه إلى الإمام^(٢) .

وأما خبر الباشا أحمد فيضي فإنه لما وصل إلى محل الإمام ولم يبلغ المرام خرب ذلك المحل ورجع على الفور إلى وادعة محل بين خمر وقفلة عذر ولكنه كثر على الباشا الغرام في هذا المخرج لأنه ما دخل بلاد حاشد عنوة ولكن بالكساء لهم والرشوة حتى أنه اشترى عِشْوَب^(٣) من صنعاء والجيجان الحمر وحاشد تراخوا في حق الإمام طلباً للحطام وإلا فلو كانوا قاتلوا ما وصل إلى ذلك المحل ولكن الله يفعل ما يشاء ويرى عباده آياته فلو كانت الغلبة لهم لكانت على الإمام الشوكة لهم كما سبق فيمن كان حول صنعاء حيث علم الله ضعف نياتهم وأنهم خاسرين في تجارتهم خيب آمالهم لأجل لا تكون الشوكة لهم وما بقي إلا الله سبحانه تولى الأمور وأرى الإمام ما في الصدور وحفظه بعد أن خلا بينهم ليريهم سوء أعمالهم .

ويوم عيد الأضحى أضربت العجم عن الأهبة والحزبة صفحاً ولم قد وقع مثل هذا اليوم حزناً عندهم قطعاً منذ عشرين سنة في صنعاء وما صلوا العيد إلا القليل فرادي من دون حزبة ولا دعاء ولا معاش ولا شروا أعياداً^(٤) ، ووقعت القتلة الكبيرة في بلاد حاشد بين العرب والعجم في أيام التشريق والتقى الجمعان وفرّ الجبان وتصادمت الشجعان والتقت

(١) صلحت .

(٢) أنظر خبر مقتل علي باشا بليلي في أئمة اليمن ج ١ ق ٢ ص ٨٤ وكان قتله في ٦ شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٩ .

(٣) جمع عسيب سبق شرحه .

(٤) أضاحي .

الساق بالساق وقال كل أحد منهم أين المفر والفراق وأجاد أهل الحواز من أزال وما إليها بالمال والرجال واشتهروا جميع وأصدقوا الوضع في القتال وتزاحمت بعض قبائل حاشد الذي أخذوا من العجم المال وتلاحقت الأتراك من كل جهة والذي كانوا محاصرين لحصن الظفير أقبلوا إلى عند الباشا أحمد فيضي وكثرت المدافع عندهم والله الدافع لهم قيل نحو عشرين مدفع ورمائتهم من البنادق أسرع لأنهن جميع ينفثن من أسفلهن وكل جبان من تلك المضارب فر وكل بطل وشجاع بما هنالك ألقى عصاه وقر وما أفضل أحد من الفريقين على أحد في الضرب والطعن في عمل الدنيا فهم عندي على السواء وما الفضل عندي إلا لمن يريد الله ورسوله والدار الآخرة فإن تنظر إلى الأتراك فله درهم بامثالهم لإمراثهم وبذل نفوسهم في سلامتهم وسلامة ما في أيديهم من السلاح والخزائن والعد والعديد فلو تراخوا فواق ناقة لذهب ما بأيديهم وذهبوا عن آخرهم وإن نظرت إلى العرب فله درهم فلو تراخوا فواق ناقة لذهبوا شذراً مذراً وصارت تلك البلاد هدرًا وما يقفوا إلا وقد وصلوا تلك البلاد بصعدة والحجاز فهنيئاً لمن شاهد تلك المعارك وهو يطلب رضى المالك مشتاقاً إلى رضوان الجنان فاراً من نار خازنها مالك ، وإني أظنها أشد من أيام صيفين معظم أيام صيفين كثرة الرجال ، وهذه أيام ما سكن فيها قارح البنادق ولا المدافع ساعة واحدة وهؤلئك^(١) السابقين لا مدفع ولا بندق فهنيئاً لمن صلحت نيته وخلصت سريره وطابت علانيته حياً أو ميتاً والحمد لله على ما قضاه ربنا بين الفريقين وأمضاه / .

ويوم السبت رابع عشر الحجة وصلوا أتراك من آنس ومعهم مكاوين منهم كثير .

ويوم الإثنين سادس عشر الحجة وصلوا من عمران كذلك عساكر وصحبته مكاوين منهم وأمراض ومدافع وعجيل مكسرة ويهود مع البهائم المسخورة من عمران الذي ركبوها أهل المرض والأكوان^(٢) .

وليلة سبعة عشر عزموا بطابور عسكر ورئيسهم إلى بلاد آنس لأنه صار الآن الفساد والقبائل العرب فيها ورئيسهم سيدي محمد بن حسين عباس صاحب كوكبان وقد كان أخبروا بجبل عانز أخذوه وهو جبل عظيم متوسط بين حراز وآنس والحيمة هو منها ولعل قد أخذوا حمولة طالعة من تهامة كبيرة وصار كل قائم مقام يعذب من في تحت أمره بأنواع العذاب حتى أن بعض مشايخ الحيمة أخذوا أقباعهم ولبسهم كوافي حمر وربطهم في مداود^(٣) الحمير وحط لهم علف من طعام الحمير وما سلم من ذلك إلا الشقاقي وآخر معه وفي بلاد

(١) كذا في الأصل

(٢) جمع كون الجراح من الرصاص .

(٣) جمع ملود وهو كالإصطبل للخيول .

المغرب كذلك حمدي قائم مقام يفعل أشد من ذلك بالرعايا .

ويوم تاسع عشر وصل الباشا لإسلام ومعه طابور من بلاد القبلة من عند الباشا أحمد فيضي ومعه طابور عسكر ومكاوين وأمراض ولعل قد كف حرب بلاد القبلة ورجع الباشا الكبير ولكن لم قد وصل بل صار يترحل في الطريق ويأخذ رهائن من القبائل ويتربق الفرصة للمشار والله سبحانه له قد أجاز وفي هذه المدة رجعوا العسكر الشاهانية وكبيرهم مصطفى^(١) نافذ باشا الذي كانوا مع الشيخ علي بليلى باشا من جمعة^(٢) آنس إلى قرية أحلال قرية بيت الحلالى الهجرة وطلبوا منهم الفتح للعسكر والإقامة فأبوا فاحتربوا هم وهم وأرسلوا للزيادة من صنعاء ومدفع كبير فعزموا وأتوها من جهتين وأخذوها عنوة بعدما احتربوا وراح قتلى من الجهتين وأخذوا ما فيها وهي الرابعة قرية هلكت في آنس في هذه السنة سنة ١٣٠٩ هي وكبة ومحل المقداد .

ويوم الربوع خرجوا جميع الأتراك والمدافع للحزبة وللإرهاب فعلوا تمشية إلى جهة الروضة ورجعوا ونزلوا من السوق .

ويوم الخميس تفرقوا ناس عزموا آنس وناس عمران وناس الروضة وحدة لأمر في قلوبهم .

وهذه السنة وقع موسم في الحج عظيم وعافية كثير ولا مرض ولا عرض ولا كرتنة لا في بر ولا في بحر مع حصول العافية ولا قد وقع موسم مثله وصلوا الحجاج صنعاء في آخر شهر الحجة وقد زاروا بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقعت لهم الزيارة قبل الحج وحاصله أنهم غابوا شهرين ونصف ولا قد وقع مثله منذ إحدى وعشرين سنة فالحمد لله رب العالمين على هذه التيسيرات .

ويوم الجمعة وصل من عمران بعض العساكر الشاهانية ومدفعين كرخانية وصحبهم اثنا عشر نفر من ذو حسين وعاكلهم معهم حسين بن يحيى الشايف مضبوطين تحت الحفظ عشرة مزنجرين وعاكلهم المذكور وولده مقيد / في أيديهم بصرف^(٣) على قانون الأتراك وسبب ذلك أنهم كانوا في بلادهم من قبل الحوزة فلما رأوا تفاقم الأمور ولوائح الفساد من الجمهور اقتسحوا بعضهم وبعضهم هربوا في بدء الحوزة بسلاحهم حق الدولة فلما انجلت الحوزة ودخل المشير إلى بلاد حاشد وبقي فيها وعمر في وسطها عمارة وخرب قفلة عذر

(١) في الأصل مصطفى .

(٢) بلده في آنس .

(٣) ألواح من الخشب .

التي كان فيها الإمام ترجح لهم أن ما ثم للفساد مرام ولاحقهم الطمع في طلب الحطام ولا سيما حين عاد كان لهم معاشات منكسرة عند الدولة من أيام سابقة فوصلوا إلى عند الباشا أحمد فيضي إلى الجراف حق بلاد حاشد وقيل أنهم وصلوا أولاً إلى عند سيدي وتعهدوا له فلما رأوا قوة الباشا وزحمته إلى بلاد حاشد وبقاه فيها وأنه غير فار منها ورأوا ضعف العرب والفرار من زوا المشار وصلوا يطلبوا العسكرة والباقي لهم من سابق فصرفهم إلى عمران لقبض ما هو لهم وصرف آخرين منهم إلى حجة وكتب لهم كتب في ذلك وألحقها بكتب أخرى بعكس ما هنالك لقبضهم ونهبهم وحبسهم فوقع بهم ما ذكر ودخلوا بهم إلى صنعاء ولقيتهم العساكر التي في صنعاء وأربعة مدافع كبار وخرجوا للقاهم وخلق من أهل صنعاء ينظروا فعل الله ودخلوا بزجلة كبيرة وما ذلك إلا ذنوب على العرب سابقة ولاحقة وأدخلوهم الحبس وقيدوهم جميع وما هو إلا الطمع ونكث العهود حتى صاروا جميعاً في القيود .

ويوم السبت سادس محرم سنة ١٣١٠ وصلوا عساكر كثير أمراض^(١) . . . مركبين على الجمال والبغال وبنادق أحمال من الجهة العدنية وليلة النصف أظهروا صائح للناس أن قد أخذ المشير بربط والعنان وأسر السادة المشار إليهم حتى قيل سيدي بنفسه^(٢) وأخذوهم أسرى مع ما أخذوا من أسراهم الذي أخذوهم القبائل في الحوزة وأنهم يفعلوا تلك الليلة تنصيرة ووقع تنصيرة كبيرة وهيؤوا لها أهل الحوازيات لما قد فعلوا سابقاً وأخرجوا مظلتين كبار من حق بيت القاسم إلى الميدان وأظهروا أنهم حق السادة الذين أسروا في القبلة وبقي الناس ينظروهن .

ويوم عشرين وصلوا بعض الأساري الذين كانوا مقبوضين عند سيدي نحو ثلاثين أو يزيدون منهم زبطية وعسكر نظام وفيهم قليل خيالة وأفند ووقعت بشائر كبيرة عند أهلهم واحجرين^(٣) النسوان من باب شعوب إلى الميدان لأن أكثر تلك الخارجة أتراك وحفدتهم ، وقد كانوا في العنان وهو سوق برط ومجمع المشارق ، وسبب ذلك أن الإمام فرق جميع الأسرى في جميع البلدان حين حان خروج الباشا أحمد فيضي على بلاد القبلة لما رأى سيدي من فشلت القبائل حاشد وغيرها ولكن الباشا خرج خرجة ما قد وقع مثلها إلا خرجة مصطفى عاصم السابقة في أيام المتوكل خَرْجَة بأهبة أكبر من هذه ولكن عاد كان حاشد معظم من كان فيهم يميل إلى الدنيا أبو فارغ بنفسه وجمع قبائله مع / الإمام المتوكل وما جلس إلا نحو ثلاثة أو عاد^(٤) أو شهر وأما هذا المشير فله اليوم ستة أشهر في القبلة وبعد

(١) بياض في الأصل .

(٢) يعني الإمام .

(٣) زعردن .

(٤) أسابع .

رجوعه من برط وأخذ أسراهم رجع إلى الحرف وخرجت قبائل من الشام من صعدة وسحرار غارة على الإمام ومَقْدَمِيَّهم سيدي محمد بن الهادي شرف الدين وقعدوا في العمشية والباشا رجع من الحرف إلى بلاد حاشد وطلع إلى السودة وكتب إلى علي باشا إلى حجة يقدم على الشرف فقدم ولعلها وقعت بينهم وقائع غير مفصلة ونزل الباشا أحمد فيضي إلى بني حكم وفي جهاتنا قبضوا على الحاج . . . (١) الروحاني صاحب بني حبش وأطلعوه تحت الحفظ إلى حبس صنعاء وفي يريم قبضوا على الشيخ عبد الله مثني نجيم وفي ذمار قبضوا على عشرين نفر وفي آنس قبضوا جماعة كبيرة (١) . . . وفي صنعاء حبسوا خلق كثير كل من له أدنى قرابة بأحد عند الإمام أو نسبة أو أحد منهم أن له صديق قريب أو نسب وهم عند الإمام وأما من لم يكن فيه من هذه الشناشن (٢) المذكورة فما تَعَدُّوا أحد أنما يحده السُمِّيَّات (٣) لجميع العرب .

وفي آخر صفر وصل المشير من السفر وتلك الخرجة الكبيرة على الإمام من شهر شوال إلى يوم الأحد سادس وعشرين صفر بعد أن مضى جميع بلاد حاشد ودخل برط أخرج الملازم (٤) الذي شَرَّحهم (٥) سيدي عند ابن أبو رأس فلما وصل إلى تلك الجهة نجح البرط على أهل برط وتعلقت بهم الفجيرة وأطلقوا من لديهم مجرد رؤية العساكر الشاهانية والمدافع الكرخانية من غير لا ضربة ولا طعنة وهذه آية من آيات الله لأنهم كانوا هم وحاشد مدعين العسرة على جميع الأنام ، سيما على كل إمام فلما وصل إليهم المشير أحمد فيضي رأوا الحمام وسلموا ما ذكرناه سلاماً بسلام ليتبين أنهم قدرين (٦) .

وبعد رجوع المشير من برط رجع إلى الحرف ودخل طرف بلاد حاشد وخرج إلى سوق الدومة وتكاتب هو وعلي باشا إلى حجة أنهم يتوجهوا جميع إلى بلاد الشرف وأحاطوا بها من كل جهة ووقع بينهم قتلتين أو ثلاث حتى اتصلوا في القتلات بعضهم ببعض طعناً من اليد وفروا العرب من العجم وطلع الوالي إلى الشاهل وحصل البلاء النازل من السماء بحدوث الرحمة حتى راحوا خلق كثير وتركوا العجم البلاد طوعاً وفروا منها كرهاً لما رأوا من آيات الله بالطاعون المفجع وتوجه الوالي إلى تهامة جهة الحديدة وباجل ودخل صنعاء بعد

(١) بياض .

(٢) الأخبار المقلقة والشناشن في اللغة جمع شنشة : العادة والطبيعة .

(٣) يحده شرحناها فيما سبق والسُمِّيَّات جمع سم وهي كناية عن الأحقاد .

(٤) الملزومين .

(٥) أودعهم .

(٦) كذا ولعله قادرين .

أن أيقن بالموت قطعاً ورأى العساكر وتركهم في تهامة صرعى لأنهم وفت^(١) مدتهم في اليمن وافتسحوا جميع العساكر الرديف والأحتياطي الذي وصلوا معه غارة قدر عشرين ألف أو يزيدون وخرجوا عسكر آخرين نظام عجم ما قد تعسكروا فلما وصلوا بها وظهر الطاعون بقوا فيها مكرتين على قوانينهم أن لا يدخل أحد بلد وبقت الكرتنة في تهامة وما وصل الوالي إلا بنفسه وإلا نحو خمسين نفر عسكر معه وهو خرج من صنعاء وتقدم القبلة بقدر عشرين ألف مقاتل ولقيوا الخيالة من صنعاء إلى حراز والزبطية إلى الحيمة والترك العسكر إلى قاع سهران ووقعت لقية كبيرة ووصل أذان الظهر واجتمعوا في شرارة للدعاء والتبرك وتدعى بهم سيدي أحمد الكبسي حسب العادة وهناك بالسلامة وتدعا بعده رجل أعور فقيه تركي يقال له خوجه ووقعت تلك الليلة تنصيرة في المدينة كبيرة والله يصلح الشأن / .

وأما خبر سيدي فإنه بقي في تلك المدة مدة خروج الباشا من صنعاء وتردده في بلاد القبلة من حاشد إلى برط إلى الشرف كما ذكرناه آنفاً إلى أن نزل تهامة وطلع صنعاء والإمام باقي في البطنة هيجه غربي سوق الحرف متصلة بالعمشية أرض قفرة لا يسكنها إلا البدوان قيل أن فيها جرف^(٢) منحوتة في الجبل وقد صارت في هذه المدة مفر للأئمة كلما نابت نائبة لجؤا إليها في أول من وصلها في هذا الزمان الإمام المتوكل سيدي محسن أحمد لما خرج عليه المشير الكبير مصطفى عاصم باشا في سنة ١٢٩٤ .

وبعد أيام خرج الباشا الآخر عزة باشا وقبله إسماعيل حافظ باشا الذي توفيا^(٣) في صنعاء خرجا على الهادي سيدي شرف الدين وفر إليها ، وهذا المشير لما خرج وداس تلك البلدان حتى وصل برط ولم قد وصله قبله أحد وصادف^(٤) في خروجه أمور صعبة لولا أنه صاحب سطوة وتدير وهندسة لما وصل إلى هنالك ولكنه بغض المال وأعطاه الرجال حتى ملأ قلوبهم حباً للمال وصيانة لأغراضهم وبيوتهم فخلوا سبيله وأطلقوا له العنان حتى صاروا في العنان وأخذ الملازم من الرجال بلكوك من الأموال .

ويوم ثامن وصوله طلب التجار من أهل صنعاء وواجه لهم ذلك اليوم ٤ شهر ربيع وتكلم بما في نفسه وأرضاهم بما نفوسهم من إطلاق محابيسهم . مستهل كلامه : أن أرض اليمن المسماة بالزيدية كلها مفسدة حتى أهل مجلسه ولكن عفو السلطان عما كان وسع الحاضر والباد ولا أحد يواخذ بما فعل وإنهم كانوا في ضيق قبل التشكيل وحوزات وعدم

(١) إنتهت مدتهم .

(٢) الجرف هو مغارة يشبه الغار .

(٣) كذا في الأصل يريد أن يقول اللذان توفيا فخانه التعبير .

(٤) خ صادر .

بضائع فلما صاروا تحت ظل السلطان أمنت السبل وكثرت البضائع وأتجروا جميع الناس بعد الأياس منها والإفلاس وأنه كان القميص بريال وأكثر والآن^(١) صار بالنصف من ذلك كلما هنالك بسعادة سلطان الإسلام وإن لولا شفقتة على أهل اليمن لأقطعها الإفرنج وصارت مصيبة عميا كما صارت أرض مصر ، فيجب على كل أحد مراجعة نفسه ومكاتبة كل من يقرب له وهو الآن شارد عند الإمام ويرجعوا بالأمان ولا حاجة للفساد وأطلق جميع المحاييس المذكورين من صنعاء وطلب منهم الكفال كل من كفل خرج وصار ذلك اليوم يوم الفرج على من كان في الضيق والحرج فله دره ما أسمحه ، فلو كان باشا غيره لفعل بعد رجوعه أضر مما كان كما فعل مصطفى عاصم لما رجع من القبلة بخفي حنين رجع بسميات مفاجئة وحبس العلماء وأرسلهم الحديد فلو كان هذا الباشا حمق حيث لم يبلغ المراد لصار ضره على جميع العباد ولكن مع سماحته وسياسته وعفوه وحسن سيرته عفا عما مضى وصار عفوه عاماً وبالحال أن بعض القبائل ومن تولى لسيدي^(٢) في الأعمال فعلوا فعل من لا يخشى . . .^(٣) وبقي القبائل الآن في الحبس مثل عبد الله مثني نجيم صاحب يريم وناس من الحيمة وأنس وذمار قد يسعوا في مخارجتهم وناس من الحواز والله أعلم ما يكون منهم^(٤) .

وفي يوم الخميس ٨ ربيع أول أمروا كبار الناس والأعيان وأهل المجالس والتجار وعقال الأسواق يخرجوا إلى العرضي يسمعون ما يخبرهم الباشا المفخم الحاج أحمد فيضي باشا فخرجوا حسب الأمر وكلمهم بإحسان وليان وعرفهم بما مَنَّ عليهم جميع من العفو والامتنان وحرصهم على الطاعة للسلطان ورجع نحو العساكر يسليهم عما صاروا فيه من التعب والسفر والقتل وأخبر الجميع بما صار في تهامة وجهاتها من أمر الله سبحانه من الطاعون والكرتان الذي استمر من صفر إلى حال الرقم عشرين ربيع أول وكل أحد من العساكر الخارجة باقية مكرتة في مطرحها في حراز مطرحين . وفي تهامة كذلك وأعظم الأمر في الحديد حتى انقطع المسافرون وقلت البضائع في صنعاء من قِلَّ الجمال ، وبعد ذلك الجمع دعوا للسلطان ورجعوا كل أحد يخبر مما سمع بما يريد ووقع المدح والتهاني للمشير بما فعل في سفره وعفوه وقيلت فيه القصائد والأشعار من كل أحد وسنذكر قصيدة لسيدي الفخري الهمام النيبيل الذي ما لدماغه وعقله من مثيل ولا يقدر أحد يقوم بما هو فيه فما في

(١) خ وإلا .

(٢) يعني الإمام المنصور .

(٣) بياض في الأصل .

(٤) هنا أقحم المؤلف صور مكاتبات لا صلة لها بما سبق .

فعله عدیل سیدی عبد الله بن إبراهيم^(١) وآخر بیت منها تاریخ السنة إسم المشیر المفخم الحاج أحمد فیضی بعد رجوعه من حاشد وبرط والشرف وحجه :

يا أيها الناس أشكروا نعماً من
من أرسل الأجناد والأمجاد والـ
وعفا بحلم عن إساءة من أسا
وأجاد بالرتب الرفيعة والنيا
هذا أمير المؤمنين وخاتم^(٢) الـ
هذا هو الملك الذي في عصرنا
هذا هو الملك الذي فاق الألى
هو من كرامات الإله لخلقـه
سلطاننا عبد الحميد له البقا
أهدا لأشراف الولاية والمشـا
صحفاً مطهرة أتت لنبينا
هلا نقوم بشكره ونطيعه
ونطيع أمر الله جل جلاله
فالأمر أضحي للوجوب وما عسى
هذا ونشكر فعل والينا الذي
الفتاتك المشهور والشهم الهمام
مولى السياسة والمكارم كلها
من يوم جاء مفرجاً لهمومنا
فأسأل منازل بالخميس وبیت عد
ملك العنان وحط فيه ركابه
هذا لعمري ما سواه يناله
برط بها سكن المخيم جنده
وأزال عن جسد الزمان فساده
وفوارس وبنادق ومدافع

شمل البرية عدله في ذا الزمن
أعداد والعدد الجزيلة والمنن
عفوا يعم جميع أنحاء اليمن
شين الثمينة والعطايا فاسمعهن
حرم الشريف ومن به دفع المحن
أحيا المعالم للفرائض والسنن
عدلاً وحلماً صاحب الرأي الحسن
وخليفة الطهر الأمين المؤتمن
فوق الأريكة مثل رأس في بدن
يخ كلهم ولكل أعيان الوطن
فيها الهدى وسد أبواب الفتن
في السر ندعوا بالبقاء وفي العلن
في طاعة الأمراء فأفهم واعلمن
من حجه بعد الكتاب ومن أحن
حاز المناقب والمفاخر والفظن
الليث والمقدام أشجع من طعن
من ليس عن بخل بمال قط ضمن
كشف الغموم من الحجاز إلى عدن
ران وسَل جدرأ وبالجردا تغن
بعد الجراف وحرف سفيان سكن
كلا ولا أحداً سواه بها قطن
وغذا به الأحداق من طيب الوسن
بصوارم مصقولة لذوي الغون
سهم المنية في مقادها كمن

(١) تكرر ذكره وهو عبد الله بن إبراهيم بن أحمد ولد سنة ١٢٨٣ ونشأ في طلب العلم وتولى القضاء بالطويلة أيام الأتراك ودخل الأستانة مع القاضي سعد الشرقي سنة ١٣٢٦ فصادف خلع السلطان عبد الحميد ولم يتم أمرهم الذي وصلوا لأجله وفي سنة ١٣٤٥ دخل روما عاصمة إيطاليا ثم عاد وتوفي سنة ١٣٤٧ (انظر تحفة الإخوان ص ٧٧).

(٢) كذا ولعله خادم .

أنقاه واستبقا بياض أطاعه
واستخلص الأحباب من شبكات من
في مدحه أهل الفصاحة قصروا
وسعوا بكل جهودهم في نظمها
فغدوا وما نالوا العشير فحسبهم
فالله يحفظه ويبقى ذاته
مستجلب الدعوات من كل الورا
لخليفة العصر الذي ما زال مذ
والعام قد وافى فقل تاريخه

قد زال عنها كل أجناس الدرن
أربى الفساد فلم ينل غير الوهن
فاستسمحوا من في المقالة قد لحن
يوم الإقامة في الديار وفي الظعن
باقرارهم بالعجز عن كل وعن
للمسلمين مفرجاً كل الحزن
ما دامت الشمس المنيرة تطلع
ولي الخلافة بالمكارم يسمح
دام المشير يزيل أسباب الفتن

٥٦١ ٦٦ ٥٧ ٥٨١ ٤٥

سنة ١٣١٠ هـ

وقد قلت فيه قصائد أخرى لم نذكرها .

ويوم الخميس ٢٢ ربيع أول بعد إستقرار المشير في مدينة صنعاء المحمية بالله طلع
يطوف القلعة الذي عمروها في منظر نغم بعد كمال العمارة من بعد الفساد ، أحدثوها^(١) لما
جرى في نغم في تلك المدة من القبائل ودرجوا الطريق لها من المسجد إلى رأس نغم
مدرج هائل تطلع فيه القراش محملة بسهولة وقصصوا القلعة المذكورة وأطلعوا الغدا من
صنعاء له ولأصحابه من بيت الشيخ محمد البليلى أفندي عامل صنعاء وبعد ذلك تحققت
الأخبار إن الإمام وصل إلى مدينة حوث وبقي فيها . . .^(٢) وواجهوه جميع القبائل حاشد
وغيرها من تلك البلدان النائية بالسمع والطاعة وفعلوا له تنصيرة كبيرة في جميع الجهات
المذكورة إلى حدود جبل عيال يزيد وأظهروا له الندم على ما فعلوا من فتح البلاد للباشا
والعساكر الشاهانية وفي خلال ذلك الأيام أطلقوا الدولة عبد الله مثنى نجيم شيخ يريم ولعل
الله أطلقه لما يصفوا من فعله للخير في جميع البلاد وكثر صدقاته وشهرة حسناته وعدم
سيئاته ، وأنهم صاروا جميع الناس في كل بلاد يدعوا له بحسن المخرج ويدرسوا له دائماً
ليلاً ونهاراً ولم سمعنا ولا غيرنا أحد يتكلم فيه إلا بالخيرية والصلاح ، فما ذلك الإطلاق إلا
من الله سبحانه وإلا فقد فعل مع الدولة فعل من لا يخشى العقوبة وبذل ماله ونفسه في القيام
مع الإمام مرتين أوله في يريم مع جميع الفساد في كل البلاد والثانية حق حصن كحلان ولكن
الله متولي السراير وسماحة هذا المشير ما قد ظهرت من أحد من الأتراك / .

(١) خ أحدثوها .

(٢) بياض .

وفي نصف شهرنا ربيع آخر أكسفت القمر ليلة السبت من عند طلوعها ما طلعت إلا مكسفة واستدام كسوفها إلى نحو ثلاث ساعات في الليل وما بقي منها إلا مثل الظفر نسأل الله اللطف والآية الثانية ظهرت الجراد في التاريخ وفعلت في بعض البلدان من اليمن إلى الشام واخضرت الثمار بعضهم صَرَبُوا خَضْرَاءَ وبعضهم تَأَنَوُا ولكن الذي صرب والذي ما صرب صار النقص عليهما جميع بفعلها في الثمار وفعلهم بالأخضرار.

وفي عيال سريح قرية غمد فرقوا للإمام ثلاثين ريالاً وبعد مدة استرجعوها من القباض لها كونه عندهم ومنهم قالوا يقرضهم إلى حصول الخير ومن حولهم من القرى لم استرجعوا من القباض ما سلموا فجاءت الجراد فأخذت ثمرة غمد جميع ما تركت إلا اليسير وتركت ما حولهم من القرى الذي لم استرجعوا ما سلموا وهذه آيتين من آيات الله .

وفي صنعاء ربيعين^(١) ما قد اتفقين والسبب عُذْمُ^(٢) جميع المصرفات لا سمن ولا حب وقد حصد جميع النضايا اليوم شهر ولا حطب ولا لحم مع أن الصراب موسم وجود اللحم وسعر اللحم من ثمن قرش الرطل غير موجود ولا موجود في صنعاء بسهل من المحتاجات المستعملات سوى القشر والتتن صار سعره في هذه الشهرين من رطلين وما بقي مع أهل صنعاء إلا اللطف ، الله يلطف بنا .

ويوم الربوع تاسع عشر ربيع آخر أرسلوا الدولة لسيدي أحمد الكبسي يعزم إلى سيدي الإمام لأخذ الصلح بينهما قيل أنه لم أسعد خشية على نفسه وأجمع رأيهم على إرسال الفقيه عبد الله الحضوري العامل فَعَزَمَ وسلموا له مئتين ريال مصروف وبغلة مركوب ويصير يأخذ صلح على أي جهة كان أما يسلموا للإمام معاش كبير في كل شهر أو يأخذ له مركز يبقى فيه ولا أحد يعترض أحد أو يريد يرجع حكم الشريعة إليه أو يأتوه بجنود لا قبل لها بها وعزم والله أعلم ما يرجع به .

وفي هذا الشهر خرج كاشف^(٣) من عند السلطان يكشف له حقيقة اليمن وأرعبت منه قلوب المأمورين في اليمن كبير وصغير الله أعلم ما سبب [ذلك] ووقعت طريقه من الحديدية إلى تعز .

ويومنا خرجوا من صنعاء جميع أصحاب الدولة للقياء يوم السبت ٢٢ ربيع ووصلوا به إلى بئر العزب إلى بيت هایل مهول جنب الكراكون محل العسكر واليوم نحو شهر ما قد بدا

(١) أي ربيع أول وربيع ثاني .

(٢) فقد .

(٣) هو الكاشف نامق باشا وصل صنعاء سنة ١٣١٠ وكان إرسال الفقيه عبد الله بن علي الحضوري بإشارته أنظر أئمة اليمن ج ١ ق ٢ ص ١٠٣ .

منه شيء إنما يظهر من أعمالهم أنه متعیش وهو متأنى لشيء في نفسه فلا بد يظهر^(١) .

وفي أوائل جماد أول وقع في جمعة أنس حريق بجماعة في بيت زبطية عرب نحو ستة أنفار وشيخ من أنس العوبلي كانوا في سفلى البيت راحوا والترك كانوا في جبا^(٢) البيت سلموا وصارت الأمور مضطربة بالجميع عرب وعجم أنهم العرب فلم زد ركنوا^(٣) على نفوسهم بدخولهم صنعاء خوفاً من الدولة وأن هم الدولة فيظهر من حالهم أنهم مترقبين للكبار من المشايخ وغيرهم ممن وقع منهم المغايرة والفساد ولو قد اجتمعوا لهم جميع ما فلت منهم أحد وكلما أرسلوا لأحد بذل ما عليه وأرسله وهو في بيته وأن أرسلوا لجماعة وصل منهم من لا يعول على قبضه ويحتاجوا يفلتوه .

والفقيه عبد الله الحضوري رجع بالجوابات من عند الإمام ولم ظهر شيء يصلح أمور الناس إنما متفاقمة كل الأمور وأما الزكاة حق الحواز فمنساقة إلى صنعاء ستة وستين ألف قدح ولكن ما يصالوا بها إلا الضعفاء من الرعايا والمشايخ والعقال في بيوتهم يرسلوهم بها والخطاب الآن كائن على الرعايا في كل شيء حقوق زكاة وفرقة ومنكسر من العام الماضي السنة الذي وقع فيها الفساد ووقع المسامحة من المشير عما مضى إنما هو في النفوس وأما الحقوق فلا سماحة فيها وصار يقبضوا حقوق الستين الماضية والمستقبلية وقد بدعوا في المطالبة بما ذهب من العساكر السلطانية وسلاحهم في الروضة على بني الحارث يريدوا ديات العساكر الشاهانية وقيمة السلاحات السلطانية والجزاء على الرعايا فلوس وفتحوا على أهل الحيمة بذلك المطالب وأرسلوا لأهل بني بهلول وصار التخليص في بني الحارث في كل قرية مخالصة والمطرح حق كبير المخالصة في الروضة ترك وكبيرهم من الضابطة يقال له مرزاح يرفعوا إليه والضبط عليه وصار يضرب من راجعه ويربط في السيال^(٤) الوعد الأول ربط ثلاثة قبائل من بيت حنظل ومن الروضة وواحد من صنعاء غالب بن محمد بعثر ، والسبب أن قد معه حانوت في سوق الروضة وفعلوا عليه جزء من هذه المطالب فاعتذر أنه من صنعاء فوقع فيه ما لا يذكر من الضرب والربط في السوق . والوعد الثاني علي بن محمد بن حسين الحرازي صار الطلب من أهل القرية على كل ساكن فيها من الهجر^(٥) يسلم معهم

(١) يقول المؤرخ زيارة أن سبب قدومه إلى اليمن هو لكشف أحوال اليمن وعن سبب ثورته وكان بيد الكاشف من ساري عسكر السلطان كتاب يقول فيه يفتقد حال الشريف القائم في اليمن هل معه مادة من الأجانب أم لا . وفي الرسالة التي بعثها أحمد فيض مع الحضوري السابق الذكر يقول فيه للإمام أنه قد صار في ذمتك ستة آلاف قتيل من العساكر الشاهانية .

(٢) اطمأنوا .

(٣) سطح البيت .

(٤) شجر سبق ذكره . وفي معجم أسماء النبات ٣ قال هو شجر الطلح .

(٥) المهاجرين طلبة العلم والهجر القرى القريبة .

فصاروا هاربين في صنعاء يفعلوا عروض حال يعني شكايًا إلى المشير وهو يرجعهم إلى مرزاح الذي يربط ويضرب كما هي عاداتهم يرجعوا الثور إلى الجزار ، فصادفوا المشار علي بن محمد الحرازي فصار فيه ما ذكر حتى قيل أنه رجم به البرك وقيل كان يرشه في كل وقت في الليل بالماء البارد ، وهي هذه الأيام في برد الوقوف والشمس في النعائم أيام شدة البرد ، ونسأل الله اللطف لجميع العباد والتغطية على المؤمنين في البلاد .

وصادف يوم الخميس تركي وصال من الجهة العدنية وقع فيه أفعال قاتلة ووصل مجني^(١) وصار في استخانة وأخذوا بندقه وهي السبب فيما وقع ، والذي عزموا الحيمة في حالهم يتحققوا أين صارت خزنة مفحق ومن أخذها وما المقصود إلا كلفة^(٢) رؤوس الناس أن سبرت وإلا رجعت فلوس كبيرة لأن هذه الحيمة فلعلها لكوك وقد كان مطرحهم في الخميس وانتقلوا إلى مفحق محط الرحا وقد النية معهم منطوية على إجراء ذلك العمل في اليمن ولكن على الدلا^(٣) كما هي أصولهم يلحقوا الحظي بالجمال^(٤) ووقعت على سنحان وحزير ألف ريال قيمة البندق وحق بني الحارث العشرين الألف سلموا ثلث ذلك والثلثان نجمتان^(٥) ودخلوا بيت الحرازي القضاة من القرية يشتكوا على الوالي وعلى المفتش وفعلوا عرض حال وأفادوهم بالجواب للإنصاف إلى يوم السبت خامس جماد آخر إلى ديوان الحرب للعرضي ينصفوهم مما فعل بهم ما ذكر كونهم غير أهل لذلك العمل الذي وقع في ولد القاضي محمد بن حسين من الرباط والرجم في البرك حق الماء والضرب الباقي أثره في الرجل والتعلق^(٦) في ساورة^(٧) البثر من المتخلص الأغاه مرزاح في الروضة .

ويوم السبت طلبوهم للحضور مع غريمهم فلما وصلوا الحكومة قبل ديوان الحرب أمر بهم الحبس جميع / وأرسلوا لناس آخرين في ذلك اليوم من أهل صنعاء وحبسوهم جميع وأرسلوا الآخرين من الروضة نهار ذلك اليوم ووصلوا بهم الليل وقد كان في الحبس من قبل ذلك اليوم كثير باقين قبائل وصناعته^(٨) ناس له أربع خمسة أيام وناس شهر وناس أشهر وطلبوا الجميع في ساعة أربع وقيدوهم وعند كمال آخر مقيد وصل الأمر إلى السجناء بأن

(١) أي مجني عليه ، اصابته جروح .

(٢) قبض .

(٣) المشي بتمهل وهو من العامي الفصيح .

(٤) مثل معناه أن يدركور السهل بالعسير .

(٥) قسطن في مدة معينة يعطي لهم .

(٦) التعليق .

(٧) الساورة خشبة المسنى التي يعلق عليها العجلة .

(٨) جمع صنعاني أي من صنعاء .

يزنجرهم^(١) ويرسلوهم في تلك الساع وإلى تهامة فحلوا قيديهم جميع وألبسوهم الزناخير وأخرجوهم تلك الساع والناس نيام لا يعلم أحد ما كان إلا أصبح يوم الأحد فلما علموا الناس وأعلموا أهلهم ما جرى عليهم وسقط في أيديهم أشفاقاً عليهم كونه^(٢) في غفلة لم أحد مستعد لذلك أدناه^(٣) يصحبوهم محتاجاتهم من كفاية ودفا وفراش ودراهم ومركوبات [وما] فذت^(٤) عليهم الشمس إلا في بوعان وصحبتهم أربعين خيال وبلقين^(٥) عسكر نحو مئة أو يزيدون وقدر المذكورين من الثلاثين إلى الأربعين وصار ذلك اليوم يوم حزن عظيم عند جميع العالمين سيما أهلهم وأقاربهم وهم الفقيه^(٦) محمد دلال وسيدي محمد بن عبد الله الظفري وأربعة أو خمسة من بيت الحرازي^(٧) الذي طلبوا الإنصاف والحاج سعد الدين الزبيري^(٨) وولد ولده وأما ولده حسين الذي حبس معه أولاً فهو توفي في ذلك الأسبوع وعلى النجار سادن الفليحي وواحد من بيت المحني ويحيى زاهر^(٩) وصنوه عبد الرحمن وقايد الأهجري صاحب بني حشيش وعبد الرب الجبري كبير بني بهلول ولده والهمام صاحب زواجه والسيد علي بن أحمد هاشم من جعانة والسيد عبد الله بني يحيى من ضوران والغشم من آنس وأخلط آخرين السيد محمد مزيقر من المغرب كان مقدمي والشاوش صاحب حزيز ، والشيخ قايد الأهجري ، وابن النقيب محسن النيني صاحب خولان ، والشيخ يحيى عبده زايد صاحب حفاش وأولاده وناس من حراز نحو أربعة أنفار ومن كل محل بقدره . . . (١٠).

ونهار ذلك اليوم ألزموا جميع الناس يخرجوا غداً صباح الإثنين إلى العرضي وبعد

(١) الزنجير سبق شرحه وهو سلسلة يقيد بها الرجل .

(٢) أي حيث أن هذا العمل في غفلة إلخ .

(٣) أقل شيء .

(٤) بزغت .

(٥) بلقين مثنى بلك وهي الفرقة من العسكر .

(٦) هو الفقيه بن حسن دلال ولد بالروضة سنة ١٢٨١ وأخذ علومه عن جماعة من العلماء وتولى إمامة جامع صنعاء سنة ١٣٠٤ وسار إلى المنصور ولزم مقامه وعند عودته إلى صنعاء اعتقل مع المعتقلين ١٣١٠ وأرسل إلى جزيرة رودس منفياً مع جماعته المشار إليهم هنا وفي رودس اتقن اللغة التركية والفارسية وبعثه السلطان عبد الحميد سنة ١٣٢٣ إلى الإمام ثم عاد إلى رودس وأخرج أهله منها وعاد اليمن سنة ١٣٣١ بعد أن أطلق هو وجماعته وتوفي رحمه الله سنة ١٣٥٢ بصنعاء (أنظر تحفة الأخوان ص ١١٠) .

(٧) يؤكد المؤرخ زبارة على أنهم أربعة فقط (أنظر أئمة اليمن ج ١ ف ٢ ص ١٠٢) .

(٨) هو سعد الدين بن إسماعيل الزبيري الصنعائي وسبب اعتقاله أن الإمام مزوج بابنته (أنظر أئمة اليمن ج ١ ق ٢ ص ١٠٢) وكانت وفاة الزبيري المذكور في منفاه في رودس .

(٩) هو شيخ قرية القابل سبق ذكره .

(١٠) فراغ قدر أربعة أسطر .

الألزام صاح المصيح بذلك ومن لم يخرج صار عليه العقاب أو من بقي في البلد أو من فتح دكان فلا يلوم إلا نفسه فاستعفوا أكثر الناس وبقوا في بيوتهم وفي المساجد وناس خرجوا فلما خرجوا حيروهم^(١) من ساعة ثنتين إلى ساعة خمس / وهم متوقعين ما يكون ما عند أحد علم إلا قيل ، وقال بأخبار شتى لم صح منها شيء ولم بقي في صنعاء حانوت مفتوح أو خاطي^(٢) في جميع الأزقة إلا متسيرين في البيوت قدر ثلاث ساعات ما يلقي أحد لا في شارع ولا في سوق إلا النساء في أجبي^(٣) البيوت المشرفة على العرضي منتظرين للغارة من المولى تعالى فلما رأوا أن ما به إلا من حصل أشرف عليهم سيدي العلامة أحمد بن محمد الكبسي ووعظهم بالوعظ المعتاد من الطاعة والأمثال للدولة والدعاء للسلطان وعدم المخالفة وعرضت الخيل والمدافع وفسحوا للناس وفعلوا في البيارق حقهم نيشانات محرفات وعلقوهم فيهن بالدخول الله أعلم ما كان المراد هل ذلك أو غير ذلك والله سبحانه يلفظ بالمؤمنين .

ويوم الربوع تاسع جماد وصلوا من خولان بالسيد يحيى الهجوه وابن النقيب محسن النيني من كبارهم ودهاق من هناك وقبضوا ذلك اليوم على سيدي عبد الله بن يحيى المتوكل في صنعاء وصبح الخميس شاع الخبر أنهم عزموا بهم الليل مثل الأولين ساعة أربع وزادوا معهم القاضي محمد بن حسين الحرازي الذي بقوه أولاً لضعفه ولم حصل منه ما يفيد وجملتهم سبعة أنفار والأولين نحو أربعين خمسين وزادوا من حراز خمسة أنفار ثلاثة من بني الخطاب من قبلي مناخه وإثنين من بني مرج من تحت مناخه من شرقي وعزموا بالجميع الحديدية الله أعلم ما يكون ولا زالوا يرأسوا إلى القضاة للناس والناس قد نكزوا ووجلوا منهم وجلأ عظيماً وصاروا في حيص بيص بين قائلين قائل ندخل وآخر يقول نغفل وهكذا وقع في جميع جهات اليمن لكن وقع الأمر في يوم وليلة ما شعروا إلا وهم جميع في البوطا^(٤) ولو أنه وقع في كل أسبوع أو في كل شهر ناس لحذر الآخر ولكنها سياسة من الدولة الله يلفظ بالمؤمنين وبنا صارت صنعاء قفار^(٥) من القبائل أهل الحواز لا جالب ولا متصرف ولكن الأعمال بالنيات .

لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبغى عليهم الدهر بالآفات والمحن

(١) أخرورهم .

(٢) مار .

(٣) جميع جبا سبق شرحه .

(٤) هي البوطة التي يستعملها صائغ الذهب .

(٥) قفر خالية .

لما استوتوا في الحوزة نهبوا وسلبوا « » فلما وصل المشير أحمد فيضي فروا كالجراد المنتشر وأتاهم الجواب وهم لا يشعرون ، كيف ما تدين تدان . وإن هم المأخوذون من صنعاء فأكثرهم فعلوا أشياء عجيبة ، فلما لم يتم المراد رجعوا يطلبوا الأمان ورجعوا صنعاء يتحتموا ويترفهوا ونسوا ما قدموا وعلى من قدموا فيدل ذلك أن العمل غير صالح أن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا رجعوا إلى ما صاروا فيه وأما من هو خالص^(١) فما له عذر في الرجوع والأمان نسأل الله الأمان .

وأما قبائل أرحب فكانوا غائبين في بلادهم وأرسلوا لهم فلم يصل منهم أحد . وقبائل بعد أخذ الهجوة والنيبي فروا من المطرح ورجع الباشا الذي هناك كسا ابن الصوفي وأدى له بندق مرت وفعله مدير على خولان حيث قد تفاقم الأمر ، وأما بني مطر فلم يصل منهم أحد فطلع الباشا إسلام بأتراك إلى بوعان وطلب الرماح / يصل وإن لم يصل فسيصل إليه ويخربوا بني مطر فوصل إليهم الرازقي من تحت الرماح وأجاب أن ما يمكن الوصول لو يكلف للفساد إنما هم باذلين ما عندهم من الزكاة والفرق والمعونة لأن ما عاد ثم ألقه بعد الأمان لجميع الناس وما صح منه شيء ولما رأوا الناس أهل بني مطر تراجعوا فيما بينهم وبنوا على متابعة بني مطر وتقاعدوا على ذلك فلما رأوا الدولة ذلك وظهر لهم ما هنالك لعلمهم ندموا على ما سبق من حبس من ذكر أولاً وبقوهم في الحديد وقد أضمرنا على إدخالهم الشام .

ورجعوا ألزموا العلماء في صنعاء يطلعوا إلى قبة البكيرية يوم الجمعة ساعة ست ثامن عشر جماد آخر وطلعوا إلى هنالك وصلوا الجمعة وقرأوا المولد وأفاضوا عليهم بالسكّر في الصبحون حتى وصل عند كل أحد صغير وكبير وبعد وقع الأبتهاال من جميع العباد ومدوا الأكف وقام سيدي الصفي أحمد الكبسي دعا بما يليق بالمقام ودعا لسلطان الإسلام ، وقام بعده الخوجة فلان فقيه تركي فدعا كذلك وبعد ذلك أعطوا كل أحد من العلماء المرقومين لديهم ساعات وهم الفقيه أحمد السياغي ، والفقيه عبد الرزاق الرقيحي ، والفقيه علي وحيش^(٢) هؤلاء من الجامع المقدس طلعوا وقد صلوا على عجل وخصروا^(٣) الخطبة لأجل لا يتحيروا والباقي صلوا في البكيرية أكثر الناس ، وأما أهل الساعات الذي لم يكونوا من أهل الجامع فهم سيدي أحمد بن محمد كوكبان وسيدي حمود بن محمد كوكبان ، وأهل

(١) مسلم لهم أو مخلص .

(٢) هو علي بن محمد وحيش خطيب جامع صنعاء عرف بالخطابة والخط الحسن وتوفي سنة ١٣٢٣ هـ (أنظر أئمة

اليمن ج ٢ ص ٤٥) .

(٣) إختصروا .

مجلس الإدارة ، وأهل مجلس المحكمة وسيدي محمد بن يحيى من بثر العزب والقاضي علي بن حسين المغربي وأهل الإدارة سيدي زيد بن أحمد الكبسي وسيدي حسين بن علي غمضان والفخري الجرافي وسيدي محمد بن أحمد هاشم ، وسيدي عبد الله بن إبراهيم من المحكمة وسيدي أحمد الكبسي رئيس العلماء وابن القاضي محمد العراسي أعطوهم شيلان^(١) بدل الساعات تجليلاً للعلم .

وبعد خروجهم من القبة استقوا جميع في وسط الميدان غربي باب القبة وقد المصور الذي بيصور النفوس متأهب لهم يصورهم جميع ويصف^(٢) مقامهم ذلك وقد نصبوا له مجلس من صرف^(٣) بركائز^(٤) ودعائم وحبال نجىء على سقف مرتفعاً في الهوى لأجل يعلوا عليهم ويثبتهم كلها وشاهدنا ذلك عياناً كان من أول جالساً فوق الصرف وقد جميع محتاجاته عنده من الآلات والمرايا وغيرها فلما خرجوا من القبة قام وبقي يفتح تلك الآلة مثل الخزانة ويقايس الهوى ويركب المرأة فأثبتهم جميع في نحو نصف عشر ساعة « ثلاث دقائق » وقلع المرأة ورد السلام إشارة عليهم بيده يعني قضي الأمر فمضوا من ساعتهم وقد رسمت صورهم جميع بما هم عليه من الأبهة ، ودخلوا المشير وجميع الأكابر معه بيت المفتش وهو بيت السياني سابقاً ، والله سبحانه أعلم بما في نفوسهم وما طلبهم وأما في الظاهر فما فعلوا إلا محاسن / لا سيما بالمصاحف القرآنية الذي وهبها للمساجد حال تقسيم الساعات فإنهم أجروها لأكثر المساجد في صنعاء ، سيما المساجد الكبار مثل الجامع الكبير فإنهم أرسلوا بعشر ختم ، وللفليحي بست ختم ، ولمسجد داود بست وصلاح الدين بست ، ولقبة المهدي عباس بست كلهن طابع^(٥) وبعد أرسلوا إلى الحوازات حق صنعاء بناس يرصدوا المعاليم^(٦) والدرسة في البوادي لأجل يرسلوا لهم بختم^(٧) فحصل مع القبائل حاصل عظيم وقالوا في نفوسهم أنهم يريدوا ينظموهم والله أعلم ما المراد من الأمرين . ولما فرغوا من تلك الأعمال رجعوا [إلى جمع] الأموال ونفذت الأوامر إلى جميع الجهات لقبض الزكاة والمعونات والأدابات جزاء الفساد وفعلوا على كل قضاء من القضايا أموال لا

(١) جمع شال سبق شرحه وهو رداء يوضع على المنكبين من الصوف غالباً .

(٢) خ بصو .

(٣) ألواح من الخشب .

(٤) أعمدة .

(٥) أي مطبوعة وليست منسوخة بالقلم كما هي العادة عند أكثر أهل اليمن في ذلك الوقت ولعل الأتراك هم أول من أدخل مصاحف القرآن الكريم مطبوعة .

(٦) جمع معلامة كتاب وطلبة يدرسوا فيها .

(٧) مصاحف القرآن الكريم جمع حتمة .

تحصى ولا تعد بألوف والمئين والكراديس ، وطلابات للمشايخ بالوصول فهان على القبائل تسليم الفلوس والحبوب والمنقول ولا الوصول وكل ناحية بذات المطلوب ومثليه وسلموا إلى يد المديرين والقائمين مقامات وكل أحد من المشايخ كان يجيب على الدولة إنا باذلين ما قلتوه وأكثر وأما الوصول فلا أمنه لنا ولا يمكن ، وصار في ذلك محصول عظيم كل أحد يتشبث بأحد أصحاب الدولة ويسلم له رشوة ويعتذر له عند الباشا لا سيما المأمورين في صنعاء وفي القضاة النائية فإنهم أخذوا رشوة وعشاء ورشا^(١) مثل ما تعين إلى الصندوق ولما رأى الباشا الأفخم والمشير المفخم عدم الألفة من الرعايا وأنه إذا لم يقبل ذلك أدى إلى إعادة الفساد قبل منهم وعذرهم عن الوصول ، وكتبوا لهم مكتوبات إلى جميع الجهات بالأمان وإن ما يحصل عليهم سوء من قد وقع من بعد من قد سار يعني المحابيس الذي دخلوهم أسطنبول ولعلمهم نحو سبعين لأنه زاد وقع غير الذي من صنعاء وحوازاها من كل قضاء من اليمن وبلاد حجة وجميع من لطم من أي محل كان وبقي في الحبس ناس آخرين كثير منهم من آنس نحو أربعة عشر وصلوا بهم في رجب ومضت الكاوية^(٢) على جميع من في اليمن .

وثامن عشر رجب حرضوا على أهل صنعاء جميع أن يخرجوا يعمرؤا الطرق ويصلحوها من الأربع الجهات شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً حتى يخرجوا من حد صنعاء ويستقيموا أهل كل ناحية تصلح طرق حدودها إصلاحاً تاماً حتى تمضي فيها الدواب والمدافع ولا مانع فيها ، وكتبوا على المشايخ والمديرين يأهبوا أهل كل ناحية فتأهبوا جميع الحوازات ويدعوا بالجهة القبلية يوم الأحد تاسع عشر رجب وخرجوا المشير وأصحابه وأهل صنعاء والعلماء وأهل الإدارة وقد وصل دغيش وبني الحارث نحو مئتين نفر بآلات التصليح مثل المفارس / والمقاحف^(٣) والمسبات^(٤) الحديد ، وقعد هناك نحو ساعة وقاموا بسطوا أكف الأيدي نحو الملك العلام جاهرين بالدعاء للسلطان بالنصر والظفر والفتح العام ، وأموا جميع الحاضرين برفع أصواتهم بعد أن مدوا أيديهم في العمل أهل الحل والعقد للتبرك والطاعة للسلطان وإغضاباً للشيطان عملاً بقول الرحمن أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم ، فلما رأى المشير الأفخم ذلك الأمثال من جميع العرب والعجم تجمل من أهل صنعاء وأفرم^(٥) وقال أين الذين سيعلموا من أهل صنعاء ، قيل ها هم أولائي فلم ينظر معهم

(١) سبق شرحه .

(٢) الشدة .

(٣) جرافة صغيرة تستعمل بالأيدي .

(٤) مجرفة كبيرة من حديد يجرها إثنان أو ثلاثة بعد غرزها في الأرض .

(٥) كأنها لفظة تركية بمعنى أشكركم .

من آلات العمل شيئاً واستوى على كبارهم مثل العلماء ورؤيس البلدية محمد بليلى أفندي وقال كيف يعملوا ولم معهم بما يعملوا فأجاب سيدي الصفي العلامة أحمد بن محمد الكبسي بأنهم ضعفاء لا يستطيعون العمل ولا معهم من آلاته وإنما إذا تفضلتوا عليهم بالمسامحة كونهم غير أهلاً لذلك ويصير عليهم أجرة من يعمل ما أوجبتموه من العمل وزاد بمثله رؤيس البلدية وقد كان عقروا ثنتين عقائر من البلدية في قبول ذلك فقبل منهم عفا عنهم والله يحب المحسنين . ولما سمع الشيخ حزام دغيش ذلك غضب وقال لا بد أن يعملوا أهل صنعاء مثلما يعملوا بني الحارث فتفاحت عليه الأفواه من الكبار مثل العلماء والسيد محمد بن علي الشويح بأن لا مراجعة في أمر المشير يعفوا عمن يشاء ويوجب على من يشاء وإن أمر أهل صنعاء راجع إلى البلدية ورأي المشير ، فسكنت الضواري ورضى بذلك الحاضر والغائب ، وفتحوا أول العمل من باب الشقادي فوعلموا الطرق للشقة فصار العلم والعمل بفض طريق سمحة لا عوجاً فيها ولا عصره^(١) ولو كان فيها ضرراً على أهل الأموال بل فضوها^(٢) من مال وجدار واثل وقضب وغيره لأجل لا يصير فيها عصاوير^(٣) على المدافع كما فعلوا سابقاً في بلاد البستان والحيمة وغيرها والطريق هذه جرت باب المنجل ، وأما طريق القبلة التي من باب شعوب والقبلة والطريق العدنية فلم قد علمت ، وأما الغربية التي من عصر فتعينت على أهل الحزة مثل حدة وسناع وما يليهن ولهم فيهن نحو ٢٠ يوم قبل اليوم كل يوم خمسين شاق^(٤) ما ينقص أحد والله أعلم أين الحد هل مسير يوم أو أقل أو أكثر لا إذا لم زد أمكن المراجعة في شيء بعد حبس من ذكر سابقاً وإنما قبول ما قالوا وقد لهم فيها مآرب أخرى كما قال جلاً^(٥) والله سبحانه يصلح أحوال العباد ويقمع أهل البغي والشقاق والفساد والعناد / وفتحوا الأعمال في جميع الطرق الأربع من كل جهة وخرصوا على كل قبيلة في جهتها ، بني الحارث في الجهة القبيلة من باب شعوب الأزرقين وقد هم الآن لعله سادس شعبان في الجراف وصار بينهم دُول^(٦) كل محل يوم حتى إلى جهة قرية القابل وبني حشيش وما يلي كل جهة في تلك الطريق ، وسنحان قد هم في بيت معياد^(٧) حال الرقم من كل قرية من سنحان .

(١) التوى .

(٢) شقوها . مهدوها .

(٣) جمع عصره سبق .

(٤) جمع شاقى وهو العامل الأجير .

(٥) أي إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ولي فيها مآرب أخرى ﴾ .

(٦) تناوب .

(٧) سيأتي في الملحق بالبلدان .

وخرج الوالي في بعض الأيام يطوف ولم أعجبه العمل وصار عليهم تعب أعظم مما كان ، وبعدهم يصير على بلاد الروس والغربية على قبائل البستان جميع من كل جهة ، وعادهم الآن في عصر ، والآخرة من باب الشقادييف جهة باب المنجل وقد كان قالوا للمشير تقع الطريق من باب الروم لأجل أنها جهة سَمِيحَة لم فيها عوجاً ولا أمتاً وفيها مصالح عامة لم تكن معوجة مثل باب الشقادييف تحتاج إلى فرض^(١) أموال وسواقي فلم يسعدهم بل أوجبها عليهم ما هنالك وصار أكثرها في أملاك الناس وجرب^(٢) وغروس وقضب وقدهم اليوم في ٦ شعبان في بئر الشايف في بلغ^(٣) البندق نحو نصف شهر من شدة إحباط^(٤) العمل وكاودته ، لأنهم أولاً يرسوا بالأحجار جميع حتى ترتفع شبراً من الأرض وبعد يدفنوها بالتراب ترحله البقر إلى فوق الأحجار وصارت مرتفعة وحولها ساقيتين لممر الماء والسيل وصيانة الطريق المعمولة وقد شرعوا في غرس أشجار حول الطريق ووُتِدَ فيها إثل حول الطريق / .

ويوم الإثنين ٤ شعبان خرج الوالي أحمد فيضي باشا إلى ضلاع يتغدى عند الشريف محمد بن علي الشويح ويعلم^(٥) له الطريق الذي من باب المنجل وضلاع التي هي إلى كوكبان وأخرجوا نحو جملين أوتاد يوتدوها في الأرض معالم للطريق المذكورة من هنالك وخرج معه نحو خمس مئة نفر عساكر وخيالة وزبطية يتغدوا عند الشريف ولقيهم الشريف إلى بعض الطريق بالعقائر ونحرت وتحولت^(٦) وأيضاً لقيهم بعض قبائل همدان والمرافع والطيسان وعشروا تعشيرة الطاعة وعلموا لهم الطريق كذلك على ما يريدوا من بين الأموال وحرمت^(٧) عليهم أموال كبيرة مزارع غيول وأعقار وقد كانوا عَمَلُوا^(٨) في المَغْدَى^(٩) من اليوم السابق ووقع مقام كبير حتى أن السمن والعسل والحنيد^(١٠) والفواكه الهائلة بقت هناك بعد مضي هذه الأمم المتكاثرة وبقيوا يخرجوا إلى السفارة رَدَّة بعد ردة^(١١) الأول في الأول الذي

(١) شق أراضي الناس أموالهم .

(٢) جمع جربه وهي قطعة زراعية .

(٣) قدر مسافة مدى البندق .

(٤) تأخره .

(٥) يَأْشُرُ له الطريق إلخ يحدد الطريق .

(٦) بمعنى أخذت .

(٧) حرم الشيء بطل لم يعد صالحاً .

(٨) كلفوا من يعمل فيه .

(٩) الغداء .

(١٠) أي اللحم المحنوز معروف .

(١١) أي مجموعة بعد مجموعة .

دخلوا أولاً على نحو ثمانين مقلاً^(١) / صعدى وأعْظِيهِنَّ زرق حديد سواء والصحون والخوافق^(٢) والطيسان من صنعاء ولا زالوا يجددوا لكل ردة، فسبحان المذل لمن يشاء والمعز لمن يشاء، وما ذلك إلا تقوة وخوف، ودقوا الأتاد وفَوْتَحُوا عليهن كما في العادة ودعوا لسلطان الإسلام بالبقاء والدوام ورجعوا صنعاء.

وأما أهل صنعاء فصارت عليهم فلساً مُدْرَهَمَةً^(٣) أجرة حدهم في العمل وحررت في ذلك جرائد^(٤) مطبوعة أن حد أهل صنعاء من باب اليمن إلى داع الخير في الجهة العدنية والقبلية إلى الجراف ، وعلى اليهود في الغربية وصارت كل جهة يشقوا فيها جميع كل يوم مائة لا تعد من كل ناحية في كل جهة ، وذلك بقدر عمل العرب في معاملتهم الله ولبعضهم بعض كما جاء في الأثر : ﴿ كيف ما تكونوا يولى عليكم أعمالكم عما لكم ﴾ فإن القبائل حين لاحت لهم الفرصة في أيام الحوزة نهبوا الضعيف والمسكين واستحلوا ما حرم الله من النهب وغيره حتى أن الضعفاء الهاربين من صنعاء من الجوع كانوا يلتقوهم إلى الطرق ويخلصوهم ولا عاد كان في قلوبهم إلا دخول المدينة المحمية يأخذوا جميع ما فيها ، حتى أنهم كانوا ينادوا في الليل من جبل نقم بذلك فانعكست آمالهم ونخب الله أعمالهم ورد كيدهم في نحورهم لو أنصفوا أنصفوا إلخ والله لا يصلح عمل المفسدين ﴿ ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ﴾^(٥) ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ والله سبحانه أعلم بمصالح عباده .

ولا زالوا على ذلك العمل عاكفين ولأمر الدولة ممثلين على سبار الطرق في جميع النواحي حتى في عمران وجهة ذمار والمغرب وجميع الجهات وإخراص الأموال وملاقات الأهوال في ذلك والدعاء والابتغال إلى الله في دبر الصلوات ولكن بنيات غير صالحات والله أعلم بمصالح عباده .

ولم ثم ما يوجب رقمه في شعبان غير ذلك .

إلا شيء يسير عبرة لكل بصير وهو الموجب^(٦) العجيب الذي فعله الشيخ الهمام محمد بن محمد البليلى باشا / فإنه صنع لولده حمود عرس ما قد فعله أحد من العرب في

(١) هو وعاء من خزف توضع فيه الحلبة أو الخبز أو غيره .

(٢) غضارة كبيرة مفردة خافقية وهي من المولد .

(٣) أي بالدرهم .

(٤) صحف وكانت هناك صحفية تسمى صنعاء تصدر باللغتين العربية والتركية .

(٥) سورة الأنفال من الآية ٢٣ .

(٦) الحفل للزواج وغيره .

هذه البلد وحلف^(١) على أكثر البوش من الأتراك وعلى كل صاحب قضية عند الدولة من العرب والعجم وعلى أكبر التجار والجيران الكبار وجمع خلقاً كثيراً وحتى عزم على السيد أحمد الشراعي من الحديد ولم قد وصل إنما أرسل بما يجب وكذلك رَفَدُوهُ^(٢) الكبار من البوادي والحضار^(٣) واجتمعوا نحو ثلاث مئة عرب وعجم وفتح لهم جميع الأماكن في بيت الفقيه علي الأنسي حيث قد هوله وحتى زَفُّوا العروس بالمزينة حق السلطان نحو خمسين نفر وضرب لهم خيمة في المقشامة^(٤) وبقوا يومين من نهار الخميس إلى ليلة السبت ١٥ شعبان وبقوا العشي^(٥) الذين يصنعوا الفواكه ثلاثة أيام يصنعوا طعام ألوان وطبخ أفنان هذا من شغل^(٦) الترك والذين يصنعوا طعام وطبخ من حق العرب على حالهم^(٧) وبقي كل شيء ماله قدر حتى أن قرش^(٨) البصل وریش الدجاج ما أخرجوه في البر إلا في القراري^(٩) الذي تخرج الكناسة من كثرها ، والقات كان يصل أحمال^(١٠) جمال بعضه هدايا ، ورفد من أعل عافش^(١١) ومن البخاري^(١٢) طري^(١٣) من عند الشيخ عبد الله مثنى نجيم تَلَفَّقُوهُ حَمَّالِينَ لأجل يصل طري حي والشراء على حاله والنشادين^(١٤) والنشادات والعسولي^(١٥) المزمّر حق سيدي أحمد بن محمد صاحب كوكبان .

والليلة الثالثة ليلة الإثنين ١٨ شعبان أمر الدولة بالزينة في المدينة حق جلوس السلطان على التخت ووقعت زينة عجيبة ووقع فيها مقتولين من الترك قتلوههم خُبرَتَهُمْ^(١٥) على ما معهم من الذهب ، وقيل غير ذلك والله أعلم ووقعت دهشة كبيرة على العرب الذين كانوا خرجوا الليلة يتفرجوا ولاحقوهم الترك وحبسوا نحو عشرين نفرأ اتهموهم ولطف الله بعباده بسبب

(١) استصافهم .

(٢) من الرَفْد وهو إرسال المساعدات المالية والعينية .

(٣) أهل الحضار .

(٤) هو البستان .

(٥) الطهارة .

(٦) صنع .

(٧) على جانب .

(٨) جمع قرشه قشور البصل وغيره .

(٩) جمع قاري عربة .

(١٠) خ أحما .

(١١) موضعان يمنيان شهيران بالقات الجيد .

(١٢) غصن لين (طازج) .

(١٣) الوشاحين (المغنون) واللفظة من القاموس .

(١٤) إسم رجل .

(١٥) أصحابهم .

التركي المفعول^(١) غير المقتول والثاني المفعول مات رحمه الله ، ولكن بعد أن ثبته الله نطق بالصواب أن العرب لم في ذمتهم شيء وإنهم برأى من التهمة وإن القاتل تركي ، وبعد لم طابت نفس القاتل يقسم الذهب بينه وبين المفعول هذا الذي نطقه الله بالصواب رجع طعن هذا المفعول ويريد أن يكون الذهب له فأبقى الله هذا المفعول لحتى نطق بذلك وتوفاه الله هنالك بعد المصادقة وأطلقوا العرب المتهمين .

وصار العمل الآن مستطيل في سبار الطرق في كل جهة حتى أن اليوم شهرين وهم باقين في باب صنعاء لم قد سبرت على ما في نفوسهم والقبائل يبصاحوا جهاتهم في كل ناحية حتى بني بهلول مع بعدهم من الطريق العدنية أوجبوا عليهم ينزلوا يصلحوا فيها وصاروا مواظبين ومحافظين على سبارها لا يتخلف^(٢) أحد من القبائل الذين شغلوا المدينة سابقاً ولاحقاً في كل طريق نحو ميتين نفر من كل قبيلة كل يوم في كل جهة والبقر تحر^(٣) ما عسر عليهم وهم صاغرون وأما الفلوس الذي قد سلموا فما قد وقعت أكثر منها الجزاء حق الفساد الآن وبعد ما هو عليهم فمثنى وكل من اتهموه أنه / اتجهد في الفساد طلبوهم وحبسوهم وقيدوهم وإذا عينوا الدولة عليهم أدب مذرهم فلهم الفضل ولو آلاف ولا بقوا في الحبس أو يرسلوهم^(٤) إلى أسطنبول وصار عند القبائل فرح كبير بتعيين الفلوس وإن كثرت حتى أن الشيخ قاسم الحواني توفي بعد الحوزة وذكروا الدولة أن عنده فلوس وطلبوا القبيلة كلها يهتموا فيما عنده فأجابوا أن إذا عنده سلموا من كيسهم ورثته وأنهم منتظرين منه بالوفاء فحبسوهم جميع وقيدوهم حتى إمتثلوا بتسليم ما قالوا .

ولا زالوا الدولة يجدوا في شياطة الطعام كل يوم ما وصل إلى المدينة حتى في آخر السنة فيما سبق ما يشتاطوا إلا في الصراب .

وهذه السنة لم كفوا وكذلك في العمارة في كل ناحية في صنعاء وحوازا فعلوا في نغم قلعة كبيرة فوق المنظر وحفروا لها برك للماء كبيرة وقضضوها^(٥) تتكلف في آلاف . وفي باب شعوب قلعوا الباب وفرضوا^(٦) في الدوائر فرضتين^(٧) وبقوا الناس يسلكوا من تلك الفريضة

(١) كذا ولعله الفاعل .

(٢) يختلف .

(٣) تمهيد الطريق بالمحر وهو حديد يربط وراء الثور .

(٤) خ يسلوهم .

(٥) سبق شرحه .

(٦) فتحوا .

(٧) فتحتين .

ويخرج منها السيول والباب مقلوع ، ولم أمكن القبائل يهملوا بالدخول مع أنهم كان فيما سبق يدخلوا من فوق الدائر ولكن الصميل حق الدولة خلاهم يسلكوا ما أحد يهمل^(١) بشيء السعد كل السعد من يشقى^(٢) في الطريق بلا شيء وترؤح^(٣) يرقد في بيته مريض فله درها هذه الدولة كما قيل (غبر الشميل^(٤) إذا لم يظلموا ظلموا) فصاروا مع الظلم سالكين ساكنين والله سبحانه تفضل على عباده هذه السنة بأمطار متكاثرة لا يعتادوها في هذه المدة الماضية بقي المطر نحو شهر من أول شباط إلى آخره وهو مطر سعوداه رثوا عليهم دثا^(٥) في كل أرض بل هو قد هو يغني عن الصيف^(٦) ولكن الله يأتي في الصيف بأكثر منه فله الحمد عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته ولولا ذلك أن العباد في أضيق مما ذكر لأن مع عدم الضبط على من يستحقه لاحت الفرصة لأولاد السوق في المفارقة^(٧) في كل شيء قد كان بيثيطوا عيال السوق من نقص الربيع في السعر وما أحد يلقي حاجته إلا منهم ولا عليهم ضبط فخيّب الله آمالهم وأنهم على جميع عباده من عنده بغير ما يحتاجوا من يضبطهم وهو المنصف وإليه المرجع والمصير .

وعمروا باب شعوب فعلوه متوجّه^(٨) قبلي لأنه كان متوجه غربي وكان عليه نوبتين لأجل يكون فيه معصر^(٩) للداخل والخارج يحمي علي الباب وكان مكانه الأول أحكم^(١٠) وأوثق في العمل ولكن الله أعلم ما مرامهم^(١١).

وفي أول شوال بقيوا يذرعو^(١٢) الشوارع ويهندسوا^(١٣) فيها من باب شعوب إلى باب اليمن / ومن باب السبح إلى السائلة إلى الفليحي إلى الزمر وتحققوا الذرع بالذرع وأشبار

(١) يهمل يستضعمه .

(٢) يعمل .

(٣) يروح يذهب .

(٤) رداء خشن أسود خاص بالقبائل . وهذا من أمثال العامة (انظر الأمثال اليمانية ج ٢ / ٧٤٥) .

(٥) الدثا بالتخفيف ثمرة زائدة تأتي في الربيع في غير وقت المحصول .

(٦) وقت الحصاد .

(٧) الكسب الكبير .

(٨) مواجه .

(٩) ملف منعطف .

(١٠) أوثق .

(١١) قصدهم .

(١٢) يقيسوا .

(١٣) من الهندسة يخططوا .

وميزان الهوى وسيية^(١) ينصبوها وأشياء غامضة ما يعلم أحد ما هي وفي أجل^(٢) المدينة هكذا بل في جميعها .

ويوم السبت ١٣ شوال عزم الوالي مشير أرض اليمن أحمد فيضي باشا جهة عصر مقصده^(٣) وأخبار الناس يريد الحديدة وصحبته الخيالة المسمايين بالسوارية نحو مئة غير الذين رجعوا واضطربت الأخبار في عزمه بين قال وقيل وقد ظهر التنافر فيما بين أصحاب الدولة الكبار وأعظم ما ظهر بين المشير أحمد فيضي وبين المفتش والدفتردار ، وصارت الأهوى النفسانية بينهم والله أعلم هل هو الصحيح أو هو دهاية رومية ودبارة^(٤) هينماوية^(٥) . على الجهات الأهنومية ، وقد كان كتب إلى بلاد البستان وبني مطر يلقوه إلى الطريق لأجل^(٦) الرماح فلم يصح ملقى وأمروا الدولة في صنعاء باليسك علي لغتهم يعني من ظهر في الليل من بعد ساعتين قبضوه إلى الصبح ولو كان معه فانوس أو كانوا جماعة حتى أنهم قبضوا حراوة^(٧) قشلمين^(٨) بعد إنقضاء بعض الليل .

وفي هذا الشهر عدم السمن وغلا سعره حتى وصل رطل ونصف بريال غير موجود وبقوا الحجاج يدوروا في تلك المدة حتى عزم أكثرهم والباقيين متحيرين^(٩) من أجل السمن .

وعزموا في هذه السنة من صنعاء خلق كثير لم قد وقع أكثر منهم في ما مضى الله يعينهم ويحميهم على جناح السلامة .

ونهار السبت^(٩) شوال صباح الصائح في أن من بقي في السوق من مغرب أو فتح حانوت أو ظهر سراج أو ظهر إنسان في سوق أو في شارع فجراه خمسة ريال ويخرجه العرضي يحبسوه فطلع رئيس البلدية الشيخ محمد باشا البليلي يراجع في ذلك فلم أمكن قبول المراجعة إنما أخرجوا للناس ساعة الذين يصلوا في المساجد مغرب وعشاء على الفور

(١) سبق شرحه .

(٢) أكثر .

(٣) قصده .

(٤) خدعه وتدبير .

(٥) همايونية . وهي لفظة فارسية هي في الأصل اسم طائر كانوا يزعمون أن من وقع عليه أو أظله وصل إلى أعلى المراتب . أطلق على العزيز والملك وباب همايون باب السلطان (أنظر المنجد في اللغة) .

(٦) بياض في الأصل .

(٧) أعراس .

(٨) مزارعين في البساتين المدنية .

(٩) متأخرين من غير حاجة .

ويتروحوا^(١) بيوتهم ، وأما في السوق فلا تقفح حانوت من مغرب فلورأى أحد تلك الأسواق جميع لم يجد فيها أحد للحقته^(٢) الوحشة وأفرعته الدهشة وبقوا الناس في حال عظيمة مثل الحجاج أهل البر^(٣) كانوا في صنعاء ومثل أهل المِهْر^(٤) الذين لم سمعوا الصائح كالحوك وغيرهم الذين ما يطلعوا السوق إلا مغرب بيتصرفوا^(٥) ويتشققوا^(٦) ولم زد لقيوا أحد ولا شقا^(٧) ولا مصروف والذين في المساجد ما أذنوا إلا وقد كان بيتروحوا وبالحال أنهم أذنوا أبحن من العادة خشية من الدولة والله أعلم / ما سبب ذلك ولم أمكن الناس يَغْدَرُوا^(٨) في المساجد إلى آذان العشاء والصلاة إلا بعد أن سمعوا الصائح الثاني في الأسواق والصائح الثالث آخر النهار بعزم الحجاج صبح الإثنين وخرجوا أصحاب الدولة حسب العادة ونصبت الخيام واصطفت العساكر الشاهانية وضربت لهم المزامير الكرخانية ودارت لهم الشربات^(٩) والقهاوي^(١٠) وبعد قاموا أَصْطَفُوا وابتهلوا بالدعاء إلى الله سبحانه والدعاء للسلطان . أولاً دعا بالناس الفقيه العلامة الوجيه عبد الرازق الرقيحي ، وبعد ذلك سيدي الصفي علامة اليمن أحمد بن محمد الكبسي ودعا حسب عادته وبعده أمير الحج السيد محمد غمضان الذي يياخذ المصروف من الدولة ، ولكن قيل أنهم أسقطوا هذه السنة شطر المئين الريال حيث كان الباشا غائب في تهامة ، وفعل الوالي في تهامة ما شاء الله ومر على بيت الفقيه وزبيد وطلع تعز وطلع يريم وذمار ومعبر والتفقه^(١١) القاضي علي بن أحمد المجاهد بالبقر والغنم والسمن والدقيق والشعير والحسيك وجميع ما يحتاج .

ووصل صنعاء بين الخميسين يوم الإثنين بين الصلاتين ونزل صلى الجمعة يوم الوقفة في الجامع وصَرَفَ^(١٢) أهل العهد مثل الخطيب والإمام والمآذنة والساذنين حسب عادته كلما يجيء الجامع يفعل ذلك والخير فيما هنالك والأعمال بالنيات .

(١) يذهبوا .

(٢) أدركته .

(٣) الذين هم من خارج صنعاء .

(٤) الأعمال .

(٥) يشتروا حاجاتهم .

(٦) يتفقوا على أعمال في الصباح (أي يتأجروا) .

(٧) أجرة .

(٨) أي تدرکہم الغدراء وهي الظلمة (ظلمة الليل) .

(٩) المشروبات .

(١٠) جمع قهوة معروف .

(١١) أي أدركه .

(١٢) صرف لهم .

وصبح يوم النحر ما أصبحوا الناس إلا وبه^(١) حفرة في سوق الأبيض حارقة رماد
دَكن^(٢) وقد مكانها خشن في بقعة صلبة ما يدخل فيها المسمار إلا بدق شديد وهذه الحفرة
كان يدخلوا فيها العصي وغيرها فتدخل قدر القامة ولا تخرج إلا حارقة من دون حر ولا نار إلا
حرقه نكيرة كدرة^(٣) ما تزول من تلك العصا أشبه شيء بالقبور التي يظهر حريقها في بعض
الحالات الله أعلم ما ذلك ودهشوا بها خلق كثير نسأل الله السلامة من كل منكر ونكير أنه
على ما شاء قدير وبإجابته جدير .

وطلعوا يشاهدوها أهل المدينة جميع متعجبين وصاروا يدوروا في كل مرادة^(٤) في
أزقة المدينة ويحفروا فيها ويجدوا مثل ذلك فناس أيقس^(٥) وناس هَجَن وأما المذكورة هذه
الأولة فنزل أمير العلایا^(٦) وكبير الضابطية يشاهدوها ورئيس البلدية الشيخ محمد بن محمد
البليلى .

ويوم العيد لم وقع عند الدولة مثل الأعياد السابقة من العراضة والسلام على كل أحد
إلى بيته بل خرجوا من القبة البكيرية وكل أحد وجه^(٧) بيته ولا خرجوا إلى العرضي وسلموا
على العساكر ولا وقع ما مما يعتاد شيء الله أعلم ما لهم وما بينهم وما معهم لأنهم شدوا من
صنعاء في شوال والقعدة بنادق كثيرة ومؤنة بارود ورصاص ومعايير أحمال لا تحصى نحو
الألف الجمل بل أزيد ونزلت الحديدية ودخلت البحر ، ولم قد اتفق مثل هذا بل أنهم يرحلوا
إلى صنعاء من كل بندر ومن أسطنبول وهذا العكس / .

ويوم الخميس ١٥ الحجة سنة ١٣١٠ عزموا بمدفعين كبار من أكبر المدافع وسافروا
بها جهة الحديدية وصحبها عسكر وقيل أن المطلوب من صنعاء ستة مدافع كبار الله أعلم ما
سبب ذلك استرجاعهن .

ويوم الجمعة ١٦ أُلزموا المأمورين وأهل الأمر بالخروج إلى العرضي وخرجوا جميع
أهل الحل والعقد وإذا معاهم نشانين^(٨) ركبهن في البيارق حق الخيالة الطبعية^(٩) ويكثروا

(١) بمعنى وبه الفصحى .

(٢) دسم .

(٣) نتن .

(٤) موضع الرماد .

(٥) خاف .

(٦) هو الألاي . أمير اللوي بيدل الألف عيناً .

(٧) توجه بيته .

(٨) نشانين .

(٩) الطبشية (المدفعية) .

بالخير ودعوا للسلطان ورجعوا وسمعوا من المشير كلاماً يدل على حمق عظيم على الفقهاء والمبيضين^(١) جميع ووعظهم سيدي العلامة الصفي بجمع الكلمة وعدم التفاسل فيما بينهم لما قد ظهر بينهم من الإحن وقال : قال الله تعالى : تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم^(٢) وعزموا بمدفعين أخرات كبار جهة الحديد في اليوم ولعلنه صحين^(٣) ستة الذي قد سارين .

ويوم السبت وصلت كتب من المحابيس الذين أدخلوا من أرض اليمن وحققوا بالسلامة والعافية وأنهم باقين الآن في مدينة أردوس^(٤) بعد أن جلسوا شهر ونصف في كمران^(٥) مكرتين وسافروا بهم إلى مدينة أزمير ووصلوها في شعبان وسافروا بهم إلى أردوس ووصلوها في رمضان سنة ١٣١٠ والآن فيها وصلت كتبهم وختومهم وأنهم باقون بيتين فيها وكفاياتهم من السلطان كفاية^(٦) فاضلة ما خلى الحاج سعد الدين الزبيري وحده فإنهما في إسطنبول في حضرة سلطان الإسلام .

وفي عشرين الحجة إشتد الأمر من النصراني المسمى بالطلياني على المبرد والمتنين^(٨) أن لا يبيعوا شيء وغلقوا الحوانيت أربعة أيام وأجبر عليهم أن لا يقع : للسراة^(٩) والتنباق إلا منه وخرج على المجلوب في جميع قضاء اليمن وأكثر المجلوب عدن حرج عليه في قعطة والسدة لا ينفذ صنعاء شيء وامتنع المجلوب ولم أحد أنك من المشيرين والبوش وأجابوا أنه متقبل لذلك من السلطان وصار الأمر فيه منه وإليه على الإسلام والمسلمين كيف شاء وطلب كبار التجار الجلايين وطلعوا إلى عنده وطبه له أنهم في قوله وأنهم أعوانه يأمرهم كيف شاء وهم يخدموا ضميره فيما شاء وهم أنفار من صنعاء همج رعا^(١١) تجار آخر الزمان لا يعرفون أمور الشريعة ولا سي المعاملات ولا يعرفون إلا جمع المال من أي طريق حل أو حرم وهم بيت الخميس

(١) الذين يلبسون البياض وهم العلماء والفقهاء .

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٧ .

(٣) تحققن .

(٤) هي رودس وهي جزيرة في تركيا . كانت من أملاكها ثم تحولت إلى اليونان بعد الحرب العالمية ا

(٥) من الجزر اليمنية على البحر الأحمر .

(٦) كفاية .

(٧) سبق ذكره وهو نشوق أصفر يصنع من التبغ مع أخلاط أخرى ويخزن في الفم .

(٨) بائعوا التبن وهو التبغ .

(٩) نوع من التبغ .

(١٠) أي وقعوا له .

(١١) خ رعا .

عجروز الغريري وشامي الكلابي هؤلاء الذين أضروا جميع المسلمين / .

ويوم السبت ٢٤ الحجة اشتدت^(١) من صنعاء مونة كثير من مؤنة المدافع الذي نزلت الحديد والبنادق نحو مئين ظهر ويوم الأحد وصلوا أربعة أنفار من اسطنبول المسمايين بالهيئة^(٢) وهم مفتشين ولهم منتظرين لهم شهر من حين وصل خبرهم في البسطة والسلك وبقوا مترقبين وصولهم كل وعد والباعث لوصولهم المفتش السابق الذي له نحو خمسة أشهر لأنه بقي يكتب إلى اسطنبول يتربش اليمن ولم توافق^(٣) هو والوالي الباشا أحمد فيضي فبقي كل أحد يكتب بالآخر سيما من حين وقع حبس المحابيس الذين أدخلوا فإن بعض المحابيس فزع إلى المفتش السابق وهم بيت الحرازي فوق حبسهم مع المتهمين فدخلت الشحنة فيما بين المشير والمفتش . هذا على ما ظهر بعقول أهل اليمن . وأما بعض الناس فعندهم إنها إلا تمويهات يُغطوا بها على أهل اليمن والله أعلم فوصلوا يوم الأحد وصرفوهم [إلى] بيت الصعر في بئرالعزب والله أعلم ما ينتج .

ويوم الثلوث . الحجة اشتد الحر^(٤) واليباس وتغيّرت أحوال الناس من قل المطر قد هو آخر الصيف وقد زلّ^(٥) وقت الذرة بل قد دخلت نجوم الخريف أول غلب^(٦) فضايق الحال وقل الاحتياال فتجمعوا شردمة قليل وخرجوا يتسّقوا^(٧) وقصدوا باب الملك الجليل بعد صلاة العصر . وفيما سبق كان في السنين الماضية يخرجوا بعد الظهر ويرجعوا عند الغروب فلما رأوهم السفهاء والشامتين ترامزوا^(٨) من أجلهم استخفافاً لهم وإستحقاراً لهم ووقع فيهم القيل والقال ولما كان ذلك ممن ذكر هنالك أجابهم الرب المالك وأغاثهم بما سألوه هنالك فلم يكن بعد صلاة العشاء إلا وقد تراكت السحاب والبروق والرعود من كل جهة ولم يمسوا^(٩) إلا وقد مطرت أكثر هذه الأرض سيما جهة المشرق والقبلة الذي بدع المطر منها ويوم ثاني نهار الربوع مطر عام على كافة أهل الإسلام والليل كذلك فله الحمد كثيراً ما أقربه ممن استغاث به فلا نحصي ثناء عليه بحيث لو زاد تأخر المطر لكانت تشبه سنة الإحدى عشر

(١) شدت .

(٢) كأنها الهيئة .

(٣) اتفق (قابله) .

(٤) القيض .

(٥) زله تعداه في المشي أو مر عليه .

(٦) من النجوم الزراعية عند أهل اليمن .

(٧) يستسقوا .

(٨) تحدثوا فيما بينهم بالرمز .

(٩) يبيتوا .

في المئة الماضية كما قد كان الناس يتذكروا منها لأنها سنة ضريرة جداً وقعت فيما سبق في دولة المنصور على سنة ١٢١١ ما قد وقع أضر منها وصار يضرب بها المثل حتى قيل أنها هذه السنة الداخلة ١١ ستكون منها وأشد منها بما قد عندنا من كثر الأجناد السلطانية وسعت ما في أيديهم من المال ما جَهِدَ الضعيف / والمسكين فالحمد لله رب العالمين مجيب السائلين وغياث المستغيثين .

ودخلت سنة ١٣١١ يوم الجمعة

ويوم السبت طلع كبير الضابطية مرزاح آغا إلى نغم بين الصلاتين أنزل المتعربين^(١) وخلاهم شريد وفزعوا فزعة كبيرة كونه طلع لهم بجماعة من أصحابه الزبطية وهربوا إلى صنعاء ومنهم من هرب جهة شعوب ودخلوا من باب شعوب شركهم في البريم^(٢) في نصف طبيخها ولم زد أمهلهم ساعة ووصلوا فالهم : شل برمتك لف آلتك .

ويوم الأحد حضروا المتنتين والمبردقين والنصراني المسمى بالطلياني المتقبل للتباق عند الشيخ محمد البليلى رئيس البلدية وضيق النصراني على رئيس البلدية في الجزم بالحكم على ما بيده في تسمير الحوانيت وقنوع المتنتين . وكونه متقبل فحكموا له وطلعوا الأسواق جمع نَجَلُوا^(٣) ما عاد في الحوانيت من تنباق إلى المخازين وسمروا المخازين ولولا عاد معاهم القشر^(٤) لَسَمَّرُوا الحوانيت وبقوا في حالة عجيبة كون النصراني يصيرله هذا العمل وضر جميع السادة والمسلمين لأجل نصراني وغلقوا المبردقين وقد وقع مثل هذا التغليق في آخر الحجة في الشهر الماضي نحو أربعة أيام فهذه مصيبة المذكورين الذين طبعوا للنصراني وهم الحاج محمد الخميسي وحسين الخميسي وشامي الكلابي وأحمد عجوز العزيري والحاج أحمد المقعرل^(٥) وبعد استغنى تجار آخر زمان وأما الكلابي فحال تغليق الحوانيت وتسمير المخازين وهو في حانوته يبيع التنباق وَيُقْلُ للناس لا تقلقوا^(٦) أنا جالس فاتح دكاني والتتن معي كثير وقد معي تذكرة وإذن من النصراني في البيع من يشتي جاء إلى عندي وأبسروا^(٧) الورقة في حانوته بخط النصراني آمنا بالله قال الله تعالى : ﴿ ومن

(١) كذا . ولعله المتغزيين (الغزاة) .

(٢) جمع برمه وعاء من خزف يطبخ عليه اللحم . والشراء جمع شركة (سبق) .

(٣) نقلوا .

(٤) قشر البن .

(٥) كلمة مبهمه .

(٦) لا يصيبكم القلق (معروف) .

(٧) أبسروا .

يتولهم منكم فإنه منهم ﴿١﴾ فهؤلاء التجار هم الفجار وهم الأغمار لا يعرفون الحلال من الحرام بل لا يعرفون ما فروض الإسلام ولا ما شروط الصلاة ولا ما يحلها ولا ما يحرمها لو تسأل أحدهم وما التهافت على الحطام فكما رقم الله يلهمنا رشدنا ويبصرنا عيوبنا ويحفظ علينا دين الإسلام هؤلاء أصحابنا وتجارنا تهافتوا على حب الدنيا الفانية حتى أعموا جميع الناس وضلوا وأضلوا لأجل تكون الكلمة لهم والبيع والشراء .

ويوم الثلوث ٥ محرم تجمعوا الناس إلى الجامع وتَسَقُّوا وطلَعوا يشتكوا على أحمد فيضي بالتسقية والمعالم ^(٢) وفعلوا لهم مهلة نصف شهر يرجعوا يبتاعوا ويشترى وهم يكتبوا إلى السلطنة وبقوا المتسقين يترددوا على الطلياني إلى باب السمسرة حقه بالتسقية وينهوا المنكر وبعضهم يرمموا بالحجارة إلى السمسرة لأنهم رأوا اليهوديات داخل السمسرة بيتفرجين عليهم في ذهنهم نهي منكر وفجأع ^(٣) له / حتى ألقوه وما تم ^(٤) إلا قوله رجع يبيع منهم من قوله ^(٥) والذين عاد كان معهم تتن فعل عليهم على كل كيس ثلاثة ريال حجر بالمشاهدة والذي ما عاد معهم شيء باع منهم بسعر غالي وفعل في كل كيس علامات طابع وجدائل فيهن صبر ^(٦) لأجل يظهر إذا وجد شيء بغير علامته أخذه قهراً وفعل لنفسه معاونين كالخدم أو كالعسكر وفعلهم مصاييف كبيرة في كل شهر من عشرين ريال وأقل وأكثر وبقي عنده منهم جماعة يشهدوا له بما يريد وسرَّح الآخرين إلى جميع المدن يفتشوا على الناس ويفعلوا مثلما فعل في صنعاء وفعل في كل باب في صنعاء نفرين يفتشوا على من خرج من المدينة ومعه تتن ولو نصف رطل أو ربع رطل ويقبضه ره إلى عنده يسأله من أين أخذه فإن كان من بضاعته أدى ^(٧) له ورقة يخرج بها من الباب وإن كان من غير بضاعته أمضى حكمه فيمن باعه منه نسأل الله الحماية من هذه المصيبة التي أصابت المسلمين وما ذلك إلا بسبب الذنوب على جميع الناس من العرب وهذا العمل صار في كل بندر حتى في مكة المشرفة وجدة والسبب أنه تقبل ذلك من السلطان فلم أحد قدر على دفع تلك المصيبة الله يفرج على عباده ويحفظ علينا دين الإسلام حتى يتوفانا الله عليه ^(٨).

(١) سورة المائدة ٥٤ .

(٢) هم طلاب المدارس .

(٣) إخافة فجعية .

(٤) إنتهى إليه الأمر .

(٥) أي بالسعر الذي يريده .

(٦) مادة سوداء تستعمل في الأدوية وغيرها .

(٧) أعطى له .

(٨) قلت هذا الطلياني المذكور هو يوسف قابورتي ذكر المؤرخ زيارة أنه عاش في صنعاء إلى سنة ١٣٢٢ هـ أنظر أئمة

اليمن ٣٦٦ .

وأما خبر موسم الحج هذه السنة سلخ سنة ١٣١٠ فوق فيها رحمة عظيمة في مكة وجدة كان يقع في كل يوم أربعين خمسين جنازة فلما كان يوم الجمعة يوم الوقوف في عرفات وقع أكثر من ذلك وأما يوم العيد فوق طاعون كبير في جميع أهل الموسم من كل جهة نحو الربع الثالث ممن وقف ورمى الجمار حتى أن بعض البداوة أهل تجد ومن لم يعرف الشرعيات هربوا من منى قبل تمام المناسك وكان يقع لهم دفع^(١) ومخروج^(٢) قدر ساعة ساعتين وقد مات . وما زِد إلا في المعافد^(٣) ووصل قيمة القبر إلى سبعة ريال وإلى تسعة وكان يرصوهم مثل القصب حتى أنه مات ناس من الفجيرة^(٤) وبقي الموت في المسافرين نحو نصف شهر إنما هو دون ما ذكر ، والذين رجعوا من طريق الحجاز كان يلقوا الذين سبقوهم أموات في الطرق وفي الجبال والجرف^(٥) ومنهم من عاد فيه رمق ومنهم من قضى نحبه والذين رجعوا من طريق البحر كرتنهم في كمران وخلصوهم أداتهم وأحرقوها جميع ما كان ملبوس أو فراش أو بضاعة وكان يَصْفَو^(٦) الحجاج بماء حار ويبخروهم^(٧) بشيء ويبقوهم مدة الكرتنة وما وقع وصولهم إلا في آخر محرم سنة ١٣١١ / وأخذوا منهم دراهم كبيرة مدة بقاهم كل يوم ربع وثمان حجر^(٨) غير الذي عند العزم من ريال كل واحد ومن ريالين وغير ما يلحقهم من غرامة وصرف^(٩) وقطية بسبب الكرتنة وإلا فما كان يقع أول محرم إلا وهم في صنعاء وعاد كان ركوبهم في سواعي^(١٠) يجلسوا فيها نصف شهر وعشرة أيام وعشرين يوم على التيسير فلما كانت هذه المراكب يركبوها يومين ويخرجوا جلسوا هذه المدة والمقصود تعذيبهم وخلاسهم^(١١) كان يسلّموا نول الساعية نصف ريال ولما فعلوا المراكب صار النول خمسة ريال ستة ريال وبعد ذلك ما ذكرنا هذا وقد جرى عليهم ما ذكر من الموت والمرض والهدم^(١٢) والغربة ولما قد قارب محله بقوه^(١٣) وعذبوه بهذا العذاب وقد

(١) تقيؤ .

(٢) إسهال .

(٣) حفرة كبيرة تحفر للأموات جماعة .

(٤) شدة الخوف .

(٥) سبق شرحه وهو خندق أو مغارة في الجبل .

(٦) ينظفونهم .

(٧) يدخنونهم بالبخور .

(٨) ريال حجر قرش لرانصي .

(٩) نفقة .

(١٠) جمع ساعية .

(١١) سلبهم .

(١٢) الفجيرة .

(١٣) أبقوه .

أخبرني الثقات أنهم شاهدوا عند نزولهم من منى للطواف الأموات من منى إلى مكة في الطريق ممددين كالحزم^(١) القصب ومن منى إلى طرف الحجاز مزاحمين في الطرق بعضهم له يوم وبعضهم له ثمان وأقل وأكثر أمراض وأموات حتى جافت^(٢) الطريق ولما قارب بلاده وهرب من تلك الفجائع فعلوا به ذلك وأخذوا ما كان معه من الفلوس لهم والكسوة والبضاعة والفراش وجميع المتاع للحريق أحرقوها في كمران حسبنا الله ونعم الوكيل .

وفي أول شهر صفر أحرقوا لهم بيت الحكومة في مدينة العرفي الحيمة بمن فيه وكان فيه قدر إثنا عشر ويزيدون ونصفهم من كبار الأتراك قائم مقام حراز وغيره مفتش خرج من صنعاء يكشف بين المدير والقائم مقام أو أمين الصندوق ونصفهم عسكر عرب زبطية وسلم الله عسكر السلطان الضعفاء المغصوبين الغرباء المقهورين وذهب البيت بمن فيه وبما فيه من عفش وسلاح وخزنة وفلوس وهن هؤلاء المذكورات سهل جنب النفوس .

إذا ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار وأما خبر الذين خرجوا المسمايين بالمفتشين . اليوم شهرين زمان ما أحد لقي منهم فائدة إنما مثل الأول نامق بيه حرشه^(٣) بين العرب والعجم يوهموا هذا بمراد ويوهموا هذا بإفادة ولم صح واحدة وفعلوا مجلس سموه قالوا قمسيون^(٤) لكشف المظالم وجعلوا فيه أهل الإدارة كما يقال (داوني بالتي كانت هي الداء) وأضافوا إليهم السيد العلامة أحمد بن الكبسي والفقيه أحمد السياني^(٥) وناس من السوقة التجار لم ساعد وبيت السنيدار ومحمد بن عبد الله الثور واليوم للمجلس شهر زمان لم قد رأينا ولا سمعنا فائدة لا للسلطان ولا للعرب إلا تقوية شوكة الكافر الطلياني ببعذب المسلمين الحاضر منهم والباد الحاضر بيغصبوه للشراء مما قال وإلا حُبس وقد في الحبس ناس بهذا السبب وأهل البوادي كل من خرج ومعه يَتَيْن ولوربع رطل رَدَّوه من الباب وهتكوه وقطعوه وغرموه آمناً بالله / وحسبنا الله . ولا زالت^(٦) شوكة^(٧) الكفر تتقوى وأخرجوا الزوار من المدينة النبوية كرهاً ما خلوهم إلا يوم واحد في المدينة غير يوم وصلوهم وقد تغربوا ليالي والأيام والأشهر وأعوام وصلوا ساحة سيد الأنام بقوهم خارج المدينة ودخلوا زاروا .

(١) جمع حزمة ربطة .

(٢) أننت .

(٣) محارشة دس ونميمة بين الناس .

(٤) مكتب .

(٥) فراغ قدر سطر .

(٦) غ زلت .

(٧) غ شكوكت .

ويوم ثاني ساروا ناس إلى قبا وناس إلى الحمزة^(١) لإنشاء الزيارات ويوم ثالث أزالوهم كرهاً يسافروا وإلاً صار فيهم ما يكرهون فصاروا وعيونهم باكية وقلوبهم على الرسول ضامية فيا ويلهم من الهاوية .

ووقع في الطريق حق المدينة بين ينبع والحمرا في المغاربة قتلة كبيرة ونهبة من البدو وتعرضوا لهم ينهبوهم ولم أحد نصرهم ولا أعانهم المغاربة لا من أهل تلك البلاد ولا من عساكر الدولة المترتبين في تلك البنادر والأنجاد لعل قد الشق حاصل لما يريدوه من قطع الحاج والزيارة وأخبرونا المشاهدين أنهم وجدوا القتلى في تلك الطريق على وجه الأرض مغاربة ذكور وإناث وأطفال وصبيان وبعض الأداة حقهم الثقال الذي لا تحمل مثل الشقاديث والقعايد مراجمه على وجه الأرض . ولكن قد البدو أخذوا مناهم من الذهب والفضة وما خف حمله فيا حياهم من الله ومن رسوله ﷺ .

وصار عمل الكفر في كل بندر حتى في الصليف ما بين الحديدية واللحية مقابل كمران قد النصارى فيه بيعمروا وقد العرب معاهم شقاء أجراً لما يأمرهم به وهكذا في [كل] جهة .

والبوش والمشيرين والكشافين الواصلين لم ينتج^(٢) من أحد نتيجة شيء إنما هم في أمرين أما قال الله تعالى : ﴿ سَكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى ﴾ وأما وهم عالمين بما بمراد السلطان وكاتمين لم أمكن يبينوش للعرب وأما هم فعلاً شوروا ودوروا ودبروا تدبير في تدمير ولا بقي إنتباه على شيء ولا حكم في شيء إنما بلده^(٣) ومعمل واحد في كل مجلس في صنعاء لا أمر ولا ضابط ولا تنبيه بيء أما هربهم فأسرع من جرة المنشار . إن دخل أكل وإن خرج أكل وأما ما بين العرب ولو في كلمة واحدة أو أي دعوى فلا تلقى ضابط فيه ولا لشهر ولا لسنة ولا لدهر ولكن إذا طلعت أدت فلوس وإن نزلت أدت فلوس والمفرتشين^(٤) في كل باب في صنعاء على من خرج ومعه تين ولوربع رطل لا بد من قطيعه^(٥) حتى يفتشوا شداة جمل أو حمار . فإن لم يوجد معه شيء اقتطع^(٦) واقتهر^(٧) وإن وجد معه شيء ردوه وحبس وهتك وغرموه وضرب فسبحان الحليم على عباده العليم بمراده ونسأله اللطف بجوله وقوته .

(١) ضريح حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ .

(٢) خ ينبج .

(٣) مجلس بلدي .

(٤) المفتشين .

(٥) تأخير .

(٦) تأخر عن عمله .

(٧) قهر .

وفي شهر صفر ذاد التحروج على البردقان مع التتّن وغلقوا المبردقين الحوانيت نحو نصف شهر لم زد وجه للبرقان أثر عندهم ولم زد ظهوراً خوفاً من الطلياني وفتشوا عليهم بيوتهم عبد الله الحيمي أصغر المبردقين نزلوا فتشوا بيته وشلّوا عليه قليل سرّاً^(١) وفعلوا عليه رباين ونصف حجر وبالحال أنه أصغر مبردق وأما النعماني وعشيش فطلبوا تفتيش بيوتهم وبعد هربوا الروضة كون معاهم بضاعة كثيراً ولا زالت الوسائط تتوسط فيما يقع عليهم من تسليم الفلوس على معاهم من بضاعة سابقة وأما من الآن فلّو يزد يوجد مع جلاب لا يصير عليه جزاء أكثر من ثمن البضاعة وامتنعوا جميع الجلابين من جلب التنباك والسرّات وصار الجلب والأمر والحل والعقد للطلياني وقد معه ناس مُرصدين عنده للخدمة وللحمول من النفخ^(٢) عليه كل واحد بعشرين ريال حجر وبأكثر ومنهم تُرك بفرد^(٣) وبنادق ومنهم زبطية ومنهم دلائين ومنهم غير ذلك / والتتن لم عدم مثل البردقان لأن بعض المتتّن أخذوا له إذن من الطلياني قبل الناس وبقية الناس الآن لم أمكن يجروا لهم إذن ولا زال الطلياني يفتش حناويتهم^(٤) في كل حين حتى أن بعض الحالات كان يفتش في اليوم مرتين وأما أبواب المدينة على ما ذكرناه في كل باب إثنين ثلاثة للتفتيش أما بردقان أو تتن إن كان قد معه فك^(٥) ورقة من الطلياني فخرج وإلا ردّوه وعاقبوه أشد عقاب وجروا منه جزاء لأن من وجد معه شيء عاقبوه فإن علي بن علي ساعد كان قد معه إذن وبعد باعه^(٦) أحد العرب ونزلوا فتشوا بيته قيل أنهم لقيوا عليه يتن غير المشتري من الطلياني فحبسوه وجروا منه جزءاً كثيراً وقيل أنهم مدوا أيديهم إليه في الفليحي قبل حبسه وحاصله الله يحسن المخرج ويعجل بالفرج .

وفي شهر صفر بدع الشيخ محمد بن محمد البليلي عمارة سوق الحب قيل أنها مُحسّنة منه وجمع العمارين أكثرهم واشترى أحجار كثيرة وخربه كله وبناه جديد على إثنين وعشرين عقد .

وفي ٨ ربيع أول ولم قد وصلوا بقية الحجاج من التعذيب المذكور أولاً وتعسير الأمور على الحجاج أو يتركوه والله غالب على أمره وناصر دينه ووصلوا الآخرين وحققوا لما وقع من ذلك فوق ما قد وقع معهم من أمر الله تعالى فلا قوة إلا بالله .
وكمّلت عمارة سوق الحب في آخر ربيع أول سنة ١٣١١ .

(١) نوع من التبغ .

(٢) أي لكي يخفف عليه من تحامل الناس وضعفيتهم عليه .

(٣) جمع فرد وهو المسدس وهو من كلام العامة .

(٤) حوانيتهم .

(٥) تصريح بالخروج .

(٦) باعه لأحد العرب .

ويوم الخميس ٢٥ ربيع أول عزموا الدولة سبعة مدافع وقيل ثمانية إلى الحديدية بعد السابقات وصحبتهن مؤنتهن حمولة كبيرة وعسكر وكل أحد يخبر بما بدى له وعلى قدر عقله وما تم إلا قول الطلياني واستبدت كلمته وظهرت مكوكته^(١) ووصل التتن المجلوب له ولا لأحد شيء من التتن إلا من الجلابين السابقين بل استبد وحده وسرح إلى جميع القضاة من عنده يفعلوا مثل ما يفعل في صنعاء وأخبرنا المشاهد لذلك في حجة وغيرها وهو يرصد عند عسكر عرب وترك والذين عزموا من عنده يبرصوا مثله البيانات مفتوحة وكلمة الحق مطروحة وعدالة المؤمن التقى مجروحة وسير أهل النفاق والفسق ممدوحة .

وفي هذه السنة صلحت ثمرة الكرم وهي العنب صلاح ما قد عرفناه في هذه السنين الماضية منذ أربعين سنة من سنة ١٢٧٠ إلى سنة ١٣١٠ وصلاح في آخرها وأوائل سنة ١٣١١ حتى أنه خرج السابع ودخل فصل الشتاء والعنب باقي في الأرض جميع ومجلوب إلى صنعاء وإلى كل محل من المحلات التي ليست محلات عنب كل المغارب والتهائم وسعره في آخر الخريف مثل سعره في أوله الطيب ستة وعشرين رطل بريال يصح من أرطال صنعاء القديمة ٣٢ رطل واتصل^(٢) به كل فقير وصعلوك لأن قد كان أيس منه الفقراء والمساكين وما يصل عنده إلا الأغنياء والمالكين بل أن في أول ما صارت فيه العاهة من سنة ١٢٧٠ إلى سنة ٨٠ أيس منه الخاص والعام ومن سنة ١٢٩٠ لا زال ينمو أكل سنة أحسن ولكن ثمرة يسيرة وأما هذه السنة فليله الحمد لم قد صح مثلها فيما مضى حتى أن الخطيب خطب وذكر بوجوده هذه النعمة بعد أياس فالحمد لله عدد خلقه وزنة عرشه ورضى نفسه ومداد كلماته / آمين .

وقد ذكرنا صلاحه في مواضع كثيرة من قبل تمام المئة الثالثة عشر ولكن بالنظر إلى ما مضى حين انقصر فكل ما تجيء سنة وفيها صلاح نذكر صلاحها . وأما هذه السنة فما بعد ذلك الصلح إلا في سنة سبعين وإحدى وسبعين فلا يقال أن أحنا أكثرنا ذكره في كل مكان والله يصلح الشأن فمن الصلح أنه كان من أول الخريف سعره الرطل ببشتين زلط تصح ثلاث بقش والفاتر^(٣) ببشتين ونصف وفي خامس ربيع آخر بعد أن دخلوا أهل الخريف من المخارف جميع وقد هو في أثناء الشتاء قد صربوا النظايا^(٤) ما عاد إلا الذرة في شهرين^(٥) أول سَعَرُوا العنب الرطل ببشتين وثلاث بدون ما كان في وسط الخريف فهذا من كثره وما

(١) هو المكوك بالتشديد هو موضع طوي الفتلة عجلة يطوي عليها الفتلة .

(٢) كلمة غامضة .

(٣) الضعيف الردي .

(٤) النظايا سبق شرحه وهو محصول من البر والشعير يأتي في الصيف .

(٥) خ تشهر بن محقق .

ظهر لهم إلا ببقاه إلى هذا التاريخ ولو علموا الصلح^(١) من أول الخريف أنه ابتاع^(٢) الرطل ببقشة فنسأل الله يديم تلك النعمة على عباده ويرفع النعمة .

وفي خامس ربيع آخر أمر الطلياني أن يأخذوا الزبانية حقة البردقان من حانوت ابن عشيش قهراً ويأتوا به إليه ووقع ذلك وقيل أنه وصل بنفسه ينهبه والله أعلم وتغيرت نعمة الولعة^(٣) حق البردقان لأن أهل صنعاء ما تولّعوا إلا بحق عشيش وقد كان أبوه إمتنع من بيعه وجلس في الروضة وغلق الحانوتين الذي كان فيها هو وابن الحكيم والذي فيها سيدي يحيى المسوري وبقي هذا المذكور الله أعلم ما يكون وبعد وعدين جاء النصراني لإبنة ونهبه من حانوته البردقان وكان مراده يحبسه وغلق وعدين .

وفي ذلك اليوم أمروا الدولة بأخذ ما وصل من طعام وحنطة لهم لا أحد يشل من أهل صنعاء شيء وزاد أخذوا حق الملاك الذي وصل لهم من مالهم وبقوا طول يومهم يطلعوا إلى باب الدولة فلم أمكن يفكوا عن أخذ حق الملاك وأما المجلوب فبالأولى والأحرى ومن جملة المأخوذ حق الحاج عبد الله بن محمد الثور وحق الفقيه محمد عامر هذا بالمشاهدة ، وما خفي كان أعظم والله بعباده أشفق وأرحم كيف بالضعيف واستمر الأخذ لما وصل ملك^(٤) أو وقف أو نذر أو مجلوب وأي طعام كان حنطة أو شعير أو ذرة . وبقي ناظر الوقف الفقيه حسين العمري^(٥) يطلع إلى الوالي وإلى السمسرة ولم أمكن يرحموا أحد^(٦) أو يشفقوا على أحد وأخذوا على كل ما سلم من أهل صنعاء بشر حتى الوقف وحال الصراب ولم يوجد في سوق الحب نقر^(٧) حب وكل ما وصل إلى السمسرة ما زد خرج بل يأخذوه قهراً حتى نشاد من الذين يخرجوا البوادي ينشد في الأجران^(٨) بالطيران^(٩) دخل وقد معه نصف قدح فأخذ في السمسرة والجمال تنزل تشده للدولة وبالحال أن قد ييصال لهم زكاة مئاة في كل يوم وهذا

(١) أي صلاح العنب .

(٢) ابتاع .

(٣) التولع .

(٤) أي مملوك لأشخاص من أراضيهم أو وقف للدولة والأوقاف أو نذر وهو المال الذي نذر به أصحابه لحماة من الفقهاء والمساكين وغيرهم .

(٥) هو علامة اليمن ومسندها العلامة : الحسين بن علي العمري ولد سنة ١٢٦٥ وتلقى علومه على جل مشايخ اليمن وكان تولى نظارة الأوقاف مدة من الزمن ثم عزل بعلي بن محمد المطاع سنة ١٣١١ أنظر أئمة اليمن ج ١ ق ٢ ص ١٤٣ . توفي سنة ١٣٦١ . وقد أفرد بالترجمة المؤرخ عبد الله الجوافي في كتابه تحفة الأخوان بحلية علامة الزمان المطبوع في مصر سنة ١٣٦٥ .

(٦) خ أشفقوا .

(٧) مكيال صغير .

(٨) جمع جرن سبق شرحه .

(٩) جمع طار معروف .

المأخوذ قهراً في حاله وبعد كتبوا الملاك إلى البوادي ببقاء الحب عند الشركاء وهم محتاجين خوفاً من ذهابه وتعطلت المدينة من الطعام الله يلطف بالأنام ويفرج على كافة أهل الإسلام .

وفي شهر ربيع أول قتلوا الشيخ أحمد البنوري صاحب حراز في بلاد الثلث قتلوه أهل عزلته أهل قريته .

وفي ربيع آخر قتل واحد من بيت الحسيني صاحب رجام في خارج الروضة قتلة خيالة في الطريق قيل أنه قضاء وقيل كان مراده ينهبه .

ويوم الخميس ١٦ ربيع آخر عزم من صنعاء الكاشف الذي وصل في جماد في العام الماضي ووصل صنعاء أوهم أن بيده الحل والعقد وتهافتوا إليه جميع العرب بالمشاكي والمضابط وأوهم^(١) أن الوالي أحمد فيضي باشا معزول وأن من له عنده مظلمة فهو ينصفه فلما سمعوا منه ذلك أفشوا أسرارهم إليه وتهافتوا عليه بأجمعهم الحاضر والباد وبقي يواعدهم واحترشوا^(٢) جميع فيما بينهم وكل أحد أبدى ضميره إليه وأفشى سره عليه وعزم ولم نتج منه شيء وتركهم في عمياء بعد أن كانوا في ضياء لما قد كان الباشا غضب على من في اليمن وبعد مدة رضي عليهم وسكن فلما كان ما ذكر رجوع عليه / منهم الحزن وخرجوا يزلجوه^(٣) إلى عصر خلق كثير والباشا معهم وقد أخذ أسرار جميع أهل اليمن وما كان يتخاصموا لديه إلا بالمصائب الكبار الذي لا يفعلها الأخيار والمسلمين الأبرار ولا تقع إلا للفجار في بعضهم البعض وكل أحد يدعي على أخيه وصاحبه وجاره أن هذا كان يكاتب الإمام وهذا يقول هو كان يسير عند الإمام وهذا يقول هذا حارب الدولة في أيام الحوزة وهذا يقول هذا عنده بنادق الدولة وهذا يقول هذا نظر حميد الدين بإسم هذا كان يزكي ماله إليه وهذا يقول هذا جلس لديه وهو هذا الكاشف المسمى نامق يسمع من الجميع كل أحد وحده ويخلي كل أحد يفعل مضبطة في ذلك ويختمها بختمة وشيء يختموا عليها الغريمين وكل أحد انتظر هلاك أخيه وبقي يواعدهم نحو عشرة أشهر وعزم من عندهم بما ذكر ولم فعل بأحد شيء إنما لحقهم الغرامات ببقاهم في صنعاء تلك المدة وحق العروضات والبولات^(٤) والصرفات^(٥) وكان بعض الأحيان يوهموا هو والوالي أنهما أعداء وإن كل أحد يريد هلاك

(١) خ وواهم .

(٢) اختلفوا .

(٣) يشيعوه .

(٤) جمع بولة سبق ذكره وهو طابع البريد بلغة الترك .

(٥) النفقات .

الآخر ورَفِّعَهُ^(١) وأحيان وهم مجتمعين بل ومتجابين^(٢) في المأكولات والمشروبات وأحيان كل واحد يلزم أصحابه لا يسير عند الثاني شا يصير عليه جنحة بل ويحبس كل واحد بعض أصحاب الآخر وجملة ما أحد دري بما في طيهم ولكنهم أخذوا ما في بطون العرب جميع خصوصاً أهل ثلا والحاج حزام الصعر شيخ عمران فأكثر ما نتجت هذه الدعاوي الشنيعة منهما على بعضهم^(٣) البعض وعزم صنعاء بهذه المشاهد والختم وما كان في طيه مما جاء له فقد أحرزه لأن ما درينا ما هو الموجب الذي جاء له وأما الظاهر على العرب فهو ما ذكرنا ولكن ما أظن قصده إلا شيء آخر وكذلك ناس من حراز الذي ذكرنا قتلة في ربيع أول قالوا أهل العزلة ما يريدوا يشيخوا بدل المقتول البنوري إلا القانص وأهل مجلس حراز والوالي يريدوا يشيخوا ابن المقتول كونه غشوم ظلوم جهول وادعى^(٤) ابن المقتول على وكيل العزلة الحاج علي البشاوي أنه ييسوق زكاته وجميع واجباته إلى الإمام القائم وقد ذكرنا آنفاً أن كل من في قلبه أدنى شيء على أخيه ادعاه بما يرديه فكيف هؤلاء العرب الذين لا عقول لهم وكيف المستمعين لهم ما قصدهم إلا هلاكهم بل أنهم يزد يقرؤا الأشرار على الأخيار ليفاشلوهم ويفرقوا جمعهم ويأخذوا ما في أيديهم أين هؤلاء من قول الصادق المصدوق (إدراوا الحدود بالشبهات) وكان كلما أتى إليه أحد يقر على نفسه بحد يحول وجهه دونه يفعلها مراراً وهؤلاء يشتروا لهم المحن ويشيروا فيما بينهم الفتن .

وبعد عزم الكاشف لاحت الفرصة للمتربص وتجارى وفتك المتلصص وخرجت الطواير والمدافع إلى النواحي المباش^(٥) مرزاح خرج سعوان وأوجب عليهم تسليم ألف ريال حجر وألف قدح طعام وفتح المدافن واستخلص ذلك غير محتاج المطرح كل يوم دقيق وسمن وبقر وغنم وحطب وحسيك وفي غيمان علي بني بهلول مثل ذلك وفي كل ناحية ما ذكر هنالك / ورأيت بعيني غضبة مما تدل على الفظاظة علينا من الدولة فمع ما رقمناه من عدم الطعام في السوق وأخذهم لما وصل ولو بذر خرج جاهل^(٦) يتيم قد مات أبيه وعاد أمه عمياء ولها أولاد أيتام غير الذي سنذكره فلم تجد لهم عونة^(٧) غدا ليومهم فأرسلت الكبير فيهم عمره في نحو سبع سنين بربع قرش حجر إلى البر^(٨) واستعارت له مكيال ومَسَب

(١) عزله .

(٢) المجاورة هنا المحادثة .

(٣) ح بعوضهم .

(٤) خ والدعا .

(٥) هو الأمباشي من الألقاب العسكرية .

(٦) صبي .

(٧) وجبة غذائية .

(٨) خارج صنعاء .

يخرج يشتري من البر حب كون الدولة تأخذ ما ورد فلما اشترى ما ذكر ربع قدح شعير فقبضوه في البر هو والذي شاط^(١) منه وأدخلوهم إلى عند خليل الجمرؤك الذي لا يخاف الله ولا يصلي فلو كان يصلي لنهته صلاته فقبض عليه والحب والمسب والمكيال فبقي يبكي ويستغيث فاجتمعوا الناس ودخلوا إليه يتشفعوا له ويرد ما أخذه عليه فلم يسعد فرجعوا على البائع إليه أخذوا الربع منه وردوه إليه وحنبوا^(٢) الجميع لديه الشايط والمشتاط فلم يسعد يرد شيء كلما دخلوا عليه ناس بالولد وهو يبكي إهترا عليه بالضرب بالعصا ويقول قربوه والعصا في يده فيرتاع الجاهل ويفتجع ويهرب ويصال إلى أمه فتفعل به أشد كون لا حب ولا مسب ولا مكيال فيرجع إلى باب السمسة يبكي ويستغيث فيجيء ناس آخريين فيدخلوا على الجمرؤك فيفعل مثل ما فعل أول وعلى ذلك من الصبح إلى غروب الشمس ونحن نشاهد ذلك والله سبحانه مطلع على ما هنالك فكيف بهذا الذي لا يخاف الله وكيف بمن قبضه أولاً وتقرب به إليه غضب الله عليه ولعنه .

وأخبرني السيد حسين الناشري أن قبلي شاط ثمانى^(٣) بر وشعير بأربع زلط وزقمه^(٤) البواب وأخذ جنبيته وأطلعه إلى الجمرؤك وطلب منه عشر زلط وإلاً قلت^(٥) الجنبيته ولعله هرب والأول ترك الحب فكيف يزد أحد يسطى^(٦) يجلب ، اللهم بجاهك حل هذه الشدة وفرج على عبادك يا حي يا قيوم يا أرحم الراحمين حسبنا الله ونعم الوكيل .

وبعد عزم الكاشف على ما ذكرنا أمر الوالي كبار الأتراك ينفذوا للتخليص في جميع الحوازات ووقع قبض فلوس ما قد أحد عرف هذا المخلص منذ وصوله الأتراك اليوم ٢٢ سنة ولا سيما الحواز المقاربين قدر نصف يوم مثل سنحان وبني بهلول وبلاد الروس وسعوان والسر وبني الحارث وأما الحزة حق البستان فأشد وأعظم من كل جهة مثل حدة وسنع وبيت سبطان وأرتل وحمل وبيت بوس فهذا أشد وأعظم والسبب أنها لاحت فيهم الفرصة أدعت الدولة عليهم أن الحواني قاسم مات وعنده للدولة فلوس فدخلوا الرعايا يشتكوا وأبرزوا نظر غلاق^(٧) بأيديهم فلم يقبل منهم شيء بل فعلوا عليهم أضعافاً مضاعفة^(٨) حتى أن أكثر

(١) سبق شرحه . وهي بمعنى إشتراه أو أخذه . والثمانى مكيال عند أهل صنعاء .

(٢) وقعوا في مشكلة .

(٣) قدر معين من المكايل لأهل صنعاء وغيرهم من أهل اليمن .

(٤) أمسكه .

(٥) ترك .

(٦) يجسر .

(٧) سداد .

(٨) خ (مطاعة) .

القبائل باعوا أثاثهم وصح عند أهل حدة من ذلك خمسة آلاف وسنح نحو ألف وبيت بوس
 إثني عشر مئة وأرتل ثمان وحمل أربع وإذا صح عند الحواني شيء فهو قدر عشر ذلك وهو
 عليه كون الأهالي منتظرين منه / ولكن قد لهم في ذلك رغبة في خلس^(١) العرب بسبب
 الفساد السابق ووقع البقا^(٢) والربط والضرب حتى سلّم كل أحد ما خصه من ذلك كله ونقل
 هذا المتخلص مصطفى^(٣) فخري إلى حضور ومنتنه ومرادهم في بني مطر والرماح فلقبهم
 الرماح^(٤) إلى رأس بني مطر ولكن ما طلع إلا وعقبه^(٥) قوم كبيرة فلم يتمكنوا منه وبذل ما
 خص بلادهم وهو العشر ولا زيادة ولو كان على ما مراد الدولة لكان أضعاف ذلك ولكن مع
 حزمة أهل البلاد وتفويضهم للرماح وما يخرجوا من ما فعله لم دخلت إليه بل أنه رجع بخارج
 أهل حضور ويلتزم عليهم ورفع المخالصة^(٦) وأما مرازح فإنه تخلص سعوان ورجع على
 السر وبني حشيش وقد كان تمادي نحو طرف بلادهم وقد كان مرادهم في وصوله فظهر له
 العيب فرجع وتركهم ورجع على الرحبة وخرج إلى بلاد همدان السفلي الجاهلية والمعمّر
 ومعه قبائل مربوطين من بني الحارث قدر عشرين ثلاثين ولما رأوهم أهل همدان وقد كان
 مراده يشرع^(٧) فيهم فهربوا ونجّلوا من القرى ومنعوا على نفوسهم بالهربة ولكن الهربة ضررها
 على الدولة أكثر فأرسلوا السيد محمد الشوبع من صنعاء إلى همدان بخارجهم ويصلح بينهم
 ويردهم وقد تعين عليهم عشر آلاف فصيح بعد ذلك ألف والذي عزموا خولان قد كانوا في
 سوق الربوع في الأعروش فلما تحققوا خبث النيات من العرب رجعوا إلى جحانة وعنوا^(٨)
 المشايخ بقبض المقطوعية وهي شيء يسير قدر^(٩) عشر العشير مما يلزمهم وأما بلاد ثلا
 فسلموا دراهم لم قد سلموا مثلها من حين عرفوا الدولة والسبب أنهم تبرؤوا من مشيخة الصعر
 وهو من المحبين للوالي والمؤدّين^(١٠) فبقي يسبب^(١١) عليهم فبقي المخالصة عندهم في ثلا
 نحو شهرين وسلموا آلاف مضاعفة وأما أهل الأهجر فمزد تسببوا لقتل الشامي صاحب

(١) سلب

(٢) أي إبقاء العسكر .

(٣) خ مصطفى .

(٤) خ الرما .

(٥) أثره .

(٦) جمع مخلص وهو الجابي للزكاة وغيرها .

(٧) يتندي .

(٨) كلفوه .

(٩) خ قد .

(١٠) أي من المتوددين إليه .

(١١) أي يسبب المشاكل .

كوكبان وقد كان سبق منهم أفعال شنيعة مثل تحريق البيت بالباروت^(١) فبقي المخالصة عندهم والسيد محمد الشويح نحو أربعة أشهر وتضاعف المسلّمات والتعيونات^(٢) قسطوها تقاسيط كل قسط أربعة خمسة آلاف حتى باعوا في أملاكهم وكل ذلك جزاء الفساد وخرجوا^(٣) أسماء أخرى^(٤) وحاسبوا جميع القبائل حسب سبعة سنين وما أكله المشايخ ردوه على / الرعايا وكله هذا التعذيب عوضاً عن الفساد^(٥) السابق ولم قد أظهروا لهم إنما نفثات وجوابات تدل على ذلك والذي قد كثر عليهم التسليم ولم زدّ لقيوا ما يسموا لهم المسلم قالوا جزاء نقدي وإلا فلهم في ذلك المطالب أسماء لا تعد (منكسر بواقي) محضر (أغنام وركي)^(٦) (معونة) (عطف) سقنطة ووقع العطف في بعض البلدان مثل الأصل والسقنطة علوه وكل ذلك الذنوب على العرب سيما في مكافآتهم لبعضهم بعض كما ذكرناه سابقاً حتى أن ناس من الرعايا في هذا الوعد في جماد آخر سنة ١٣١١ من بيت حنبص وحله وبيت رجال وداررا القاضي زاد عليهم المحاسب من المشايخ بنوا من نفوسهم سيصالوا يستنصفوا من هذا المتخلص قائم مقام^(٥) وهو في بيت ردم فتوالوا ووصلوا إليه متظلمين مشتكين طالبين الأنصاف وأجري الحساب ويسلموا ما عينه عليهم ولكنهم وصلوا متسلحين بالبنادق وقد معاهم حاجاتهم من الدقيق والسمن فلما رآهم الشيخ مجدين في أجراء الحساب فذكر^(٧) أنهم ما وصلوا بتلك الأهبة متسلحين ألا يريدوا قتلك أنت أنت وأصحابك ولكن أحذرهم فأمر^(٧) تلك الساع بأخذ سلاحهم وحبسهم وربطهم وصاروا مغلغلين وفي الرباط مكبلين فهذه ذنوب العرب يدللوا على بعضهم البعض .

وفي هذا التاريخ نصف جماد آخر أرادوا الدولة إبطال القرش^(٨) الحجر وفتحوا على الناس بذلك إن قد جاء أمر من السلطان بأن يهينوا الريال ويجعلوه ريال إلا ربع إهانة له ولصاحبه الفرنصيص^(٩) فلما سمعوا ذلك العرب نكزوا^(١٠) من البيع والشراء خوفاً من النقص فغلغلقوا وبقوا في حيص بيص فاجتمعوا وطلعوا على المشير ورجحوا ترجيح آخر بأن الزلط

(١) بياض .

(٢) المقررات .

(٣) أخرجوا لها مصطلحات جديدة القصد منها سلب الرعايا .

(٤) خ أخره .

(٥) يتكرر هنا ذكر الفساد وهو إسم يطلقه الأتراك وغيرهم على الثورات القبلية التي يقوم بها أهل اليمن .

(٦) لفظة تركية بمعنى ضريبة الأغنام .

(٧) بياض .

(٨) هو الريال الفرانصي عملة تمساوية يعود زمنها إلى الملكة مريا تريزا .

(٩) الفرنسيين .

(١٠) استوفزوا أو بمعنى آخر صاح في وجهه على غرة فخاف أو اندهش .

البيضاء يكون صرف أربعة عشر زلطة الصحاح السالمات من الجانبين والأخرى الذي فيهن بعض طابع والطاحسات^(١) ستة عشر وصيحووا الناس وبقوا في طحس^(٢) ثلاثة أيام فوق الثلاث السابقة فلم ينعمل شيء ولم يوجد شيء فاجتمعوا وفعلوا الذي فيهن بعض طابع والطاحسات عشرين وصيحووا وكتبوا أوراق مدة ثلاثة أيام فلم ينعمل ولم يوجد شيء فصيحووا أن الطاحسات باطلات والحمرا خمسة وأربعين بعد أن كانت ٥٢ فلم ينعمل لهم شيء ولا وجد شيء من المصرفات إلا بقوا في عذاب وعدم كل شيء وأما / الحب والسمن واللحم فانقص وحال الرقم بعد عشرة أيام والهوك^(٣) والعدم والمظالمة باقية وبقيت الشغلة بين الناس نحو عشرين وردوا البيضاء جميع ستة عشر ولم تنقطع الشغلة بين العرب فيها .

وفي خلال ذلك إشتري الوالي أحمد فيضي باشا نصف غيل مصطفى الذي يسقي في الروضة بوكالة علي باشا البليلى وصار العمل فيه بعلاج مساقيه .

وفي خلال ذلك والترقب للشيخ أحمد الرماح كائن في كل جهة يريدوا قبضه وقد كان وقعت البيعة فيه وعلم وهرب من المحل وهو^(٤) في الجذب وقد كان نشاء الفساد ولعل أنها وصلت عنده قوم وقطعوا السلك في جميع قاع سهمان بأخشابه وخرجوا العساكر ومرزاح أغاة ومدفع، والمطرح الأول باقي في الجاملي وبعد خرج السيد محمد بن علي الشويح وتوسط بينهم وسعى وبالصلح المرضي أن الرماح يبقى على عادته من دون مواجهة للباشا ويسلم ما عليه بالحقانية من دون زيادات لا في صرف يعني المسمى بالسقنطية ولا غيره .

ويوم السبت ٢١ رجب عزم الوالي إلى عمران وخرجت الخيام من نهار الجمعة ونصبت في شعوب وخرجوا صبح اليوم الثاني جميع المأمورين وأعيان أهل صنعاء للزلاجة ، وقعدوا في الخيام نصف ساعة للأستراحة وبعد قاموا الجميع ابتهلوا بالدعاء والتأمين وتدعي للحاضرين رئيس العلماء سيدي العلامة أحمد بن محمد الكبسي ودعا للوالي بالبقاء التام^(٥) والتأييد لكونه من المصلين والمزكين والمتصدقين والمبتهلين وممن يريد الإصلاح للخاص والعام وقد ظهرت محاسنه على وش^(٦) الأشهاد بسبار^(٦) الطرق وتأمين العباد ودمار من يريد الفساد ومن أعظم المصالح إحياء الأرض الموت بغرس الأشجار وإخراج الأنهار لصالح

(١) الطاحسة التي ذهب طابعها وطحس هي دحس بمعنى مطالبه وإلحاح .

(٢) الهرج .

(٣) بياض .

(٤) خ الدام .

(٥) كذا والصواب على وجه الإشهاد .

(٦) إصلاح .

الثمار وصارت الأرض ومن عليها ببركته وبسعاداته حية وعامرة وقد كانت ميتة دائرة وغير^(١) ذلك وبعد أخرج الوالي ورقة وقريها بالقراءة التركية لمن يحفظها وبعد قبض الكاتب علي بن محمد الجرافي قريها وفسرها بالعربي لمن يحفظها وعزم تلك الساع عمران قيل يختط لهم مكاناً يعمروا فيه قشلة يعني قطعة ولم عزم معه من العساكر الشاهانية أحد إنما نحو ثلاثين خيال وهو في العربية تجرها الخيل مع أن قد ثبتت الطرق في جميع الجهات حتى أنه لم يبق بها من الكاودة^(٢) شيء في كل جهة وبقي في عمران يوم الأحد لا غير .

ويوم الإثنين وصل من عمران أذان العصر وبقي أربعة أيام وعزم يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ١٣١١ إلى دمار عقيب الصلاة وسبقته عساكر صبح ذلك / اليوم .

ويوم الربع الماضي ٢٥ رجب ألزموا جميع الرعايا من بثر العزب وشعوب والصفافية العدنية يخرجوا يسحبوا المكيئة وقدهيه في عصر وقد سحبها قبلهم أهل بلاد البستان والحيمة وحرار كل أحد يسحب حده من حين خرجت من الحديد وقيل أنهم راحوا ناس في كل حد لأنها كبيرة أثقل من خمسة مدافع كبار وآلتها أكثر منها شدوها على جمال وبعضها على قواري^(٣) وهي في نفسها على قاري كبير بثمان عجيل أربع صغار قدامها وأربع كبار تحتها وقيل هي حق الخبز بمثابة الفرن توقد على فحم من حق المراكب وقيل أنهم يطرحوا فيها الطعام حب بغير نقاه^(٤) وهي تنقيه وتطحنه وتخزّه وتعجنه بدواليب فيها وما يخرج إلا طعام حاصل وما قد رأينا ذلك إلا إنا نسمع أنها من إختراق^(٥) أدمغة الفرنج نسأل الله السلامة كما قيل شعراً^(٦) .

(١) كان أحمد فيضي من كبار ولاية الأتراك في اليمن وكان وصوله إلى اليمن سنة ١٢٩٠ برتبة يوزياشي وتردد في جهات منه حتى كان قومنداناً ومتصرفاً ببلاد عسير ثم تعين في سنة ١٣٠٢ وهو بها والياً وقومنداناً لعموم اليمن فوصل صنعاء وجد في ضبط الرعية لتسليم جميع البواقي وغيرها من الأموال الأميرية ثم عزل عن ولاية اليمن سنة ١٣٠٤ وتعين ثانياً وهو بمكة فومنداناً ثم والياً سنة ١٣٠٩ ففك بمن معه من الجنود حصار صنعاء ودامت ولايته الثانية سبع سنين حتى كان عزله سنة ١٣١٦ بالوالي حسين حلمي ، ثم تعين ثالثاً على اليمن سنة ١٣٢٣ وسار نحو حاشد وشهارة فكانت له فيها الضربات الكبيرة من القبائل التي أخضعته وقضت على ما كان له من هيبة وتعقبها في سنة ١٣٢٤ وسنة ١٣٢٥ وكان الأختلال الإداري بعد ذلك في تعز واليمن الأسفل وعزل أخيراً سنة ١٣٢٥ وسار إلى الأستانة وقد جمع في الثلاث عشرة سنة التي تولاهها الثروة الطائلة يقول المؤرخ زبارة أخبرني القاضي محمد راغب أنه عمر أحمد فيضي في جهة مشهورة بالأستانة نحو خمسمائة دكان أجرتها من الساكنين فيها نحو خمسة آلاف جنيه عثمانى ذهباً في كل شهر ثم أن الحكومة التركية أرادت أن تعينه مرة أخرى على اليمن سنة ١٣٢٩ فاعتذر عن ذلك لضعفه وتوفي في آخر السنة المذكورة (أنظر أئمة اليمن ج ٢ ص ١٢٧) .

(٢) العقبة . الأرتفاع من الأرض .

(٣) جمع قاري عربية تجرها البغال .

(٤) أي بغير تنقية من الحجار وغيره .

(٥) إختراع .

(٦) من شعر لأبي العلاء المعري (أصلحنه من عندنا) .

وأنني وأن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل
فهذا شيء لم قد سمعنا به في الإسلام ووصلوا بها إلى باب السَّبْح وحطت هنالك بين
البابين باب السبحة وباب شرارة والله أعلم ما في ذلك من النواذر والعجائب .
ويوم الجمعة ٢٧ رجب عزم الوالي أحمد فيضي باشا إلى دمار للطيافة قيل ينتخب
مكاناً لعمارة قشلة يعني قلعة في دمار بعد الصلاة عزم من صنعاء ساعة سبع في العربية حيث
قد سَبَرَت^(١) الطريق في كل جهة لم بقي فيها من الكؤودة شيء .

ويوم الثلث سلخ رجب خرجوا يلقوه جميع أصحاب الدولة الصبح وانتظروا إلى
عقيب الظهر في داع الخير ولم وصل ووقع الغدا ذلك اليوم في داع الخير ضيفه من أهلها
لجميع من خرج يلقي من أصحاب الدولة واجتمعوا للغداء عند بيت معياد نحو مئة وستين
وقيل أكثر وذبحوا لهم أربع رؤوس غنم كبار وبقي السمن والعسل مثل الغيل^(٢) ولم فيها
غرامة على أحد إنما منهم ضيفة إكرامية للدولة ورجعوا ولم وصل الباشا .

ويوم ثاني يوم الربوع خرجوا من الصبح يلقوه ووقع الغداء عند بيت معياد مثل اليوم
السابق ولكن وصل الباشا ظَهَرَ ومدة مسيرة ومجيئه أربعة أيام كوامل ونصف يوم الجمعة
ونصف يوم الربوع ووصل جلس في بيت السلك يدق فيه / طول يومه ما أحد يعلم ما في
وهمه .

وفي أول شعبان سنة ١٣١١ حدث أمرين لطيفين الأول أن ابن زليل صاحب حفاش
فعلوه الدولة شيخ مشايخ علي حفاش وملحان بدلاً عن يحيى عبده زايد حيث قد شلوه أزمير
مع المحابيس وبعده هذا أطلعوه مدير عام وعزم ولده الذي قد هو مدير يتخلص في ملحان
ومعه جماعة عسكر منهم ناس من بيت وهاس من أرتل فقتلوا ابن زليل في ملحان وسلبوه
ومن أصحابه وقتلوا معه نحو نفرين ثلاثة معه وسلبوهم والثانية قرحوا بالقشلة حق كوكبان
وراحوا فيها ثلاثة عسكر وذهب الرز^(٣) حق العسكر لأنه كان قريب الباروت ولولا دفاع الله
كان شاء يروح أكثر من مئة نفر ولكنه قرح الباروت مخرج^(٤) وما قرح مدخل^(٥) إلا زق^(٦)
واحد أخرب جانب من القلعة ولو قرح كله داخل لكان شاء يخرب القشلة كلها ولكن الله
يفعل ما يريد .

(١) صلحت .

(٢) النهر .

(٣) الأرز .

(٤) خارج .

(٥) داخل .

(٦) الزق هو هبارة عن ظرف صغير يحشى بالبارود ثم يفجر .

وليلة ٢٢ شعبان سنة ١٣١١ وقعت تنصيرة في رأس نقم وتعيشيرة إلى القلعة التي في نقم من فوقهم وفي جبل عبيان .

ويوم ثاني أرسل الباشا أحمد فيضي لأهل سعوان وأهل دار سالم وحبسهم من أجل ذلك ولعل الفاعل غيرهم وكثر الهرج في ذلك والله يصلح كل شأن وطلب المشير أحمد فيضي من القبائل تقديم البنادق في (البشعة)^(١) لأجل يظهر من الذي نصر .

وأما خبر المكيئة في شعبان فوصلوا بها إلى بستان نعمان وعملت في الطحين لا غير لأن الخبر السابق أنها تخبز وتعجن فما صَحَّ إلا الطحين ولكن شيء كثير ونظرنا ذلك عياناً وقدر ما تطحن في اليوم قريب المائتين القدح بالمشاهدة والوقيد^(٢) لها كبا^(٣) وعصارة^(٤) .

وفي سلخ شعبان منع الإمام وصول الأغنام إلى صنعاء من بلاد صعدة وكل ما خرج أحد من سحار بغنم أو سمن أخذوه أجنادهم وانقطع السمن والغنم حتى عُدمن في صنعاء ووصل سعر السمن رطل ونصف ريال ووصل سعر اللحم خمسة أرطال بريال وكان يقع في ميزان اللحم سَرَق وانتهى سعره بعد / السرق أربعة أرطال جربت ذلك مراراً وتقضي شهر شعبان ودخل شهر رمضان كله على تلك الحال والحنة نصف قدح بريال غير موجود والشعير قدح إلا ربع غير موجود وفوق ذلك عدمت الزلط لم بقي لها أثر حتى أن صاحب القرش يستاقه^(٥) وعد ووعدين من المصترف^(٦) وحتى أنه ما يلقاه إلا نادراً إذا كان شاء يأخذ منه بقدر ثلاثة أرباعه أو يحده ثلثين صرفه ويسترجع الثلث وأما أنه يلقي صرف ريال موجود فباب مغلق ودخلت على جميع العباد المعاملة في الربا من ذلك الباب حتى ما سلم منه أحد والسبب في ذلك أن الباشا جمع الناس وفتح^(٧) عليهم أن الفرنجي صاحب الريال مخالف ويريد يهينوا حقه الضربة مكافأة له فأجابوا عليه أن أرضنا ما عرفت إلا بالريال وأنه ما قد اغتش طول الزمان واهتانت^(٨) الزلط حق السلطان حتى باعوا العرب الطاحسات الريال بنصف ريال ولّفوها بعض الأتراك ورئيس البلدية قضات^(٩) حاجة للناس وبعد لفوا الترك الزلط المطبوعات وكان

(١) هي طريقة تستعمل في ذلك الوقت لمعرفة المذنب .

(٢) الوقود .

(٣) سبق شرحه وهي عبارة عن روث من مخلفات الأغنام يعجن ويجفف على شكل أقراص كبيرة ثم يستعمل للوقود .

(٤) هي مخلفات السمسم بعد عصره .

(٥) يتصرف منه .

(٦) المصطرف .

(٧) فتح عليهم فاتحهم بالموضوع .

(٨) أهينت . ضعفت قيمتها الشرائية .

(٩) قضاء حاجة .

يأخذون من ستة عشر بقرش فيما بين العرب وعندهم من إثني عشر وأكثرها لفها الجمرك وأهل البُول^(١) والسلك حتى نجحت^(٢) ورجعوا يأخذوا من العرب الريال الحجر ويحسبوه ريال إلا ربع ويسلموا فوقه ربع حتى يصير ريال وإن سلموا زلط فلا يأخذوها إلا من ستة عشر السالمات من الطحاسة وهذه على الجميع غاية النحاسة بدخول الربا حسبنا الله ونعم الوكيل ولكن الله أراهم آياته وسرت عليهم اللطافة الخفية مع أن ما كان أحد يلقي الزلط إلا يطرح ريال في شركة^(٣) حتى يستوفي وريال في السمن حتى يستوفي وريال في العلف حتى يستوفي وريال في الحطب حتى يستوفي أما مما أخذ أو زلط بصبر^(٤) سياقه / .

وفي رمضان جاءت أخبار أنها وقعت فتنة في عسير^(٥) بين الرعايا وعساكر الدولة حتى أن الوالي في صنعاء أخبر الناس أن الموسم من الحجاز مقطوع ما شاء تقع طريقهم إلا البحر قيل ولعل ما وقع من عسير ذلك بمشاورة الإمام ومفاوضته في ذلك .

وأما السلك في شعبان ورمضان فلم ثبت^(٦) ثمان بل مقطع في أكثر الأحيان وتقطع كبير مسير ساعة ساعتين في حين أن الشاوش ومن عنده في المرتب حق يازل نزلوا إلى المدير أخبروه أن ثم جماعة من بلاد البستان بيسروا عند الإمام ولهم إختبار بمن يقطع السلك فأرسل معهم جماعة لضبط المذكورين فشدوا إثنين وقبضوا ثلاثة وأدخلوهم الحبس فما مضت ثمان إلا وقد دفعوا^(٧) بيت العساكر حق السلك الذي في يازل بمن فيه بالباروت وسلم الباغي وراح الذي لم يبق .

ويوم الوقفة حق عيد الفطر طلع الوالي صلى في الجامع وسلم لأهل الجامع فلوس حسب العادة .

وعصر طلب جماعة منهم الشيخ حزام الصُّغُر ومشايخ من اليمن^(٨) ومعياذ وداع الخير وأحمد بن صالح من عصر والعدلة من شعوب وزهرة من بئر العزب وكساهم جيخان حمر وسمايط^(٩) يغطوا الكوافي بهن .

(١) جمع بولة . وهم أهل الطوايع من أصحاب البريد والدمغات .

(٢) نفذت .

(٣) لحمه .

(٤) أي يصبر عليه حتى يأتي ماله من طعام .

(٥) ذكر هذه الحادثة بتفصيل المؤرخ زبارة في أئمة اليمن ج ١ ق ٢ ص ١٣٩ .

(٦) استقر .

(٧) دفعوا : فجروا .

(٨) فراغ قدر نصف سطر .

(٩) جمع سباطة وهو عبارة عن رداء يلف به حول الرأس .

ويوم العيد صَلُّوا في البكيرية حسب العادة ولبسوا الكسوة السلطانية وحزبوا جميع العساكر الشاهانية ولم أعرضوا المدافع الكرخانية حسب العادة والله أعلم بمراده في ذلك وفي الوفقين أذاقوا أهل صنعاء الإهانة بسبب الفرقة يريدوا تسليمها في يومين وبقوا الترك والزبطية يهينوا الناس ومن طلع يشتكي إلى مرزاح ضَرْبَه وسلموها في ليلتين ليلة الجمعة لَيْلِي الموفقين^(١) وصار الدعاء / عليهم من الضعفاء الذين باعوا في ذلك أمتعتهم في ليلة القدر والتي تليها وثالث العيد وعدوا الناس يخرجوا العرض للعراضة الخيل والمدافع كلها وحتى الأصفرين^(٢) التي آخر ما وصل كبار جدا الواحد تجره تسع خيل والسود تجر كل واحد ست خيل والصغار على حالهن وحزبوا جميع العساكر وحضر في ذلك اليوم كل حاضر وباد إلى أذان الظهر وصوروا جميع من حضر في أوراق يدخلوها إلى السلطان وبعد كمال التصوير وقع الأبتهاال والدعاء للسلطان ووزيره وأميره المشير الأفخم الحاج أحمد فيضي .

وبعد ذلك اليوم^(٣) وصل الخبر الصحيح من بلاد عسير أنها قامت أهلها قومة رجل واحد على عساكر السلطان ووقعت قتلات كبيرة يسبب لها الولدان قتل والسبب أنهم طلبوا منهم السلاح والنظام^(٤) وقيل غير ذلك ولعل سيدي الإمام مفاوض في ذلك ووقع بتدبيره ما هنالك وذهب في تلك القتلات من العساكر السلطانية خلق كثير وسلاح وفلوس وعفش ونفش وخيل ولا بد من أهل عسير مثلهم كما يقال في المثل ما حسيك الحرب إلا رجال وبعد ذلك قد كان أخذ الإمام على السلطان حصص حب في اليمن الأسفل فوق بعدان ومدينة أب وبقت القوم تنساق من المشرق إلى اليمن .

وفي خلال ذلك فشلوا أهل حصص حب أصحاب الإمام ووقعت نهبة نحو ثلاثين حمل ميرة للعساكر السلطانية طلعت من الحديد فلما وصلت حدود بين سعد بين حراز وأنس وأخذتها قوم مشاركة وقيل أهل تلك الجهة ولك ذلك في شوال سنة ١٣١١ .

وأهل صنعاء في تلك الأيام من رجب في أضيق حال من عدم الزلط بحيث إن لا زِدَ وَجِدَتْ أبداً ويستاق^(٥) الصارف القرش ثمان عشرة أيام إذا وجد صرف وإلا ما يستقيم إلا بالريال كله أو يطرحه عنده من أخذ منه بعض حاجة أو يشتري بأكثر ويسترجع أقله ومن دخل صنعاء حنب إلا المأكولات فأنطق من كل شيء وفوق ذلك عدم كل شيء حتى أن السمن

(١) أهل التوفيق والصلاح .

(٢) يعني المدفعين الأصفرين .

(٣) أنظر خبر هذه الواقعة في أئمة اليمن ج ١ ف ٢ ص ١٣٩ .

(٤) الدخول في النظام أي الانتظام في الجيش .

(٥) يتصرف .

وصل رطل ونصف بريال والشركة خمسة أربعة ونصف بريال بالمسارقة^(١) وأما السعر فسته بريال إسم بلا جسم^(٢) / وحصل موسم الحجاج في تلك الشدة وخرجوا يوم ٢٢ لتشييعهم جميع الناس ونصبت الخيام في شعوب من اليوم الأول وخرجوا المأمورين والباشا وبعض الأجناد واستودعهم ووقع الدعاء مستهلة للسلطان ثم لوزيره وأميره وعضده الباشا الحاج أحمد فيضي ثم للحجاج والزوار وأمنوا جميع الحاضرين من الأجناد والمتفرجين ولكن في خلال رمضان كان يقع تقطيع في السلك .

وأما في شوال فأكثر وأعظم وأشد وكان يقع أكثر التقطيع في قاع سهمان وبعد خرج كبير الضبطية مرزاح آغا وأصحابه وجلسوا يومين في المساجد ومنتنه ورتبوا بعض القرى المجاورة^(٣) لتلك الطريق ونزلوا المقطعين تلك الليلة يقطعوه من عصر إلى باب قاع اليهود فلما رجع الآغا صنعاء رجعوا المقطعين إلى قاع سهمان تلك الليلة وليلة الثلوث ليلة ٢٥ شوال قيل وقعت رماية بنادق إلى القلعة .

وليلة الربوع عشرة ثانية سمعها الخاص والعام .

وصبح الربوع خرج الوالي والخيالة والعساكر السلطانية جميع الصبح من باب شعوب إلى قاع المروان حدود سعوان إلى الحشيشة والروضة كل أحد في نجد يدور المعشرين إلى وقت الغداء ورجعوا جميع وناس منهم يدوروا في نغم ولم وجدوا واحد .
وتلك الليلة قتل الدشيلة شيخ مشايخ المخلاف قتلوه أهل رهم وهو شيخهم وقتل معه آخر .

وفي شهر القعدة وقع حريق بيت في عمران كان قاعد فيه القومندان وما كان المقصود إلا هو وهو بيت ذمي فصادف تلك الليلة كان في غير البيت ذلك وحرق من فيه نحو ستة يهود بالباروت .

وفي أول الحجة وقع حريق في بيت بثر العزب وسلم من كان فيه وكانوا في جانب آخر والبيت متسع فوق في قلوب الأتراك وجل عظيم من تلك الوقعتين وقبضوا على جميع قبائل بثر العزب ومن كان مسافراً وأما^(٤) فيها في تلك الليلة وحبسوهم / جميع إلى آخر اليوم وأطلقوا أكثرهم وبقوا آخرين وبقوا في وجل عظيم ليلاً ونهاراً حتى أنهم كان يبقوا يدوروا

(١) بالخفاء .

(٢) خبر من غير حقيقة .

(٣) خ المحادة .

(٤) كدا .

طول الليل بالخييل خارج صنعاء وفيها إلى الصبح .

وليلة رابع عيد الأضحى وقعت تناصير في حصن نغم ورماية نصف الليل فزاد فشل المذكورين والقلق حتى أنهم لم يرقدوا وأهل صنعاء في أيام القعدة في أعظم شدة من عدم الحب والسمن والعلف وجميع المحتاجات وعدم الأسباب^(١) من قِل الدخّل إلى المدينة والسبب مما نعت^(٢) القبائل من دخول صنعاء لما يقع فيهم ولما قد أنصفوهم الدولة لأنه زاد وقع مخرج الأغا مرزاح إلى الحواز بدّع بحضور ورجع الحزة جميع ونقل [إلى] سنحان وتخلص القبائل مخلص أعظم من السابق لأن السابق لما عندهم من البواقي ولما ادعواهم الدولة بتسليم ما عند قاسم الحواني وعشرة أمثاله وأما هذه الخرجة فلم بقي عندهم شيء ولحقهم فلوس كبيرة وطعامات كثيرة آلاف وكل ما برزوا من نظير^(٣) شيخ أو سند شونه لعنهم وباشرهم بالضرب بيده وأكثر مما اشتهر بالضرب في^(٤) الصماد شيخ أرتل والنجار عاقل حده و^(١) عاقل بيت بوس فنكفت قلوب القبائل وقلقوا من دخول صنعاء وضعفت أسباب أهل صنعاء ولا سيما حيث قد كل شيء بيوجد عند القبائل في أسواقهم وبيوتهم وكل من وصل يشتكي إلى الباشا رده إلى حيث هرب منه وحاصله أن قد الأمور متفاشلة^(٥) لم بقي لها ضابط ولا سمعوا نصيحة ناصح فتركوهم العرب أهل الحل والعقد يخططوا خبط عشواء .

وأما أخبار القائم فلا زال يكاتب جميع الناس ويراسل بالعساكر من القبلة إلى العدن ومدة شهر القعدة وصار الفساد في بلاد أنس في جبل الشرق ولعل عندهم قوم مشاركة من تلك القوم المذكورة والله أعلم ما يؤول .

وفي ذلك الوقت وقعت فرقة^(٦) على صنعاء كبيرة باعوا الضعفاء فيها ما يجدوه من ملبوس وغيره وقد كان الدولة أمروا أهل صنعاء بعمارة دوائر وأوجبوا ذلك / عليهم حتماً مقضياً حتى عَيَّنوا من كل سوق شقاة معدودين في كل يوم وبعد فعلوها فرقة كبيرة غير الفرق المعتادة .

وفي العشر الأواخر من الحجة ١٣١١ يوم الخميس قرحوا^(٧) بيت الحكومة بالباروت

(١) أسباب المعيشة .

(٢) إمتناع .

(٣) سند الإستلام .

(٤) بياض .

(٥) فوضى .

(٦) ضريبة مالية .

(٧) فجروا .

أوان الظهر وكان فيها خلق كثير مشارعين ومأمورين فسلموا جميع لم أحد جرى فيه شيء إلا الهديمة^(١) والسبب في ذلك الظلم وحبسوا جميع من كان في المحكمة من مشارعين ووكلاء وخدامين وغيرهم إلا القاضي وباش^(٢) كاتب السيد عبد الله وتخلخل البيت وتقارح الزجاج وتساقط وبعد مدة كان يخرجوا المحابيس إرسالاً منهم من جلس ثمان ومنهم من جلس شهور وأيام ومنهم من جلس سنين وأعوام . ودخلت سنة ١٣١٤ وهم باقين في الحبس، وهم المندي خدام المحكمة وقشام الموجمة^(٣) وقبيلي من سعوان فهو إلى التاريخ وهم في الحبس .

ويوم ثاني لقيوا آخر قد كان مراده يحرق الكاوش محل الضبطية فأسره ابن الخباش الذي قد هو من كبار الأتراك فخرج يدور من يُعينه على قبضه وأفشى الخبر قبل القبض على المحرق فهرب المحرق وحبسوا الخباش حيث لم يقبضه ولا عرفه .

وفي ٢٧ أمر الوالي بحبس القبائل الذين في صنعاء والسماصرة وأوجب عليهم يُوجّدوا الذي يحرق وإلا فهم الغرماء صنعاني وقبيلي وزعل فوقهم يعني - ناخرهم -^(٤) تكلم فلم أحد قدر يرد جواب بل استوعد^(٥) .

وإلى يوم ثالث يوم السبت آخر الشهر وأمر الطباشية يوجهوا المدافع نحو المدينة وقد كان متأبط شراً وصاروا في حيرة عظيمة والله سبحانه أقرب من حبل الوريد له فُرجه كحل العقال فلقوا صباح السبت ابن مرج قبل الوعد بساعتين ثلاث ولقيوا معه باروت في أكياس في أزغانه^(٦) ولعله باعه بعض أصحابه لسوء عمله وبغيه وفساده فكتفوه رباط في باب السبح وأطلعوه مربوطاً مضروباً والمتفرجين عليه من كل جهة فما^(٧) وصل إلا الحبس وقيدوه قيد كبير وفك الله ذلك الشدة والضيق على أهل صنعاء وغيرهم .

وبقي في الحبس إلى سلخ ١٣١٣ نحو سنتين كوامل وأخرجوه وأعطوه عمل لهم /

(١) الفجيعة الخوف .

(٢) خ بش .

(٣) قشام بستاني والموجمة لا نعرفها .

(٤) ناخره شاجره .

(٥) أوعد .

(٦) الزغن الأبط .

(٧) كذا ولعله فلما وصل إلى الحبس .

وصار مأموراً لهم كما صار حسين بن يحيى الشايف .

وفي التاريخ سلخ سنة ١٣١١ عزلوا الفقيه حسين بن علي العمري من نيابة الوقف ونصبوا سيدي علي بن محمد المطاع^(١) ناظر للأوقاف .

وفي محرم غرة سنة ١٣١٣ وصلوا الحجاج سالمين غانمين متعافيين وقد زاروا قبل الحج جميع ما بقي من الزيارة إلى بعد الحج إلا اليسير منهم القاضي العلامة محمد بن عبد الملك الأنسي^(٢) وجماعته ووقع موسم عظيم وخير كبير وعافية كثير الحمد لله على ذلك ، واستدام تقطيع السلك وقبضوا على نفرين ثلاثة أحدهم من أرحب وآخرين من ذرحان همدان وضربوهم ضرباً مبرحاً حتى صادقوا وحبسوهم وسكن تقطيع السلك أيام وقد كانت الدولة سيخرجوا على ذرخان وهربوا أهل ذرحان من القرية خشية الدولة .

وفي آخر صفر تحققت أخبار وكتبوا فيها جرائد أنه وقع في اسطنبول خسف وغرق وهلك فيها أمم لا يحصى عددها إلا الله وهذه آيات من الله سبحانه تخويفاً لعباده عسى يرجعوا عن غيبيهم ويتوبوا من بغيهم .

وأخبار الإمام بقي يكاتب جميع العباد ويراسل إلى كل بلاد .

وفي خلال ذلك أرسل السيد علي بن صلاح مقدمي إلى بلاد الحدا وبقي عندهم أيام ووقع بينه وبين الأتراك الذين في دمار مناوشة حروب وبعد عزم إلى عتمة والذين جرهم المقداد صاحب بلاد آنس ووقعت بينهما وقعتين الأولى بين المقدمي وأهل البلاد وذلك سبب الخراب والفساد والثانية بينه وبين الأتراك النازلين^(٣) من صنعاء وقع فيهن نهب وقتل وغير ذلك ورجع المقدمي من حيث أتى وتفاشلت القوم .

وآخر صفر خرج الميم باشا مرزاح يتخلص في بني حشيش وبني الحارث البواقي وعطف حتى أنه لحق القدح أربعة أقداح والريالين أربعة ريال غير الهتك والضرب والشنق واشتد الغلا أعظم مما ذكر وبلغ سعر القدح الشعير (٤-١ مسه) والحنطة قدح ٣ ريال والذرة

(١) أنظر أئمة اليمن ج ١ ص ١٤٣/٢ أولا ندرى ما هو المصدر الذي رجع إليه فهو لم يطلع على كتابنا هذا .

(٢) هو الفقيه العلامة محمد بن عبد الملك بن حسين الأنسي ولد بصنعاء سنة ١٢٧٤ وبرع في علوم الحديث وغيره له مؤلفات توفي سنة ١٣١٦ (أنظر كتابي مصادر الفكر الإسلامي ص ٧٥) .

(٣) خ النالين .

قدح ٣٢٤ مسه وكان أهل صنعاء يخرجوا يدوروا الحب من البر ويأخذ كلا بقدره^(١) رباعي ثُماني ربع ثُماني ربع الرباعي ويتلقوهم^(٢) المأمورين في الأبواب ويأخذوه عليهم قهراً أنا ممن شاهد ذلك يتيم ابن العمياء النشادة وفوق ذلك زد أخذ الجمر وك عليه المسب والحب جميع وبقي يبكي باب السمسرة طول يومه الله يفرج على عباده وبلاده برحمته آمين .

وبعده مضت قوم كبيرة من شرقي صنعاء وغربيها أما الذي من شرقي فبقوا في ظهر الحمار يرموا ويحبوا^(٣) وهي حيلة من العرب لأن النصف الآخر الذين مضوا من غربي بقيوا إلى الصبح عند السلك لأنهم قطعوا الخشب وأخذوا القفيش الذي في رأسهن من عصر إلى قاع سهران وقدهم آمنين بالذي مضوا من شرقي يشدوا^(٤) من في صنعاء / .

وفي شهر ربيع ختموا أهل الإدارة على القدم^(٥) على أرحب وخرجت يسيرة وحطوا في الجاهلية وخربوا بيت يحيى دودة وتخلصوا همدان مخلص ما يعرفوه ولا قد سلموه ويحيى دودة هرب من البيت لأنه من المناصرين لسيدي بقلبه وقاله وغاصوا الأتراك في بلاد همدان جميع وسلموا همدان جميع المطالب ودودة ومن معه من المناصرين له جلسوا في جبل الأحري من البلاد المحروقة الكؤدة الذي لا يقدر أحد يجلس فيها ولا يقدم عليها لصعابتها^(٦) وكان يحربوا منه ويتغزوا على أصحاب الدولة ويرجعوا إليه وصار الوالي ملزماً لهمدان والشويع بقبض دوده وهو منهم فصعب ذلك عليهما فأجمع رأي همدان أنهم يعزموا بعقائر إلى عند الإمام أربعة عقال منهم ليحسن مخرجهم مما هم فيه من الضيق فعزموا وعقروا خمسة أثوار وبقاهم ولم يأذن لهم بشيء وبقي الحرب مستمر نحو شهرين على رضاء الإمام ما أذن لدوده يصطلح وحده أو يصلحوا شأن همدان جميع وبعد أيام رجعوا وفعلوا صلح مكفوف^(٧) أن دوده يرجع بيته والمطارح حق الترك ترتفع ويسكن الحرب وتطفئ نار الفتنة بعد أن كان القاضي علي الشريف محمد الشويع عشروا فيه وسلم ولكنه فشل وذهل لأنها مضت الرصاص من فوق رأسه وعن يمينه وعن شماله من جنب أذنه ما فرقين^(٨) إلا بنحو البنان .

(١) حاجته .

(٢) خ يلتوقوهم .

(٣) يزحفوا .

(٤) شدفه . الهاء عن عمله بغية تضليله .

(٥) القدم .

(٦) لصعوبتها .

(٧) هو أن يكتف كل إنسان عن الآخر .

(٨) أما حدن .

وفي خلال ذلك في جماد سنة ١٣١٣ طلبوا الدولة أهل صنعاء وأمروهم يقسموا صنعاء أرباع وكل ربع يحصروه حارات ولكل حارة عاقل وفعلوا ذلك والشدة باقية من الغلا والعدم لكل شيء لأن ذلك قبل حصول ثمرة الصراب وارتفعت المطارح من همدان ودخلت شردمة يسيرة إلى قرية القابل لشيء في نفس الوالي عليهم فتخلصوهم الحق والباطل وفتحوا عليهم في خراب بيت الإمام سيدي محمد بن يحيى لأجل ينظروا ما جوابهم فما وقع جوابهم إلا أنكم الدولة وما أردتوا فعلتوا ولو وقع منهم جواب آخر أو مراجعة أو يُحسِنُ نشترى منكم ما يملكه سيدي عندنا لكان يقع لهم أعظم نكال فشرعوا في الخراب حتى أكملوا الدار وشدوا ما فيه من نجارة وخشب وأصابيع^(١) وحش^(٢) حتى أنهم شدوا من الحجار البيض حق القرية وما لهن حاجة مثل حاجة الحبش ولكن للإرهاب وبعد قطعوا جميع ما يملكه من إثاله^(٣) وطلح وشرعة^(٤) الأعناب وأشجارها وكان يخرج لذا القواري بالخيول والبغال .

وفي سلخ جماد دَفَعُوا^(٥) بيت في حافة موسى كانوا فيه ناس من يام قيل ثلاثين وقيل أكثر وقيل أقل وكان كبيرهم بينهم عبد الله بن علي المكرمي قيل أنهم كانوا يتفاوضوا والمشير في أمر سيدي ووقع الباروت في جانب البيت الجانب الذي لم فيه أماكن وسلموا جميع وتقاؤوا من الطيقان ويم ثاني طاروا شذر مذر .

وفي أول شهر رجب عزم الوالي إلى الحديدية ورجع في آخر شعبان ما حد درى ما سبب ذلك .

وفي تلك المدة دفعوا بيت في يريم وراحوا فيه أربعة أنفار .

وفي خلال ذلك نزلوا عسكر بيتخلصوا في بلاد أنس ووصلوا إلى الهجرة / ووقعت فتنة بين العرب والمخالصة وقتلوا المخالصة ونزلوا أصحاب الدولة عساكر ومدافع من ضوران أخذوا القرية وما فيها وخربوا فيها دور .

وفي شهر القعدة حرقوا بيت في بئر العزب حسب ما مضى من الحريق اللطيف وسلم من في البيت وقد خرب جانبه .

(١) جمع إصبه وهي أخشاب رقيقة توضع فوق أخشاب السقف لمنع تسرب الماء

(٢) حجارة سوداء قاسية شبيهت بالحبشة لسوادها .

(٣) جمع إثل شجر معروف .

(٤) أعواد تنصب لرفع الأعناب .

(٥) فجروا

وفي ذلك الشهر أرسل سيدي القائم بقوم من لديه إلى بلاد خولان والحداء مدافعه على الشيخ أحمد الرماح صاحب بني مطر لأن العين عليه من جهة الوالي أحمد باشا فيضي لأن الوالي أرسل الميم باشا مرزاح كبير الضابطية على الرماح كان مراد في ضبطه والذين وصلوا خولان من عند سيدي هم من أجل الرماح إن فتح الحرب عليهم فهم غارة عليه وإلا فهم هنالك من أجل مفاجمة الأمور فرجع مرزاح ولم يتم شيء لأنه كان يوفي بما عنده من حقوق وفي ذهنه ذلك ما يجب عليه وأما وصوله فمعتذر وكان كذلك ودخلوا لنا في عيد الأضحى كل أحد فيما هو فيه .

وفي شهر محرم مفتاح سنة ١٣١٣ وصلوا الحجاج وأخبر بموسم عظيم وعافية كثير وخير كبير فله الحمد على ذلك ولكنها كانت ستحدث حوادث من النصارى لعنهم الله ورد كيدهم في نحورهم أحدثوا عما يرى في جدة ومكة في المَعْلَا قبالة بيت الشريف قيل أنهم كانوا يريدوا يفعلوا مراكب برية وقيل إنهم كانوا يريدوا يدخلوا الحجاج جميع إرسالات ناس بعد ناس ويبخروهم ببخور ويرشوهم بماء وقد سبق مثل ذلك منهم في التبخير لهم كمران وغيره ولكن السابقات أسلم من هذه لأن هذه المرة فيها أشياء في العمارة والداب^(١) فحصل الوجه في قلوب جميع العرب من حجاج وغيرهم من البدو المجاورين لما رأوا من العناية والغرامة والحيل والمكايد فأما الذين في جدة فدخلوا لهم بدو كثير من حرب وهذيل وقتلوا منهم أربعة نصارى وخربوا ذلك البناء وأما الذين في مكة المشرفة فأقبلوا لهم ناس من جهة الشروق من النجدية ورئيسهم العبد حق بن رشيد صاحب النجود ودخلوا على ذلك النصرائي اللعين وقتلوه وخربوا ما بناه ووجدوا دماً كثيراً في أواني كثير في ذلك المحل وكان متزين لهم أنه طيب ماهر بما يصلح العباد جميع من التداوي للمرضى في جميع العلل وما مقصوده إلا الخدع والمكر للإسلام والمسلمين جميع وكان مراده في جيل تضر جميع المسلمين لأجل قطع الحاج بأصله إلى آخر الدهر والله غالب على أمره وحافظ بيته الحرام وحامي أهل الإسلام فرد الله كيده في نحره وأهلك بغيضه لعنة الله وذلك عند طلوعهم منى يوم التروية فكفى الله الناس شره وحجوا حج عظيم ولم أحد قدر يعينه بشيء من الذين شاهدوا بدع عمله وصبروا وهم عالمين فقيض الله ناس لا يصبروا على الضر فوق ذلك وعيونهم تنظر ولو أنهم أرادوا بأدنى شيء لكانت القاضية عليهما ولكن دفع الله سبحانه .

(١) كأنها الدواب .

وأما خبر القوم الذين ذكرنا آنفاً في بلاد خولان في سلخ سنة ١٣١٣ فزادهم الإمام بقوم آخرين ومقدمي معهم سيدي أحمد بن قاسم حميد الدين ووصلوا إلى بني ضبيان وقعدوا في راعد في بيت الحميدي فلما وصلوا جهز عليهم المشير أحمد فيضي بعساكر جرارة ومدافع مختارة وزاد وزناد وخيام فخرجوا من صنعاء في أول شهر محرم مفتح سنة ١٣١٣ وطرحوا في خولان الخارجية اليمانية وغيرها وفي بيت الصوفي/وتخلصوا ما عند خولان جميع من المقطوعية المتقدمة والحادثة وفوقها مثلها كفايات وأغنام وحطب وتبن ويقر وذلك كله على الضعفاء من الرعايا وأما النقباء والمشايخ فأكلوا مع من أكل وما وقع المقرر إلاً فوق خولان الخارجية التي تحت الحافور^(١). وبعد أجمع رأي الدولة على القدوم على المقدمي حق سيدي وهو السيد أحمد بن قاسم حميد الدين إلى راعد بيت الحميدي فقدموا حتى وصلوا بني شداد وأخذوها وأخذوا ما فيها ولا سيما قرية الشعبان فإنهم أهلكوها وخربوا أكثرها وأحرقوا باقيها وباعوا جميع الطعام حتى أنه وصل سعر العدس قدحين بريال وهو في صنعاء في ذلك الوقت سعر القدح ثلاثة ريال فتاقت نفوسهم من الشوق إلى القدوم راعد وجاءوا من طريق أخرى من طرف بلاد الحدا من محل يقال له غليل فاجتمعوا العرب وجاءوا إلى غليل ووقت قتلة كبيرة والثانية قتلة في وادي العلب كذلك مثلها والمساق للأتراك من صنعاء طعام وغيره واجتمعت قبائل شتى ووصلوا قوم أخرى من جهة الإمام وبينوا نفوسهم في نقم برماية وتعاشير من الدعكري الذي فوق المنظر في شهر صفر. وتعقبت^(٢) قتلة ثالثة في الأعروش وبعد رجعت أصحاب الدولة إلى السهمان وقعدوا نحو ثمان وتجهزوا للسير على يديده^(٣) التي فيها أصحاب الإمام ووقعت طريقهم الأخرى بمعرفة القاضي يحيى الجبري.

وفي خلال تلك الأيام وقع الأمر على الباشا الكبير الحاج فيضي إلى الأمير مرزاح كبير الضابطية بأنه يسوس لجميع الضبطية المرصدين من صنعاء ومن القبائل بأنهم يلبسوا كسوة السلطان ويتركوا العصيان وإلاً خرجوا من البيان فحارت في ذلك أفكارهم إن خرجوا عدموا المعاشات التي بتقع لهم والتي قد عند الدولة لهم سابقة لأنهم أمطلوهم في معاشات كثير حتى تراكت لهم في الصندوق فبقوا في

(١) كناية عن الضغط (والحافور معروف).

(٢) عقت.

(٣) كذا.

حيص بيص وهرج ومرج مع عدم التوكل وما قدم فيهم من المحقة^(١) بالدندنة والهنهة والذرب^(٢) وبلوغ الإرب في المسح فلم يجدوا من ذلك بدأ فاحتكموا للأمر وحلقوا القعاش^(٣) وخلصوا^(٤) العسوب^(٥) وتركوا تلك العسوجة في المشية والغنوجة ولبسوا الزنين والكوافي واللبسان^(٦) والقناطر^(٧) ومنهم من كان يختفي في أول الكلام ومنهم من بلغ في عدوه المرام وهم الأنذال اللثام وكل أحد ما كان يمضي من السوق إلا وبعده ناس يتحققوا فيه ومنهم من كان يشتكي بمن حاكاه ويتذرب على من ناواه ولما أكملوهم رجعوا على من كان صاحب معاش من كتاب وخيالة وهم فقهاء وسادة ومن كبار حاشد وبكيل وألبسوهم مثلهم حتى بيت أبو فارغ وأشراف ذو حسين ومن نهم ومن بيت الأعوج وحزام بن صالح دغيش وغيرهم^(٨).

وبعد ذلك القتلات في خولان رجعوا وأخذوا رهائن من كبار القبائل وصغارهم بعضهم من عند العقال وبعضهم سعف^(٩) من الطرق وأما الرهائن التي هي من أوجاه^(١٠) الناس فيما وقعت إلا بحيلة فعلوا ملقى إلى بيت القاضي يحيى الجبري وأخذوهم عيب وغدر.

وبعد ثمان وقع في قلعة عصر قتل أحد الزبطية وأخذوا أربع بنادق وهربوا. وفي خلال ذلك أمر الوالي بعمارة قلعة في ظهر الحمار وعمروها في نحو شهرين زمان كان يشقوا^(١١) فيها الأتراك نحو مئتين عسكري كل يوم حتى كملت.

وفي شهر جماد شاعت الأخبار بحركة من الإمام وصار الوالي يستعجل الأتراك من جميع القضاة إلى صنعاء وكان يصال عساكر عجم من أسطنبول ويفرقهم في القضاة

(١) عدم البركة .

(٢) التحرش .

(٣) جمع قعشة الجمعة من الشعر على الرأس بدون عناية .

(٤) خلعوا .

(٥) جمع عسيب هو جهاز الحنجر .

(٦) السراويلات الخاصة بالعسكر .

(٧) أصلها كندرة نوع من الأحذية واللفظة ليست عربية (انظر محيط المحيط ٧٩٣).

(٨) أي من وجده في الطريق .

(٩) وجوه .

(١٠) أنظر هذه الحادثة في أئمة اليمن ٣٦١ .

(١١) يعملوا .

بدل الواصلين ويحرضهم على القدوم على القبلة لأن قد كان أول جند الإمام في خمر بقيوا نصف شهر وتفاشلت الأمور / وتفاقت بالفلوس لحاشد وجاء بعض البغاة إلى المشير يبغي له بالعرب لأجل الطمع وبالبغي يتقرب لا رحمه الله أن ما سبب حركة الإمام ألا أهل صنعاء وحوازاتها لا زالوا يكاتبوه ويراسلوه بالمال وجميع المحتاجات ففتح الوالي على كبار الناس وتهددهم وخرجوا من عنده وتقرب الآخرين إليه أن ما يردع الناس ويسكنهم من الوقزة^(١) والتشيع^(٢) إلا الأدب بالفلوس ومقصده أن الغرم في المال أهون من أخذ الرجال لما نظر من تفوه الوالي من الحبس والتغريب فجاءت على ما عنده مزاجاً فوقع في صنعاء فرقة كبيرة لم قد بلغت الفرق السابقة مبلغها سمعت من بعض القباضين لها أنها خمسة آلاف بلبلاً^(٣) منزلة^(٤) ويريدوها دفعة واحدة فشق ذلك على العباد فقسموها دفعتين قيل في شهرين بشرط تسليم الدفعة الأولى في يومين فتسلمت ويوم ثالث طلبوا الدفعة الأخرى ونزل تركي من كبارهم إلى السوق بالضبطية والأتراك وقعد في سوق الحب وكان يرسل للناس إليه ويصالوا بهم فمن سَلِمَ سَلِمَ ومن تظلم ظَلِمَ وضرب وإلى الحبس سحب وتسلمت في يومين وفي الحوازات أعظم من ذلك وأطمم الفرقة في حالها التي إسمها معونة والمخلص للبواقي المتقدمة في حاله وزيادة على المدينة بالكفايات من جميع المحتاجات وخروج العرضيات^(٥) عرضي في متنه وكفاياته على بلاد البستان وعرضي في جربان وكفاياته على همدان وعرضي باقي في جحانه وكفاياته على خولان فإننا لله وإننا إليه راجعون .

وفي شهر ربيع الماضي تحققت الأخبار من ريمة أنها وقعت آيات من الله باهرة مفجعة نازلة على العباد مفزعة في سوق الحدية سقط الجبل الذي فوق السوق على المتسوقين لأن سقوطه يوم سوق الحدية والناس جميع تحته ولم يسلم منهم إلا اليسير لأن أكثر أهل السوق في تلك البقعة وهي معظم السوق والجبل وقع فوقهم بأنعامهم من جميع الدواب أكثرها البقر والغنم والحمير وهم من بلدان شتى لأنه مجتمع يجتمع فيه أهل ريمة ووصاب وحيس وزبيد وبيت الفقيه كونه في حُرَّت الجبل ويتسوقوه أهل تهامة نستغفر الله ونتوب إليه ولا ملجأ منه إلا إليه ولا نعول إلا عليه .

وفي شهر جماد بدع الوالي بعمارات باب اليمن في المدينة المحمية وتفسيحه^(٦) جهة

(١) سق شرحه .

(٢) التشيع .

(٣) كذا في المخطوطة . ولعلها بالبلاد فسقط الدال .

(٤) المعسكرات (أو الجند) .

(٥) توسيعه .

عدن نحو عشرة أذرع من الباب الأصلي وهو محاذي له ووقع له مؤثر^(١) كبير وأساس هائل وعمارة على رصاص وجص وحش جديد وبناء لم قد رأينا مثلها في العناية على ما ترى / .

وفي التاريخ أمر الوالي بخراب بيت المقدمي حق راعد^(٢) سيدي أحمد بن قاسم حميد الدين في حافة داود وبعده أمر بخراب بيت الإمام القائم الذي في الأهر وأخذوا مؤنتهن جميع .

وفي خلال ذلك أرسل الوالي السيد علي بن محمد المطاع إلى عند المقدمي إلى راعد يصلحه ولعله أصبح به بدراهم يفرقها لعقال خولان وما تبعها إلا شد المقدمي ورجع القبلة عند الإمام وبعد ذلك ما بقي في خاطر الباشا إلا الرعايا في جميع البلدان حيث قد تمت له ووشى إليه الواشي بأهل صنعاء وحوازا فاعمل فيهم فكرة ولم زد راقب الله فيهم تابعت صنعاء الفرق حتى أنها وقعت في ثلاثة أشهر ثلاث فرق في جماد ورجب وشعبان في سنة ١٣١٣ وانفتح بذلك الظلم باب آنس وبقي المقداد صاحب جبل الشرق مشرداً وخربوا الدولة بيته فتفرغ وسعه وبقي في طرف البلاد ما يلي الغرب هو وشرذمة معه يسيرة وكان يبقى يتغذى إلى بعض القرى ويدور له قنص فسبر معه المجال ولا زال يتقوى فعله ويتابعوه أفراد من القبائل فوقعت له غزوتين ثلاث ووقع له فيهن سلب ولمن معه فاشتهر أمره وشاع ذكره فشمر ساقه وكثر من الخلق لحاقه والذي أخذه أولاً حمولة في طرف سهام أرزاق للدولة دقيق ورز وأخره مثلها^(٣) في حدود حزت حراز والثالثة من بيت القبلي بنادق وأسر وكسر مع ما مع الناس فيه من الغلا والشدة في جميع البلاد وشح الأمطار وقل الثمار حتى أنه انتهب سوق وادي حار نهبه أهل تهامة والسبب الجراف^(٤) عم البلدان وسوق آخر في حزة ملحان نهبه أهل تلك الجهات نسأل الله اللطف فلما اشتهر أمر المقداد في جميع البلاد لحقه كل من يريد الفساد وترادف له الإمداد من عند الإمام بما يبلغ به المرام من باروت ورصاص وخزنة وفلوس ومال ورجال فاشتهر ذكره وكثر على الدولة ضره فأرسل الوالي إلى بلاد آنس بالعساكر الشاهانية والمدافع الكرخانية مراراً أولاً وثانية فصعد في مدينة العبيد ورأوا هولاً شديداً فطلبوا [من] المشير المزيد / فاغتم لذلك وتحقق له الشر فيما هنالك فعزم على الخروج فرأى النحس في البروج وانفتح الحرب فيما بين المقداد والأتراك فكان بينهما سجلاً وحالاً

(١) أساس .

(٢) بلدة من بني ضبيان من خولان العالية .

(٣) خ مثلها .

(٤) الفقر الجوع .

فحالاً ومن كثر عليه الظلم من الدولة استدعى المقداد مثل بني فضل فإنهم طلبوا منهم دفعة أربعة عشر مئة فتظلموا فلم يرحموا فطلبوا المقداد فوصل ونزل العرضي الشاهاني ووقع بينهما من الحرب ما وقع وآل الأمر إلى الصلح بأن يرفعوا عنهم مطلب الفلوس وهم يرفعوا المقداد فتسامعت أهل البلاد فكانوا يفعلون ذلك وشق على الدولة ما هنالك فخرج الأمر من المشير بالقتال فجردوا الأتراك نفوسهم الذي في مدينة العبيد وقدموا على القرى بالمدافع والخراب ففعلوا وصاح المقدد في أصحابه فسيقوا^(١) وشمروا ووصلوا والتقى الجمعان وتصادم الشجعان ولصقت السيوف والنصال بالبنان وفر الجبان وثبت كل بطل همام وبقوا على ذلك قدر شهر زمان ولا زالت الأتراك تنزل من صنعاء أرسالاً بعد أن كتب المشير إلى من في ذمار ويريم ومن اليمن الأسفل من لب وغيره بالعزم إلى أنس عاجلاً والإمام لا زال في تعبئة العساكر العربية وإرسالهم إلى أنس بما يحتاجوه ونزلت قبائل من خولان واجتمعت لتلك القتلات العرب أفراداً من كل مكان ووقعت قتلات يشيب منها الولدان والسبب الطمع في العرب وإلا فهم من الجهاد بمعزل ولكن لما رأوا ما وقع للسابقين من الفَيْد^(٢) والطمع والبنادق أقبلوا كالغربان ووقع القتل في الجميع حتى أن الواشين كان يحققوا للبasha بمن قتل من الطرفين ويسموا له القتلى من العرب ويسموا له قراهم فكان يخبر بذلك كأنه حاضر أو مشاهد وأما الذي تحقق وظهر فالكسر في المدر^(٣) أفهم وبعد ارتفعوا إلى ضوران جميع الأتراك والمقداد دخل وسط البلاد إلى جرف الطاهر وبني سلمة وقر فيها هو وأصحابه وغزا على^(٤).

وأخذ جميع ما معهم من طعام وسلاح وأثاث وقراش وغنى فيها الفليس من أصحاب المقداد قيل أن الدراهم النقد صندوقين كبار نحو ثلاثة أقداح والسبب أنه كان مجد أو مجتهد مع الأتراك^(٥).

ودخلت سنة ١٣١٤ وكملت عمارة باب اليمن وفتح المشير عمارة قلعة في حصن نغم وقلعة في السواد الغربي بالقرب من باب المنجل ولا زالوا يدأبوا فيها الشقاة عرب وعجم وزد

(١) صرخوا .

(٢) الكسب .

(٣) من الأمثال والمدر الفخار .

(٤) بياض في الأصل .

(٥) بياض إلى آخر الصفحة قدر خمسة أسطر لعله تركه لتحقيق أخبار تلك الحروب في أنس .

أدخلوا في تفسيح باب اليمن المعجرة ودكيكها^(١) ومخازين الجزارين من شرقي الباب ومن غربي نحو بيتين ثلاثة صغار .

وفي نصف ربيع على قيلهم^(٢) فنطسية واجتمعوا جميع الناس من عرب وعجم وأهل الحل والعقد وجميع أهل المجالس والمأمورين جميع إلى باب اليمن وجرت المدافع إلى هنالك وحضرت العسكر حزبه لما هنالك واستقامت الخيل بركابها وخيل المدافع بأصحابها واجتمعوا خارج الباب وأغلقوه لأجل الدعاء ونيل الثواب وحضر المصور وهو ابن المشير وصور تلك العمارة ومن حضر في ذلك الوقت بزيهم والإمارة حتى أكملهم وهم خاضعون لذلك وسامعون لما يحصل من الدعاء والبركة هنالك وافتتح بالدعاء حسب العادة سيدي العلامة الصفي أحمد بن الكبسي وقد استعد لذلك اليوم ونظر ما يصلح فيه للقوم من المجانسة للمقام وأتى بالشواهد من القرآن ومن سنة سيد الأنام صلى الله عليه وآله وسلم .

ووقع في تلك الليلة زينة كبيرة في المدينة والقصر وبثر العزب والقلع^(٣) الذي في نغم والحصن وظهر الحمار وأضاف الوالي تلك الليلة العلماء وأهل الإدارة وإمام الجامع وخطبه وفعلوا في بيته ما يكفي من الدعاء والمكافأة والإحسان .

وفي خلال ذلك التاريخ والناس في أعظم جال وأسوا بال من الشدة وقل الأمطار وغلا الأسعار من شهر رمضان سنة ١٣١٣ إلى آخر ربيع سنة ١٣١٤ فإنها عزت الأمطار وغلت الأسعار حتى وصل السمن في آخر سنة ١٣١٣ من رمضان إلى محرم سنة ١٣١٤ رطل وربع بريال وانتهى سعر الطعام في شهر ربيع سنة ١٣١٤ الشعير من المفاودين ربع قدح وثمان والذرة ربع قدح وربع الثمن بريال والحنطة ربع قدح يعجز بريال [كله من المفاودين لأنه رخص لهم رئيس البلدية] والحبلة ثمن قدح بريال وبقي ذلك مدة عديدة والناس في أهوال شديدة ولا زالوا يتسقوا ويخرجوا إلى الجبابة^(٤) من أول شوال ومضى الصيف ولم يقع مطر وإلا في محلات يسيرة ولم يتبعه مطر وهم على ذلك يخرجوا للتسقية في كل جمعة بل في بعض الحالات مرتين في كل أسبوع .

(١) جمع دكة : وهو ما ارتفع من البناء للجلوس .

(٢) كلامهم .

(٣) جمع قلعة .

(٤) هي مصلى العيدن أنظر أخبارها في تاريخ صنعاء للرازي .

وأما العبر من الله فكائنة من شوال إلى آخر صفر والسحاب والرعود والبروق والطشاش فكان يقع في كل يوم ثمان عشر مرات ترعد وتبرق وآثار زنانين^(١) وتنكشف وتطلع الشمس وهلم جرى إلى آخر يوم في صفر وطلعت رياح وجعافير^(٢) حمري أظلمت منها الأرض وأيقنوا الناس بنزول العذاب ومضى الفقيه العلامة عبد الرازق الرقيحي عافاه الله من الأسواق يدعو الناس إلى الجامع يجأروا إلى الله ويستغفروا الله ويتقربوا إلى الله مما رأى ودخلوا الجامع لذلك وأظلمت تلك السحاب وظهر منها البرق والرعد وزال الخوف وأيقنوا بالمطر والفرج ورفع التخويف والخرج وانكشفت وطلعت الشمس وهم في الجامع وكان يقع ذلك كذلك في تلك المدة العديدة فلا قوة إلا بالله ونستغفر الله ونتوب إليه ونسأله التوفيق والرضا وحسن / الختام بحوله وطوله . وكلما جَلَبَةُ الجلاب من طعام وسمن وخطب وعلف أخذوه الدولة غصباً على العرب على أيدي المتقنطرين يعني المتقبلين لكل شيء متقبل ولاحت الفرصة لأولاد السوق كان يأخذ كل ما جلب للدولة ولم يصح إلا النصف للدولة والنصف يفادوا فيه أهل صنعاء بزيادة ولم يستأصل^(٣) صاحب صنعاء مما جلب بشيء .

وفي يوم واحد وعشرين جهز المشير أحمد فيضي السرايا على الرعايا فخرجت السرية الأولى على خولان بعساكر ومدافع وخيام وغيرها والسرية الأخيرة على أرحب فأما سرية خولان فحطوا في قرية (أسناف) في الظاهر يتخلصوا ما عند خولان من المقطوعية التي عليهم كل سنة وفي الباطن يريدوا القبض على علي مهدي شديق صاحب بني ظبيان ولكن قد هو محادد لخولان الخارجية بأهله وبيته من زمان لكن باقي على عهده مع الإمام وهو من الذين نزلوا أعانوا المقداد في بلاد آنس وتفود هو وأصحابه بنادق وغيرها ومراد الدولة في قبضه أو قتله أو صلحه ويسكن من المشاغلة لهم لأنه السبب في حق خولان هو والحميدي صاحب راعد وتجاررت^(٤) حتى وصلوا إلى بني شداد واحتربوا هم وبني جبر ووقع الصلح بينهم على تسليم المقطوعية من الرعايا والدولة يرفعوا من فوقهم المطارح وسَلَمُوا الرعايا ذلك وربحوا المشايخ والعقال فيما هنالك وكانت الفائدة معهم لا مع الدولة واستلموا المشايخ ما ذكر ورفعت المطارح من بني شداد .

وأما سرية أرحب فحطوا في بيت دغيش في الظاهر المخلص وفي الباطن يريدوا

(١) جمع زينتة : مطر ورزاد .

(٢) زوابع .

(٣) يحصل على شيء .

(٤) تلاحقوا .

تسكين أرحب الداخلية إلا أنه وصل إليهم من عند الإمام وبعض قوم ومراد الدولة في التسكين بالبيعة^(١) والفلوس كون الزمان غير محتمل لما الناس فيه من الشدة واليباس ولم وقع إلا وصول مقدمي من عند الإمام بفلوس وزانه وكلما يحتاجوه فمالوا أهل الدنيا من أرحب إلى الدراهم من الدولة من صنعاء وتبروا من المقدمي وطلبوه الرفعة^(٢) فارتفع وأدخلوا الأتراك إلى بعض البلاد بعناية المشايخ والعقال أهل الدنيا وبقي أهل الدنيا يسعوا فيما بين الدولة والرعي^(٣) ولم ينظروا مصلحة^(٤) الضعفاء والمساكين كون عملهم للدنيا .

وفي يوم الإثنين آخر شهر ربيع آخر سنة ١٣١٤ وقعت غضبة من الوالي على أهل الإدارة جلسائه وما يريد بها إلا الكباسية^(٥) وتوجهت الغضبة على السيد زيد بن أحمد وهزره^(٦) من كرسية ودهفه^(٧) وتكلم عليه ومقصوده^(٨) قد هيه لهم الجميع من الكباسية وأما بقية أهل الإدارة كعبد الكريم الجرافي ومحسن الشرفي فليس هيه عليه وإنما دق سعيد^(٩) إلخ وعذره من الإدارة وبقي في نفسه على الوقف الداخلي وبقي الكلام في حيص بيص بين كبير الكباسية سيدي أحمد بن محمد وبين الوالي أحمد فيضي باشا والمراسلة والتجماع والمتوسطين بينهم ناظر الوقف الداخلي السيد علي بن محمد المطاع ومحمد بن محمد جغمان المفتي على مذهب الحنفية إلى يوم الإثنين رابع جماد أول ومضى الوالي في العربية ومعه أربعة خيالة والياورات حسب العادة من الفليحي فنظر ناس باب السيد أحمد الكبسي فتشوش في باله من ذلك / فدعا بالياور الأول محمد بن هاشم وهو المقرب لديه وصاحب أسرار ف أرسله يدخل إلى بيت السيد أحمد الكبسي في الظاهر يحاكيه^(١٠) بشيء مما ذكر مما بينه وبينهم من الغضبة والوقف وفي الباطن يجس من عنده في البيت لما قد في نفسه تتبعاً للرخص فوجد عنده السيد علي المطاع والمفتي محمد جغمان فأخرجهم وخرجوا جميعاً وأخذوا الذي في الباب وأطلعوهم إلى الحكومة يستنطقونهم ما معهم في بابه وأرسل ياوراً

(١) خ ببيعة .

(٢) الارتفاع .

(٣) المواطن .

(٤) خ مصلحت .

(٥) آل الكبسي .

(٦) جذبه بشدة .

(٧) دفعه على وجهه .

(٨) قصده .

(٩) يقال في المثل الشعبي دق سعيد يعرفك .

(١٠) يكلمه .

آخر يستدعي الياور الأول وقد كان خرج وإنما هيه حكمة^(١) وتهداد وأرسل ياوراً آخر كذلك وآخر مثله .

وقد ذكرنا ما حدث في ربيع آخر وهن ثلاث شعب ذكرت جمل وإلا ذلك مغزى آخر غزاه مرزاح كبير الضابطية إلى بيت يحيى دودة في همدان وسلم يحيى دوده وهرب من بينهم ونهبوا بيته وأدى^(٢) نساء من بيت دوده إلى صنعاء نحو ثمان حريم وبعضهن بأطفالهن ووقع على همدان عشرة ألف ريال جزاء للفساد حق دوده وسلموها جميع همدان حتى أنه خَصَّ^(٣) وادي ظهر منها خمس مئة ريال وسلموا الجميع حالاً ونهبوا ما قد كان نجلوه أهل الربع الأسفل من الجاهلية إلى الجرف الذي فوق قاع الرقة وأخذوه أصحاب الدولة كله وهذا كله قضى فيما مضى « . . . » وأما الثلاث الشعب مفردة وما آل إليه أمورهم فأرحب دخلوا لهم العساكر الشاهانية إلى طرق البلاد القبلية واستولوا عليها جميع وهربوا أرحب جميع ووقع منهم أساري وأدخلوهم مرابط نحو مئتين نفر في السليب^(٤) إلى صنعاء وحبسوهم وكانوا يخلوهم يكنسوا في شوارع صنعاء وقد كان هربوا أرحب العفش والنفش والغنم والبقر إلى وادي بني علي وإلى القرى القبلية في طرف بلاد أرحب وظفرت بها العساكر جميع وأخذوها وأخذوا رابية وما صح من أرحب شيء أخذتهم ذنوبهم الأعمال سَوَاقَة يَحْدُهُ أنهم دَفَعُوا بدار كان فيها عسكر^(٥) وليست بأول واقعة عليهم فإنها قد هي الثانية الواقعة عليهم الأولى في سنة ١٣٠٣ في دولة أحمد فيضي باشا السابقة .

وأما خولان فإن العساكر الشاهانية انتهت في خولان قرى كثيرة منها حصروا النوبة الحين هذه أخذتها الأتراك جميع ما فيها من طعام وعلف وغنم وبقر وعفش وسلاح حتى أن الذي هربوا دَفَنُوا سلاحهم ومطيمهم وقراشهم في بعض الوديان وابتاعين للأتراك وأخذوهن باردات مبردات بلا ضربة ولا طعنة غير ما كان يأخذوه من الفيوش^(٦) والجبال من القراش التي ترتعي حتى أن بعض الزباط^(٧) حقهم وهو من صنعاء أخبرني أبوه أنها وقعت له خمس مئة رأس غنم وكان يرعاها الرعيان في صنعاء بالأجرة .

(١) كأنها من الحكمة .

(٢) أحضر .

(٣) نصيبه من الضريبة .

(٤) جمع سلبة ، جبال يربط بها .

(٥) بياض .

(٦) البراري الزراعية أو الأحراش .

(٧) الضباط ينطق بها على قاعدة الأتراك والمصريين في نطقها يبدلون الظاء زايًا .

وأما خبر سبدي زيد بن أحمد الكبسي فصَحَّ^(١) عزله وبقي الكلام نحو شهر في حيص
بيص وآل أمر الوقف إلى كل قضاء يرجع إلى قضاة وإلى قائمين المقامات قضاء اليمن إلى
اليمن ووقف دمار إلى قائم مقام دمار ووقف بلاد كوكبان إلى قائم مقام الطويلة / ووقف
الحيمة وحراز إلى قائم مقام حراز ووقف ثلا وبلادها إلى قائم مقام عمران وآمنا بالله . وكل
محل يتناع بثمان جاز^(٢) حَذَّ المغلاة أولاً في صنعاء علي يد الدلال^(٣) وبعد يرسلوه إلى قائم
مقام ويسلم نصف ما سلَّم في أزال وحتى القرى الصغار بأثمان كبار وحسبنا الله ونعم
الوكيل . وهذا كله في تلك الثلاثة الأشهر ربيع آخر وجمادين . وثم آية سماوية وهو اشتداد
الجدري يعني النفط في الأطفال كان يموتوا منه ولا يسلم إلا النادر بحيث أنه كان يحصروا
جملة الأموات من الأطفال في كل يوم أقلها خمسة عشر جنازة وأكثرها إلى ثلاثين جنازة في
كل يوم حتى أن الخطيب كان يذكر الناس بهذه الموعظة في المنبر مراراً والواعظ كان يعظ
الناس ويذكر لهم ذلك وهو الفقيه العلامة الوجيه عبد الرزاق بن محسن الرقيحي عافاه الله .

وفي خلال ذلك الثلاثة الأشهر والشدة على العباد كائنة أعظمها شهرين ربيع آخر
وجماد أول . والسعر الحنطة لم عد كان يقع ربع قدح بل دون والشعير ربع قدح وثمان والذرة
ربع قدح ونصف الثمن بريال .

وشهر جماد آخر تراخى السعر قليل شهر واحد ورجع العدم والدُّوَار لكنه دون ما
مضى .

وفي آخر جماد آخر وقع شداد بيت عثمان أهل السر بجميع ما يملكوه مما يشد وما هو
على الأرض تركوه ورحلوا إلى المشرق ووقع لذلك في قلوب العباد موقع عظيم وكذلك بيت
الحسيني أهل رجام شدوا منه وكذلك الفقيه^(٤) جفمان شد من خولان ومن أول رجب كف
موت الأطفال وبقي النفط^(٥) لكنه مُسَلَّم^(٦) .

وفي سابع شهر رجب طلع الوالي إلى مجلس البلدية ودعوا جميع أهل صنعاء إلى
عنده وبقي يحدثهم بأشياء عجيبة من الروم والنصارى والفرنجة وإعانة السلطان على الكفر
وأن المتعين على أرض اليمن خمسة وسبعين ألف ذهبية كل ذهبية ٨ قروش ريال يصح

(١) تحقق .

(٢) تجاوز .

(٣) السمسار .

(٤) بياض في الأصل ولعله الفقيه الحسن بن إسماعيل جفمان

(٥) يعني الجدري .

(٦) غير مؤدي إلى الموت .

الجميع ست مئة وألف ريال حجر وصلت إلى كل إنسان بقدر ما خمنوه المخامنة الذي لا يخير فيهم حتى وصلت عند المزاينة^(١)، والحمامين والضعفاء جميع كان يبيعوا فيها أدواتهم بعدما كان سلموا فرقتين في ثمانية أيام في جماد في كل أربعة أيام فرقة وهذه المُخْتَمَة^(٢) والتجار صَحَّ على الكبار من مئة ريال وبعده ودونه حتى وصلوا عند الضعفاء الذي ما ييلقي له نفقة ولا لعائلته سَلَّم نصف ريال ربع وثمان وأهل المعاشات الذي لهم من الدولة قطعوا عليهم معاش شهرين على كل أحد بقدر معاشهم من عند الوالي إلى عند الكاتب معاشين على كل أحد صح على الشيخ محمد البليلى من الريالات مئاة ١٢٥٠ وعلى هذا فقس وتوجهوا الأتراك والمقدمي راشد باشة نحو بلاد حاشد انتهبوا قرية ناعظ وفيها من الأموال ما لا يحصر حتى أنهم لقيوا شخوص ذهب عين من حق بيت القاسم وسلاح وبقر وعنم وفراش المقلل يقول بخمسين ألف والمكثربمئة ألف ووقعت بينهم قتلة أو إثنين كبار ورجعوا صنعاء آخر شهر رجب والله يلطف فيما بقي / .

وفي شعبان نتجت نتيجة وصل منهم بعض أجناد ملفوفين^(٣) غير مكترئين ولا مختبرين بالقتال إلى جبل اللوز وزقموا الجبل وليس فعلهم بأمر إمامهم إنما ترجيحاً من أنفسهم وأما الإمام فما أمرهم إلا بالمسير إلى راعد يبقوا هناك لحتى يظهر من صنعاء البوارق والرواعد فخالفوا فوق بهم ما وقع وخرجت من صنعاء العساكر والمقدمي وقد كان سبقهم مأمور تصليحات الياور حق الوالي محمد هاشم وقعد في تنعم وبقي يخوض بالصلح والصلاح وما فيه للدولة الفلاح فلم يسعدوا الذين في الجبل فقبضوا على الشيخ دهاق ومضى بهم من طرق غابرة لا يعرفها إلا أهل النفاق فلم يشعر من في الجبل إلا بالحرب من فوقهم وهم كانوا خارج الحصن في قرى مشتتين ومحافظين على العسكر الشاهانية الذي في شاحك فلما رأى تلك الغازية فقالوا هل من باقية فأخذتهم الغازية أخذة رابية وقتل السيد علي عثمان وناس معه من بيت الحسيني وغيرهم وما بقي إلا من فرو ولا ملجأ ولا مفر لمن يخالف ما أمر وكان لم يكن ورجعوا بيت عثمان إلى الغيل جهة الخارد .

وفي رمضان وقع في الروضة باروت في بيت سيدي إبراهيم بن أحمد المعروف ببيت العنبسة وسَلَّم الله سبحانه من كان في البيت جميع بحيث أن الباروت والخراب وصل إلى رأس البيت إلى المكان الذي فيه سيدي أحمد وأولاده وحجب الله وبيت آخر في تلك الليلة في ذهبان .

(١) جمع مزين معروف .

(٢) الخاتمة الأخيرة .

(٣) أي مأخوذ من كل بلد .

وفي شوال كذلك بالبارود في الروضة بيت الحاج صالح السنيدار وخرب جميعه ولم يكن في البيت أحد . وفي بيت آخر لم قرح البارود إنما طفي الفتيل ولقيوا البارود . وفي شهر القعدة أرجع المشير الوقف الخارجي الذي قد كان ذكر سابقاً إلى نائب الوصايا والوقف الكبير السيد علي بن محمد المطاع . وعزم المشير بالخروج للطيافة إلى رأس الحيمة وبني مطر يريد يجعل قلع لحفظ البلاد من الفساد ورجع بعد يومين .

وفي شهر الحجة قتل ابن قنبح صاحب سناع في صنعاء ما بين النظارة وباب اليمن وسببه أنه أخذ بندق وخبيره ابن الحسين بندق وهن من حق سيدي كائين من العسكر الذي خرجوا مع بيت عثمان إلى جبل اللوز ووصلوا بالبندقين أمير العلایا^(١) إلى الضابطية لأنهم هربوا من عنده إلى عند سيدي ولم طاب لهم المقام فما رأوا ما يتقربوا به ويأمنوا إلا بذلك ولكن كان هذا قنبح المقتول يشغل أكثر الناس كل من رأى من الحواز عند الإمام صار يمسكه ويتهدده بالقبض إلى علایا بيه ويعطوه فلوس من كل أحد حتى صارت له عادة فوقع في عمله ومراده .

وقد أحرقوا بالنار بيت القاضي محمد الحيمي في صنعاء في حافة معاذ لأنه كان مستكري دهاق شيخ تنعم . وبعد إحراقه وقتل قنبح اشتدت على أهل صنعاء لأن الوالي صار يخاطبهم فيما وقع في المدينة حتى أمرهم بالمحاريس والدورية الليل مع شيخ الشرطة وصارت الشغلة على أهل الأسواق والغني يسلم دراهم والفقير يدور الليل إلى الصبح . وسعر الطعام رجع كما كان الشعير نصف قدح والحنطة ربع ونصف الثمن والذرة مثله والصيف قليل والشحة^(٢) كائنة والبحار^(٣) نزت في بعض المحلات نسأل الله اللطف بحوله وطوله آمين / .

وانقضت سنة ١٤ ودخلت سنة ١٥ والأمور باقية على ما هي عليه من الفتن والحروب والشدة على العباد في جميع البلاد وغلاء الأسعار الحنطة سعر ثمن قدح ونصف وربع الثمن والشعير ربع قدح وثمان والذرة ربع قدح في صنعاء وحوازاتها وريمة وحراز وحفاش وملحان ما خلا اليمن الأسفل فهو أهون قليل وما زد اعتاشوا الناس إلا بالجلب من اليمن مدة سنة ١٣١٥ من أولها إلى آخرها حتى جميع البلاد أرحب وهمدان وسنحان وعيال سريح وبلاد

(١) بالضم والتفخيم (اللوى) (الألاي) .

(٢) قلة الأمطار .

(٣) الآبار والغيول .

البستان وخولان شياطتهم من اليمن وكان المسافرين في طريق اليمن كل يوم مقلل ألف ظهر يطلع ومثلها تنزل مدة السنة واشتدت الحروب والقتلات في بلاد آنس بين المقداد والأتراك وهلك نفوس كثيرة وخربت قرى بالمدافع وغيرها من الخراب والحريق كلما استولوا عليه الترك خربوه ولكنها حصلت العصمة لأهل بلاد آنس لم زد بالوا^(١) بشيء من ذلك لما رأوا من جور الظلم عليهم من الدولة العثمانية حتى في بعض كان كل أحد من الفريقين يشبع من صاحبه ويبقوا كل أحد في محطته بدون قتال بل متواتين^(٢) ولك من تعصا على المقداد غزاه إلى محله وأخذ قرية مثل صاحب قرية المعزية الشيخ أخذه المقداد وقتله هو وأهله وليس ذلك من نفسه ولا لنفسه بل من جهة الإمام وأمر الإمام ولكنه ممثّل لا يخالف ولا يطمع إنما قصده الطاعة للأمام وتسليم الواجبات وكان الوالي أحمد فيضي يتعيّا للمقداد بكل العياء في أخذه أو قتله حتى أنها وقعت عليه البيعات مرارا عديدة وسلم منها ولا شك أن ذلك بحسن نيته وإلا فقد هلك من هو أعظم منه حالاً ومالاً ولكن الأعمال بالنيات كما قال الصادق الأمين عليه السلام وآله الطاهرين .

وفي آخر شهر صفر وصل يحيى دوده صاحب همدان وناس معه إلى عند قطيع إلى الحيمة وغزوا قرية قرامش تحت العرّ وجلسوا فيها وأطاعت ووقع القدوم عليهم من العساكر الشاهانية ووقعت قتلة كبيرة ورجعوا أهل المحل خافوا سطوة الباشا أحمد فيضي فطلعوا عقروا عنده في صنعاء وتبرّوا ممن لديهم ونكثوا عهودهم وتفاشلوا فيما بينهم ونزلوا أصحاب الدولة وربطوا منهم جماعة وأطلعوهم إلى صنعاء مرابط وذاقوا وبال أمرهم والذي كانوا لديهم من العرب أصحاب الإمام لما تيقنوا نكثهم نهبوهم وجميع ما كان في قريتهم حتى أنه ذهب الصافي^(٣) حق تجار صنعاء وانجلت المعركة حق الحيمة وبقي المقداد يغزي إلى كل محل إلى عتمة وسفل ريمة وإلى طرف الحيمة . حتى أنه أخذ فيها قرية النمير بالقرب من مفتح في جماد تلك السنة وقطيع غزا إلى السخنة تحت العرّ وقبض على أولاد حسين أحسن شيخ مدينة العرّ وهو المتصدر للأتراك وأكبر الأعوان وساقهم إلى بيته وقبض منهم الفداء .

وفي جماد خطر لبعض الناس السفر إلى بلاد الشرفين فوجد أهلها متسلحين سلاح الفرنصيص المسمى بأبو سلك لأنه رأس الفتنة أن الدولة أرادوا كسر الريال الفرنصاوي وتفوّهوا بذلك وشافهوا التجار بما هنالك أنهم يريدون / إهانة الريال وإهانة صاحبه ولكنها

(١) أكثرثوا .

(٢) متفقين .

(٣) البن

أدت إلى مصائب كبيرة ومفاسد كثيرة منها إن الريال ما كان يزد يتعاملوا به في البنادر إلا بدون نصفه وأغلوا البضائع جميع في كل بندر وحتى صار ذلك في عدن لأنهم في عدن تحت طاعة السلطان في الظاهر لأجل بقاهم فيه وكانت الرُّبِّيَّة^(١) حقهم نصف ريال يعجز نصف الثمن طول الأزمان المية الرُّبِّيَّة تقوم بأربعة وأربعين ريال وصارت الآن فوق المية الريال وكذلك في الحديدية وجده وغيرهن والمجيدي ضربة السلطان كان المجيدي ريال إلا ربع ونصف الثمن وصار الآن نحو ريالين إلا ربع وهو هو وعلى هذا فقس . فقام الفرنصيص عمل هذا السلاح المسمى بأبوسك وأخرجه إلى بندر ميدي بالقرب من جازان وحوله بني مروان متغلبين على جميع البلاد ولعله كاتب الإمام الذي هو الفرنصاوي كونه هو والأتراك متعاونين ومتحاربين وأخرج هذا السلاح والإمام التقفة أولاً لنفسه وليبيت المال وبعد حرض أهل تلك الجهات على شراء وكانت البندق من أبوسك تفرط^(٢) على الشاشخاني السلطاني ولعلها تتكلف على صاحبها في مال كبير ولكن مع ما أراد به من المكافأة للأتراك ومع ضعف أهل اليمن أرخص ثمنها حتى أنها كانت تبتاع بخمسة عشر ريال وَوَجَدَ لها المعابر^(٣) حتى كانت تبتاع ستة عشر بريال والناس شغفوا بهن حين أبسروا^(٤) فعلهن وُبُلَّغْنِهِنَّ^(٥) ورخصهن تهافتوا عليهن حتى أن الذي خَطَرَتْ له الخطرة^(٦) بالسفر إلى الشرف يذكر أن لم عاد أحد في تلك البلاد ما قد هو متسلح لأبوسك من تهامة إلى حد حجة والشرفين والآن صارت في جهات صنعاء أكثر أرحب وعيال سريح وهمدان والبستان وبني مطر وآنس وبذلك قامت شوكة الإمام والعرب وكثر الهرج والذرب^(٧) وهم الدولة الذي أرادوا ذلك ببطلان الريال ومع ما نال الضعيف والمسكين من الفقر والفاقة بقيوا يدعوا ويستغيثوا فصارت هذه الفتن والقتل وغير ذلك والله سبحانه يسري لطفه ويفرج على عباده عاجلاً .

وأما خبر بلاد الشرف فإنه عزم إليها الباشا راشد بيه وهو من كبار المأمورين ووصل طلب منهم المغلبات منها تسليم السلاح مع ما قد هم فيه من الظلم والجور فقامت معاهم الحمية حمية الجاهلية فقاموا قومة رجل واحد على الذي خرجوا يتخلصوا وهم قيل طابور وقيل دون ولعلها الوقعة في بني جل قبلي حصن قفل شمر ، وبعد قدم عليهم راشد بيه

(١) عمحة هندية كانت تستعمل عدن .

(٢) تفوق .

(٣) الرصاص .

(٤) أبصروا .

(٥) مداهن .

(٦) المرة .

(٧) الفتنة والتحرش .

بجميع العساكر الشاهانية وهدر القرية وأباح ما فيها من النفوس صغير وكبير حتى الأطفال والنساء فقامت حفيظة جميع بلاد الشرف ووقعت بينهم قتلات ثلاث يشيب لها الطفل الصغير ويفزع منها الكبير وأخذت العرب القشلات^(١) التي في محل الشاهل وهي من عمائر الباشا أحمد فيضي حين وصل إلى تلك الجهات بعد رجوعه بالعساكر المسماة بالرديف التي خرج بها في سنة ١٣٠٩ ووصل بها إلى برط وأسس جميع القليع في أرض اليمن في كل محل وبقي في الشرف قفل شمر محاصر الله أعلم ما يكون منه لأن حال الرقم انقطع السائر والجاي مع سنذكره مما وقع في صنعاء وحوازاها .

ودخل شهر الحجة سلخ سنة ١٥ والشدة إلى زيادة وقلة / المطر حتى أن أهل صنعاء بقيوا يتسقوا من شهر شوال إلى سلخ محرم سنة ١٣١٦ والعلماء يحرضوا على ذلك وبقيوا يوعظوا ويذكروا في كل مسجد من بعد صلاة المغرب إلى عشاء والأسعار زد تعالت إلى ما ذكر حتى وصل سعر الحنطة ثمن قدح وربع الثمن بريال والشعير إلا ربع ونصف الثمن والذرة إلا ثمن قدح ونصف اليمن والقلا والبلسن والعتر إلى ثمن قدح ونصف الثمن والسمن إلى رطل وثمان والسليط إلى رطلين واللحم إلى خمسة أرطال بريال وعشرة أرطال بقري من أضعفها وكان تبتاع الشيات^(٢) من ثمن قرش ونصف الثمن والقوازي^(٣) أولادهن ما كان يولد إلا وهو يابس وباعوه من ثمن قرش لأن ما عاد كان أكلها إلا تراب فذهبت من الجوع وباعوه جميع بأبخس ثمن هذا ما انتهى إليه السعر في آخر سنة ١٥ ، وأول سنة ١٦ وشهر محرم والله أعلم ما يؤول إليه الأمر من المولى جل وعلا نسأله الطف فيما قضى بحوله وطوله ونسأله الفرج العام على كافة أهل الإسلام .

وفي شهر شوال سنة ١٥ توفي القاضي العلامة الوجيه^(٤) عبد الملك بن حسين الأنسي رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار فلقد كان من الإبدال في آخر الزمان سيما من عند وصول الدولة العثمانية فإنه انقطع إلى الله واشتغل بالقرآن وتدريس العلم في قبة المهدي عباس رحمه الله واشتغل بالعبادة سيما الليل ولا فتر عن ذلك ولا عرف باب دولة مع أنهم كانوا يريدون توظيفه ودخوله في سلك من دخل وخطب الخطيب وذكر فاقرة موت العلماء وبعد الصلاة وعظ الفقيه عبد الرزاق بن محسن الرقحي وذلك في المنبر وحرص وذكر وخوف وأندر .

(١) جمع قشلة القلعة .

(٢) جمع شاة .

(٣) جمع قوزي الكبش الصغير .

(٤) أنظر ترجمته ومؤلفاته ومصادره في كتابنا مصادر المكر الإسلامي ص ٤٦٠ .

وفي غرة شهر محرم سنة ١٦ استدعى المشير أحمد فيضي العلماء والتجار والمأمورين وعرفهم أنه قد تم مشير آخر سيصال وأنه سيبقى في اليمن قومندان^(١) في العسكرية مقدمي حرب على القبلة وبقوا الناس متوقعين وصول الباشا الجديد واشتدت الأمور على جميع الجمهور من قل المطر وتقطع الأسباب وعدم المسافرين بسبب قطع الطرقات من تهامة مع الحراف والشدة بقوا بدو تهامة يقطعوا الطرق وينهبوا الحمائل^(٢) الخارجة من الحديدية ونهبوا الصافي حق التجار وبضاعة خارجة أخرى وأما الأرزاق حق العساكر فنهبوا مرار عديدة مه أنها طعام حاصل دقيق ورز وذخيرة وانقطع الخارج من الحديدية والنازل إليها مدة شهرين والله أعلم ما يؤل من بعد .

ومن أول الشهر المذكور محرم تحرك سيدي القائم وأرسل بعساكر عرب لا تحصي ولا تعد وناس بعد ناس ومقادمة سادة وعرب وكل أحد منهم له قصد ومأرب وهم سيدي محمد بن محسن وفي بيانه عشرة آلاف بكفاية وجوامك غير من لحقهم من الطرق من كل محل ليسوا في بيان ولا لهم إقامة إنما أظهروا نذر نفوسهم للجهاد وقصدهم النهب والفساد وسيدي أحمد قاسم حميد الدين في عسكر مثله وعنوته^(٣) الجهة الغربية حتى أنه وصل إلى جبل النبي شعيب وسيدي محمد بن محسن كان عنوته الجهة العدنية والله أعلم كيف النية . ووصل إلى وادعة همدان وبقي نحو يومين ثلاث ونقل إلى رجام وبقي يكتب تعاريف إلى أهل الروضة يلقوه منهم أربعة نفر للمشافهة فلم يمثلوا وبقي يكرر إليهم الكتب أعداراً وإنذاراً وهم يتصاغون^(٤) وكلما وصل إليهم مكتوب منه / أوصلوه إلى الشيخ مقبل دغيش وهو يأمرهم بالتصاغي والأعراض ويدخل المكتوب إلى الوالي أحمد فيضي باشا والوالي بين طرفين في الظاهر أن قد هو معزول ما له أن يقدم ولا يؤخر ولا يحرك ساكن وفي الباطن يريد الربش^(٥) والتشويش كما جرت به عادته فلما لم يجيبوا أهل الروضة مقدمي الإمام بنا من نفسه قد استحقوا الجهاد فدخل إلى الروضة عنوة في شمس بيضاء عصر يوم الأحد سادس عشر محرم وقد كان مقبل دغيش يطلب من الباشا عساكر من الأتراك ومدافع يترتبوا عنده فلم يسعده الباشا ودخل ابن مقبل دغيش يطلبه الإعانة ويستغيث به في الغارة على والده إلى الروضة فأمر به الحبس وحُبس وطلب الوالي في خلال ذلك أهل صنعاء وحبس منهم نحو عشرين نفر من كبارهم بعد المغرب وبقوا يوم وليلتين في الحبس وآل الأمر على أنه يشتي

(١) خ قومادان .

(٢) جمع أحمال .

(٣) عرضه قصده .

(٤) يتساهون .

(٥) أي الفوضى والأفلاق .

منهم رهائن في الطاعة خشية من أن تقوم الفتنة من المدينة فسلموا أولادهم رهائن وبعد دخول المقدمي الروضة عصر بقي يرأسل إلى عند دغيش إلى نوبة سيدي أحمد شوع الليل لأنها نوبة كبيرة ولا أزين^(١) منها ولا أحصن وفيها بئر وما جلس فيها دغيش إلا مقصوده أن ما أحد يقدر عليه لو جلسوا سنة ولا سيما وليس معاهم مدافع مثل حق الدولة وإنهم عرب هو أكبرهم وكل شيء عنده من الطعام وجميع المحتاجات والباشا سيمده بالعساكر الشاهانية والمدافع الكرخانية وبقت الوسائط تسعى من عند ابن المتوكل إلى عند دغيش طول النهار فلم يسعد بل تجبر وتعنا ونفر وبعد المغرب كبروا عليه وهللوا كالذئاب على القذرة^(٢) وأحاطوا به كإحاطة العصاة بالرأس وأتوه من كل جانب ومكان بالمفارس^(٣) والفيسان^(٤) والباروت والنيران وخطوا عليه الرصاص من الجهات الأربع كالبرد فتمنى الفرار ولا فرار وأحاطت به ذنوبه الكبار وتيقن على نفسه غضب الجبار ولم ينفعه تحصنه ولا من لديه من العشير ولا نفعه كثر خزنته والذخيرة فاستسلم للأمر طوعاً وكرهاً وخرج مذموماً هو ومن لديه نحو عشرة أنفار قد علاهم الذلة والصغار وغطاهم الباروت والغبار وساقوهم إلى بيت الشيخ محمد البليلى إلى عند المقدمي خايين خاسرين وبقاهم إلى نهار الإثنين وجعل صحبتهم نحو أربع مئة مجتهد من المخلصين وأمسوا بهم ضين^(٥) وتوجهوا بهم إلى الإمام هذا خبر دغيش .

وأما خبر الروضة فإنه حصل فيها ما حصل من النهب من الذي ذكرناهم إن ما قصدهم إلا الفيد والفساد فإنهم نهبوا بيوت كثيرة وأخذوا أموال كبيرة في تلك الليلة لا غير كل من لم يفتح بيته أخذوه عنوة وشلوه هفوة^(٦) وكل أحد جرى معه بما هو أهله إن خيراً فخير وإن شراً فشر وأخذوا سوق الروضة وما فيه مرة واحدة حتى أبواب الدكاكين جميع وجميع ما فيها من الباضع والطعام والفلوس والرهون وغني فيها الفليس^(٧) وفقر الغني فيها / وكذلك وقع في الجراف دون هذا . هذا خبر ليلة الإثنين ليلة سابع عشر محرم ويوم الإثنين أمر المقدمي بتأمين الناس ومن ذهب عليه شيء أرصده وجاء إليه ولكنها نكزت^(٨) العباد من ذلك النهب لغير المستحقين ولا سيما الضعفاء والمساكين .

(١) أمنع .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) جمع مفرس وهو المعول .

(٤) جمع فاس معروف .

(٥) جبل معروف باليمن .

(٦) سرعة .

(٧) المفلس .

(٨) نفرت قلوب الناس (توجست خيفة) .

ويوم الثلوث رتبوا الجراف وبيت الطوقي في شعوب ونصروا في الروضة والجراف وأما
المقدمي الذي جاءت طريقه غربي وهو سيدي أحمد بن قاسم فإنه طلع من الرقة إلى
(قراثل^(١)) والدمم^(٢) وفتحوا لهم وسروا إلى الجبل وإلى مسيب وخرابة سنف^(٣) وتركب
الحرب على متنه من القذف^(٤) والقرى المحيطة ووقع حرب نحو ثلاثة أربعة أيام لا أكبر منه
ولا أعظم لأن الأتراك تراكموا إلى متنة والقشيل التي فيها نحو أربعة طوابير أو يزيدون
وألحقوهم طابور آخر وألحقوا نصف طابور وحفظوا الطريق من صنعاء إلى متنة برتب وبقوا
يرموا بالمدافع أكثر ما يكون على القذف .

وليلة الربوع طلع الباشا أحمد فيضي أول الليل وصحبته طابور عسكر ومدفع إلى متنة
وقد كتب إلى الوالي الجديد الوصال من أسطنبول أنه يلقاه نهار الربوع من الخميس إلى متنة
لأنه كان محير^(٢) في الخميس خميس مذيور نحو ثلاث أيام مدة الحرب في متنة وقد
عرف^(٣) الشيخ الرازقي يلقاه إلى متنة بمعية الحاج أحمد الرماح وشوره وتديره لأن في قلبه
مرض وما قصده إلا مصلحة نفسه ولو فيها غرض من جميع الفلوس والأراضي والعرض
فلقيوا المشير الأفخم حسن باشا وأوصلوه عند أحمد باشا فيضي متنة وعند الغروب جعلوا من
يناطش^(٤) العرب بالحرب من جهة وعزموا من جهة أخرى الباشين^(٥) وطابور من العساكر
ليلة الخميس ووصلوا صنعاء آخر الليل وكان عملهم كله عمل ليل وما رجعوا من متنة إلا وقد
اضمحلت الفتنة وسكن الحرب .

ويوم ثاني وصل صنعاء طابوران من متنة وسكنت المحنة هناك .

ويوم الخميس وما يوم الخميس به من حرب نائر وكان الموت هو فيه خرجت الأتراك
من صنعاء وتقدمها الباشا أحمد فيضي على ما كان قد ذكر سابقاً أنه سيقع مقدمي حرب
عوضاً عن المشيرية فبدع الحرب في شعوب والعرب أصحاب المقدمي سيدي محمد بن
محسن في نوبة الطوقي وطرف شعوب والسواد الغربي فجرت إليهم المدافع الكبار منها
الأصفر الذي ما يرموا به إلا الكفار نعوذ بالله منهم .

وممن جاء به فحطوا عليها وما حولها من ظهر إلى عصر وأجلوهم منها وتقدموا الجراف
فعلوا إلى آخر يوم ورجع الباشا وأمست العساكر في شعوب ويوم الجمعة من آذان الفجر

(١) مواضع .

(٢) كتب إليه .

(٣) متأخر .

(٤) يناجر .

(٥) مثنى باشا .

والمدفع تخور^(١) نحو الجراف وخرج أحمد فيضي وقد دبروا الحيلة والحيل وعملوا ما يفجع العرب ويزيدهم ملل مما ترتجف به قلوبهم ويدخلهم الفشل وترتب الحرب من أقصى جهة الشرق إلى نهاية الغرب ورتب أحمد فيضي العسكر كذلك والعرب ترتبت في الجهة الشرقية نهم وأرحب في شرهان وخشم البكرة وشرقي الروضة والقوم المخلصة في وسط الروضة في حمزة ، وبيت البليلي والصومعة وحولهن الخوص^(٢) الذي باعوا نفوسهم من الله في الجراف والمدافع على كل جهة وهي نحو عشرة مدافع والله مدافع فلو كان الفعل على ظاهرهم ما بقي عربي وعلى / إقدام الباشا وسطوته وجراته على العساكر الشاهانية وجفوته وبمن الله وحوله وقوته دفع الشر وحقق الدماء على قدر ما رأيناه وأما لا بد منه فقد وقع من الفريقين ما يتعقل لأحد كما يقال (ما حسيك الحرب إلا الرجال)^(٣) وما لاقا ذلك الأبطال وفروا مما هنالك أرحب ونهم الذين ترتبوا في الشرقي قيل بيعات بفلوس وقيل رجفات بالمحسوس والله أعلم وبقي الحرب من فجر الجمعة إلى عشاء في الجراف والروضة من حمزة وبيت الشيخ محمد البليلي إلى عصر وأما الباشا أحمد فيضي فإنه زحف من الجهة الشرقية وما تغدا إلا في الروضة في بيت الرداعي باب الحديد وأقبلت له الأغذية من كل بيوت الكبارات في الروضة وبقيت الفواكه واللحم والسمن والبقر^(٤) من كل جانب ومكان وبعض العساكر الشاهانية دخلوا من بئر زيد إلى بيوت المغاربة وبقوا فيها وفعلوا مثلما فعلوا القبائل في الليلة السابقة ليلة أخذت دغيش والذي ما قدروا لأخذه أحرموه^(٥) مكانه كسر وحريق وعصر^(٦) قدم الباشا من (شارع) المخالف^(٧) إلى بيت مرج وركبوا المدفع منه إلى بيت البليلي كون المقدمي فيه سيدي محمد بن محسن ووقع فيه ما لا بد منه الذي زحزح من فيه وبقي المقدمي إلى آخر الليل وأصحابه بلا غداء ولا عشاء ولا زد أحد التفت إليهم من أهل الروضة وخرجوا جميع والباشا رتب الروضة ورجع آخر نهار الجمعة بعد المغرب .

ويوم السبت خرجوا جميع أهل صنعاء ينظروا بيوتهم وما قد صار فيها من الفريقين . ولولا خديعة أرحب ونهم ما وقع ذلك ولكن كان منهما عسكر عند الأتراك من أرحب ونهم هم الذين سبقوا إلى أصحابهم وما ذكرناه من الذي ذهب في الروضة فهو كذلك وأما فعل

(١) تصيح (بمعنى تضرب) .

(٢) الخاصة .

(٣) من الأمثال الدارجة شبه الحرب تجيل علقها رجال أبطال .

(٤) جمع بقشة وهي قطعة قماش يلف داخلها ما يحتاج إليه من زاد وغيره .

(٥) أتلّفوه .

(٦) أي في وقت صلاة العصر .

(٧) شارع في الروضة سبق ذكره .

الجراف فهو أشد كون أهله حراف وشلُّوا لهم النجارة وأكثر فعل المدافع فيه لأنه أركب^(١) للحرب أكثر .

وانجلت المعركة وغني الفليس وأفلس الغني فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ونرجع إلى ما كنا بصدده من وصول المشير الأفخم الأغن^(٢) والباشا الهمام حسن حلمي فإنه وصل ليلة الخميس وأصبح في البيت الذي مقابل بيت الميري الذي فيه أحمد فيضي وواجه للناس وخرجوا إليه جميع الأكابر والمأمورين معهم وتلقاهم أحسن تلقي وعرفهم أن السلطان عرفه شفاهاً وجعل له فرمان بيده وأنه ينتبه على أحوال اليمن ويعرفه ما سبب الفتن ويكون للضعفاء عوناً ويتفقد المأمورين ويرفع المظالم ويزيل المآثم ويمضي الحدود ويحل العقود ففرحوا بذلك فرحاً عظيماً حيث هو من أجلهم وبهم رحيماً فكل أحد أقبل بما في قلبه وبثه لديه المكتوبات مكتوبات والمشافهة والمسموعات فأصغي لكل فرد وأكمل ما لديهم عدداً وسرد .

ويوم الجمعة طلع يصلي في الجامع المقدس هو وأصحابه وهم نحو خمسة ستة أنفار وكلهم متوجهين بالعمائم وحركات وأفعال كلها تلائم ونمق الخطيب الخطبة ويُن فيها المحبة والرغبة أو عسى يحظي بقربة وبعد الصلاة وعظ الفقيه (عبد الرزاق واستهل الوعظ بقول الله : ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة﴾ إلى آخره) .

ويوم السبت طلع الناس لسماع فرمان السلطاني والغالب العثماني وجُرت لسماعه المدافع وحضر كل قريب وشاسع وبعده واجه للخلق في الحكومة وهو وأصحابه كالأرومة واستوفى/جميع من عند الكبير والصغير وتحقق منهم للنكير والقطمير حتى القشامين أطلعوا القراشش والسرّات^(٣) حق المساني^(٤) وكلا منهم لعزل المطاع^(٥) باني^(٦) ولا سيماحباجة صاحب حدة فإنه لقيه بالمشكا إلى الحيمة بالمطاع وعرفوه شفاهاً أنه قطع عليهم المواساة والمقررات وأخذ الكلية والسعر رباعي ونصف وحاسبهم بفلوس من قدح قرش وأحصى ما لديهم عدداً وبعد ثلاثة أربعة أيام أمر جميع المأمورين الذي قد لبسوا الزنين والكوافي بأمر أحمد فيضي غصباً أن

(١) أكثر تصدي .

(٢) كذا .

(٣) جمع سره الحبل الغليظ .

(٤) جمع مسنى معروف .

(٥) هو علي بن محمد المطاع وإلى الأوقاف .

(٦) واثق من نفسه .

يتعمموا ويتزينوا بزيهم السابق فرجعوا إلى عاداتهم من الملبوس وأزال عنهم جميع البؤس لأنهم فعلوا ذلك خوفاً من سطوة فيضي وما لهم بها من رضاء ولكنه ساقهم القدر والقضاء «والقضاء قضا فيما مضى»^(١) ويوم ثاني أدخلوا بيت عرهب من الجراف مرابط بعمائمهم وحبسوه وتهددوهم وأخذوا منهم فلوس فوق ما سلموه اليوم الأول لبعض الأتراك في سلامة بيوتهم وجرا عليهم من الامتحان ما لا يوصف وانجلت المعركة وقررت القبائل مقدار أربعة خمسة أيام إلى غرة شهر صفر المظفر وأرجعوههم المقادسة سيدي محمد بن محسن وسيدي أحمد ابن قاسم وبقوا يومين في الجاهلية ونفذوا حظور وأخذوا رهائن من بلاد البستان وأمسوا عند عياش خارج القرية وسلم لهم محتاجاتهم ودخل صنعاء يستغيث كذلك الأسد سلم ما طلبوه من كفاية وغيرها وتوجهوا إلى بيت الرماح على حين غفلة سيدي بن قاسم وسيدي محمد بن محسن توجه الحيمة ودخل بيت الشقاقي وطلع إلى رأس الحيمة وطلب محمد محسن الأحمر فأبى عن الطاعة ونفر ودخل حصنه استقر فأحاطوا به المخلصين وقدموا عليه الموحدون فأخذوه أخذة رابية ولم يبقوا له باقية وقد كان له يجمع الأموال والحبوب والسلاح من أيام سابقة وكان من أصحاب الداعي قبل وصول هذه الدولة وبعد أخذ المشيخة على بعض بلاد الحيمة الأحبوب وبني السياغ وغيره وبقي يجمع ذلك وجاء له ابن من خادعه استنصف لله ولوالده وبقي سيدي محمد في الحيمة يحوم حول العر وسيدي أحمد بن قاسم قبض على الحاج أحمد الرماح وطلب منه ما يجب من الوفاء بالمناصرة وعدم المخالفة والمساجلة^(٢) للأتراك فبذل له مطلوبه وسلم ما يجب من الإعانة والرهانة وتوجه إلى المراحضة.

وأما جبل ضوران فإنه صار محاصر بجميع أهل البلاد لأن البلاد كملت للمقداد مقدم الإمام وما بقي غير الجبل وابن غيلان ووقعت قتلة كبيرة لأن (أهل) البلاد قدموا إلى جنب المدينة وأخذوا القرى المحيطة بالمدينة وغيلان وعساكر الدولة بقيوا يرموهم وبعد نزلوا عليهم إلى خارج المدينة وكانت القتلة الكبيرة.

وأما الباشتين فبقيا في صنعاء/مطنين^(٣) ورتبوا العساكر الشاهانية والطريق الغربية من صنعاء إلى مناخة مطرح جنب مطرح ومحطة تلي محطة حتى أن الطريق

(١) من الأمثلة الدارجة.

(٢) المناقشة.

(٣) حائرين واجمين.

ذو رور^(١) في كل مطرح قوم كبيرة حتى أنها وصلت إليهم يوم الجمعة قوم خارجة من داخل نحو أربع مائة ووصلوا صنعاء وما أحد اعترضهم من ما ذكر من حفظ الدولة لتلك الطريق وأما الباشا السابق أحمد فيضي فإنه كان يرأسل بالفلوس من صنعاء إلى الحديدة وأكثرها نزلت مع محمد هاشم حقه الياور حين نزل يلقي الباشا الآخر في الظاهر نزل يلقاه والباطن أنزل له ما يهواه والنزلة الثانية شد كل ظنين^(٢) وأرسل به مع الحريم نساءه عَزَمَيْن بعد وصول الباشا أحسن حلمي ومشد كبير وعزم بنفسه ليلة الإثنين ٢٢ صفر وشد ما ينفعه داخل من فلوس وذخائر وباع ما يثقله من جملتها سمن وعسل بنحو ألفين ريال واليوم الذي قبل عزمه يوم الأحد ليلة إحدى وعشرين وصل باشا كبير في درجة المشيرية اسمه عبد الله باشا لكنه على العسكرية ودرجته أكبر من حسن حلمي الذي على الملوكية الذي عدم المأمورين. ولا زال الحرب ثائر في شهر صفر من أوله وكل من وصل أو خرج من بين فرث ودم ولكن كون الطريق ثابتة معهم مرتبة منهم كانوا يمضوا ولكن الليل ولعل الحاج أحمد الرماح والرازي بيلعبوا بالدولتين كما يقال: «إن جاد مولانا قلنا يا إمام القبلتين وإن جادوا أصحابي فأنا ابن حصن الطبيتين».

ويوم الجمعة ١٩ صفر توفي القاضي العلامة مفتي الزيدية القاضي محمد ابن أحمد العراسي^(٣) رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار فإنها فاقرة في الدين كبيرة لأنه متصدر للفتوى لمذهب آل محمد ﷺ ولا يخشى في الله لومة لائم مدة عمره سيما في أيام الدولة العثمانية فإنه بقي على الفتوى سبعة وعشرين سنة وآخر عمره بقي في الروضة نحو سنتين وكان موته في وادي ظهر لأنه رحل من الروضة في شهر محرم مع ما ذكر من الخوف في الروضة والحرب وكانت حفرة هنالك.

ويوم سبعة وعشرين أخذ القوم الذي في الحيمة مدينة العرو بقت المنصورة في يد أصحاب الدولة التي هي معقل العرو وما زالت العساكر الشاهانية تغير من صنعاء وما زال سيدي يرأسل بالعساكر من العرب في كل فج عميق وأكثر ما ألجأهم إلى إجابة سيدي للجهاد ما نالهم من الشدة والجوع وما زالت الشدة تتزايد على العرب في

(١) ملآن.

(٢) ثمين تظن به نفسه.

(٣) هو مفتي صنعاء مولده سنة ١٢٤١ وعكف على الجموع الكبيرة من الشيوخ وتخرج عليه جمع غفير وانتقل آخر عمره إلى قرية الروضة ولما دخل جند الإمام الروضة كما سبق ذكره رحل إلى القابل وقد أصابه مرض في الباطن فتوفي في ٢٥ صفر سنة ١٣١٦ (انظر أئمة اليمن ج ١ ق ٢ ص ٢٦٦).

اليمن حتى انتهى السعر في صفر إلى أن صار القدح الحنطة بتسعة ريال والذرة بثمانية
والشعير بأربعة حسبنا الله ونعم الوكيل/.

وفي آخر شهر صفر أخذ المقدمي سيدي محمد بن محسن العر
مطرح الحيمة وبعد ثلاثة أيام أخذوا المنصورة حصن العر إلى رابع شهر ربيع ووقع
الحرب بين الفريقين في رأس الحيمة لأن قوم الإمام قد كانوا في بيت معدن
والمساجد وقوم الباشا حسن حلمي في القليس فوقع حرب عظيم طول اليوم وتقدم
الأتراك من القليس ومنتنه ومن صنعاء خرجت أتراك كبيرة وطلعوا على الذي في بيت
معدن وراحت نفوس لا تحصى من الفريقين والمكاريين أكثر وأخذ الأتراك بيت معدن
قهرًا وفرت العرب شذر مذر لخسارة نيانهم زد أخذوا من أداة العرب ما قدروا له
حملة.

وصبح الأحد سادس ربيع تقدم قوم السلطان بالمدافع والعدد العديد على مدينة
العر ودخلوها عنوة «...» وقد كان بعض القوم من العرب في قرى سامك طرف بلاد
الروس لهم نحو نصف شهر فخرجت العساكر الشاهانية يريدوا يلقوا الميرة الطالعة
من ذمار طعام وفلوس من اليمن فلعلهم ناوشوهم بالحرب فقدموا عليهم واحتربوا
يومين وأخذوا سامك وما فيه أخذة واحدة ونزلت الجمال والبهاائم تشد ما في سامك
من الطعام ووصل صنعاء قبل وصول الميرة المستعدين لها فهذه أفعال العرب
وخسارة نيانهم فلو صلحت بواطنهم لصلحت ظواهرهم «وكيف ما تدين تدان»
ولاحت الفرصة للقبائل في كل جهة سيما الطريق العدنية فإنه استمر النهب من نقيل
سمارة إلى المحاقرة لا أحداً زد عذر أحد وذلك بغيتهم ومرادهم، وأما الحداء وعنس
فأنهم أفرطوا في الطرق وكل من كان جauc والإسم أنهم أصحاب الإمام وليس
كذلك فيا خسارة نفس في تجارتها لم تشتري الدين بالدنيا؟ ولم نسّم فيستغفروا الله من
الذنوب التي لا تعد ولا تحصر نسأله أن يفرج عنا وعن كل مضطر بحقه عليه وجاهه
لديه فإن الناس في هذه السنة ١٥ الخارجة وأوائل هذه الداخلة ١٦ في شدة عظيمة
وغلا عظيم واستمرت الشدة والغلاء وهذا السعر من الطائف إلى عدن وخرجت
المشارك بنسائها وأطفالها وخطوا في صنعاء بعضهم ونزلوا اليمن وآنس حتى ملؤا
الأرض وفي صعدة والمغارب كان السعر بدون ما ذكر في صنعاء ينقص الثلث
والنصف/.

وفي رابع شهر ربيع أول سنة ١٣١٦ فرج الله على العباد والبلاد وفتحت الإجابة

بالأمطار وعمت جميع الأقطار ولم قد وقع مثل هذه الأمطار في هذه المدة نحو أربع خمس سنين ولكن قد كان زلت^(١) أيام الصيف ومذرى الذرة لأن قد كان خريف بدع المطر في نصف نجم علب وتكاثرت في سهيل وعدمت على الناس الأصياب^(٢) مع السنين المتتابعة في الشدة والخلف وقلة الأمطار وقد السعر قبل المطر القدح الحنطة بتسعة والذرة بثمانية ومع وجود الرحمة زاد الغلاء في الأسعار حتى صار في ربيع الحنطة من ثمن قدح الأربع يصح القدح ١٠/٤ مسه والشعير رباعي وربيع يصح القدح بستة وربيع وثمان والذرة اليمنية ٩ ولكن الله الحمد على كل حال ولم زد نفقت الأموال في جميع البلاد مع الركة الضعفاء يشتوا يقيموا أنفسهم ويذروا أموالهم والتمكنين قد سطع^(٣) فيهم البلاء والجوع مع ما قد ربخوا في الطعام من قد حين كنزوه واحتكروه ومن قدح ونصف وآخر ما قبضوه من سعر قدح حتى صار مع كل واحد عشرة أضعاف ولم زد راقبوا الله ولا زد أيقنوا بحدوث الرحمة فله الحمد حين أخزاهم.

وأما خبر الحيمة ففرت أرحب وثبت المخلصون من كل قبيلة ولم يفارقوا المقدمي سيدي محمد المتوكل وبقيت القتلات تتكرر بين الفريقين والحرب باقى مستطيل ووقعت قتلات عظيمة قتلة في نصف ربيع وقتلة رابع وعشرين ربيع في تحت العرّ في بيت محمود وغيرهم يشيب لها الطفل وما زالوا على تلك الحال إلى آخر ربيع أول والله أعلم ما يؤول وضوران باقى محاصر وأنس في يد المقداد جميع وأصحاب الدولة جميع انحصروا إلى الجبل عند غيلان، وحصل قفل شمر في بلاد الشرف باقى محاصر ولكن الكفاية معهم سابر الماء من كثر الأمطار امتلت البرك والطعام من الحديدية مع أن القفل مشرف على تهامة من جهة قبلة بغرب ومع أن البوني البدوي صاحب تهامة معني مع الدول بىصال إليهم عبيدة وعساكر من الحديدية بجميع المحتاجات خلا أن البلاد باقية على الفساد، والحرب نائر قيل أن في هذا شهر ربيع خرجت عساكر كبيرة من الحديدية (رديف) وطلعت على بلاد الشرف وتلقوهم أهل البلاد بالحرب والقتل ووقع قتلات لم قد وقع مثلها إلا في أيام صفين مع أمير المؤمنين.

وفي صنعاء حماها الله بقى الباشا الجديد يصلح أمورها/ بإظهار العدالة السلطانية وعزل ناس ممن قد ظلموا وأمر بتقسيم دارهم صدقة للضعفاء والمساكين

(١) مضت.

(٢) جمع صيب بذور الحبوب.

(٣) صدوع أثر.

وشرعوا في تقسيمها لكل نفس ريال وأمر الرعايا الضعفاء العاجزين عن إقامة أموالهم بالمدرا^(١) من عُدَم الصيب أن يصلوا يستلموا قرضه منه في صيب حتى تحصل ثمارهم وأمر الذين أخذ الظلمة أموالهم سابقاً أن كل أحد يرصد ما أخذوا منه وأنه غير راض بالظلم وإن كان متقدماً، ووقع تقسيم الفلوس بأهويات العرب قد كان رصدوا جميع المساكين في كل حارة وبعد كأن الفلوس قليل لقطوا من البيان نحو الخمس وعند التسليم وقع الخطأ والصواب ضعفاء وأيتام لم اتصلوا بشيء وناس منتظرين^(٢) وصلوا عند شيء بالنصيب والنصيب يخطيء ويصيب وبعض من قد ظلم وتعدى صار المقرب والمبدأ وبعض كما ذكر السيد أحمد^(٣) (خبط عشو).

وفي آخر ربيع ارتفعت العساكر الشاهانية من الحيمة إلى صنعاء من قل الطعام ووصلوا صنعاء بحشرة^(٤) عظيمة وحشروا جميع ما في صنعاء من حبوب وخبز وخريف وكل مأكول حتى أخذوا ما استكاله^(٥) الضعفاء من سوق الحب وحطوه^(٦) طوعاً وكرهاً وبقيت الأمور تمرر انقطعت السبل وعدمت المجلوبات إلى صنعاء حتى أن السليط^(٧) وصل سعره رطل ونصف والسمن رطل وثمانين والطعام كما ذكر سابقاً وكلما ستمتد الطرق وقع السخري لجميع الدواب حتى بهائم القشامين وأهل البوادي وينقطع الدخل وهلم جرا وأما طريق الحديدية وعدن فانقطعت وبقي الطعام والرز والدقيق حق الدولة محير في الحديدية حتى إن قد ذهب شطرها من المطر وسبخة البحر والسبب عدم الجمال وجوع البهائم وكلما أخذوا من جمال ماتت حتى أن الشراعي كبير بندر الحديدية تقرب لله بشراً ثلاث مئة ظهر جمل للدولة تشد أرزاق العساكر وقائم مقام ريمه خمسين ظهر وذهبت قبل وصولها ونهبت، والجمال المعتادة لشداد انقطع أهلها من السفر من جوعها وخوف جوع أهل تهامة البدو والآن أخبروا أن قد شرعوا في أعمال عربيات^(٨) في الشام ويخرجوها اليمن تسحب أرزاق العساكر.

(١) هو آلة يدري فيها تشبه القمع.

(٢) منتظرين.

(٣) يعني به الأديب أحمد شرف الدين القارة الكوكباني المتوفي سنة ١٢٩٣ يقول:

ضاعت الصعبة على الخلفاء خبط عشوى والسراج طفا

(٤) بأفواج.

(٥) ما كاله.

(٦) تركوه - أي أهل صنعاء -

(٧) هو الزيت عند غير أهل اليمن.

(٨) لعله يعني بها القاطرات الحديد وقد فكرت الدولة العثمانية في مده ولكن لم يتم.

وفي غرة ربيع آخر خرج الشيخ محمد بليلى باشا يفتح مدافن أهل حظور ويجرّ منهم ألف قدح قرضه إلى خير ويقطعوا مما يستقبلوا من الصراب وما زال يرسل بالطعام من عند الطغام الذين لم يكن لله فيهم سلط الله من لا يرحمهم لسبب نياتهم وفسادهم ووقع فتح مدافن كثير في كل محل ممن لم يمثل ومن امتثل سلم من يده برضاه واختياره [لا] مجبراً مكرهاً وقد كان الضعفاء يصلوا إليهم يشيطوا منهم فلم/يسعدوا وبعض الضعفاء من قراهم رهنوا عندهم أموالهم وبذلوا لها بهم بيعاً بأبخس الأثمان في طعام من قدح ثمانية ريال فلم يرضوا إلا القليل الذي أخذوا الأموال بأبخس أثمانها فسلط الله عليهم من ذكر كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أعمالكم عمالكم كيف تكونوا يولّى عليكم».

وفي ربيع الآخر من سنة ست عشرة ارتفع القوم العرب ومقدميهم من حراز ورجعوا نحو القبلة لأن قد كان خرجت طوابير كبيرة رديف من الروم من عند السلطان غارة لليمن ومن فيه من العجم قيل عشرين ألف وقيل أكثر وخرج بعضها من القنفذة وبعضها من الحديدية وخرجت الأرزاق المذكورة من طعام وحنطة ودقيق ورز شعير حسيك وتحيرت في الحديدية وتوجهت أكثر العساكر الشاهانية إلى بلاد الشرف وكان مرادهم بعد أخذ الشرف التوجه على الإمام وقطع الشواغل عليهم فوقع في الشرف قتلات عظيمة لا توصف ولا تحصى عدا وبعد وقع فناء الطاعون فيهم حتى قل عددهم ونفذ عليهم من الميرة مددهم وألجأتهم الحاجة والضرورة إلى الرجوع إلى الحديدية وأجمعت آرائهم على ذلك وتواترت الأخبار بما هنالك والله المدبر والمسير والقادر والقاهر والناصر.

وفي شهر جماد أول رجعت القوم إلى الحيمة ودخلوا بعض القرى وغزوا إلى سوق الربوع تحت العرّ ووقع من السلب والنهب والقبض على نفوس.

وحال الرقم في جماد أول ولم قد استدت الطرق من شدة القل والجوع في الأوادم^(٢) والقراش حتى أن البضائع المجلوبة صارت غير المستعملة كل يوم من الهندية والشامية أثمانها مثنية^(٣) وأما المستعملة كل يوم مثل الطعام والسمن والسليط والقاز^(٤) فباقية بمربوع أثمانها على ثمن الغلاء في السنة الماضية سنة ١٥ لأن من حين دخلت

(١) يتأتى ذلك.

(٢) جمع آدمي معروف.

(٣) مضاعفة.

(٤) يحقق إذا كان القاز معروفاً في ذلك الوقت.

سنة ستة عشرة لم زد رجع شيء بل بقي على ما ذكر الحنطة سعر القدح x مم الشعير قدح الذرة قدح السمن ١, ٢ السليط - ١ وأرجو الله برحمته أن يفرج على عباده فرجاً عاماً عاجلاً وأما أمور صنعاء فيما بين العباد فبقيت على السابق المعتاد شرعاً وشريعة وقوانين للخراب ذريعة لم صح مما ذكر أولاً وذكره الناس إلا حبس محمد هاشم ياور أحمد فيضي وحبس السيد حسن الثلاثي خلاصة مرزاح والمخاربة^(١) أكثر من العمارين وكل أحد مقصوده مصلحة نفسه لا غير ولم يبلغ أحد المراد ولم تصلح البلاد ولا زال الفساد لشيء يعلمه الله نسأل الله اللطف بعباده.

وآخر جماد أول وأول جماد آخر وصلت العساكر الشاهانية بقية الرديف الخارجين غارة على اليمن إلى صنعاء نحو خمسة عشر ألف دفعات متفرقة وكان يستقروا في صنعاء أيام قلائل ويرسلوهم إلى القبلة أكثرهم من طرف شبام وبيت عذاقة وحجه لأن قوم الإمام وصل إلى الدومة وقيل إلى نيسا تحت حجه فعزموا نحوهم.

وفي أول جماد آخر/ رجعوا الذين كانوا في الحيمة إلى القبلة مرة ثانية حيث لم زد بقي لهم مجال مع سعة عساكر السلطان ومواجهة أكثر البلدان وكانت طريقهم من بلاد كوكبان. وغزوا قرية في بلاد الشاحدية وقتلوا المدبر ابن الشرفي من كوكبان وجماعة معه وأسروا آخرين وعزموا.

وفي ذلك الشهر طلبت الدولة أهل هجرة العر ستة عشر نفس مسميين وأطلعوهم صنعاء تحت الحفظ في الليل وأخذ سلاحهم جميع أبوسك وهو المطلوب وصحبتهم ناس آخريين من الحيمة من بيت الشقاقي وغيره وصاروا في حبس صنعاء.

ويوم السبت إحدى وعشرين جماد آخر سنة ١٣١٦ عزم المشير عبد الله باشا القبلة من صنعاء بأجناد كبيرة وكانت طريقة شبام وكوكبان وبيت عذاقة وحجة وبقي هنالك واستمر السخري في صنعاء لم زيد انقطع بسبب محتاجات الدولة للعساكر حتى أنه عدم كل شيء في صنعاء وما عاد كان يدخلها شيء إلا إذا شيء بهائم خاسرة ما تمشي للسخري وأما الجمال فانقطعت بالكلية خصوصاً من الجهة العدنية التي هي روح صنعاء وحصل الصراب وروجوه في جميع البلاد ولم يوجد في صنعاء الطعام بالبتة وأما خارج فموجود في القرى وفي أسواق القبائل والسبب السخري لأن من

(١) المخربون.

قبضوا جملة ما زد فلتوه أبداً مراحل بعد أخرى أو أراضي بعيدة حتى كانت تذهب الجمال من الجوع والجور وما راح منها ما يقع لصاحبها عوض شيء بل أنه يخسر الجمال توافي لنفسه وقراشه من طرفه فانقطع دخل الجمال صنعاء بالكلية وما عاد كان يقع لأهل صنعاء الضعفاء والمساكين شراء شيء إلا من البراري نحو ميل غرباً وشرقاً يميناً وشاماً وأما المتمكنين فما ضرهم شيء ولا انتبهوا على المساكين وإنما كل أحد نفسي نفسي وحتى أنها عذمت الأكفان في صنعاء عدم لم يعهد مثله نسأل الله اللطف فيما قضاه وذلك من كثر الموت وقل الجلب^(١).

وفي أول رجب توفي سيد زيد بن أحمد زيد الكبسي^(٢) وفي آخره توفي الصفي العلامة أحمد بن محمد الجرافي^(٣) وفي أول شعبان أُرصد الوالي عسكر خيالة وجندرمة من أبناء الناس والسادات وكسوهم كسوة سلطانية الله أعلم ما مراده بذلك. وأما أخبار بلاد الشرف فلا زالت القتلات متكررة وقتلات لم يعهد مثلها إلا في أيام صفين حتى أن الأخبار تواترت أن القتلات مئات وألوف ولم سمعنا بأقل وصنعاء في ضيق عظيم من قل الأسباب وعدم الدخل وعدم الطعام فأن كل صرب أو قياض^(٤) يوجد الطعام شهرين وأما صراب سنة ١٣١٦ فلم يوجد في السوق شيء وهذا في شعبان بعد الصراب بشهرين / ، وآخر خبر القبلية بعد القتلات المفجعة وكثر المدافع المفزعة التي اجتمعت مع عبد الله باشه في وادعة نحو أربعين مدفع وقدموا بها جميع إلى جهة القفلة وكان لا تسكن ساعة ودخلت العساكر القفلة وأمسوا ليلة ورجعوا وبعد يومين رجع سيدي القفلة وعاد عبد الله باشه في وادعه وسكنت الضوارب.

وفي شهر رمضان طلع لبعض الفقهاء التقرب بقلبت^(٥) وقت عشاء صنعاء المعتاد إلى مثل عشاء الدولة ومكة وجدة والحديدة بعد مضي ساعة وقد مضت أمم وأئمة لم تعرضوا لذلك ولكن المتعرض من النشأة^(٦) الأخيرة.

وفي شوال خرجت قوم من جهة سيدي عاثت في الحيمة وحرارز ونهبوا الرعايا وأفقروا كم من غني؟ ولم يتم لهم مأرب وكل ذلك المخرج والفساد ما وقع إلا سبب

(١) الحبوب القمح.

(٢) هو العلامة الكبير أحمد بن محمد الجرافي وله بصنعاء سنة ١٢٨٠ ويرع في علم الفقه وله فيه.

(٣) مؤلفات كثيرة توفي سنة ١٣١٦ (انظر عبد الله الحبشي في مصادر الفكر الإسلامي ص ٢٤٩).

(٤) سبق ذكره وهو موسم الثمرة.

(٥) بتغيير استبدال.

(٦) أي الشباب الجديد الذي لا يعجبه سلوك المتقدمين.

لهلاك دغيش وأخذ معه وأخذوا أسيراً إلى شهرنا شوال سنة ١٣١٦ وطلع في باله أنه يكاتب لقبائل سحار وغيرهم لأنه محبوس في السنارة في صعدة وكاتب سيدي أنه يفتدى نفسه بما كان من المال النقد ويريد الإطلاق والوصول إلى موقف سيدي وقبل سيدي ذلك وأطلقه وهو قد عرف القبائل يلقوه إلى العمشية يفكوه من أيدي الرسم السجانيين وهو مضمّر الغدر والمكر فوصل القوم إلى العمشية عشروا بالبنادق في السجانيين كونهم محيطين بدغيش قصدهم يفشلوهم لا غير ومع وفا مناياته^(١) خرج من الديمة ينظر ما قد هم فيه فأصابته رصاصة من تلك التعشيرة ولما تيقنوا الرسم . فعله وغدره قطعوا رأسه وشلوه إلى عند سيدي .

وفي رابع القعدة سنة ١٣١٦ توفي الولد العلامة العزي القاضي محمد عبد الملك^(٢) وعمره نحو ستة وثلاثين يزيد ستين لا ينقص وفي ذلك الشهر في ٢٥ توفي السيد العلامة الكبير الشهير أحمد بن محمد الكبسي^(٣) وفي ١٦ شهر الحجة توفي القاضي عبد الرحمن بن أحمد المجاهد^(٤) (وطلب الوالي المشايخ جميع وحبسهم وطلب منهم رهاين وسلموها) .

ودخلت سنة ١٣١٧ في شهر صفر بدعت الدولة عمارة باب شرارة وبعده عمارة الحكومة مكان بيت الشايف الذي كان حكومة من عند وصولهم ونبشوا موثر^(٥) عميق وكبسوا فيه فضة وذهباً وعقروا البقر والغنم وغرم الوالي للدورية إلى اليمن ورجع بعد شهرين وبقي الواحي يحبس من أراد ولم يخرج حتى أن أكثرهم مدينين مثل البخيتي وأبو هادي وغيرهم حتى امتلأ الحبس وأمر بهم الحديدية وعزموا في رجب دفعتين مع كل طابور نحو/أربعين نفر وكلهم مستحقين لذلك وإلا فهم نحو ثلاثة أربعة أنفار الذي دخلوا في نفوس الناس ، وقد أحدث الوالي هذا ثلاثة مجالس الأول استخانة^(٦) للعرب الضعفاء والغرباء وهي شرقي مسجد توفيق وثبتت ورأيت الأمراض فيها وأكلهم وشربهم مقرر من الدولة . والثانيات مجلسين وسماها مجلس المعارف^(٧) ومجلس الصنائع أما المعارف فلتعليم الصبيان العلم والقرآن وفعلوا محمد حميد معلم للعلم

(١) كأنها منيته .

(٢) سبق ذكره .

(٣) سبق ذكره .

(٤) سبق ذكره .

(٥) أساس .

(٦) مستشفى .

(٧) كأنها وزارة للتربية والتعليم .

وأحمد بن محسن الأكوع لسماع تجويد القرآن وفعلوا لهم معاشات في كل شهر خمسة عشر ريالاً وهو في بيت في صلاح الدين وأما مجلس الصنائع فلتعليم كل حرفة شامية يفعلوا في صنعاء وأرسل للمعلمين من الشام وعمروا المجلس في باب النزيلي في شرارة وجعلوا معاشاتهم عطفاً على الزكاة على كل عشرين قدح زكاة قدح حصّة المعارف يصح على المية القدح خمسة أقدام وهكذا قل أو كثر وتسلمت في صرّاب سنة ١٧^(١).

(١) إلى هنا انقطع كلام المؤلف وبقي في الصفحة نحو نصفها بياض فارغ فلعل المنية دأبته في هذه السنة التي توفي فيها جميع كبير من الناس.

جوليات يمانية

يظل القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) المنطلق الحقيقي لتكوين اليمن الحديث في صورته المعاصرة فقد دخل اليمن عالماً جديداً لم يكن له عهد به من قبل حيث فرض واقع العصر - عصر سيادات الدول القوية - منطقه على سائر البلاد العربية . وكان اليمن آخر البلاد العربية تأثراً، وأقلها تأثراً بذلك أيضاً ومع ذلك فقد ترك آثاره على المجتمع ونفسيته ولا أدل على ذلك من تلك الدهشة التي صورها لنا مؤلف هذا الكتاب .

ففي هذا العصر أصيب المجتمع اليمني بادواء الحضارة الأوربية المعاصرة ولعل أسوأ ما فيها هذا الاستعمار البغيض الذي حاول أن يكرس جهوده ليس في امتصاص خيرات البلاد واخضاعها له فقط بل وأيضاً على تغيير القيم والأخلاق والموروثات المميزة للشعوب المستعبدة .

ومع ذلك فإن اليمن أقل الأقطار المستعمرة تأثراً به كما قلنا بل لم يستطع أن يطوق قبضته على البلاد إلا على رقعة صغيرة مطلة على البحر الأحمر هي عدن وما عدا هذه البلدة فإن اليمن يموج بالبطولات الشائقة المتأججة التي لم يستطع الاستعمار اخضاعها حتى بالتفكير باحتلالها .

وفي التاريخ اليمني - في كل عصوره - صفحات نادرة من البطولات التي قد لا توجد إلا في الأساطير ولولا أن كتابة التاريخ هي في ذاتها أمانة علمية عند كل من كتبه لقلنا أنهم يصوغون قصصاً لا تمت إلى الحقيقة بشيء .

فأي بطولة تعادل تلك التي صورها مؤلف كتابنا هذا وهي أن يأتي الأتراك بأهبة كاملة من الأسلحة الفتاكة فيتصدى لهم أهل اليمن العزل من أي سلاح سوى الجنابي - الخناجر - والمفارس (الفؤوس) ويجلون الأتراك عن آخرهم من مدينة صنعاء بعد ثلاثة أيام من وصولهم .

وحدث عن ذلك الأقدام والشجاعة ولا حرج وقد أثبت الشعب اليمني بأفراده العاديين أنهم حماة الوطن الحقيقيين .